

لعبة الغالب والمغلوب بين العرب.. وإيران.. والغرب

مقالات فؤاد مطر



المجلد الثاني

1991 - 1987

أسبوعية، سياسية، جامعية
أسسها في لندن سنة ١٩٨٢ فؤاد ماطر
تصدر عن مؤسسة هادي لايت للنشر
والتوثيق والإعلام المحدودة

رئيس التحرير - المدير العام: فؤاد ماطر
نائبة المدير العام: امتثال جويدي ماطر
مينة التحرير: نصر المجالي
عبد الرحيم محمد جمعة - توفيق جزوليت
المحرر الاقتصادي: عادل مراد
الآخراج: هاشم سعرجي
المراسلون: بيروت: عبدالله ماطر - وليد زهر الدين - طاهر
نغار - إبراهيم عوضة - الرياض: حسين كريم -
القاهرة: احسان بكر - عادل الجوجري - اعاني كمال -
بغداد: فاضل عباس مشعل - أسعد العاقولي - صالح
السلامي - خالد جاسم - عفاف عبدالرحمن - حنان
حنبل - المحصور عبدالكريم عبدالزهره - تونس: رشيد
خليفة - المغرب: أبو بكر الشريف - باريس: حميدة
منع - عمان: فيصل الشبول
الملاقات العامة: جاكلين الشبول
التوزيع والتسويق: شارل حداد

توجه المراسلات الى رئيس التحرير على العنوان الآتي:
AT-Tadamon Magazine HIGHLIGHT HOUSE
80-82 Gray's Inn Road London WC1X 8NH
الهاتف: لندن (٠٢١) ٢٤٢ ٩٣٣٠ / (٠٢١) ٢٤٢ ٩٣٣٠ (أربعة خطوط)
تلكس: HILITE G 295584 فاكسبيل على الرقم:
لندن: ٢٣٨٩ ٨٣١ - ٠٧١



LEVANT DISTRIBUTORS SAL INTERNATIONAL
P.O. BOX 11-1181 BEIRUT - LEBANON

التوزيع في السعودية: الشركة الوطنية المتحدة للتوزيع
الإدارة العامة: الرياض. هاتف: ٤٧٨٢٠٠٠ ص.ب. ٦١٤٦٦

الصف الإلكتروني: شركة هادي لايت - لندن

AT - TADAMON

Arabic Weekly Magazine Founded in
1982 in London by Foad Matar
Highlight House, 80-82 Gray's Inn Road, London
WC1X 8NH
Tel: 071-242 9330-4 Telex 295584 HILITE G
FAX GH and GIL: LONDON 071-831 2389
Publishers:
HIGHLIGHT (ARAB U.K.) Co. P.D.I. LTD
Editor - in - Chief: DIRECTOR FOUAD MATAR
Deputy Director: Mrs. I. Matar
Marketing and Circulation Manager:
Charles Haddad
Business Section:
Adel Murad

Public Relations: Jacqueline Rochelle
Certificate of Incorporation of Private Limited Company No:
1600321

Registered as Newspaper at the Post Office

Sole Advertising Representative: التمثيل الاعلاني:

(regie)

ORIENT COMMUNICATIONS & MEDIA:

80 Gray's Inn Road, London WC1X 8NH, Tel No:

071-831 9577 Telex 295584

في الوقت الذي كانت التطورات تتلاحق في منطقة الخليج بشكل مفر لا مثيل له كان زميلنا شربل زعبي يتابع في واشنطن محطات التلفزيون هناك وما اكثرها ويقلب في صفحات الصحف المختزنة بالصور وللوضوح حول الحرب الدائرة في الخليج. وكان الى ذلك يتابع باهتمام الاستفتاءات التي تقوم بها الصحف ومؤسسات الأبحاث وهي استفتاءات تساهم في صناعة القرار الأمريكي. وفي ضوء هذا كله بحث بالاتي من واشنطن:

... وأخيراً وقع الرئيس الأمريكي جورج بوش في الفخ اليهودي واضطر الى اعلان الحرب ضد العراق بعدما انشق الاعضاء اليهود في الكونغرس الأمريكي عن الحزب الديمقراطي وصوتوا الى جانب الحرب. الامر الذي من الولايات المتحدة وتحول غضب الأمريكيين الى تظاهرات في كافة الولايات والمدن الأمريكية وخاصة امام البيت الابيض في واشنطن.

اجهزة الاعلام الأمريكية تخضع كلها للنفوذ والابتزاز اليهوديين حيث يصار الى تضخيم الطلعات الجوية التي يقوم بها الطيران الأمريكي ضد بغداد والمدن العراقية الأخرى، في حين يفرض تعميماً مطبقاً على الضمائم الأمريكية والرد العراقي. ففي اليوم الأول مثلاً ظهر بوش على شاشات التلفزيون ليعلن الى العالم، وهو يتقسم على غير عادته، بداية نهاية الحرب في الخليج لان الطيران الأمريكي قد دمر كل شيء في بغداد حتى القصر الجمهوري ووزارة الدفاع ومبنى الإذاعة والتلفزيون ومبعض الصواريخ العراقية. ولقد تعزز هذا الاعتقاد عند الأمريكيين حين لم تتعرض إسرائيل لأي صاروخ عراقي. وهذا ما اثار مخاوف الجالية العربية في الولايات المتحدة وكندا، حيث كثرت الاتصالات بـ «التضامن» للاستفسار عن حقيقة ما يجري في الخليج وهل الأخبار التي تنشرها وسائل الاعلام الأمريكية صحيحة ام مبالغ فيها. وفي الوقت الذي كان بوش يعلن سقوط الإذاعة والتلفزيون في بغداد كنا نحن في «التضامن» في أمريكا نسمع الى خطاب الرئيس صدام حسين بواسطة جهاز راديو يعمل على الموجة القصيرة، وحيث كان المعلق الصحافي في السفارة العراقية في تونس يذيع خطاب الرئيس العراقي على الإذاعة التونسية التي تصل نقيّة ومسموعة الى حد كبير في أمريكا. كذلك نعتقد على اذاعة الأردن وأذاعة المغرب للوقوف على سير العمليات العسكرية في الخليج خاصة وأن اذاعة بغداد على الموجة القصيرة تتعرض لتشويش كبير. ومن الصعب التقاطها.

وكم كانت دهشة الأمريكيين كبيرة عندما تساقطت الصواريخ على تل أبيب حيث ظهر بعدها الرئيس الأمريكي ليعلن ويوجه حزين ان الحرب ليست نزهة في الخليج وهي قد تستغرق بعض الوقت مع تذكيره الدائم على أنه لن يسمح بحولياتها الى حرب عربية - اسرائيلية وذلك للحفاظ على تراث التحالف الصهيوني - الأمريكي - الأوروبي - العربي ضد العراق. ولذلك فبسط بوش شخصياً على اسحق شاميري تمتع إسرائيل عن الرد على الصواريخ العراقية مع تأكيد أنه سيرسل الأسلحة اللازمة لتدمير الصواريخ العراقية في الجو قبل سقوطها على إسرائيل. ولقد استغل بوش الوضع في الخليج ليمر الى إسرائيل كل الأسلحة التي كانت قد طلبتها من أمريكا ووضعت هذه الأخيرة تزويدها بما هي لا تقبض العرب بما في ذلك الأسلحة الكيميائية والجراثيم. وإسرائيل التي يبدو التعارض واضحاً بينها وبين واشنطن حيال الموقف في الشرق الأوسط سوف تحصل على الأسلحة وبعدها لكل حادث حديث. ويقول أحد زعماء اللوبي الصهيوني في أمريكا ان اليهود لم يشغلوا على أمريكا للدخول في الحرب ضد العراق من أجل تحرير الكويت وإنما من أجل تحرير التزامات أمريكا تجاه العرب والتزامات إسرائيل تجاه الولايات المتحدة. وإن إسرائيل سوف تدخل حتماً في هذه الحرب سواء قصفت تل أبيب مجدداً ان لم تقصف. لأن مشروع إسرائيل الكبرى في المنطقة مازال قائماً وأنه حين الوقت لكي تنفذ. هذا المشروع ويغطاه عربي في الدرجة الأولى. ويطلق اليهود على هذه الحرب الدائرة حالياً في الخليج اسم «حرب المصح». في الوقت التي تسميها أمريكا «عاصفة الصحراء». أما مفهوم حرب المصح فهو تقسيم الدول العربية برمتها الى دويلات والقضاء على أنظمة الحكم السائدة فيها. وهذا الامر يتطلب قيام إسرائيل بعمليات عسكرية ضد الأردن وسوريا بحجة الوصول الى العراق. وإذا كان الأردن قد اتخذ موقفاً علنياً مع العراق فإن المراهنة على سوريا تبقى قائمة. بحيث اذا لم تشترك في العمليات العسكرية ضد إسرائيل فهذا يعني ان مجالها الجوي يكون الطريق الآراب الى بغداد امام الطيران الإسرائيلي وبعدها يصبح من السهل على القوات البرية اجتياز الأراضي السورية للوصول الى العراق. أما اذا اشتركت سوريا في هذه الحرب فإن المعركة محسومة لصالح إسرائيل وبعدها يصبح تقسيم سوريا امراً مشروعاً ولا يلقى المعارضة من الولايات المتحدة الأمريكية. حتى كتابة هذه السطور يوم ٢١ كانون الثاني (يناير) ١٩٩١. كان بوش يؤكد ان يقتصر ان الحرب على شير الهادية، وأنه يمسك بخريطة الشرق الأوسط برمته ومستعد للدخول في بلارات مع الانظمة الأوروبية والعربية التي ساعدته في هذه الحرب.

ولكن هل ستصبح حسابات حلق بوش على بيدر الخليج؟
آخر استطلاع للرأي العام الأمريكي والذي لم تنشره وسائل الاعلام الأمريكية يفيد ان ١١٪ فقط من الشعب الأمريكي يصدق التقارير الاعلامية التي تنشرها وسائل الاعلام الأمريكية. خاصة بعدما طلب بوش طيارين مدنيين متطوعين للخدمة في السعودية. وعندما الملح الى أنه قد يستدعي حوالي ربع مليون جندي من الاحتياط لالتحاقهم برفاقهم في «عاصفة الصحراء». هذا بالإضافة الى ان أهالي الجنود في الولايات المتحدة الأمريكية يتصلون ببناتهم في السعودية ويؤكد لهم هؤلاء ان المستشفيات السعودية قد اخليت من المرضى المدنيين من أجل استقبال الجرحى والقتلى نتيجة القصف الصاروخي العراقي للندن السعودية وكل ذلك في اطار تعميم اعلامي مطبق على ما يجري في السعودية.

سعر بوش سينقلب عليه عندما تبدأ افواهل القتل تصل الى أمريكا نتيجة العاصفة التي زرعها بوش نفسه في الرمال الخليجية المتحركة.

سعر النسخة: لبنان ٧٥٠ ليرة * سوريا ١٥ ل.س * الأردن ٧٥٠ فلساً * البحرين ٨٠٠ فلس * قطر ٨ ريالات * الإمارات ٩ دراهم * عمان ٧٠٠ بيرة * اليمن ١٠ ريالات * السعودية ٨ ريالات * العراق ٧٥٠ فلساً * ليبيا ٧٠٠ درهم * السودان ١٠ جنيهات * مصر

جنيه واحد * تونس دينار واحد * المغرب ٨ دراهم

الاشتراك السنوي للأفراد: ١٠٠ دولار أمريكي. للحكومات والمؤسسات الرسمية: ٣٠٠ دولار أمريكي

ISSUE PRICE: AUSTRIA 30Sch * AUSTRALIA 2AS * CAMEROUN 750CFA * CANADA 3.50CS * COTE D'IVOIRE 560CFA * CYPRUS 750M * FRANCE 12F * GERMANY (WEST) 5M * GREECE 200Dr * INDIA 10R * ITALY 1900L * MEXICO 300Pes * NETHERLANDS 4G * PAKISTAN 15R * SENEGAL 560CFA * SPAIN 350Ptas * SWITZERLAND 5SF * TURKEY 2000TL * U.K. 125P * U.S.A. 3.50\$ * JAPAN 900Y * SWEDEN 20SK * NORWAY 20NK * DENMARK 21DK *

مقالات المجلد الثاني

من 3 يناير 1987 إلى 27 يناير 1991

التضامن

مجلة العرب من المحيط إلى الخليج



قيادات

مع اقتراب مرور عام كامل على سابعه فهد بن عبد العزيز ملكا على المملكة العربية السعودية تعرض «التضامن» في زاوية قيادات» (ص ٢٢) جوان من شخصية الملك فهد والنهال التي يواجهها خمس ملك المملكة العربية السعودية

مقابله

السياسي البريطاني انثوني بلنغ معروف بتعاطفه مع القضايا العربية. فهو الذي استقال من وزارة الشؤون ايسن احتجاجا على العدوان الشلالي عام ١٩٥٦ «التضامن» كانت لها طلبة مع الصح انثوني بلنغ (ص ١٦)

بيوتنا

هل تنتقل امة المجتمع العربي الى البيت العربي؟ وهل صحيح ان الديمقراطية غائبة عن بيوتنا العربية؟ وما هي الاجابات الصحيحة عن اسئلة صغارنا؟ صفحات بيوتنا في «التضامن» تقدم نظرة جديدة صفحات الاميرة في المحلة الاسبوعية العربية (ص ٨٤-٨٥)

رسالة من «التضامن»

كان أمر اختيار غلاف العدد الأول من «التضامن» شاقا الى أبعد مدى. بل قد يجوز القول اننا أمضينا ساعات طويلة على مدى أيام متقطعة نناقش أمر غلاف العدد الأول. ولقد خطر في البال ان نتصل بعدد من المسؤولين القيايين ونجري معهم سلسلة من الأحاديث ونختار أحدها موضوعا للغلاف، ووجدنا ان في ذلك بعض الإحراج لصدقات كثيرة نعتز بها ونشعر ضمنيا انها تفضل ان تصدر «التضامن» وتعرف أي مجلة هي. وخطر في البال أيضا ان نختار واحدا من الموضوعات المسلسلة الشيقة التي في جعبتنا والتي تهم رجال الدولة وصانعي القرار العربي، ونضعه على الغلاف. ثم وجدنا أنفسنا نساغل: هل يجوز بالنسبة الى مجلة تصدر للمرة الأولى ان يكون غلاف عددها الأول مجرد موضوع أعدته حتى اذا كان الموضوع من النوع الممتاز؟ وخطر في البال أيضا ان نختار أحد أبرز أحداث الفترة القليلة التي تسبق الصدور ونكتب عنه، ثم وجدنا أنفسنا نرى ان مثل هذا الأمر يجوز بالنسبة الى مجلة تصدر اومجلة مضت سنوات على صدورها. أما بالنسبة الى مجلة تصدر للمرة الأولى فان الأمر يختلف بعض الشيء. وخطر في البال أيضا ان نخصص موضوع غلاف العدد الأول لتجربة الصحف والمجلات العربية التي تصدر في أوروبا ثم ارتأينا تأجيل هذا الأمر الى وقت آخر على ان نكتفي الآن بتحفية هذه الزميلات والدور الذي تقوم به وكذلك تحية الصحف والمجلات التي تواصل الصدور في العالم العربي. وفي النهاية اخترنا ان يكون الغلاف مزيجاً من النما والتحليل ومن المعلومات والاجتهادات. اخترنا الذين يقودون العالم العربي مجتمعين حول طائفة مستديرة وقد قررنا ان نتصالحوا ويتعايشوا ويناقشوا. ووضعنا لهذا اللقاء عنوانا يجمع بين البدايات وبين التمنيات: حلم ٩٨٤ واستندنا في هذا الاختيار الى امرين الأول هو ان مثل هذا اللقاء أصبح ضرورة حتمية. الثاني هو اننا بذلك نعكس التوجه السياسي لجلتنا. (ولقد أوضحنا قواعد هذا التوجه في الصفحة الثالثة من هذا العدد). ويتبقى الإشارة الى انه اذا كان أمر اختيار الغلاف استغرق منا كل هذا الجهد الذي اشرنا اليه فان هذه الكلمات اخذت منا هي الأخرى الكثير من المشقة. ولقد أعدنا النظر أكثر من مرة في بعض كلمات هذه الرسالة من أجل ان تكون «التضامن» دائما هي الكلمة المناسبة في المكان المناسب وفي الزمان المناسب أيضا. تبقى الإشارة أيضا لضرورة اننا عمل اعلامي جديد. وهذا العمل يطمح الى ان يحقق الحد الأقصى من النجاح. وبين البداية والحد الأقصى تحدث ثغرات سنسعى الى تلقيها. وننشر كتابات نأمل الا يضيق صدر الذين يتوقفون عند بعض كلماتنا. فنحن نكرارا لما أوضحناه في الصفحة الثالثة طرف في كل ما من شأنه ان يحقق التعايش العربي المثالي وغير معنيين بلعبة التناقضات الدائرة على الساحة العربية والتي نأمل، بل ونتمنى، المساعدة ولو بنسبة متواضعة في تقليص حجم تأثيراتها. وعودة مختصرة الى ما بدأنا به هذه الكلمة. لقد اخترنا للعدد الأول من «التضامن» الغلاف الذي يحمل عنوانا ينضج بالتفأول وهو محم ١٩٨٤. ولم يأت الاختيار عملا بقاعدة «تعاظوا بالخير تجدوه» وانما استنادا الى قاعدة الواقع التي تؤكد انه لم يعد أمام العرب سوى هذا الطريق. وهو طريق مفتوح وأفضل من كل الطرق السابقة... المسدودة.

مجلة العرب من المحيط الى الخليج.

تأسست عام ١٩٨٢ في لندن

تصدر اسبوعياً عن

هايليت

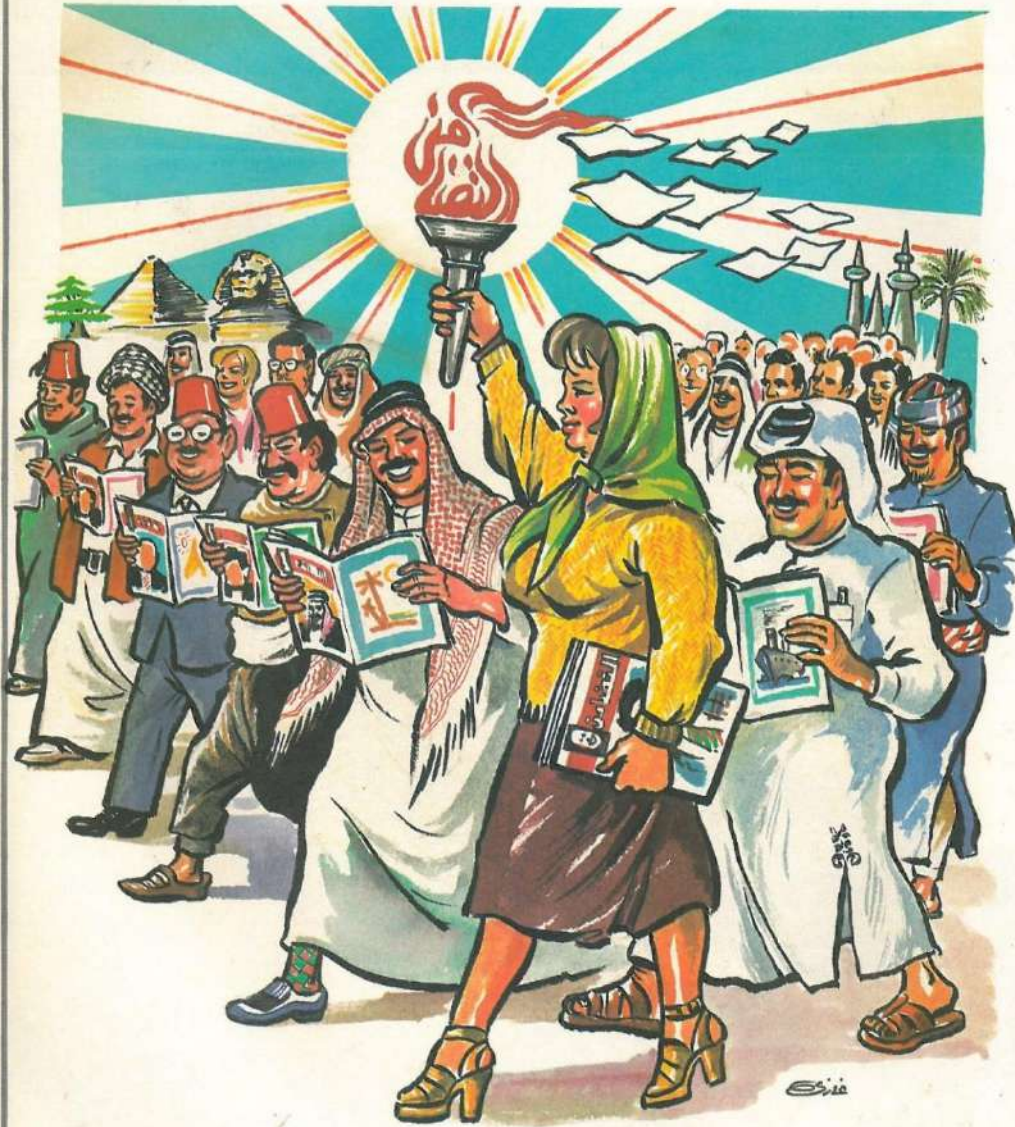
الشركة العربية - البريطانية للنشر والتوزيع والاعلام المحدودة - لندن

رئيس التحرير

فؤاد مطر



AT-TADAMON
Arabic Weekly Magazine
Published by:
HIGHLIGHT (ARAB-UK) Co.
For Publishing,
Documentation and Information Ltd.
Editor-in-Chief
Director
FOUAD MATAR
Address:
80-82 GRAY'S INN ROAD
LONDON W.C.1
Tel: 404 0429-34
242 9330-4
831 9577-8
Telex: 295884 HILITE G



سنة بعد سنة... تبقى «التضامن» المفترضة على عهدنا في كل الامكنة والازمنة

محتويات المجلد الثاني

- 31 هجوم الأطماع الثلاثة.....
مجلة "التضامن". لندن - 3 كانون الثاني (يناير) 1987
حول جولة مفاوضات بين العراق وإيران لم تثمر نتائج مرجوة
- 33 من كيسانجر إلى مورفي: لقد أتعبتنا جولاتهم.....
مجلة "التضامن". لندن - 10 كانون الثاني (يناير) 1987
بعد تكاثر جولات المبعوثين الأميركيين على دول المنطقة أصيب العربي حاكماً ومحكوماً بالإحباط والخيبة
- 34 إنعقاد كامل ونصف إنجاز.....
مجلة "التضامن". لندن - 17 كانون الثاني (يناير) 1987
نظرة على مصير قمة إسلامية تنوعت موجبات الإنعقاد لدواع كثيرة التشابك
- 35 قمة خط النار.....
مجلة "التضامن". لندن - 24 كانون الثاني (يناير) 1987
مزيد من التمنيات في شأن القمة الإسلامية التي يلتزم شملها على مقربة من خط النار
- 37 حيّ على الوفاق.....
مجلة "التضامن". لندن - 24 كانون الثاني (يناير) 1987
ما كان من المستبعد حدوثه جرى بعد كثرة إفتراضات وتساؤلات
- 38 من كواليس قمة البليون في بلد المليون: السيناريو الأميركي للعام 1987.....
مجلة "التضامن". لندن - 31 كانون الثاني (يناير) 1987
حول أمور كثيرة حدثت في كواليس قمة البليون مسلم في بلد المليون.. أي الكويت
- 41 إنطباعات من القمة الإسلامية الخامسة وعنها (3 مقالات).....
مجلة "التضامن". لندن - 7 شباط (فبراير) 1987
قراءة في نتائج القمة الإسلامية في الكويت وأبرزها أن المستحيل بات ممكناً
- 46 أقل كثيراً من التكامل وأكثر قليلاً من العلاقة العادية.....
مجلة "التضامن". لندن - 28 شباط (فبراير) 1987
قراءة في نتائج زيارة قام بها إلى مصر رئيس الحكومة السودانية الصادق المهدي
- 48 حل لحروب الأرض قبل "حرب النجوم"....
مجلة "التضامن". لندن - 7 آذار (مارس) 1987
حول فتوى في شأن الحرب العراقية - الإيرانية قالها وزير خارجية الإتحاد السوفياتي أندريه غروميكو لوزير خارجية إيران علي أكبر ولايتي

- 49 العائد إلى القومية العربية.....
مجلة "التضامن". لندن - 14 آذار (مارس) 1987
بعد إنطباع ساد في الثمانينات بأن القذافي تخطى عن حماسته العربية نشأ إنطباع جديد بأن الأخ معمر عاد إلى التغريد في سرب القومية العربية
- 50 الأوراق كثيرة.. والمهم أن يضغط.....
مجلة "التضامن". لندن - 21 آذار (مارس) 1987
حول زيارة قام بها الملك فهد إلى بريطانيا يوم 24 مارس 1987 وأحاطتها الملكة إليزابيث وحكومتها بكل مظاهر الإهتمام...
- 52 تجميد الدعم يؤلّد توحيد الصف.....
مجلة "التضامن". لندن - 28 آذار (مارس) 1987
رؤية في شأن وحدة الصف الفلسطيني التي لن تحدث إلا بعد التلويح بتجميد الدعم المالي والمعنوي من جانب بعض العرب للتنظيمات الفلسطينية
- 53 الحد الأدنى والحد الأقصى للرد على تصدير الثورة.....
مجلة "التضامن". لندن - 4 نيسان (أبريل) 1987
رؤية لما يجب أن يكون عليه الرد على الهجمة غير العربية على العرب
- 55 الفتنة والبرلمان.....
مجلة "التضامن". لندن - 11 نيسان (أبريل) 1987
حول مصادفة حدوث الفتنة الطائفية في مصر في الوقت الذي دعا الرئيس حسني مبارك إلى إجراء إنتخابات برلمانية للتأكيد على أن البلد مستقر والديمقراطية باقية...
- 56 معادلة جديدة يطرحها القذافي.....
مجلة "التضامن". لندن - 11 نيسان (أبريل) 1987
حول معادلة تتعلق بإدارة شؤون الدول من إبتكار العقيد معمر القذافي
- 60 مرحلة إعادة ترتيب شؤون البيت العربي.....
مجلة "التضامن". لندن - 18 نيسان (أبريل) 1987
وجهة نظر في شأن إعادة ترتيب أمور البيت في كل دولة عربية ضُمن معادلة خلاصتها: ديمقراطية كثيرة مقابل فاقة على الصعيدين المالي والإجتماعي، أو ديمقراطية قليلة مقابل الترف والحبوكة
- 61 مثل قمة الكويت وبرلمان لبنان.....
مجلة "التضامن". لندن - 25 نيسان (أبريل) 1987
حول الدورة الثامنة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني التي عُقدت في الجزائر يوم الإثنين 20 نيسان 1987 وما هو الأهم من إنعقادها
- 62 خطة غورباتشوف: زيارة الخليج.....
مجلة "التضامن". لندن - 25 نيسان (أبريل) 1987
إنطباعات وملاحظات حول التوجه الذي ينوي إعتماده الزعيم السوفياتي الجديد ميخائيل غورباتشوف بالنسبة إلى منطقة الخليج، لو كُتب له أن يبقى
- 65 دورة رجل الدولة.....
مجلة "التضامن". لندن - 2 أيار (مايو) 1987
عندما أكد "رجل الثورة" ياسر عرفات عام 1987 أنه "رجل الدولة الموعودة"

- 66 زوبعة صغيرة في فنان كبير
مجلة "التضامن". لندن - 9 أيار (مايو) 1987
حول خلاف بين الرئيس حسني مبارك والقيادة الفلسطينية بدا مثل زوبعة صغيرة في فنان كبير
- 67 مسؤولية الخلاف ومسؤولية استمراره
مجلة "التضامن". لندن - 16 أيار (مايو) 1987
نظرة على لقاء القمة المغربي - الجزائري يوم الإثنين 4 أيار/ مايو 1987 الذي تم تحقيقه بفضل مسعى مشكور من الملك فهد
- 69 فلاديمير بتروفسكي... زائر البصرة عن طريق الكويت
مجلة "التضامن". لندن - 16 أيار (مايو) 1987
تساؤلات في شأن زيارة مثيرة ولافتة للانتباه قام بها فلاديمير بتروفسكي نائب وزير خارجية الاتحاد السوفياتي (في عهد غورباتشوف) يوم الجمعة 24 نيسان/ أبريل 1987 إلى البصرة بطريق البر آتياً من الكويت
- 74 تلغيم السوفيات وقصف الأميركان
مجلة "التضامن". لندن - 23 مايو (أيار) 1987
عندما أصيبت ناقلة نفط تحمل العلم السوفياتي ومؤجرة من الكويت بلغم وأصيبت "فرقاطة" أميركية وهي في مياه الخليج
- 76 لماذا يا سيد حسين؟
مجلة "التضامن". لندن - 30 أيار (مايو) 1987
حول إتفاق القاهرة بين الدولة اللبنانية ومنظمة التحرير عام 1969 الذي ألغاه بشكل مفاجئ مجلس النواب اللبناني (الذي يترأسه السيد حسين الحسيني) يوم الخميس 21 أيار/ مايو 1987، وفي الحالتين لم تكن الخطوة ضرورية
- 77 إغتاؤه ليُسكتوه
مجلة "التضامن". لندن - 6 حزيران (يونيو) 1987
العرب... والمشكلة اللبنانية بعد إغتيال رئيس وزراء لبنان رشيد كرامي شهيد الواجب المستحيل
- 78 العبور المتبادل بين مصر والسعودية
مجلة "التضامن". لندن - 13 حزيران (يونيو) 1987
بعد لقاء الرئيس حسني مبارك والأمير سلمان بن عبد العزيز في باريس بترتيب من الرئاسة الفرنسية جاءت إقامة معرض "الرياض بين اليوم والأمس" في القاهرة يوم 17 تموز/ يوليو 1987 لتشكّل حالة عبور متبادل بين مصر والسعودية، وخطة على طريق الوفاق العربي
- 79 أصحاب العقائد يعيدون النظر
مجلة "التضامن". لندن - 20 حزيران (يونيو) 1987
كيف أن الأستاذ ميشال غفلق أعاد بعض الشيء النظر في مفهومه للوحدة
- 80 زمن الحريري
مجلة "التضامن". لندن - 20 حزيران (يونيو) 1987
نظرة على زمنين إستثنائيين في الخُكم والحكومات اللبنانية: زمن رفيق الحريري بعد زمن رشيد كرامي
- 82 "فيتو دولي" على الحرب العراقية - الإيرانية
مجلة "التضامن". لندن - 27 حزيران (يونيو) 1987
كيف أن الحرب العراقية - الإيرانية باتت على مشارف النهاية

- 83 لماذا تتحمل أميركا رفسنجاني ولم تتحمل عبد الناصر؟
مجلة "التضامن". لندن - 4 تموز (يوليو) 1987
حول تزايد الشعور بأن الحرب العراقية - الإيرانية التي مضى عليها سبع سنوات باتت على مشارف النهاية
- 85 العراق الدولة والعراق التراث الشعبي
مجلة "التضامن". لندن - 11 تموز (يوليو) 1987
قراءة في تجربة حزب "البعث" يحكم العراق في ظل حرب مفروضة عليه
- 86 "اتحاد دول المغرب العربي" بين الجزائر وليبيا
مجلة "التضامن". لندن - 11 تموز (يوليو) 1987
عندما أوحث التطورات بأن العالم العربي على موعد مع خطوة إتحادية بين ليبيا والجزائر
- 87 ملوك العرب و"بريطانيا العظمى"
مجلة "التضامن". لندن - 18 تموز (يوليو) 1987
نظرة على زيارات ثلاثة ملوك عرب هم الملك فهد بن عبد العزيز والملك الحسن الثاني والملك حسين إلى بريطانيا العظمى التي لا تصحح وعد بلفور الذي ألحق ظملاً فادحاً بفلسطين وبالعرب عموماً
- 89 مصر وحسني مبارك: مكافأة المستقيم
مجلة "التضامن". لندن - 18 تموز (يوليو) 1987
يوم إكتشف الرئيس حسني مبارك للمرة الأولى حجم مكانته لدى المصريين الذين كافأوه على إستقامته
- 91 حرب العراق وإيران: بداية النهاية
مجلة "التضامن". لندن - 25 تموز (يوليو) 1987
مؤشرات على بداية النهاية للحرب بين العراق وإيران الدائرة منذ سبع سنوات
- 93 لو أن حسين حريري سأل الفلسطينيين
مجلة "التضامن". لندن - 1 آب (أغسطس) 1987
حول عملية الطائرة الأفريقية التي خطفها شاب لبناني عشية قمة أديس أبابا وبدت كما لو أن الهدف إستعداد أفريقيا على العرب
- 94 حجاج... أم ميليشيات؟
مجلة "التضامن". لندن - 8 آب (أغسطس) 1987
بعد الذي جرى في الكويت وصل التحدي الإيراني إلى مكة المكرمة، وكان بمثابة إختبار لبعض المواقف العربية
- 95 تونس تتحمل المسؤولية أولاً
مجلة "التضامن". لندن - 15 آب (أغسطس) 1987
ما الذي يجعل تونس في ضوء تفاقم الأزمة المالية التي تعيشها الجامعة العربية لا تقول للدول الأعضاء: إدمعوها أو أنقلوها
- 97 هل نشهد ولادة "تجمع" الإمكانات العربية؟
مجلة "التضامن". لندن - 22 آب (أغسطس) 1987
تساؤل في ضوء إصرار الثورة الإيرانية على وضع العرب تحت هيمنتها وهل ينشئ أهل الإمكانات تجمعاً يولجحه الجموح الإيراني...
- 98 واقعة لها دلالتها بين الملك فهد وتاتشر
مجلة "التضامن". لندن - 29 آب (أغسطس) 1987
حول واقعة بين الملك فهد ورئيسة وزراء بريطانيا مارغريت تاتشر حدثت خلال زيارة العاهل السعودي لبريطانيا

- 100 **جسيم ضغوط الحرب ولاجنة اللاعرب والاسلم**
مجلة "التضامن". لندن - 5 أيلول (سبتمبر) 1987
أحوال الأمة مع بدء سنة جديدة للحرب العراقية-الإيرانية وتباطؤ الحراك الدبلوماسي
- 101 **قرارات دولية لا عودة عنها**
مجلة "التضامن". لندن - 12 أيلول (سبتمبر) 1987
نظرة على قرارات لا عودة عنها من القرار 242 والتردد في قبوله إلى القرار 598 والمماثلة في الإقرار به
- 102 **آفاق ذهبية في اليوبيل الفضي**
مجلة "التضامن". لندن - 19 أيلول (سبتمبر) 1987
وجهة نظر في العقيد علي عبد الله صالح وبراعة تعامله كرئيس لليمن مع كل الآخرين عرباً وغير عرب، وذلك لمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين للثورة اليمنية
- 103 **الحسين بعد الحسن لمواجهة الخميني**
مجلة "التضامن". لندن - 26 أيلول (سبتمبر) 1987
حول مؤتمر لوزراء الخارجية العرب كان مؤملاً كثيراً على قراراته، لكنه إنتهى من دون ربح وفير وفي الوقت نفسه لم تحدث خسارة فادحة...
- 105 **حسني مبارك في الولاية الثانية**
مجلة "التضامن". لندن - 3 تشرين الأول (أكتوبر) 1987
نظرة على ما أنجزه الرئيس حسني مبارك خلال خمس سنوات وذلك لمناسبة بدء الولاية الثانية له
- 106 **جنرال الإستقرار**
مجلة "التضامن". لندن - 10 تشرين الأول (أكتوبر) 1987
حول الجنرال زين العابدين بن علي الذي إختاره الرئيس الحبيب بورقيبة رئيساً للحكومة وبحيث تتواصل البورقيبية معه وتستقر
- 107 **الإجماع مهمة الملك حسين والباقي على الخليجيين**
مجلة "التضامن". لندن - 17 تشرين الأول (أكتوبر) 1987
فيلم أميركي - سوفياتي طويل من النوع الذي يحبس الأنفاس تشاهده المنطقة قبل إنعقاد القمة العربية في عمان ويعمل الملك حسين على أن تتعقد بالإجماع تاركاً الباقي للخليجيين
- 108 **المطلوب من أميركا: الضغط وليس الإنتقام**
مجلة "التضامن". لندن - 24 تشرين الأول (أكتوبر) 1987
نظرة على الزيارة الرسمية الأولى التي قام بها ولي عهد المملكة العربية السعودية الأمير عبد الله بن عبد العزيز إلى الولايات المتحدة وما الذي يمكن أن يطلبه الأمير عبد الله من إدارة الرئيس رونالد ريغان
- 110 **قرارات تاريخية لقمة الإجماع أو قرارات شجاعة لأهل التفهم المشترك**
مجلة "التضامن". لندن - 31 تشرين الأول (أكتوبر) 1987
مفهوم القمة الطارئة والقرارات المهمة في ضوء قمة عربية إستثنائية يستضيفها الأردن
- 111 **سنة القميتين**
مجلة "التضامن". لندن - 7 تشرين الثاني (نوفمبر) 1987
بدأت 1987 أنها يمكن أن تكون سنة القميتين وأن يصبح الرقم 7 يوم إنعقاد القمة الدولية بين الرئيسين ريغان وغورباتشوف والرقم 8 يوم إنعقاد القمة العربية في عمان رمزاً للإنفراج الدولي

- 113 رئيس كل التونسيين
مجلة "التضامن". لندن - 14 تشرين الثاني (نوفمبر) 1987
نظرة على مفاجأة التغيير التي حدثت في تونس يوم الجمعة 6 نوفمبر 1987 وقام بها الرئيس زين العابدين بن علي الذي بات رئيساً للجمهورية محل الرئيس المريض الحبيب بورقيبة
- 113 المحلل والمحرّم بعد قمة عمان
مجلة "التضامن". لندن - 21 تشرين الثاني (نوفمبر) 1987
عندما إنتهت قمة عمان بإصدار قرارات لها صفة الفتاوى التي تحلّ وتحرم على أمل أن تكمل قمة الملك فهد العادية بقية المطلوب
- 114 كيف سيرد مبارك على فتوى قمة عمان؟
مجلة "التضامن". لندن - 28 تشرين الثاني (نوفمبر) 1987
خواطر على هامش إنعقاد القمة العربية التي عُقدت في عمان وخروج مصر منها بمكسب قوي
- 116 الوفاق الجديد
مجلة "التضامن". لندن - 5 كانون الأول (ديسمبر) 1987
تأملات في مخاطر القضايا العالقة للدول الصغرى وكيف عجلت في إتفاق الرئيسين ريغان وغورباتشوف
- 117 معاناة أبناء الزعماء التاريخيين
مجلة "التضامن". لندن - 12 كانون الأول (ديسمبر) 1987
... نظرة على المعاناة التي تصيب أبناء الزعماء التاريخيين. ومن هؤلاء الأبناء على سبيل المثال لا الحصر خالد جمال عبد الناصر
- 118 العالم يتفق
مجلة "التضامن". لندن - 19 كانون الأول (ديسمبر) 1987
بعد تبادل الرئيسين رونالد ريغان وميخائيل غورباتشوف في البيت الأبيض يوم الثلاثاء 8 كانون الأول/ ديسمبر 1987 توقيع معاهدة إزالة الأسلحة النووية متوسطة وقصيرة المدى، ساد إنطباع إلى حد اليقين عن هذه الخطوة خلاصته أن الرئيسين أزالا إمكانية حدوث الحرب العالمية الثالثة
- 119 الزعامة تتقدم على العقيدة
مجلة "التضامن". لندن - 19 كانون الأول (ديسمبر) 1987
حول بعض أوجه الشبه بين أسلوب غورباتشوف وأسلوب صدام حسين
- 120 ضرورات الحزم وحسنات المرونة
مجلة "التضامن". لندن - 26 كانون الأول (ديسمبر) 1987
كيف أن مقياس الإستقرار هو في الحزم المقرون بالمرونة
- 125 التفاؤل بالخير... من الإنفراج العربي إلى الصحوة الفلسطينية
مجلة "التضامن". لندن - 2 كانون الثاني (يناير) 1988
حول مفاجآت حفل بها العام 1987 وكانت في معظمها من النوع غير المتوقع
- 126 قراءة بين سطور بيان القمة الخليجية الثامنة
مجلة "التضامن". لندن - 9 كانون الثاني (يناير) 1988
كيف عززت القمة الخليجية الثامنة التي عُقدت في الرياض القمة العربية الإستثنائية التي إستضافها الملك حسين في عمان

- 127 **"تأميم" الطفرة في السعودية**
مجلة "التضامن". لندن - 9 كانون الثاني (يناير) 1988
حول الميزانية السعودية الأولى التي تزامنت مع انخفاض مريع واجهه الدولار المرتبط بالريال، ومع اضطراب مالي لا مثيل له في البورصات التي تلقى حماسة من قبل السعوديين، ومع بدء تدفق الواردات من غير النفط
- 130 **الانتفاضة المطلوبة من مبارك على إسرائيل**
مجلة "التضامن". لندن - 16 كانون الثاني (يناير) 1988
ما هو مطلوب من الرئيس حسني مبارك بعد جولة خليجية بعثت الطمأنينة في نفسه، إنتفاضة على إسرائيل... فهل يفعل ذلك؟
- 131 **جيل الأحفاد البريطاني ينصف جيل الأحفاد الفلسطيني**
مجلة "التضامن". لندن - 16 كانون الثاني (يناير) 1988
قراءة في مواقف ثلاثة بريطانيين من جيل الأحفاد فيها شيء من الإنصاف لجيل الأحفاد الفلسطيني الذين ظلمهم أشد الظلم اللورد بلفور بوعده الشهير. والثلاثة هم السياسي ديفيد ميللور والمغني بوب غيلدوف والطبيبة آن بولين كاتينغ
- 133 **درس من موسكو برسم الحُكم الإيراني**
مجلة "التضامن". لندن - 23 كانون الثاني (يناير) 1988
تصريح أدلى به رئيس أركان الجيش السوفياتي سيرجي أخرومييف حول إستعداد بلاده للانسحاب من أفغانستان يبدو بمثابة درس برسم الحُكم الإيراني
- 134 **فرصة أخيرة للحل العربي - اليهودي**
مجلة "التضامن". لندن - 30 كانون الثاني (يناير) 1988
حول فرصة مثالية وأخيرة للحل العربي - اليهودي وردت في ضوء لقاء عقده رؤساء المنظمات اليهودية بالرئيس حسني مبارك قبل أيام من زيارته الرسمية إلى الولايات المتحدة
- 135 **حقوق كائنها الوطن والإستهانة بها كائنها إحتلال**
مجلة "التضامن". لندن - 6 شباط (فبراير) 1988
عندما تلقى قمة عربية إستثنائية ترحيباً شعبياً من أبناء الأمة نتيجة الظروف التي يعيشها الوضع العربي. والقمة المشار إليها هي تلك إستضافها الأردن يوم 1988/11/8
- 136 **اللحظة تاريخية... والتعامل مجاملة**
مجلة "التضامن". لندن - 13 شباط (فبراير) 1988
رؤية في شأن الإنتفاضة الفلسطينية بعد دخولها الشهر الثالث من دون أن ييأس فتيتها الذين يواصلون إقتلاع الحجارة ومطاردة قوات الإحتلال الإسرائيلي
- 137 **عدم الإنحياز إلى العرب**
مجلة "التضامن". لندن - 20 شباط (فبراير) 1988
المطلوب من الحكام العرب بعدما قررت الدولتان العظميان الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي بالوافق الذي توصّل إليه الرئيسان ريغان وغورباتشوف عدم إنحيازهما إلى العرب
- 138 **أخبار سارة حول المنطقة وحرب الخليج**
مجلة "التضامن". لندن - 20 شباط (فبراير) 1988
حول تباشير طيبة وسط الأوضاع التي تعيشها المنطقة جرّاء حرب الخليج

- 141 إستفتاء يحسم الأمر.....
مجلة "التضامن". لندن - 27 شباط (فبراير) 1988
عندما تطلب الأمر إجراء استفتاء في شأن "تنظيم ثورة مصر" الذي شارك فيه خالد جمال عبد الناصر، يستند إليه الرئيس حسني مبارك ويتخذ الموقف الذي يمليه عليه ضميره ورأيه في طبيعة التنظيم
- 142 الحوار الذي كان مستحيلاً.....
مجلة "التضامن". لندن - 27 شباط (فبراير) 1988
نظرة على حوار القصرين، قصر اليمامة وقصر الكرملين... ذلك الحوار الذي كان مستحيلاً إلى أن حظ فلاديمير بولياكوف مساعد وزير الخارجية السوفياتية لشؤون الشرق الأوسط رحاله في الرياض وقابل بعد ظهر يوم الأحد 21 شباط/ فبراير 1988 ولي عهد المملكة العربية السعودية الأمير عبد الله بن عبد العزيز بعد محادثات كان أجراها قبل الظهر مع وزير الخارجية السعودية الأمير سعود الفيصل
- 144 وتبقى الإنتفاضة مسؤولية سعودية.....
مجلة "التضامن". لندن - 5 آذار (مارس) 1988
بعدما إطمأنت المملكة العربية السعودية إلى جدية الإنتفاضة الفلسطينية فإن هذه الإنتفاضة باتت مسؤولية المملكة في الدرجة الأولى
- 145 رسالة بإسم أكثرية العرب والمسلمين.....
مجلة "التضامن". لندن - 12 آذار (مارس) 1988
بضعة صواريخ تحمل إسم الإمام الحسين تبركاً بدأ العراق الصّدّامي إطلاقها على أمل أن تساعد في حسم الحرب مع إيران
- 146 حسني مبارك والسودان: أخيراً بدأت مرحلة التكافؤ.....
مجلة "التضامن". لندن - 12 آذار (مارس) 1988
عندما دخلت العلاقات المصرية - السودانية مدار التفهم الموضوعي المشترك، وبالتالي مرحلة التكافؤ، في أعقاب الزيارة التي قام بها يوم الأول من آذار/ مارس 1988 إلى الخرطوم الرئيس حسني مبارك
- 147 قمة الإنتفاضة وتوحيد الصف.....
مجلة "التضامن". لندن - 19 آذار (مارس) 1988
تساؤل عما إذا كانت القمة العربية الإستثنائية الثالثة عشرة، في حال موافقة المملكة العربية السعودية على عقدها وإستضافتها في الرياض، ستكون قمة الإنتفاضة الفلسطينية وتوحيد الصف
- 149 لماذا لا تنعقد القمة الإستثنائية في القاهرة؟.....
مجلة "التضامن". لندن - 26 مارس (آذار) 1988
وجهة نظر في شأن إنعقاد القمة العربية الإستثنائية الثالثة عشرة في القاهرة بدلاً من تأجيلها وبذلك تعود مصر إلى أشقائها من بوابة الإنتفاضة
- 151 حماية الصواريخ الصينية من واجبات الأواكس.....
مجلة "التضامن". لندن - 2 نيسان (أبريل) 1988
بعدما حصلت المملكة العربية السعودية من الصين على صواريخ وباتت حماية هذه الصواريخ بالتالي من واجبات طائرات الإنذار المبكر الأميركية "الأواكس"
- 152 إهتمام أميركي متأخر خمس سنوات.....
مجلة "التضامن". لندن - 9 نيسان (أبريل) 1988
حول إندفاع أميركي لافت للإنتباه يشير إلى إهتمام بقضايا المنطقة العربية وهو في أي حال إهتمام متأخر خمس سنوات...

- 153 **التضامن... في سبيل الوفاق العربي**
مجلة "التضامن". لندن - 9 نيسان (أبريل) 1988
تحديد مبادئ "التضامن" التي هويتها "مجلة العرب من المحيط إلى الخليج" لمناسبة دخولها السنة السادسة
- 155 **غياب رجل الوفاق المتعثر**
مجلة "التضامن". لندن - 23 نيسان (أبريل) 1988
بعد إستشهاد يوسف النجار وكمال عدوان وكمال ناصر يأتي إستشهاد أبو جهاد فجر الأول من رمضان عام 1988 وكلهم من رموز النضال الفلسطيني الفاعل
- 156 **حالة تحرير واحدة وسط حالات إحتلال كثيرة**
مجلة "التضامن". لندن - 23 نيسان (أبريل) 1988
حول تحرير "الفاو" وعودتها إلى العراق بعد سنتين وبضعة أيام من إحتلال إيران لها
- 157 **اللعن الباكستاني: ضياء الحق**
مجلة "التضامن". لندن - 23 نيسان (أبريل) 1988
... عندما تصرّف الرئيس الباكستاني ضياء الحق مع العرب بأسلوب إتسم بالتحدي وبدا في ذلك وكأنما هو لغم زرعه الحُكم الإيراني
- 160 **شرعية دولية للإنتفاضة...**
مجلة "التضامن". لندن - 30 نيسان (أبريل) 1988
كيف إكتسبت الإنتفاضة الفلسطينية شرعية دولية بعد جولة قام بها وزير بريطاني لبعض المخيمات الفلسطينية، وبعد إمتعاض عشرات الشخصيات اليهودية في أوروبا من أسلوب تعامل القوات الإسرائيلية مع فتية الحجارة
- 161 **الجولة الرابعة في الخطوط الخلفية؟**
مجلة "التضامن". لندن - 7 أيار (مايو) 1988
عندما كانت إسرائيل تهوي نفسها لجولة رابعة وأخيرة ضد العرب
- 162 **قمة الجزائر... هدنة لتوحيد الصف**
مجلة "التضامن". لندن - 7 أيار (مايو) 1988
بعدما إنتهى أمر القمة العربية الإستثنائية لدعم الإنتفاضة الفلسطينية إلى أن تتعقد في الجزائر
- 164 **الملك حسين... عندما يحسم**
مجلة "التضامن". لندن - 14 أيار (مايو) 1988
قراءة في خطاب للملك حسين في لقاء رمضاني بدا في نظر سامعيه أنه الأكثر أهمية بين حُطبه حتى إشعار آخر
- 165 **هل تكون قمة نهاية أحزان منطقة الشرق الأوسط؟**
مجلة "التضامن". لندن - 21 أيار (مايو) 1988
في مرحلة العد العكسي للقمة الأميركية - السوفياتية ساد شعور بأنها قد تكون قمة نهاية أحزان العالم وأحزان منطقة الشرق الأوسط في الدرجة الأولى
- 167 **قمة الجزائر... والإستفادة من دروس الماضي**
مجلة "التضامن". لندن - 28 أيار (مايو) 1988
تساؤلات في شأن القمة الإستثنائية في الجزائر وهل تكون هنالك إستفادة من دروس القمم العربية السابقة

- 168 من أجل القضية وبسببها
مجلة "التضامن". لندن - 4 حزيران (يونيو) 1988
حول الإنتفاضة الفلسطينية التي جاءت بمثابة رسالة من بضعة ألوف من الفلسطينيين داخل فلسطين إلى الملايين العربية خلاصتها أن رحلة الوفاق العربي تبدأ بمصالحة وطنية
- 169 قمتان... والقضية واحدة
مجلة "التضامن". لندن - 11 حزيران (يونيو) 1988
حول قمة عربية إستثنائية في الجزائر من دون إشراك مصر، والرد عليها بقمة ثنائية في بغداد بين الرئيسين حسني مبارك وصدام حسين
- 170 القمة الإستثنائية... قمة الواقعية
مجلة "التضامن". لندن - 18 حزيران (يونيو) 1988
عندما إعتبرت وزارة الخارجية الإيرانية البيان الذي أصدرته القمة العربية الإستثنائية التي إستضافتها الجزائر (حليفة إيران) بأنه "نقطة سوداء في تاريخ العالم العربي"
- 172 "شطرنج" الخلافة في إيران
مجلة "التضامن". لندن - 18 حزيران (يونيو) 1988
كيف بات موضوع خلافة الإمام الخميني بمثابة لعبة شطرنج
- 176 جزاء الساعين لوقف الحرب
مجلة "التضامن". لندن - 25 حزيران (يونيو) 1988
نظرة على خفايا محاولة إغتيال رئيس وزراء تركيا تورغوت أوزال وعلاقة ذلك بالإتجاه الذي يسعى لوقف الحرب بين العراق وإيران
- 177 الصراحة في زمن الإنتفاضة
مجلة "التضامن". لندن - 25 حزيران (يونيو) 1988
قراءة في كلام صريح سمعته رئيسة وزراء بريطانيا مارغريت تاتشر من ولي عهد المملكة العربية السعودية الأمير عبد الله بن عبد العزيز
- 180 كلام لا يرتاح له المتشددون
مجلة "التضامن". لندن - 4 تموز (يوليو) 1988
مقالة كتبها بسام أبو شريف أحد مستشاري الرئيس ياسر عرفات لا يرتاح لمضمونها المتشددون في الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي
- 181 إرادة السلام وهاجس الثأر
مجلة "التضامن". لندن - 11 تموز (يوليو) 1988
فصل مأساوي من فصول الحرب العراقية - الإيرانية عزز هواجس الثأر لدى أهل الحُكم في إيران
- 183 شاهد حق على عشرين سنة عاصفة
مجلة "التضامن". لندن - 11 تموز (يوليو) 1988
قراءة في أسلوب الرئيس صدام حسين في إدارة الحُكم وبناء الجيش
- 184 صفقة المليارات
مجلة "التضامن". لندن - 18 تموز (يوليو) 1988
نظرة على صفقة بالمليارات عقدتها المملكة العربية السعودية مع بريطانيا وصفقة كبرى أيضاً بين بريطانيا والكويت

- 187 سقوط الخيار الديني من المحيط إلى الخليج
مجلة "التضامن". لندن - 25 تموز (يوليو) 1988
بعد قبول إيران بالقرار 598 وإبلاغها الأمين العام للأمم المتحدة بذلك فإن الخيار الديني لم يعد وارداً في دول المنطقة من المحيط إلى الخليج
- 188 الحل المضمون للحرب: مؤتمر قمة لدول الأوبك
مجلة "التضامن". لندن - 1 آب (أغسطس) 1988
في ضوء القبول الإيراني بالقرار 598 الذي كان مجرد خطوة على طريق إنهاء الحرب بين العراق وإيران، بات لا بد من قمة لدول الأوبك تضع حلاً مضموناً لإنهاء الحرب ولما بعد الحرب
- 191 البقاء للواقعيين
مجلة "التضامن". لندن - 8 أغسطس (آب) 1988
كيف أنه من ليس واقعياً في زمن الثمانينات ويعيش أزمنة حادة عليه أن يستدير في اتجاه الواقعية لأنه لا مجال للتعامل مع غير الواقعيين
- 191 فرصة العمر الفلسطيني
مجلة "التضامن". لندن - 15 آب (أغسطس) 1988
عندما بدت فكرة إعلان تشكيل حكومة منفي أنها فرصة العمر بالنسبة إلى الفلسطينيين
- 193 وفي الخليج السلام
مجلة "التضامن". لندن - 22 آب (أغسطس) 1988
كيف أن قبول الحُكم الإيراني بالقرار 598 ترك إنطباعاً بأن السلام بدأ يقترب من منطقة الخليج بإنحسار أجواء الحرب العراقية - الإيرانية
- 194 كارتر يعترف بالمنظمة والمنظمة تعترف بـ "كامب ديفيد"
مجلة "التضامن". لندن - 29 آب (أغسطس) 1988
فجأة التقى رئيس "صفقة كامب ديفيد" جيمي كارتر إثنين من المسؤولين في منظمة التحرير الفلسطينية معترفاً بذلك بالمنظمة، إنما بعدما بات رئيساً سابقاً للولايات المتحدة
- 195 إيران خسرت ضياء الحق فهل يريح العرب باكستان؟
مجلة "التضامن". لندن - 29 آب (أغسطس) 1988
بعد مصرع الرئيس الباكستاني ضياء الحق وتشجيعه الخجول عموماً وردت تساؤلات من بينها: هل يريح العرب باكستان بعدما خسرت إيران ضياء الحق؟
- 196 كيف يرُد الصادق المهدي؟
مجلة "التضامن". لندن - 5 أيلول (سبتمبر) 1988
حول وقعة تتسم بالنخوة تجاه السودان الذي واجه أضراراً فادحة نتيجة فيضان النيل. وهذه الوقعة جاءت من ثلاثة قادة عرب هم الملك فهد بن عبد العزيز والرئيس حسني مبارك والرئيس صدام حسين
- 197 حل عقدة شط العرب على ضفاف بحيرة جنيف
مجلة "التضامن". لندن - 5 أيلول (سبتمبر) 1988
قراءة من جوار قصر الأمم في جنيف للمحادثات المباشرة بين العراق وإيران بأمل نشر السلام وبدء مرحلة من التعايش بين البلدين الرقمتين الصعبين في المحيط العربي - الإقليمي
- 199 المبادرة المطلوبة من القذافي
مجلة "التضامن". لندن - 12 أيلول (سبتمبر) 1988
بما أن نصف قادة العمل الفلسطيني على علاقة طيبة مع العقيد معمر القذافي ونصفهم الآخر يسعى إلى علاقة طيبة معه، فإن جمع صفهم ممكن ضمن مبادرة يقوم بها. فهل يفعل؟

- 201 ياسر عرفات الجديد**
مجلة "التضامن". لندن - 26 أيلول (سبتمبر) 1988
عندما أعلن ياسر عرفات للمرة الأولى في أيلول/ سبتمبر 1988 أنه مستعد لمفاوضات سلام مع إسرائيل في الأمم المتحدة أو في إحدى الدول الخمس دائمة العضوية
- 202 سوار الذهب اللبناني**
مجلة "التضامن". لندن - 3 تشرين الأول (أكتوبر) 1988
تساؤل عما إذا كان في إستطاعة قائد الجيش اللبناني (1988) العماد ميشال عون أن يكون نسخة مقتبسة من الجنرال السوداني عبد الرحمن سوار الذهب
- 204 مجلس المواقف غير الودية للعرب**
مجلة "التضامن". لندن - 10 تشرين الأول (أكتوبر) 1988
نظرة على مواقف يتخذها مجلس الشيوخ الأميركي ليست لمصلحة العرب ومنها موافقته في العام 1988 على فرض عقوبات إقتصادية على العراق
- 205 يوغسلافيا مهمومة وبغداد جاهزة**
مجلة "التضامن". لندن - 17 تشرين الأول (أكتوبر) 1988
وصلت الأحوال السيئة في يوغسلافيا عام 1988 إلى حد أنها لم تعد مهمة بأمر إستضافة قمة عدم الإنحياز لدورة 1989 الأمر الذي جعل العراق يسعى ضمناً لإستضافة تلك القمة
- 206 الكوكاكولا... ليست أكثر وطنية من نجيب محفوظ**
مجلة "التضامن". لندن - 24 تشرين الأول (أكتوبر) 1988
كيف تم رفع الحظر من قبل مكتب مقاطعة إسرائيل عن الكوكاكولا بينما بقي الحظر سائر المفعول على الروائي نجيب محفوظ
- 208 1989... سنة عدم التدخل**
مجلة "التضامن". لندن - 31 تشرين الأول (أكتوبر) 1988
قراءة في ما يمكن أن تكون عليه الحال في العام 1989 وذلك في ضوء ما حفل به العام 1988 من أحداث هي أقرب إلى الصدمات والفواجع
- 209 مشكلة الجزائر تنتهي بجل عقدة الجزائري**
مجلة "التضامن". لندن - 7 تشرين الثاني (نوفمبر) 1988
رؤية لما يمكن أن يحدث في الجزائر لمواجهة العنف عندما كان في بداياته ينتقل من مدينة إلى أخرى
- 210 قمة الشيخ زايد**
مجلة "التضامن". لندن - 7 تشرين الثاني (نوفمبر) 1988
حول قمة عربية دعا رئيس دولة الإمارات الشيخ زايد بن سلطان إلى عقدها ومن أهدافه إخراج الحُكم السوري من لبنان على طريقة إخراج عبد الناصر من اليمن
- 211 التغيير... خارج صيغة البلاغ رقم واحد**
مجلة "التضامن". لندن - 14 تشرين الثاني (نوفمبر) 1988
قراءة في السنة الأولى لعهد زين العابدين بن علي وما شهدته تونس في هذه السنة من تغيير
- 212 الرصاصة الأخيرة في بندقية الثورة**
مجلة "التضامن". لندن - 21 تشرين الثاني (نوفمبر) 1988
عندما أطلق البرلمان الفلسطيني من الجزائر الرصاصة الأخيرة وهي قيام الدولة محل الثورة

- 213 لماذا لا يرتاح العرب إلى جورج بوش؟
مجلة "التضامن". لندن - 28 تشرين الثاني (نوفمبر) 1988
تساؤلات في شأن سياسة الرئيس جورج بوش الأب التي لا يرتاح العرب لها
- 214 الدين بخير... والوطن في خطر
مجلة "التضامن". لندن - 5 كانون الأول (ديسمبر) 1988
كيف قضى الدكتور حسن الترابي على مشاعر الفرح الناشئة عن إتفاق أبرمه في أديس أبابا محمد عثمان الميرغني والدكتور جون قرنق
- 216 من تشارلز ومرافقه إلى ستيفاني ووالدتها.. إلى عدي وكامل!
مجلة "التضامن". لندن - 5 كانون الأول (ديسمبر) 1988
حول واقعة حدثت في عائلة الرئيس صدام حسين وكيف تعامل الأب الرئيس مع الإبن الجاني
- 219 من الثورة إلى الدولة إلى... الفيزا
مجلة "التضامن". لندن - 12 كانون الأول (ديسمبر) 1988
كيف أن الإدارة الأميركية رفضت منح الرئيس ياسر عرفات تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة للمشاركة في أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة مع أن الزعيم الفلسطيني يعلن قبوله بالقرار 248 الذي كان في إستمرا مطلباً أميركياً
- 220 أسباب الحرص السويسري على عرفات
مجلة "التضامن". لندن - 19 كانون الأول (ديسمبر) 1988
حول إجراءات أمنية ملحوظة إتخذتها سويسرا من أجل ياسر عرفات
- 222 1988 سنة المنتصرين
مجلة "التضامن". لندن - 26 كانون الأول (ديسمبر) 1988
عندما بدت 1988 أنها سنة المنتصرين لستة من القادة هم: الملك فهد بن عبد العزيز والرئيس صدام حسين والرئيس ياسر عرفات والسيدة بنازير بوتو والرئيس غورباتشوف والرئيس جورج بوش (الأب)
- 225 بعد الفيضان السياسي في السودان
مجلة "التضامن". لندن - 9 كانون الثاني (يناير) 1989
نظرة على فيضان سياسي حدث في ظل حكومة الصادق المهدي وسببه وطأة الأسعار
- 226 ربيع المصارحة العربية - الأميركية
مجلة "التضامن". لندن - 16 كانون الثاني (يناير) 1989
عندما توافرت معطيات تشير إلى أن ربيع 1989 هو ربيع المصارحة العربية - الأميركية
- 228 مجرد تفقد لأحوال المريض اللبناني
مجلة "التضامن". لندن - 23 كانون الثاني (يناير) 1989
حول اللجنة العربية السداسية التي قرر وزراء الخارجية العرب خلال إجتماع في تونس تشكيلها وبدت كما لو أنها طبيب ينقذ أحوال مريضه
- 229 ذهب ريغان.. وبقي القذافي
مجلة "التضامن". لندن - 30 كانون الثاني (يناير) 1989
بعدما ذهب الرئيس ريغان بينما بقي العقيد معمر القذافي في الحُكم، كان هنالك من يتساءل عما إذا كان الرئيس الليبي سيغتتم الفرصة ويتعاطى مع الأشقاء والأصدقاء بأسلوب جديد

- 230 تحرير مآزق المفاوضات على طريقة تحرير الفاو.....
مجلة "التضامن". لندن - 6 شباط (فبراير) 1989
عندما بدا أن تحرير مآزق المفاوضات العراقية- الإيرانية يمكن إنجازه بأسلوب تحرير الفاو.
- 231 هل هي محاولة لضرب فرصة لا تعوّض؟
مجلة "التضامن". لندن - 13 شباط (فبراير) 1989
... حول مخاوف من توجيه ضربة إلى اللجنة السادسة التي تشكلت برئاسة الشيخ صباح الأحمد الصباح لتحقيق إنفراج في الأزمة اللبنانية
- 233 تجمّع المحاربين
مجلة "التضامن". لندن - 20 شباط (فبراير) 1989
تساؤلات بعدما أعلن الرئيس حسني مبارك والرئيس علي عبد الله صالح والملك حسين والرئيس صدام حسين من بغداد ولادة "مجلس التعاون العربي" التي جاءت بعد ولادة "التعاون الخليجي" وقيل "التعاون المغاربي"
- 234 الوفاق العربي: أمن قومي وأمن غذائي.....
مجلة "التضامن". لندن - 13 شباط (فبراير) 1989
كيف أن الوفاق العربي يكون من خلال أمن قومي ويصمد في تحقيق أمن غذائي
- 235 البلاغ رقم واحد للشرعية العربية.....
مجلة "التضامن". لندن - 27 شباط (فبراير) 1989
عندما اكتملت ملامح صورة واقعية للعالم العربي بعد قيام "مجلس التعاون العربي" بين مصر والعراق واليمن والأردن
- 237 إنقلبت الآية: السوفيات يطلبون وذ العرب.....
مجلة "التضامن". لندن - 6 آذار (مارس) 1989
كان العرب هم الذين يدقون أبواب الإتحاد السوفياتي طلباً للمساعدة في جميع نواحيها، ثم بات السوفيات هم الذين يطلبون وذ العرب
- 238 الإستقرار... ذلك الأمل المنشود.....
مجلة "التضامن". لندن - 13 آذار (مارس) 1989
كيف أن من لبنان إلى السودان وإلى كل بقعة عربية، يتوق المواطن العربي إلى الإستقرار ذلك الأمل المنشود
- 239 لماذا نجحت أكينو وبنازير ولم ينجح الصادق المهدي
مجلة "التضامن". لندن - 20 آذار (مارس) 1989
نظرة على نجاح السيدة أكينو والفلبين وبنظير بوتو في باكستان وعدم نجاح الصادق المهدي في السودان
- 240 تعددت الأسباب... وحملة التشويش واحدة.....
مجلة "التضامن". لندن - 27 آذار (مارس) 1989
عن حملة تشويش وتشويه معتمدة من قبل الصهيونية العالمية تجاه العراق حول إستخدام أو إنتاج السلاح الكيماوي
- 241 اللقاء الذي طال إنتظاره.....
مجلة "التضامن". لندن - 3 نيسان (أبريل) 1989
ما يتوقعه المواطن العربي في ضوء زيارة الملك فهد بن عبد العزيز إلى العراق، ثم إلى مصر

- 242 الإعتدال العربي... كي لا يكون إستعجالاً.....
مجلة "التضامن". لندن - 10 نيسان (أبريل) 1989
عندما زار الرئيس حسني مبارك واشنطن وكما لو أنه "مندوب الإعتدال العربي" إلى عاصمة القرار الدولي
- 243 الدور الفرنسي في لبنان.....
مجلة "التضامن". لندن - 17 نيسان (أبريل) 1989
حول دوافع الدور الفرنسي في لبنان، وأهداف هذا الدور
- 245 صراع قبل القمة.....
مجلة "التضامن". لندن - 24 نيسان (أبريل) 1989
نظرة على صراع تدور رحاه قبل قمة عربية في الرياض يُراد لها إيجاد حل للأزمة اللبنانية
- 246 هل إنها خطة لتفليس دول العالم الثالث؟.....
مجلة "التضامن". لندن - 1 أيار (مايو) 1989
حول أوضاع وإضطرابات تشهدها بعض دول العالم الثالث والهدف منها إعلان إفلاس هذه الدول
- 248 تأجيل يدعو إلى الإستغراب.....
مجلة "التضامن". لندن - 1 أيار (مايو) 1989
عندما يتأجل عقد إجتماع عربي بالغ الأهمية وتكون موجبات التأجيل غير مهمة
- 250 مصارحة تاتشر بعد مسابرتها.....
مجلة "التضامن". لندن - 8 أيار (مايو) 1989
في ضوء عشر سنين من خيبات الأمل العربية بحُكم حزب المحافظين في بريطانيا، بات لا بد من أن يصارح الملك فهد بهذا الواقع رئيسة وزراء بريطانيا مارغريت تاتشر
- 251 مصر تعود مثقلة بالمشاكل.....
مجلة "التضامن". لندن - 15 أيار (مايو) 1989
حول مصر أواخر الثمانينات التي أمامها البنك الدولي ووراءها مشاكل المخدرات وتصاعد الإستهلاك وزيادة السكان
- 253 مفتي المعتدلين.....
مجلة "التضامن". لندن - 22 أيار (مايو) 1989
عندما سجّل غيلان التطرف والتعصب في لبنان فوزاً على حمائم السلام، وكان إغتيال مفتي الإعتدال في لبنان الشيخ حسن خالد
- 253 الإستشهاد بجديّة: من عبد المنعم رياض .. إلى عدنان خير الله.....
مجلة "التضامن". لندن - 22 أيار (مايو) 1989
... نظرة على الإستشهاد عندما يحدث بجديّة في ضوء إستشهاد الفريق عبد المنعم رياض في مصر والفريق أول عدنان خيرالله في العراق
- 255 الوفاق محل القضية.....
مجلة "التضامن". لندن - 29 أيار (مايو) 1989
بعد القمة العربية الإستثنائية في الدار البيضاء، وهي الأولى بعدما توزّع العرب على ثلاث كتل، بات لا مجال للذين يُظهرون غير ما يُبطنون...

- 256 هل هي خطة لدعم الواقعية العربية؟
مجلة "التضامن". لندن - 5 حزيران (يونيو) 1989
تساؤل حول ما إذا كان تزامن إرتفاع أسعار النفط وتحسن الدولار مع إنعقاد القمة العربية الناجحة في الدار البيضاء، هما ضمن خطة لدعم الواقعية العربية
- 257 الصراع الدنيوي بعد الصراع الديني
مجلة "التضامن". لندن - 12 حزيران (يونيو) 1989
كيف أن بوفاة آية الله الخميني توقف الصراع الديني الأصعب وبقي الصراع الدنيوي
- 258 مصر المستفيدة دائماً
مجلة "التضامن". لندن - 19 حزيران (يونيو) 1989
كيف أن مصر من القمة العربية الأولى التي دعا إليها الرئيس جمال عبد الناصر إلى قمة الدار البيضاء الإستثنائية بعد ربع قرن إلى سائر القمم، كانت المستفيدة
- 259 الإستدراك المدروس لتفادي الحساسيات والحسد
مجلة "التضامن". لندن - 26 حزيران (يونيو) 1989
بعدها بدأ "مجلس التعاون العربي" العمل المشترك على الطريقة الأوروبية وبات من الضروري إستدراك بعض الأمور لتفادي الحساسيات والحسد
- 260 غورباتشوف يكسب إيران... لكنه قد يخسر العرب
مجلة "التضامن". لندن - 3 تموز (يوليو) 1989
عندما أبرم الرئيس السوفياتي ميخائيل غورباتشوف صفقة مع الرئيس الإيراني هاشمي رافسنجاني لا يرتاح لها العرب
- 262 ميشال عفلق.. الذي أسلم
مجلة "التضامن". لندن - 3 تموز (يوليو) 1989
حول المسيحي المستقيم الرأي العروبي الوحدوي الإشتراكي الذي بات مسلماً
- 264 تعددت الوجوه.. والموضوع واحد
مجلة "التضامن". لندن - 10 تموز (يوليو) 1989
حول الإنقلاب العسكري الجديد في السودان يوم الجمعة 30 حزيران/ يونيو 1989 الذي قاده العميد عمر حسن محمد البشير.
وتساؤل عما إذا كان هو آخر الإنقلابات يستقر بعده السودان
- 265 1990-1991 سنة صدام حسين في أميركا
مجلة "التضامن". لندن - 10 تموز (يوليو) 1989
عندما بدت هذه الفترة الزمنية بأنها سنة صدام حسين في أميركا بعد زيارة وفد أميركي بالغ الأهمية إلى بغداد
- 272 إيران... ومفاجأتها غير السارة
مجلة "التضامن". لندن - 17 تموز (يوليو) 1989
رؤية في مفاجآت تتوالى من الثورة الإيرانية ولا تدع الطمأنينة تستقر في النفوس العربية
- 273 الحل في مصلحة وطنية في السودان
مجلة "التضامن". لندن - 17 تموز (يوليو) 1989
لأن الرأي الواحد لا يناسب وحكم الحزبين لا يناسب وإستمرار التمرد غير مناسب، فإن الحل هو في مصلحة وطنية ثانية بين الجيش ونميري والأحزاب وجون قرنق

- 275 لا مجال للفيتو بعد الآن.....
مجلة "التضامن". لندن - 24 تموز (يوليو) 1989
حول تصريح لوزير الخارجية الأميركية جيمس بيكر يتهم إسرائيل بعرقلة جهود السلام ويشجع على الإقتراض بأن الولايات المتحدة لن تستعمل الفيتو بعد الآن لمصلحة إسرائيل
- 277 متى يقيم القذافي معرضه؟.....
مجلة "التضامن". لندن - 31 تموز (يوليو) 1989
بعد معرض "السعودية بين الأمس واليوم" ومعرض "مصر على مر العصور..." ومعرض "مشروع وادي الرافدين الحضاري"، كان هنالك تساؤل يتعلق بالعقيد القذافي وخلاصته متى يقيم هو الآخر معرضاً، خصوصاً أن لدى ليبيا الكثير مما يمكن أن تعرضه
- 278 ميشال عفلق من زمن فيصل الأول إلى زمن صدام حسين (1-2)
مجلة "التضامن". لندن - 31 تموز (يوليو) 1989
تأملات في بعض سنوات الأستاذ ميشال عفلق من بداية تعاطيه العمل السياسي إلى إستقراره في بغداد قريباً من الرئيس صدام
- 284 الرجل القوي لإيران الضعيفة
مجلة "التضامن". لندن - 7 آب (أغسطس) 1989
منذ الإعلان عن فوز رافسنجاني رئيساً للدولة بدأ العد العكسي للحظة يعلن فيها الرجل القوي لإيران الضعيفة أنه قرر فتح صفحة جديدة مع العرب والعالم
- 285 المطلوب من العرب والمطلوب من قمة بلغراد
مجلة "التضامن". لندن - 14 آب (أغسطس) 1989
حول قمة لدول عدم الإنحياز تستضيفها بلغراد، وتساؤل حول ما هو المطلوب من العرب ومن القمة
- 286 للمرة الأولى الهيبة العربية وجهاً لوجه أمام اللغز السوري
مجلة "التضامن". لندن - 14 آب (أغسطس) 1989
عندما بدت الهيبة العربية للمرة الأولى أنها وجهاً لوجه أمام اللغز السوري
- 292 أول أزمة من نوعها في تاريخ العلاقات العربية
مجلة "التضامن". لندن - 21 آب (أغسطس) 1989
حول أزمة من نوع غير مألوف في العالم العربي طرفاها لبنان والعرب من جهة وسوريا من جهة أخرى
- 293 الحوار المستحيل بين الشرعية والتمرد
مجلة "التضامن". لندن - 28 آب (أغسطس) 1989
رؤية للسلام الذي بات حالة مستعصية في ضوء ما يحدث في لبنان وله، وفي ضوء ما يجري داخل السودان
- 295 الأخ معمر يدخل نادي الحكام المعمرين
مجلة "التضامن". لندن - 4 أيلول (سبتمبر) 1989
قراءة لمناسبة بلوغ العقيد معمر القذافي عامه العشرين حاكماً للجماهيرية الليبية
- 296 الموقف العربي الواحد الذي لا تريده أميركا
مجلة "التضامن". لندن - 11 أيلول (سبتمبر) 1989
نظرة على الموقف العربي الذي تلقي حوله أقطار الأمة لكن الولايات المتحدة لا تريده

- 297 **رعايا ورهائن**
مجلة "التضامن". لندن - 18 أيلول (سبتمبر) 1989
إزاء دول العالم الثالث المثقلة بالديون ومن دون إيجاد حلول لهذه الديون، قد يتحول بعض رعايا الدول الصناعية السبع إلى رهائن في عدد من الدول المثقلة بالديون
- 299 **مسلسل الثأر المتبادل بين تاتشر والقذافي**
مجلة "التضامن". لندن - 25 أيلول (سبتمبر) 1989
حول مسلسل الثأر بين العقيد القذافي ومارغريت تاتشر وما يمكن أن تكون عليه نهاية هذا المسلسل
- 300 **حقائق الحل العربي**
مجلة "التضامن". لندن - 2 تشرين الأول (أكتوبر) 1989
عندما تخلى الحُكم السوري عن إعتبار لبنان شأناً داخلياً، وإختار العماد ميشال عون أسلوب التكتيك مثل ياسر عرفات
- 301 **صراع على الحل العربي بين الطائف وطهران**
مجلة "التضامن". لندن - 9 تشرين الأول (أكتوبر) 1989
قراءة إستباقية للمؤتمر الذي سيُستضاف في الطائف من أجل إيجاد حل للأزمة اللبنانية
- 302 **لا خوف على الخطة العربية ولا خوف منها**
مجلة "التضامن". لندن - 16 تشرين الأول (أكتوبر) 1989
نظرة على خطة عربية تم وضعها لحل الأزمة في لبنان بموجب القرار 242 والقرار 598، الممنوع دولياً عدم القبول بها
- 303 **مرونة ياسر عرفات وتشدد ميشال عون**
مجلة "التضامن". لندن - 23 تشرين الأول (أكتوبر) 1989
كيف أن قائد ثورة مثل ياسر عرفات تراجع عن عقيدة التحرير لفلسطين، بينما قائد جيش مثل ميشال عون يواصل المطالبة بتحرير لبنان؟
- 305 **مجرد مقارنة أم تحضير لحالة جديدة؟**
مجلة "التضامن". لندن - 23 تشرين الأول (أكتوبر) 1989
عندما يمزج الرئيس صدام حسين بين نفحات الدين الإسلامي وتراثية الإنتماء القومي
- 309 **السعودية التي ليست وسيطة**
مجلة "التضامن". لندن - 30 تشرين الأول (أكتوبر) 1989
بعد تقرُّع وزير الخارجية السعودية الأمير سعود الفيصل بتوجيه من الملك فهد شهرين كاملين لمسألة واحدة هي الأزمة اللبنانية، تبادر إلى الأذهان تساؤل خلاصته: مادامت المملكة ليست وسيطة ولا تريد أن تتحاز، فهل سيقوم الأمير سعود بالمزيد من التفرغ وسعة الصدر إلى أن تجد الأزمة اللبنانية حلاً؟
- 310 **المعادلة الصعبة بين لقمة العيش وحرية التعبير**
مجلة "التضامن". لندن - 6 تشرين الثاني (نوفمبر) 1989
لا الذي سينعم بالديمقراطية مرتاح، ولا الذي يشكو الإختناقات الإقتصادية ممنون. وتلك هي المعادلة الصعبة بين لقمة العيش وحرية التعبير التي تنتظر الحل الوسط
- 311 **كي لا تقع الواقعة ويتلبن السودان**
مجلة "التضامن". لندن - 13 تشرين الثاني (نوفمبر) 1989
لماذا يجب على السودانيين أن يخافوا الله ويشكروا نعمته كي لا تقع الواقعة ويصيب بلدهم ما أصاب لبنان

- 313 أصول اللعبة والتلاعب مجلة "التضامن". لندن - 20 تشرين الثاني (نوفمبر) 1989
ما هو المفروض حدوثه كي لا يصبح ميشال عون مثل العقيد جون قرنق وكي يكون الرئيس رينيه معوض في منأى عن الخطر
- 314 صداع... لا تصدّع مجلة "التضامن". لندن - 27 تشرين الثاني (نوفمبر) 1989
عندما حدثت من جانب بعض العراقيين تجاوزات في حق مصريين يعملون في العراق، وتسبّب ذلك في محاولة تصدّع بين مصر والعراق إستطاع الرئيس صدام حسين تحويلها إلى مجرد حالة صداع...
- 316 إهتمام يدعو إلى الحيرة مجلة "التضامن". لندن - 4 كانون الأول (ديسمبر) 1989
حول إهتمام مفاجئ من جانب الدول الكبرى بأمر الوضع في لبنان
- 317 بعد لقاء بوش وغورباتشوف يبقى لقاء صدام ورفسنجاني مجلة "التضامن". لندن - 11 كانون الأول (ديسمبر) 1989
بعدما التقى الرئيسان جورج بوش وميخائيل غورباتشوف، إنتظر العرب والمسلمون والعالم أن يحذو الرئيسان صدام حسين وهاشمي رافسنجاني حذوهم، ولكن طال الإنتظار ولم يحدث اللقاء
- 318 قمر النهوض العربي مجلة "التضامن". لندن - 18 كانون الأول (ديسمبر) 1989
عندما أطلق العراق صاروخاً في طريقه إلى الفضاء وكان ذلك بمثابة إنجاز ومؤشر إلى حالة نهوض، لكن بعض الرسميين العرب تريثوا في التعبير عن فرحهم
- 320 عام جبر الخاطر العربي... المكسور مجلة "التضامن". لندن - 25 كانون الأول (ديسمبر) 1989
بسبب إستمرار الإنتفاضة في الأرض الفلسطينية المحتلة، وإنجاز الحل العربي للبنان، وعودة مصر إلى مكانها، وتحقيق بعض المصالحات العربية، وإطلاق العراق صاروخه الفضائي... فإن العام 1989 بدا كما لو أنه عام جبر الخاطر العربي المكسور
- 325 متى يعود الشيوعيون العرب إلى ساحة العمل القومي؟ مجلة "التضامن". لندن - 8 كانون الثاني (يناير) 1990
سؤال يرسم المفكر اللبناني الماركسي الذي كان قومياً محسن إبراهيم
- 326 مبادرة لمصلحة إيران قبل العراق مجلة "التضامن". لندن - 15 كانون الثاني (يناير) 1990
حول مبادرة جديدة وموضوعية طرحها الرئيس صدام حسين لإنهاء الحرب تنتظر الموافقة الإيرانية لتحقيق السلام في المنطقة
- 327 هل ينجح غورباتشوف حيث فشلت دول العالم الثالث مجلة "التضامن". لندن - 22 كانون الثاني (يناير) 1990
تساؤل في ضوء مسعى دبلوماسي سوفياتي لإنهاء الحرب بين العراق وإيران
- 328 قبل أن تحارب إيران العرب بأبناء أذربيجان مجلة "التضامن". لندن - 29 كانون الثاني (يناير) 1990
عندما ساد إفتراض بأن مقاتلين من أذربيجان سينتشدون في لبنان أو على الحدود العراقية - الإيرانية

- 329 صائب سلام: جحيم التعريب ولا جنة التعريب.....
مجلة "التضامن". لندن - 29 كانون الثاني (يناير) 1990
كيف يرى الرئيس صائب سلام الأحوال خارج لبنان حيث يقيم في جنيف ويعتبر جحيم التعريب أفضل من نعيم التعريب
- 331 يبقى لقاء بوش - صدام.....
مجلة "التضامن". لندن - 5 شباط (فبراير) 1990
بعد زيارة قام بها الرئيس اليمني علي عبد الله صالح إلى واشنطن، وهي زيارة يرتاح لها الملك حسين والرئيس حسني مبارك، يبقى من رباعي "مجلس التعاون العربي" الرئيس صدام حسين الذي قد أو يجب أن يلتقي الرئيس جورج بوش
- 332 العرب والفلسطينيون: ضحايا إعادة النظر.....
مجلة "التضامن". لندن - 12 شباط (فبراير) 1990
في ظل قيادة الرئيس ميخائيل غورباتشوف إزداد اليقين بأن العرب عموماً والفلسطينيين بوجه خاص هم ضحايا مرحلة إعادة النظر التي قادها غورباتشوف
- 333 مانديلا وعرفات: الحل والمأزق.....
مجلة "التضامن". لندن - 19 شباط (فبراير) 1990
كيف أنه في اليوم الذي تم الإفراج عن نيلسون مانديلا الذي هو أحد أبرز زعماء العصر، أطلق الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات تحذيراً بأنه سيستقيل من موقعه القيادي إذا فشلت عملية السلام
- 334 إنتفاضة... ثقافية.....
مجلة "التضامن". لندن - 26 شباط (فبراير) 1990
عندما على هامش المشاكل الاقتصادية والمعيشية في مصر حدثت مطلع التسعينات إنتفاضة ثقافية تولتها بالرعاية سوزان حسني مبارك
- 335 لبنان... أو "البؤس".....
مجلة "التضامن". لندن - 5 آذار (مارس) 1990
حول خمسة أمور تلفت الإنتباه من هول معارك بين قوات من جيش ميشال عون وأفراد من القوات التي يتزعمها سمير جعجع
- 337 الانفصال... الحل والانفصال... الكارثة.....
مجلة "التضامن". لندن - 12 آذار (مارس) 1990
كيف أن انفصال سوريا عن مصر كان كارثة بالنسبة إلى جمال عبد الناصر، وكيف أن انفصال الجمهوريات الخمس عشرة التي كانت موحدة في كيان اسمه الإتحاد السوفياتي كان الحل في نظر ميخائيل غورباتشوف
- 338 إنتفاضة حتى النصر.....
مجلة "التضامن". لندن - 26 آذار (مارس) 1990
حول هزة حكومية حدثت داخل إسرائيل وكانت ثمرة من ثمار الإنتفاضة الفلسطينية
- 338 هل تستعد إسرائيل لعدوان في رمضان؟.....
مجلة "التضامن". لندن - 2 نيسان (أبريل) 1990
تساؤلات في شأن إستعداد إسرائيل لشن حرب على لبنان وهل يتم التنفيذ
- 339 رسالة سلام لا دعوة إلى حرب.....
مجلة "التضامن". لندن - 9 نيسان (أبريل) 1990
حول مصادفة إعلان الرئيس صدام حسين يوم 2 نيسان/ أبريل 1980 أن الدماء التي سالت في الجامعة المستنصرية لن تذهب

سدى، ثم إعلانه يوم 2 أبريل 1990 أنه سيجعل النار تأكل نصف إسرائيل إذا حاولت القيام بأي شيء على العراق

341 "التضامن" تبدأ سنتها الثامنة.....

مجلة "التضامن". لندن - 16 نيسان (أبريل) 1990

قراءة في تجربة مجلة "التضامن" لمناسبة بدء سنتها الثامنة

342 تنتهي الحرب في لبنان عندما يحدث فيه ما فعله الخميني وغورباتشوف وعرفات

مجلة "التضامن". لندن - 16 نيسان (أبريل) 1990

كيف أن الحرب الدائرة في لبنان تنتهي عندما يحدث فيه ما فعله الخميني وغورباتشوف وعرفات

343 كأن اللقاء بين بوش وصدّام حسين.....

مجلة "التضامن". لندن - 30 نيسان (أبريل) 1990

نظرة على لقاء جرى في بغداد بين الرئيس صدّام حسين ووفد أميركي يضم خمسة من أعضاء مجلس الشيوخ برئاسة السناتور روبرت دول بدا كما لو أنه لقاء بين الرئيس صدّام والرئيس الأميركي جورج بوش

346 لم يعدل عمر... كيف سيحكم عمر؟.....

مجلة "التضامن". لندن - 7 أيار (مايو) 1990

بعدما جرى في اليوم الأخير من شهر الصوم عام 1990 تنفيذ حكم الإعدام في الخرطوم بثمانية وعشرين ضابطاً بتهمة الإشتراك في محاولة إقليمية، كان هنالك تساؤل خلاصته: إن الفريق عمر البشير لم يعدل، فكيف سيحكم، ثم كيف سينام قرير العين ويصمد

347 فلسطين تستضيف قمة القمم في بغداد.....

مجلة "التضامن". لندن - 14 أيار (مايو) 1990

عندما استضافت بغداد قمة دعا الرئيس ياسر عرفات إلى عقدها في العاصمة العراقية وقطع في سبيل التحضير لعقدها ألوف الكيلومترات جواً وبراً

349 اليمن الموحد.. اليمن الأسعد.....

مجلة "التضامن". لندن - 21 أيار (مايو) 1990

تمنيات عشية توحد اليمن الجنوبي مع اليمن الشمالي في دولة واحدة، أن يصبح اليمن أسعد حالاً

351 رامبو الإسرائيلي.. ورامبو الفلسطيني.....

مجلة "التضامن". لندن - 28 أيار (مايو) 1990

مقارنة بين رامبو الإسرائيلي الذي أطلق في لحظة غضب النار على عمال فلسطينيين فقتل عدداً منهم، وبين رامبو الفلسطيني الذي أطلق في عمان وفي لحظة غضب النار على "باص" يقل سياحاً فرنسيين وأصاب تسعة منهم

352 الهراوي الخارج عن رغبة الحل العربي.....

مجلة "التضامن". لندن - 4 حزيران (يونيو) 1990

عندما تجاوز الرئيس اللبناني الياس الهراوي حقيقة أنه من دون الخيمة العربية لما كان إنتخب رئيساً ولن تكون هنالك حلول للمسألة اللبنانية

353 قمة بغداد: النتيجة المهمة والنتيجة الأهم.....

مجلة "التضامن". لندن - 11 حزيران (يونيو) 1990

قراءة في نتائج القمة العربية الإستثنائية التي عقدت أعمالها يومي 28 و29 أيار / مايو 1990 في بغداد وأبرزها نتيجة مهمة وأخرى أهم

- 355 كانه "فيتو" أميركي على السلام
مجلة "التضامن". لندن - 18 حزيران (يونيو) 1990
عندما هدد الرئيس بوش بوقف حوار - متأخر عشرين سنة على الأقل - مع منظمة التحرير الفلسطينية بسبب عملية فدائية لم تستهدف مؤسسة أميركية لكي يطلق بوش تهديده
- 356 رب ضارة نافعة: إسرائيل إختبرت ومصر نجحت في الإختبار
مجلة "التضامن". لندن - 25 حزيران (يونيو) 1990
عندما تعمدت إسرائيل إختبار النوايا المصرية بكلام فيه الكثير من التحدي مثل التهديد بالعودة إلى إحتلال سيناء
- 358 قراران متشابهان... واحد أميركي وآخر عربي
مجلة "التضامن". لندن - 2 تموز (يوليو) 1990
نظرة على قرار إدارة الرئيس بوش تعليق الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية والذي يشبه قرار الدول العربية بإسقاط عضوية مصر
- 359 من أجل أن يكون النفط... سلاحاً فعالاً
مجلة "التضامن". لندن - 9 تموز (يوليو) 1990
كيف يكون النفط العربي سلاحاً فعالاً في اليد وليس موجّهاً ضد صدور أصحابه
- 360 غورباتشوف يأكل الحصرم... والفنلنديون يضرسون
مجلة "التضامن". لندن - 16 تموز (يوليو) 1990
عندما أجبر الرئيس ميخائيل غورباتشوف فنلندا على أن تكون أراضيها نقطة عبور للمهاجرين اليهود الآتين من الإتحاد السوفياتي في طريقهم إلى إسرائيل. وبذلك يكون غورباتشوف أكل الحصرم والفنلنديون سيضرسون
- 363 الطبخ على نار هادئة: من أميركا والصين إلى العراق وإيران
مجلة "التضامن". لندن - 23 تموز (يوليو) 1990
عندما يصبح اللقاء المستحيل ممكناً بين قوى كبرى وذات شأن في المعادلة الدولية
- 364 كي لا يستمر خوف الكويت ولا تتزايد حاجة العراق
مجلة "التضامن". لندن - 30 تموز (يوليو) 1990
رؤية لواقع الحال بين العراق والكويت قبل أيام من إنفجار الموقف بينهما
- 365 مبارك بين صديقين فاجأه خلافهما ومصر في دور غابت عنه عشرين سنة
مجلة "التضامن". لندن - 6 آب (أغسطس) 1990
عندما قام الرئيس حسني مبارك بدور بين العراق والكويت غابت عنه مصر عشرين سنة
- 367 الزلزال الثاني في الخليج
مجلة "التضامن". لندن - 13 آب (أغسطس) 1990
رؤية أخرى كُتبت بعد أربعة أيام من الغزو العراقي للكويت
- 368 فرصة ربما لم تتكرر
مجلة "التضامن". لندن - 20 آب (أغسطس) 1990
حول مبادرة من جانب الرئيس صدام حسين تغني منطقة الخليج عن تطورات بالغة الخطورة

- 370 الطلب الوحيد الذي نفذته أميركا خلال ثلاثين سنة.....
مجلة "التضامن". لندن - 27 آب (أغسطس) 1990
عندما جاءت الولايات المتحدة بالأساطيل والطائرات والجنود إلى منطقة الخليج بدعوة من نفسها وليس بطلب من أطراف عربية
- 371 التعامل مع الأزمات بين أسلوب الأجداد وأسلوب الأحفاد.....
مجلة "التضامن". لندن - 3 أيلول (سبتمبر) 1990
مقارنة بين أسلوب الحكام العرب في الماضي وبين أسلوب الذين ورثوا الحكم منهم في التعامل مع الأزمات
- 372 ورطة وأكثر من كمين.....
مجلة "التضامن". لندن - 10 أيلول (سبتمبر) 1990
حول الوضع -الورطة - الذي تسبب به الغزو العراقي للكويت وكيف ستنتهي هذه الورطة
- 374 قمة هلسنكي: العملاقان والمارد.....
مجلة "التضامن". لندن - 17 أيلول (سبتمبر) 1990
العملاقان هما الرئيس جورج بوش والرئيس غورباتشوف. أما المارد فإنه الأزمة الناشئة عن الغزو العراقي للكويت
- 375 العرب بين بوش الرئيس وبوش الـ "سي. آي. إيه".....
مجلة "التضامن". لندن - 24 أيلول (سبتمبر) 1990
عندما تعامل جورج بوش الرئيس مع العرب وكما لو أنه مازال جورج بوش رئيس الـ"سي. آي. إيه"...
- 376 المقايضة المطلوبة بعد القمة الخماسية.....
مجلة "التضامن". لندن - 1 تشرين الأول (أكتوبر) 1990
تساؤل في شأن مقايضة بين العرب والعالم هدفها إنصاف بعض الأطراف العربية
- 377 حول مسألة الاستعداد للتحالف مع الشيطان.....
مجلة "التضامن". لندن - 8 تشرين الأول (أكتوبر) 1990
في ذروة الأزمة الناشئة عن دخول القوات العراقية إلى الكويت رددت بعض الأطراف مرات عدة عبارة "مستعد للتحالف مع الشيطان...". لماذا حدث ذلك؟
- 379 دعاة الحل السلمي أجانب والمعترضون عرب.....
مجلة "التضامن". لندن - 22 تشرين الأول (أكتوبر) 1990
حول العرب الذين يعترضون على حل لإنهاء الأزمة في منطقة الخليج الناشئة عن الغزو العراقي للكويت، دعت إليه فرنسا من خلال مبادرة
- 380 نهاية فصل من المسرحية الحزينة.....
مجلة "التضامن". لندن - 29 تشرين الأول (أكتوبر) 1990
حول كيف إنتهى أمر العماد ميشال عون وأحلامه وتطلعاته على طريقة ضباط الانقلابات غير الناجحة في سوريا
- 381 الحل بالمعروف.....
مجلة "التضامن". لندن - 5 تشرين الثاني (نوفمبر) 1990
قراءة في تصريحات أدلى بها وزير الدفاع السعودي الأمير سلطان بن عبد العزيز وكانت لها أبعادها ومعانيها العميقة

- 384 **قمة غورباتشوف**
مجلة "التضامن". لندن - 12 تشرين الثاني (نوفمبر) 1990
حول ما الذي يُرتجى من قمة عربية دعا إلى عقدها الرئيس السوفياتي ميخائيل غورباتشوف
- 386 **ديبلوماسية السابقين**
مجلة "التضامن". لندن - 19 تشرين الثاني (نوفمبر) 1990
نظرة على ظاهرة السعي الدبلوماسي الذي يقوم به رجال دولة سابقون مثل رئيس وزراء بريطانيا الأسبق إدوارد هيث
- 387 **قمة تلغي قرارات قمة أمر ممكن.. ولقد حدث**
مجلة "التضامن". لندن - 26 تشرين الثاني (نوفمبر) 1990
عندما سعى الملك الحسن الثاني إلى قمة تلغي قرارات القمة التي إستضافها الرئيس حسني مبارك وأجازت الإستعانة بالقوات الأجنبية لضرب العراق وتحرير الكويت
- 388 **هل تنتهي الحرب الباردة بين العراق وأميركا؟**
مجلة "التضامن". لندن - 10 كانون الأول (ديسمبر) 1990
تساؤل في ضوء التطورات المستجدة عما إذا كانت ستنتهي الحرب الباردة بين عراق صدام حسين والإدارة الأميركية
- 389 **السلح القوي أو الحوار العادل**
مجلة "التضامن". لندن - 17 كانون الأول (ديسمبر) 1990
حول الإبتهاج العربي بمعاهدة إنهاء الحرب الباردة بينما القضايا العربية العادلة لن تجد حلاً بغير السلح القوي أو الحوار العادل
- 391 **هل يكون العام 1991 بداية التعامل المتوازن أم بداية حرب أهلية دولية**
مجلة "التضامن". لندن - 7 كانون الثاني (يناير) 1991
... تمنيات بأن يكون العام 1991 هو عام التعامل الذي يحترم الأسلوب ولا يستهين بالتفاصيل، وليس عام بداية "عصر الإستعمار الأميركي"
- 392 **تبقى مبادرة صدام حسين... المطلب والحل**
مجلة "التضامن". لندن - 14 كانون الثاني (يناير) 1991
نظرة على مبادرة طرحتها الرئيس صدام حسين، في غياب مبادرة خليجية أو مبادرة مصرية لإيجاد حل عربي للأزمة الناشئة عن الغزو العراقي للكويت...
- 394 **من بابكر عوض الله والشيوعيين في السودان إلى مضر بدران والإخوان المسلمين في الأردن**
مجلة "التضامن". لندن - 14 كانون الثاني (يناير) 1991
مجرد لفت نظر من جانب كاتب يراقب التطورات بعناية كي لا يعيد التاريخ المأساوي نفسه في الأردن على نحو ما سبق وحدث في السودان
- 395 **حقائق حول العدوان والمبادرات**
مجلة "التضامن". لندن - 28 كانون الثاني (يناير) 1991
قراءة في ما آلت إليه الحال بالنسبة إلى الرئيس صدام حسين حتى تاريخ 28 كانون الثاني (يناير) 1991
حين تتوسط الصحافة أعمدة الحُكم . رسالة من ناشر "التضامن"
- 398 **إلى مارغريت تاتشر وردٌ عليها من 10 داوونغ ستريت:**
مجلة "التضامن". لندن - 28 أيار (مايو) 1990
قراءة في رسالة بعث بها ناشر مجلة "التضامن" فؤاد مطر إلى رئيسة الحكومة البريطانية تاتشر ردت عليها برسالة إليه

المقالات من 3 يناير 1987 إلى 29 ديسمبر 1987





هجوم الأطماع الثلاثة

النتيجة التي يخرج بها المرء وهو يتابع نتائج الجولة الجديدة بين العراق وإيران (والتي حققت فيها القوات العراقية إنتصاراً بأقل الخسائر مقابل خسائر فاقَت التصور في صفوف القوات الإيرانية) هي أن الحرب تقترب من مراحلها الأخيرة.

وبالرغم من أن الجانب العراقي لا يشكو من عقدة الإنتصار في ميدان الجولات القتالية لأنه حقق من قبل الكثير، إلا أن الإنتصار الجديد له نكهة متميزة. ومن هنا فإن المدفع الذي أطلق إحدى وعشرين طلقة بعدما إنتهى أمر الجولة لمصلحة العراق بدا كمن يستقبل زائراً كبير الشأن. وهذا الزائر هو الحل الذي بات قريباً لظروف وأسباب موضوعية. والإحتفال بإطلاق 21 طلقة مدفع هو تقليد جديد تضيفه قيادة صدام حسين إلى قائمة الإبتكارات الكثيرة في شأن التعبئة والتعبير عن الإنتصار.

وأهمية الإنتصار الجديد ليست فقط في أن "أم الرصاص" أخذت بثأر "الفاو" وكان الأخذ بالثأر ضمن الأصول ووفق أخلاقيات العشيرة وطريقة ممارستها للفروسية، وإنما في أن هذا الإنتصار سكب الكثير من الماء البارد على الأجواء التي نشأت في أعقاب الصفقة الأميركية- الإسرائيلية ورسمت في الأفق سؤالاً كبيراً وهو: كيف ستكون عليه حال المواجهة بعدما تبين أن إدارة الرئيس ريغان تقف منذ سنوات إلى جانب إيران وتمدها بالسلاح والذخيرة عن طريق إسرائيل وغيرها؟

وليس مستغرباً القول إنه نشأت على هامش هذا السؤال حالة يأس في نفوس البعض، ثم جاء الإنتصار الجديد كمن يقول ما معناه: لا تيأس إن الله معنا.

وإلى ذلك إن هذا الإنتصار بدا كما لو أنه رد شديد اللهجة على الولايات المتحدة وعلى الذين إبتهجوا لهذا التحول في الموقف الأميركي وإعتقادهم أنه سيحدث في نفوس المقاتلين العراقيين ونفوس الأكثرية العربية الصامته المساندة للموقف العراقي حالة إحباط وبذلك ينتهي أمر الحرب وفق ما يريده الحُكم الإيراني وما يتمناه المراهنون المنتظرون.

إلى ذلك أيضاً إن الهجوم الإيراني الجديد وهو الأول الذي تم تحت مظلة أميركية ربما لا يكون الأخير إلا إذا كانت النتائج التي إنتهى إليها ستحسم في شكل أو آخر

حالة الصراع الدائر داخل الحُكم الإيراني. وهو ربما لا يكون الأخير على أساس أن السلاح متوافر، هذا مع الأخذ في الإعتبار أن تجنيد الناس لن يبقى سهلاً بعد الذي جرى للذين شاركوا في الهجوم الجديد.

وأغلب الظن أن الحُكم الإيراني عندما أبلغ المسؤولين الكويتيين أنه سيشترك في القمة الإسلامية التي ستعقد في الكويت بعد أيام إنما بنى موافقته على أساس أن الإدارة الأميركية وإسرائيل تساندانه وإن الأطراف العربية التي تحسب حساباً لإختيارات الإدارة الأميركية لا بد ستأخذ ذلك في الإعتبار وهو يكسب إذا حدث ذلك. كما أنه بنى موافقته على أساس أنه بسبب معنويات الإيرانيين المساندين للحُكم التي إرتفعت بعد الصفقة الأميركية- الإسرائيلية، وهبوط معنويات الإيرانيين المعارضين للحُكم الذين أصيبوا بخيبة أمل من موقف الولايات المتحدة التي كانوا يعلّقون الأهمية عليها، يستطيع أن ينفذ الهجوم المؤجل وأن يشارك في قمة الكويت من موقع المقتدر الذي يستطيع فرض شروط ويستطيع أن يحصل على الكثير من المساعدات ثمناً لقبوله وقف القتال، وهي مساعدات يستطيع بها قطع الطريق على الأطراف المعارضة وتعويض جماعته بعض ما يطالبون به مقابل التضحيات التي قدّموها طوال ست سنوات.

ومن المؤكد أن مشاركة الحُكم الإيراني في قمة الكويت وهو يحتل "أم الرصاص" هي غير المشاركة وقد أخفق في البقاء على أرض هذه الجزيرة وتعزيز وجوده العسكري فيها، ثم هي غير إخراجها منها بهزيمة لا مثيل لها في تاريخ المعارك التي حفلت بها الحرب العراقية - الإيرانية طوال ست سنوات. واللافت للإنتباه هو أن التمهيد للهجوم الجديد كان يتسم بالتمويه الذي له سمة المراوغة، ذلك أنه من غير المعقول أن يعلن سفير إيران في بنغلادش قبل أسبوع من بدء الهجوم أن بلاده ستحضر القمة الإسلامية وترغب في حل سياسي للحرب عن طريق هذه القمة ثم يبدأ الهجوم بعد أيام. ومثل هذا الأمر يبقى مراوغة من النوع الذي إعتاد الحُكم الإيراني اللجوء إليه قبل كل هجوم على العراق، إلا إذا تبين أن تصريحات السفير الإيراني في جزء من حالة الصراع الدائرة بين أهل الحُكم الإيراني، وأن هذا السفير هو من الحماة الذين ما زالوا على شيء من الوهن أمام صقور الحرب في قم.

وإزاء ما أسفر عنه الهجوم الجديد من هزيمة ساحقة

هما إما حالة تأمر على رجل السودان القوي من أطراف تريد إحراقه سودانياً وعربياً وإما سوء حظ. ونقول ذلك على أساس إننا من خلال معرفتنا بعقلية الصادق المهدي وطريقة تفكيره نعرف أنه بعيد النظر ويكثر من الحسابات. ويبقى أمران:

الأول هو أن الهجوم الإيراني الجديد لم يكن محدوداً كما قال الرئيس الإيراني علي خامنئي بعد فشله وإنما كان رئيسياً وتم على أساس أنه يجب أن ينجح ويحقق أغراضه في قطع طريق الكويت - البصرة وتحقيق أكثر من موطئ قدم يتمكن الإيرانيون بواسطته من إحتلال منابع النفط العراقية وتهديد منابع النفط السعودية وتأمين الحد المعقول من السلامة لقواتهم في "الفاو"، بحيث لا يضطرون إلى تغيير هذه القوات كل أسبوعين نتيجة إصابة أفرادها بالطرش من كثرة القصف العراقي الذي لا ينقطع لها. كذلك إن أهمية ضرب الهجوم الإيراني الجديد هي في أنه بالنتيجة التي إنتهى إليها يشكل إنتكاسة كبرى للأطماع الإيرانية. إلا أن الإنتكاسة لن تحدث إذا كان الهجوم الذي أخفق لن يحقق بداية نهوض عربية لا تستمر حبيسة الصدور.

وإذا كُتب لهذه الحالة أن تأخذ مداها في النمو، فإن العام 1987 الذي نعيش أيامه الأولى سيكون عام خير على الأمة يعوّضنا عام 1986 الذي خسرنا فيه الكثير وضاعت منا خلاله الأحلام في أن نستعيد إزدهاراً فقدته الأمة، ومن المؤكد أن لقاء القمة السعودي - العراقي الذي تم يوم 27 - 12 - 1986 بين الملك فهد بن عبد العزيز والرئيس صدام حسين سيساهم في تحقيق هذا النهوض الذي سيعيد في حال حدوثه إلى الأمة إعتزازها بنفسها. وأهمية اللقاء أنه إضافة إلى كونه للتبرك من خلال زيارة الكعبة المشرفة في مكة وقبر الرسول العربي في المدينة المنورة، تم في المنطقة الشرقية من المملكة التي يراهن الحُكم الإيراني عليها مثلما سبق أن راهن على العراق وإنتهى الرهان إلى المزيد من تماسك الوحدة الوطنية.

أما الأمر الثاني فهو التمني على الدول التي ستشارك في القمة الإسلامية في الكويت بالإصرار على الحُكم الإيراني أن يشارك ويأخذ برأي الأكثرية، بل برأي الجميع الذين يتمتعون لهذا الحُكم أن يتعايش مع الجيران وفق قاعدة لكل صاحب حق حقه ولكل دولة سيادتها ونظامها الذي تريده، أو تتخذ هذه الدول من القرارات ما يمليه الوجدان.

للطرف الإيراني وإنتصار متألق للطرف العراقي، فإن الخوف من محاولة يقوم بها صقور الحرب في إيران لنسف القمة الإسلامية ما تزال واردة، وما يزال إحتمال تجدد لعبة الرهائن بحيث تفاجئنا القوى التي تدور داخل لبنان في الفلك الإيراني بأنها وضعت اليد على بعض الرهائن الجدد ومن جنسيات أميركية وأوروبية، وربما عربية إذا تيسر لها ذلك، أو أن هذه القوى وبتعليمات من طهران قايلضت نهائياً ما لديها من رهائن بموقف أميركي - أوروبي أكثر سخاء ومن شأنه إحتواء الهزيمة التي حدثت وعلى وجه السرعة.

إلى ذلك إن الحُكم الإيراني نفذ الهجوم بعد مراوغة أخرى تمثلت ببداية الهجوم بعدما كان رئيس وزراء السودان الصادق المهدي زار طهران وأعطى بزيارته هذه صك غفران إلى الحُكم الإيراني كان في أشد الحاجة إليه ليرد على العاصفة التي أحدثتها الصفقة الأميركية - الإيرانية - الإسرائيلية بالقول ما معناه: ها هو رئيس وزراء ثالث أكبر دولة عربية ورئيس وزراء ثالث أكبر دولة أفريقية ومسلمة مساحة يزور إيران ويتفق معها. ولقد كنا نتمنى أن تبقى أصابع الصادق في منأى عن اللهب الإيراني الذي لحق بها. وصحيح أن الحرب مسألة معقدة وليس بالأمر اليسير التوسط، ولكن كان من الأفضل بقاء الصادق المهدي كإحتياطي إلى حين توافر ظروف تجعل مهمته تنتهي بالنجاح المؤكد، فضلاً عن أن زيارته طهران بعد الصفقة الأميركية - الإيرانية - الإسرائيلية تذكرنا بزيارة الرئيس السابق جعفر نميري إلى القاهرة بعدما زار الرئيس (الراحل) القدس. ولا ندري ما الذي كان سيحدث لو أن الصادق أوفد من ينوب عنه أو إختار الإرجاء أو التأجيل على الأقل تماماً كما يفعل مع الرئيس حسني مبارك، أو أنه على الأقل قام بالزيارة بعد القمة الإسلامية في الكويت والتي من الطبيعي في حال عقدها أن تكشف نيات إيران ورغبتها في السلام ومناوراتها.

وإذا جازت المقارنة فإن حدوث الهجوم بعد أيام من إنتهاء زيارة الصادق المهدي إلى طهران التي سجل بها أنه أول مسؤول عربي رفيع الشأن يزور إيران بعد إنكشاف أمر الصفقة الثلاثية، هي مثل لجوء جون قرنق إلى إسقاط طائرة الركاب المدنية السودانية بعد أيام من اللقاء الذي عقده الصادق المهدي في أديس ابابا معه. وهذان الأمران

وما يقوله الوجدان في هذا الشأن هو مساندة الراغب في السلم إلى النهاية والتصدي لمن يعاند ويصر على أن يبقى لهيب الحرب يضيء سماء المنطقة بدلاً من شعلة الإزدهار والسلم والطمأنينة.

مجلة "التضامن". لندن - 3 كانون الثاني (يناير) 1987

* * *

من كيسينجر إلى مورفي: لقد أتعبتنا جولاتهم

قبل حوالي شهر من الموعد المقرر لإعقاد القمة الإسلامية في الكويت وهو يوم 26 يناير (كانون الثاني) نقلت وكالات الأنباء من واشنطن نبأ مفاده أن يقوم ريتشارد مورفي مساعد وزير الخارجية الأميركية للشرق الأوسط بزيارة إلى منطقة الشرق الأوسط خلال هذا الشهر الذي ستعقد القمة الإسلامية في أيامه الأخيرة.

وللهذه الأولى يبدو هذا النبأ من النوع الذي يدعو إلى الإرتياح، على أساس أنه يعكس إنطباعاً بأن الإدارة الأميركية مهتمة جداً بالمنطقة العربية وقلقة على التطورات التي تشهدها بعض دول المنطقة والمخاطر التي تتعرض لها بقية الدول من إسرائيل ومن إيران، وأنه لو كانت الإدارة الأميركية غير مهتمة لما كانت أوفدت الرجل الثاني في وزارة الخارجية لكي يتجول بين هذه العاصمة وتلك ويقابل المسؤولين في الدول التي سيزورها.

كذلك إن النبأ يبدو كما لو أنه ما يجوز إعتباره هدية الولايات المتحدة إلى العالم العربي، بمعنى أن إذاعته قبل بضعة ساعات من إنتهاء اليوم الأخير في عام 1986 قد يكون القصد منها أن الولايات المتحدة تقول للعرب ما معناه: إننا سنحاول أن نكون في العام 1987 أكثر حيوية إزاء إهتمامنا بقضاياكم من الإهتمام الذي أبديناه عام 1986.

ولكن الشعور العربي السائد إزاء مثل هذه الأنباء حول المبعوث أو ذاك هو أنه لم يعد هنالك إكتراث بهذه المهمات التي يقوم بها المبعوثون. ولم يعد هناك من يعتقد بأن هذا المبعوث أو ذاك سيعمل من أجل خير المنطقة ويساعد على حل المشاكل التي تواجهها دولها.

ولو أن مؤسسة أميركية محايدة للإستقصاء قامت بإجراء إستفتاء في المنطقة شمل عينة من بضعة ألوف أو بضع مئات من المواطنين والرسميين لإكتشفت أن نتيجة هذا الإستفتاء تتلخص بعبارة من ثلاث كلمات هي: لقد أتعبتنا جولاتكم.

نعم، لقد أتعبت جولات المبعوثين الأميركيين المواطن العربي ولم يعد يثق بأهدافها، ومن حقه أن يشعر بعدم الثقة ما دامت المنطقة تزداد إضطراباً بعد أن يصل المبعوث ويبدأ جولاته.

ونعم، لقد دمرت جولات المبعوثين الأميركيين كل الآمال التي نعلّقها على الولايات المتحدة. ومن حق المسؤول العربي أن يصاب بخيبة الأمل لأنه عندما يبني سياسته الخارجية على أساس علاقة شبه عضوية مع الولايات المتحدة ثم يصاب بخيبات الأمل من الإدارة الأميركية ومبعوثيها، فإن ذلك يفتح الباب أمام تساؤلات كثيرة من بينها، أو فلنقل أهمها لماذا يجب أن نتعامل مع الولايات المتحدة بهذا الأسلوب؟

ونعم، إن العربي، حاكماً ومحكوماً، بدأ بالفعل يخاف مما يفعله المبعوثون الأميركيون خصوصاً أن هؤلاء وسّعوا خلال جولاتهم على مدى ثلاث عشرة سنة (بين 1973 و 1986) مساحة الإضطراب بدل أن يحققوا الإستقرار، بعدما كان الأمل كبيراً بأن ينقلوا إلى حكوماتهم صورة واقعية عن أحوال المنطقة وهمومها ومشاكلها ومطالبها، إذ بهم يأتون فقط إلى بعض دول المنطقة للتشويش وتعميق الهوة بين هذا النظام وذاك، وتحريك مشاعر دفينه من شأن تحريكها أن يثير الفتنة بين أبناء الشعب الواحد.

ويكفي لتأكيد هذا الكلام التأمل في ما فعله المبعوثون الأميركيون معنا خلال ثلاث عشرة سنة بدءاً من كيسينجر وسياسة الخطوة خطوة التي إنتهجها، مروراً بفيليب حبيب الذي توقّعنا حُسن التفهم منه على أساس أنه عربي الأصل ويستطيع أن يعتمد لغة مخاطبة أفضل وينقل حقيقة الأمور بشكل أمين، وإنتهاء بريتشارد مورفي وجولاته المنقطعة.

وعندما نتأمل نكتشف أن المبعوثين بعثوا الآمال بدل أن يحققوا الحد الأدنى. هذا إذ إعتبرنا أن الحد الأقصى غير متيسر.

ويبقى أن جولة مورفي المتوقعة قبل القمة الإسلامية في الكويت، تبعث في النفس المخاوف من أن يكون الرجل الآتي من واشنطن ليجمع الحقائق قد يزرع في نفوس

بعض قادة العالم الإسلامي مخاوف تجعلهم في حال عقد القمة لا يتفقون على الحد الأدنى، وبذلك نفقد كعرب وكمسلمين فرصة ذهبية لكي يحل الإستقرار محل هذا الجنون السائد في المنطقة منذ خمس عشرة سنة، والذي تتحمل الإدارة الأميركية برؤسائها ورجالها المسؤولية الكبرى فيها.

يبقى أيضاً إننا نسمع بين الحين والآخر كلاماً مؤداه أن الولايات المتحدة تفعل ما يناسب مصلحتها. وفي ضوء ما فعله المبعوثون على مدى ثلاث عشرة سنة وأكثر فإننا نعتقد أن الولايات المتحدة بأسلوب التعامل مع العرب في هذه السنوات كانت تفعل ما يخدم مصلحة الإتحاد السوفياتي وليس مصلحتها.

ويكفي لتأكيد ذلك عقد مقارنة بين سمعة الولايات المتحدة وسمعة الإتحاد السوفياتي. أليس صحيحاً أننا قد نجد من أصل كل مائة مواطن عربي عشرة لا يحبذون سياسة الإتحاد السوفياتي، لكننا بالتأكيد نجد نصف هؤلاء يقولون عن أميركا كلاماً كبيراً جداً.

لعل وعسى تبدأ الولايات المتحدة عام 1987 عهداً جديداً، وبذلك يصبح قدوم المبعوث الأميركي إلى المنطقة أمراً يدعو إلى الإرتياح. نقول لعل وعسى، وإن كنا في قرارة النفس نشعر أن أميركا هي أميركا ولن تتغير.

مجلة "التضامن". لندن - 10 كانون الثاني (يناير) 1987

* * *

إنعقاد كامل ونصف إنجاز

تضاءلت المفاجآت إلى حد أن أمر تأجيل القمة الإسلامية. وكذلك أمر تغيير مكان الإنعقاد قد تم حسمها بصيغة شبه نهائية، عندما كنا نكتب هذه السطور يوم 11-1-1987.

وبعد أيام ترتفع أعلام الدول الإسلامية في سماء الكويت. ويلتئم شمل الحكام المسلمين الذين سيشاركون في مؤتمر القمة الذي في استطاعته أن يكون بمثابة نقطة تحول في تاريخ الأمة الإسلامية بجناحيها العربي أو غير العربي، أو أن يكون أمثلة للمؤتمرات التي تُشيع نتائجها الإحباط في النفوس وذلك بسبب عجز هذا التجمع الكبير عن أن يتخذ مواقف كثيرة تطالبه الأمة بأن يتخذها.

وصحيح أن الزمن الراهن ليس زمن الحسم لكثرة تشابك الأمور، إلا أن عدم القدرة على الحسم لا يعني أنه ليس في الإمكان إتخاذ مواقف قد تؤدي في مجملها إلى الحسم أو إلى مشارفه.

ومن المهم عدم إعتبار مجرد إنعقاد القمة هو النصر الكبير الذي تحقق إلا إذا كانت الكويت ترى أن عقد القمة الإسلامية على أراضيها - وهو أمر يحدث للمرة الأولى أيضاً إنعقاد قمة غير خليجية في هذه الدولة - يشكل إنجازاً كبيراً بصرف النظر عما تتخذه هذه القمة من مواقف وما يصدر عنها من نتائج.

ولكن مجرد عقد القمة بعد الذي حدث من مناورات هو نصف الإنجاز، ويبقى النصف الآخر ونقول إن الإنعقاد هو نصف إنجاز على أساس أن الحكم الإيراني كان بالفعل لا يريد لهذه القمة أن تتعقد مخافة أن تتحول إلى هيئة إتهام ضده.

ومع الأخذ في الإعتبار أن للسياسات أحكامها، فإن أكثر ما يخشاه المرء هو أن تكون الصيغة التي إستقرت عليها حال القمة الإسلامية مشروطة، بمعنى أن تكون قمة عادية جداً بدل أن تكون القمة التي تتخذ فيها المواقف، بل والمواقف المتشددة.

والقول بأنها قمة عادية جداً بمعنى أن تكون القمة التي لا تتوقف أمام القضايا الأساسية، وإنما تقفز فوقها وتهتم بالمسائل الثانوية، إضافة إلى بعض التمنيات من هنا وبعض المواعظ من هناك.

وزيادة في التوضيح يمكن القول إن هذه القمة ستحدث الصدمة في نفوس بضع مئات من الملايين في العالم الإسلامي، إذا كانت ستقول عن الحرب العراقية - الإيرانية كلام التمنيات بدل أن تقتحم غمار هذه الحرب بموقف سياسي واضح يدين وبشكل صريح الطرف الذي لا يوقف الحرب والأطراف الإسلامية التي تغذي هذه الحرب بالسر والعلن. ولعل من محاسن المصادفة أن هذه الحرب ليست بين دولتين عريبتين لكي تبتعد الدول الإسلامية غير العربية عن هذا الحريق مخافة أن تجد من يتهمها بأنها تتدخل في شؤون داخلية لدول أخرى، وإنما هذه الحرب هي بين دولة إسلامية عربية ودول إسلامية غير عربية، وهذا معناه أن القمة الإسلامية مطالبة بالتدخل ما دام التدخل هو بالمفهوم الإيجابي، أي من أجل وقف الحرب، وما دامت هذه القمة هي قمة المسلمين العرب والمسلمين غير العرب.

الإيرانية، التي، تكراراً، مطلوب من الدول الإسلامية إيجاد حل لها أو على الأقل إتخاذ موقف جذري من الطرف الذي يتسبب في إستمرارها. قبل أن يكون هذا الأمر مطلوباً من هذه الدولة أو الدولة المسيحية، أو تلك الدولة أو الدول الملحدة، أو تلك الدولة أو الدول التي تعتنق ديانات خاصة مثل الديانة البوذية.

ويبقى هاجس نسجله نحن وعلى أبواب إنعقاد القمة الإسلامية، وهو أن يكون الحُكم الإيراني الذي أخفق، على ما هو واضح حتى كتابة هذه السطور، في تأجيل عقد القمة أو في تغيير مكان إنعقادها، قد يكون هنالك له بين كواليس القمة من سيرد له "الجميل" ضمن معادلة تقوم على أنه مقابل الإنعقاد الكامل للقمة الإسلامية فإن عليها تحقيق نصف إنجاز.. لا أكثر.

وإذا حدث ذلك فما هو الموجب للقمة التي يفترض أن تكون قمة المعتدى عليهم، وما الذي سيربحه المسلمون المعتدى عليهم، بسبب هذه الحرب بشكل مباشر أو غير مباشر، من مواعظها.

مجلة "التضامن". لندن - 17 كانون الثاني (يناير) 1987

* * *

قمة خط النار

ما الذي يمكن للمرء أن يقوله قبل أسبوع من الموعد المقرر لإنعقاد القمة الإسلامية في الكويت؟ والجواب عن ذلك هو أن في إستطاعته أن يقول الكثير من التمنيات ويسجل الكثير من الحقائق الموضوعية وعلى النحو الآتي نورد هذه الحقائق:

أولاً- إن القمة الإسلامية هي المناسبة المثالية لتضميد الجراح، وهي أيضاً المناسبة المثالية لحفظ ماء الوجه. وبما أن الجراح كثيرة ومعظمها من النوع الذي ينزف والوجوه التي تحتاج إلى ما من شأنه أن يحفظ ماءها كثيرة أيضاً فإنه بدلاً من هذا الأخذ والرد على قمة الكويت وهل نشارك أو لا نشارك وإذا شاركنا فعلى أي مستوى، وعشرات الأسئلة من هذا النوع.. انه بدلاً من هذا الأخذ والرد كان يفترض في أطراف كثيرة أن تقول إن هذه القمة التي تحتاجها المنطقة. ولو أنها لم تكن مقررة لكان من الواجب السعي إلى عقدها بصفة إستثنائية.

والقول بأن قمة الكويت يمكن أن تحدث الصدمة في نفوس بضعة مئات الملايين من المسلمين إذا كانت لن تقتحم غبار الحرب العراقية- الإيرانية، سببُه أن هذه الحرب بدأت تهدد طمأنينة كل مسلم، بل، وهذا هو الأهم، بدأت تزرع في نفس المسلم، نتيجة عدم وضوح حد لهذا العناد الإيراني في موضوع الحرب والإصرار على إستمرارها، شعوراً ضمناً خلاصته: هل هذا هو الإسلام؟ بل إن هذا الشعور يمكن أن يتطور بحيث نجد من يقول بينه وبين نفسه ما معناه: إذا كان القادة المسلمون لا يجدون صيغة حل يفرضونها من أجل إنهاء هذه الحرب التي تدور رحاها منذ سبع سنوات بين دولتين مسلمتين، مستنديين إلى كتاب الله وأحاديث الرسول في شأن القتال والسلام وأصول التعايش، فهل أنهم ينتظرون مجيء الحل من دولة تعتنق الدين المسيحي مثل الولايات المتحدة ودول أوروبا، أم من دولة ملحدة مثل الإتحاد السوفياتي وبقية الدول التي تسير في فلكه، أو من دولة لها ديانتها الخاصة مثل الهند البوذية؟

وهذا الكلام ليس تنظيراً، وإنما هو بدهي إلى درجة أنه يبدو بمثابة تنظير.

والى ذلك من الجائز القول، في ضوء إصرار حُكم رجال الدين في إيران على إبقاء الحرب مستعرة ورفض القبول بأي دعوة لوقف القتال، وفي ضوء دعم بعض المسلمين عرباً وغير عرب له، وسكوت المسلمين الآخرين عرباً وغير عرب عن ممارسته ومسلكيته هذه... إنه من الجائز القول في ضوء ذلك أن الأجيال المسلمة بعد الآن ستكون أقل تماسكاً وأكثر قابلية للسقوط في شرك الأفكار الغريبة عنهم. وهذا ما يفترض في قمة من نوع القمة الإسلامية في الكويت أن تعيه وأن تتصرف في ضوء ما تمليه القناعات.

إن كلاماً كثيراً يمكن أن يقال في شأن القمة الإسلامية التي رجحت حتى الآن كفة إنعقادها على كفة تأجيلها، والتي نأمل أن ترجح كفة قدرتها على إنجاز الحد الأدنى المطلوب منها على كفة العجز في الإنجاز، بحيث لا تعتبر أن مجرد الإنعقاد، هو الإنجاز الذي تحقق، ويكفي بعد ذلك إصدار أي بيان يتضمن أية توصيات أو أية تمنيات، وإنما تعتبر بأنه إذا كان الإنعقاد بمثابة الواجب، فإن الدخول في عمق الهموم الإسلامية هو أقرب ما يكون إلى الفريضة.

ولا ننظر أن هنالك هما أكبر من هم الحرب العراقية -

ثانياً- إن عقد القمة الإسلامية في الكويت معناه أنها تتعقد في أقرب نقطة إلى الحرب العراقية - الإيرانية. وبما أن هذه الحرب بآثارها وعمق مآسيها وطول سنواتها لا تخص الدولتين المتحاربتين فقط وإنما تخص كل دول المنطقة وكل الدول الإسلامية. فإنه من الجائز إعتبار هذه القمة أنها قمة خط النار. ولأنها كذلك فإنها ما هو مطلوب منها كثير، أو فلنقل إن المطلوب هو الحد الأدنى إذا كان تحقيق الإنجاز الذي يتناسب مع الطموحات وهو الحد الأقصى غير متيسر. والحد الأقصى هو أن توقف هذه القمة الحرب العراقية - الإيرانية بقرار تتبناه مجموعة إسلامية عربية وغير عربية ويحظى وهو في طريقه إلى مجلس الأمن بمساندة دولية بحيث يصدر عن هذا المجلس قرار لا تستعمل الدول الدائمة العضوية حق "الفيتو" في شأنه وبذلك لا تعود إيران تقول لا لكل مسعى يستهدف وقف الحرب ولكل نداء سلام يصدر عن الجانب العراقي وهي عندما ترفض فعلى أساس أن اللعبة الدولية في إبقاء الحرب مشتعلة ما تزال قائمة.

أما الحد الأدنى فهو صدور بيان يتجاوز التعابير التقليدية التي ثبت حتى الآن أنها لم تشكل أداة ضغط على إيران ولا هي أفادت العراق في شيء. وما نعينه هو صدور بيان يدين استمرار الحرب أو يقول إنها حرب مجنونة وتستنزف دماء المسلمين وخيراتهم. وبين بيان يحدد بالإسم الطرف المسؤول عن استمرار الحرب. وعدم صدور هذا البيان المطلوب معناه أن هنالك مساواة بين المعتدي والمعتدى عليه وبين الداعي إلى السلام والداعي إلى الاستمرار في القتل والتدمير.

والى ذلك ان منظمة المؤتمر الإسلامي التي أجازت لنفسها تجميد عضوية مصر بعدما أبرم الرئيس (الراحل) أنور السادات صفقة كامب ديفيد بات من واجبها أن تجمد عضوية الدولة التي تعتمد الحرب أسلوباً وحيداً للتعامل وبما يشكل خروجاً على روحية العمل الإسلامي.

ثالثاً- بفضل إجراءات كثيرة على الصعيدين السياسي - الإعلامي والأمني إتخذتها الدولة الكويتية فإنه بات قبل أسبوع من حلول الموعد المقرر لإنعقاد القمة صعباً على أحد التملص من المشاركة في القمة الإسلامية. ولعل هذا ما يفسر ظاهرة عدم ورود إعتذار رسمي من أحد عن المشاركة على رغم أن الوسائل الإعلامية لدى البعض كانت توجي بأن هنالك من سيقاطع.

رابعاً- إن إنعقاد القمة الإسلامية في الكويت هو

الإنعقاد المناسب في الزمن المناسب. وإذا كان أمير الكويت لم يفترض وهو يوجه الدعوة عام 1984 إلى عقد القمة الخامسة في بلاده أن الأمور ستتطور إلى هذه الخطورة التي هي عليها فإن الأقدار هي التي شاءت أن يكتب لهذه القمة أن تتعقد وفي هذه الظروف بالذات في الزمان التي يمكن أن يشكل نقطة تحول في أمور كثيرة.

وهذه القمة أهميتها في أنها هذه المرة بالذات تتعقد في دولة عربية إسلامية وفي منطقة الخليج وبالذات في الكويت الأكثر قرباً من خط النار. لكن الكويت أيضاً هي الأكثر حرصاً على إطفاء حريق الحرب ولعل هذا ما يفسر إصرارها على أن لا يتم صرف النظر عن القمة، ثم على أن تنشط الدبلوماسية من أجل توفير الإجماع أو ما يشبه الإجماع.

ويبقى أن القمة الإسلامية الخامسة يمكن أن تجعل الدول الست والأربعين الأعضاء أصحاب شأن في القرار الدولي بدل هذه السمعة التي تلازم أي كلام عن الدول الإسلامية. وخلاصة هذه السمعة أن الدول الإسلامية لن يكون لها شأن ما دامت لا تستطيع إقناع إحدى هذه الدول بأن الموافقة على المشاركة في قمة لتبادل الرأي لا يجب أن يكون ثمنها خمسين ألف قتيل فضلاً عن الخراب الكبير. وقد دفعت إيران هذا العدد الهائل من القتلى من أجل أن تشارك في القمة الإسلامية أو بالأحرى من أجل أن تقول نعم أو لا، وكانت حتى كتابة هذه الأسطر قبل أسبوع من الموعد المحدد لإنعقاد القمة غير قادرة على أن تقول هذه الكلمة.

يبقى أيضاً أن القمة الإسلامية الخامسة تقف على شفير الهاوية أو فلنقل إنها على مفترق طرق. فإما أن تتعقد وتحقق الحد الأدنى وأما قد يحدث تفكك في الصف العربي - الإسلامي بحيث يبتعد مع الوقت المسلمون غير العرب عن المسلمين العرب والإبتعاد هنا هو إبتعاد عن التعاطي في شؤون مشتركة.

ومن يدري فقد يكون هذا الموقف السلبي من جانب البعض تجاه القمة الإسلامية لا يستهدف فقط الكويت كمكان مناسب لإنعقاد القمة وإنما يستهدف تقويض أسس التعاون العربي - الإسلامي. وقد يكون الحكم الحالي في إيران يفعل ذلك على أساس أنه لم يوقع قبل ثماني عشرة سنة على ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي وأن حساسيته تنحصر في الدرجة الأولى هنا ولكنه يتذرع بحجج أخرى لأنه إذا عترف بمنظمة وقّعها الشاه الراحل فهذا يعني أنه

يقر بأمور تحمل توقيع عهد سقط.

وقد يقال في صيغة التساؤل: هل هذا معقول؟

والجواب: كل شيء معقول. وإلا فما هي الحكمة من أن يتخذ الحُكم الإيراني من هذا الموقف من قمة لن يجد أفضل منها لإخراجه من مأزق الحرب وفي الوقت نفسه قادرة على أن تضمد الجروح وتحفظ ماء الوجه؟ وتكراراً، إن هذه الأسطر هي بعض التمنيات وبعض الحقائق الموضوعية يجد المرء نفسه يوردها قبل أن يدخل العد العكسي للقمة الإسلامية مرحلة الساعات الأخيرة.

مجلة "التضامن". لندن - 24 كانون الثاني (يناير) 1987

* * *

حي على الوفاق

قبل حوالي 150 ساعة من ساعة الصفر كنتُ أجلس في مكتب وليّ عهد دولة الكويت ورئيس الوزراء الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح، ومعي أسئلة ملأت صفحة بحجم الفولسكاب.

ساعة الصفر التي أعنيها هي الساعة التي سيتم فيها افتتاح القمة الإسلامية الخامسة، طبقاً لما هو مقرر، وفي الكويت أما الأسئلة فهي حول أمور كثيرة تتعلق بهذه القمة من مواقف وتمنيات وخطط أمنية ومحاولات في اللحظة الأخيرة لإقناع من كان راغباً في المقاطعة أن يشارك، ولإقناع من ليس متحمساً للمشاركة على مستوى رئيس الدولة بأن يعيد النظر في موقفه.

ولقد حرصت أن أختصر، خصوصاً أن الشيخ سعد بدأ فور هذا اللقاء معه مرحلة جديدة من العمل للقمة الإسلامية لخصها بالقول "بعد هذا اللقاء تبدأ غرفة عمليات القمة عملها. وفقنا الله لإنجاز هذه المهمة الصعبة". وقلتُ بل إنها مهمة تاريخية.

أما كيف إختصرت وبما يجعلني أستفيد من النصف ساعة التي حصلت عليها من وقت صاحب السمو، فهي أنني قرأت للشيخ سعد كل ما سجلته من أسئلة. ولمجرد أن انتهيت أجاب سموه على النحو الآتي:

- «تقول إننا في الكويت إختارنا أسلوب التحدي من أجل عقد القمة الإسلامية، وهذا صحيح. لكنه التحدي بالمفهوم الإيجابي وليس بالمعنى السلبي.

ولقد كان التحدي مرهقاً لكنه كان رائعاً بنتائج الأولية. ونحن سعداء جداً بأن القمة الإسلامية الخامسة إجتازت عنق الزجاجة فلم نتراجع عن عقدها ولم تستوقفنا الإشاعات التي كانت تنتشر ويتولى البعض ترويجها وتتعلق بالمسائل الأمنية. ومن موقع المسؤولية أقول قبل حوالي أسبوع من إنعقاد المؤتمر أن الأجهزة الأمنية المختصة في الدولة إتخذت كل الإجراءات الضرورية، ومن هنا فلا داعي للأخذ بما حاول البعض زرعه في النفوس، وإلى ذلك يمكنني أن أضيف الطمأنينة التي نريدها لأنفسنا هي ذاتها الطمأنينة التي أردناها للأشقاء الذين توافدوا للمشاركة في قمة هدفها أن تبحث هموم الأمة وما أكثر هذه الهموم وإذا كنت تقول بأن مجرد الإنعقاد هو نصف النجاح، فإنني أضيف بأن ما نطمح إليه هو أن يتحقق النصف الثاني لكي يكتمل النجاح. وهذا يكون بتوصل القادة الأشقاء إلى إتخاذ الحد الأدنى من القرارات التي تحتاجها أمتنا العربية وعالمنا الإسلامي.

ومن جانبنا فإننا وضعنا من التسهيلات ما من شأنه أن يحقق للمؤتمر الأجواء التي تجعله مؤتمراً إيجابياً بإذن الله.

وأعود فأكرر مجرد عقد مؤتمر القمة الإسلامية في هذه الظروف التي نجتازها كعرب وكمسلمين هو التحدي الكبير وإذا تجاوز قادة الأمة مع تطلعات الشعوب فإن النجاح مؤكد. وما تتطلع إليه الشعوب حق لها علينا كمسؤولين. ما الذي أتمناه؟

أتمنى الكثير. بل إنني أخص التمنيات بالقول حي على التفاهم حي على التضامن لقد قام التعايش والتعاون بمعزل عن الخلافات والدماء والدمار.

وأجد نفسي إضافة إلى ذلك أقول. إن المطلوب ليس تعجيزاً لا قدرة لقادة الأمة عليه المطلوب ببساطة هو تثبيت أمور متفق عليها. ونحن لو ألقينا نظرة على ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي الذي صدر قبل ثماني عشرة سنة ما الذي نراه؟ وجوابي عن ذلك هو أن هذا الميثاق وبالذات البند الذي يتضمن المبادئ كفيل بأن يحقق التعايش والتضامن والتفاهم والتعاون بين المسلم والمسلم، عربياً كان هذا المسلم أم غير عربي وأعتقد أنها مناسبة جيدة لكي نقرأ في هذه المبادئ ونحن على أهبة إنعقاد القمة الإسلامية الخامسة ونتأمل في ما يجري حولنا ثم نخرج بالأمثلة المطلوبة.

إن المبدأ الأول يقول بـ "المساواة التامة بين الدول

الأعضاء" وهو مطلب نريده وينص المبدأ الثاني على "إحترام حق تقرير المصير وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأعضاء" ويكفي الأخذ بهذا المبدأ لكي ترتاح كل دولة من الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي. ويوصي المبدأ الثالث بـ "إحترام سيادة وإستقلال ووحدة أراضي كل دولة عضو" وهذا المبدأ إضافة إلى المبدأ الرابع الذي ينص على "حل ما قد ينشأ من منازعات فيما بينها أي بين الدول الأعضاء - بحلول سلمية كالمفاوضة أو الوساطة أو التوفيق أو التحكيم" والمبدأ الخامس الذي يوصي بـ "إمتناع الدول الأعضاء في علاقاتها عن إستخدام القوة أو التهديد بإستعمالها ضد وحدة وسلامة الأراضي أو الإستقلال السياسي لأي دولة عضو"... إن هذه المبادئ كفيلة بنشر الإستقرار والتعاون بين الدول الأعضاء وما أحوجنا إلى هذا الإستقرار وإلى التعاون والتفاهم والتعايش. كذلك ما أحوجنا إلى "تعزيز التضامن الإسلامي بين الدول الأعضاء" وهو الهدف الأول الذي تتضمنه المادة الثانية من الميثاق.

وما أقصده من هذا التذكير بأهداف ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي ومبادئ هذا الميثاق هو أن الأساس موجود ومنذ حوالي ثماني عشرة سنة وأن المطلوب فقط تثبيت هذه المبادئ والأهداف والإلتزام بها وفي هذه المبادئ حل للخلافات وصيغة للتعاون وإستبعاد للحرب وهو ما نحتاجه الآن. بل إنني أقول إن المطلوب هو ترجمة مبادئ ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي وأهدافه إلى عمل ملموس ويبقى التفاوض الذي تسألني عن سببه والعلاقة مع مصر وعما إذا كانت ستتطور. أما التفاوض فهذا جزء من طباعي. التفاوض حالة خير ومن أجل ذلك أجد نفسي أميل إلى التفاوض أكثر.

وأما مصر فإن علاقتنا بها كانت وستستمر في تحسن، ونحن نقدر دورها في المجالين السياسي والعسكري ونتطلع إلى اليوم الذي تأخذ فيه مكانها في الصف العربي متى يحدث ذلك؟

أقول بصيغة التمني يا ليت يحدث ذلك اليوم قبل الغد، أو يحدث في الغد قبل بعده بل إنني أشاركك القول بأن عودة مصر إلى مكانها في الصف العربي باتت أقرب من قبل.

غادرث مكتب الشيخ سعد بهذه الإجابة التي تتسم بالصدق والعفوية عن أسئلتني الكثيرة، متمنياً لتفاوضه أن يستمر فقط لأن أحوال المنطقة سيئة وخطيرة إلى درجة أن

العيش من دون فسحة الأمل يصبح مدعاة للضيق. وبالنسبة إلى القمة الإسلامية الخامسة فإنني أتمنى لها الإنعقاد الهادئ والإستقرار. ولولا أجواء الثقة البالغة بالنفس التي إتسم بها كلام حول القمة وظروفها سمعته من وزير الإعلام الشيخ ناصر محمد الأحمد الصباح، الذي إستقبلني قبل أن أتوجه إلى لقاء ولي العهد لكنت أكثر إقترباً من أجواء التشاؤم وذلك لكثرة المناورات التي تحيط بهذه القمة وبالذات المناورات العربية والتي يتمنى المرء أن تتضاءل مع إقترب ساعة الصفر.

وفي لقائي مع الشيخ ناصر ردد أكثر من مرة ستعقد القمة وستتجح بإذن الله وأضاف وتلك هي خطتنا التي نسير عليها منذ أن أبلغ سمو أمير البلاد أشقائه ملوك ورؤساء الدول الإسلامية في الجلسة الختامية لقمة الدار البيضاء مساء 19-1-1984 قوله "إن من دواعي سروري وفخري أن أنقدم إلى المؤتمر بدعوة من أخوته شعب وحكومة الكويت بأن يعقد إجتماعه المقبل في بلدكم الكويت حيث سنحاول أن نقدم بعض ما استطاعت الدول التي سبق لها إستضافة المؤتمر من رعاية ومن تسهيلات ومن تهيئة جو نرجو أن يعين على المزيد من الخطوات على طريق العمل الإسلامي المشترك. وإنني لعلّي ثقة أنكم ستمتقون بشعب يكن لكم كل التقدير ويعقد على جهودكم الآمال الكبار. ويسعدني أن يلتقي على أرض الكويت العربية المسلمة ممثلو العالم الإسلامي وحملة الأمانة الإسلامية. فعل بركة الله نغادر هذا البلد الأمين حاملين معنا أجمل الذكريات وعلى بركته نلتقي إن شاء الله في بلدكم الكويت متطلعين إلى مزيد من العمل الإسلامي لخير بلداننا وأمتنا والعالم أجمع".

مجلة "التضامن". لندن - 24 كانون الثاني (يناير) 1987

* * *

من كواليس قمة البليون في بلد المليون:

السيناريو الأميركي للعام 1987

يحتار المرء في وصف هذا الإقبال من جانب مصر على مؤتمر القمة الإسلامي الذي تم عقده هذا الأسبوع في الكويت. فالرئيس حسني مبارك كان أول الواصلين من

وبعدما بدا من خلال وصوله إلى الكويت قبل يومين من إنعقاد القمة وكأنه من أهل الدولة المضيفة.

ولكن هل هذا ممكن؟

وهل من المحتمل أن يحدث في الأيام، أو الأسابيع، أو الأشهر القليلة المقبلة، أن نسمع بأن الدولة الفلانية أعادت العلاقات مع مصر وأن الدولة الفلانية الأخرى أعادت كذلك العلاقات ثم تتوالى إعادة العلاقات دولة بعد أخرى؟ والجواب عن ذلك هو أنه من المؤكد أن الأمر لن يحدث بهذه البساطة لكنه سيحدث، أو فلنقل إنه ربما سيحدث إذا تعرض أمن الخليج للخطر الإيراني أو إذا تزايدت حدة الهجمات التي تقوم بها إيران ضد العراق.

وزيادة في التوضيح يمكن القول إنه إذا حدثت مفاجآت أمنية غير سارة مصدرها إيران على جبهة دول الخليج فإن هذه الدول ستطلب نجدة مصر على أساس أنها الدولة المؤهلة عسكرياً لمواجهة هذه المفاجآت وعلى أساس أن الدولة الأخرى المؤهلة عسكرياً ونعني بها سوريا تتخذ موقف المؤازرة لإيران، وعلى أساس أن مقولة "أمن الخليج يحققه أهل الخليج، ليست دقيقة، خصوصاً أنه لم يتم بعد وضعها موضع التطبيق لكي تبعث على الطمأنينة.

وزيادة في التوضيح أيضاً يمكن القول إنه إذا حدث إختراق للجبهة العراقية يهدد البصرة فإن العراق سيطلب نجدة الدول العربية، خصوصاً وأنه يحتفظ لنفسه بحق الطلب. وهو إذا حدث أن طلب فإنه لإعتبارات موضوعية سيجد أنه يطلب في الدرجة الأولى النجدة من مصر، وذلك على أساس أن نجدة الأردن له لا تحتاج - بسبب طبيعة العلاقات منذ بداية الحرب - إلى طلب.

ولكن هل أنه سيكون في إستطاعة الرئيس مبارك أن يلبي الطلب بينما العراق لا يعيد العلاقات الدبلوماسية معه علماً بأن التعامل بين العراق ومصر لم يصل في أي يوم، قبل قطع العلاقات، إلى الأهمية التي هي عليها منذ أن بدأ التعاون قبل حوالي ثلاث سنوات. وفي أعقاب تلبية إحتياجات طلبتها العراق - بشخص مسؤول له أهمية متميزة - من مصر عبر السلطان قابوس؟

وهل سيكون في إستطاعة الرئيس مبارك أن يلبي طلب دول الخليج في مواجهة المفاجآت الأمنية بينما هذه الدول (السعودية والكويت وقطر والبحرين والإمارات) لا تعيد العلاقات الدبلوماسية معه، علماً بأن تعامل هذه الدول مع مصر هو على درجة كبيرة من الأهمية في الوقت الحاضر. ويكفي للتدليل على ذلك أنه في أعقاب مكاملة

الحكام المسلمين العرب وغير العرب إلى الكويت والوفد الذي يرافق الرئيس كان ينشط بدبلوماسية ملحوظة. والتصريحات المصرية الدائمة تتلاحق. ووسائل الإعلام المصرية من صحف وإذاعة وتلفزيون تصرفت بحماسة لافتة للإنتباه.

وأكثر من ذلك إن الكلام الذي ورد في التصريحات المصرية كان من النوع الحريص على عدم خدش المشاعر وعلى توفير الحد الأقصى مما تتمناه الكويت للقمة الإسلامية الخامسة التي تتعقد في أراضيها. وهكذا فإن مصر تعاملت ومنذ اللحظة الأولى مع القمة الإسلامية وكأنها هي قمته.

ومثل هذا الإحساس من جانب مصر في محله. ذلك أن قمة البليون مسلم في بلد المليون، أي الكويت، هي في الدرجة الأولى قمة مصر.

وإذا كانت الكويت بشخص أميرها لم توجه الدعوة عام 1984 إلى إستضافة القمة الإسلامية من أجل مصر، وإنما من أجل أن تجرب عبر هذه القمة حظها في التوفيق وقدرة دبلوماسيتها على إختصار رقعة المشاحنات العربية الإسلامية، فإن التطورات تسارعت بعد توجيه الدعوة بحيث أن القمة الإسلامية باتت قمة مصر أو كأنما شاءت الأقدار أن تحدث اضطرابات قوى الأمن المركزي وينتج عنها خسائر لا قدرة للحكومة المصرية على تحملها لكي تكون الباب الذي دخلت منه الكويت وبعض الدول الخليجية إلى صُلب المشكلة في مصر.

وإذا جاز القول فإن المساعدات الكويتية بشكل خاص ثم المساندة الخليجية بعد ذلك بشكل عام في أعقاب اضطرابات قوات الأمن المركزي كانت بمثابة دعوة إلى الرئيس حسني مبارك لكي يستعد لرحلة إستعادة مصر مكانها. أما الإستعادة المعقولة للمكانة فإنها حدثت من خلال اللقاء البالغ الأهمية في باريس بين الرئيس مبارك والأمير سلمان بن عبد العزيز أمير الرياض.

والآن، بعد هذه المشاركة المتميزة من جانب الرئيس حسني مبارك في القمة الإسلامية الخامسة، باتت إعادة العلاقات الدبلوماسية بين مصر وبعض الدول الإسلامية، إلى جانب بعض الدول العربية التي ما زالت في حالة قطيعة، أكثر يسراً من ذي قبل، بمعنى أنه إذا سمعنا أن دولة ما أعادت العلاقات الدبلوماسية مع مصر بعد أسابيع أو أشهر فإن الإستهجان لن يحدث بعدما إمتصت مشاركة الرئيس مبارك في القمة الإسلامية أي إستهجان محتمل،

هاتفية أجراها الرئيس مبارك مع الملك فهد بن عبد العزيز فإن خادم الحرمين الشريفين حقق للرئيس المصري مطلباً إقتصادي النوعية حريصاً جداً عليه في إطار تعاونه مع فرنسا؟

إن الإجابة عما إذا كان في إستطاعة الرئيس حسني مبارك أن يلبي ليست متيسرة. ولكن الذي يمكن قوله هو أن الرئيس المصري لن يكون في وسعه أن يلبي النجدة المطلوبة إذا كان العراق ودول الخليج لن تعيد العلاقات الدبلوماسية معه.

ومن هنا يمكن النظر إلى العناد الإيراني على مواصلة الحرب وإصرار الحُكم الإيراني على إجتياح الحدود العراقية ومحاولة وضع اليد على البصرة وإلى تهديد أمن الخليج وإلى إشاعة الإضطرابات في المنطقة وإلى تقويض المساعي الحميدة لوقف الحرب وإلى محاولة تعطيل القمة الإسلامية. كذلك أنه من هنا يمكن النظر إلى مساندة الحُكمين السوري والليبي للحُكم الإيراني وإلى حرص الولايات المتحدة أن تمد الحُكم الإيراني بالسلاح وإلى هذه الحماسة من جانب إسرائيل لتأمين السلاح إلى إيران.

ومن هنا أيضاً يمكن إستيعاب إستنتاجات ومعلومات مصدرها كواليس القمة الإسلامية الخامسة وخلصتها، أن هنالك سيناريو للعام 1987 أعدته الإدارة الأميركية وتشارك إسرائيل في تنفيذ مضمونه بعدما شاركت في بلورة ملامحه. وإستناداً إلى هذا السيناريو فإن إيران ستوقف الحرب، إنما بعد أن يعيد العرب العلاقات الدبلوماسية مع مصر، وإن إعادة هذه العلاقات لن تتم إلا إذا تزايدت حدة الخطر الإيراني على العراق ودول الخليج وطلبت هذه الدول النجدة العربية التي تبدو مصر مؤهلة لها أكثر من غيرها.

وقد يكون هناك من يتساءل: هل إن الشعب المصري بأكثرية الساحقة الذي إرتضى ثقافة كامب ديفيد ووقف وراء الرئيس (الرحل) أنور السادات لأنه - أي هذا الشعب بأكثرية - لا يريد للحرب أن تستمر سيكون مستعداً لكي يحارب إلى جانب الدول الخليجية أو يدخل من جديد في معمة الحرب؟

والجواب عن ذلك هو أن الأمور لن تصل إلى حد المشاركة في الحرب وذلك لسبب بديهي، وهو أن الهدف من طلب النجدة هو أن تعيد الدول العربية العلاقات مع مصر، وإذا تم ذلك فإن إيران ستوقف الحرب حيث أنها ستجد نفسها من دون دعم دولي ومن دون تسهيلات

إسرائيلية وربما من دون غطاء عربي، مقابل دعم إستمرار مجموعة معينة من أصحاب الإتجاه الديني لكي تحكم بعد الخميني.

كذلك قد يكون هنالك من يتساءل: وما الذي يتحقق من إعادة العلاقات الدبلوماسية مع مصر، علماً بأن معظم دول الخليج تتبادل العلاقات مع مصر وكأنما ليست هناك قطيعة؟

والجواب عن ذلك هو أن إعادة العلاقات معناها إقرار بالحل الأميري إنما بصيغة غير مباشرة، ذلك أنه عندما يكون هنالك تبادل تمثيل دبلوماسي بين مصر وإسرائيل يقابله إقرار بهذا الواقع من جانب العرب، فهذا معناه أن التطبيع العربي - المصري سيساعد على بلورة صيغة التعايش في المنطقة بشكل أفضل.

وإلى ذلك إن مثل هذا الأمر سيحيي مشاريع ومقترحات لم تكتب لها فرصة الإنطلاق في مثل قرارات قمة فاس ومشروع الملك فهد.

ويبقى أننا في الأسطر السابقة عرضنا معلومات وأفكاراً تدور وراء كواليس القمة الإسلامية. وفي العادة أن القرارات والمشاريع الكبرى تبدأ وراء الكواليس. وفي هذه المعلومات والأفكار ما يشكل إجابة عن الحضور المبكر للرئيس حسني مبارك إلى القمة الإسلامية لشعور منه أنها قمة مصر، وإلصاقه قبل القمة، وربما بعدها، على أن إتفاقية كامب ديفيد لن تلغى. كذلك أن هذه المعلومات والأفكار ما يشكل إلى حد ما إجابة عن هذا الإصرار من جانب إيران على أن تبقى الحرب مستمرة. والأهم من هذا كله كيف أن أميركا وإسرائيل متعاونتان منذ سنوات كي لا تتوقف الحرب إلا بعد إعادة العلاقات الدبلوماسية من جانب العرب مع مصر، وهي خطوة تغني عملياً وضع المنطقة بين أيدي الحل الأميري.

وعندما تعاد العلاقات العربية وبشكل رسمي وكامل مع مصر التي ترتبط بمعاهدة كامب ديفيد فهذا معناه أن الكلمة ستكون للحل الأميري.

يبقى أيضاً أن السيناريو المطروح لا يلغي إحتمال حدوث مفاجآت وإن كل من الجائز الإفتراض أن أميركا وإسرائيل وإيران وضعت الدول العربية في موضع المضطر إلى إختيارات صعبة ومنها من دون أن تقطع مصر علاقتها بإسرائيل.

وعندما تفعل أميركا ذلك فعلى أساس معرفتها بتمسك العرب بالقاعدة التي تقول إن للضرورة أحكاماً وبأن

للإتحاد السوفياتي ظروفه التي لا تحقق له أكثر مما تحقق.

... إلا إذا أقدمت بعض الدول العربية بالرد على إتفاقية كامب ديفيد بما هو أقل من الإتفاقية إنما أكثر بكثير من معاهدة للصداقة والتعاون مع الإتحاد السوفياتي، وهذا مستبعد لأسباب تتعلق بإستقلالية القرار الوطني.

مجلة "التضامن". لندن - 31 كانون الثاني (يناير) 1987

* * *

إنطباعات من القمة الإسلامية الخامسة وعنها (3 مقالات)

• المقالة الأولى: جابر عثرات مصر والتضامن

ذهبنا إلى الكويت قلقين خائفين. القلق ليس على سبق صحفي قد يفوز به غيرنا وإنما من أن نشيخ هناك آخر محاولة لجمع الصف العربي والإسلامي بدل أن نكتب عن القمة التي دعت الكويت إلى عقدها في أراضيها. أما الخوف فعلى الكويت من أن تدفع الثمن غالياً جداً لأنها تستضيف قمة يعارضها الجار الشرس والعنيد والرافض لكل الأصول والخارج على روحية دين يأمر بالمعروف وينادي بالتسامح وينهي عن المنكر والفحشاء... والحروب التي لا هدف لها سوى التدمير والعبث بالأرواح والقيم.

وحتى اللحظة التي بدأت فيها الطائرات التي تقل الملوك والرؤساء المسلمين من العالم العربي وأفريقيا والشرق الأقصى تحط في أرض مطار الكويت، كنا وما زلنا قلقين خائفين، ولقلق والخوف ما يبررهما، ذلك أن آيات الله في إيران يهددون ويتوعدون في حين أن القمة الإسلامية، وفي الكويت بالذات، كانت الفرصة المناسبة لهم للخروج من شرقة وضعوا أنفسهم فيها. ولكنهم مع الأسف الشديد لا يريدون للعالم الإسلامي أن يهدأ أو يستقر وإلا لكانوا أتوا وشاركوا وناقشوا واتخذوا الموقف الذي يريدونه. ولما كانوا تصرّفوا على أساس أن الإسلام هو إسلامان: إسلام الـ 45 دولة وهي كلها شاركت في القمة الإسلامية الخامسة وإسلام الدولة المتعبة وهي وحدها التي تفردت بالتغيب ونعني بها إيران.

ولكن الإصرار الكويتي على عقد القمة وإصرار بقية

دول العالم الإسلامي على أن تشارك في المؤتمر، فضلاً عن التأييد المعنوي الدولي من جانب الإتحاد السوفياتي بشكل علني والدول الأوروبية عبر قنوات دبلوماسية للمؤتمر، جعلت القلق والخوف يتبددان وتحل محلهما موجة تفاؤل وثقة كبيرة بالنفس.

وخلال ثلاثة أيام لعلها أصعب الأيام في تاريخ المؤتمرات العربية والإسلامية تأكدت بعض الحقائق التي كانت تحتاج إلى إختبار ومنها أن أمير دولة الكويت كان "جابر عثرات التضامن العربي والإسلامي"، إضافة إلى أنه الشيخ جابر الأحمد الصباح وأنه أيضاً جابر خواطر عربية وإسلامية مكسورة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر خاطر المصري بدليل أن مردود الرئيس حسني مبارك من القمة الإسلامية الخامسة كان وفيراً جداً وأن ما حصل عليه الرئيس المصري في ثلاثة أيام من دعم معنوي لم تتمكن معاركه السياسية والدبلوماسية من تحقيقه في ثلاث سنوات، وأن ما حصل عليه ياسر عرفات لمنظمة التحرير الفلسطينية كشرعية في الدرجة الأولى، وما حصل عليه الرئيس أمين الجميل للشرعية اللبنانية أيضاً، ما كان من السهل لهما الحصول عليه خارج هذا التجمع الإسلامي-العربي الكبير.

كذلك تأكدت حقيقة كانت هي الأخرى تحتاج إلى إختبار متعلق بالدبلوماسية الكويتية حيث أن "ديبلوماسية صباح الأحمد" كرّست نفسها كمدرسة على درجة عالية من التميز بدليل أنها أوصلت القمة الإسلامية التي كانت محفوفة بالمخاطر إلى مشارف النجاح بعدما كانت هنالك توقعات بأنها في طريقها إلى حافة الهاوية.

وقد يقال ما الذي حققته القمة الإسلامية ما دامت الحرب العراقية - الإيرانية مستمرة، وما دامت عودة مصر ما زالت عالقة ولم تتمكن اللباقة الكويتية من تحقيق لقاء غير رسمي بين الرئيس حسني مبارك والآخرين؟

ومن هذه الزاوية تبدو القمة متعثرة ولم تحقق النتائج المرجوة، إلا أن النظر إلى النتائج من زاوية أو زوايا أخرى يجعل المرء يرى أن القمة نجحت ونجحت أكثر مما كان المرء يتوقع.

نجحت في أنها لم تتأجل.

ونجحت في أن مكان الإنعقاد لم يتغير.

ونجحت في أنها عزلت الحكم الإيراني وأظهرته على أنه ضد إرادة العالم الإسلامي.

ونجحت في أنها أوجدت مشاعر قائمة على أن إيران

تتحمل مسؤولية أي ضرر يحدث، بل إن الشعور الذي ساد هو أنه حتى إذا أصيب أحد في حادث سيارة فإن المسؤولية تقع على إيران.

ونجحت في أنها حققت الأمن بالحد الأدنى من إزعاج الناس بحيث أن الشكوى كانت دون ما هو متوقع. ونجحت في أنها جعلت الطرف الذي يتغيب عن هذه القمة غير مريض عنه من الآخرين.

وفي ضوء هذا النجاح فإن ما يمكن أن تفعله الكويت خلال السنوات الثلاث التي ستنأثر فيها الدورة الخامسة كثير. ومن المؤكد أنها ستتحرّك وفي الحركة بركة. وستتابع والمتابعة هي ما كانت تفقده مشاكل المنطقة. وستعمل بصدق في مساعيها ووساطاتها بعدما كانت المساعي الحميدة والوساطات تتعثر لأن أصحاب المساعي والوساطات كانوا يفكرون بما سيعود عليهم من المكاسب أكثر من التفكير بأن حرباً طالت بين العراق وإيران ويجب أن تتوقف، وأن عذاباً طال في لبنان ويجب أن ينتهي، وأنه بعد كل هذه المطاردة للقضية الفلسطينية فإن القضية في أشد الحاجة إلى مَنْ يرعاها بدل أن يطاردها.

وصحيح أن القمة الإسلامية في الكويت كانت عادية كنتائج إلا أنه عندما يصبح الإنعقاد في حد ذاته أمراً مستعصياً، كما هي حال القمة العربية التي تتعثر ولا تتعدّد كما هو مقرر في الرياض، فإن القمة الإسلامية تكون ناجحة ما دام تم عقدها.

بل قد يجوز القول إنه بعد قدرة الدبلوماسية الكويتية على تأمين أجواء طيبة أمكن تحت ظلها عقد القمة الإسلامية، ليس بالأمر المستبعد السعي من أجل عقد القمة العربية في الكويت أيضاً.

وعقد هذه القمة كان أمنية توقع الكثيرون حدوثها في الكويت. ولكن الفرحة لم تتم وإقتصر الأمر على قمة خماسية تم عقدها يوم الخميس 29 كانون الثاني/يناير 1987.

وعملياً إن هذه القمة كانت قمة بالمعنى الكامل لأن الذين شاركوا فيها كانوا رموزاً أكثر من أن يكونوا فقط أطرافاً. وعندما نتأمل في الذين حضروا يتبين لنا ذلك. لقد حضر الملك فهد هو كبير القوم في التجمع الخليجي ورمز البلد الذي من المقرر إستضافة القمة العربية فيه، وبدا في حضوره كمن يجدد الدعوة إلى عقد القمة العربية، فضلاً عن أنه بدا كمن يمثل السلطان قابوس والملك الحسن

الثاني في القمة الخماسية. وحضر الرئيس حافظ الأسد الذي يعرقل دائماً القمة العربية بمقاطعته لها وبدا كمن يقول إنه بات أكثر إستعداداً للمشاركة في القمة العربية المقبلة. وحضر الملك حسين الذي بدا، خصوصاً بعدما توجه من الكويت إلى بغداد، أنه كان يمثل إلى حد ما الرئيس صدام حسين في القمة الخماسية. وحضر الرئيس الشاذلي بن جديد الذي بدا أنه ينوب إلى حد ما عن الفلسطينيين بشقيهم الملتف حول الشرعية والمعارض لها، وكذلك ينوب إلى حد ما عن الرئيس معمر القذافي. وحضر أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الذي دشّن حملة الترحيب بالرئيس حسني مبارك وبدا كمن يقول إن رأيه بالرئيس مبارك وبدور مصر كما أورده في الخطاب الذي إفتتح به القمة الإسلامية هو الرأي نفسه الذي يمكن أن يقوله في القمة العربية الخماسية.

وقد يقال: وماذا عن الآخرين ولماذا لم يحضروا؟

والجواب هو أن الآخرين (من القادة الذين شاركوا في القمة الإسلامية) من الرئيس أمين الجميل إلى الرئيس أحمد الميرغني إلى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان إلى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني إلى الشيخ عيسى بن سلمان إلى الرئيس الموريتاني والرئيس الجيبوتي ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات لا مشكلة لهم مع القمة العربية وليسوا عقبة في وجه إنعقادها.

ولقد تصرف الكويت على أساس أن القمة الخماسية يمكن أن تتطور، بل إن رئيس وفد الكويت إلى القمة الإسلامية الشيخ سعد العبدالله رئيس وزراء الكويت وولي العهد أبلغ الأمين العام للجامعة العربية نبأ هذه القمة يوم الثلاثاء 27 كانون الثاني/يناير 1987 وقال له ما معناه إنه إذا نجحت القمة وتوصّل القادة إلى أرضية فإن الأمين العام يمكن أن يهيئ نفسه إلى لقاء عربي غير رسمي لمجرد إنتهاء القمة الإسلامية.

لماذا لقاء غير رسمي؟

وما الذي فعله الرئيس الأمين العام غير القول للشيخ سعد بأنه قبل أن يغادر تونس إستتفر مساعديه وأعد الملفات للقمة العربية وكأنها ستعقد في الكويت. وأدخل بكلامه هذا البهجة في نفس ولي العهد الكويتي؟

مجلة "التضامن". لندن - 7 شباط (فبراير) 1987

* * *

• المقالة الثانية: المستحيل بات ممكناً

في اللقاء الذي تم يوم الثلاثاء 27-1-1987 بين وليّ عهد الكويت ورئيس الوزراء الشيخ سعد العبدالله والأمين العام للجامعة العربية الشاذلي القليبي، على هامش إجتماعات القمة الإسلامية التي كانت بدأت أفضل بداية تم التفاهم على التحضير لـ "اللقاء العربي غير الرسمي".

ومثلما أن الشيخ سعد وجه الطلب بحماسة الحريص على تحقيق هذا اللقاء، فإن الشاذلي القليبي تجاوب بحماسة مع الأمين العام للجامعة إستبد به الحنين إلى رؤية قمة عربية تتعقد.

واللافت للإنتباه أن الجانبين إتفقا سلفاً على تفادي كلمة "قمة عربية" وإعتبار الإجتماع أنه "لقاء عربي غير رسمي".

وهما إتفقا للأسباب الآتية:

أولاً- إن للقمة طقوساً لا يمكن تجاوزها مثل الإجتماع التمهيدي لوزراء الخارجية وإعداد جدول أعمال وموافقة ثلثي الدول الأعضاء على عقدها.

ثانياً- إن الظروف شاعت أن لا يشارك شخصياً في الحضور الملك الحسن الثاني والسلطان قابوس والرئيس صدام حسين والعقيد علي عبدالله صالح والعقيد معمر القذافي والرئيس الحبيب بورقيبة. وعندما يكون هؤلاء موجودين في الكويت وتتعدّد القمة شيء وعندما تتعدّد قمة في الكويت وهم غير مشاركين شيء آخر.

ثالثاً- إن عقد إجتماع له صفة القمة، بينما الرئيس حسني مبارك يشارك في القمة الإسلامية ولكنه لا يشارك في القمة العربية سيبدو أمراً خارجاً عن السيناريو الكويتي الذي يستهدف إستعادة مصر خطوة خطوة.

رابعاً- إن عدداً من الملوك والرؤساء قد يجدون حرجاً في المشاركة في قمة جنباً إلى جنب مع مسؤولي الصف الثاني والصف الثالث الذين نابوا عن حكاهم في الحضور إلى الكويت.

خامساً- إن من المهم جداً أن ينعقد لقاء عربي موسّع خلال إنعقاد القمة الإسلامية، ومن النوع الذي يتجاوز اللقاءات الثنائية التي لها طابع البروتوكول. وإذا حدث أن أنهت القمة الإسلامية أعمالها ولم ينعقد هذا اللقاء فإن ذلك سيكون بمثابة إنتكاسة للدور الكويتي.

وقال الأمين العام للشيخ سعد العبدالله: إن الأمانة العامة جاهزة لكل الإحتمالات وأن فريق العمل المتقدم الذي يساعد الأمين العام جاهز للإنتقال فوراً إلى الكويت

بالملفات التي هي مُعدة سلفاً على أساس أن القمة العربية عندما تكون دورية ولا تتعقد ثم تتأجل وتتأجل ويتكرر التأجيل فإنها تتحول إلى حدث طارئ، بمعنى أنها يمكن أن تتعقد في أي لحظة ومن أجل ذلك فليس من مصلحة الأمين إلا أن تكون ملفات القمة جاهزة دائماً.

وهكذا تم التفاهم على أن يجتمع بعض أهل القمة ويتشاوروا. فإذا إتفقوا على تحويل إجتماعهم إلى قمة كاملة فإنه يتم الإعداد للأمر على وجه السرعة ويتم الإتصال بالذين لم يأتوا إلى قمة الكويت من أجل أن يلتئم الشمل وتحدث المعجزة. أو يتم الإكتفاء بها كقمة شكلية ولا تكون رسمية ولا حتى تصدر عنها مقررات وإنما يكثر الإنتقاط الصور لها. ويبدو أن الإتفاق كان شبه مستحيل، أو على حد قول الشاعر تعددت الأسباب والموت واحد. بمعنى أن واحداً من الأسباب التي تَرَدّد أنها السبب في أن القمة لم تتعقد يكفي. ولكن الإشارة إلى هذه الأسباب توضح نوعية العقد الذي تتحكم بالقرار العربي.

من هذه الأسباب أن الحرب العراقية - الإيرانية وتطوراتها تستدعي المزيد من التريث.

تريث! بعد كل هذا الذي حدث ويحدث! تريث! نعم ومع الأسف الشديد قال بعض الذين إجتمعوا إن الأمر يحتمل التريث.

من الأسباب أيضاً أن الرئيس مبارك يشارك في القمة الإسلامية وإذا حدث أن تم عقد قمة عربية، فإن أصول التعامل تقول إن الرئيس مبارك ضيف، وضيف عزيز على الكويت والخليجيين الذين تتعقد القمة الإسلامية في ديارهم. وهؤلاء بعفويتهم يرون أن الرئيس مبارك ما دام موجوداً في الكويت فيجب أن يشارك في قمة عربية إذا حدث إن تم الإتفاق على عقد هذه القمة من دون التوقف عند الشكليات.

ويجب أيضاً أن يشارك ما دامت القمة بالسيناريو الكويتي المرسوم لها هي قمة شكلاً لا موضوعاً.

لكن في الوقت نفسه كان هنالك من يرى أنه صحيح أن الرئيس مبارك أخ ويشارك في القمة الإسلامية، إلا أن العلم الإسرائيلي يرفرف في سماء القاهرة كما أن شمعون بيريز زار الرئيس مبارك في مصر. ومن أجل ذلك يجب ألا نتسرع ونكون موضوعيين ونترك للزمن يساعد مصر على أن تستعيد مكانها بالتدرج.

وكان هناك من يرى أيضاً أن الرئيس مبارك ما زال يطالب الآخرين بالموافقة على القرار 242 ولذا فإن

حضوره ولو في لقاء غير رسمي سيعمّق الخلاف. لكن يبدو أن مثل هذا الإتجاه لم يكن راسخاً لأن مناقشته بين الزعماء الخمسة الذين شاركوا في اللقاء لم تتجاوز الدقائق القليلة.

نصل من هنا إلى أن هذه الأسباب مجتمعة، وقد تكون هنالك أيضاً أسباب تتفرع منها، هي التي جعلت الحلم ينحسر إلى حد أن القمة العربية المؤمل عقدها بعد إنتهاء أعمال القمة الإسلامية قد تضاءلت فرص نجاحها بحيث بات هناك من يتحدث عن قمة عربية وإنما غير رسمية، ثم عن قمة يتم إنقاط صورة تذكارية لها لا أكثر وتضم جميع الملوك والرؤساء العرب من الذين شاركوا في القمة الإسلامية يقفون أمام عدسات المصورين، ثم إنتهى الأمر إلى لقاء بين خمسة من الملوك والرؤساء يشكّلون رموزاً لواقع الحال العربي.

وعلى رغم أن اللقاء الذي يجوز تسميته "لقاء مُعد سلفاً" وعبر قنوات البروتوكول لملوك ورؤساء شاركوا في قمة الكويت الإسلامية، وهي تسمية طويلة جداً لكنها تعكس تماماً طبيعة اللقاء الذي حدّث.

واللافت للانتباه أن الأمين العام للجامعة العربية كان بعد هذا اللقاء وبعد إنتهاء أعمال القمة الإسلامية متفائلاً أكثر من أي مناسبة مضت. وقد يكون التفاؤل مبنياً على الإنطباعات التي خرج بها الأمين العام من زيارته الثنائية لمعظم الملوك والرؤساء حيث وجد الجميع مرتاحين وغير مشدودي الأعصاب. وهو لولا تعقيدات المنصب لكان شمل الرئيس حسني مبارك بزيارة، كذلك ربما قد يكون الذي جعله أكثر تفاؤلاً من أي مناسبة مضت هو الحديث الذي أجراه مع إثنين من ملوك القمة وهما الملك فهد بن عبد العزيز والملك حسين. وسمع الأمين العام من الملك فهد كلاماً يبعث في النفس الإرتياح وإتفق معه على أن يلتقيا في الرياض في الأسبوع الثاني من شباط (فبراير) 1988 على هامش إجتماعات المجلس الإقتصادي والإجتماعي العربي الذي سيعقد في الرياض. أما ما سمعه الأمين العام من الملك حسين فهو تأكيد العاهل الأردني في الحديث الذي إستغرق نصف ساعة على دغمه لعمل الجامعة العربية وضرورة أن يواصل الأمين العام جهوده من أجل إنعقاد القمة.

في ضوء هذه المعطيات وهذا الجو المشبع بالتفاؤل يخطط الأمين العام للجامعة العربية من أجل أن يستأنف مع وزير خارجية الجزائر أحمد طالب الإبراهيمي السعي،

وفي الأيام القليلة المقبلة، من أجل أن تتعقد القمة. وهو يعلق أهمية كبرى على أنه عندما سيلتقي الملك فهد بن عبد العزيز فإن خادم الحرمين الشريفين سيكون عائداً لتوه من فترة تأمل وراحة في البر وهذا يعني - كما عوّد الملك فهد من يعينهم الأمر - أنه أكثر إستعداداً لمناقشة قرارات كبرى.

وقرار عقّد القمة العربية في الرياض كما يتمنى الجميع، أو خارج المملكة العربية السعودية إذا تطلّب الأمر، بات قراراً كبيراً من النوع الذي يحتمل التأجيل. ولهذه الإنطباعات بقية أخرى.

مجلة "التضامن". لندن - 14 شباط (فبراير) 1987

* * *

• المقالة الثالثة: من الخرطوم عام 1967

إلى الكويت بعد عشرين سنة

في الوقت الذي بدأ الملوك والرؤساء الذين شاركوا في القمة الإسلامية الخامسة يستعدون لمغادرة الكويت وتبدّد الأمل في أن يلي إجتماعات القمة الإسلامية لقاء عربي على مستوى القمة من دون أن يكون هذا اللقاء رسمياً، وجدت نفسي أمام مقارنة بين القمة الإسلامية التي تم عقدها في الكويت وبين القمة العربية التي تم عقدها في الخرطوم عام 1967.

ذلك أن الظروف التي كانت تواجهها الأمة عام 1967 تشبه في بعض أوجهها الظروف التي تعيشها الأمة بعد عشرين سنة.

أيام قمة الخرطوم كان الجرح العربي ينزف بسبب تفاقم الخلافات ونتيجة تزايد حدة الصراع بين المملكة العربية السعودية ومصر حول اليمن. وكانت هذه القمة لن تبدو مجدية على الإطلاق إذا تم عقدها من دون تحقيق المصالحة الأساسية وهي مصالحة الملك فيصل والرئيس عبد الناصر. ومثل هذا الأمر كان واضحاً جداً منذ اللحظة التي بدأ فيها المسؤولون السودانيون يخططون لإستضافة القمة.

وبعد حوالي عشرين سنة فإنه كان واضحاً للمسؤولين الكويتيين أن القمة الإسلامية التي يستضيفونها للمرة الأولى لن تكون مجدية إذا كانت نسبة الحضور غير العربي فيها تفوق نسبة الحضور العربي، وإذا كان

الحضور العربي لن يتم توظيفه بالشكل الذي يحقق نسبة من الإنفراجات. ولعلمهم في سبيل ذلك بذلوا جهوداً لدى بعض الدول العربية تفوق ثلاثة أضعاف ما بذلوه مع بقية الدول الإسلامية العربية وغير العربية. بل لعله من الجائز القول إن نصف وقت وجهد الدبلوماسية الكويتية كان مع ست دول عربية ورابع الوقت والجهد فقط مع إيران، أما الربع المتبقي فكان لبقية الدول المسلمة العربية وغير العربية وهي الدول التي تتضرر من فشل قمة الكويت وتجنّي الكثير من المكاسب المادية والمعنوية إذا كُتِبَ لهذه القمة أن تتجح.

وأيام قمة الخرطوم عبّر السودانيون عن إبتهاجمهم بإنعقاد القمة العربية للمرة الأولى في بلادهم بطريقة بدت أنها كانت أحد العناصر الضاغطة في إنجاح القمة. فهم بغفويتهم المطلقة وحرصهم على إظهار ترحيبهم بضيوفهم تصرّفوا، ومن دون أن تطلب الدولة منهم ذلك - ولعل الدولة بشخصية الأزهرى ومحجوب إعتمدت أسلوب الإيحاء ونجحت - على أن عليهم واجب التجمهر وواجب مشاركة الدولة إستقبال الملوك والرؤساء، بحيث لا يكون هذا الإستقبال رسمياً وفاتراً وإنما رسمياً وشعبياً وعلى درجة عالية من الدفء. ومن المؤكد أن منظر السودانيين الذين إستقبلوا الملك فيصل وعبد الناصر كان له أثره في القرارات التي تم التوصل إليها. بل قد يجوز القول إفتراضاً أنه في الفترة بين إنطلاق الموكب الموحّد من مطار الخرطوم ووصوله إلى "فندق السودان" كان الزعيمان العربيان الكبيران قد إعتبرا أن السودانيين الذين وقفوا جنباً إلى جنب وعلى مسافة إثني عشر كيلومتراً وتحت شمس حارقة، إنما يقولون للملك فيصل ما معناه إنك على خلاف حاد جداً مع عبد الناصر لكن الخرطوم هي مكان مناسب لإنهاء هذا الخلاف، وكانوا يقولون أيضاً لعبد الناصر ما معناه إن إسرائيل هزمتك لأنك وحدك والمهم أن تعود من الخرطوم ومعك من يساندك لأن الصراع العربي-الإسرائيلي طويل.

وبعد حوالي عشرين سنة نجد أن الكويتيين قالوا - إنما فقط بالنسبة إلى مصر - بدور مماثل حيث أنهم كتجار وبشخص رئيس غرفة التجارة أكدوا على أمر أساسي وهو أن مصر يجب أن تستعيد دورها ومكانتها. وموقف تجار الكويت - العفوي أو الموحى به من الدولة - قبل أسبوعين من إنعقاد القمة الإسلامية وزيارة وفد منهم إلى مصر للبحث في الإستثمار ثم تعميم تصريحات لرئيس غرفة

التجارة الكويتية بينما القمة الإسلامية تواصل أعمالها، هو إلى حد مثل موقف السودانيين الذين إستقبلوا الموكب السعودي- المصري المشترك بطريقة جعلت (الراجلين) الملك فيصل والرئيس عبد الناصر يقرران فتّح صفحة جديدة من التعاون.

عام 1967 كان صراع القوى المصري - السعودي هو محور التصرف السوداني الرسمي والشعبي، الذي كان السمة الأساسية للقمة العربية التي عُقدت سنذاك.

وبعد عشرين سنة من الصراع فإن صراع القوى المصري- السوري كان محور التصرف الرسمي والشعبي والذي كان السمة الأساسية للقمة الإسلامية التي جرى عقدها في الكويت.

وقد يقال إن الذي حدّث في الخرطوم عام 1967 لم يتجاوز مسألة مساندة مالية حصل عليها عبد الناصر من المملكة العربية السعودية ودول النفط، وذلك لأن الصراع السعودي- المصري إستمر وهو مستمر إلى الآن، وهذا أمر طبيعي يفرضه واقع الدولة عندما تكون ذات شأن مالي أو إستراتيجي أو الأمرين معاً.

والرد على ذلك هو أن هذا الإستنتاج ليس دقيقاً تماماً وأن ما حدّث في الخرطوم كان يمكن أن يشكّل نقطة تحوّل في تاريخ التعامل السياسي في المنطقة لولا أن الأقدار سارت في إتجاه معاكس، حيث أن رُجلِي "صيغة الخرطوم للوفاق العربي" ونعني بهما إسماعيل الأزهرى ومحمد أحمد محجوب قد تم إسقاطهما ثم إنتقلا إلى رحمة الله. ثم جرى إغتيال الملك فيصل بعدما كانت حدثت وفاة عبد الناصر. وهكذا فإن أبطال الصيغة غابوا عن المسرح واحداً بعد الآخر وفي الوقت الذي لم تكن الصيغة قد نضجت بما فيه الكفاية.

كذلك قد يقال إن الذي حدّث في الكويت في الأسبوع الأخير من شهر يناير 1987 ليس أكثر من مصلحة إستندت إلى قاعدة المساندة المالية، وهي مساندة تشكّل بالنسبة إلى الرئيسين حسني مبارك وحافظ الأسد جرعة إنعاش لوضع إقتصادي مرتبك، وهذا إلى حد ما صحيح.

لكن الأمر سيصحح أكثر من ذلك ما دامت هناك قيادة كويتية متفقة تماماً حول دور مصر وكيف يجب إستعادتها، وما دامت هنالك طبقة التجار التي مارست على هامش قمة الكويت، وبالتكليف من الدولة أو بالإجتها، دوراً سياسياً مهماً تمثّل بالإلتفاف حول مصر. وأهمية هذا الدور أنه سيجعل الحُكم السوري يحسب له

حساباً كبيراً، ذلك أن هذا الحُكم عندما يرى أن تجار الكويت هم أيضاً مع مصر وليست الدولة فقط فإن مصلحته عندئذ هي في تفهّم هذه الحقائق المستجدة.

وبعد الآن من المهم متابعة موقف تجار الكويت ومعظم رجال الأعمال الخليجيين بكثير من الإهتمام، فلأن هؤلاء بدأوا يرون في إستمرار الحرب العراقية-الإيرانية ما يشكّل تهديداً كبيراً لمصالحهم، ووجدوا في القمة الإسلامية مدخلاً مناسباً لكي ينشطوا ويكون لهم دور يتدرج بحيث يصبح مع الوقت على شيء من الأهمية، وهم من أجل ذلك ساندوا أركان الدولة في فترة التحضير للقمة وفي أيام إنعقادها، وستستمر المساندة بعد ذلك خصوصاً أن دورهم كان له أثره في الوفاق المصري - السوري، على رغم أن هذا الوفاق سيحتاج إلى المزيد من الوقت قبل إخراجهم من الوضع الذي هو عليه.

وإذا جاز التشبيه فإن هذا الوفاق وضعه الكويتيون في الحاضنة التي يوضع فيها عادة الذين يولدون غير مكتملي النمو أو قبل الوقت الطبيعي. وهذا الوفاق سيكون في منأى عن المفاجآت غير السارة نتيجة أن الكويتيين كدولة وكتجار سيسهرون عليه، لأنهم يريدون له أن ينمو ويكتسب صحة ويكون نموذجاً لحالات وفاق عربية أخرى لاحقة ويتطلعون إلى تحقيقها في سنوات رئاستهم للعمل الإسلامي.

مجلة "التضامن". لندن - 21 شباط (فبراير) 1987

* * *

أقل كثيراً من التكامل

وأكثر قليلاً من العلاقة العادية

في أعقاب الزيارة الرسمية الأولى التي قام بها إلى مصر رئيس وزراء السودان الصادق المهدي أذيع يوم السبت 21 شباط (فبراير) 1987، وكان رئيس الحكومة السودانية ما زال في القاهرة، "ميثاق الإخاء" الذي هو مزيج من مبادئ للتعايش وأفكار للتعاون.

ولو أن "ميثاق التكامل" الذي تم إبرامه بين الرئيسين أنور السادات وجعفر نميري، ثم واصل العمل به كإرث الرئيس حسني مبارك، كان موضع التطبيق الفعلي وكان

هنالك تفاعل شعبي يرافق خطوات مبادئه وبنوده لكان بدا "ميثاق الإخاء" أنه إتفاق بين السودان وماليزيا، أو بين السودان وموريتانيا، وليس بين السودان والدولة التي تربطها أواسر التاريخ والبيئة والجغرافيا. وهذه الدولة هي مصر التي يجوز لها أن تعتبر نفسها شقيقة وليست أختاً للسودان كما صنّفها "ميثاق الإخاء".

وقبل أن نعرض ما يلفت الإنتباه في هذا الميثاق نرى أن من الضروري الإشارة إلى أن "ميثاق الإخاء" هو أقل كثيراً من "التكامل" وأكثر قليلاً من العلاقة العادية، وأنه نتيجة طبيعية لتراكمات من الحساسية والحذر بدأت مع جمال عبد الناصر الذي كرّس التقليد الذي يقول بأن علاقة العالم مع السودان تمر عبر مصر، ثم إستأنفها أنور السادات الذي تعامل مع السودان على أنه تابع لمصر، وتمثّل ذلك بقوله الذي كان يردده في كل مناسبة وخلاصته: إن مصر والسودان نصف العالم العربي، وأن أمن السودان مسؤولية مصرية، بل إن هذين القولين وعبارات أخرى من هذا النوع باتت مادة مألوفة في الخطب التي كان يلقيها السادات، وهي كثيرة، وفي الأحاديث الصحافية التي كان يدلي بها وهي أيضاً كثيرة.

وللهولة الأولى بعد قراءة "ميثاق الإخاء" يخرج المرء بإنتباع أن هذا الميثاق هو من صياغة الصادق المهدي، وأن الرجل أمضى الوقت الكثير في إختيار الكلمات التي تتسجم مع تراكمات الغضب في نفسه من أسلوب مصر عبد الناصر، ثم مصر السادات، في التعامل مع السودان. كذلك أن المرء يخرج بإنتباع آخر وهو أن "ميثاق الإخاء" هو ميثاق بين حزب الأمة الذي يتزعمه الصادق المهدي وبين مصر، وأن المهدي أراد أن يقول من خلال عبارات كثيرة وردت في الميثاق أن الحد الأقصى الذي يمكن أن يقدمه "السودان - حزب الأمة" هو ما ورد في الميثاق.

وبالنسبة إلى حكومتين فإن "ميثاق الإخاء" يبدو أمراً مقبولاً وذلك على أمل تطوير هذا الميثاق في مراحل لاحقة على أيدي رئيسي الدولة. ولعل الرئيس حسني مبارك الذي تفهّم المشاعر السودانية، والذي من خلال متابعتة الدقيقة لأسلوب مصر في التعامل مع السودان في الماضي، كان يهيمه في الدرجة الأولى هو أن تتم زيارة الصادق المهدي إلى مصر كي يزيل من الأذهان الإنتطباع السائد بأن العمق الشعبي لمصر في السودان هم فقط الإتحاديون وطائفة الختمية بشكل عام. وما أراد الرئيس مبارك تحقّق وعلى درجة عالية من الدقة والرقى.

ونأتي الآن إلى بعض ما يلفت الإنتباه في زيارة الصادق المهدي، وفي "ميثاق الإخاء". وعلى النحو الآتي نسجل في الأسطر الآتية ما يبدو أنه ملفت للإنتباه:

- لقد تمت الزيارة وصدر "ميثاق الإخاء" من دون التطرق إلى مسألة الرئيس السابق جعفر نميري. ومثل هذا الأمر يبدو كما لو أنه قرار بواقع الحال يمكن تجاوزه وتركه للزمن.

- إن "ميثاق الإخاء" تفادى الإشارة من قريب أو من بعيد إلى إتفاقية "كامب ديفيد". وصودر الميثاق وقد خلا من الإشارة إلى هذه الإتفاقية، سلباً أو إيجاباً، هو نوع من الإقرار بأن الميثاق هو حالة تقاهم على ألاّ يتدخل السودان في شؤون مصر السياسية وإتفاقاتها الدولية وبالعكس.

- من الواضح أن الصادق المهدي إنسجماً مع مهمته في إزالة آثار العهد الماضي (أي حُكم نميري) يريد إلغاء كلمة "التكامل" من قاموس التعامل السياسي. ولعله من هذا المنطلق حرص على تضمين الميثاق عبارة تشير إلى أن "الإخاء" هو خطوة أولى نحو "التآخي والترابط".

وهنا يبدو تعبير "التآخي والترابط" بمثابة بديل لكلمة "التكامل" إلاّ إذا كان "التآخي والترابط" تعبيراً عن حالة تعامل تحتاج في أي حال إلى تفسير.

- صحيح أن "ميثاق الإخاء" فاتر، وخال من الحيوية، إلاّ أنه تضمّن مبادئ يمكن تطويرها، في حين أن "التكامل" كان، إذا جاز التعبير، بمثابة حلف بين حكمين، أو بالأحرى صيغة تعاون ذات طابع وحدوي تشير بنودها المعلنة ولجانها الكثيرة التي تشكلت لهذا الغرض إلى أنها "تكامل" طموحه التوصل إلى الإتحاد أو الوحدة، وتشير بنوده السرية غير المكتوبة وغير المعلنة إلى أنه حلف بين نظامين يؤازر بعضهما الآخر.

- إن "ميثاق الإخاء" مناسب للجميع في السودان، إلاّ إذا كان الحزب الإتحادي، شريك حزب الأمة في الحُكم، سيعتبر وتعتبر معه طائفة الختمية أن مصر تستحق ما هو أكثر بكثير من "ميثاق الإخاء" فيتخذ من خلال رئيس الدولة، أو من خلال بيان، موقفاً يضع التعامل مع مصر في مرتبة أعلى بكثير من تلك التي وضعها فيها "ميثاق الإخاء" الذي ابتكره وصاغه ووَقَّع عليه بإسم السودان الصادق المهدي. وفي مثل هذه الحال فإن مصر قد تشعر ببعض الحرج الذي يمكن أن ينشأ وبصعب تطويق آثاره.

- قد يجوز القول إن "ميثاق الإخاء" لم يحقق تقدماً ولكنه قطع الطريق على حدوث مشكلة بين مصر والسودان وأن سببها أن نصف الحُكم السوداني (أي الحزب الإتحادي)

متفاهم إلى أبعد الحدود مع مصر، والنصف الآخر (أي حزب الأمة) غير متفاهم على الإطلاق مع مصر.

- من المهم الأخذ في الاعتبار أن الذي ساهم في تسريع قيام الصادق المهدي بالزيارة، هو أن القمة الإسلامية في الكويت تعاملت مع الرئيس مبارك بطريقة أعيد فيها الكثير من الاعتبار إلى مصر، وفي مثل هذه الحال فإن عدم تفاهم الصادق المهدي مع مصر على صيغة ما للتعاون لا يكون لمصلحة المهدي. ومن هنا تمت الزيارة. ومن هنا أيضاً كان "ميثاق الإخاء" الذي يبدو مثل إعلان "التوأمة" الذي يتم بين عاصمتين حتى إذا كانت كل منهما في قارة، أو كان المذهب المعتنق من قبل العاصمتين مختلفاً عن الآخر.

- إن "ميثاق الإخاء" وُلد في ظل حُكم ديمقراطي في السودان حيث يتقاسم الحُكم الحزبان الأقوى وهما "حزب الأمة" و"الحزب الإتحادي الديمقراطي" وحُكم ديمقراطي آخر في مصر حيث يحكم حزب الدولة (الحزب الوطني) مع الإبقاء على مساحة تحرّك لا بأس بها للأحزاب الأخرى (باستثناء الإخوان المسلمين والشيوعيين).

ومثل هكذا ولادة صحية تعني أن "ميثاق الإخاء" يجب أن يتطور. والذي يمكن قوله في هذا الشأن، هو أنه إذا كان الرئيس مبارك إرتضى هذا الميثاق بصيغته التحفظية الباردة لأسباب تكتيكية، فإن من مصلحة زعامة الصادق المهدي تطوير هذا الميثاق على وجه السرعة، وبذلك يزيل وبشكل نهائي أسباب الجفاء مع مصر، وتصبح مصر سنداً لزعامته التي تطمح إلى ما هو أكثر مما هي عليه الآن هذه الزعامة، أي بكلام آخر، إن الصادق المهدي الذي يتطلع إلى أن يكون هو رئيس السودان بصلاحيات فضفاضة من مصلحته وقوف مصر معه. وهي ربما لا تقف إذا كان كل ما سيعطيه لها هو "ميثاق الإخاء" فقط.

وما يمكن أن يعطيه الصادق المهدي كثير. ويكفي تطبيع العلاقات المصرية - الليبية بحيث تصبح مثل العلاقات المصرية - السودانية. وما يربط الصادق المهدي بالعقيد القذافي يشجع على القول إن في إستطاعة المهدي أن يعطي الكثير، شرط ألاّ يتعامل مع الخلاف المصري - الليبي بالطريقة التي تعامل فيها مع الحرب العراقية - الإيرانية. وفي "ميثاق الإخاء" نظرة ليست موضوعية، بما فيه الكفاية، للحرب، وهي نظرة من صياغة الصادق المهدي، ولا تتسجم تماماً مع نظرة مصر، لكن الطرفين إلتقيا على تضمينها الميثاق فقط لتسهيل ولادة هذا الميثاق. وتتلخص هذه النظرة

حل لحروب الأرض قبل "حرب النجوم"...

هل أن هذه التطورات التي حدثت في الأسابيع الخمسة الأخيرة تعني أن الدولتين العظميين قررتا الإتفاق على حل لحروب الأرض قبل أن تتقعا على إيجاد حل لحرب الفضاء، أو الحرب التي تُعرف بإسم "حرب النجوم".

والتطورات المشار إليها عبارة عن مواقف لم تكن بالوضوح التي هي عليه الآن، ولم تتبلور بالشكل الذي تبلورت فيه خلال الأسابيع الخمسة الأخيرة.

ومن خلال إلقاء نظرة على هذه التطورات يتبين لنا الآتي:

• إن الولايات المتحدة لم تتخذ طوال سنوات من الحرب العراقية- الإيرانية الموقف الذي إتخذته قبل أيام، وخلاصته أن هذه الحرب يجب أن تتوقف وأن إيران هي المسؤولة عن إستمرار هذه الحرب.

وحتى إذا كان هذا الموقف يبدو في بعض جوانبه كما لو أنه لتصحيح الموقف الآخر، والذي يتمثل في إمداد حُكم رجال الدين في إيران بالسلاح والذخيرة، فإنه في أي حال يبدو خطوة إيجابية ويبدو أيضاً كما لو أن الولايات المتحدة شجعت من الحرب العراقية - الإيرانية.

• إن الإتحاد السوفياتي لم يتخذ هو الآخر طوال سبع سنوات من الحرب العراقية - الإيرانية الموقف الذي إتخذه قبل أيام، وعبر عنه الرئيس السوفياتي أندريه غروميكو بالقول لوزير خارجية إيران علي أكبر ولايتي الذي كان في زيارة رسمية إلى موسكو: "إن الإهتمام الرئيسي يجب أن ينصبّ على ضرورة إيقاف الحرب بينكم وبين العراق. فليس من مصلحة شعبكم توسيع مساحات مقابر قتلى الحرب. وحسب قناعاتنا فإن من الضروري البحث عن حل أكثر تعقلاً. وإننا نكرر ما سبق أن قلناه أكثر من مرة للقيادة الإيرانية، وهو أن يوماً واحداً من الحرب أسوأ من خمس سنوات من المفاوضات".

وحتى إذا كان هذا الموقف يبدو في بعض جوانبه كما لو أنه لوقف الإجهادات التي تزايدت في شأن تفسير الموقف السوفياتي والتي وصلت إلى حد القول إن الكرملين مع إستمرار هذه الحرب شأنه في ذلك شأن البيت الأبيض، فإنه في أي حال يبدو خطوة إيجابية.

• إن الدول الأوروبية بدأت في ضوء الموقفين الأميركي والسوفياتي تتحدث بلهجة جديدة عن الحرب

في العبارة الآتية: "يعبر الجانبان عن عمق أسفهما لإستمرار حرب الخليج التي كبدت المجتمع الإسلامي ككل خسائر فادحة في الأرواح وفي القدرات الإقتصادية والمادية للأمة الإسلامية، ولذا فإنهما يطالبان بإيقاف هذه الحرب على الفور ويؤيدان كافة الجهود السلمية المبذولة من أجل هذا الغرض. كما يؤيد الجانبان كافة الجهود المبذولة من أجل الحل السلمي لهذه المشكلة".

أما لماذا تبدو هذه النظرة غير موضوعية ما فيه الكفاية فلأنها غير عادلة، حيث أنها لا تحدد لماذا تستمر الحرب، ومن هو الطرف المسؤول عن إستمرارها، وبذلك تساوي بين الطرف الممعن في مواصلة الحرب (أي إيران) والطرف الذي يعمل جاهداً وصادقاً من أجل تحقيق تسوية عادلة للحرب، فضلاً عن أنها لا تلمس البعد القومي العربي لهذه الحرب مكتفية بالبعد الديني، الأمر الذي ينسجم مع مفهوم الصحة الذي إبتكره الصادق المهدي، ويشر به منذ أن كان معارضاً وحرص على أن تكون هنالك في "ميثاق الإخاء" إشارة له.

ويبقى أن أهم ما في زيارة الصادق المهدي إلى مصر أنها تمت، ذلك أن تأجيلها كان دائماً يضع العلاقات المصرية - السودانية على فوهة التأزم. أما النتائج فإنها متواضعة جداً. وعندما يعلن الصادق المهدي في ختام زيارته أنه تم الإتفاق بين مصر والسودان على الإكتفاء الذاتي، فهذا معناه أن الجانبين إتفقا على أمر لن يحدث، على الأقل في السنوات المتبقية من القرن العشرين، لأنهما أكثر دولتين تعانيان من الديون والمشاكل الإقتصادية.

يبقى أيضاً القول إنه إذا كان التكامل إتفاقاً بين الرئيس السابق جعفر نميري، والرئيس الراحل أنور السادات، فإن "ميثاق الإخاء" هو إتفاق بين مصر والصادق المهدي رئيس حزب الأمة، وهو الحزب الأقوى في السودان. وهذا معناه أن الفرصة ما زالت مؤاتية من أجل إتفاق مثالي بين مصر والسودان دولة وشعباً.

يحدث ذلك ومتى؟

الجواب في علم الغيب. هذا مع الأخذ في الإعتبار أن المصادفات شاءت أن يولد "ميثاق الإخاء" بين مصر والصادق المهدي في ذكرى وحدة لم يكتب لها العيش بين مصر وسوريا.

مجلة "التضامن". لندن - 28 شباط (فبراير) 1987

* * *

العراقية - الإيرانية. ومن المؤكد أن حديث هذه الدول سيزداد وضوحاً، وستكون الدول أكثر استعداداً لمواكبة موقف الدولتين العظميين لمجرد بروز موقف متجانس وشبه موحد لهاتين الدولتين.

تلك هي التطورات التي حدثت في الأسابيع الخمسة الأخيرة وتتعلق بالحرب العراقية - الإيرانية.

وسواء كان الموقف الأميركي جاء نتيجة للموقف السوفياتي أو أن الأمر لا يعدو كونه مصادفة، إلا أن ما حدث في جبهة النصر من جهة وما حدث في الكويت من جهة أخرى ساعد على ولادة هذين الموقفين. ومن الجائز الافتراض أن الإقترار العسكري العراقي هم في إجهاض الهجوم الإيراني الذي يستهدف إحتلال البصرة وإشتراك جميع الدول الإسلامية في مؤتمر الكويت بإستثناء إيران التي بدت معزولة، فضلاً عن إصرار الحُكم العراقي على مواصلة التعبير عن رغبته في إحلال السلام. من الجائز الافتراض أن هذه الأمور كانت العامل الذي جعل الدولتين العظميين ومن بعدهما الدول الأوروبية تعيد النظر في أسلوب تعاملها مع الحرب العراقية - الإيرانية وتتخذ موقفاً يبدو كما لو أنه خطوة أولى على طريق الإنحياز إلى وقف الحرب، بعدما كان الموقف يبدو محايداً إزاء الحرب أحياناً ومنحازاً إلى كل ما من شأنه أن يجعل هذه الحرب تتواصل أحياناً أخرى.

وتبقى ثلاثة أمور.

الأول هو أن الدولتين العظميين لم تتخذا الموقفين اللذين أشرنا إليهما من باب المسايرة وإنما إتخذتا الموقف الإستراتيجي الذي يفترض أن يأخذ طريقه إلى التنفيذ. فهل أنهما بعدما أعلننا الموقفين سيواصلان الضغط إلى حين ووقف الحرب؟

والأمر الثاني هو أن الحُكم الإيراني الذي يقوم على قاعدة المرجعية والفتاوى مطالب بأن يعتبر قول الرئيس غروميكو "إن يوماً واحداً من الحرب أسوأ من خمس سنوات من المفاوضات" هو بمثابة "فتوى" تأتي من شخص له صفة "المرجعية" إنما في شؤون الدولة وكيف تبنى، ومن شخص صاحب خبرة عريقة وتجربة خلّاقة في إقامة العلاقات مع زعماء العالم وبالذات زعماء العالم الإسلامي. والأهم من ذلك كله أن هذه "الفتوى" تأتي من جانب الرئيس غروميكو الذي هو في سن الخميني تقريباً، والذي عاش ويلات بلاده مع الحروب وعاش مصاعب التفاوض، ويحاول الآن ضمن قيادة قوية وواعية أن يبعد ما إستطاع

إحتمالات الحرب مع الولايات المتحدة ويقرب قدر الإمكان إحتمالات التعايش المثالي. وهذا القول عن الحرب والتفاوض يصدر عنه لا يصدر عن خوف لأنه رجل دولة لا تنقصه الشجاعة، وإنما هي نصيحة ربما تعمّد أن يقولها أمام ولايتي بصيغة "فتوى" على أساس أن الحُكم الإيراني هم حُكم الفتاوى، وعلى أساس أن جانباً من إستمرارية الحرب تعود إلى كثرة الفتاوى التي يُصدرها الخميني، وهي فتاوى لا تترك نافذة أمام السلام أو الحل العادل إلا وتغلّقها.

ولعل الحُكم الإيراني في ضوء شبع أميركا من الحرب العراقية - الإيرانية إلى درجة الشعور بالتخمة وبعد "فتوى" غروميكو، يتعظ وتصدر عنه فتوى يتم بموجبها إسقاط كل شروطه التعجيزية، ويجلس إلى طاولة التفاوض التي مهما طال النقاش حولها تبقى أفضل من الإقتتال، وذلك على أساس أن الكلام هو مادة التفاوض في حين أن الدماء هي مادة الإقتتال.

مجلة "التضامن". لندن - 7 آذار (مارس) 1987

العائد إلى القومية العربية

عندما نرى أن الرئيس معمر القذافي يفتح الأبواب التي كانت موصدة أمام الشرعية الفلسطينية، وتستأنف القيادات الفلسطينية زيارة الجماهيرية الليبية وتمهّد الطريق أمام لقاء القمة الليبية - الفلسطينية، فإننا نفرح لذلك.

وعندما نسمع بأن الرئيس القذافي يقول بالصوت العالي وفي الهواء الطلق إنه لن يقف بعد اليوم "إلا تحت مظلة القومية العربية" ويلوم في الوقت نفسه هذا الجموح من جانب أهل الحُكم الإيراني في إتجاه الحرب فإننا نطمئن إلى أن الرئيس الليبي بدأ يعيد النظر في موقف كان دائماً موضع علامة إستفهام من جانب قطاعات عريضة في العالم العربي، كانت تعلق بعض الآمال على الإندفاع اللافت للإنتباه من جانب العقيد القذافي نحو القضايا الوطنية والعربية، وذلك على أساس أن هذا الإندفاع يقترب بالسن الفنية من جهة والإمكانات المالية من جهة أخرى.

وطوال خمس سنوات كادت هذه القطاعات تصل إلى الإقتناع الكامل بأن العقيد القذافي تخطى عن الأجواء التي

أحدثها القلب الذي أطلقه عليه الرئيس (الراحل) جمال عبد الناصر وهو "أمين القومية العربية"، وإلا فما معنى أن يعامل الشرعية الفلسطينية بالطريقة التي عاملها بها ويرتضي مد الحُكم الإيراني بالصواريخ التي يطلقها هذا الحُكم بين الحين والآخر على بغداد بالذات، وكأنما هدف هذا الحُكم هو توسيع الهوة بين دولتين عربيتين وليس مجرد إلحاق أذى بهذا الحي أو ذاك في العاصمة العراقية. كذلك إن هدف الحُكم الإيراني من إستعمال هذه الصواريخ وعلى بغداد بالذات هو القول ما معناه إن هذا الصاروخ الذي تم إطلاقه اليوم هو صاروخ مصدره دولة عربية وأنه لولا حصولنا على هذا الصاروخ لما كنا أطلقناه. ومثل هذا الأمر معناه أن الغضب على المصدر الذي أتى منه الصاروخ سيكون أكثر من الغضب على الجهة التي أطلقت الصاروخ وهذا ما تسعى إليه إيران.

وعندما يقرر الرئيس القذافي العودة إلى القومية العربية ويقول إنه لن يقف بعد الآن إلا تحت مظلة هذه القومية فإنما يفعل الأمر البدهي. وهو أيضاً يصحح مفهوماً تعرضت معادلته إلى بعض الإهتزاز. والأهم من هذا كله أنه عندما يقرر أنه لن يقف إلا تحت مظلة القومية العربية فعلى أساس أن هذه المظلة تقي من يقف تحتها وعلى أساس أن قطاعات عريضة من الرأي العام العربي عرفته في السبعينات على أنه "أمين القومية العربية" وليس على أساس أنه سيكون في الثمانينات "آية الله القذافي" وأحبته الجماهير الفلسطينية على أساس أنه الدرع الممتلئ حيوية والمقتدر مالياً لدعم القضية التي تتطلع إلى نصرتها هذه الجماهير، وليس على أساس أنه سيكون في الثمانينات متفجراً على الأقارب والأجانب يعملون كل بطريقة على سفح دم، أو فلنقل، كبرياء الشرعية الفلسطينية. وهي (تلك القطاعات وهذه الجماهير) لو كانت تدري أن معمر القذافي السبعينات سيصبح في الثمانينات شخصاً آخر وصاحب مفاهيم أخرى لما كانت علقت عليه الآمال بالشكل الذي علقت.

والذي يأمله المرء هو أن تشكل عودة الرئيس القذافي إلى القومية العربية عنصر ضغط على الموقف الراهن، بحيث تساعد هذه العودة على ترجيح كفة العمل القومي بعدما مالت هذه الكفة في السنوات الخمس الماضية لمصلحة تيارات ضربت العمل القومي في أدق مفاصله حساسية.

وقد يجوز القول إنه مثلما أن الرئيس القذافي إبتعد عن القومية العربية في الوقت الذي كان العمل القومي يحتاج إلى تضافر جهود الجميع، فإن عودة الرئيس القذافي إلى القومية العربية تحدث (على ما يبدو) في الوقت الذي يبدو العمل

القومي في أشد الحاجة إلى ما هو أكثر من تضافر الجهود، ونكاد نقول إلى عملية إنقاذ. والذي نعرفه عن الرئيس القذافي أنه عندما يترجم مشاعره وقناعاته فإنه يترجمها بتطرف. وما يتمناه المرء في هذه الفترة بالذات هو أن تخضع ترجمة المشاعر إلى قاعدة الممكن والمستحيل في معزل عن أي مرارة في النفس نتيجة هذا الموقف أو ذاك.

كذلك قد يجوز القول إن عودة الرئيس القذافي إلى القومية العربية تحدث في وقت بات فيه من الضروري جداً تجميد تشخيص حالات الخلاف وتحديد الأخطاء والخطايا وتسمية المخطئين. وزيادة في التوضيح يمكن القول إن العودة تحدث في زمن بات لا بد فيه من إطفاء هذه الحرائق المشتعلة في المنطقة منذ عشر سنين. وضمن هذا المنطق فإن الإعتبار الذي يجب أن يسود هو أنه ليس هنالك أخطاء ولا مخطئون، وإعتبار الذي حدث مجرد إجتهاادات إذا كان ذلك يمكن أن يساعد على تحقيق الحل، وأغلب الظن أنه سيساعد.

ولقد كان المرء يتمنى لو أن في إستطاعته أن يوضح أكثر، لولا الخوف من أن يساء تفسير بعض الكلمات نتيجة لهذه الجبال العالية من المرارة وخيبات الأمل ونتيجة لهذه الأنهار من الدم العربي والإسلامي المهودر نتيجة أسباب كثيرة من بينها أن العمل القومي كان يعيش أزمة خانقة طوال عشر سنين لكنه بقي في منأى عن الخطر.

ويبقى أننا ونحن نعلق الكثير على قول الرئيس القذافي بأنه لن يقف بعد الآن إلا تحت مظلة القومية العربية، نجد أنفسنا أكثر إقتناعاً بأن الأخ معمر يتحدث هذه المرة بصيغة الراغب في الحسم وليس عن شغف بالتكتيكات. ومن أجل ذلك فإننا نبدو أكثر تفاؤلاً ولا نشارك إعتقاد الذين يقولون بصيغة التحفظ والتساؤل: هل سيتمسك العقيد القذافي بالموقف الجديد، وهو الذي عودنا أن يعيد النظر ويعود عن الإعادة؟

مجلة "التضامن". لندن - 14 آذار (مارس) 1987

الأوراق كثيرة.. والمهم أن يضغط

من الجائز الإفتراض أن الأسرة المالكة في بريطانيا لم تتشغل بزيارة رسمية يقوم بها إلى البلاد أحد حكام العالم مثل إنشغالها بتلك الزيارة التي سيقوم بها الملك فهد بن

عبد العزيز إلى بريطانيا يوم 24 آذار (مارس) 1987.

بل قد يجوز القول إن الملكة اليزابيث أرادت من وراء هذا الإهتمام أن ترد على كل مظاهر الإهتمام السعودي ببريطانيا من جهة، وبالزيارات التي قام بها أفراد من العائلة المالكة البريطانية إلى المملكة العربية السعودية من جهة أخرى. فضلاً عن أنها تريد أن تقول ما معناه إن هذا التشويش الذي يصدر في بعض المناسبات من جانب بعض وسائل الإعلام البريطانية هو موضع إستتكار قصر باكنغهام بالقدر الذي هو موضع إستتكار الديوان الملكي السعودي، وأنه إذا كانت الطقوس المعمول بها في بريطانيا تحيز لهذه الوسائل من صحف وتلفزيون أن تنتشر أحياناً على ما يبدو أنه إفتراء أو تجن، وتصل بها أجواء الحرية، التي لا قيود ولا ضوابط لها، إلى حد تناول الشؤون الخاصة للعائلة المالكة البريطانية نفسها، فإن ذلك لا يعني أن مثل هذا الأمر مقبول أو أنه غير مستنكر.

ومن مظاهر الإهتمام أن الذي سيستقبل الملك فهد بن عبد العزيز في مطار "غاتويك" هو وليّ العهد الأمير تشارلز وزوجته الأميرة دايانا. ومثل هذا الأمر إستثناء، حيث أن القاعدة المعمول بها هو أن يستقبل الحكام الزائرين في مطار "غاتويك" أحد أفراد الأسرة المالكة البريطانية من الصف الثاني إنما ليس وليّ العهد. أما الملكة اليزابيث فإن البروتوكول يقضي بأن تستقبل زوارها الرسميين في محطة فيكتوريا حيث أن الضيف ينتقل من "غاتويك" إلى المحطة في قطار ملكي.

ولو كان البروتوكول البريطاني من النوع الذي يسمح بالمرونة لكانت الملكة اليزابيث رفعت درجة الإهتمام بالزيارة بحيث تصل إلى الذروة. لكن هذه الزيارة ستبقى على رغم كل ذلك من النوع الإستثنائي على صعيد الإهتمام، ليس فقط لأنها لقاء بين أسرتين ملكيتين، وإنما لأن الظروف تشاء أن مصلحة الحكومة البريطانية تلتنق مع حرص العائلة المالكة البريطانية في الإهتمام بزيارة الملك فهد.

وتكليف الأمير تشارلز، أي ملك بريطانيا المقبل، بأن يستقبل الملك فهد بن عبد العزيز في مطار "غاتويك" ليس كل الإهتمام وإنما هنالك مشاركة جميع أفراد العائلة المالكة في حفلات التكريم.

وعندما تهتم بريطانيا، أسرة مالكة، وحكومة، بزيارة الملك فهد بن عبد العزيز فعلى أساس أن مثل هذا الإهتمام يشكل في بعض جوانبه أيضاً توظيفاً جيداً يعود بمرود

أكثر جودة. لكن قياساً بما حصلت عليه بريطانيا في السنين العشر الماضية من المملكة العربية السعودية يمكن القول إن على بريطانيا واجب الرد على ما حصلت عليه من المملكة السعودية بأكثر من اللياقات والإهتمام.

ما الذي في إستطاعة بريطانيا أن تفعله؟

إن الجواب عن ذلك هو أن في إستطاعتها أن تفعل أكثر مما لم تفعله بعد، وأقل مما هي قادرة أن تفعله.

بالنسبة إلى الحرب العراقية - الإيرانية تستطيع بريطانيا أن تفعل. وبالنسبة إلى الوضع اللبناني تستطيع بريطانيا أن تفعل. وبالنسبة إلى القضية الفلسطينية تستطيع بريطانيا أن تفعل.

والى ذلك إن في إستطاعة بريطانيا أن تفعل الكثير على صعيد بلورة الموقف الأوروبي مع الأخذ في الاعتبار أن هذا الموقف بات أكثر وضوحاً من قبل وبالذات بالنسبة إلى المؤتمر الدولي.

وفي هذا الصدد قد يجوز القول إنه إذا كان الموقف الأميركي محكوماً بتشابكات تجعل من الصعب على المملكة العربية السعودية ممارسة بعض الضغوط لمصلحة أكثر من قضية عالقة، فإن التشابكات التي تحيط بالموقف البريطاني تجعل أمر ممارسة تلك الضغوط وفي المناسبات - وهي كثيرة - التي تعبر فيها بريطانيا عن رغبتها في رفع مستوى التعامل التجاري أو إبرام صفقة سلاح من النوع الذي ينغش بعض جوانب الوضع الإقتصادي. لكن من المؤكد أنه بعد الآن لن يترك هذه المناسبات تمر من دون توظيفها في شكل أو آخر.

ولقد كان المرء يتمنى لو أن الملك فهد وقف خطيباً في لقاء مشترك لمجلس اللوردات ومجلس العموم يضع فيه وبكثير من الصراحة، حتى إذا غضبت الصحافة البريطانية، النقاط على الحروف بالنسبة إلى بعض القضايا وتحديداً بالنسبة إلى حرب الخليج وموقف بريطانيا من القضية الفلسطينية. ولكن برنامج الزيارة لا يتضمن مثل هذا اللقاء.

وتبقى أربعة أمور:

الأول هو أن الزيارة تتم في مرحلة عربية تميل نحو التهيدة والتعايش في إطار مصالحات محسوبة. وإذا كانت المصالحات في منطقة المغرب تبدو نشيطة أكثر من المصالحات الشرقية، فإن ذلك لا يعني أن خلافات أهل المشرق ستبقى كما هي الحال عليه. وفي هذا الإطار يستطيع الملك فهد أن يطلب من الحكومة البريطانية ما

وزيارة بريطانيا ومن قبل الجزائر تشكّل خطوات أساسية على صعيد الإنفراج العربي الذي هو حلقة في مسلسل حلقات الإنفراج الدولي. بل إنه الحلقة الأهم.. هذا إذا كان الملك فهد سيحوّل زيارته إلى مزيج من تبادل اللياقات والمصالح.

ومن حق العالم العربي على الملك فهد أن يفعل ذلك ما دام يمسك بيده كل هذه الأوراق التي لها شأنها.

مجلة "التضامن". لندن - 21 آذار (مارس) 1987

* * *

تجميد الدعم يؤلّد توحيد الصف

هنالك مؤشرات كثيرة توضح، مع بعض التحفظ، بأن الصف الفلسطيني سيتوحد، أو، إنه على أبواب حالة متواضعة من التوحد. ومنذ بضعة أشهر تدور في الكواليس ووراء الأبواب المغلقة، والمُحكمة الإغلاق، مناقشات ويتم عرض أوراق عمل ويحدث الكثير من الأخذ والرد في شأن قضايا بدهية.

وصحيح أن تعدّد الآراء هو ظاهرة صحية، إلا أن الأمر بالنسبة إلى التنظيمات الفلسطينية ليس تعدّد آراء بقدر ما هو تعدّد ولاءات، وكل تنظيم يستعد من منطلق ولأته للإنقضاض على التنظيم الآخر. وإذا نحن ألقينا نظرة على ساحة العمل الفلسطيني لرأينا وبكثير من الوضوح كم أن الولاءات أكثر من أن تحصى وكلها على رقعة صغيرة من هامش بسيط جداً يتواجد عليه الفلسطينيون.

واللافت للانتباه أن التنظيمات الفلسطينية لا تريد أن تأخذ في الاعتبار حقيقة المشاعر الراهنة للرأي العام العربي نحوها، وهي مشاعر ليست ودية بما فيه الكفاية، أو بالقدر المطلوب، وإن ذلك، إضافة إلى عدم الإكتراث بالهموم الفلسطينية وعدم المساندة كما يجب، ناشئ عن ضجر الرأي العام من إستمرار هذه الإنقسامات في الصف الفلسطيني. وعندما يسمع المواطن العربي أن أبناء التنظيم الواحد منقسمون إلى حد العداوة، وأنهم لا يعيدون النظر في هذا التنافر على رغم الذي أصابهم، فإنه لا يكثرث، وعندما لا يكثرث فإن دوره كعنصر ضغط لمصلحة العمل الفلسطيني يصبح باهتاً.

وفي الإطار نفسه قد يجوز القول إنه لو كان هنالك

تتمنى هذه الحكومة أن يطلبه. ونعني بذلك تصحيح مسار العلاقات البريطانية مع كل من سوريا والجمهورية الليبية. فهل أن الملك سيفعل ذلك؟

أما الأمر الثاني فهو أن الزيارة هي الثالثة يقوم بها خادم الحرمين الشريفين منذ أن أصبح ملكاً بعد الزيارة الأولى التي قام بها إلى الولايات المتحدة، والزيارة الثانية التي قام بها إلى الجزائر. والدول الثلاث تشكّل رموزاً أساسية بالنسبة إلى موضوع الحرب العراقية - الإيرانية والقضية الفلسطينية.

وإلى ذلك إن هذه الزيارات مؤشّر إلى أن الملك فهد سيوسّع بعد الآن حلقة الزيارة الرسمية بحيث يلبي المزيد من الدعوات الموجهة إليه.

والأمر الثالث هو أن لزيارة بريطانيا بُعداً آخر حيث أن حزب المحافظين باق في الحُكم سنوات أخرى على ما يبدو.. ووجود المحافظين في الحُكم أمر ترتاح له المملكة العربية السعودية. وقد يكون من المناسب هنا الإشارة إلى أن علاقة المملكة بحزب المحافظين بدأت تقوى بعد الزيارة التي قام بها الملك (الراحل) فيصل بن عبد العزيز عام 1967 وكان الحزب الذي يحكم سنذاك هو حزب العمال. ولقد حرص الملك فيصل بعدما أنهى محادثات مع هارولد ولسون على أن يلتقي بادوارد هيث زعيم حزب المحافظين المعارض. أما ثاني ملوك السعودية الذين زاروا بريطانيا بدعوة من الملكة اليزابيث فكان (الراحل) خالد بن عبدالعزيز والذي بسبب خصوصية العلاقة بين المملكة العربية السعودية وحزب المحافظين وجد نفسه بعدما صادف أن حدث خلال زيارته إلى بريطانيا عام 1981 العدوان الإسرائيلي على المفاعل النووي العراقي يكتب وهو في قصر بكنغهام رسالة إحتجاج شديدة اللهجة بعث بها إلى الرئيس رونالد ريغان ولا يتسبب بحرج للعائلة المالكة أو الحكومة البريطانية لأنها حكومة المحافظين.

وأما الأمر الرابع فهو أن زيارة الملك فهد إلى بريطانيا تتزامن مع ترؤس المملكة العربية السعودية للعمل العربي. حيث أن مجلس الجامعة سينعقد على مستوى وزراء الخارجية بين 25 مارس والثلاثين منه في تونس. وهذه الدورة للمجلس التي ستستغرق ستة أشهر ستكون برئاسة السعودية.

وفي هذه الأشهر الستة قد تُحقّق المملكة العربية السعودية ما هو مؤمل منها تحقيقه ونعني بذلك عقد القمة العربية.

بشقيّه المعنوي والمالي، وفي هذه المرحلة بالذات، يولد التوحد.

وأغلب الظن أن اللقاءات العربية الأخيرة شملت في جملة ما شملته هذه المسألة بكثير من التركيز. وتتأول مثل هذه المسألة بالبحث هو لمصلحة الصف العربي - الفلسطيني ضمن معادلة ترى أن القضية الفلسطينية تحتاج إلى رعاية وإلى حل، وليس إلى هيمنة وإستعمالها كورقة يتم تجييرها إلى طاولة الكبار.

مجلة "التضامن". لندن - 28 آذار (مارس) 1987

* * *

الحد الأدنى والحد الأقصى للرد على تصدير الثورة

في غياب العمل القومي من الطبيعي أن يحدث هذا الذي حدث في تونس.

وبصرف النظر عن التفاصيل والخطط، أو المخططات، التي كانت تدبرها بعض العناصر المحلية بدعم من الحُكم الإيراني، فإنه بات واضحاً أن هذا الحُكم مصمم على تصدير الثورة بمفهومه إلى كل دولة عربية، وأنه ينتهز حالة التعثر التي يعيشها العمل القومي فيتحرك هنا، وينشط هناك.

وقياساً بما حدث في لبنان فإن التطبيق الحرفي لأسلوب تصدير الثورة لن يقتصر على مواقف لفظية وإنما سيتعداه إلى العنف الذي هو من مواصفات الثورة الإيرانية. والعنف الذي نشير إليه، أدناه التظاهرات والعصيان وتسجيل المواقف اللفظية، وأقصاه إحتجاز الرهائن وتفخيخ السيارات.

وإختيار تونس بالذات لتصدير أساليب الثورة الإيرانية إليها ليس جديداً وإنما يعود إلى السنة الثانية لحُكم الآيات في إيران، عندما إختار هؤلاء ثلاثة رجال دين من "خبراء تصدير الثورة" لكي يكونوا سفراء في ثلاث عواصم من بينها تونس. بل إن السفارة الإيرانية في تونس هي إحدى أهم السفارات الإيرانية على الإطلاق تليها السفارة الإيرانية في الفاتيكان (بهدف الوقية بين العالم العربي والقيادة الدينية للكاتوليك في العالم) والسفارة الإيرانية في إحدى

نضال فلسطيني فعّال، وهنالك عمليات ينفّذها المقاتلون الفلسطينيون يومياً أو أسبوعياً أو شهرياً أو في المناسبات لكان من شأن هذه العمليات أن تغطي على ظاهرة الإنقسامات، ولكان سيبدو الأمر للآخرين أن هذه التنظيمات منقسمة في شأن نوعية النضال، بمعنى أن هنالك من يرى أن يبقى النضال محدوداً ويستمر طويلاً، بينما هنالك من يرى التصعيد حتى إذا إقتصر النضال على عمليات نوعية قليلة ولا تتدرج تحت بند النفس الطويل. لكن عندما لا تحدث هذه العمليات ويكون النضال الفلسطيني في حالة تنويم دولي أو تحت تأثير المخدر العربي، فإن إستمرار الإنقسامات وكثرة المناقشات تصبح مستهجنة ويزداد إبتعاد المواطن العربي عن الإهتمام بالعمل الفلسطيني. وهذا ما يحدث منذ فترة طويلة.

واللافت للإنتباه أن الإنقسامات الفلسطينية مشرقية، وأن محاولات التوحيد مغربية، بمعنى أن وراء الإنقسامات قوى وطموحات أطراف عربية (الحُكم السوري على سبيل المثال) بينما الذي يقوم بمحاولات التوحيد طرفان مغربيان (نسبة إلى المغرب العربي) هما الحُكم الجزائري والحُكم الليبي. ويوم السبت 1987/3/21 كانت خيمة العقيد معمر القذافي الصحراوية تشهد جلسة ضمت أكثرية رموز الجانب الفلسطيني الذي يحتفظ على قيادة ياسر عرفات، أو يناسبه الخصومة الحادة، هذا إذا كنا لن نقول العدا. وعندما تتعد هذه الجلسة وتتلوها جلسة أخرى يحدث ذلك قبل لقاء المصالحة المتوقع بين العقيد القذافي وياسر عرفات، وقبل الإنعقاد المحتمل للمجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر قريباً، فهذا يعطي الجلستين أهمية كبرى.

لكن المرء يجد نفسه على رغم ذلك يستبعد إمكانية أن تتحقق وحدة الصف الفلسطيني ما دامت وحدة الصف العربي غير قائمة، إلا إذا كانت التنظيمات الفلسطينية تريد أن تضحى من أجل إستقلالية موقف يساعد على ولادة الصف الفلسطيني الموحد.

كذلك إن المرء يجد نفسه أيضاً يستبعد إمكانية أن تتحقق وحدة الصف الفلسطيني إذا كان ذلك لن يحدث ضمن التلويح بتجميد الدعم المالي والمعنوي من جانب بعض العرب للتنظيمات الفلسطينية، وتجميد الدعم المالي الخليجي لبعض التنظيمات (وليس منظمة التحرير بأي حال) ولكل طرف عربي رسمي لا يريد للصف الفلسطيني أن يتوحد. ونقول ذلك على أساس أنه مثلما أن الضغط يولد الانفجار والتدخل يولد الإنقسام، فإن تجميد الدعم

العواصم العربية الصعبة.

وقد يجوز التساؤل هنا: ولماذا إختيار تونس بالذات لتكون السفارة الإيرانية فيها إحدى أهم سفارات إيران في الخارج؟

والجواب ببساطة هو أن تونس باتت رمز العمل القومي بعد نقل الجامعة العربية إليها. ومع أن هذا الرمز بطيء الخطوات إلا أنه يبقى رمزاً. ففي تونس تتم اللقاءات العربية. وفي غياب القمة العربية فإن هذه الاجتماعات التي تتم في تونس على مستوى وزراء الخارجية العرب كلما نشأت مشكلة عربية في مشرق العالم العربي أو مغربه، تعوِّض إلى حد تلك القمة التي لا تتعقد.

وبما أن ذلك يحدث في تونس وهو قابل للتطور نحو الأحسن فإن الحُكم الإيراني يزعه ذلك، وهذا نتيجة أن كل خطوة تخطوها الدول العربية في إتجاه العمل القومي تشكّل حجر عثرة أمام خطط تصدير الثورة الإيرانية إلى الخارج. وإزاء ذلك فإنه يسعى إلى تقويض هذا العمل على رغم أنه يشكّل الحد الأدنى.

ولا بد أن الذين يشرفون في طهران على خطط ومخططات تصدير الثورة يدركون جيداً أن سقوط تونس التي تستضيف الجامعة العربية، ومنظمة التحرير الفلسطينية، سيتسبب في حدوث فراغ، ذلك أنه من الصعب وإلى درجة الإستحالة أن تكون تونس في ظل حُكم يقوده تيار ديني متطرف ومتحالف مع إيران، مقرأ للجامعة العربية، أو لمنظمة التحرير الفلسطينية التي تستمد شأنها من الدول العربية، وتحديدًا من بعض هذه الدول. ومثل هذه الإستحالة تعني أن الجامعة العربية لن تجد عاصمة تستضيفها وبالتالي لا يعود للعمل القومي العربي عاصمة إلا إذا وجدنا أنفسنا فجأة أمام قرار بنقل الجامعة العربية إلى جيبوتي نتيجة أن "آيات الله التوانسه" وضعوا اليد على تونس.

واللافت للإنتباه أن حُكم رجال الدين في إيران الذي ينادي بتصدير الثورة لا يختار حتى الآن سوى الدول العربية لكي يتولى تصدير ثورته الإسلامية إليها، في حين أن هنالك الكثير من الدول الإسلامية في طول العالم وعرضه. ومثل هذا الأمر يؤكد أن حرب إيران هي على القومية العربية مستغلة في ذلك بعض الظروف الإجتماعية من جهة والتعثر الذي يرافق العمل القومي حيث إن الدول العربية لا تتفق على الحد الأدنى.

واللافت للإنتباه أيضاً أن تصدير الثورة إلى تونس

يحدث في وقت عجز فيه حُكم الآيات عن تحقيق ما وعدوا به بالنسبة إلى الحسم على جبهة العراق، وفي وقت وصلت فيه الأحوال الإقتصادية والتناقضات الإجتماعية داخل إيران إلى درجة خطيرة. وهذا يجعلنا نتساءل: إذا كان رجال الدين الذين يحكمون إيران عاجزين عن تقديم حلول لأوضاع إيران ومشكلاتها الإقتصادية والإجتماعية، وعاجزين عن معالجة مشكلة البطالة التي يعالجونها مؤقتاً بتوريد الفتية والشبان إلى لهيب الحرب بعد تزيين الأمور لهم، فهل أنهم قادرون على أن يفعلوا شيئاً لتونس ولمشكلاتها الإقتصادية والإجتماعية لكي يلتف أصحاب الإتجاه الديني في تونس حولهم ويحدث بينهم نوع من التنسيق الذي يستهدف حُكماً يبقى، بكل المقاييس، حكماً قومياً يتبادل مع القضية العطاء، بمعنى أنها أعطته بقدر ما أخذت منه.

ويبقى أن الذي حدث في تونس هو حلقة في سلسلة حلقات. وإذا كانت العيون الإيرانية ساهرة ونشاط حُكم الآيات لا يتوقف من أجل تصدير الثورة، فهل أن مطالبة الدول العربية بالتيقظ والمطالبة بالرد يصبح مستغرباً؟ وهل أننا يجب أن ننتظر إلى حين تسود الحقبة الإيرانية في العالم العربي؟

وتكراراً إن الحُكم الإيراني الذي حقق ما أرادته وخطط له في إيران، لن يتوقف عن التحرص بتونس وسيواصل التحضير لعمل مماثل في السودان، وفي المغرب، وفي الجزائر، وفي مصر، ذلك أن خطته تقوم على تفخيخ الأوضاع في أي بلد يعيش ظروفاً يسهل فيها تفاقم الصراع لأسباب إجتماعية، أو لتعدد القوميات.

وإذا كنا لن نرد على ذلك بتنشيط العمل القومي وتعزيز شأنه فإن أموراً كثيرة قد تتساقط.

لقد أن أوان المصالحة العربية بعد تفاقم أمر هذه الهجمة غير العربية على العرب، سواء كانت هذه الهجمة أميركية، أو إسرائيلية، أو من الثورة الإيرانية التي تمنينا أن تكون سندا للعرب، فإذا بها تعتبر القومية العربية فريسة تطاردها من بيروت إلى تونس إلى... في سبيل ضرب هذه القومية وكل عمل قومي.

وإذا كان "آيات إيران" يعرفون أن تصدير الثورة لا يتم إلا عن طريق ضرب العمل القومي العربي، فهل كثير علينا مواجهة خطط التصدير بمزيد من التماسك وبعمل قومي أدناه تعزيز شأن الجامعة العربية وعقد القمة العربية العادية التي نأمل من الملك فهد بن عبد العزيز أن يحسم

أمر عقدها في الرياض، وأقصاه "الإتحاد العربي" الذي ينشط في سبيله العقيد معمر القذافي كحل وسط بين الوحدة التي لا يحدث إقبال عليها، وبين التمزق السائد منذ سنوات في العالم العربي؟ إنه ليس كثيراً حدوث ذلك، وإنما هو واجب... بل فريضة.

مجلة "التضامن". لندن - 4 نيسان (أبريل) 1987

* * *

الفتنة والبرلمان

في الوقت الذي كانت جبهة الإنتخابات النيابية في مصر تشهد ضجيجاً لا مثيل له في تاريخ الحياة السياسية المصرية، كان عدد من مفكري مصر ومتقفيها يناقشون بجدية مسألة في غاية الأهمية ونعني بها مسألة الفتنة الطائفية التي تحاول تهديد مصر وتتمنى أن تعصف بطمأنيتها وبظاهرة التعايش بين الطوائف فيها. وليس مصادفة، بقدر ما هو تدبير أو مخطط شرير، حدوث هذه الفتنة في الوقت الذي دعا الرئيس حسني مبارك إلى إجراء إنتخابات أراد منها التأكيد بأن البلد مستقر وأن الديمقراطية باقية.

ولسنا هنا في صدد معالجة أمر هذه الإنتخابات وما إذا كان الهدف منها هو أن الرئيس مبارك يريد أن يكون له برلمانه وإنما نحن في صدد التمني بأن يكون هذا البرلمان هو السلطة الشعبية التي ستتجح في إطفاء نار الفتنة الطائفية التي بدأت محاولات إشعالها تتخذ طابع الخطورة.

وإذا كانت محاولات الذين يسعون إلى إشعال هذه النار لا تبدو مجدية بسبب عفوية الوعي في صفوف الشعب المصري، إلا أن المعالجة الرسمية لهذه المحاولات تبدو في بعض جوانبها غير كافية، حيث إن هذه المعالجة تفتقد إلى مخاطبة عقل المواطن ووجدانه وليس فقط توجيه المواعظ إليه.

ومن هذه الزاوية نتابع بإهتمام بالغ المحاولة التي إنبثقت عن "ندوة الوحدة الوطنية" التي عُقدت في 23 مارس (آذار) الماضي في مقر الجامعة العربية في القاهرة والتي نظمها "جمعية تضامن المرأة العربية" مع "المنظمة

المصرية لحقوق الإنسان".

وفي تلك الندوة طرح الكاتب المصري المستتير في المسائل الإسلامية خالد محمد خالد فكرة تشكيل لجنة تم التفاهم على تسميتها "لجنة الإخاء القومي" تتولى التصدي للفتنة الطائفية في مصر. ولقد لقيت الفكرة ترحيباً ملحوظاً من قبل عدد من المفكرين والمتقفين بعضهم يمتن الكتاب وبعضهم الآخر سبق له أن شارك في المسؤولية السياسية. ولقد بادر هؤلاء وأعلنوا إنضمامهم إلى هذه اللجنة التي قد تتطور من دون أن يدري أصحابها فتصبح حزباً، بل والحزب الأقوى في مصر مع مرور الوقت.

واللافت للإنتباه إن المنضمين إلى هذه اللجنة نادراً ما يلتقون حول فكرة توحيد فيهم الصف والهدف، إلا أنهم وجدوا في لجنة تتصدى للفتنة الطائفية ما يوحد الصف والهدف وتلك ظاهرة على درجة عالية من الصحة والحيوية.

والمنضمون إلى اللجنة وفق ما توافر من معلومات هم: الدكتور وحيد رأفت، محمد حسنين هيكل، خالد محمد خالد، نجيب محفوظ، الدكتور لويس عوض، أمينة السعيد، الدكتورة نوال السعداوي، الدكتور زكي نجيب محمود، الدكتور يوسف إدريس، الدكتور شريف حتاتة، الدكتورة ليلي تكلا، الدكتور فرج فودة، عبد الرحمن الشرقاوي، سيد ياسين، لطفي الخولي، الدكتور مراد غالب، أحمد حمروش، منى مكرم عبيد، الدكتور ميلاد حنا، الدكتور كمال أبو المجد، الدكتور عبد الغفار خلاف، محمد إبراهيم كامل، محمد فائق ومنصور حسن.

وتلك ليست كل الأسماء، ذلك أنه لا يكاد يمر يوم إلا وينضم إلى هذه اللجنة كاتب أو مفكر أو سياسي.

وللوهلة الأولى فإن نقطة الضعف في تكوين هذه اللجنة هي في الوقت نفسه نقطة قوة. وزيادة في التوضيح يمكن القول إن نقطة الضعف هي أن هذه اللجنة التي نشأت في غفلة عن الدولة وفي معزل عن التصورات الرسمية لن يلقي أعضاؤها المساندة الرسمية المطلوبة، مثل إتاحة الفرصة أمامهم لنشر كتابات في الصحف القومية. وتخصيص الوقت لهم في التلفزيون والإذاعة من أجل أن يتحدثوا في شأن الفتنة الطائفية. أما نقطة القوة فتكمن في أن هؤلاء يملكون المصداقية التي يمكن أن تغيد إذا هم كتبوا أو تحدثوا. فلكل من هؤلاء جمهوره، ولكل تاريخه في ميدان الفكر والسياسة. وعندما يكون هؤلاء هذا

معادلة جديدة يطرحها القذافي

قبل يوم من لقائي بالعقيد معمر القذافي حدثت في الجماهيرية مفاجأة كان لها وقع الحدث الكبير على الناس. ومثلما هو مألوف فإن بطل المفاجأة كان العقيد القذافي نفسه.

وتمثلت المفاجأة في أن العقيد القذافي ظهر على شاشة التلفزيون الليبي في نشرة الأخبار الرئيسية في التاسعة مساء الخميس 26 آذار/ مارس 1987 مترئساً إجتماعاً مع أعضاء اللجنة الشعبية العامة وأمناء اللجان الشعبية في البلديات، أي مع السلطة التنفيذية التي تدير شؤون الدولة وفق مفهوم العقيد القذافي للدولة وهدياً بما يتضمنه «الكتاب الأخضر» من أفكار ومبادئ في هذا الشأن.

و في هذا اللقاء وعلى مدى حوالى ساعة قال كلاماً أحدث حالة إرتياح في نفوس الناس وبدا كلامه كما لو أنه مراجعة لبعض المفاهيم التي تضمنها الفصل الخاص بالشؤون الاقتصادية من «الكتاب الأخضر».

وقبل أن نعرض خلاصة ما قاله العقيد القذافي خلال إجتماعه مع قادة العمل التنفيذي في الدولة، نجد من الضروري التوضيح بأن هذه المراجعة تتزامن مع حالتين مماثلتين على صعيد المبدأ، ونعني بهما حالة المراجعة التي تشهدها الصين الشعبية لتجربة التطبيق الاشتراكي، وكذلك حالة المراجعة التي يسير بها قُدماً في الإتحاد السوفيياتي غورباتشوف، وهما حالتان قد تشكّلا خلال بضع سنوات ما هو أكثر من المراجعة وأقل من التحول بحيث تصبح الماركسية عقيدة على درجة عالية من المرونة وبحيث تتيح هذه العقيدة للمواطن حريتي القول والعبادة وفق مفهوم متوازن. كذلك إننا نجد من الضروري التوضيح بأن العقيد القذافي كان حريصاً لمجرد أن أنجز نظريته الاقتصادية على أن يتم التطبيق وبالسرية الفائقة. ولعل الثغرات التي حدثت إنما جاءت نتيجة لتلك السرعة في التطبيق. لكن في الوقت نفسه قد يجوز القول إنه لو كان هنالك تباطؤ في التطبيق لما كان هنالك مجال لحدوث الصدمة الكهربائية وهي مطلوبة عند تحويل أي نظرية من فكرة إلى تطبيق.

وعندما إلتقيتُ بالعقيد القذافي في اليوم التالي لإجتماعه بقيادات العمل التنفيذي في الدولة وأعلن في الإجتماع عن المراجعة بما هو أكثر من الإحياء، وافقني على تشخيصي

الجمهور الكبير فإن كلمة الواحد منهم ستكون مسموعة أكثر من الموعظة، خصوصاً أنهم سيتحدثون بلغة المنطق.

وأغلب الظن أن طبيعة ولادة هذه اللجنة هي التي قد تولّد بعض الحساسيات لدى الدولة في مصر، وبالذات كون اللجنة أفرزتها ندوة محسوبة بلغة أهل النظام على الرافضين أو اليساريين أو المعارضين بشكل عام.

كذلك إن اللافت للإنتباه أن هذه اللجنة تضم للمرة الأولى اليميني إلى جانب اليساري، وهذا معناه أن خطر الفتنة الطائفية يجب أن يوجد الصف، كذلك معناه أن إخواننا في مصر إستفادوا من الذي جرى للبنان وللبنانيين من شر الفتنة.

يبقى أن السؤال الأساسي هو ليس في إتساع رقعة هذه اللجنة التي قد ينضم إليها عشرات السياسيين والكتّاب والمفكرين والممثلين الذين لم يقدموا بعد على الإنضمام إليها. وإنما السؤال هو:

ما الذي يمكن أن تحقّقه هذه اللجنة ما دامت لا تملك سوى سلاح التنظير، الذي لا يمنع وقوع خطر ولا يحول دون إقتتال.

والجواب عن ذلك، هو أن المعركة مع الفتنة الطائفية هي في الدرجة الأولى معركة مواجهة بالتوعية والفكر والتنظير والتحذير من مخاطر، قد تكون خافية على من يملكون سلاح السلطة لكنها لا تخفى على المستبشرين من كتّاب ومفكرين وقادة رأي عام.

يبقى أيضاً إن "التضامن" وهي تتمنى أن تنجو مصر من شر الفتنة الطائفية، لتأمل أن يكون البرلمان المصري الجديد، الذي سيكون على الأرجح "برلمان مبارك" السلطة الشعبية التي تدعم هذا الإتجاه وتنشط في سبيل أن يؤدي هدفه في معزل عن حساسية هذا الوزير أو ذاك الوكيل.

والكلمة أولاً وأخيراً للرئيس حسني مبارك، الذي لا بد يأخذ في الإعتبار أنه لن تستقيم أمور مصر داخلياً وإقتصادياً وعربياً ودولياً إذا كانت لن تتجاوز فخ الفتنة المدبر لها.

وهذه اللجنة... "لجنة الإخاء القومي" هي له وليست عليه في أي حال.

مجلة "التضامن". لندن - 11 نيسان (أبريل) 1987

* * *

لما حدّث لتطبيق أفكاره الإقتصادية. وخالصة هذا التشخيص أن هذه الأفكار كانت عند وضعها مثل طفل كان أحد شرايين قلبه مسدوداً عند الولادة وأنه بعد ثلاث سنوات من الولادة تم إكتشاف ذلك وصار لابد من عملية جراحية لتوسيع هذا الشريان أو إستبداله بشريان جديد. وما أعلنه العقيد القذافي في إجتماعه بقيادات العمل التنفيذي كان بمثابة القرار الذي تم إتخاذهُ لإجراء عملية جراحية سريعة في شريان الحل الإقتصادي كما عبّر عنه العقيد القذافي في «الكتاب الأخضر».

وفي الأيام المقبلة سيتم الشروع في تنفيذ هذه العملية التي ستستغرق طويلاً، وبموجبها سيعود الحضور التجاري إلى الجماهيرية الليبية بشكل حيوي، بعدما غاب هذا الحضور نتيجة أن تطبيق الحل الإقتصادي كما عبّر عنه العقيد القذافي في «الكتاب الأخضر» قضى بإغلاق الأسواق التقليدية والمحلات التجارية لتحل محلها «أسواق الدولة»، وهي عبارة عن مركز تجاري من عدة طبقات من نوع المحلات الكبرى الموجودة في الدول الكبرى والتي تحوي كل شيء من الفاكهة والمعلبات والمواد الغذائية إلى الإلكترونيات والألبسة والأحذية، لكن الفرق بين المحلات التي في الدول الكبرى والمحلات التي تم انشاؤها في ليبيا أن الأولى تعمل بدقة الساعة السويسرية بينما الثانية إرتبكت منذ إنشائها وما زال الإرتباك قائماً.

ونأتي الآن إلى ما قاله العقيد القذافي في لقائه يوم الخميس 1987/3/26 بقيادات العمل التنفيذي وهو عبارة عن ملاحظات وإنتقادات لتجربة تطبيق الأفكار الإقتصادية وحيثيات أوجبت المراجعة، أو كما أوردنا إجراء العملية الجراحية في الشريان الذي تبين أنه مسدود.

ملاحظات وانتقادات وحيثيات

وعلى النحو الآتي نورد الملاحظات والانتقادات والحيثيات.

- أشار إلى أن «الكتاب الأخضر» قال «شركاء لا أجراء» لكنه لم يقل إن تكون المشاركة مع الدولة.
- ذكّر أنه بات يمكن لأي عائلة تمتلك مزرعة أن تشترك في الإنتاج مع عائلة أخرى لديها القدرة على العمل والإنتاج.
- أوضح أنه يمكن لتلك الأسر التي تملك أعداداً من الأنعام أن تستعين بمن له القدرة على الرعي بالمشاركة شريطة أن يأخذ الشريك نصف ما يوكل إليه برعيه. وكذلك بالنسبة إلى سيارة النقل التي فقد مالها القدرة

على القيادة، حيث يمكنه أن يشارك من له القدرة على القيادة وقسمة دخلها مناصفة.

• في معرض الإشارة إلى أوضاع المصانع الخفيفة، تحدّث عن مصانع تعاني من أوضاع سيئة وتدنّ في الإنتاج الأمر الذي أوجب قفلها وكل ذلك لأن تحقيق مقولة «شركاء لا أجراء» لم يحدث. كذلك تحدّث عن ظاهرة التكاثر عن العمل والتمازج والتوقيع وعدم الحضور.

• قال أيضاً إن الناس على حق في ما يقولون حول المصانع وإنتاجها. وأضاف: لقد بذلنا الجهد المضني لبناء هذه المصانع وتحديثها كثيراً حولها كإنجازات، ولكن بعد بنائها لم يتحقق هدفنا من ذلك ولم تشتغل المصانع لأنها مملوكة للدولة وأرى أن حل مشاكل تلك المصانع يكمن في تملكها لأصحابها.

• أشار إلى أنه أجرى دراسة على إنتاج مصانع الإسمنت التي تكفي البلاد ويمكن أيضاً تصدير الفائض من إنتاجها وتبين له أن إنتاج تلك المصانع لا يساوي إنتاج مصنع واحد.

• أبدى إرتياحه لسير العمل في المصانع الثقيلة ولاحظ أن ذلك يعود إلى كفاءة العاملين في هذه المصانع.

• لاحظ ظاهرة وقوف الناس في طوابير من أجل الحصول على مواد غذائية. وأضاف موضعاً ومنتقداً ومطالباً بإعادة النظر. هذه الظاهرة لا تمت إلى الاشتراكية أو إلى الثورة بأي صلة. وحتى إذا كان فيها منفعة إلا أنها تخلق إنساناً متدمراً من الثورة ومن الاشتراكية. إن الثورة لا يمكن أن تنتج طوابير على مادة غذائية ما في ليبيا.

• في الإطار نفسه قال: من ضمن الدراسات التي أجريتها في الشهرين الماضيين إتضح أن هناك على سبيل المثال شخصاً يذهب إلى السوق لا يجد معكرونة على رغم وجود هذه المادة، لكنه لا يريد أن يقف في طابور من أجلها. إن الوافدين إلى ليبيا من دول مجاورة هرباً من الجوع بالآلاف وهؤلاء يهربون لأن السلع غير متوفرة في بلادهم. أما أن تكون الحاجة متوفرة وعليها طوابير فهذه مسألة أخرى. إن الليبيين يملكون المال وليسوا فقراء لكن لا يجدون ما يشترونه في بعض الأحيان.

• بالإضافة إلى موضوع المعكرونة أشار العقيد القذافي إلى موضوع السجائر. وفي هذا الشأن قال: إن

الناس في ليبيا يرغبون في تدخين الدخان الأجنبي مع إنني لاحظت مواطنين ومسؤولين في حكومات أخرى يرغبون في تدخين الأصناف الليبية الصنع. والذي يحدث هو أن هناك بعض الأشخاص يقومون بتهريب أنواع الدخان الأجنبي ولذا يحدث الغلاء الفاحش ويكثر نشاط السوق السوداء ويكثر خروج العملة من البلد.

● حول الإرتفاع المذهل للأسعار قال العقيد القذافي: إن الغرض من التجارة العامة التي إعتدناها (أي الأسواق المركزية بدلاً من التجارة الخاصة والدكاكين) هو أنه لا يوجد فيها ربح ما دامت تجارة مملوكة للشعب. ولقد ألقينا المحاضرات وقلنا بأن تاجر الشعب يشتري البضاعة بخمسة ويبيعها لنفسه بخمسة، إلا أن الذي يحدث الآن في ليبيا هو أن البضاعة تُشتري بخمسة ولا تباع بخمسة وإنما بخمسة عشر. والمواطن يقول إن التاجر (أي الذي كان يملك في الماضي دكاناً أو محلاً تجارياً كبيراً خاصاً) أحسن من أسواقكم. وهو يستعمل تعبير (أسواقكم) بإسناد الملكية للغير في حين أنه هو الذي قرر إقامة هذه الأسواق لمصلحته.

● حول الأمر نفسه أوضح العقيد القذافي أنه يجب أن تكون الأسعار في ليبيا هي الأرخص لأن التجارة فيها مملوكة للشعب إلا أن ذلك ليس قائماً.

● أجاز العقيد القذافي توزيع البضائع المقدسة على دكاكين، لكنه أضاف: هناك إشتراطات على قيام هذه الدكاكين وهي أن يكون القائم عليها كبيراً في السن لا يستفاد منه لا في الصناعة ولا في الزراعة ولا في الحرب، بحيث يتمكن هذا الشخص من العيش من خلال تقديم خدمة للناس عن طريق شراء بضاعة وتوزيعها بالكيفية التي يراها بشرط عدم وجود أجراء (أي مستخدمين) معه.

● تحسباً لعودة التجارة بالأسلوب الماضي وعودة التجار التقليديين، أوضح العقيد القذافي انه لن يسمح للذين مارسوا التجارة من قبل العودة لمزاولتها الآن، كما أنه في المقابل ستنتم المحافظة على الأسواق العامة (أي المحلات الكبرى التي تم إنشاؤها لتحل محل الدكاكين والمحلات التجارية الخاصة) وأنه - أي العقيد القذافي - سيتولى تنظيمها «كعمل ثوري بإشراف عناصر متقنة ثورية واعية لأن الذين قامت الثورة من أجلهم ربما يكتشفون فائدة الأسواق ويعودون إلى التعامل معها بعد تجربتهم مع الدكاكين الخاصة».

● كذلك أوضح العقيد القذافي أن إعادة تنظيم الأسواق العامة ستشمل تزويدها بالبضائع المختلفة وبيعها بسعر التكلفة، على أن يتم التعامل بها بالبطاقة والحصول بواسطتها على حاجات الأفراد المكونين للأسرة بطريقة منظمة، وإن هذا التوجه سيتم تحقيقه بعد أن تُغلق الأسواق ثم يعاد فتحها بعد أن يشترك فيها من يريد ذلك.

وأفاض العقيد القذافي في التوضيح قائلاً: إن المتقف الذي يفهم الإشتراكية سيدرك أن هذا السوق مملوك للشعب ويبيع بثمان التكلفة وينتفي فيه الربح والربح ويدرك أن التعامل في هذه الأسواق يتم من خلال عدد أفراد أسرته المسجلين في الكتيب الخاص بذلك بحيث يمكنه أن يحصل على حاجات أفراد أسرته مرة واحدة خلال السنة أو على مرات مشيراً إلى أن هذه الأسواق قد تباع بالدين المتعامل معها عندما تكون على معرفة به. إن الدين هو الفائدة التي يتحصل عليها أصحاب الدكاكين. فالناس يقولون إننا نريد أن نشترى حاجتنا بالدين أحياناً والسوق لا يعرفنا. وهذا صحيح. فليكن هناك دكان في الشارع يقوم بهذه العملية.

● أوضح العقيد القذافي أنه بموجب «كتيب العائلة» ستتظم الأمور، حيث أنه سيتم الإشارة في الكتيب إلى أن حامله أخذ حاجته وأنه إذا كان يريد زيادة فما عليه سوى التوجه إلى الدكاكين الخاصة والشراء منها كما يريد.

● أشار العقيد القذافي إلى ظاهرة «سمسة الأطفال» موضحاً أنه بدل أن يكون الأطفال (يقصد هنا الفتية) في الروضات يتتفقون فإن هنالك من يعطيهم الدخان ويطلب منهم التوجه إلى الأرصفة لبيعه إلى الناس.

ووصف هذه الظاهرة بأنها «دكان سري» وأضاف: إن الثورة لا تريد أن تخلق «الشعب السمسار».

● عاد العقيد القذافي للتأكيد والتوضيح مرة أخرى مسألة السماح بإستئناف فتح الدكاكين بالقول: يجب أن نراعي هذه الفترة ونمضي حسب فهم الناس التي لم تفهم مصلحتها بعد. إن الذي مع الثورة لكنه يقول أريد دكاناً ولا أريد الوقوف في الطابور فلنعطه الدكان. إن التجارة الخارجية مؤمنة والدولة هي التي تشتري التجارة من الخارج وعندما تأتي السلع يتم توزيعها على الموزعين. من هنا فليعمل في التجارة كبار السن والمتقاعدون والمعاقون والأرامل والتي توفي زوجها أو

هي مطلقة. ان هؤلاء سنستفيد منهم بدل أن يكونوا عاجزين عن العمل في ميادين الإنتاج الزراعي والصناعة والقتال.

● في معرض التوضيح قال العقيد القذافي إنه ليس بالضرورة أن تنتصر الأمور الصحيحة. إن الشرير هو الذي ينتصر أحياناً. وحتى الجنة إن الذي يدخلها ليس فقط الأتقياء وإنما كذلك المحظوظون.

● في عودة منه إلى موضوع المشاركة أعطى إشارة السماح لمن يريد افتتاح مقهى أو مطعم أو فندق شرط أن يديره بنفسه لا أن تكون هنالك حصص قابلة للقسم.

وحبذ البدء بإفتتاح المطاعم وأرفق ذلك بتوضيح في منتهى الأهمية قد يغضب له الرجال لكنه من المؤكد سيكون موضع ترحيب النساء وإهتمامهن. وخلاصة هذا التوضيح تتمثل في قول العقيد القذافي: ما دمنا نريد للمرأة أن تعمل وتتساوى مع الرجل فلا يجوز تحميلها أعباء الطبخ والتنظيف إلى جانب تربية الأطفال والعمل. وإذا كنا نريد للمرأة أن تخرج إلى الميدان فليس من العدل أن نطالبها أيضاً بعد العودة إلى البيت بأن تنظف وتطبخ، وإنما العدل هو أن يساعدنا زوجها بحيث يطبخان معاً وينظفان معاً. وكحل لهذه الحالة فإن البيت يجب أن يخلو مع الوقت من المطبخ وبأن يكون الأكل في المطاعم أو تأتي العائلة من المطعم المجاور بالطعام إلى المنزل وتأكّل (أي نظام Take away، السائد في الغرب) أما مطابخ البيوت فتكون للقهوة والشاي وهذه أيضاً يمكن شراؤها من المقهى القريب أو المطعم القريب.

وأضاف إن الضرورة هي التي تحتم وجود المطابخ والحمامات في البيوت، أما إذا توافرت هذه الخدمات بشكل جيد خارج البيوت أي في الحي أو الشارع الذي يقع فيه المنزل فإن وجودها في البيت يصبح غير ضروري.

وشدد العقيد القذافي على القول إنه من الممكن بعد اليوم إنشاء المطاعم (التي تعتمد نظام الـ Take away أي شراء الطعام وأكله في المنزل) وعلى إنشاء الحمامات الشعبية موضحاً أن تلك هي وضعية البيت في المجتمع الجماهيري.

كذلك أجاز العقيد القذافي إستغلال المباني غير المسكونة في إقامة الفنادق والمطاعم والمقاهي والمغاسل والمخابز من قِبَل العائلات بجهداها الخاص وتقديم الخدمات إلى المواطنين من دون إستغلال، إلى جانب

إقامة رياض أطفال الأمهات المنتجات والعناية بهم مع إمكانية مشاركة المصانع بنسبة خمسين في المائة في تلك الرياض المخصصة لتربية الأطفال وتشجيع المجتمع على التعاون وتقديم الخدمات والإستفادة ممن يقعون بالمنزل ويتقاضون مرتبات ضمانية، متحفظاً على أسلوب الجدات في تربية الأطفال لأن هذا الأسلوب ينقل إلى الأجيال المقبلة تراث وتقاليد وتجارب الأجيال السابقة.

● تناول العقيد القذافي أمرين أساسيين يتعلقان بالزواج ومستلزماته وهما الذهب والحرير.

● ومما قاله في شأن هذين الأمرين: «أنا لا أعتقد بوجود أحد يريد شراء عشرة أردية من الحرير وهناك احتمال بوجود شواذ يقومون بهذا الأمر، غير أن هذا يجب أن ينتهي. فالأغلبية الساحقة تشتري حاجاتها لنفسها ولا يجوز أن يفسد شخص على مائة وإن عمليات التلاعب بعقود تهريب البضائع أمر يجب أن ينتهي. كذلك يجب أن تنتهي ظاهرة الزواج من أجل الحصول على الذهب وأردية الحرير. وليس من العيب حيازة هذه الأشياء وفق قدرات المجتمع شريطة أن يتم تدوين ذلك رسمياً شأنه في ذلك شأن الشخص الذي يرخص له بحمل بندقية أو مسدس».

● شدد العقيد القذافي على القول إن البضائع التي يتم إستيرادها من الخارج يجب أن تكون مساوية لقدرة الليبيين الشرائية وبقدر النقود التي يملكونها، وأن يكون التركيز على المواد الأساسية وليس على الكماليات والبضائع الغالية.

وتبقى الإشارة ضرورية إلى أن ما عرضناه هو خلاصة وأن في التفاصيل بعض الأمور المهمة.

والذي يمكن قوله تعليقاً هو أن السماح بعودة الدكاكين والتجارة الخاصة أمر له مرتبة الحدث المهم بالنسبة إلى الناس في ليبيا وإلى الذين يزورونها ويفتقدون الحيوية التي تنشأ عادة عن المدن من جرّاء الحركة التي تحدثها الدكاكين والمحلات التجارية وحركة البيع والشراء.

ويسجل المرء للعقيد القذافي هذا الحرص منه على النقد العلني وعبر التلفزيون، في حين كان يمكنه أن يعيد النظر في بعض سلبيات تجربة الحل الإقتصادي في اجتماع يبقى مغلقاً وتعرف به القيادات التنفيذية في الدولة وليس كل مواطن تابع النقد والملاحظات والأمور المستجدة على شاشة التلفزيون.

والأهم من أي تجربة هو القدرة على التأمل في نتائجها

وإعادة النظر في بعض ما أفرزته من سلبيات.

وشخصياً أسمح لنفسي بأن أبدي بعض الإبتهاج لأن الدكاكين ستعود وسيتم افتتاح المطاعم والمقاهي، بل إنني أتمنى لو يكون العام 1987 هو عام افتتاح مئات المطاعم والمقاهي ومن الأنواع الجيدة في طول الجماهيرية وعرضها. وأتمنى أن يبدأ بعد ذلك افتتاح مئات دور السينما وعشرات المسارح والمعارض الفنية. وفي معرض التمني أجد نفسي أقول: لقد إستقر في ذاكرتنا منذ الصغر المثل الشعبي (الجنة من دون ناس لا تنداس). أما بالنسبة إلى ليبيا فإنها من دون دكاكين ومطاعم ومقاه وحركة بيع وشراء لا تُحتمل. حتى باريس ولندن وروما من دون دكاكين ومطاعم ومقاه لا تُطاق.

مجلة "التضامن". لندن - 11 نيسان (أبريل) 1987

* * *

مرحلة إعادة ترتيب

شؤون البيت العربي

عندما يتأمل المرء في ما يحدث داخل كل دولة عربية منذ أشهر قليلة، تتكون لديه تصورات تفيد بأن مرحلة جديدة يعيشها الوطن العربي من المحيط إلى الخليج هي مرحلة ترتيب شؤون البيت.

وهذه المرحلة قد تطول بالنسبة إلى البعض، وقد يتمكن البعض الآخر من إختصار الوقت في إنجازها، إلا أن المهم هو الشروع فيها.

وما يحدث داخل معظم الدول العربية ويحمل على الإعتقاد بأن المرحلة المشار إليها قد بدأت، أو أنها على أهبة أن تبدأ، يتمثل في تصريحات أحياناً وفي مراجعات أحياناً أخرى. كذلك يتمثل في النقد الذي بات مألوفاً سماع حكام كثيرين يوجهونه إلى الأجهزة التنفيذية، وبالذات المتقاعد منها.

وإذا جاز التحديد فإن التصريحات والمراجعات تدور حول عدد من القضايا من أبرزها:

● الترشيح في الإنفاق.

● تضيق رقعة إبتعاد مسؤولي الصف الثاني عن الناس، وهي ظاهرة مستشرية في العالم الثالث وتسبب

بعض الحرج للذين في القمة.

● توسيع هامش الديمقراطية ومشاركة المواطنين في القرارات التي تحتل المزيد من المناقشة.

● القفز فوق حواجز الروتين.

● إعادة النظر في بعض القرارات التجارية.

● تعديل بعض المناهج الإقتصادية والدراسية.

● الحد من الإستيراد والإتجاه نحو الإعتماد على النفس والخروج نهائياً من أجواء طفرة ثروة النفط الطارئة.

● وقضايا أخرى كثيرة.

ومثل هذا الأمر يشكّل ظاهرة صحية. ذلك أن المرحلة الماضية - الراهنة حفلت بالحروب وعدم الإستقرار والتنبّه المستمر للمسألة الأمنية. وعندما نقارن بين الذي شهدته دول كثيرة في العالم من حروب، وبين الذي حدث للمنطقة العربية يتبين لنا أنه كان هنالك ما يشبه الحرص على أن تبقى المنطقة العربية في حالة حرب دائمة. ولا نظن أن هنالك دولة عاشت ويلات الحرب أكثر من مرة واحدة ولفترة زمنية ليست طويلة، في حين أن المنطقة العربية تعيش حالة الحرب بويلاتها وأحوالها منذ الأربعينات.

والقول بأن المراجعات والتصريحات التي تشير إلى أن المرحلة التي يبدو أننا مقلون عليها هي مرحلة ترتيب شؤون البيت، وأنها تشكّل ظاهرة صحية، ليس مبالغاً فيه، ذلك أن الذين في القمة باتوا مدركين في ضوء ما يعرفونه عن أحوال بلادهم، وعن الثروات التي في هذه البلاد وعن الإلتزامات المالية سواء كانت قروضاً من الآخرين، أو ديوناً على آخرين، إن زمن الثروة والثراء لن يتكرر، وأنه إذا كان الإنفاق في الماضي يتم ضمن قاعدة البجوحة، فعلى أساس أن زمن الثروة ما زال طويلاً. أما وقد قصر هذا الزمن فلا بد إذاً من التنبّه، وبالتالي لا بد من ترتيب شؤون البيت، وفق قاعدة أن ما كان يتم تقديمه للمواطن من رفاهية في الماضي لن يكون في الإمكان تقديمه بعد الآن، وأن التعويض عن ذلك يمكن أن يأتي عبر مناخات ديمقراطية تكون رقعتها أكثر رحابة من قبل.

وبكلام أكثر وضوحاً يمكن القول إنه ما دام ليس من السهل تأمين البجوحة للناس كما كانت الحال في الماضي، فلا بد إذن من إتاحة الفرصة أمامهم للمشاركة في دور سياسي، أو إقتصادي، أو على صعيد الخدمات العامة.

ومثلما أثبتت تجربة الحُكم في بعض الدول العربية أنه في غياب الحد الأدنى من الرفاهية لا يجوز تضيق رقعة

وعدا ذلك فإن عملية إعادة ترتيب شؤون البيت ستكون إلى حد ما فوضوية.. أو على شيء من الفوضى.

مجلة "التضامن". لندن - 18 نيسان (أبريل) 1987

* * *

مثل قمة الكويت وبرلمان لبنان

إنعقاد المجلس الوطني الفلسطيني الثامن عشر في الجزائر يوم الإثنين 20 أبريل/نيسان 1987، هو أفضل عملية ينقذها إخواننا الفلسطينيون في السنوات الثلاث الأخيرة. بل إن هذا المجلس هو على الصعيد السياسي بأهمية عملية فدائية جريئة في قلب يافا أو القدس أو أي مدينة فلسطينية مقهورة أو مغتصبة أو محتلة.

وعلى الرغم من أن هذا المجلس ليس مجلس المعجزات إلا أن إنعقاده يشكّل في بعض جوانبه إنجازات تبدو كما لو أنها من المعجزات.

وأهمية هذا المجلس أكثر من أن تحصى جوانبها. إلا أن هنالك بعض النقاط التي تبدو بمثابة رموز لتلك الأهمية وهي:

● إن المجلس لم يتم إجهاضه وأمكن عقده. ومن هنا وفي معرض المقارنة قد يجوز القول إنه كان مثل القمة الإسلامية التي جرى عقدها في الكويت على الرغم من كل محاولات التعطيل، ولم يُصبه ما أصاب القمة العربية التي لا تتعقد على الرغم من الحاجة الماسة إليها.

● إستكمالاً للأسطر السابقة يمكن القول إنه مثلما أن القمة الإسلامية على الرغم من إنعقادها، بغياب دولة واحدة هي إيران، لم تتمكن من أن تتجاوز في إنجازاتها مسألة المحافظة على وحدة الصف الذي لا قدرة له على الحسم، فإن الدورة الثامنة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني بغياب أطراف فلسطينية تتميز من حيث الشأن، وليس من حيث الشعبية، لن تُحقق أكثر من مسألة المحافظة على وحدة الصف الفلسطيني بنسبة أفضل من قتل. ومثل هذا الأمر جيد بل وكثير الأهمية للفلسطينيين الذين كانوا مهّدين بالمزيد من الانقسامات في حال أن الدورة الحالية للمجلس تعثرت ولم تتعقد.

● إن الذين قاطعوا المجلس هم فلسطينيو الأنظمة وتحديداً الحُكم السوري، أما فلسطينيو الثورة أو فنقل

الديمقراطية والتعبير والحريات، فإنه بالنسبة إلى دول عربية أخرى كانت البحبوحة هي التي تحول دون أن يكون للمواطن دور سياسي، أي بكلام أكثر تحديداً إن الديمقراطية والحريات هي البديل للرفاهية التي يمكن أن تكون مفقودة.

لكن الذي تبين في ضوء الممارسات أنه مثلما أن الديمقراطية لا تطعم جائعاً، فإن البحبوحة لا تلغي حاجة الإنسان إلى أن يكون له دور ورأي وحضور سياسي ومشاركة، ولو نسبية، في القرار.

وإذا كان مثل هذا الأمر بدا مؤجلاً في زمن الطفرة، فإنه لم يعد يحتمل التأجيل بعد أن بات زمن إنحسار الثروة العربية يقترب من مرحلة العد العكسي، وبالتالي لا بد من مزج بين الأمرين، بمعنى أن يكون هنالك الكثير من الديمقراطية مع القليل من البحبوحة بالنسبة إلى الذين يشكون من كثرة المشاكل الاقتصادية والمتاعب المالية والديون، وأن يكون هنالك القليل من الديمقراطية مع الكثير من البحبوحة، أو مقابل بقاء البحبوحة الراهنة على حالها بالنسبة إلى الذين لا يعانون تلك المشاكل والمتاعب.

وبالنسبة إلى الطرف الأول فإن الكثير من الديمقراطية كفيل بأن يجعل الجميع يعرفون مشكلات بلادهم، ويجعل الجميع يشاركون في إيجاد الحلول، لا أن يكون الذين في الحُكم في موضع من يتحمل المسؤولية وحدهم، والذين لا يشاركون في شكل أو آخر مهرة في الإكثار من الإعتراض أو الإنتقاد أو التنظير.

أما بالنسبة إلى الطرف الثاني فإن القليل من الديمقراطية من شأنه أن يجعل الذين في المواقع المسؤولة يحسبون حساباً لمن له إعتراض أو لمن في قدرته - بسبب المناخ الديمقراطي السائد - أن ينتقد أو يتحفظ. ويبقى أن من حق قارئ "التضامن" أن يقول بصيغة التساؤل: وما الذي يمنع من أن تكون هنالك بعض الأمثلة والشواهد؟

والرد على ذلك هو أننا في صدد تشخيص حالة عامة، وأن الغرض فقط هو الوصول إلى القول بأن إعادة ترتيب أمور البيت في كل دولة عربية - وهي ظاهرة بات من الممكن لمسها بكثير من الوضوح - تبدأ من المعادلة التي نعيد صياغتها على النحو الآتي: ديمقراطية كثيرة مقابل فاقة على الصعيدين المالي والاجتماعي، وديمقراطية قليلة مقابل استمرار الترف والبحبوحة.

"فلسطينيو الشرعية" فإنهم شاركوا وشكّلت مقاطعة البعض مظهراً ديمقراطياً للعمل الفلسطيني من دون أن يحمل هذا المظهر في طياته مخاطر على القضية الفلسطينية. وأغلب الظن أن هذه المقاطعة جاءت كحل وسط بين عدم حماسة الحُكم السوري لفكرة إنعقاد المجلس وبين حرصه على عدم حدوث تقاطع بينه وبين الجزائر التي تستضيف الدورة وقدمت لها ما هو أكثر من المكان. كما أن الغرض من مقاطعة البعض للدورة هو إبلاغ العقيد معمر القذافي، الذي بذل جهداً كبيراً في سبيل عقد هذه الدورة ومهد ما استطاع التمهيد لها، أن ما تقرر بعض الفصائل الفلسطينية في طرابلس لا يمكن أن يصمد إلى النهاية إذا كان الرئيس حافظ الأسد غير راض عنه أو لا يحظى بقبوله، وتلك على ما يجوز الافتراض مشاكسات تحدث بين الأنظمة وتدفع عادة المنظمات العاملة تحت الرعاية الثمن.

● إن الدورة الثامنة عشرة تعني أن البرلمان الفلسطيني تجاوز سن المراهقة، وأنه بات أكثر استعداداً لإدخال الشرعية الفلسطينية بشخص منظمة التحرير الفلسطينية في القفص الذهبي مع الحل الدولي المؤمل إنجازه في العام 1988 كحد أقصى.

● تبدو حال المجلس الوطني الفلسطيني مثل حال البرلمان اللبناني. ذلك أنه على الرغم من إحدى عشرة سنة من القتال والدمار، فإن المجلس النيابي اللبناني بقي صامداً، وبقي سلطة جيدة للتشريع. والأهم من هذا كله إنه بقي قادراً على أن ينتخب الرئيس الذي سيخلف الرئيس أمين الجميل.

أما المجلس الوطني الفلسطيني فإنه بقي على الرغم من كل ما حدث وعلى الرغم من حصار المخيمات، والمطاردات العربية قادراً على أن يجتمع لمناقشة حل دولي، أو فلنقل الحل الدولي، الذي سيتم بين شهر وآخر طرّحه تمهيداً لإقراره من قبل الشرعية الفلسطينية متمثلة بالمجلس الوطني الفلسطيني من دون أن يعني أن الحل سيكون مثالياً.

● إن الدورة الثامنة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني تتعقد للمرة الأولى تحت مظلة عربية شبه شاملة. وللمرة الأولى يتقاسم الصف العربي الثوري والصف العربي المحافظ والخليجي بشكل مباشر أو غير مباشر الرعاية للبرلمان الفلسطيني. ومن هنا فإن إنعقاد المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر كان، إذا جاز القول، الإنعقاد

المناسب في الزمن المناسب وفي المكان المناسب. ● إن إنعقاد المجلس الوطني في دورته الثامنة عشرة ليس إنتصاراً لطرف ضد آخر. ومثل هذه النظرة تبدو ظالمة وضيقة، وإنما الإنعقاد هو إنتصار للإستمرارية في وجه محاولات تزويب كيان الشرعية، وهو إنتصار للمنطق الذي يقول بإمكانية تعايش المعتدل مع المتطرف في حال أن المعتدل أبدى بعض التفهم وأدخل المتطرف بعض الاعتدال على تطرفه.

● ما هو أهم من إنعقاد الدورة الثامنة عشرة هو أن تبدأ المصالحات الفلسطينية - العربية وعلى الفور. وأغلب الظن أنه إذا تعاونت الجزائر وليبيا من أجل ذلك بالطريقة التي تعاونتا فيها من أجل عقد الدورة الثامنة عشرة فإن مثل هذا الأمر لا يعود صعب التحقيق مع الرئيس حافظ الأسد.

يبقى أن لإنعقاد الدورة الثامنة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني بعداً آخر وهو أنها عقدت في وقت بات واضحاً جداً أن القمة العربية باتت مطلب الجميع بما في ذلك الرئيس حافظ الأسد، وأنها تبعاً لذلك قد تتعقد بعد رمضان الذي سيبدأ بعد أيام. وقد يكون الذي ساعد إخواننا الفلسطينيين على إستباق الأمور والتصرف بواقعية هو أن القمة العربية قد تتعقد وأن من مصلحتهم المشاركة فيها كطرف قوي وهذا ما حققته لهم الدورة الثامنة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني.

مجلة "التضامن". لندن - 25 نيسان (أبريل) 1987

* * *

خطة غورباتشوف: زيارة الخليج

بالكثير من التأييد والصمت يحقق الإتحاد السوفياتي مكاسب في المنطقة العربية. وهو يحقق هذه المكاسب على حساب الإدارة الأميركية التي صرفت أنظارها عن المنطقة. فهي لا تعطي الإهتمام المطلوب لما تعاني منه دول المنطقة، وهي إذا إهتمت فإنها تهتم بالجانب السلبي. وقبل أيام عشت في بغداد حفاوة بالإتحاد السوفياتي لم يحدث أن لقيها من قبل. وعندما إنتقلت إلى الكويت فإنني وجدت فيها حفاوة من النوع نفسه. وفي بغداد تابعت عبر الصحف والتلفزيون إهتماماً لافتاً

للإنتباه بالوفد السوفياتي الذي ترأسه بيوتر ديميتشيف النائب الأول لرئيس هيئة مجلس السوفيات الأعلى، والحفاوة المحسوبة بدقة التي لقيها من القيادة العراقية بدءاً من أسلوب إستقبال هذا المسؤول وإنهاء بنشر وقائع الإحتفال بذكرى معاهدة الصداقة والتعاون بين العراق والإتحاد السوفياتي. وفي هذا الصدد قد يجوز الإفتراض أن هذا الوفد عومل بحجم تقتضيه المهمة التي جاء من أجلها إلى بغداد وهي تجديد معاهدة الصداقة والتعاون وليس مجرد ذكرى إبرامها.

وفي الكويت تابعت عبر الصحف والتلفزيون إهتماماً لافتاً بالوفد السوفياتي الذي ترأسه فلاديمير بتروفسكي نائب وزير الخارجية والحفاوة التي لقيها من المسؤولين الكويتيين. وقد يجوز القول إن المهمة التي جاء من أجلها بتروفسكي إلى الكويت هي توجيه الدعوة إلى أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد لزيارة الإتحاد السوفياتي.

وإستناداً إلى أصول التعامل بين الدول فإن أمر الإعلان عن الزيارات الرسمية لرؤساء الدول لا يتم إلا بعد التفاهم والحصول على الموافقة، بمعنى أن موضوع قيام أمير الكويت بزيارة إلى الإتحاد السوفياتي - وهو ما أعلنه المسؤول السوفياتي في مؤتمر صحفي - تم الإتفاق عليه كفكرة وكذلك على تفاصيل الإعلان عنه.

ومن خلال التأمل بالتطورات التي تحدثت في الإتحاد السوفياتي وكيف أن تغييراً جذرياً تشهده منطلقات السياسة السوفياتية فإن من الجائز إعتبار ديميتشيف وبتروفسكي من المجموعة التي تتولى التبشير بزعامة غورباتشوف وليس بالعقيدة الماركسية. وهذه المجموعة هدفها إبلاغ الدول العربية في الدرجة الأولى بأن الإتحاد السوفياتي الذي يسمعون عن تدخلاته وعن حرصه على نشر العقيدة الماركسية ورعاية الأحزاب الشيوعية في المنطقة لم يعد قائماً بالحدة التي كان عليها، وأنه بقيادة غورباتشوف يزيل هذا الستار الحديدي الذي أحاط به نفسه ويتطلع إلى وجه جديد يتم من خلاله التعامل مع العالم.

وقد يجوز الإفتراض أن الهدف الرئيسي لمهمة كل من ديميتشيف وبتروفسكي هي التأكيد لدول الخليج وللعراق بأن الإتحاد السوفياتي قرر من جانبه أن الحرب العراقية - الإيرانية يجب أن تنتهي، وأن هذا التأكيد لن يكون مجرد موقف لفظي وإنما سيلحقه بسعي حثيث في السر قبل العلن لإيجاد حل لهذه الحرب.

وتبقى خمسة أمور من شأن الإشارة العابرة إليها أن

تشكل إجابة عما يتطلع إليه الإتحاد السوفياتي. وعلى النحو الآتي نورد هذه الأمور:

● **الأول** - إن الإتحاد السوفياتي يدرك مدى عذاب العرب وبالدات دول الخليج من إستمرار الحرب العراقية - الإيرانية، ويدرك الإهتمام الذي يعلقه العرب على وجود طرف دولي فعال يضغ ثقله لإنهاء هذه الحرب. وهو من منطلق إدراكه لذلك يقول ما معناه: ها أنذا مستعد وما عليكم سوى مساندتي.

● **الثاني** - إن الولايات المتحدة إعتادت على أن العرب لا يمكن في النهاية إلا أن يختاروا الوقوف معها، أو أن الذين يتعاملون مع الإتحاد السوفياتي يفضلون ضمناً لو أن التعامل هو مع الولايات المتحدة. لكن ذلك كان مع قيادات سوفياتية على شيء من التزمّت أو على جانب كبير منه. وجاءت قيادة غورباتشوف لتحديث مناخ تعامل جديداً من شأنه أن يجعل العرب الذين يتعاملون مع الإتحاد السوفياتي يكونون أكثر إطمئناناً وأكثر إرتياحاً وأن يجعل العرب الحذرين من التعامل يفكرون جدياً في إزالة الحذر.

● **الثالث** - إن الإتحاد السوفياتي الذي كان منذ العام 1967 عندما قطع العلاقات مع إسرائيل يرى أن السبيل للإستحواذ على قلوب العرب هي في وقفة مبدئية مع القضية الفلسطينية يكتشف الآن بعد عشرين سنة أنه لم يخطئ بوقفته تلك وأن غورباتشوف لولا تلك الوقفة لما كان سيجد أرضية مقبولة في العالم العربي يتحرك عليها. وعندما يؤكد غورباتشوف عبر الذين يبشرون به أنه سيحافظ على تلك الوقفة وسيطورها ولن يستأنف العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل فهذا معناه أنه يريد تعزيز تلك الوقفة وسيضيف عليها وقفة جديدة تتعلق بالحرب العراقية - الإيرانية التي يرى العرب - ويدرك ذلك الإتحاد السوفياتي وبقية الدول الكبرى - أن وقفها بأهمية إيجاد حل للقضية الفلسطينية.

● **الرابع** - إن غورباتشوف سيكون كثير الإمتنان للعراق وتحديداً لقيادة صدام حسين التي ساعدت على حل عقدة كان من الصعب حلها. وهذه العقدة تتمثل في أن الإتحاد السوفياتي بسبب ما فعله الرئيس (الراحل) أنور السادات عندما ألغى المعاهدة المعقودة بين مصر والإتحاد السوفياتي، بات يشعر بأن لا أحد بين العرب يريد أن يقيم علاقة ثابتة معه، وعندما يبادر الرئيس صدام حسين ويتخذ موقفاً متميزاً منهم فإن هذا الموقف يشكل، إذا جاز القول،

إعادة إعتبار لهم. فهو ليس فقط أبقى على المعاهدة إلى آخر يوم من مدتها وإنما جددتها وبذلك قدم إلى قيادة غورباتشوف خدمة كبرى حيث إن هذه القيادة تستطيع أن تقول لشعوب الإتحاد السوفياتي أنها أزلت وبفضل الموقف العراقي آثار الإهانة التي لحقت بهم من جراء تشهير السادات ووسائل إعلامه بالإتحاد السوفياتي.

ونقول ذلك مع الأخذ في الإعتبار أن القيادة العراقية حافظت على المعاهدة حتى الثانية الأخيرة كي لا يقال إنها تنقض العهد، وجددتها بعدما إختبرت أسلوب التعامل مع الإتحاد السوفياتي من جهة ولأن قيادة غورباتشوف تنهج مسلك التعامل الخالي من الهيمنة مع الآخرين. وبعد الآن وفي ضوء تجديد العراق للمعاهدة فإن بعداً جديداً ستكون عليه المعاهدة، بمعنى أن عقد معاهدة بين الإتحاد السوفياتي ودولة عربية لن يلقي ظلالاً على إستقلالية هذه الدولة.

● **الخامس -** إن غورباتشوف إذا جاز الإعتقاد يتطلع إلى مفاجأة يخطط لها بعناية وهي أن يزور منطقة الخليج وتحديداً العراق والكويت: ولكي يحقق هذه المفاجأة التي قد تتم بعد أن يكون قد أنجز المزيد من الحلقات المتعلقة بالإنفتاح على الآخرين وساعد في تأمين خطوات فعّالة على صعيد إنهاء الحرب العراقية - الإيرانية، فإنه لا بد من تهيئة نفسية لها ولا بد أيضاً من سيناريو مناسب. أما التهيئة النفسية فهي إزالة الإنطباع السائد بأن الإتحاد السوفياتي يخيف وأنه ضد الأديان، وليس مستبعداً أن يسمع المرء قريباً بأن غورباتشوف فتح قنوات حوار وتعامل مع رجال الدين المسيحيين والمسلمين، أو أنه كلف شخصية مرموقة بأن تتّراس بعثة الحج وأوكل إليها نقل رسالة إلى الملك فهد بن عبد العزيز. وأما السيناريو فيقضي على ما يبدو بأن يبدأ أولاً أحد حكام الخليج بزيارة رسمية إلى الإتحاد السوفياتي. وفي تقاليد البروتوكول أنه إذا قام حاكم ما بزيارة رسمية لحاكم آخر أن يتم توجيه دعوة إلى المضيف من قبل الضيف. وزيادة في التوضيح فإن أمير دولة الكويت الشيخ جابر الأحمد الذي إختاره غورباتشوف ليكون الزائر الخليجي الأول على مستوى القمة للإتحاد السوفياتي سيوجّه الدعوة إلى غورباتشوف لزيارة الكويت. ومن المؤكد أن الزعيم السوفياتي سيلبي الزيارة.

وفي الماضي كان يقال إن هدف القيادة السوفياتية وحلمها التاريخي هو أن تصل إلى مياه الخليج الدافئة،

وبموجب السيناريو المشار إليه فإن غورباتشوف سيجعل الحلم حقيقة وستكون زيارته مرحباً بها ما دام على هذه الصورة المريحة التي يظهر بها أمام العالم.

وإذا حدث وزار غورباتشوف الكويت فإنه سيزور أيضاً العراق. وهو على الأرجح يفضل أن يبدأ بالكويت على رغم أن طبيعة العلاقات تجعل من البدهي زيارة العراق أولاً. لكن غورباتشوف يتطلع إلى حضور لبلاده بين دول مجلس التعاون فضلاً عن أنه إذا كان راغباً في رد التحية إلى العراق فإنه في الوقت نفسه وما دام سيسعى لإيجاد حل للحرب لا يريد إغضاب إيران.

وإذا حدث وتمت زيارة أمير الكويت إلى الإتحاد السوفياتي وهذا محتمل جداً ما دام تم الإعلان عن الدعوة وكذلك عن قبولها فإن الحفاوة التي سيلقاها ستكون كبيرة جداً بل وتاريخية وذلك لعدة إعتبارات، من بينها أن الكويت هي التي إختزلت الحصار الخليجي المفروض على الإتحاد السوفياتي فأقامت العلاقات معه ومن بعدها أقام آخرون العلاقات، ومن بينها أيضاً أن الكويت تتّراس المجموعة الإسلامية منذ أن إستضافت القمة، ومن بينها أيضاً وأيضاً أن الكويت شغوفة بمسألة الإستثمارات وأن الإتحاد السوفياتي يتطلع إلى أن تكون له حصة ولو متواضعة الحجم في هذه الإستثمارات.

كذلك أنه إذا حدث وتمت الزيارة فإن غورباتشوف لا بد سيتخذ وفي حضور الأمير خلال الزيارة موقفاً أكثر تقدماً على صعيد أمور عالقة مثل القضية الفلسطينية والموقف السوفياتي في أفغانستان وتدخله العسكري هناك.

إن كلاماً كثيراً يمكن أن يقال في شأن هذا التوجه الذي يؤكد كم أن غورباتشوف يتعامل مع العالم وبالذات مع العرب بقدر كبير من الكياسة والحقاقة. ولكن الأهم من ذلك هو أن غورباتشوف يتحرك بصمت وفي كل تحرك يحقق إنجازاً طيباً. وإذا كان أقنع المرأة الحديدية مارغريت تاتشر بأنها أمام قيادة تطلب ود الجميع فهل إنه سيعجز

عن إقناع بعض العرب المترددين في بدء حوار معه؟ والجواب هنا ليس قاطعاً لكن من المؤكد أن هذا النمط من الحكام يتمتع بمواصفات تجعله يدخل القلوب التي كانت حكرًا على أميركا والغرب عموماً.

مجلة "التضامن". لندن - 25 نيسان (أبريل) 1987

* * *

دورة رجل الدولة

مرة أخرى يؤكد ياسر عرفات جدارته كرجل دولة أو "رجل الدولة الموعودة". ومرة أخرى يؤكد قدرته على أن يمزج بين دورين، دور رجل الثورة صاحب المبدأ ودور رجل السياسة الذي يعتمد التناور، وبذلك يحفظ للشرعية الفلسطينية فعاليتها بعدما أمكنه أن يحافظ على إستمراريتها. ومرة أخرى يقطع الطريق على الذين خططوا لإنهاء مستفيداً هذه المرة من تيار الشوفينية الفلسطينية الذي نما بسبب حصار المخيمات في لبنان وسكوت الأنظمة العربية على هذا الحصار، وغذاه هو إلى درجة تحويله إلى ورقة لعبها وراء الكواليس قبل إنعقاد المجلس الوطني الفلسطيني ثم خلال إنعقاد المجلس وإستطاع بفضل شفافية هذه الورقة أن يستقطب إلى جانبه قيادات وجدت نفسها في لحظة واقعية تقول: إذا كان الأمر عبارة عن مفاضلة بين القيادة الفلسطينية بشخص ياسر والنظام العربي الذي يتصدى لهذه القيادة فمن الواجب الوقوف مع قيادة عرفات لأنها فلسطينية.

وليس مبالغة القول إن الشوفينية التي وحدت الموقف الفلسطيني فحدث هذا التلاحم الذي كان في الماضي يبدو مستحيلاً أو شبه مستحيل. كذلك ليس مبالغة القول إن الدورة الجديدة للمجلس الوطني الفلسطيني التي تم عقدها في الجزائر ستوجد حالة إستقرار نسبي وطمأنينة نسبية أيضاً للفلسطينيين حيث وجدوا.

وبإستثناء الموقفين الأردني والمغربي من المجلس الفلسطيني الذي أمكن عقده وبما يشبه المعجزة في الجزائر فإن هذا المجلس سيبقى علامة فارقة في تاريخ العمل السياسي الفلسطيني، هذا مع الأخذ في الإعتبار أن الموقفين المشار إليهما هما حالة عتب بالنسبة إلى الموقف الأردني، وحالة غضب بالنسبة إلى الموقف المغربي. وهما موقفان عابران وبالتالي لن يكون لهما تأثير الموقف السوري الذي يبدو أنه لن يكون حتى إشعار آخر من النوع العابر وإنما هو موقف ثابت أو من المواقف التي يندرج التعامل فيها تحت بند الأخذ بالثأر، إلا إذا نجح العقيد معمر القذافي من جهة والإتحاد السوفياتي من جهة أخرى في إقناع الرئيس حافظ الأسد بأن المرحلة الزاهنة تتطلب وقف الضغط على القيادة الفلسطينية والإكثار من الضغط على الحُكم في إيران.

والقول بأن الموقفين الأردني والمغربي هما من النوع العابر يستند إلى بعض الحقائق الموضوعية ومنها أن "إتفاق عمان" الذي تم الإعلان من جانب عرفات عن إلغائه كان شبه ملغى، هذا إذا لم نقل إن هذا الإتفاق إنما تم التوصل إليه من أجل أن يلغى ذات يوم ويكون إلغاؤه هو مهر التوحد الفلسطيني الذي حدث في الجزائر. أما موقف المغرب الذي قضى بمقاطعة منظمة التحرير الفلسطينية والحظر على أي مغربي حضور أي إجتماع يشارك فيه أي ممثل للمنظمة (وذلك لأن رئيس جبهة البوليساريو كان بين ضيوف كثيرين تم توجيه الدعوة إليهم للإشتراك كمراقبين ضيوف في أعمال المجلس الوطني الفلسطيني)، فإنه إذا جاز الوصف حالة أعلى من سحب سفير وأقل من قطع العلاقات وذلك بلغة أهل الدبلوماسية. وإذا كان الملك حسين، تقادى عدم التعبير شخصياً عن عتبه من إلغاء إتفاق عمان وأوكل الأمر إلى مصدر رسمي أردني، فإن الملك الحسن الثاني أعلن شخصياً قرار مقاطعة منظمة التحرير.

وفي الوقت الذي يجد المرء نفسه يأخذ في الإعتبار دوافع الموقف المغربي فإنه يجد نفسه يبدي إعجاباً بالموقف الأردني وكيف أن المصدر الرسمي إكتفى بالتركيز على أن الحكومة الأردنية لن تسمح لقرار اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بإلغاء إتفاق عمان (الموقع في 1985/2/11) أن يشكل عائقاً أمام الجهود العربية المبذولة للتوصل إلى تسوية سلمية شاملة وعادلة للنزاع العربي - الإسرائيلي من خلال عقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الأوسط تشارك فيه الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن وجميع أطراف النزاع.

ودوافع الموقف المغربي مزدوجة. فالحسن الثاني يعتبر أن الذي فعله لمنظمة التحرير الفلسطينية وما هو معلّن ومعروف لا شيء أمام ما ليس معروفاً وليس معلناً يوجب على المنظمة مساهمته في موضوع توجيه الدعوة إلى رئيس البوليساريو ليكون أحد ضيوف المجلس الوطني، بمعنى ألا يدعى، لأنه إذا إرتضى بمشاركة رئيس البوليساريو في المجلس الوطني الفلسطيني فإنه سيقبل بأمر واقع مرفوض منه.

لكن ما كنا نتمناه على الحسن الثاني هو أنه مثلما أن منظمة التحرير وغيرها إعتبرت زيارة رئيس وزراء إسرائيل شيمون بيريز إلى المغرب ولقائه في إيفران بالملك الحسن الثاني مجرد إجتهد وتعاملت مع اللقاء على هذا الأساس

وعلى النحو الآتي نورد هذه الإنطباعات والملاحظات:
أولاً - القول بأن الدورة نجحت إنما هو قول بدهي وفي محله. لكن النجاح هنا غير تقليدي، بمعنى أنه إذا كانت القضية الفلسطينية في الماضي هي التي توجّد الموقف العربي أو الحد الأدنى من التوحد، فإن الوضع العربي هذه المرة هو الذي حقق الحد الأدنى من التوحد الفلسطيني نتيجة التمزق أو فلنقل التمزيق الذي أحدثه في الجسم الفلسطيني. وهذا التوحد هو الأمر البالغ الأهمية الذي تحقّق.

ثانياً - بالنسبة إلى الجزائر يمكن اعتبار إنعقاد الدورة الثامنة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني فيها إنجازاً كبيراً حقّقته للشرعية الفلسطينية. والقول بأنه إنجاز كبير وللشرعية يستند إلى أن القضية الفلسطينية باتت نتيجة ظروف قاسية ومطاردات وحالات حصار قضية بقاء الشرعية أكثر منها قضية تحرير.

لكن في الوقت نفسه إن إنعقاد هذه الدورة في الجزائر هو أيضاً خدمة كبرى قدّمها الفلسطينيون للحكم الجزائري، الذي يحتاج إلى إنجاز فعّال يقال إنه حققه للمعاناة التي تقض مضاجع الفلسطينيين وتهدّد حياتهم في بعض الأحيان.

وبعد الآن فإن إسم الجزائر وحكم الرئيس الشاذلي بن جديد سيرتبط بكل خطوة يحققها الفلسطينيون في المجال السياسي.

ثالثاً - إن رد الفعل المصري على المجلس الوطني الفلسطيني محسوب بدقة، وباستثناء بعض العبارات التي لم يحالف التوفيق وزير الخارجية الدكتور عصمت عبد المجيد وهو يدرجها في البيان الذي كتبه في أعقاب إجتماع موسّع عقده الرئيس حسني مبارك مع القيادات المصرية، فإن الموقف المصري ليس عدائياً. وأغلب الظن أن العبارات المشار إليها من نوع "القرار الفلسطيني الطائش" و"العبث الفلسطيني" و"الإسفاف" كانت إلى حد ما ملطّفة بعض الشيء إزاء أجواء المناقشات التي سادت إجتماع أهل القرار المصري للبحث في ما إتخذه الفلسطينيون خلال إجتماع برلمانهم في الجزائر. إلا أنها على رغم ذلك بقيت حادة بعض الشيء. ولو أن الذي صاغ البيان كان مسؤولاً آخر غير الدكتور عصمت، الكثير التأني في التعبير عن الموقف حتى إذا بلغ الغضب أشده، لكان البيان المصري تضمّن كلاماً من النوع الذي يجرح.

ويعيد البيان المشار إليه إلى الأذهان القرار الذي تم

فإن العاهل المغربي كان متوقعاً منه أن يأخذ في الإعتبار أن المجلس الوطني الفلسطيني لم ينعقد في جنيف أو فيينا أو هلسنكي لكي يكون في إستطاعة المنظمة تجاهل رئيس البوليساريو، وإنما تم الإنعقاد في الجزائر، بمعنى أن مثل هذا الإنعقاد يعني أن رئيس البوليساريو سيكون في مقدمة المدعويين. وعلى هذا الأساس فإنه مثلما أن المنظمة إعتبرت لقاء الملك الحسن الثاني برئيس وزراء إسرائيل في ايفران مجرد حالة إجتهد فإنها كانت تتوقع، ويتوقع معها الكثيرون أن يعتبر الملك الحسن الثاني أن دعوة رئيس البوليساريو للمشاركة في أعمال المجلس الوطني الفلسطيني، كمراقب ضيف هي مجرد لياقة بصرف النظر عما إذا كانت هذه اللياقة بإختيار منظمة التحرير الفلسطينية - وهو ما يجوز إستبعاده - أو أنها بإصرار من الحكم الجزائري الذي يرى أنه يستحق من المنظمة مثل هذه المسايرة مقابل إنعقاد المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر والسعي الحثيث لهذا الإنعقاد.

وتبقى الإشارة ضرورية إلى هذا التناقض العجيب وكيف أن الحكم السوري الذي قطع علاقاته مع المغرب بسبب لقاء ايفران إلتقى مع الحكم المغربي في موقف شبه موحد من منظمة التحرير الفلسطينية من دون أن يؤدي إلى تفاهم الحكمين أو عودة العلاقات بينهما إلى سابق عهدها. وتلك في أي حال لعبة السياسة العربية أو فلنقل تلك هي حال هذه اللعبة التي هي أشبه بالكلمات المتقاطعة.

مجلة "النضامن". لندن - 2 أيار (مايو) 1987

زوبعة صغيرة في فنان كبير

مرة أخرى يجد المرء نفسه يواصل التأمل في الدورة الثامنة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني بالنتائج التي أسفرت عنها الدورة، وبالمضاعفات التي نشأت نتيجة مواقف ومعادلات كان لا بد منها.

ومن خلال التأمل يخرج المرء بالمزيد من الإنطباعات والملاحظات، التي من شأنها أن تشكّل إجابة أكثر وضوحاً عن السؤال الكبير: ما الذي حقّقته هذه الدورة وما الذي أخفقت في تحقيقه وأين هي الإيجابيات وأين هي السلبيات؟

إتخاذه أيام قبول الرئيس (الراحل) جمال عبد الناصر بمبادرة روجرز. ففي تلك الأيام قال الفلسطينيون كلاماً ينال من كبرياء عبد الناصر ومصر، فجاء الرد المصري قراراً بإقفال الإذاعة الفلسطينية من القاهرة. ومثلما أن ذلك القرار كان مجرد حالة إنفعال ولا يحقق أي مكسب، فإن قرار الرئيس مبارك بإقفال المكاتب الفلسطينية لن يحقق أي فائدة، فضلاً عن أن الرئيس مبارك يعرف أن الإبقاء على المكاتب الفلسطينية في مصر كان يحقق توازناً مطلوباً مع السفارة الإسرائيلية، وعندما يتم إغلاق المكاتب الفلسطينية وتبقى المكاتب الإسرائيلية مشرعة أبوابها فإن ذلك سيحدث الكثير من التساؤلات.

رابعاً - في الوقت نفسه من الجائز القول إن الرئيس مبارك قدم خدمة إلى ياسر عرفات الذي أرهقته في الماضي الأحكام القاطعة بأنه حليف الحُكم المصري. وعندما يُقدم الرئيس مبارك على الخطوة التي إتخذها فإنه سيحقق لعرفات هامشاً رحباً يصول ويجول عليه في تحركه السياسي. وفي الوقت نفسه إن الخطوة التي إتخذها الرئيس مبارك قد تساعد على تحقيق مصالحة بين عرفات والرئيس حافظ الأسد. وإذا حدث ذلك فإن الرئيس مبارك سيكسب طرْفاً يناصره في معركة الحوار الصامت بين الحُكْمَيْن المصري والسوري.

وزيادة في التوضيح يمكن القول إن ياسر عرفات هو رجل مصر في الشرعية الفلسطينية. وعندما يكون الرجل الأول في القيادة الفلسطينية مع مصر قلباً وقالباً، فماذا يعود يهم الرئيس مبارك. كذلك إنه عندما يكون عرفات الذي هو زعيم اللوبي المتعاطف مع مصر داخل القيادة الفلسطينية أقوى شأنًا من قبل وتمكّن من توحيد الصف الفلسطيني بعدما كان هذا الصف مشتتاً، فإن ذلك هو لمصلحة مصر، خصوصاً أن ياسر عرفات المعروف بقدرته على المناورة وإبتكار التكتيكات لن ينام على الإطلاق في التعامل مع الرئيس مبارك.

خامساً - إن الموقف المصري طبيعي جداً وهو موقف كان لا بد للرئيس مبارك أن يتخذه. لكن المهم في هذا الموقف هو حُسْن التوظيف من جانب كل من الرئيس وحليفه ياسر عرفات.

وبالنسبة إلى الرئيس مبارك فإن التوظيف الممكن هو في الضغط على إسرائيل لتقريبها من فكرة المؤتمر الدولي. أما بالنسبة إلى عرفات فإن التوظيف الممكن هو في تحقيق الإنفراج السوري - الفلسطيني، على أمل أن يقود هذا

الإنفراج إلى حالة تعايش ما بين مصر وليبيا من جهة، ومصر وسوريا من جهة أخرى، وسوريا والعراق في مرحلة لاحقة، أو تسبق الحالتين المشار إليهما.

ويبقى أنه لولا الخوف من سوء الظن لجاز التكهّن بأن المواقف التي إتخذها المغرب والأردن ومصر من المجلس الوطني الفلسطيني إنما هي مواقف غير مفاجئة وحدث نوع من التشاور المسبق حولها. وإذا إستبعدنا مسألة التشاور بالنسبة إلى الموقفين الأردني والمغربي فإن الأمر يختلف بالنسبة إلى الموقف المصري.

يبقى أيضاً أن الرئيس مبارك، الذي يعتمد في مصر تجربة ديمقراطية، لا بد أن يأخذ في الإعتبار تجربة الديمقراطية الفلسطينية التي تجيز تعدد الآراء، وتوجب عدم الإستهانة بها. وعندما يكون رئيس البرلمان الفلسطيني رجل دين ويكون للشيوخ الفلسطينيين حضور في هذا البرلمان، ثم في اللجنة التنفيذية التي تقود منظمة التحرير، فهذا معناه أن الموقف الذي تم إتخاذه على هامش مناقشات المجلس الوطني الفلسطيني ومداولاته هو موقف ديموقراطي في الدرجة الأولى. وفي ضوء ذلك فلا ضرورة للغضب والبحث عن التوصيات التي تتحدث عن العلاقات المتميزة بين الشعوب كبديل للخلاف بين الأنظمة، ذلك أن هذه الشعوب لا تستطيع أن تفعل ما من شأنه أن يشكّل تناقضاً مع ما يتخذه أهل القرار السياسي.

والخلاف بين الرئيس مبارك والقيادة الفلسطينية لن يتجاوز للأسباب الكثيرة التي أوردناها في الأسطر السابقة، أكثر من زوبعة صغيرة في فئجان كبير. لكن من المهم جداً أن يبقى تسجيل المواقف في منأى عن الذين في القمة، وذلك من أجل أن يُلطّف هؤلاء الأجواء بقاء أو حديث أو تصريح، وهو أمر سيصعب الإقدام عليه إذا جنح كل من الرئيس مبارك وياسر عرفات نحو تصعيد الموقف بكلام يسجله كل منهما، إختياراً كان الكلام أو إضطراراً.

مجلة "التضامن". لندن - 9 أيار (مايو) 1987

* * *

مسؤولية الخلاف ومسؤولية إستمراره

عندما تناقلت الإذاعات ووكالات الأنباء تفاصيل لقاء القمة المغربي - الجزائري (يوم الإثنين 1987/5/4) بفضل

مسعى مشكور من الملك فهد بن عبد العزيز إستبشرنا خيراً من جهة وأحزننا الظروف التي تم فيها اللقاء من جهة أخرى. وسلفاً نقول إن الإستبشار بالخير كان كثيراً والشعور بالحزن كان قليلاً.

الإستبشار بالخير على أساس أن الملك فهد بادر شخصياً إلى حل خلاف مستحکم بين طرفين عربيين، بمعنى أنه لم يوفد من ينوب عنه، وإنما تولى الأمر بنفسه وذلك إختصاراً للوقت، ولأن طرفي الخلاف يديان بمشاركته في اللقاء مرونة ربما لا يمارسها أحد منهما إذا كان صاحب المسعى، والملك فهد بالذات، ليس مشاركاً في هذا اللقاء.

والإستبشار بالخير على أساس أنه ما دام الملك فهد بن عبد العزيز قرر أن يأخذ على عاتقه شخصياً أمر حل الخلاف المستحکم بين الحُكُمن المغربي والجزائري، فإنه سيجد نفسه مطالباً بأن يأخذ أيضاً على عاتقه حل خلافات عربية أخرى، فضلاً عن أنه بالنسبة إلى الخلاف المغربي - الجزائري سيحيط بكل العناية والإهتمام النتيجة التي حققها اللقاء مهما كان حجم النتيجة.

والإستبشار بالخير على أساس أن الملك فهد بن عبد العزيز تقادى مسألة جمع الملك الحسن الثاني والرئيس الشاذلي بن جديد في الرياض، وقُضِل أن يذهب إليهما ويلتقي معهما في النقطة التي تشكّل رمزاً للخلاف المستحکم بينهما، بعدما زار كلاهما في بلده وراعى بذلك الشعور بالزعامة والشأن لدى كل منهما وهو أمر أساسي.

والإستبشار بالخير على أساس أن هنالك إعتقاداً بأنه في اللحظة التي سيتم فيها إطفاء الحرائق المشتعلة في منطقة المشرق، سيبدأ إشعال الحرائق في منطقة المغرب العربي وبحيث لا ينعم العالم العربي بمرحلة من الهدوء يلتقط فيها أنفاسه ويستعيد البناء والعمل في سبيل التنمية. ومن منطلق هذا الإعتقاد تحرك الملك فهد بحيث يمكن سلفاً تقادي إشتعال الحريق في منطقة المغرب العربي خلال المساعي المتقدمة لمحااصرة نار حرائق منطقة المشرق، وأكثرها خطورة الحريق الناشئ عن الحرب العراقية - الإيرانية، خصوصاً أن الدور السعودي في إطفاء أو محاصرة نار هذا الحريق، وبكل إمتداداته، إنما هو دور أساسي.

والإستبشار بالخير على أساس أنه ليس من المنطقي أن يسبق الإتحاد السوفياتي، المملكة العربية السعودية في

بذل المساعي الحميدة والفعالة لتسوية الخلافات العربية، وأن مجرد تشخيص الملك فهد للآثار النفسية التي ستتشأ لدى المواطن العربي نتيجة هذا الإسراع من جانب الزعامة السوفياتية في الإهتمام بتسوية الخلافات المستحكمة بين بعض الأطراف العربية، حمّله على أن ينتقل بسعيه الحميد من مرحلة التأمل والتمني عبر المبعوثين، إلى مرحلة التعاطي المباشر وممارسة دور الموقّق والشاهد. ومثل هذا الأمر ينسجم أصلاً مع المملكة العربية السعودية بصفة كونها الطرف الأكثر تأثراً بسبب الإمكانات المتوافرة والمكانة الدولية. وبالنسبة إلى هذا الطرف فإن كونه ليس السبب في خلاف بين طرفين عربيين لا يعفيه من مسؤولية إستمرار هذا الخلاف أو إستحقاقه. وبمعنى آخر إنه إذا كانت المملكة العربية السعودية ليست سبب الخلاف بين المغرب والجزائر فإن دورها وتأثيرها يُلقيان عليها مسؤولية إستمرار هذا الخلاف. وكون المملكة العربية السعودية ليست السبب في الخلاف بين الحُكُمن العراقي والسوري لا يعني - إستناداً إلى الدور والتأثير - أنها لا تتحمل مسؤولية إستمرار هذا الخلاف. وفي تجربة التوفيق التي نشطت في سبيلها الزعامة السوفياتية تأكيد لذلك، بل إن هنالك أوجه شبه بين عدم مسؤولية الإتحاد السوفياتي عن الخلاف بين الحُكُمن العراقي والسوري الصديقين لهذه الزعامة، وعدم مسؤولية المملكة العربية السعودية عن الخلاف نفسه بين الحُكُمن اللذين تربطها بهما علاقات الصداقة والتعاون والمساندة فضلاً عن الأخوة.

ومثلما أن عدم مسؤولية الإتحاد السوفياتي لم تشكّل ما يشبه الإعفاء له من مسؤولية إستمرار الخلاف العراقي - السوري، فإن عدم مسؤولية المملكة العربية السعودية لا تعفيها من إستمرار الخلاف العراقي - السوري ما دامت - مثل الإتحاد السوفياتي - تربطها بالحُكُمن العلاقة التي توجب فض الخلاف، ولا من إستمرار الخلاف المغربي - الجزائري ما دامت تربطها بالملك الحسن الثاني والرئيس الشاذلي بن جديد العلاقة التي توجب فض الخلاف، ولا من إستمرار أي خلاف بين أطراف عربية أخرى ما دامت تربط المملكة العربية السعودية بهذه الأطراف أو بمعظمها العلاقة التي توجب فض الخلاف.

ونأتي الآن إلى ما أحزننا ونحن نسمع ونقرأ، أو بالأحرى أحزن كل مواطن عربي سمع أو قرأ، عن الظروف التي تم فيها اللقاء المغربي - الجزائري بحضور الملك فهد

بن عبد العزيز .

وما سمعناه هو أن اللقاء تم على الحدود، إلا أن الترتيبات قضت بأن يكون المقعد الذي جلس عليه الملك الحسن الثاني موضوعاً على أرض مغربية في نقطة الحدود وأن يكون المقعد الذي جلس عليه الرئيس الشاذلي بن جديد موضوعاً على أرض جزائرية.

وما كان يتمناه أي مواطن عربي، وفي الدرجة الأولى المواطنون المغاربة والجزائريون، هو أن يتجاوز الملك الحسن الثاني والرئيس الشاذلي هذه الشكليات، فلا يعتبرانها أساسية ويجلسا داخل خيمة ليس من المهم كونها منصوبة على أرض مغربية أو أرض جزائرية، خصوصاً أن هذه الأرض هي في النهاية أرض عربية. وهما لو فعلا ذلك لكانا عبّراً عن مسابرتهما لخطر الملك فهد بن عبد العزيز الذي تجشّم المشقة من أجل أن يجمع طرفين صديقين يتمنى أن يحول جمعهما دون نشوب الحريق في منطقة المغرب العربي.

بل إننا نجد أنفسنا نقول: لو أن الملك الحسن الثاني جلس على المقعد الذي جلس عليه الرئيس الشاذلي، وجلس الرئيس الشاذلي على المقعد الذي جلس عليه الملك الحسن الثاني... لو أن ذلك حدث لكان هذان الزعيمان سجلاً أمثولة يمكن تسجيلها في تاريخ التعامل العربي الذي تخلو صفحاته من أمثولات من نوع الأمثلة التي سجّلها في الماضي الراحلان فيصل بن عبد العزيز وجمال عبد الناصر عندما جعلوا مصلحة الأمة هي الأولى وهي العليا ثم تأتي بعد ذلك التفاصيل والشكليات.

مجلة "التضامن". لندن - 16 أيار (مايو) 1987

* * *

فلاديمير بتروفسكي... زائر البصرة

عن طريق الكويت

سبع سنوات من الحرب ولم يبادر أحد من المسؤولين العرب إلى أن يقوم بزيارة إلى البصرة التي تحمّل صدرها من القذائف ما لم تتحمله مدينة أخرى والتي أصابها من الإيرانيين ما لم يُصيب بورسعيد من الإسرائيليين. ولولا مهرجان المربد الشعري الذي هو أحد الظواهر التي تسجّل

لوزير الإعلام العراقي لطيف نصيف جاسم لما كان زار هذه المدينة سوى المقاتلين وأبناء المدينة والمراسلون والصحافيون بين الحين والآخر. لكن وزير الإعلام والثقافة العراقي، الذي جعل للحضور الثقافي والفني مكانة ملحوظة إلى جانب الحضور العسكري الفعال طوال سنوات الحرب نقل الشعراء العرب إلى البصرة من خلال مشاركتهم في المربد.

من هنا فإننا عندما نرى أن مسؤولاً سوفياتياً رفيع الشأن مثل فلاديمير بتروفسكي نائب وزير الخارجية السوفياتي زار البصرة، فإن هذه الزيارة نتيجة لعوامل كثيرة ترقى من جهة نظر موضوعية إلى مرتبة الحدث.

وزيارة بتروفسكي للبصرة تمت يوم الجمعة 24 نيسان (أبريل) 1987 وبعدما كان الرجل قام بجولة خليجية شملت الكويت ودولة الإمارات وسلطنة عمان وقابل خلالها قادة هذه الدول وأجرى محادثات في العمق مع مستشاريهم ومساعدتهم في صياغة المواقف والقرارات.

كذلك إن زيارة بتروفسكي للبصرة تمت بينما ما تزال الخطوة الكويتية الذكية المتعلقة بإستئجار ناقلات تحمل العلم السوفياتي تتفاعل وتضع الحُكم الإيراني في حالة لا تخلو من الحرج، ذلك أنه لن يكون من السهل عليه التعرض إلى ناقلات ترفع علم الدولة العظمى التي هي الإتحاد السوفياتي، إلا إذا كان هذا الحُكم الذي لا يتورع عن ارتكاب أي عمل يعطل أُلغام الحرب قد يطلق على إحدى هذه السفن صاروخاً أو يزرع لها لغماً معتمداً في ذلك على أن الولايات المتحدة ستدعم موقفه. وإلا فما معنى أن يقول الرئيس الإيراني علي خامنئي في الوقت الذي كان بتروفسكي بدأ زيارته للبصرة "إن إيران لا يمكن أن تقف مكتوفة الأيدي أمام الهجوم على سفنها بينما سفن دول أخرى تمر بحرية في مياه الخليج. إن أمن الخليج يجب أن يكون متساوياً بالنسبة للدول المطلّة على الخليج وإلا فليُسّر عدم الأمن على الجميع".

وإذا كان الحُكم الإيراني حريصاً على ما يقوله فإن ما هو مطلوب منه هو حُسْن النية أي الجلوس إلى طاولة التفاوض، إما أن يريد للحرب أن تستمر ولا يريد للغير أن يحمي نفسه فهذا ما لا يقره منطق وهذا ما يبدو أن الإتحاد السوفياتي تفهّمه جيداً فتحرّك في ضوء هذا التفهم، وتجاوب مع الدبلوماسية الكويتية في ضوء هذا التفهم، وتم إيفاد بتروفسكي إلى المنطقة في ضوء هذا التفهم وقام الرجل بجولة هي الأولى من نوعها من حيث الهدف

والتفاصيل في ضوء هذا التفهم.

ولقد سلك بتروفسكي في زيارته إلى البصرة الطريق التي كان يسلكها الكويتيون والخليجيون عموماً في زيارتهم إلى البصرة قبل أن تبدأ الحرب ولا تعود المدينة للتسليّة والإجازة وإنما مدينة مستهدفة من الإيرانيين تصد عن نفسها ليل نهار محاولاتهم لوضع اليد عليها. وهو لم يتوجه من الكويت إلى البصرة براً ليس لأن هذا الديبلوماسية السوفياتي الذي يمتلئ حيوية لا يحب السفر جواً ولا لأنه شغوف باكتشاف الجديد، وإنما سافر بالسيارة ومن دون أن تكون البصرة بالذات ضمن برنامجه قبل أن يبدأ الجولة لتسجيل موقف سوفياتي متقدم على صعيد إدانة المحاولات العدوانية الإيرانية على البصرة. وقد يجوز الافتراض أن فكرة الانتقال من الكويت إلى العراق (كما هو مقرر من قبل) عن طريق البصرة كان تلبية لتعليمات من موسكو تبليغها بتروفسكي وهو يواصل مهمته الخليجية، أو إن الرجل بعد زيارة كل من الكويت وأبو ظبي ومسقط ومحادثاته في العواصم الثلاث اجتهد في أن يقوم بزيارته إلى العراق بادئاً بالمدينة الصامدة (البصرة) ما دام ذلك ممكناً القيام به عن طريق البر وليس بالعاصمة بغداد. وزيارة البصرة من بغداد ربما كانت لن تتم أو تبدو مفتعلة، بينما زيارة بغداد من البصرة بعد الكويت تبدو طبيعية وتحمل في طياتها معنى عميقاً، وربما يتوازن مع معادلة تحرص عليها القيادة السوفياتية. وعندما نلاحظ أن زيارة بتروفسكي للبصرة تمت في اليوم الذي كان الرئيس حافظ الأسد يجري في موسكو جلسة المحادثات الأولى مع غورباتشوف يجوز لنا الافتراض بأن الكرملين أراد إبلاغ أكثر من جهة، بمن في ذلك الرئيس السوري، أن طريق الإتحاد السوفياتي إلى العلاقات الجيدة مع العراق يمر عبر البصرة، بمعنى أن هذه المدينة لا يجب أن تكون مطمع الإيرانيين ومن معهم ولا "عاصمة" الذين يساندون آيات الله الإيرانيين من الخارجين على المسألة الوطنية والانتماء القومي.

وفي العادة إن الكتابة عن المهمات الإستثنائية التي يقوم بها مبعوثو الحكام الكبار مسألة صعبة، وهي أكثر صعوبة عندما يكون الذي يقوم بالمهمة هو مبعوث الزعيم السوفياتي غورباتشوف. ذلك أن الطرف السوفياتي يلتزم الصمت عند الحديث حول هذه المهمة والطرف الآخر (وهو هنا الخليجي) يلتزم الحذر، خصوصاً أنها المرة الأولى التي يحدث فيها مثل هذا الحوار الخليجي -

السوفياتي.

لكن في غياب المعلومات حول الذي دار في هذا الحوار من الكويت إلى أبو ظبي إلى مسقط إلى الكويت مرة أخرى، ثم إنتهاء ببغداد مروراً بالبصرة، يمكن للمرء أن يقرأ بين سطور التصريحات ويتأمل ملياً في الصور الرسمية عن اللقاءات ويربط هذه القراءة وذلك التأمل بما هو متوافر عنده من بعض المعلومات والملاحظات، ثم يخرج بنتيجة قد لا تصيب الحقيقة تماماً إلا أنها لا تكون بعيدة كثيراً عن الحقيقة.

وأول ما يلاحظه المرء في ضوء التأمل هو أن الرئيس صدام حسين بدا مرتاحاً إلى حد كبير عندما عرض التلفزيون العراقي لقطات من إستقباله للمبعوث السوفياتي بعد قليل من وصوله إلى بغداد آتياً من البصرة. بل إن إرتيابه كان أعلى درجة من إرتيابه - كما بدا أيضاً في التلفزيون العراقي - عندما إستقبل النائب الأول لرئيس هيئة مجلس السوفيات الأعلى بيوتر ديميتشيف بصفته المبعوث السوفياتي الذي جاء إلى بغداد على رأس وفد شارك في ذكرى إبرام معاهدة الصداقة والتعاون السوفياتية - العراقية ولمناسبة تجديدها. وأقل هنا ملاحظة لشخصية عراقية ذات شأن. وخلاصة هذه الملاحظة هي أن الرئيس صدام لا يخفي مشاعره وأنه يعبر عنها من خلال وجهه وأنه لكي يستشف المرء مشاعر الرئيس صدام إزاء زواره عليه أن يتابع وبالكثير من التأنى قسماً وجهه. وإستناداً إلى هذه الملاحظة، فإن القسّمات كانت تعكس بالفعل إرتيابه ملحوظاً خلال اللقاءين: عندما إستقبل الرئيس صدام المبعوث الذي أتى للإحتفال بذكرى إبرام المعاهدة ولمناسبة تجديدها بيوتر ديميتشيف وعندما إستقبل بتروفسكي الذي قام بجولة خليجية شملت البصرة، وهي الزيارة الأولى التي يقوم بها مسؤول عربي أو دولي إلى هذه المدينة المقاتلة الصامدة والصابرة.

وقد يمر وقت طويل قبل أن نلمس النتائج التي حققتها جولة بتروفسكي خصوصاً أن جميع الأطراف سواء الزائر أو الذين شملتهم الزيارة يلتزمون الصمت ويتحاشون الخوض في التفاصيل، بإستثناء الإشارة العابرة إلى مواد جدول أعمال الجولة وهي: إيجاد حل للحرب العراقية - الإيرانية كمادة أولى تتفرع عنها مواد أخرى لعل أهمها تحقيق مصالحة عراقية - سورية، ومصالحة سورية - فلسطينية، ومصالحة عراقية - ليبية، وتعايش مصري -

سوري، وتقاوم فلسطيني - فلسطيني، وتوظيف كل هذه المصالحات وحالات التفاهم والتعايش في تأمين إنعقاد المؤتمر الدولي.

إلا أنه إذا كان من المتعذر لمس النتائج فإن ذلك لا يعني أن ما حدث من تطورات في الأسابيع القليلة الماضية ليس جزءاً من السياسة العامة للتحرك السوفياتي المشار إليه. وزيادة في التوضيح يمكن القول إن الانفراج في العلاقات المصرية - السوفياتية هو من ثمار تلك السياسة، والمصالحة العراقية - الليبية هو أيضاً ثمرة من تلك الثمار، وإن كانت ما زالت بحاجة إلى المزيد من الوقت لكي تنضج ويتم قطفها، والمسعى الحثيث لتحقيق مصالحة عراقية - سورية، وسورية - فلسطينية وتتويج المصالحة الليبية - الفلسطينية بلقاءات على مستوى القمة هي أيضاً من ثمار تلك السياسة.

واللافت للانتباه أن السياسة العامة للتحرك السوفياتي أخذت في الاعتبار أهمية الدور الخليجي في تحقيق المصالحات وحالات الوفاق المشار إليها، فحدث نوع من التركيز على هذا الدور. وللمرة الأولى ينشط الكرملين مع الخليجيين والملك حسين في سبيل تحقيق مصالحات عربية بينما الجانب الأميركي في موقف يتأرجح بين التحفظ واللامبالاة، ربما لإعتقاد هذا الجانب بأن لا شيء سيمتد من دون موافقته وربما لأن إدارة الرئيس ريغان لا تريد لهذه المصالحات أن تتم تحت مظلة السوفياتية، أو لا تريد لها أن تتم على الإطلاق ربما لأن إسرائيل لا تريد للمؤتمر الدولي أن ينعقد، أو إذا إنعقد فبشروطها أو إذا كان لن ينعقد بشروطها فعلى الأقل لا ينعقد بما يخطط السوفيات ويوافق عليه العرب. وإستناداً إلى ما اعتادت الإدارة الأميركية أن تفعله فإن هذه الإدارة لا تنشط من أجل تحرك قبل أن يحظى بموافقة إسرائيل.

وليس من المستبعد على الإطلاق أن تصحو الإدارة الأميركية ذات يوم على وضع لا تتمناه وهو أن الخليج لم يعد لها، أو معها، وأنه يصغي بإهتمام شديد إلى القيادة السوفياتية المستتيرة، خصوصاً إذا حدث أن إرتأى غورباتشوف تطوير نظريته وأسلوب تعامله بحيث لا يعود أهل الخليج على حذرهم المعهود من الإتحاد السوفياتي. وإستناداً إلى جولة بتروفسكي التي شملت الكويت ودولة الإمارات وسلطنة عُمان (أي نصف دول مجلس التعاون) والعراق فإن الحذر لم يعد على ما كان عليه وأن الإستعداد كبير لتقبل سياسة الإنفتاح التي يعتمدها غورباتشوف.

وسياسة غورباتشوف التي نحن في صدد معالجتها سبقتها مقدمات. وإذا جاز الافتراض فإن الزعيم السوفياتي أخذ في الإعتبار أمرين:

الأول هو إزالة الإنطباع السائد في العالم العربي وهو أن الإتحاد السوفياتي يضع علاقته مع الولايات المتحدة في مقدمة إهتماماته تلي ذلك علاقته مع أوروبا الغربية وبعد ذلك بقية العالم بمن فيهم العرب.

والثاني هو تغيير الأسلوب السائد في التعامل والإعتماد على فريق عمل يستطيع أن يعبر عن حرص الإتحاد السوفياتي على علاقة متوازنة مع العرب، وإن القضايا العربية أو فنقل الهموم العربية تقع في مقدمة إهتمامات القيادة السوفياتية، أو أنها ستصبح مع عهد غورباتشوف في المقدمة.

وفي إطار الأمرين المشار إليهما سجل غورباتشوف في أكثر من مناسبة مواقف حول أهمية العالم العربي وأودف النائب الأول لوزير الخارجية فورنسوف برسالتين بالغتني الأهمية إلى كل من الرئيس حسني مبارك والعقيد معمر القذافي، وأعاد النظر في سفراء الإتحاد السوفياتي لدى معظم الدول العربية وإختار سفراء من الجيل الجديد الذي يستطيع ترجمة سياسة الإنفتاح التي يتطلع إليها. واللافت للانتباه أنه إختار العام الماضي (1986) سفراء يتمتعون بقدرة على تقديم الإتحاد السوفياتي بوجهه الواقعي لتمثيله في سبع عواصم عربية هي القاهرة وطرابلس وتونس ودمشق وبيروت والكويت وأبو ظبي. ومن الجائز الافتراض أن هنالك سفراء آخرين سيمثلون الإتحاد السوفياتي في بقية العواصم العربية ويكون هؤلاء من جيل الإنفتاح السوفياتي المستجد على العالم العربي، وهو جيل ينتمي إليه بتروفسكي، بل إنه - أي بتروفسكي - على حد خلاصة تحليل سمعناه من مصدر كثير الإطلاع هو أحد قادة هذا الجيل الشاب في الخارجية السوفياتية.

ومن المؤكد أن القيادة السوفياتية وفي ضوء النجاح الذي حققته جولة بتروفسكي ستطوّر تحركها. وقد يقوم الرجل نفسه بجولة أو جولات أخرى تشمل بقية الدول العربية ينقل خلالها رسائل خطية من غورباتشوف من نوع الرسائل التي حملها إلى أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد والسلطان قابوس ورئيس دولة الإمارات الشيخ زايد بن سلطان والرئيس صدام حسين.

ولعل ذروة النجاح كانت في أن الزيارة الأولى التي يقوم بها مسؤول على هذا المستوى إلى دول الخليج التي بينها

وبين الإتحاد السوفياتي علاقات دبلوماسية عوملت من جانب قادة هذه الدول معاملة من الدرجة الأولى. ونعني بذلك أن رؤساء هذه الدول إستقبلوا المسؤول السوفياتي ولم يتركوا الأمر لوزراء خارجيتهم. ومثل هذا الأمر يحدث للمرة الأولى، ومن أجل ذلك جاز القول إنه نجاح كبير ستعمل قيادة غورباتشوف على تطويره.

وقد يجوز الافتراض أن الكويت أرست تقليداً جديداً يقضي بمعاملة مبعوث غورباتشوف بطريقة متميزة بمعنى أن تكون المعاملة من الدرجة الأولى، ربما لفتح الباب الخليجي قليلاً أمام رغبة غورباتشوف في الإنفتاح على العالم العربي والتعاطي بجدية مع الهموم العربية، وربما للرد على الموقف الإيجابي الذي إتخذه الإتحاد السوفياتي ووسائل إعلامه من مؤتمر القمة الإسلامية الخامس الذي تم عقده قبل ثلاثة أشهر في الكويت. وللتذكير فإن رئيس مجلس السوفيات الأعلى هنا أمير الكويت على نجاح المؤتمر، كما أن وسائل الإعلام السوفياتية (تلفزيون وإذاعة وصحف) أولت المؤتمر الإهتمام الكبير بعدما كانت في الماضي تغطي المؤتمرات الإسلامية بأنباء مقتضبة لا تتجاوز بضعة أسطر تتسم بالكلمات الجافة والخالية من الدفء.

وإلى ذلك إن إهتمام الكويت بزيارة بتروفسكي قد يكون عائداً إلى رؤية خلاصتها أنه ما دام غورباتشوف مهتماً بحرب الخليج ويوفد لهذا الغرض مبعوثاً يحمل رسائل ومقترحات فلماذا لا يكون هنالك إهتمام كبير بهذه المبادرة، خصوصاً أن ضيق دول الخليج من إستمرار الحرب يتزايد يوماً بعد آخر بل وساعة بعد أخرى.

ويبقى إستكمالاً لهذا الموضوع طرُح بعض التساؤلات المتعلقة بجولة بتروفسكي والإجابة عنها في ضوء معلومات وإجتهادات وإستقراء مواقف وقراءة بين سطور تصريحات وبيانات ولقاءات ومناقشات مع مراجع عراقية وخليجية مسؤولة ومصدر سوفياتي شبه رسمي في الكويت، وكذلك إعطاء فكرة عن "زائر البصرة" بتروفسكي. أما التساؤلات والإجابات عنها فيمكن تسجيلها على النحو الآتي:

التساؤل: هل أن زيارة بتروفسكي إلى الكويت تمت بدعوة من حكومتها، أم أنه موفد؟ وهل أن أجواء الترحيب التي لقيها في الكويت ومستوى الإستقبال جعلت دولة الإمارات وسلطنة عُمان تستقبله بالطريقة التي إستقبل بها في الكويت؟ وهل أنه توجه إلى أبو ظبي ومسقط زائراً

رسمياً بدعوة منهما أم موفداً من حكومته؟

الإجابة: زائر بدعوة أم موفد بمهمة؟ العبرة ليست في الشكليات. المهم أن الزيارة حدثت بصرف النظر عن هو المبادر. والمهم أنها التجربة الأولى للتشاور الثنائي السوفياتي - الخليجي. وبما أنها حققت قدراً من النتائج الطيبة فإنها قد تتواصل.

التساؤل: قيل إن بتروفسكي يحمل مقترحات فهل أن الإتحاد السوفياتي ينشط من وراء ظهر الولايات المتحدة وهل في إستطاعته أن يحقق لوحده ما لم يتحقق حتى الآن؟

الإجابة: لو كان الإتحاد السوفياتي يريد أن ينشط من وراء ظهر الولايات المتحدة لما كانت دول الخليج تقبلت منه ذلك، ولكانت إستقبلت مبعوثه بالقدر الذي يتناسب مع حجم تحركه، فضلاً عن أن الزمن الراهن ليس زمن التحرك السري والمنفرد. ولو كان الإتحاد السوفياتي يريد أن ينشط من وراء ظهر الولايات المتحدة لما كان أرسل مبعوثين يجوبون المنطقة في العلن. ولكن الإتحاد السوفياتي ينشط مستفيداً من إستهانة الإدارة الأميركية بالهموم الناشئة عن إستمرار الحرب وينشط بذكاء الراغب في تسويق وجهه الإنفتاحي الجديد.

وإلى ذلك إن الإتحاد السوفياتي يترجم إلى فعل ما سبق أن طرحه غورباتشوف نفسه بشكل مبادرة في البرلمان الهندي يوم 27 تشرين الثاني (نوفمبر) 1986 أثناء زيارة كان يقوم بها الزعيم السوفياتي إلى الهند. وبعد تلك المبادرة ذات النقاط الخمس حدث نوع من الإرتياح في الدول الخليجية لأن هنالك دولة كبرى تُولي الحرب هذا الإهتمام. وللتذكير فإن المبادرة دعت إلى تخفيض الوجود العسكري في منطقة الخليج، وتطبيق أسس تقوم على الثقة المتبادلة وتبادل المعلومات عن التحركات والتقلات العسكرية، وتأمين حرية الملاحة في مياه المحيط الهندي والخليج العربي وإحترام سيادة دول المنطقة، وتأمين حرية الملاحة البحرية والجوية، ومكافحة الإرهاب.

وعندما عرض غورباتشوف مبادرته كان عملياً يقوم بمحاولة إنعاش لمبادرة سبق أن طرحها من قبل الزعيم السوفياتي (الراحل) بريجنيف عام 1980 وفي البرلمان الهندي أيضاً، مع الفارق أن حرب الخليج في ذلك العام كانت ما زالت في أيامها الأولى بينما كانت تلك الحرب عندما عرض غورباتشوف المبادرة قد دخلت سنتها السادسة وحفلت بالفواجع والمخاطر.

وقد نجد من يتساءل: وما هذه المصادفة في أن المبادرتين السوفياتيتين الأولى والثانية تم عرضهما في البرلمان الهندي وليس في موسكو؟ والجواب عن ذلك هو أن الاختيار مدروس كون الهند إحدى أهم دول العالم الثالث فضلاً عن حضورها المتميز في المحيط الهندي.

والى ذلك إن الصيغة التي عرضها بتروفسكي خلال جولته الخليجية كانت مطعّمة بإقتراحات تتناسب مع الظروف الراهنة للحرب ومنها النقطة الأساسية المتعلقة بإجراء محادثات بين الدول الأعضاء في مجلس الأمن من أجل البحث عن حل سلمي. ومن المؤكد أن هنالك أيضاً بعض النقاط التي لم يتم الكشف عنها مخافة أن يشكّل الكشف إجهاضاً للفكرة أو تشويشاً عليها. ولمجرد أن ينجو الكشف من المخاطر فإن تلك النقاط ستخرج من السرية إلى العلنية.

التساؤل: كيف إستقبلت الدول الخليجية الثلاث (الكويت والإمارات وسلطنة عُمان) الإقتراحات السوفياتية؟ الإجابة: قياساً بالذي حدث في الكويت فإن الإستقبال كان جيداً. وفي الكويت كان هنالك تطابق في معظم وجهات النظر، وهذا سببه أن النقاط التي تتضمنها المبادرة السوفياتية تستهدف إنهاء الحرب وهذا ما يتطلع إليه الجميع. والخلاف هو على حجم مكاسب الأطراف الدولية من إنهاء الحرب.

التساؤل: هل الإتحاد السوفياتي جاد بالفعل من أجل إنهاء الحرب العراقية - الإيرانية ولماذا لا تتخذ الولايات المتحدة الموقف نفسه؟

الإجابة: في السنوات الثلاث أو الأربع الأولى للحرب كانت إستفادة الإتحاد السوفياتي من الحرب تتساوى مع إستفادة الولايات المتحدة. بعد ذلك تضاعفت الإستفادة السوفياتية فبدأ الكرملين ينشط لوقف الحرب وتزايدت الإستفادة الأميركية فبدأت إدارة الرئيس ريغان تعرقل أي مسعى لوقف الحرب وبدأت تُكثف مساندتها لإيران مباشرة أو عن طريق إسرائيل وتجار السلاح.

ومن الطبيعي أن يكون للعامل الجغرافي دور في المسألة، بمعنى أنه لو كانت الولايات المتحدة جارة لإيران التي هي جارة للسوفيات لكانت أكثر حرصاً على أن تتوقف الحرب لمجرد أن تصل إلى نقطة الخطر التي وصلت إليها هذه الحرب.

وقبل أن تصل الحرب إلى نقطة الخطر كان الإتحاد السوفياتي يقف على الحياد بين العراق وإيران ثم أدخل

تعديلاً جذرياً على هذا الموقف بحيث بات مع الطرف الذي يُقبل بالتسوية والحل السلمي من دون أن يعني ذلك أنه ضد الطرف الآخر. ولقد كان خير تعبير عن هذا الموقف ما قاله غروميكو لوزير خارجية إيران ولايتي عندما إستقبله في موسكو يوم 13 شباط (فبراير) من هذا العام: "إن يوم حرب واحد أسوأ من خمس سنوات تفاوض".

التساؤل: هل هنالك تشاور بين الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي في شأن التحرك لإنهاء الحرب العراقية - الإيرانية؟

الإجابة: قبل أن ينكشف أمر صفقة الأسلحة الأميركية - الإسرائيلية كان هنالك نوع من التشاور وعندما إكتشف السوفيات أن الأميركيين أبرموا الصفقة من ورائهم أو أنهم كانوا يعملون على إبرام صفقة في الوقت الذي يشيرون أنهم راغبون في إيجاد حل للحرب حدث ما يشبه التقاطع بين الطرفين.

التساؤل: إذا كان تأجير ناقلات من دولة كبرى مثل الإتحاد السوفياتي لكي تتولى نقل النفط الكويتي يحقق الحد الأقصى من الطمأنينة، فما الذي حال دون إعتداد هذه الوسيلة من قبل وبالذات لمجرد أن بدأت حرب الناقلات؟ وإلى ذلك هل أن هذه الوسيلة جاءت بمبادرة من الطرف الذي إستأجر أم من الطرف الذي تولى التأجير؟ وكيف ستتقبل الأمر الدولة العظمى الأخرى (أي الولايات المتحدة) والدول الأقل عظّمة التي تتقاسم مع الدولتين العظميين نادي الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن؟

الإجابة: من الجائز الافتراض أن تأجيل إعتداد أسلوب التأجير يعود إلى عدة عوامل من بينها أن إستئجار ناقلة نفط من دولة كبرى هو نوع من طلب الحماية في حين أن الإستئجار من دولة صغرى أو متوسطة هو عمل تجاري قبل أي شيء آخر.

والى ذلك إنه عندما يتأخر الإستئجار فإن ذلك يعود في الدرجة الأولى إلى أن صاحب الفكرة أو صاحب الحاجة تأخر في التقدم بطلب الإستئجار عن تهيب أو تقادياً لحساسيات أو تقديراً لموقف. ومن الطبيعي أنه إذا كانت الكويت لم تعرض هي الإستئجار فإن الإتحاد السوفياتي لن يبادر هو إلى إقتراح التأجير مخافة أن يساء فهمه وعلى أساس أن المسألة قد يُنظر إليها على أنها سياسية وليست على الإطلاق تجارية طمعاً ببعض الدنانير خصوصاً أن الدينار في سوق العملات أقوى شأناً من الدولار.

1988. وتكراراً إنه من الصعب الإحاطة بالذي أنجزه بتروفسكي زائر الكويت وأبو ظبي ومسقط والبصرة وبغداد.. وبالذات البصرة، إلا أنه من المؤكد أن الولايات المتحدة ستتشط بعد الآن في اتجاه الحرب في الخليج مخافة أن يخطف منها كرملين غورباتشوف الدور والوهج. وعندما يقول وزير الإعلام الكويتي الشيخ ناصر محمد الأحمد الصباح أمامنا ونحن في مجلس نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الشيخ صباح الأحمد وبينما بتروفسكي ما زال مثل مركبة فضاء تدور في سماء الخليج "إن السوفيات ناس عاقلين"... إنه عندما يقول ذلك فهذا يعني أن الدور السوفياتي مقبول وأنه ما زال في أوله وأنه سيستمر ينشط بواقعية ويتبلور إلى أن تتم زيارة أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد إلى موسكو عام 1988 كما هو متوقع، وبعدما يكون مهّد لها بزيارة إلى الأمم المتحدة يلتقي خلالها بالرئيس رونالد ريغان على هامش هذه الزيارة وكما يقضي التقليد المتبع بالنسبة إلى رؤساء الدول الذين يحضرون دورة الجمعية العمومية للأمم المتحدة. وقد تكون زيارة الأمير إلى الأمم المتحدة كما هو متوقع تدخل ضمن قاعدة التوازن التي نجحت الكويت في المحافظة عليها منذ ربع قرن.

مجلة "التضامن". لندن - 16 أيار (مايو) 1987

* * *

تلغيم السوفيات وقصف الأميركيين

الذي يتابع التطورات التي شهدتها الحرب العراقية - الإيرانية في الأسبوعين الماضيين يصاب بما يشبه الذعر. ذلك أنه في الوقت الذي تنتظر المنطقة بفارغ الصبر إنتهاء العد العكسي للحل الدولي الذي كثر الحديث في شأنه، تحدث مفاجآت غير سارة على الإطلاق. فهذه ناقلة نפט تحمل العلم السوفياتي ومؤجرة من الكويت تصاب بلغم وتلك "فرقاطة" أميركية تصاب بصاروخ وهي في مياه الخليج. وعند كتابة هذه السطور (يوم الإثنين 18/5/1987) كان من الصعب على من يتابع هذه التطورات أن يتصور مدى الخطر الذي تُنذر به، لكن الأمر الذي يجوز إفتراضه هو أن هذه التطورات تشكّل مادة رسالة إلى الدولتين الكبيرتين، وإلى بقية الدول دائمة العضوية في مجلس

أما من هو الذي بادر، الكويت أم الإتحاد السوفياتي، فإن من الطبيعي إفتراض بأن المبادر كان الطرف الكويتي وأن الطرف السوفياتي إعتبرها فرصة ذهبية وبدا كما لو أنه كان في إنتظارها.

وقد يجوز القول إن بادرة إستتجار الناقلات السوفياتية كانت مباغتة وأنها جاءت في الوقت الذي لا يلوم أحد الكويت لأنها تريد إستعمال "سلاح إستتجار الناقلات" بعدما إستنفدت كل الوسائل الممكنة، وجاءت أيضاً في الوقت الذي عجز فيه الغرب - وتحديداً الولايات المتحدة - عن حسم ميوعة في موقفه من الحرب. ومن المؤكد أن إستتجار الناقلات السوفياتية سيصبح أحد أوجه تدويل الحرب وأن الدول الدائمة العضوية الأخرى ستجدها فرصة مناسبة ليكون لها دور عن طريق تأجير ناقلات تابعة لها إلى دول الخليج. وإذا كانت إيران لن تتعرض لهذه الناقلات مخافة أن يتسبب لها التعرض بمناعب لا قدرة لها على مواجهتها، فإنها ستقرب بالتالي من مشارف التعقل فتقبل بصيغة للتسوية تبدأ بوقف القتال والبحث عن مكان تحت مظلة المؤتمر الدولي.

التساؤل: وهل إذا "ركبت إيران رأسها" كما يقول التعبير الشعبي وقصفت ناقلة تحمل العلم السوفياتي، سيرد الإتحاد السوفياتي على ذلك وكيف؟

الإجابة: الإحتمال وارد وعلى طريقة العملية الإنتحارية التي نفذها "حزب الله" في بيروت ضد قوات "المارينز". وأغلب الظن أن الإتحاد السوفياتي لن يرد بالطريقة التي ردت بها الولايات المتحدة، ولكنه من المؤكد سيرد، وإلا فما معنى أن يعلن رسمياً وفي موسكو بعد ساعات من إتمام عملية تأجير الناقلات "إن للإتحاد السوفياتي الحق في إتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية هذه الناقلات".

وإضافة إلى التساؤلات التي أوردنا بعضها من المهم الإشارة إلى أن الإطلالة الجديدة للزعيم السوفياتي غورباتشوف على العالم وإرتياح الفريق المحافظ في العالم العربي لهذه الإطلالة، تبقى هي العامل الأساسي في هذا التطور الذي حدث، حيث إن بتروفسكي الذي زار البصرة وبغداد بعدما زار الكويت وأبو ظبي ومسقط إستقبل في كل عاصمة زارها من قبل رئيس الدولة وهذا يحدث للمرة الأولى.

وسيبقى غورباتشوف مديناً للكويت في هذا الإنجاز الذي يترامن مع إقتراب اليوبيل الفضلي للعلاقات السوفياتية - الكويتية والذي يصادف يوم 23 آذار (مارس)

الأمن، بأن عليها أن تسرع في ابتكار الحل، ثم أن تكون جدية في صياغة الحل، ثم أن تكون حازمة في تطبيق الحل.

وإذا كان تلغيم الناقلات السوفياتية يتناسب مع المخططات الإيرانية في وضع الألغام أمام أي خطوة من شأنها أن توقف الحرب، فإن الصاروخ الذي أصاب الفرقاطة الأميركية لا يتناسب على الإطلاق مع الخطط العراقية التي تسعى إلى توظيف الموقف الدولي في سبيل إيجاد نهاية للحرب، أو على الأقل في سبيل هدنة طويلة، لعل وعسى تتجدد الهدنة مرة ثانية، ثم مرات، ويتم خلال هذه الهدنات السعي لإيجاد حل للحرب وصيغة للتعايش.

وتبدو عملية توجيه صاروخ إلى "الفرقاطة" الأميركية شبيهة في بعض جوانبها بعملية إسقاط طائرة وزير الخارجية الجزائرية. وفي العمليتين فإن الطرف الذي يستفيد من نتائجهما هو الطرف الذي لا يريد للحرب أن تنتهي. ومن خلال المواقف المعلنة والممارسات اليومية فإن الطرف الإيراني ليس فقط لا يريد للحرب أن تنتهي وإنما هو لا يريد لها أن تتوقف ولو ليوم واحد سواء كان هذا اليوم أحد أيام رمضان أو أحد أيام عاشوراء.

وإلى ذلك إن العملية تأتي بعد تحذيرات وإنذارات إيرانية لا نهاية لها ضد المحاولة الدولية لمحاصرة الحرب، وهي المحاولة التي بدأها الإتحاد السوفياتي بتأجير ناقلات إلى الكويت، وشجع الولايات المتحدة على أن تحذو حذوه. كما أن العملية تزامنت مع انفجار لغم بناقلة سوفياتية، وكما لو أن الهدف هو إعلان الحرب على العالم الذي يبدو، من خلال التبدل الجذري في الموقف السوفياتي والتبدل الطفيف في الموقف الأميركي، أنه بات أكثر ميلاً للإقتناع بضرورة وضع حد ما للحرب العراقية - الإيرانية، إذا كان من الصعب وضع نهاية لها في الوقت الراهن.

وتبقى ثلاثة أمور تستحق التوقف أمامها والتأمل فيها بالكثير من التأني:

الأمر الأول هو أن الانطباع السائد بأن القطع البحرية في مياه الخليج هي في معظم الأحيان أهداف للطيارين العراقيين الذين يجيدون التصويب بدقة، هو الذي أوجد إفتراضاً بأن الصاروخ الذي أصاب "الفرقاطة" هو صاروخ عراقي أو لا بد أن يكون صاروخاً عراقياً. ولكن ذلك لا يعني أنه ليس في استطاعة دعاة الحرب في إيران استخدام الصاروخ نفسه وتوجيهه إلى هدف ليس بالضرورة أن يكون هدفاً برسم التصويب عليه من جانب الطيارين العراقيين

لمجرد أنه موجود في مياه الخليج. وبعد التعاون العسكري الإيراني - الإسرائيلي لم يعد بالأمر الصعب على دعاة الحرب في إيران الحصول من إسرائيل على الأسلحة والصواريخ التي تفيدهم في عمليات التداخل التي تخدم مخططاتهم، خصوصاً أنه يتبين يوماً بعد آخر أن إسرائيل هي أكثر الدول المقتدرة التي لا تريد لإيران أن توقف الحرب، أي بمعنى آخر إن مقولة أن الحرب يجب ألا تتوقف لأن وقفها يعني أن الإمام ليس معصوماً عن الخطأ، انحسرت كثيراً أمام إنقسام رجال الدين في إيران حول هذه الحرب وحلت محلها حقيقة كثيرة الوضوح وهي أن إسرائيل لا تريد للحرب أن تتوقف من أجل أن يتم إضعاف القدرة العسكرية المفاجئة للعراق.

والأمر الثاني هو أن إصابة "الفرقاطة" يثير التساؤلات الكثيرة حول نجاح صاروخ في اختراق الأهمية المتميزة للأواكس ولأجهزة الرادار الأميركية. ومن هنا فإذا كان الصاروخ الذي أصاب "الفرقاطة" عراقياً فإن هذا يعني تسجيل نقطة بالغة الأهمية للطيارين العراقيين ولتقنية السلاح الجوي العراقي. أما إذا كان الصاروخ غير عراقي فهذا معناه أن الإنذار الأميركي المبكر غرض النظر لبعض الثواني عن الصاروخ من أجل أن يصيب الهدف وبذلك يكون حدث لـ "الفرقاطة" الأميركية ما حدث لزميلتها "ليبرتي" على أيدي الإسرائيليين عام 1967.

وأما الأمر الثالث فهو أن وجود "الفرقاطة" الأميركية في مياه الخليج العربي بدا مفاجئاً، ذلك أنه منذ متى تتواجد هذه القطع البحرية في مياه الخليج، وهل أنها تتفرج على الحرب العراقية - الإيرانية بدل أن تعمل على محاصرتها.

وعندما نشير إلى الأمور الثلاثة هذه لا نُسقط من الحساب الظروف النفسانية للطيارين العراقيين، الذين في نفوسهم ما هو أكثر من العتب على الولايات المتحدة بسبب تسليحها السري لإيران، ولا نُسقط من الحساب أيضاً أن مقتل ثلاثة وثلاثين أميركياً (حتى كتابة هذه السطور) ليس شيئاً أمام أهوال الحرب العراقية - الإيرانية وما حفلت به من المآسي ومن الأرواح التي أزهقت والدماء التي سالت طوال سبع سنوات. ولا نُسقط من الحساب أيضاً وأيضاً كيف أن الطيارين العراقيين لا يترددون وهم في رحلة العودة من مهمة قتالية في أن يصوبوا صواريخ طائراتهم على أهداف تظهر فجأة في مياه الخليج. وفي زمن الحرب فإن مثل هذه الأمور لا تخفى على الولايات

المتحدة التي واجه سلاحها الجوي حالات كثيرة من هذا النوع، وبالذات خلال الحرب العالمية الثانية.

وتكراراً إن هذه التطورات التي أشرنا إليها من تلغيم الإتحاد السوفياتي ممثلاً بإحدى ناقلاته، إلى قصف الولايات المتحدة ممثلة بإحدى فرقاطاتها، تُحدث في النفس شعوراً بالذعر. ولولا أن الدبلوماسية العراقية من بغداد إلى واشنطن لم تُجهض، ولباقاة شديدة جداً، ضرب هذه المحاولة الدولية شبه الجادة لإيجاد الحل، لكانت المنطقة على أهبة ما هو أعظم من السنوات السبع الماضية.

مجلة "التضامن". لندن - 23 مايو (أيار) 1987

لماذا يا سيد حسين؟

لا إتفاق القاهرة الموقع بين الدولة اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية عام 1969 لتنظيم الوجود المدني والعسكري الفلسطيني في لبنان كان ضرورياً. ولا إلغاء هذا الإتفاق من قبل مجلس النواب اللبناني وبشكل مفاجئ يوم الخميس الماضي (1987/5/21) كان ضرورياً.

عقد الإتفاق لم يكن ضرورياً لأنه بدل أن ينظم تسبب في المزيد من عدم التنظيم وذلك بسبب بدهي وهو أنه لا يمكن تحقيق التجانس والتنظيم بين دولة لها جيشها وبين منظمة لها ميليشياتها. والدليل على ذلك هو أنه نتيجة لإستحالة التنظيم فإن منظمة التحرير الفلسطينية وبشخص حركة "فتح" نشطت في سبيل تحقيق الإنقسام داخل الجيش اللبناني لأن التعامل معه كجيش نظامي في دولة مؤسسات مستحيل إلى حد كبير.

والإلغاء الإتفاق لم يكن ضرورياً لأنه لن يحل شيئاً من مشكلة لبنان التي باتت أسيرة تشابكات وتقاطعات لا يمكن حلها إلا من خلال قيادة تاريخية مدنية - عسكرية أو من خلال صحوه وطنية يغلب فيها الشعور بالذنب على الإدعاء بالتفوق والهيمنة.

وإلى ذلك إنه مثلما أن عقد الإتفاق لم يتم بفعل إرادة لبنانية وإنما بفعل إرادة الدولة العربية الأولى زمنذاك ونعني بها مصر، فإن إلغاء الإتفاق يتم تحت مظلة التجارب التي يقوم بها الحكم السوري في لبنان من أجل إيجاد وضّح

مستقر يكون لهذا الحكم فيه مكانة الطرف الأكثر رعاية، وهذا ما لم يتحقق بعد إحدى عشرة سنة من القتال والتدخلات والمشاكسات في لبنان.

ومع أن إلغاء الإتفاق طبعي من ناحية الممارسة الدستورية لبرلمان مهمته التشريع على رغم كل الظروف الصعبة التي يعيشها هذا البرلمان، إلا أن عنصر المباغته في هذا الإلغاء وحدثه في وقت هنالك حكومة مستقيلة يدعو إلى ما هو أكثر من الدهشة. وتشاء المصادفة أنه مثلما أن البرلمان اللبناني أجاز إتفاق القاهرة قبل ثماني عشرة سنة بينما هنالك حكومة مستقيلة فإنه يلغي الإتفاق بينما الحكومة أيضاً مستقيلة. وفي الحالتين، وإستكمالاً للمصادفات الغريبة فإن الرئيس رشيد كرامي كان هو المستقيل في المرة الأولى وهو أيضاً المستقيل عند إلغاء الإتفاق.

وقد يجوز الافتراض أن إلغاء إتفاق القاهرة وإتفاقية ملكارت الملحقة به هو رد على المجلس الوطني الفلسطيني الأخير الذي عقد دورته الثامنة عشرة في الجزائر. وهو رد على أساس أن البرلمان الفلسطيني إنتهى إلى إيجاد حالة تؤخذ لافتة للإنتباه داخل الصف الفلسطيني، وأنه - أي المجلس الوطني الفلسطيني - بات قوي الشأن وجاءت الخطوة اللبنانية والمتمثلة بإلغاء الإتفاقيين ونتيجة لعوامل دولية وسورية بمثابة إجراء لتحجيم قوة الشأن المشار إليها. وقد يكون مقبولاً ومقنعاً بعض الشيء هذا القرار الذي إتخذه البرلمان اللبناني والذي تغلب عليه صفة الإجراء أكثر من القرار، إذا كان إلغاء إتفاق القاهرة سعييد للشرعية اللبنانية شأنها مثلما إستعادت الشرعية الفلسطينية في الدورة الأخيرة للمجلس الوطني الشأن الكبير. كذلك قد يكون مقبولاً ومقنعاً بعض الشيء إذا كان سيشكل مدخلاً لإستعادة بناء جيش يحمي دولة مستقلة. إما أن يكون الإلغاء على هامش الأمرين المشار إليهما فهذا معناه أن المسألة لا تتجاوز لعبة الصراع، ولن تكون أكثر من محاولة جديدة للإمساك بالورقة الفلسطينية قبل أن ينعقد المؤتمر الدولي كما هو متوقع وبحيث ينال من يده تلك الورقة الحصة والمكافأة المجزية.

وليس دقيقاً القول هو أن البرلمان اللبناني ألغى أمراً ملغياً، وأنه من أجل ذلك فلا غبار على الإطلاق على القرار الذي إتخذه المجلس النيابي يوم الخميس الماضي. ذلك أن إتفاق القاهرة ومعه إتفاقية ملكارت تشكّلان مكسباً

إغتالوه ليسكتوه

ليس كثيراً على رشيد كرامي "أفندي" العرب المقبول منهم من دون إستثناء أو بالحد الأدنى من التحفظات، القول إنه قضى شهيد الواجب، بعد أن ظل يدافع عن خندق الإعتدال حتى اللحظة الأخيرة.

وصحيح أن رشيد كرامي لم يحقق في السنتين الماضيتين حلاً للمحنة اللبنانية، لكنه على الأقل إستطاع كبح جماح الإنحدار وأبقى على الخيط الرفيع من التناؤل بإمكانية حدوث معجزة مشدوداً لا ينقطع. ومن هنا يجوز القول إن ترؤس الحكومة بالنسبة إلى رشيد كرامي في السنتين الماضيتين كان تكليفاً وليس تشريفاً، وأن الرجل كان يضحى بقبوله منصب رئيس الوزراء.

واللغز المحير في مسألة إغتيال رشيد كرامي لا يتعلق بالناحية الأمنية، وكيف أنه بهذه السهولة يتم إختراق التدابير الأمنية لرئيس وزراء، ويتم زرع متفجرة تحت مقعد جلس عليه هو بالذات أو وُضع هذه المتفجرة داخل حقيبة الرئيس، وإنما هو في الدوافع إلى الإغتيال. والقول بأن الناحية الأمنية ليست اللغز المحير يستند إلى أنه بعد الذي جرى للفرقاطة الأميركية "ستارك" في مياه الخليج العربي، وبعد هذا الهبوط لطائرة ركاب صغيرة جداً يقودها شاب ألماني غربي في الساحة الحمراء في موسكو، لم يعد صعباً إختراق الترتيبات الأمنية. بل إنه من الجائز القول إنه إذا كان في إستطاعة طيار عراقي إختراق التقنية الأميركية بالشكل الذي تم فيه الإختراق، وإستطاع طيار ألماني غربي من الهواة أن يسجل حالة لا مثيل لها في مضمار الإختراق ويتنزه بطائرته فوق الكرملين ثم يحط بالسلامة في الساحة الحمراء، فإنه ليس صعباً بالنسبة إلى بلد مثل لبنان يعيش أبشع حالة حرب منذ إحدى عشرة سنة أن ينجح طرف شرير وقاتل في تفخيخ طائرة هليكوبتر كانت تقل الرئيس كرامي، الذي كانت حال الحكومة اللبنانية حتى لحظة الانفجار مثل حال الطائرة في الجو، أي معلقة بين الإستقالة واللاإستقالة، مثلما الطائرة التي نقله معلقة بين السماء والأرض.

وقد يمر وقت طويل قبل معرفة الدوافع إلى إغتيال رشيد كرامي، إلا أن هنالك من أبلغنا في هذه المجلة (بعد ساعات من الانفجار) أن الرئيس كرامي كان سيفاجئ اللبنانيين برسالة يكشف فيها النقاب عن أمور خطيرة، ثم

مهماً لمنظمة التحرير الفلسطينية على رغم أن الإتفاقيين مجمدان وفي ثلاجة حرارتها دائماً بضغ درجات تحت الصفر. وهما مكسب على أساس أنهما الطريق إلى العودة إذا جاءت الفرصة المناسبة. بل قد يجوز القول إن الإتفاقيين (القاهرة وملكارث) مهمان إلى درجة يجوز معها القول إن طريق الفلسطينيين إلى "الدولة" الموعودة يمر عبر عدة طرق من بينها طريق إتفاقي القاهرة وملكارث على رغم أنها غير سالكة في الوقت الحاضر.

ويبقى أمر يدعو هو الآخر إلى الإستغراب ويتعلق بموقف رئيس المجلس النيابي اللبناني السيد حسين الحسيني المشهود له ببعد النظر والحس القومي والمعروف عنه ترجيحه لكفة التوازنات على أي كفة أخرى. وما كان يتمناه المرء من الرئيس الحسيني ألا يكمل أمراً سبق للميليشيات الشيعية أن قامت به. وإذا كانت تلك الميليشيات نفذت مهمة محاصرة المخيمات الفلسطينية على مدى بضعة أشهر وزرعت بذلك في نفوس الفلسطينيين، حيث وُجدوا، بذور الغضب والثأر فإن مهمة شخصية سياسية واعية من نوعية السيد حسين الحسيني كانت في إزالة كل مشاعر المرحلة الصعبة المتمثلة بحصار المخيمات خصوصاً أن الميليشيات التي حاصرت أساءت إلى نفسها وإلى طائفاتها بالحصار الذي نفذته. وإلغاء الإتفاقيين (القاهرة وملكارث) ليس فقط لا يزيل تلك المشاعر وإنما يوسّع دائرة الإنطباع السائد وهو أن دور الشيعة هو محاصرة الفلسطينيين ومطاردتهم.

وقد يقال: وما الذي كان في إستطاعة السيد حسين أن يفعل؟

والجواب عن ذلك هو أنه كان في إستطاعته أن يعطّل على الأقل جلسة المجلس وأن يتأمل في أسلوب الحسين الآخر (أي الملك حسين) الذي تحمّل من التجاوزات الفلسطينية الكثير، لكنه بقي في إطار العمل القومي منسجماً مع نفسه ومع ما يجب أن يسود. وأكثر من ذلك إنه ترك الطزف الفلسطيني هو الذي يقرر إلغاء إتفاق عمان بدل أن يلغيه هو. هذا مع الأخذ في الاعتبار أن إتفاقية عمان مثل إتفاقي القاهرة وملكارث كانت ملغاة أو شبه ملغاة قبل أن يصدر القرار الدستوري بإلغائها.

مجلة "التضامن". لندن - 30 أيار (مايو) 1987

* * *

إيجابي يقومون به، وبذلك يكون الحل عربياً للمشكلة اللبنانية.

مجلة "التضامن". لندن - 6 حزيران (يونيو) 1987

* * *

العبور المتبادل بين مصر والسعودية

في ضوء الإستعدادات والاتصالات التي جرت حتى الآن فإن يوم 17 تموز (يوليو) 1987 سيكون يوماً مشهوداً في تاريخ العلاقات المصرية - السعودية. ففي هذا اليوم سيتم افتتاح معرض "السعودية بين الأمس واليوم" الذي يشكل حالة عبور متبادل بين مصر والمملكة العربية السعودية.

وهذا المعرض الذي يقام للمرة الأولى في بلد عربي هدفه سياسي في الدرجة الأولى، لأنه أقل قليلاً من إعادة العلاقات الدبلوماسية المقطوعة مع مصر وأعلى كثيراً من أجواء القطيعة والتحفظ السائدة على المستوى الرسمي المعلن.

ومعرض "السعودية بين الأمس واليوم" لم يأذن الملك فهد بن عبد العزيز بإقامته في القاهرة وفي هذه السنة بالذات لحاجة المملكة إلى عرض ما وصل إليه التطور فيها على المصريين وإنما لمساعدة الرئيس حسني مبارك على تهدئة المصريين، الذين يشعرون أنهم باتوا في مأزق بعدما تأكدوا أن إختيار الصلح مع إسرائيل لم يكن حلاً وبعدها عطلوا بذلك الصلح إمكانية المواجهة العربية من دون أن تكون هنالك فرصة للسلام العادل.

وعندما يقام معرض "السعودية بين الأمس واليوم" في القاهرة فإن المصريين سيشعرون أن الدول العربية بشخص الدولة ذات الإمكانيات الكبرى تنتظر الفرصة المناسبة لإعادة مصر إلى مكانها، على أن تؤكد هي بعد ذلك مكانتها التي إرتبكت بسبب الصلح مع إسرائيل. ومثل هذا الشعور يبعث على الإطمئنان بعض الشيء، والإطمئنان يعطي دفعة للإستقرار والإستقرار يجذب الخليجيين للسياحة والإصطياف في مصر، ومجيئهم يعطل ألغماً كثيرة يتم زرعها في طريق إزدهار مصر. وتلك هي الخدمة التي يحققها معرض "السعودية بين الأمس واليوم" بإقامته في القاهرة.

ينصرف إلى داره مسجلاً الفصل الأخير من حياته السياسية، وأن الذين إغتالوه حالوا بتدبيرهم دون حدوث ذلك.

وبصرف النظر عن صحة هذه الواقعة أو عدم صحتها، فإن إغتيال رشيد كرامي، بالطريقة التي تم بها الإغتيال، وقياساً بالتطورات الكثيرة التعقيد التي يعيشها لبنان والمنطقة بشكل عام، يؤكد حقيقة أساسية وهي أن تصفية الرجل لم تتم من أجل حدوث أمر خطير، وإنما من أجل إسكات صوت كان يمكن لو نطق أن يتسبب في حدوث إرتباكات وأمور بالغة الخطورة.

والذين إغتالوا الرئيس كرامي كانوا يدركون ولا شك أنه على رغم كل الإخفاقات فإن رشيد كرامي إستمر محافظاً على مصداقية، بمعنى أنه لو قال الكلام الذي كان في صدد قوله فإن اللبنانيين كانوا يستقبلونه بكل ثقة ومصادقية.

ويعيد إغتيال الرئيس كرامي إلى الأذهان الظروف التي تم فيها إغتيال زعيم سني من القماشة نفسها ونعني به المرحوم رياض الصلح قبل ست وثلاثين سنة، مع الفارق أنه بعد إغتيال رياض الصلح كان هنالك كثيرون يمكن أن يملأوا بعض الفراغ الذي تركه ذلك الزعيم المتميز، بينما يتم ترحيل رشيد كرامي وليس بالأمر الصعب ملء الفراغ الذي أحدثه، فضلاً عن أن الرجل هو الأخير في سلالة أنجال التاريخيين من صانعي صيغة ميثاق 1943.

وإلى ذلك إن الذين إغتالوا رشيد كرامي أخذوا في الإعتبار أنه لم يترك - مثل صديقه الراحل كمال جنبلاط - إبناً يواصل من بعده وذلك لأن الرجل لم يتزوج. ويبقى أنه على رغم أن قلوب اللبنانيين تحجرت لكثرة الويلات والأهوال التي قاساها كل منهم في السنوات الماضية، وعلى رغم أن الدموع تجمدت في العيون الجاحظة، فإن الجميع سيتحسرون على غياب رجل دولة من طراز متميز، كان يرد في بدايات الحرب على الذين يجعلون الطرق غير سالكة وغير آمنة ويمطرون الأحياء بالصواريخ والقنابل بدعوة اللبنانيين إلى تتشق الحياة بالخروج إلى الهواء الطلق، وصار بعد عشر سنين من الحرب والإقتال يدعو إلى التفاوض بالخير رداً على الذين يرون أن الأحوال وصلت إلى الطريق المسدود التي ليست سالكة ولا آمنة.

أما العرب من المحيط إلى الخليج فإنهم سيفقدون الرئيس كرامي الذي أبقى لهم الأجواء مناسبة أمام دور

والقول بأن إقامة المعرض في القاهرة وفي هذه السنة بالذات ليست فقط من أجل عرض ما وصل إليه التطور في المملكة العربية السعودية على المصريين يستند إلى بدهيات من بينها أن بضعة ملايين مصري شاهدوا هذا التطور ورافقوه سنة بعد سنة. وهؤلاء هم إما من الموظفين أو المدرسين والفنيين الذين عملوا ويعملون في المملكة العربية السعودية أو الذين يقصدون المملكة لتأدية فريضة الحج. وهذا معناه أن حالهم ليست مثل حال الألمان أو البريطانيين أو الفرنسيين أو غيرهم من أبناء الدول الأجنبية الذين لم يزوروا المملكة أو يعملوا فيها وبالتالي فإن المعرض يعرضهم أموراً لم يروها.

ومع أن الرئيس حسني مبارك على درجة عالية من الكياسة والمرونة، إلا أنه وضع المصريين بالتصريحات التي يدلي بها في أجواء أن مصر لم تفعل شيئاً من شأنه أن يجعل العرب غاضبين، وأن عليهم بالتالي أن يعيدوا العلاقات مع مصر ما داموا هم الذين قطعوها وليست مصر، وكأنما مصر بريئة لم تقترب ذلك الخطأ أو الخطيئة. وهذه الأجواء جعلت المواطن المصري العادي يعتبر أن الخطوة المطلوبة من أي دولة عربية - ما دامت حكومته لم تقترب أي ذنب - هي أن تعيد العلاقات مع مصر. ومن هنا فإن خطوة من نوع معرض "السعودية بين الأمس واليوم" قد تبدو عادية في نظر المواطن المصري بينما هي خطوة في منتهى الأهمية خصوصاً إذا وظفها الرئيس مبارك بالأسلوب الذي وظف به أهل الحُكم البريطاني وأهل الحُكم الفرنسي مناسبة إقامة المعرض في كل من لندن وباريس. وأغلب الظن أن الرئيس مبارك لن يترك المناسبة من دون التوظيف المجدي فيشارك شخصياً في افتتاح المعرض ويحوّله إلى مناسبة تاريخية.

ويبقى أن إقامة معرض "السعودية بين الأمس واليوم" قد تكون بديلاً مؤقتاً لمشاركة مصر في القمة العربية التي بدأت كفة عقدها في الرياض أو إحدى مدن المملكة تتساوى مع كفة مواصلة التأجيل بعدما كان التأجيل حتى قبل شهرين هو المأخوذ به، هذا مع الأخذ في الاعتبار أن الرئيس مبارك لا يبدو في مجالسه ميالاً إلى التناول بإمكانية الوفاق العربي في المرحلة الراهنة، ومع الأخذ في الاعتبار أيضاً أنه لا يشجع من خلال الحدة التي تتسم بها أحياناً تصريحات منقولة عنه أو منسوبة إليه على ولادة هذا الوفاق.

يبقى أيضاً أن أهمية إقامة المعرض في القاهرة ستتيح

الفرصة أمام قدوم مسؤول سعودي مرموق داخل المملكة ودخل الأسرة الحاكمة فضلاً عن الحضور الحيوي والجاد الذي له في العالم العربي والدول الأوروبية. وهذا المسؤول هو الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير الرياض. ومن محاسن المصادفات أن الأمير سلمان لن يبدأ في القاهرة حواراً مع الرئيس مبارك وإنما سيستأنف حواراً كان بدأ قبل بضعة أشهر في باريس خلال تواجد الرئيس مبارك في العاصمة الفرنسية يوم افتتاح المعرض فيها. وبفضل ذلك الحوار كانت مشاركة الرئيس مبارك في القمة الإسلامية في الكويت فعالة إلى حد كبير.

والمهم من الآن وحتى افتتاح المعرض في القاهرة أن تسلم هذه المناسبة من الذين لا يريدون لهذه الخطوة المتقدمة على طريق الوفاق العربي أن تتم وأن تتجح. المهم أيضاً ألا تكتفي المملكة العربية السعودية بالمليون نسخة من القرآن الكريم التي طبعتها خصيصاً لتوزع في مصر خلال أيام المعرض وإنما أن تطبع أيضاً مليون "بوستر" أو أكثر للمسجد الأقصى كي لا ينساه المصريون المبتهج نظامهم بإتفاقية "كامب ديفيد".

مجلة "التضامن". لندن - 13 حزيران (يونيو) 1987

* * *

أصحاب العقائد يعيدون النظر

قبل أيام كنا نقرأ للأستاذ ميشال عفلق مؤسس حزب "البعث" وأحد رواد الفكر الوجودي العربي تنظيراً خلاصته إن التضامن العربي هو الحل وهو المطلوب في المرحلة الراهنة.

وعندما نتأمل في من هو القائل وكيف أن العقيدة التي طرحها في الخمسينات تقوم على أن الوحدة هي بداية الطريق وليست نهاية المطاف، نجد أنفسنا في نهاية التأمل نتساءل: هل إن الوحدة العربية باتت أمراً مستحيلاً، أو فلنقل مستعصياً، أو فلنفترض إنه بعيد المدى، لكي يقول ميشال عفلق بالتضامن؟

وقبل أيام أيضاً كنا في هذه المجلة ننشر مقابلة مع الدكتور جورج حبش رائد التشدد والثورية في الصف الفلسطيني يقول فيها إن المؤتمر الدولي هو أنسب الحلول. وعندما نتأمل في من هو القائل وكيف أن المبادئ التي

الوحدة وتقليديين. أما دعاة الوفاق العربي - الفلسطيني وبحيث يبقى الشأن الأقوى للأنظمة وتزول الشعارات القائلة بأن الطريق إلى فلسطين تمر عبر هذا النظام وتلك العاصمة، فكانوا في نظر المنادين بالعمل الثوري من النوع الذي يفرط بفلسطين وليس الحريص عليها.

وإذا جاز القول فإن إعادة النظر عندما تأتي من رجل دولة تُعتبر طبيعية وتقرضها ظروف موضوعية تتعلق بضرورات التعامل مع أنظمة ومصالح، في حين أنها عندما تأتي من صاحب عقيدة أو نظرية فإنه يكون لها وقع آخر. ومن هنا فإن ميشال عفلق وجورج حبش يبدوان بدعوة الأول إلى التضامن وقول الثاني بأن المؤتمر الدولي هو أنسب الحلول كما لو أنهما في صدد إعداد ملحق لمبادئ كل منهما في الخمسينات والستينات. وهو ملحق تفسيري أو توضيحي يأخذ في الاعتبار "زمن الواقعية". بل إن ميشال عفلق وجورج حبش يبدوان كما لو أنهما رجلا دولة أكثر منهما صاحب عقيدة البعث بالنسبة إلى الأول وصاحب نظرية تحرير كامل التراب بالنسبة إلى الثاني.

والأهم من هذا كله هو أن الإثنيتين يمكن أن يفتحا باب إعادة النظر أمام كثيرين في العالم العربي، بعضهم أصحاب عقيدة ومبادئ وبعضهم الآخر أصحاب مواقف ونظريات، من أجل أن يعيدوا النظر قليلاً أو كثيراً. وما أحوجنا كمواطنين وأحوجهم كحكام وأصحاب مواقف وعقائد ونظريات إلى هذه المراجعة.

مجلة "التضامن". لندن - 20 حزيران (يونيو) 1987

زمن الحيري

بسقوط الطيّب الذّكر رشيد عبد الحميد كرامي شهيداً للإعتدال في نقطة ما من السماء اللبنانية، تكون الصفحة الأخيرة من كتاب السياسيين السّنة التقليديين قد طُويت، وتكون الستارة قد أُسدلت وإنتهى المشهد الأخير من رواية بدأت يوم 25 أيلول (سبتمبر) 1943 بتوليّ رياض الصلح (الذي سقط شهيداً في بقعة ما من الأرض الأردنية) الحكومة الأولى في عهد الإستقلال.

ويبدو الأمر كما لو أن الأقدار تشاء أن يسقط أول الزعماء السّنة التقليديين شهيداً، وأن يسقط آخر هؤلاء

طرحها في الستينات تشدد على تحرير كامل التراب الفلسطيني، وعلى أن الطريق إلى فلسطين وتحرير ذلك التراب يمر عبر هذه العاصمة العربية أو تلك، نجد أنفسنا في نهاية التأمّل نتساءل: هل أن إستعادة فلسطين بكامل ترابها باتت أمراً مستحيلاً، أو فلنقل مستعصياً، أو فلنفترض أنه بعيد المدى، لكي يقول جورج حبش بالمؤتمر الدولي ويقر بأنه أنسب الحلول؟

والجواب عن ذلك هو أن هذين الرمزَيْن المهمين للعمل القومي والثوري ونعني بهما ميشال عفلق وجورج حبش لا يعيدان النظر بمعنى الانقلاب على مبادئ ومفاهيم المرحلة الماضية، وإنما، إذا جاز القول، يضعان ترتيباً جديداً للأهداف يأخذ في الاعتبار البدهيات والحقائق المستجدة في مرحلة يمكن اعتبارها بأنها "زمن الواقعية".

ويجد المرء نفسه يشعر بالطمأنينة لأن إثنين من رموز العمل الوجدوي والثوري في الخمسينات والستينات يقومان بعملية إعادة النظر الطفيفة وذلك لأكثر من سبب لعل أهمها أنهما يقران بأن "زمن الواقعية" يحتاج إلى مرونة. وإلى ذلك إن إعادة النظر الطفيفة من شأنها أن تنتشل قطاعات عريضة من المواطنين في طول العالم العربي وعرضه من الحيرة التي هم عليها منذ زمن طويل. وهؤلاء في أعماقهم يميلون نحو الإقتناع بأن الزمن الراهن هو زمن التضامن وليس الوحدة، وأن الدعوة إلى التضامن في الثمانينات هي بأهمية الدعوة إلى الوحدة في الخمسينات وبأهمية الطموح إلى أن فلسطين ستستعاد بكامل التراب وهي الدعوة التي إنتشرت في الستينات، ولقيت آذاناً كثيرة تستمع إليها وعقولاً أكثر تؤمن بها.

كما أن المرء يجد نفسه يشعر بالطمأنينة لأن هذين الرمزَيْن المتميزَيْن بالنسبة إلى العمل القومي والوجدوي والثوري، بإعادة النظر الطفيفة في النظر وفي المفاهيم، يرفعان ظلاماً لحق بالإتجاه الذي كان يرى دائماً أن لحظة تضامن تتحقق بين دولتين عربيتين تبقى أفضل بكثير من سنوات طموح إلى تحقيق وحدة بين هاتين الدولتين أو بين مجموعة دول. كذلك إنهما يرفعان ظلاماً لحق بالإتجاه الذي كان يرى دائماً أن الطريق إلى فلسطين يمكن أن يمر عبر تعاون مع الأنظمة والشرعيات وليس فوقها أو على حسابها. والظلم الذي نعنيه هو أن دعاة التضامن والتعقل في التعامل وبأن تتم المحافظة على شأن كل دولة وعلمها وسيادتها وطقوسها السياسية الخاصة بها، كانوا في نظر دعاة الوحدة معوّقين للعمل القومي وحجر عثرة في طريق

الزعماء شهيداً.

والقول بأن رشيد كرامي هو آخر الزعماء السُّنة التقليديين يستند إلى حقائق موضوعية من بينها إن الزعيم التقليدي التاريخي المقتدر، صائب سلام، إبتعد إلى الخارج وأسلم الراية إلى نجله تمام، وعلى أساس أن الزعيم التقليدي الآخر هو تقي الدين الصلح، لكن الرجل إختار طريق السلامة فضلاً عن أنه، أطال الله في عمره، يميل إلى أن يعطي لنفسه ومذكراته بعض الوقت، بعدما أعطى العمل السياسي الكثير، يضاف إلى ذلك أن تقي الدين الصلح يفيد في إبداء الرأي الآن أكثر من إفادته في رعاية تنفيذ الخطط والسمهر عليها. ولبنان الآن مريض، ويحتاج إلى رئيس الوزراء الذي يرقد إلى جانبه في غرفة العناية الفائقة. وعندما نقول إن صائب سلام هو آخر الزعماء التقليديين في «السلالة السلامية» فعلى أساس أن «السلامي» الآخر مالك بات بعد «الإنذار» الذي تلقاه بشكل عملي وسبق إغتيال شقيق زوجته رشيد كرامي يميل هو الآخر إلى ما يشبه العزلة ويؤثر التعامل مع الأحفاد على التعاطي بالشأن السياسي اللبناني.

كذلك إننا عندما نقول إن «تقي بك» هو آخر التقليديين في «السلالة» الصلحية فعلى أساس أن «الصلحي» الذي يليه (رشيد) أدى الدور الذي يمكن أن يؤديه وإن «الصلحي» الثالث «منح بك» يمكن أن يشكّل بديلاً لو أن المسألة اللبنانية تحتاج فقط إلى الشخصية القادرة على التظهير، وعلى أساس أن «الصلحي» الرابع عبد الرحمن ليس له طول بال والده «بابا سامي»، وليس شغوفاً بالدور الذي مارسه الوالد الطيّب الذكر حيث إستمر حتى اللحظة الأخيرة «أبو الفقراء» من دون منازع، على الأقل في «السلالة الصلحية» السياسية.

ولكن الصلحيين الأربعة لهم خامستهم «علياء» التي إبتعدت عن لبنان كحرب وإبتعدت عنه أيضاً كموضوع كثير التشابك والتعقيد، ثم شغلت نفسها بالجزئيات وشاكت الفلسطينيين بقدر ما توددت لهم في البداية، وذلك على أساس أنهم لم يعودوا الرقم الصعب كما اثبت ذلك صديقها أبوعمار الذي كان يرى أن «الدنيا الفلسطينية» في لبنان بخير مادامت إبنة «رياض بك» هي التي تتصدر ميليشيا التبشير بحركة «فتح» والثورة الفلسطينية. وبسبب ذلك الإبتعاد وتلك المشاكسة فإن أم رياض التي كانت مؤهلة لإعادة الروح إلى الزعامة الصلحية لن تكون «تاتشر اللبنانية» كما سعت وتمنت.

وقد يكون من المناسب قبل الدخول في صلب الموضوع الذي نحن في صددده، أو بالأحرى في «زمن الحريري» الذي نعالجه في هذه الأسطر، الإشارة إلى أن التقاليد السياسية اللبنانية قضت بأن يكون المنصب الثالث في لبنان ونعني بذلك رئاسة الوزراء حكرًا على الطائفة السُّنية وتحديداً على بعض العائلات المحدودة، وفي مقدمتها عائلة الصلح وعائلة سلام وعائلة كرامي. ولكن ذلك لم يمنع رؤساء الجمهورية الموارنة الذين تعاقبوا على الحُكم من الشيخ الأول بشارة الخوري إلى الشيخ الحالي أمين الجميل، من ترئیس وجوه أخرى لا تنتسب إلى الشجرات العائلية الثلاث المشار إليها، ومن هنا فإن الذين تم إسناد المنصب إليهم كانت فترات ولاياتهم طويلة، لكن الذين شغلوا المنصب من غير التقليديين كانوا يذبلون بسرعة ولا يبقون طويلاً في الحُكم من حسين العويني إلى سعدي المنلا إلى ناظم عكاري إلى احمد الداعوق إلى عبد الله اليافي إلى نور الدين الرفاعي (كلهم في ذمة الله) إلى أمين الحافظ إلى شفيق الوزان إلى سليم الحص، وهذا الأخير يذلل قصارى جهده من أجل التوفيق بين قناعاته فلا يصيبه ما أصاب رشيد كرامي وبين واقع الحال فلا يرضي ضميره ولا حتى جيرانه.

كذلك قد يكون من المناسب أيضاً الإشارة إلى أن رؤساء الحكومة غير التقليديين كانوا في نظر «الصلحيين» و «السلاميين» و «الكراميين» من الطارئین، ومن أجل ذلك كانت الحروب عليهم كثيرة الشراسة من ساعة التكليف إلى لحظة الإستقالة.

ولم يحدث منذ العام 1943 أن كان إختيار رئيس الحكومة في لبنان يتساوى من حيث الأهمية مع إختيار الشخص المناسب لكي يكون رئيساً للجمهورية. وهذا ناشئ عن أن إختيار رئيس الوزراء في الماضي كان يخضع لإعتبارات محلية فقط، ثم جاءت الحرب بويلاتها وسنواتها الطويلة لتجعل إختيار رئيس الوزراء من الأهمية بمكان بحيث أن أطرافاً غير لبنانية - وبالذات الطرف السوري - بات لها رأي يصل إلى مرحلة ال «الفيتو» على أشخاص قد يكونون مناسبين جداً للبنان ولكنهم غير مناسبين لإرضاء الحُكم السوري، ومثل هذا التقليد إبتكره حُكم الرئيس حافظ الأسد ولا يبدو أنه سيكون بعد اليوم حالة عابرة.

وبقدر ما أن الرضى السوري «نعمة» لمن يتطلع إلى التروؤس فإنه في الوقت نفسه «نقمة»، أو فلنقل إنه قياساً بالذي جرى للرئيس الراحل الياس سركيس، ليس «نعمة» على الإطلاق، حيث أن الرجل إستمر حتى اللحظة التي

سَلَّم فيها الأمانة الدستورية أسير الظروف التي رافقت إنتخابه، وكيف أن المرحوم زهير محسن هو «بطل» عملية الإنتخاب لأنه إستحضر النواب واحداً على أثر الآخر من أجل تأمين النصاب الدستوري ثم الأكثرية لإنتخاب الياس سركيس.

وبقَدْر ما أن الطرف السوري مؤثر، بالقَدْر نفسه فإن تأثيره لا يكون حاداً إذا كانت لدى الشخص موضوع الإختيار لأي من الرئاسات الثلاث، (رئاسة الجمهورية، رئاسة مجلس النواب ورئاسة الوزراء)، مقومات تتساوى في أهميتها مع التأثير السوري.

وبالنسبة إلى قضية الساعة في لبنان وهي: مَنْ يكون رئيس الوزراء وَمَنْ في إستطاعته أن يملأ الفراغ ويحل المشكلة، فإن لدى السيد رفيق الحريري المؤهلات التي تجعله أقوى من الـ «فيتو» السوري بكثير، علماً بأن الرجل وضمن حساباته الدقيقة والكثيرة على مدى السنوات الخمس الماضية هو حليف للحُكم السوري من دون أن يقطع خطوط الإتصال مع الذين يناصرون هذا الحُكم العداء. وإذا كانت كلمة «حليف» ليست دقيقة تماماً فإن رفيق الحريري هو «صديق» الحُكم السوري.

وهو صديق لاكثر من سبب:

1 - إنه رجل أعمال ناجح جداً ومقتدر جداً، والحُكم السوري يميل بطبعه إلى التعامل مع هذا النمط من الشخصيات، التي يمكن الإستفادة من خبرتها ومن علاقاتها عند الضرورة، وما أكثر حالات الضرورة بالنسبة إلى الحُكم السوري.

2 - إنه في عدة إختبارات كان ينجح في حل أكثر من عقدة. وكان دائماً لا يفرّط في أمور يعرف أن الحُكم السوري حساس إزاءها أو إنه على درجة من الحساسية.

3 - إنه منذ البداية تعامل مع الحُكم السوري بعقلية رجل الأعمال الذي يتطلع إلى أن يكون رجل الدولة، وفي وقت كان السوريون يضيقون ذرعاً بزعامات الميليشيات التي تربك خططهم أكثر مما تقيده.

4 - إنه لم يدخل في خصومات مع أحد من أهل النظام السوري أو تحديداً لم يدخل في تعقيدات لعبة التوازنات داخل العائلة الأسدية.

5 - إنه، وهذا هو الأهم، رجل السعودية، بل إنه إلى حد كبير ابن السعودية، ليس فقط لأنه يحمل الجواز السعودي من دون أن يتخلّى عن الجواز اللبناني، وإنما لأنه موضع ثقة أهل القرار في المملكة العربية السعودية.

والسعودية بالنسبة إلى الحُكم السوري هي الأساس في كل الخطوات. بل إن الرئيس حافظ الأسد على إستعداد لأن يدخل في خصومات مع الجميع من بغداد إلى موسكو وإلى طهران نفسها إلا أنه ليس على إستعداد لأن يتسبب بأي منغصات لأهل الحُكم السعودي.

وبالنسبة إلى اللبنانيين فإن رفيق الحريري في نظرهم هو ابنهم المدعوم من السعودية، وأنه إذا كان حسين العويني، يرحمه الله، رجل أعمال السعوديين في لبنان، فإن رفيق الحريري هو رجل القرار السعودي في لبنان، أو فلنقل إنه مؤهل لهذا الدور. بل إنه ليس مبالغته القول إنه، أي رفيق الحريري، هو مثّل إميل بستانني بطموحه وعمقه العربي والدولي.

ومثلما أنه لو كُتِبَ لإميل بستانني العيش لكان عمر لبنان وصانه، فإن ما يمكن قوله بالنسبة إلى رفيق الحريري أنه قادر، أطال الله عمره، على تعمير لبنان، والتعمير هنا هو المدخل لصيانة الشخصية اللبنانية.

إن كلاماً كثيراً يمكن أن يقال عن رفيق الحريري لكنه في أي حال كلام لمصلحة الرجل. وقد يجوز القول ولأسباب التي أوردناها في الأسطر السابقة وبالذات بعدما إنتهى زمن التقليديين، إن الزمن الراهن بالنسبة إلى الرئاسة الثالثة في لبنان هو «زمن الحريري» خصوصاً أن لبنان بات يحتاج إلى مَنْ يعطي لا من يأخذ، وَمَنْ يضحى لا مَنْ يغف عن التضحية.

وفي لوزان وجنيف كانت للرجل تجربة وتضحية وإستعداد للبلد والمزيد من العطاء. وكانت له أيضاً صولات وجولات موفقة مع أهل القرار العربي. وهذا ما يعزز القول بأن الزمن الحالي في لبنان هو «زمن الحريري».

مجلة "التضامن". لندن - 20 حزيران (يونيو) 1987

* * *

"فيتو دولي" على الحرب العراقية - الإيرانية

يوماً بعد آخر نشعر أننا على مشارف نهاية الحرب الدائرة بين العراق وإيران منذ سبع سنوات. وبعد اليوم بات العد العكسي لهذه النهاية أمراً ممكناً.

وحتى قبل بضعة أشهر كان من الممكن القول إن هذه الحرب هي حرب عراقية - إيرانية، ثم حدث التحول الدولي السريع الإيقاع بحيث باتت هذه الحرب كما لو أنها بين إيران وأكثرية دول العالم. والشواهد على ذلك كثيرة.

فعندما تقرر الدول الإسلامية بالإجماع عقد مؤتمر القمة في الكويت ولا ترسخ للتهديد الإيراني، فهذا معناه أن كل الدول الإسلامية باتت ضد موقف إيران.

وعندما تقرر الجماهيرية الليبية إعادة النظر في موقفها من الحُكم الإيراني كردة طبيعية على صفقة السلاح الأميركية - الإسرائيلية، فهذا معناه أن هذه الدولة التي إستفاد حُكم الآيات من تسهيلات ومن مساعداتها المباشرة ومن الغطاء العربي الذي شكّلته لها، باتت ضد موقف إيران.

وعندما يقرر الإتحاد السوفياتي تأجير الناقلات إلى الكويت ويعتبر أن أي إعتداء تتعرض له ناقلة سوفياتية تحمل النفط الكويتي إنما هو إعتداء على هيبة الدولة الكبرى زعيمة الكتلة الشرقية في العالم، فهذا معناه أن هذه الدولة الكبرى ذات الشأن الأكبر في حسم الحرب باتت ضد موقف إيران.

وعندما تلحق الولايات المتحدة بالإتحاد السوفياتي وتقرر هي الأخرى تأجير الناقلات إلى الكويت وتضع نفسها في موقف المستعد للرد على التحرش الإيراني بها، فهذا معناه أن الدولة الكبرى الأخرى، ذات الشأن الأكبر أيضاً، باتت ضد موقف إيران.

وعندما تقرر الدول الصناعية السبع خلال الإجتماع الأخير في البندقية أنها ضد إستمرار الحرب وأنها ستشيط في هذا الإتجاه، فهذا معناه أنها لم تعد قادرة على تحمّل العناد الإيراني.

وعندما تتفق الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن على موقف موحد من شأنه أن يضع نهاية للحرب، فهذا معناه أن هذه الدول لن تكون مترددة بعد اليوم، وأن الحرب يجب أن تنتهي.

وتلك ليست كل الشواهد، ولكننا أوردنا البارز منها للتأكيد على حقيقة تزداد وضوحاً لحظة بعد أخرى، وهي أن هنالك "قيتو دولي" على الحرب. وبالطبع فإن هذا القيتو هو على الطرف الذي لا يريد لهذه الحرب أن تقف، أي على إيران.

وهذا التبديل في المواقف ليس من أجل العراق، وإنما بسبب الموقف العراقي الثابت. ومما لا شك فيه أن مصداقية التوجه السلمي العراقي فضلاً عن الإقتدار العسكري

العراقي، جعل دول العالم التي تشكو في شكل أو آخر من أجواء القلاقل التي ينشرها الحُكم الإيراني في المنطقة وفي العالم تحسم الأمر في إتجاه ضرورة إنهاء الحرب، وساعدت على ذلك الدبلوماسية العربية التي نشطت إقتناعاً منها بصدق توجه العراق نحو حل سلمي يحقق التعايش بين الدولتين الجارتين. وبسبب هذا الإقتناع أمكن الدبلوماسية العربية أن تجعل دول العالم تقتنع هي بدورها.

ويبقى أن إتفاق الدول الدائمة العضوية على موقف موحد وضع حُكم الآيات، للمرة الأولى، في زاوية ذات هامش ضعيف. فهؤلاء يواجهون آثار خيبة أمل داخل إيران بهم. وهؤلاء لا قدرة لهم على القول بأنهم ضحية إتفاق العالم عليهم، وذلك لأنهم لم يسجلوا طوال سبع سنوات بادرة سلام واحدة، وإكتفوا بطرح الشروط التعجيزية. وهم لم يتعاملوا بمبدئية مع أحد فضلاً عن أنهم في ميدان التناور لم يكونوا بالحدافة المطلوبة.

ولكن على رغم كل ذلك يجب أن نضع أنفسنا في أجواء المفاجآت وذلك على أساس أنها المرة الأولى في التاريخ السياسي الحديث الذي يتعامل فيه العالم مع رجال دين أمكنهم في سبع سنوات أن ينجحوا في تفرغ الأشياء من محتوياتها، فما عاد للإنتصار شأنه، وما عادت للحياة قيمتها، وما عاد للوطنية وهجها، وما عادت للصدق فضيلته. ومثل هذا الأمر، كونه يحدث للمرة الأولى في تاريخنا، يجعلنا نخاف أن يعمل هؤلاء على تفرغ الخطوة الدولية المتوقعة من محتوياتها بحيث لا يعود حتى لـ "القيتو الدولي" على الحرب الذي نعلق عليه الآمال العريضة... التأثير المطلوب.

... وبذلك نتواصل الحرب إلى أن تحدث معجزة من عند الله سبحانه وتعالى.

مجلة "التضامن". لندن - 27 حزيران (يونيو) 1987

لماذا تتحمل أميركا رفسنجاني

ولم تتحمل عبد الناصر؟

لا بد أن كثيرين يتذكرون كيف أن الرئيس (الراحل) جمال عبد الناصر تسبب في لحظة غضب أو لحظة نشوة

لها المباني الرسمية، وهو ما لم يفعله عبد الناصر خلال فترة تصديه للولايات المتحدة.

هل السر أن الإدارة الأميركية لا تأخذ هذا الأمر على محمل الجد؟

أم هل أن السر هو أن الإدارة الأميركية تدرك أنه ليس لحكام إيران شعبية كتلك الشعبية التي كانت لعبد الناصر في العالم العربي، وأنه ما دام الأمر كذلك فلماذا يجب تعقّب ومعاينة مثل هذه الرموز؟

أم هل أن السر هو أن رفسنجاني عندما يقول إنه سيتصدى لأميركا فإن أحداً لن يأخذه على محمل الجدية ما دام هو بطل صفقة التسليح الأمريكي - الإيراني - الإسرائيلي، وبالتالي فإن أي كلام ضد أميركا يقوله هذا البطل لا يكتسب أي مصداقية؟

أم هل أن السبب الذي يجعل الإدارة الأميركية لا تتصدى لهؤلاء الصقور الذين يمثلهم رفسنجاني هو إقتناعها بأن رئيس البرلمان الإيراني يناصر ويزيد، وليس حاله مثل حال عبد الناصر الذي كان في حينه لا يناصر ولا يزايد وإنما يتفاعل مع الجماهير المحتشدة حوله فيترك لتفكيره حرية التعبير بالشكل الكثير العفوية ومن دون أن يحسب حساباً للعواقب.

إن إفتراضات كثيرة يمكن قولها في هذا الشأن لكن ذلك لا يعني إسقاط الإفتراض الأكثر معقولية وهو أن الإدارة الأميركية عندما تستقبل ببرودة أعصاب ما يقوله رفسنجاني فلأنها إذا هي تصدت ستحوّل الرجل إلى بطل وهذا ما يريده رفسنجاني في معركة الخلافة الدائرة رحاها منذ سنة في إيران، أو أن الولايات المتحدة مهمومة الآن ومهتمة في إنجاح المسعى الدولي لإيجاد نهاية للحرب العراقية - الإيرانية، ولعلها في سبيل ذلك وضعت نفسها في موضع صاحب الشأن الذي عليه ألا يكثرث بالتحديات والإستقرازمات تأتيه من هنا وهناك وهناك، من نوع تصريح رفسنجاني.

ويبقى أنه لو كانت لرئيس البرلمان الإيراني الهالة التي كانت لعبد الناصر ورّد الفعل الذي كان لخطبه وتصريحاته من المحيط إلى الخليج، والحس الوطني الذي كان يغمر نفس ذلك الزعيم، لربما كانت الولايات المتحدة قد تعاملت مع رفسنجاني بالأسلوب الذي يتناسب مع أصحاب الشأن البسيط عندما يشاكسون أصحاب الشأن القوي.

مجلة "التضامن". لندن - 4 تموز (يوليو) 1987

* * *

بالجماهير التي كانت تتقاطر للإستماع إليه عندما يخطب، في ولادة غضب لدى الإدارة الأميركية تحوّل إلى ما يشبه الثأر بعد سنوات.

وزيادة في التوضيح يمكن القول إنه في الستينات قال عبد الناصر وهو يخطب في الجماهير المحتشدة ما معناه، إنه إذا كانت أميركا غير راضية فلتشرب من البحر وإذا كان البحر الأحمر لا يكفيها فإن هناك مياه البحر الأبيض المتوسط أيضاً.

ومنذ أن قال عبد الناصر تلك العبارة شعرت الإدارة الأميركية أن عليها أن تعاقب هذا الرجل وبدأت بالفعل ترصد أعماله وتحاول إرباك خططه في كل مكان. وعندما حانت اللحظة المناسبة إنقضّت عليه فوقع زعيم الأمة بالشباك يوم 5 يونيو (حزيران) 1967.

لقد حدث ذلك من أجل عبارة وردت في لحظة إبتهاج من عبد الناصر للجماهير المحتشدة حوله تستمع إليه أو تلك التي تستمع إليه من خلال الإذاعات المصرية حيث يصل بث تلك الإذاعات. وليس معنى ذلك أن هذه العبارة كانت السبب الوحيد وإنما قد يجوز الإفتراض أنها كانت أحد أهم الأسباب، وأن الزعيم الجماهيري، زمذاك، تجاوز "الخط الأحمر" الذي لا يجوز لأحد تجاوزه.

في الوقت نفسه نلاحظ أن هنالك من يتحدّى أميركا في الثمانينات بطريقة لم تحدث على الإطلاق من قبل، ويقول عنها كلاماً لم يتجرأ زعيم من قبل على قوله. وعندما نقرأ أن رئيس البرلمان الإيراني هاشمي رفسنجاني يقول قبل أيام في خطبة الجمعة في مسجد طهران: "إن نقطة دم واحدة تزيقها الولايات المتحدة في الخليج ستندفق نهراً من الدماء في أنحاء العالم لأننا سنتصدى لأميركا"... فإننا نفترض أن الإدارة الأميركية ستقيم الدنيا وتقعدها رداً على هذا الكلام الذي - من وجهة نظرها - لا يجوز أن يقال في حق الدولة العظمى. لكن الولايات المتحدة لا تفعل شيئاً، وهي لم تفعل شيئاً على الإطلاق منذ حوالي سنوات ثلاث عندما بدأت سلطة رجال الدين في إيران تتحداها بالكلام أو بعمليات الخطف أو بالسيارات المفخخة في لبنان وخارج لبنان.

ومثل هذا الأمر يدعو إلى الإستغراب. فإذا كانت الإدارة الأميركية من أجل عبارة وردت في خطاب زعيم له شعبيته الواسعة في العالم العربي ومكانته الدولية، تعقيته وعاقبته، فما هو السر يا ترى في أنها تغض الطرف عن حكام إيران، وتحديدأ عن بعض رموز السلطة هناك، الذين يقولون عنها كلاماً أقسى بكثير مما قاله عبد الناصر وطاردها وفخخوا

العراق الدولة

والعراق التراث الشعبي

بعد أيام تتقضي في العراق سنة أخرى من تجربة حزب "البعث" في الحُكم، وهي تجربة واجهت من التحديات ما لم تواجهه تجربة حُكم في العالم الثالث. ولعل الحرب التي جرى فرضها وتميزت بشراسة من النوع الكثير الحدة كانت ذروة تلك التحديات.

وإذا جاز القول فإن العراق إستطاع أن يواجه تلك التحديات وبالذات تحدي الحرب، بفضل قيادة تعاملت مع قضايا الوطن والأمة بصفة كونها ضمير شعب وليس زعامة حزب، إلى درجة أنه بات في بعض المراحل من المنطقي النظر إلى صدام حسين على أنه مندوب العراقيين ينوب عنه في حُكم البعث. وعلى أنه أيضاً كبير القوم البعثيين الذي يتصف بقدرة تجمع العراقيين، بعثيين وغير بعثيين، حول القضية الوطنية.

كذلك، أنه إذا جاز القول، فإن صدام حسين الذي إستطاع أن يرمم البنيان البعثي، ويحول دون تصدعات جديدة في هذا البنيان، إستطاع أيضاً إنجاز دور في الأهمية نفسها. ويتمثل في أنه حال دون حدوث تناقض بين البعثي وغير البعثي في لحظات إتخاذ القرار الوطني. وقبل الحرب التي بدأت قبل سبع سنوات، كان من الجائز الإفتراض بأن الرئيس صدام على أهبة إبتكار صيغة جديدة للحُكم تأخذ في الإعتبار حقيقة موضوعية وهي أن التعامل مع الآخرين لن يعزز دور العراق وشأن هذا الدور إذا كان سيتم وفق حَرفية مبادئ الحزب القائمة على الوحدة والحرية والإشتراكية. ولولا هذا الذي نقوله إفتراضاً، لما كان الرئيس صدام طرح الإعلان القومي الذي يشكّل بديلاً موضوعياً لمبادئ حزب البعث التي يغلب عليها - قياساً بالأحوال الراهنة للأمة والأحوال السائدة منذ عشر سنين - الطابع الرومانسي. وفي هذا الإطار يمكن القول إنه لولا الحرب التي تم فرضها على قيادة الرئيس صدام لكان الإعلان القومي سيتحول إلى ما يشبه العقيدة التي يرتاح إليها الجميع لأنها تشكّل نموذجاً للتعايش والوفاق والتعاون بين العربي والعربي من المحيط إلى الخليج، أو بالأحرى من الخليج إلى المحيطين وذلك على أساس أن الصومال المنتسبة حديثاً إلى الجامعة العربية تقع على المحيط الهندي فيما تقع المغرب

وموريتانيا على المحيط الأطلسي.

كذلك يمكن القول إنه لولا الحرب لكان الرئيس صدام سيعزز شأن ذلك الإعلان ويطبّق في الداخل روحية ومبادئ هذا الإعلان وذلك لإقتناع منه بجدوى ومبادئ هذا الإعلان من جهة ولكي يضيف عليه المصادقية المطلوبة، بحيث أن الآخرين سيقولون إن الرئيس صدام يريد لإعلانه أن يوحد الصف العربي وأن يبدد الحذر الموجود لدى هذا الطرف العربي أو ذاك من أن هدف البعث هو إبتلاع الغير، وأنه في سبيل تبديد الحذر يطبّق مبادئ الإعلان داخل العراق.

وإذا كانت الحرب أرجأت التفكير في الإعلان القومي وجمّدت لبعض الوقت مسألة بلورته وتصديره كمبادئ يرتاح إليها الأشقاء الحريصون على أن يبقى لكل كيانه، ودستوره ورايته وشخصيته وإستقلالية الرأي عنده، وجواز سفره المتميز، فإنها أفادت لأنها أكدت أن الرئيس صدام عندما عرض الإعلان القومي فإنما كان يعرض من موقع القوة. ولقد أثبتت سبع سنوات من الحرب البالغة الشراسة أن الرئيس صدام إنطلق في تحرّكه من موقع القوة.

والذي يتابع مبادرات الرئيس صدام منذ فترة، سواء على صعيد الثورة الإدارية أو على صعيد الإهتمام بالقطاع الخاص، فضلاً عن بعض المؤشرات التي تصدر عن عقل يملك قدرة متميزة على الإبتكار، يجيز لنفسه الإفتراض بأن الرئيس صدام لديه الكثير مما سيقوله وسيعلّنه في "ثورة الخمسين". ونعني بذلك أن الرئيس صدام الذي دخل العام الخمسين يوم 28 أبريل (نيسان) لديه الكثير مما سيقوله ويعلّنه.

ونجد أنفسنا نتساءل: هل أن الرئيس صدام مع حلول ذكرى سنة جديدة لتجربة البعث في الحُكم سيطرح مبادرات تصب في صيغة أكثر تطوراً للحُكم وبحيث يبدو فيها العراق دولة ذات تراث بعثي؟

وعندما نقول ذلك فإننا نستند في هذا القول إلى أن صيغة العراق دولة بقيادة صدام حسين وذات تراث بعثي كانت ستبدو أمراً واضح المعالم لو أن الإعلان القومي أخذ طريقه إلى الإنتشار ولم تواجهه الحرب وتحد من إنطلاقته، هذا مع الأخذ في الإعتبار أن قيادة الرئيس صدام تتعامل منذ سبع سنوات مع العالم ومع الأشقاء بروحية الإعلان القومي، إنما من دون إعتبار البعث تراثاً أو حالة تراثية مثل أي تراث قدّم أقصى ما يمكن أن يقدّمه وفعل ما يمكن أن يفعله، وأن سنة التطور توجب

المزيد من التطوير خصوصاً عندما تكون القيادة معقودة لقائد يملك التجربة والقدرة المتميزة على الابتكار وهي من صفات الرئيس صدام.

مجلة "التضامن". لندن - 11 تموز (يوليو) 1987

* * *

"إتحاد دول المغرب العربي"

بين الجزائر وليبيا

يبدو أننا على أبواب خطوة إتحادية بين الجزائر وليبيا. ومن المهم التوضيح في معرض إلقاء نظرة على هذه الخطوة بأن ما سيرد في الأسطر الآتية هو نتيجة إتصال هاتفني مع مصادر ليبية وجزائرية أجريناه يوم الأحد (5 يوليو/ تموز 1987) لنستطلع منها نتائج الزيارة التي قام بها قبل أيام إلى الجزائر العقيد معمر القذافي وما هي طبيعة المشروع الوحدوي الذي جرى البحث فيه خلال هذه الزيارة.

وفي ضوء الإتصال الهاتفني المشار إليه أمكن إستنتاج بعض المعلومات والملاحظات التي يمكن تسجيلها على النحو الآتي:

1- إن العقيد معمر القذافي لم يذهب إلى الجزائر لكي يطرح مشروعاً وحدوياً، وإنما ليبحث مع الرئيس الشاذلي بن جديد في تفاصيل خطوة إتحادية سبق أن تم طرحها بصمت وجرى حولها مشاورات وزيارات وإرتأى الجانبان أن يتكتما عليها مخافة أن تعتمد بعض الجهات إلى إجهاضها.

وفي الأشهر القليلة الماضية حدث بعض التسريع بسد ثغرات في طريق العمل الإتحادي المقترح وجرى التشاور وفق قاعدة تعتمد على المرونة وتجاوز المسائل التي كان البحث في شأنها يستغرق الكثير من الوقت في الماضي.

2- توصل الرئيسان الشاذلي بن جديد ومعمر القذافي في أعقاب لقائهما قبل أيام إلى صيغة إتحادية أرادها العقيد القذافي نواة إتحاد عربي فإقترح أن تكون التسمية التي ستطلق على الإتحاد المقترح هي "الإتحاد العربي". أما الرئيس بن جديد فإنه بدا ميالاً إلى أن تكون التسمية "إتحاد دول المغرب العربي".

وحول التسمية جرت مناقشات إتسمت بالموضوعية والواقعية. وأغلب الظن أن الرئيسين سيأخذان بالتسمية الجزائرية، إلا إذا إرتأت القاعدة الشعبية في البلدين أن تكون التسمية مزيجاً لا يتعارض مع الإتجاه العام.

3- في الإطار نفسه هنالك معلومات مفادها أن المشروع الإتحادي سيُطرح على المؤتمرات الشعبية في الجماهيرية الليبية خلال شهر لذي تناقشه وتقره، وأن الرئيس بن جديد سيُطرح المشروع على المواطنين للإستفتاء عليه.

4- هنالك رغبة لدى الرئيسين بن جديد والقذافي بعدم الإستعجال لكنهما متفقان في الوقت نفسه على إعلان مشروع الإتحاد في الأول من نوفمبر (تشرين الثاني) 1987. أما لماذا الإعلان في هذا التاريخ بالذات فلأنه يصادف ذكرى إنطلاقة الثورة الجزائرية، فضلاً عن أن ترتيبات إنجاز مناقشة المشروع من قبل المؤتمرات الشعبية الليبية وترتيبات الإنتهاء من الإستفتاء تُصادف في الأسابيع القليلة التي تسبق ذكرى إنطلاقة الثورة الجزائرية.

5- إن الجانبين الجزائري والليبي متفقان على أن الإتحاد الذي ينويان إعلانه لن يكون محوراً، وأن هدفه ليس إعتداد التكتيكات في التعامل، وأنه وفقاً للتسمية المقترحة عليه مفتوح أمام كل من المملكة المغربية وتونس وموريتانيا للإنضمام إليه.

وإلى ذلك إن الرئيس بن جديد يبدو شديد التأثر بتجربة مجلس التعاون لدول الخليج ويرى أن يكون الإتحاد الجزائري - الليبي نواة مجلس تعاون مغربي له القدرة على أن يستوعب الطموحات والتناقضات في الوقت نفسه. ولأنه شديد التأثر بتجربة المجلس الخليجي فإنه لم يقم مسألة إشراك الجمهورية الصحراوية في المجلس قبل أن يُحسم أمر هذه الجمهورية عربياً ودولياً.

6- إنها المرة الأولى التي تكون فيها الجزائر طرفاً في مشروع إتحادي في حين أن الجماهيرية الليبية إعتادت على المشاريع الإتحادية وإعتادت على أن هذه المشاريع سرعان ما تلغى. وبما أنها المرة الأولى التي ترتبط فيها الجزائر بعمل إتحادي فإنها تميل إلى الكثير من التأني، على عكس الجماهيرية الليبية التي إعتادت على المشاريع الإتحادية والتي لا تأس قيادتها إذا تعثر هذا المشروع أو تلك الصيغة.

وقد يجوز الافتراض أن المشروع الإتحادي الجزائري - الليبي لن يكون عرضة للإنتكاسة ما دام قد إستقر الرأي

على قيامه، بمعنى أن المشكلة كانت في عدم التفاهم على قيام هذا الإتحاد، أما وقد تم التفاهم فإن مخاطر الانتكاسة قليلة خصوصاً أن كلاً من الرئيسين بن جديد والقذافي يملكان خلفية عسكرية في أسلوب التفكير وهذا يحول دون التناقض أحياناً.

7- وفقاً لما هو متاح من معلومات فإنه سيكون هنالك دولة إتحادية ومجلس رئاسة ومؤسسات إتحادية وأمانة عامة للإتحاد. وكما هي حال مجلس التعاون لدول الخليج فإن كلاً من الجزائر وليبيا ستحتفظ بنظامها وعلمها وخصوصية مؤسساتها.

8- إن المشروع الإتحادي بين الجزائر والجمهورية الليبية ربما لا يكون مثالياً، لكنه في الظروف الراهنة يبدو خطوة متقدمة أهم ما فيها أنها حققت ما كان في السابق صعب التحقيق وهو جمع الجزائر وليبيا في صيغة إتحادية مرشحة لأن تتطور.

وفي هذا الإطار يجوز القول إنه ما دام أمكن تحقيق صيغة إتحادية بين نظام ثوري ونظام ملكي فهل إنه كثير على نظامين ثوريين أن يحققا هذه الصيغة، خصوصاً أن الظروف الموضوعية التي يواجهها الإثنان (الجزائر والجمهورية الليبية) تحتم عليهما التعامل بما هو فوق العلاقة العادية ودون التنسيق الكامل وفق صيغة وحدوية أو إتحادية وهذا ما أمكن الإتفاق بصمت في شأنه.

يبقى أن التفاهم الجزائري - الليبي على الصيغة الإتحادية التي نتمنى لها الولادة غير العسيرة يأتي بديلاً من نوع آخر للمحاولة الإتحادية المغربية - الليبية التي لم تُكتب لها الحياة. وبعد الآن فإن تونس ستكون الدولة التي ستتشط الجزائر من أجل أن تكون الدولة الثالثة في "إتحاد دول المغرب العربي" خصوصاً تونس ما بعد الحبيب بورقيبة أطال الله عمره. وإذا حدث ذلك بالنظر إلى العلاقة الطيبة التي تربط تونس بالجزائر فهذا يعني أن العلاقات ستصبح جيدة بين تونس والجمهورية الليبية. وإذا أمكن الإتحاد الموعود إستقطاب موريتانيا في شكل أو آخر فإن ميزان القوى المغربي يكون قد إستقر على النحو الذي لا يرتاح إليه الملك الحسن الثاني. وفي مثل هذه الحال يكون لكل حادث حديث.

يبقى أيضاً أن الصيغة الإتحادية الموعودة تحدث في زمن بات فيه العقيد معمر القذافي أكثر إنحيازاً إلى صفة رجل الدولة وأكثر ميلاً إلى الواقعية وأكثر إقتناعاً بأن الحلم الوحدوي العربي يحتاج إلى ظروف ملائمة أكثر من

الظروف الراهنة التي تبدو فيها صيغ العمل الإتحادي الإقليمي أكثر يسراً.

أما بالنسبة إلى الرئيس الشاذلي بن جديد فإن الصيغة الإتحادية الموعودة تحدث في زمن بات الرجل فيه أكثر إقتناعاً بضرورة دحض التهمة القائلة بأن الجزائر ضد أي وحدة أو إتحاد، وبات أكثر إقتناعاً بأنه سيكون أقوى شأناً أمام الغرب والشرق وأمام مشاركة العالم العربي ومغاربه إذا كان طرفاً في إتحاد مع دولة جارة خصوصاً أن هذا الإتحاد يحفظ لكل من طرفيه الكيان والخصوصية والعلم وصيغة الحُكم، وهي أمور ما كان لمجلس التعاون الخليجي أن يقوم لو لم يتمسك حكام دوله بها. وما كان لمجلس التعاون المغربي الموعود أن يبدأ خطوته المتمثلة بالإتفاق على قيام "إتحاد دول المغرب العربي" لو كان الرئيس الشاذلي بن جديد والرئيس معمر القذافي، وخصوصاً الرئيس بن جديد، تساهلاً في شأنها.

وما إتفق الرئيسان بن جديد والقذافي عليه كان خطوة على طريق مجلس التعاون المغربي. وكانت الخطوة هي أصعب الخطوات.

وما نتمناه لها هو أن تصمد، لأن العاصفة في وجهها ربما ستكون عاتية.

مجلة "التضامن". لندن - 11 تموز (يوليو) 1987

* * *

ملوك العرب و"بريطانيا العظمى"

بالأمس غير البعيد جاء كبير الملوك العرب خادم الحرمين الشريفين فهد بن عبد العزيز إلى بريطانيا وأمضى بضعة أيام في زيارة كان لها وهج قلّ أن كان لزيارة قام بها زعيم دولة إلى بريطانيا. وفي هذه الزيارة حرصت العائلة المالكة مع الحكومة في بريطانيا على أن تتجج الزيارة وتُحقق أفضل النتائج وتبقى في منأى عن المنغصات التي تثيرها في العادة بعض الوسائل الإعلامية. ومن دلائل النجاح أن الملك فهد أمضى زيارة خاصة طويلة بعد إنتهاء الزيارة الرسمية، وهو لو لم يكن مرتاحاً لما كان قام بالزيارة الخاصة، وإنما كان غادر لندن بمجرد إنتهاء اللحظة الأخيرة في الزيارة الرسمية. وفي العادة إن الحكام يفعلون ذلك.

وقبل الملك فهد بن عبد العزيز كان عميد الملوك العرب الملك حسين قد حوّل لندن إلى المحطة السياسية الأكثر حيوية للقاءاته التي تتعلق بتحركه الدبلوماسي. وفي بعض الأحيان كانت اللقاءات التي يعقدها الملك حسين مع رئيسة الحكومة البريطانية السيدة مارغريت تاتشر - ومن قبل مع رؤساء الحكومات الذين تعاقبوا على الحُكم - تبدو وكما لو أنها مجرد لقاءات تفرضها لياقات تواجد الملك حسين في زيارة خاصة للراحة أو العلاج أو تخريج أحد الأبناء. إلا أن المعلومات التي تتردد بعد حين كانت تؤكد بأن ما يدور في اللقاءات، التي تبدو أنها نتيجة لياقات، كان مهماً وإن كان ليس بحجم الدور السياسي لعميد الملوك العرب وللشأن السياسي لمن يترأس الحكومة البريطانية، وبالذات لشخصية مارغريت تاتشر.

وفي هذه الأيام نعيش أجواء زيارة ملك القمم العربية والإسلامية العاهل المغربي الحسن الثاني إلى بريطانيا. وأهمية هذه الزيارة أنها جاءت قبل وبعد تواريخ مهمة أو بالغة الأهمية. إنها على سبيل المثال جاءت بعد فوز مارغريت تاتشر في الانتخابات لولاية ثالثة في الحُكم وبأغلبية مؤثرة. وجاءت في وقت تقترب فيه لحظات الحسم بالنسبة إلى حرب الخليج عبر حل دولي من شأنه، في حال التوصل إليه، أن يقود إلى المؤتمر الدولي الذي يمكن أن يحقق بعض الانفراجات، بالنسبة إلى القضايا العالقة في المنطقة العربية.

وبالنسبة إلى ملوك العرب الثلاثة الذين زاروا بريطانيا حتى الآن يمكن القول إنه ليس هنالك لبريطانيا حجة مقنعة في عدم مساندة موقفهم.

فالثلاثة من الملك فهد إلى الملك حسين إلى الملك الحسن الثاني ليسوا من دعاة الحرب، ولا من مناصري العنف، ويميلون إلى تعزيز السياسة المحافظة في المنطقة العربية. وهذا في حد ذاته يشكل سبباً لمساندة موقفهم.

والثلاثة من الملك فهد إلى الملك حسين إلى الملك الحسن الثاني، أصحاب مبادرات سلمية في المنطقة يرتاح إليها الغرب. فالملك فهد هو صاحب "مشروع فاس"، والملك حسين هو صاحب مشروع "المملكة العربية المتحدة"، والملك الحسن الثاني له حضور متميز في كل القرارات الكثيرة الإعتدال التي صدرت عن معظم القمم العربية والإسلامية، فضلاً عن أنه هو الذي خطا خطوات بعيدة جداً على طريق التحرك السياسي عندما إستقبل رئيس وزراء إسرائيل (وزير الخارجية حالياً) شيمون بيريز

في القصر الملكي في إيفران، من دون أن يتسبب ذلك في إتخاذ مواقف عربية متشددة منه، بدليل أنه إنتقى بعد ذلك على الحدود بالرئيس الشاذلي بن جديد، الذي إستقبل بدوره بعد فترة في العاصمة الجزائرية الرئيس معمر القذافي وناقش معه التفاصيل ما قبل الأخيرة لولادة مشروع إتحاد ليبي - جزائري. وهذا في حد ذاته يشكل سبباً لمساندة موقف ملوك العرب.

والثلاثة من الملك فهد إلى الملك حسين إلى الملك الحسن الثاني عزّزوا - وكل على طريقته ووفق تصوراته - قنوات العلاقة والتعامل مع الطرف الأكثر شأناً في الثورة الفلسطينية بحيث إن هذا الطرف بات حريصاً على مساندة المصالح التي يحرص عليها ملوك العرب، وهي مصالح يشكل حضور الغرب فيها النسبة الكبرى. وهذا في حد ذاته يشكل سبباً لمساندة موقفهم.

والثلاثة من الملك فهد إلى الملك حسين إلى الملك الحسن الثاني حافظوا - كل على طريقته - على التعامل مع مصر. وهذا في حد ذاته يشكل سبباً لمساندة موقفهم. وإذا كانت تلك هي الحال فما الذي يجعل بريطانيا لا تساند الموقف الذي يرى ملوك العرب أن على بريطانيا مساندته؟ هل لأنها لم تعد عظمى؟ أم أنها تريد من العرب، وبالذات من ملوك العرب، أكثر مما أعطي لها، وأنها قبل ذلك لن تساند؟

والرد على ذلك هو أن في إستطاعة بريطانيا أن تفعل أكثر مما فعلته. على الصعيد الفلسطيني تستطيع ومن المؤكد أن ملوك العرب طالبوها وتمنوا عليها. وعلى صعيد حرب الخليج من المؤكد أنهم طالبوها وتمنوا عليها ونصحوها، وأن الملك حسين بالذات قد يكون بسبب الصلة الوثيقة التي تربطه بالرئيس صدام حسين وتمكنه من الوقوف على حقائق ومعلومات من النوع الذي لا قدرة للأقمار الصناعية على رصده، قد أوضح الكثير وربما صَحَّح بعض المغالطات.

وهي حتى الآن لم تفعل لملوك العرب سوى بيع السلاح الذي قد يفيد العرب إذا كانوا في الوضع المستقر أمنياً، إلا أن هذا السلاح لن يحقق الجدوى المطلوبة ما دامت الدول العربية دائماً مهددة، ودائماً محتاجة للسلاح ودائماً تطرق الأبواب التي تمدها بالسلاح.

والى ذلك إن الذي يتطلع إليه ملوك العرب هو التأكيد بأن السياسة التي إتبعوها في تعاملهم مع الغرب كانت السياسة التي حققت الحل، وإذا ساندت بريطانيا ودول

الغرب الأخرى هذه السياسة فهذا هو التأكيد المطلوب.

ويبقى أن ملوك العرب من الملك فهد إلى الملك حسين إلى الملك الحسن الثاني أعطوا بريطانيا أكثر مما أعطت. وهم - خصوصاً في هذه المرحلة التي يتكاثر فيها الكلام حول المؤتمر الدولي - ينتظرون منها أن ترد بعض ما أخذته. وإذا كانت بريطانيا قبل أن يتم التجديد لزعامه تانتشر غير قادرة ما فيه الكفاية على أن تعطي، أو أنها لا تعطي إلا ضمن حسابات دقيقة، فإنها بعدما باتت تانتشر في الوضع الأقوى نتيجة عوامل كثيرة من بينها المساندة السعودية لها، مطالبة بأن ترد بعض ما أخذته.

ومن الجائز الافتراض أن الملك الحسن الثاني بالصراحة التي إشتهر بها، وبالأوراق الكثيرة التي بين يديه، والتي يرتاح الغرب إليها، طرح الأمر على طاوله الحديث والمحادثات بدءاً من قصر باكنغهام وإنهاءً بـ "10 داوننغ ستريت" حيث إستقرت مارغريت تاتشر منذ بضعة أيام وهي في أحسن ما تكون عليه حال الحاكم القوي.

يبقى أيضاً أنه إذا كانت بريطانيا لن ترد لملوك العرب ما يعتبرون أن عليها واجب رده، فإنها على الأقل مطالبة بنصف موقف، بمعنى أنه إذا كان من الصعب تصحيح الموقف الذي يتمثل في وعد بلفور فإنه على الأقل يمكن تصحيح القرار 242، الذي هو من إبتكارها، والذي قصدت عند إبتكاره إيذاء الرؤساء العرب، وجمال عبد الناصر بالذات رداً على تأميم قناة السويس وإستكمالاً للعدوان الثلاثي عام 1956، فإذا بملوك العرب يدفعون قبل غيرهم ثمن ذلك القرار لأن التطورات جرت بحيث وقع عليهم تحمّل العبء الأكبر من الأحوال التي نشأت عن حرب 1967 والتي يمثّل القرار 242 إحدى نتائجها.

مجلة "التضامن". لندن - 18 تموز (يوليو) 1987

* * *

مصر وحسني مبارك: مكافأة المستقيم

للمرة الأولى منذ ست سنوات يكتشف الرئيس حسني مبارك حجم مكانته لدى المصريين. ولمجرد أن تم الإعلان عن أن البرلمان المصري (الذي ما زال يحمل التسمية التي إختارها الرئيس الراحل أنور السادات له وهي: "مجلس الشعب") سيعقد يوم 4 يوليو (تموز) جلسة خاصة للترشيح

لمنصب رئيس الجمهورية لفترة الرئاسة المقبلة فإن "المباركيين" تحركوا وهدفهم القول ضمناً أنه إذا كان تم فرض حسني مبارك قبل ست سنوات بفضل "الشرعية الدستورية" ونتيجة لظروف الإغتيال المفاجئ للرئيس السادات فإنه يتم إختياره الآن بفضل "الشرعية الشعبية".

وبين الإعلان عن جلسة الترشيح لرئاسة الجمهورية وإنعقاد الجلسة، عشرة أيام، فقد تم الإعلان يوم 24 حزيران /يونيو 1987 وتم عقد الجلسة يوم 4 تموز/يوليو 1987 وهي مدة شكلية، بمعنى أنه لا حاجة للمزيد من الوقت يعطى لمن يرغب في ترشيح نفسه وذلك نتيجة أن المادة 76 من الدستور المصري تنص على أن مجلس الشعب (البرلمان) هو الذي يرشح رئيس الجمهورية. أما الأصول المتبعة في عملية الترشيح فتقضي بأن تبدأ العملية بناء على إقتراح يتقدم به ثلث أعضاء المجلس على الأقل، ثم يجري التصويت على الاسم المقترح فإذا حصل على أغلبية ثلثي أصوات أعضاء المجلس أصبح هو المرشح للرئاسة ويعرض بعد ذلك على المواطنين لإستفتاءهم فيه. وفي حال عدم حصول المرشح المقترح على أغلبية ثلثي أعضاء المجلس يعاد الترشيح مرة أخرى بعد يومين من تاريخ نتيجة التصويت الأول، ويُعرض المرشح الحاصل على الأغلبية المطلقة فقط هذه المرة على المواطنين للإستفتاء، ويُعتبر المرشح رئيساً للجمهورية بحصوله على الأغلبية المطلقة لعدد من أعطوا أصواتهم في الإستفتاء، فإن لم يحصل على هذه الأغلبية رشح مجلس الشعب مرشحاً آخر غيره. وبموجب الدستور فإن مدة الرئاسة ست سنوات تبدأ من تاريخ إعلان نتيجة الإستفتاء.

والقول بأن المدة بين الإعلان عن جلسة الترشيح وعقد الجلسة إنما هي مدة شكلية يستند إلى أن الدستور المصري بما يخص رئيس الجمهورية هو من نوع الدساتير التي يتم تفصيلها بحذافة بحيث ترضي الرئيس ولا تسبّب له أي إزعاج. وعندما يكون البرلمان هو الذي يرشح وبناء على إقتراح يتقدم به ثلث الأعضاء وعندما يصبح رئيساً للجمهورية من يحصل على أغلبية ثلثي أصوات أعضاء المجلس وعندما يكون الرئيس هو رئيس الحزب الحاكم الذي حصل على الأكثرية الساحقة من مقاعد المجلس في الإنتخابات التي جرت قبل بضعة أسابيع من الإعلان عن جلسة الترشيح لرئاسة الجمهورية لست سنوات أخرى... إنه عندما يكون الأمر كذلك فإن عملية تجديد الرئاسة تصبح شكلية.

ولقد إعتد جمال عبد الناصر في الماضي هذه المسلكية. لكن الوضع الإجتماعي زمنذاك لم يكن مثل التناقض الذي آل إليه بعد ذلك، والحدة التي تتسم بها ممارسات الطبقة التي حققت من الإنفتاح ثراء فاحشاً. وعندما يعيش رئيس دولة (ونعني هنا جمال عبد الناصر) حياة بسيطة بينما البساطة هي قاعدة المجتمع نتيجة القرارات الإشتراكية والتأميم فإن الأمر يصبح عادياً، في حين أنه لا يعود كذلك إذا كان رئيس الدولة (ونعني هنا حسني مبارك) يعيش حياة بسيطة بينما حدثت في المجتمع المصري نقلة صارخة، وبات ينبت كل فترة مليونير مصري، ويشق آخرون الطريق إلى وسط المليونيرات. وبمعنى آخر إن الرئيس مبارك يمارس التضحية عندما يختار الإستقامة منهجاً في حياته. وهو إذا كان خسر بعض المباهج التي يمارسها الذين لا يختارون الإستقامة، إلا أنه كسب إجتماعياً الأكثرية المصرية الساحقة التي سبق لعبد الناصر أن إستمر محافظاً على وقوفها إلى جانبه إلى حين حدوث هزيمة يونيو عام 1967.

ثانياً - انه إذا كان الرئيس مبارك تردد أمام البعض في مسألة تجديد الرئاسة ست سنوات أخرى، فعلى أساس أن الولاية الأولى كانت عبارة عن مرحلة إنتقالية في السنتين الأوليين تشبه في بعض جوانبها المرحلة الإنتقالية التي قادها الفريق أول سوار الذهب في السودان، ثم كانت السنوات الأربع التي تلتها سنوات الترميم. وإذا كان الرئيس مبارك لن يجدد فهذا معناه نتيجة عدم توافر البديل - كما هي الحال في السودان - وعدم تعيين نائب رئيس جمهورية أو أكثر من نائب واحد، يضع مصر في خضم صراع حول الحُكم بين الخط الساداتي والخط الذي يريد لمصر أن تستعيد دورها العربي ومكانتها بين العرب. ومثل هذا الصراع أمكن الرئيس مبارك أن يضع اليد عليه فلا ينفجر طوال أربع سنوات. ولعل نجاحه في هذا الأمر كان من جملة الإنجازات التي تُذكر له بالخير.

ثالثاً - إذا كان الرئيس مبارك تفادى إستكمال هيكلية الحُكم في الولاية الأولى ولم يعين نائباً أو أكثر له فإنه من المؤكد لن يترك الأمر على ما هو عليه في الولاية الثانية، خصوصاً أنه سيكون خلالها ونتيجة للتأييد الذي لقيه تجديد الرئاسة ست سنوات أخرى أكثر قدرة على الإختيار. وبغذر ما إن عدم تعيين نائب لرئيس الجمهورية أحدث في نفوس المصريين شيئاً من المخاوف، خصوصاً أن الرئيس مبارك كان كثير السفر، إلا أنه أحدث حالة

وإذا كان الرئيس مبارك بسبب الدستور المريح لن ينعم بلذة كسب المعركة كما حدث - على سبيل المثال لا الحصر - للسيدة مارغريت تاتشر، التي خاضت وهي في موقع السُلطة معركة الإنتخابات وكانت من أرقى المعارك، فإن المبايعة التي جاءت بمثابة رد فعل عفوي ربما كان الرئيس لا يتوقع حدوثه بالشكل الذي حدث فيه قد تعوّضه. بل إن المبايعة التي حدثت سواء على صعيد المسيرات أو إعلان التأييد في الصحف ستضفي بعض الحيوية على الإستفتاء بحيث يكون الإقبال عليه دليلاً على حرص الناس العاديين على الرئيس مبارك، هذا مع الأخذ في الاعتبار أن الرئيس بموجب الدستور وتفاصيل عملية الإنتخاب ضامن الفوز، وذلك على أساس أن المرشح لرئاسة الجمهورية يُعتبر رئيساً للجمهورية بحصوله على الأغلبية المطلقة لعدد من أعطوا أصواتهم في الإستفتاء. والمفاجأة هنا ليست في الفوز وإنما في نسبة الذين أدلوا بأصواتهم في الإستفتاء من أصل عدد الذين يحق لهم التصويت.

ومع أن تجديد الرئاسة مضمون فإن المرء يتمنى للرئيس حسني مبارك أن يعتبر أن تجديد الرئاسة معركة من نوع جديد بدأت، وأن يزور في الأشهر القليلة المتبقية على الإستفتاء كل مناطق مصر ويخاطب الناس بالأسلوب الذي إعتده في الماضي وإرتاحوا إليه ويقول لهم برنامجهم للسنوات الست المقبلة.

إن أموراً كثيرة يمكن قولها في شأن هذه الحماسة من جانب المصريين لتجديد رئاسة مبارك أهمها ما يمكن تسجيله على النحو الآتي:

أولاً - مارس الرئيس مبارك السُلطة على أنه ممثل الأكثرية المصرية الساحقة وكانت مسلكيته في هذا الإطار واضحة. ولقد أثبت أن الإستقامة ربما لا تعود على المرء بالمكاسب المفاجئة والسريعة إلا أنها بالتأكيد تقيه من شر الإيقاع به.

وهو في هذا الإطار حال دون حدوث ثورة إجتماعية في مصر لعل أحداث قوات الأمن المركزي كانت واحدة من المؤشرات لها. ولقد حال دون هذه الثورة على أساس أنه جعل طبقة المحرومين في مصر، وهي طبقة تتجاوز نسبتها السبعين في المئة، تطمئن إلى أنه ما دام رئيس الدولة ينتمي إلى حد ما إليها، وعلى الأقل من حيث المسلكية، فإن عليها أن تستكين وتصبر إلى أن يأتي الحل المناسب.

إطمئنان، بمعنى أنه أبعد حالة عدم التجانس التي كانت ستتسبب إذا كان نائب الرئيس لا ينتمي فكرياً إلى المبادئ التي ينتمي إليها الرئيس. ونحن نقول ذلك على أساس أن الرئيس مبارك حالة فريدة من نوعها، حيث إنه بالنسبة إلى خريطة صراع المبادئ في مصر والعالم العربي يقف في منتصف الطريق.

رابعاً - إن التجديد للرئيس مبارك هو قبل كل شيء ضربة لتطلعات أصحاب الاتجاهات الإسلامية المتطرفة في أن يضعوا اليد على النظام. ويقدر ما أن هذا الأمر سيحقق لمصر الإزدهار فإنه في الوقت نفسه سيكون سبباً لتهديد الاستقرار في دولة تحتاج الآن، أكثر من أي وقت مضى إلى الاستقرار من أجل أن يتحقق الإزدهار.

خامساً - بعد إغتيال الرئيس أنور السادات كان قبول حسني مبارك (نائب الرئيس آنذاك) بأن يخلف السادات أمراً في منتهى الصعوبة. وإذا كان ذلك الأمر صعباً فإن تجديد الولاية ست سنوات أخرى ليس أقل صعوبة، وذلك على أساس أن الأوضاع والتعقيدات الناشئة عن إتفاقية "كامب ديفيد" ما زالت قائمة. لكن في الوقت نفسه إن تزايد نسبة التفاوض بالمؤتمر الدولي يعني أن ما يبدو صعباً ولا يخلو من المخاطرة لا يعود كذلك. وفي مثل هذه الحال فإن الرئيس مبارك سيكون من الرؤساء التاريخيين.

سادساً - على رغم أن الوضع العربي يختلف عما كان عليه أيام تجميد عضوية مصر في الجامعة العربية، إلا أن المصريين يأخذون في الاعتبار أن رئيسهم الذي أمكنه تحقيق نصف الحل (حيث إستعادت مصر عضويتها في منظمة المؤتمر الإسلامي وفتحت قنوات حوار فعالة مع دول الخليج) يمكنه أن يحقق في السنوات اللاحقة ما لم يتمكن من تحقيقه في السنوات السابقة. وإذا تحقق النصف الثاني من الحل فإن الرئيس مبارك سيكون أرسى أسلوب تعامل مع الغير يُحتذى به.

سابعاً - بالنسبة إلى الدول العربية فإنها ستكون كثيرة الإرتياح بسبب التجديد للرئيس حسني مبارك، وذلك على أساس أنه طوال ست سنوات لم يتجاوز المرونة في أسلوب التعامل، فضلاً عن أنه بالنسبة إلى بعض القضايا مارس دوراً يؤكد فيه الحس القومي ويؤكد أيضاً أنه رئيس قضايا عالقة وأوضاع موروثة وأنه مطالب بإيجاد حلول لهذه القضايا والأوضاع.

أما بالنسبة إلى الدول الأجنبية غرباً وشرقاً فإن التجديد للرئيس مبارك قد يدفعها، وهي التي عرفته وخبرت أسلوب

تعامله وطريقة تفكيره، إلى مواصلة التأييد المعنوي والمالي له. ومثل هذا الأمر لم يغيب عن بال المصريين على الإطلاق وهم يندفعون في التعبير عن تأييدهم لتجديد الرئاسة لحسني مبارك.

ثامناً - كان لافتاً للانتباه أن أقباط مصر بشخص البابا شنودة كانوا أول من أعلن تأييد التجديد للرئيس مبارك. وقد أصدر البابا شنودة بيانه بالتأييد بعد ساعات من الإعلان عن الجلسة التي سيعقدها البرلمان لترشيح الرئيس.

كذلك كان لافتاً للانتباه أن النواب الوفديين إتخذوا قراراً بالإمتناع عن التصويت على ترشيح الرئيس لرئاسة الجمهورية ست سنوات أخرى.

وبدلاً من أن يتم التعامل مع موقف الوفديين بأسلوب موضوعي ويتم إعتبار الموقف ظاهرة صحية، فإن صحف الدولة هاجمت هذا الموقف علماً بأنه يحقق توازناً مطلوباً هو في النهاية لمصلحة الرئيس مبارك.

المهم أن الرئيس مبارك سيجدد ست سنوات أخرى. وهو كان عندما تسلم المسؤولية، خلفاً لرئيس جرى إغتياله على المنصة حيث كان يحتفل بذكرى حرب تدعو بعض جوانبها إلى الحيرة (حرب "أكتوبر" 1973)، أعلن أنه لن يجدد الرئاسة. لكن للظروف أحكامها.

وإذا كان هنالك ما نقوله لهذه المناسبة فهو أن التجديد للرئيس يتم في زمن التمرد الشعبي على بعض الرئاسات في العالم وبالذات الرئاسات المدعومة من الولايات المتحدة. وهذا التأييد لتجديد ولاية حسني مبارك سببه أن الرجل مستقيم إلى أقصى الحدود، ومتوازن إلى أبعد الحدود، ولأنه طوال ست سنوات لم يتجاوز الحدود. وهو في ذلك نمط جديد على الدول التي تربطها خصوصية في العلاقة مع الولايات المتحدة. ومصر منذ عام 1970 هي من هذه الدول.

مجلة "التضامن". لندن - 18 تموز (يوليو) 1987

* * *

حرب العراق وإيران: بداية النهاية

ما حدث في الأيام القليلة الماضية بين إيران وفرنسا مؤشر جديد إلى أن حرب الخليج دخلت بالفعل مرحلة

الجزر، وإننا نعيش الآن بداية النهاية لهذه الحرب. وعندما تسوء العلاقات بين إيران وكل من الولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا إلى درجة القطيعة، فهذا معناه أن قنوات الإتصال بينها وبين الجناح الغربي في مجلس الأمن باتت معطلة، وأنه لم يبق لها من الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن سوى الإتحاد السوفياتي والصين (أي الجناح الشرقي) وكلاهما - عكس دول الجناح الغربي - يعمل داخل مجلس الأمن ضد الآخر، أو يشاكسه. كذلك إن كلاً من الدولتين فقدت سلفاً إمكانية التفرد بدور أكثر تميزاً مع إيران ما دامت العلاقات بين إيران ودول الجناح الغربي في مجلس الأمن دخلت مرحلة القطيعة.

وما حدث بين إيران وفرنسا يفسر لماذا فعل حُكم رجال الدين ما فعله مع العراق، ويعطي إجابة واضحة حول مسألة كيف بدأت الحرب بين العراق وإيران ومن الذي بدأ ولماذا بدأ؟

وبالنسبة إلى الشق الأول يمكن القول إنه يبدو أن الحُكم الخميني لا يتحمل الذين لهم في ذمته حقوق الإستضافة والرعاية والتكريم، وأنه بدل أن يذكر هؤلاء بالخير، ويستمر حافظاً الود، فإنه يتحرش بهم، أو يحاول الإنقضاض عليهم. هكذا فعل مع الحُكم في العراق، الذي إستضاف الخميني وأكرم وفادته وحال دون إلحاق الأذى به، بحيث أن الرجل إستمر حياً يرزق وفي صحة طيبة إلى أن نضجت الثورة وأمكن ضرب نظام الشاه وإسقاطه. وهكذا فعل مع فرنسا التي أكملت بإستضافتها الخميني وتأمين سلامته الشخصية، وإتاحة الفرصة أمام الإعلام الأجنبي للإهتمام به ثم توصيله إلى مطار طهران بطائرة فرنسية، النصف الثاني من الدور الذي كان الحُكم العراقي أنجز - بحمايته الخميني والإبقاء عليه حياً وغمض النظر عن نشاطه، وإستمرار إستضافته إلى حين إنتقاله إلى فرنسا - النصف الأول من هذا الدور.

وبالنسبة إلى الشق الثاني يمكن القول إن الخميني مارس مع فرنسا بعض الأمور من نوع الأمور التي مارسها مع الحُكم في العراق لمجرد أن تسلّم رجال الدين الحُكم في إيران. فهو تدخل في الشؤون الداخلية للحُكم الفرنسي مثلما سبق له أن حاول التدخل في الشؤون الداخلية العراقية. وهو إرتكب في العاصمة الفرنسية وبعض المناطق الأخرى من فرنسا أعمالاً اعتبرها الحُكم الفرنسي موجهة ضد هيبة هذا الحُكم أمام العالم وأمام الشعب، تماماً مثلما إعتبر الحُكم العراقي أن محاولة تفجير الوضع الأمني داخل

العراق والإعتداء على مسؤول كبير في الدولة، (ونعني به طارق عزيز نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الحالي) خلال إحتفال في الجامعة المستنصرية، ومحاولة الإعتداء على مسؤولين آخرين، إنما هي أعمال تستهدف التقليل من هيبة الحُكم العراقي أمام الشعب وأمام العالم. وبالنسبة إلى معظم حكام العالم، وبالذات الحُكم في العراق والحُكم في فرنسا، فإن هيبة الحُكم مسألة لا يجوز التهاون بها وتتساوى من حيث الأهمية مع محاولة إختراق الحدود أو محاولة إحتلال الأرض.

كذلك إنه بالنسبة إلى الشق الثاني، يمكن القول إن الحُكم الخميني حاول تصدير نفسه إلى فرنسا لجعل منها قاعدة إنطلاق ورضد لخصومه السياسيين الذين ينشطون بفعالية في مختلف العواصم الأوروبية، وذلك عن طريق تجنيد عناصر تحاول الإستفادة من مناخ الحريات السائد في فرنسا، مثلما حاول تصدير نفسه إلى العراق عن طريق تجنيد عناصر من السهل تجنيدها من خلال دغدغة المشاعر المذهبية، وهو أمر ليس عسيراً في دول العالم الثالث.

ومن الجائز القول إنه مثلما أن الحُكم الفرنسي وجد نفسه فجأة وإزاء الممارسات الإيرانية التي تهدد إستقرار فرنسا وتلقي ظلالاً على هيبة السُلطة، يقرر تصعيد الموقف مع إيران وقطع العلاقات الدبلوماسية معها، فإن الحُكم العراقي وجد نفسه قبل سبع سنوات أمام ممارسات عليه أن يحسم وبكل الحزم أمرها. بل إنه قد يجوز القول إنه لو كانت إيران على حدود فرنسا، أو تعرضت فرنسا من دولة تقع على حدودها للممارسات التي قامت بها إيران عبر شبكات ومجندين، وضمن عملية تعبئة نفسية مخططة، لكان رئيس الجمهورية فرنسوا ميتران ورئيس الوزراء جاك شيراك فعلاً مع هذه الدولة، ما فعله الرئيس صدام حسين مع إيران عندما وجد نفسه طرفاً في حرب فرضها عليه حُكم الآيات في إيران بسبب التدخلات والتجاوزات والمشاكسات، فضلاً عن التهديدات المستمرة، والتي وصلت إلى حد القول بأن "العراق أرض فارسية". ولو كان الأمر يمكن حله بقطيعة دبلوماسية، كما فعلت فرنسا مع الحُكم الإيراني يوم الجمعة (1987/7/17) لما كان الرئيس العراقي تردد في إتخاذ هذا الإجراء، أو بالأحرى لكانت الأزمة إقتصرت عند هذا الحد.

ويبقى أنه عندما تسير التطورات في إتجاه حل عن طريق مجلس الأمن لا يتوقف أمام مسألة من الذي بدأ

الحرب، فإن ذلك مرده إقتناع من دول العالم بأن الأهم من مسألة من الذي بدأ هي مسألة لماذا بدأ؟ وقد يقال: هل أنه طوال سبع سنوات لم يكن العالم مدركاً هذا الأمر وأنه إكتشف المسألة فجأة؟ والجواب عن ذلك إن العالم الذي إكتشف أخيراً هذا اللغز كان مدركاً كل الإدراك أن الحُكم الخميني فرض الحرب على العراق، مثل إدراكه في هذه الأيام أنه فرض القطيعة الدبلوماسية على فرنسا. لكن للعالم بدوله وحكوماته مصالح متباينة. وبعدما أنجز العالم مصالحه من الحرب بدأ يضغط في سبيل إنهاؤها. ومن هنا القول في مطلع هذا المقال بأن ما حدث في الأيام القليلة الماضية بين إيران وفرنسا هو مؤشر جديد إلى أن حرب الخليج دخلت بالفعل مرحلة الجزر، وأنه إذا كانت مرحلة المد طويلة إلى ما لا قدرة لأحد على تحمّله، فإن مرحلة الجزر، أو بداية النهاية، قد تكون قصيرة بحيث تعوّض الجميع عذاب السنوات السبع. والمهم أن يتعظ الذين يحكمون في إيران، والذين يبدو حالهم مثل حال تجار يربدون تصدير بضاعة كانت منذ البداية من النوع الذي إنتهت صلاحيته ولم يعد صالحاً للإستعمال.

مجلة "التضامن". لندن - 25 تموز (يوليو) 1987

* * *

لو أن حسين حريري سأل الفلسطينيين

لو أن حسين محمد علي حريري الذي خطف الطائرة الأفريقية التي كانت في رحلة بين برازافيل وباريس، أدرك حجم الأضرار التي لحقت ببلده وقضيته وبالعرب عموماً وباللبنانيين المنتشرين في الدول الأفريقية والأوروبية بشكل خاص، لكان تردد في تنفيذ عملية خطف الطائرة. وللتذكير فإن الفتى اللبناني البالغ من العمر 21 سنة إنضم في السنغال إلى الطائرة ونفذ عملية الخطف بعدما غادرت مطار روما عصر يوم الجمعة (24/7/1987) في طريقها إلى محطتها الأخيرة باريس، وأنه طلب من قائد الطائرة التوجه إلى مطار بيروت أو مطار الظهران لكن الطيار هبط في مطار جنيف بحجة التزود بالوقود وهناك إنتهت الرحلة بعدما كان الخاطف أعدم أحد الركاب، وهو فرنسي، وبعدما تمكّن الركاب من فتح أبواب الطوارئ في

الطائرة والخروج منها تاركين للبوليس السويسري أمر إعتقال الخاطف وإنهاء العملية بالحد الأدنى من الضرر. وعندما نقول إنه لو أدرك حسين محمد علي حريري حجم الأضرار التي يمكن أن تنتشأ عن العملية ومدى الغضب الذي سيتولد في نفوس الأوروبيين الذين نحتاج إلى موقفهم المعقول نسبياً، لكان تردد في تنفيذ الخطف ولما كان بالذات قتل الراكب الفرنسي، فعلى أساس الملاحظات الآتية:

أولاً - إن الطائرة مملوكة لعدد من الدول الأفريقية شأنها في ذلك شأن شركة طيران الخليج المملوكة لعدد من دول الخليج. وعندما يتم خطفها فإن هذه الدول، من دون إستثناء، ستعتبر نفسها متضررة وتتصرف على هذا الأساس.

ثانياً - إن الدول الأفريقية ملأى باللبنانيين الذين يعملون في تلك الديار منذ زمن طويل. وبعد الحرب إزدادت أهمية هذه الدول بالنسبة إلى اللبنانيين الذين وجدوا فيها الملاذ والمكان الجيد للعمل.

ومن قبل عملية خطف الطائرة كانت هنالك حساسية من اللبنانيين تغذيها بعض الأطراف غير العربية الحاقدة والحاسدة. وجاءت العملية لتتيح أمام هذه الأطراف فرصة ذهبية لتحويل الحساسية الأفريقية ضد اللبنانيين إلى غضب وربما ما هو أكثر من الغضب.

والى ذلك إن الدول الأفريقية على رغم بعض الثغرات ما زالت تقف موقفاً جيداً من قضية الإحتلال الإسرائيلي لبعض الأراضي العربية وتطالب بجل عادل يضمن حقوق الشعب الفلسطيني.

ومن هنا فإننا في معرض إدانة عملية الخطف أساساً، طائرة كان الهدف المخطوف أو باخرة أو بشراً، نرى أن الطائرة التي خطفها الفتى حسين محمد علي حريري تخص دولاً صديقة وأنه إذا كانت هذه الدول تستحق من جانب العرب الإهتمام على مناصرتها لقضيتهم فإنها تستحق من جانب اللبنانيين بالذات ما هو أكثر من الإهتمام.

ثالثاً - إن عملية الخطف أظهرت أن اللبنانيين هم الذين يهددون الإستقرار العالمي. ومن هنا فإنه إذا كان الهدف من عملية الخطف هو لفت الأنظار إلى القضية اللبنانية أو إلى قضية جنوب لبنان أو حتى إلى قضية شبان لبنانيين معتقلين في سجون هذه الدولة أو تلك فإن الهدف لم يتحقق لأن لفت الأنظار هنا يعطي مفعولاً سلبياً بدل أن يعطي المفعول الإيجابي.

رابعاً - إن توقيت عملية الخطف يتزامن مع إنعقاد القمة الأفريقية في أديس أبابا. وعلى هذا الأساس قد يجوز الافتراض أن أحد أهداف هذه العملية هو بعثرة القضايا العربية ومنها قضية حرب الخليج داخل هذه القمة، بحيث إنه بدلاً من أن تنشط الاتصالات العلنية أو تلك التي وراء الكواليس في سبيل تحقيق تماسك عربي - أفريقي يساند الخطوة الكثيرة التقدم التي إتخذها مجلس الأمن في سبيل إنهاء هذه الحرب، فإن هذه الاتصالات تتعثر بعض الشيء نتيجة الأجواء التي ستتشأ عن الحديث حول خطف طائرة أفريقية على يدي شاب عربي من لبنان.

ويبقى أمران:

الأول، هو أن حسين محمد علي حريزي نما وترعرع في ظروف أبشع حرب تواجه شعباً. وعندما بدأت هذه الحرب كان في العاشرة من عمره، الأمر الذي يعني أن هنالك عشرات حسين محمد علي حريزي من الضروري التنبه سلفاً لهم وبالذات الذين أمضوا مثله فترة اعتقال في السجون الإسرائيلية وأمكن غسل أدمغتهم بحيث باتوا يتحركون مثل الذين يجري تنويمهم مغناطيسياً.

أما الأمر الثاني، فهو أنه إذا كان حسين محمد علي حريزي نفذ العملية بإجتهد من جانبه وليس لأنه مجند لدى طرف ما، من المؤكد أنه معاد للعرب وللإسلام، وفي اعتقاده أن خطف الطائرة سيحقق أفضل النتائج، فإن عليه أن يسأل الذين سبقوه من الفلسطينيين ما الذي تحقق للقضية الفلسطينية من جراء خطف الطائرات. وسيجد الجواب الآتي: لا شيء. لا شيء على الإطلاق.

مجلة "التضامن". لندن - 1 آب (أغسطس) 1987

حجاج... أم ميليشيات؟

ما حدث في مكة يوم الجمعة (31 تموز/يوليو 1987) هو إختبار لأكثر من أمر.

ما حدث كان إختباراً للحرم السعودي، ولقد نجحت المملكة في هذا الإختبار وتعاملت مع محاولة التشويش الإيرانية التي تحولت إلى عملية تخريب بالحرم المطلوب. ولو أن التعامل لم يتم بالحرم لكانت هذه الميليشيات التي

جاءت من إيران لترفع الصور والياфطات والهتافات، بدل أن تتعبد وتصلّي، أمنت في نشر الفوضى وإشعال الحرائق، تماماً مثلما أنها لو لم يتم الحزم يوم إخترفت الطائرتان الإيرانيتان الأجواء السعودية لكانت هذه الطائرات ستمتدّى أكثر وأكثر.

وما حدث كان إختباراً للنيات الإيرانية، ولقد أكد الحُكم في إيران أنه يستهدف الدولة العربية التي في إستطاعتها تجميع العرب والمسلمين على موقف واحد أو شبه موحد، ويستهدف الدولة التي تشكّل - إذا جاز القول - خط الدفاع الثاني في المواجهة العربية - الفارسية. وعندما يفعل حُكم الآيات ذلك فلاعتقاد من بعض مجتهديه أنهم إذا أحدثوا إرتباكاً في الموقف الخليجي عن طريق الإخلال بالإستقرار السعودي والكويتي فإنه يصبح من السهل عليهم عندئذ أن يطيلوا أمد الحرب مع العراق. وإطالة أمد الحرب هو الهدف الإستراتيجي لهؤلاء بعدما إستطاع العراق إسقاط رهاناتهم حول الإنتصار وذلك بصموده عسكرياً وعلى صعيد الجبهة الداخلية أيضاً.

وما حدث كان إختباراً لبعض المواقف العربية وبالذات لمواقف الأطراف التي كانت تعتمد التنظير القائم على أن الحُكم الإيراني لا يضمر لدول الخليج سوى الخير، وأنها - أي تلك الأطراف - تتعهد بأنها ستتصدى لهذا الحُكم إذا هو هدّد دولة ما في الخليج. هذا مع الأخذ في الإعتبار أن مجرد إستمرار الحرب العراقية - الإيرانية كان في حد ذاته تهديداً لكل دولة من دول الخليج.

وما حدث كان إختباراً لجدوى سياسات وأسلوب تعامل. وعندما يرسل حُكم الآيات إلى مكة ميليشيات للتشويش والتخريب وليس حجاجاً للتعبد وأداء الفريضة على أحسن ما يكون عليه الأداء، فهذا معناه أنه يرفض سياسة المملكة القائمة على التوازن وديبلوماسيةيتها القائمة على الهدوء وأسلوب تعاملها القائم على المرونة. كذلك إن هذا معناه أن محاولات إيجاد القواسم المشتركة والزيارات المتبادلة بين أهل الدبلوماسية كانت سليمة النيات من طرف واحد هو الطرف السعودي، وإن الطرف الإيراني كان يناور ويماطل لكسب الوقت.

وما حدث يشكّل إجابة عن سؤال يبدو كما لو أنه بمثابة اللغز وخلاصته: هل أن الحُكم في إيران يمكن أن يستفيد من النهج المتوازن الذي تحرص عليه المملكة العربية السعودية ويوظف ذلك عند إقترب لحظة إتفاق العالم على ضرورة وقف الحرب؟

ولقد جاءت الإجابة لتؤكد، أن الحُكم في إيران لا يأخذ هذا الأمر في الاعتبار بدليل أنه ينشط في سبيل حمل المملكة العربية السعودية على التخلي عن النهج المتوازن. وعندما يرسل هذا الحُكم ميليشيات تهتف وتحرق وترفع الصور في شوارع مكة، فإنه بذلك يجعل المملكة تتحول نتيجة لإعتبارات موضوعية إلى خصم لهذا الحُكم، وخصم من النوع الحازم، خصوصاً أن الحُكم في إيران يعتمد، بما فعله، الإخلال بالورقة التي يعتز الحُكم السعودي بأنه يملكها وهي ورقة الإستقرار السياسي والمالي. ومع أن السعودية لا تتمنى ولا تتطلع ولا تعمل من أجل أن تجد نفسها في موقف المعادي لهذه الدولة أو تلك، إلا أن الحُكم الإيراني نتيجة لما حدث في مكة وضّعها في موضع الطرف الذي لن ينسى للحُكم الإيراني هذه الإساءة. وحتى إذا تحركت بعض الأطراف العربية (الحُكم السوري على سبيل المثال) لتوظيف الخصومة التي حدثت وإبداء إستعدادها للتوسط فإن مثل هذا الأمر سيكون موضع إستهجان. وسلفاً قد يجوز الافتراض بأن هذه الأطراف ستقول ما معناه إن ظروف الحج هي السبب وظروف إستمرار الحرب هي السبب وأن المملكة ليست مستهدفة. ولكن مثل هذا الأمر سقط نهائياً وباتت المملكة من دون أن تخطط للأمر في خط الدفاع الأول. وعندما تجد المملكة نفسها في هذا الموقع، وتنتقل الكويت من قبل إلى هذا الموقع أيضاً، فإن معنى ذلك أن المنطقة على أبواب تطورات بالغة الأهمية وأنه بات لا بد من مواجهة مخطط إيران الذي يستهدف تطويل أمد الحرب وذلك من خلال إرباك الطرف العربي المقتدر، أي المملكة العربية السعودية والكويت اللتان تلقيان من حكم الآيات ما لقيه العراق قبل سبع سنوات وما لقيته فرنسا منذ أشهر وما تزال، وما كادت تلقاه مصر وتونس ودول أخرى كثيرة وضع الحُكم الإيراني أسماءها على لائحة تصدير الثورة وهي لائحة طويلة على ما يبدو.

وبصرف النظر عما إذا كانت مواجهة هذه التطورات تتطلب عقد قمة إسلامية أو عقد قمة عربية أو عقد قمة إسلامية - عربية فإن تقديم شكوى إلى مجلس الأمن وأخرى إلى منظمة المؤتمر الإسلامي يبدو أمراً طبيعياً، ذلك أن الذي فعله "الحجاج" الإيرانيون كان تدبيراً رسمياً وهو لو لم يكن كذلك لما كان الحُكم الإيراني تبناه من دون أن يكلف نفسه إبداء الأسف أو تقديم الاعتذار عما حدث، كان يقول إن ما حدث في مكة سببه إنفعالات صدرت عن

الحجاج الإيرانيين.

ويبقى أن أخطر ما في حادثة مكة هو أن الحُكم الإيراني، الذي إستطاع تفريغ الأشياء من محتواها، سيكون، طالما ليست هنالك مواجهة لمسلكيته، قادراً حتى على تفريغ فريضة الحج من محتواها ما دام يجيز لنفسه تحويل أيام فريضة الحج إلى مناسبة لممارسة العمل السياسي بأسلوب فوضوي، وما دام قادراً على تجنيد الألوف من أبناء إيران أو بعض الدول الأخرى الذين يشترط عليهم مقابل تأمين وصولهم إلى مكة والمدينة التظاهر هنا والتهاتف هناك والإحراق إذا تطلّب الأمر وقذف الناس بالحجارة. وفي ضوء الظروف الراهنة التي ترمي بثقلها على نفس كل مسلم ليس من الصعب إيجاد الألوف الذين يقولون نعم وليس من السهل على السلطات السعودية التأكد مما إذا كان الآتي إلى البلاد هو مسلم ينتطع إلى التعبد وتأدية الفريضة المقدسة أم هو مجند في ميليشيات الحج الإيرانية يخفي تحت ثوب الإحرام سكيناً أو آلة حادة.

وإذا كان لن يتم توحيد الموقف العربي فهذا يعني أن مكة المكرمة ستكون الجبهة الثانية التي سيفتحها حكم الآيات.

وفي أيدي الحُكم السعودي أكثر أوراق التوحيد وأهمها ورقة الدعم، والتي بات من الضروري تعديلها في ضوء فرز لا بد منه للمواقف العربية. وللتذكير فإن هذه السنة هي الأخيرة التي حددتها قمة بغداد للدعم والتي بموجبها يبدو الحُكم السوري أكثر المستفيدين من هذا الدعم. وهو هكذا منذ أن تم عقد هذه القمة في بغداد قبل عشر سنين.

يتم توحيد الموقف العربي أم تتم عملية الفرز؟ للمرة الأولى تبدو المملكة العربية السعودية معنية بالأمريّن معاً... وبالأهمية نفسها.

مجلة "التضامن". لندن - 8 آب (أغسطس) 1987

تونس تتحمل المسؤولية أولاً

مرة أخرى، ولا يبدو أنها ستكون الأخيرة، تتردد الأنباء التي تفيد بأن الجامعة العربية في مأزق مالي يختلف عن المأزق السابقة، بمعنى أنه إذا كانت لن تبادر الدول

الأعضاء وتتجدد الأمانة العامة ببعض المال، منحة كان هذا المال أو تسديد أقساط تأخر دفعها، فإن الأمين العام الشاذلي القليبي سيد نفسه يستغني عن موظفين، ويخفض مرتبات موظفين، وربما لا يجد ما يواجه به الحد الأدنى فيجري تخفيضاً ثانياً على المرتبات... وهكذا.

وهذا الوضع ليس مفاجئاً بالنسبة إلى الأمين العام. وهو بين المأزق السابق والمأزق الحالي لم يكن في إنتظار حلول سحرية، ولا حتى تنفيذ وعود، وإنما كان يأمل في أن يتم عقد القمة العربية التي لا تتعقد ويشكل إنعقادها إنقاذاً للوضع المالي السيء الذي تعاني منه الجامعة العربية. ولعله من أجل ذلك كان يتحرك محاولاً الإستفادة من أي بؤادر وفاق عربي يستشف إمكانية حدوثها.

وأمر الحكومات العربية مع الجامعة العربية يدعو إلى الحيرة، ذلك أن معظم هذه الحكومات ملتزمة بعدم تسديد الأقساط المترتبة عليها بدل أن يكون الإلتزام بالتسديد. ولا ندري ما الذي يقوله المسؤولون العرب للأمين العام عندما يثير معهم مسألة العجز المالي، وما إذا كان هناك أسلوب تخاطب معين يعتمد، لكننا نجزر لأنفسنا كصحافيين أن نشير في ضوء ما نسمعه من المسؤولين العرب، الذين نثير في جلسات المناقشة معهم أو في الأحاديث الصحفية التي نجريها بغرض النشر دور الجامعة العربية ولماذا لا يحدث إهتمام بها، إلى أن الجامعة ستبقى تنتقل من عجز إلى آخر، ما دامت غير قادرة على أن تكون فعالة وأن الزمن العربي الراهن هو زمن العمل الإقليمي، وما دامت الجامعة العربية هي رمز العمل القومي فمن الطبيعي ألا تلقى أي إهتمام.

ومن المؤكد أنه لو كانت الجامعة في بلد قوي ويطمح إلى دور لكان للجامعة دور، ولكانت الدولة التي تستضيفها تشكّل سندا قويا لها. ولا نعتقد أن الدول الأعضاء كانت تسدد إلتزاماتها إلى الجامعة أيام كانت في مصر بشكل عفوي أو روتيني، وإنما تهباً لدور الدولة التي تستضيف الجامعة. ونحن هنا نتحدث عن مصر حتى عام 1970، وإلى حد ما عن مصر خلال السنوات الثلاث اللاحقة.

وقد يجوز القول إنه على الرغم من أن الوضع المالي للجامعة العربية في الستينات والسبعينات كان نسبياً أكثر إستقراراً من الوضع المالي لحكومة الدولة المضيفة، إلا أن الدولة المصرية كانت دائماً تتصرف على أساس أنه إذا حدث أن تباطأت إحدى الدول في دفع إلتزامات العضوية المترتبة عليها فإنها جاهزة لكي تضغط في شكل أو آخر،

ولكي تتدخل، بل إنها جاهزة لكي تساند الجامعة لأن وجودها في مصر يشكّل في حد ذاته كسباً كبيراً للدولة وأن قراراً سياسياً يتخذه مؤتمر ينعقد في إطار الجامعة قد يعوّض مصر أضعاف ما تكلفته.

وما كانت تلقاه الجامعة العربية وهي في مصر لا تلقاه مع الأسف في تونس، وهذا أفقد الأمانة العامة بقيادتها التونسية ورقة دعم كبرى. ونلاحظ أنه منذ البداية تعاملت الدولة التونسية بحذر وتحفظ مع الجامعة العربية، ولم تبد إرتياحاً لنقلها إلى تونس، ونكاد نقول إن هنالك قيادات تونسية إعتبرت ذلك عبئاً يُلقى على الكاهل التونسي، وليس إنجازاً ما كان من السهل أن تحققه تونس. ولو أن الدولة التونسية تعاملت مع الأمر بمثل تعامل مصر، لكانت دعمت الجامعة وعززت شأنها. ولكن الدولة التونسية ما زالت تتعامل مع الجامعة على أساس أنها أمر طارئ وسيزول. ولو كان ذلك يحدث بسبب حرص الدولة التونسية على الوقوف محايدة لأمكن تفهمه، إلا أن ما يحدث سببه عدم الترحيب الضمني وعدم الإقتناع بجذوى الجامعة العربية.

ومن هنا يجوز القول إن الشاذلي القليبي يقود الجامعة العربية من تونس من دون أن يكون له العمق التونسي الشبيه بالعمق المصري الذي كان لمحمود رياض، ومن قبل لعبد الخالق حسونة، اللذين وجدا في الحُكم المصري، وبالذات في فترة جمال عبد الناصر، سندا كبيراً يرد عنهما مخاوف العجز المالي وأي مخاوف أخرى.

وإلى ذلك إن الشاذلي القليبي ليس له العمق الأقوى، ونعني به دول منطقة المغرب، وهذا قد يكون عائداً إلى بعض الحساسيات السائدة في هذه الدول. ولو أن تونس ومعها دول المغرب ساندت الشاذلي القليبي، بالشكل الذي ساند فيه الحُكم المصري الجامعة العربية لأنها موجودة في القاهرة، لكانت هذه المساندة جعلت كل الدول تتعامل مع الجامعة بطريقة أكثر تهيئاً، أو أقل إستهانة، مسايرة منها لدول منطقة المغرب، ولكانت هذه المساندة أيضاً تسببت في تسديد إلتزامات العضوية بحيث لا يبقى الموضوع المالي هاجس الأمين العام، وبحيث لا يتعزز الإعتقاد بأن الجامعة العربية كانت شركة تم تأسيسها في القاهرة وستتم تصفيتها في تونس، إذا كانت الحال ستستمر على ما هي عليه.

ويبقى أن الجامعة العربية لا تملك سوى سمعة المؤسسة التي يمكن أن تحقق الكثير إذا أُتيح لها. وإلى أن

تحدث المعجزة وتتعدّد القمة العربية المؤجلة، هل يجب أن يبقى سيف التصفية مشهوراً فوق رأس الشاذلي القليبي الذي تنام هواجس المأزق المالي معه، وتأكّل من صحنه، وتساfer معه في كل مكان؟

وإذا كان كثير على الدول الأعضاء أن تجمع لهذه المؤسسة التي تشكّل رمزاً جيداً للعمل القومي تسعة وعشرين مليون دولار فإن واجب المصارحة ضروري. ومن الآن وحتى تسديد الإلتزامات، أو إعلان المصارحة، فإن في يد الدولة التونسية أن تقول: أذعموها أو إنقلوها.

ومن المؤكد أنها إذا إتخذت هذا الموقف فإن الدول الأعضاء ستسدد ما عليها من إلتزامات... ولو بالتقسيط. وشيئاً فشيئاً تصبح الجامعة العربية مالياً مثل منظمة التحرير الفلسطينية ومجلس التعاون لدول الخليج.

مجلة "النضام". لندن - 15 آب (أغسطس) 1987

* * *

هل نشهد ولادة "تجمّع" الإمكانات العربية؟

الآن وقد إنقضت أيام على الشغب الإيراني الذي حدث في مكة وتطور من مشاكسة كان يمكن إحتواؤها إلى تخريب ترك في النفوس مرارة عميقة، يمكن ملاحظة الأمور الآتية:

أولاً - إن رد الفعل العربي والإسلامي وبالذات رد فعل بعض العرب إتسم بما يشبه الروح الرياضية. ولقد تعاملت أكثرية الدول مع ذلك الحدث بأسلوب لا يتساوى مع فداحة الأمر.

ومثل هذا التعامل قد يكون سببه الإنطباع السائد بأن المملكة العربية السعودية لا تحبذ المواقف التي تميل إلى أقصى التشدد، ومن أجل ذلك فلا ضرورة لإتخاذ الموقف المتشدد من جانب الآخرين. كذلك قد يكون سببه أن التشدد سيقود إلى تصعيد الخلاف بحيث يصبح صراعاً بين مذهبين، خصوصاً أن في مقدور الحُكم الإيراني جعله هكذا، أو فنقل، إفتراضاً، إن الذي حصل في مكة عن سابق تدبير وتدريب إستهدف الوقية من خلال التفجير المذهبي.

ثانياً - في الوقت نفسه إن قراءة الموقف السعودي من

منطلق أن السياسة السعودية لا تحبذ التشدد، مبنية على أساس ظروف لم تكن المملكة في الوضع الذي هي عليه الآن. فالرؤية السعودية قبل حادث مكة لطبيعة العلاقات العربية والإسلامية مع إيران تختلف عن رؤيتها بعد ذلك الحادث، بمعنى أن المملكة قبل الحادث لم تكن مستهدفة بشكل مباشر وبذلك ترى أن يكون هامش المرونة رحباً في التعامل مع حُكم الآيات في إيران، بينما باتت بعد الحادث مستهدفة وبشكل مباشر، الأمر الذي يعني أن هامش المرونة سيضيق، وربما لن يكون للمرونة هامش على الإطلاق.

ثالثاً - بعد حادث مكة كان من المتوقّع أن يبدأ تحرك سياسي سعودي بحيث يقوم مبعوثون سعوديون بجولات على العواصم العربية والإسلامية تعطي إنطباعاتاً بخطورة ما حصل. لكن الذي حدث هو أن التحرك بقي في إطار تقليدي، بمعنى أنه لم يكن هنالك مبعوثون وإنما إبلاغ رسائل بواسطة الديبلوماسيين السعوديين في بعض العواصم العربية والإسلامية. وعندما ترى هذه الدولة أو تلك أن المسألة إنحصرت في أضيق الحدود فإن الإهتمام بالحدث يتضاءل، وبالتالي يصبح رد الفعل من النوع الذي تغلب عليه المجاملة، بينما المطلوب موقف أساسي.

وقد تكون المملكة العربية السعودية إفترضت أنه ما دام وزراء الخارجية العرب سيعقدون إجتماعاً طارئاً فإن ما يمكن أن تحقّقه مهمة المبعوثين الخاصين يتحقق خلال هذا الإجتماع.

لكن التأجيل الذي طلبته سوريا لهذا الإجتماع كان مكسباً حققه الحُكم الإيراني. ولقد بات واضحاً منذ ثلاث سنوات أن أي تأجيل لإجتماع عربي يمكن أن يحقق خطوة متقدمة على صعيد مواجهة موقف إيران من الحرب هو، أي التأجيل، مكسب للحُكم الإيراني. ومنذ ثلاث سنوات فإن الحُكم السوري هو طالب التأجيل أو معرقل أي إجتماع عربي. وبالنسبة إلى الإجتماع الطارئ لوزراء الخارجية العرب المشار إليه، يمكن القول إن الحُكم السوري بطلب التأجيل تصرّف كمن يصب مياه مثلجة على صدور تغلي بالغضب. واللافت للإنتباه أن طلب التأجيل جاء بسبب زيارة قام بها إلى دمشق رئيس دولة الإمارات الشيخ زايد بن سلطان. ومن المؤكد أن زيارة الشيخ زايد إلى دمشق يمكن أن تتم من دون أن يشارك في محادثاتها وزير خارجيته ووزير خارجية سوريا.

وبالنسبة إلى حدث من نوع الحدث الذي شهدته مكة

فإنه لا تأجيل يجوز، أو بالأحرى لا عذر يعلو على واجب المشاركة في الاجتماع.

رابعاً - قبل حادث مكة كانت التسمية المأخوذ بها للحرب هي "الحرب العراقية - الإيرانية". وكان البعض يسميها "حرب الخليج" على أساس أنها تدور في منطقة الخليج لا على أساس أنها بين إيران ودول الخليج.

وجاء حادث مكة ومن قبله الأحداث التي تلاهت في الكويت من التفجيرات إلى محاولة إغتيال الأمير لتؤكد أن الحرب هي حرب الخليج حتى إذا تباعدت سلطنة عمان، وإختارت دولة الإمارات الموقف الأقرب إلى الحياد والحفاظ على القنوات سالكة مع إيران، وأثرت قطر اعتماد التريث وتصرفت البحرين وفق قاعدة المسايرة.

ومن المؤكد أن زيارة الشيخ زايد إلى دمشق (التي لولا أنها مقررّة لبدت كما لو أن رئيس الإمارات توجه إلى دمشق في مهمة خليجية وليس للقيام بزيارة رسمية) ستكون لها آثار مهمة في المدى غير البعيد. ومن المؤكد أنه في ضوء إنتهاء الإلتزامات المالية إلى سوريا بموجب قرارات قمة بغداد والتي تتحمل السعودية والكويت الحصة الكبرى وواجب التسديد في الوقت المحدد من جهة، والإختناقات الإقتصادية السورية من جهة أخرى، فضلاً عن الوجود الحيوي للحكم السوري في لبنان وبالذات في المناطق التي تشكّل - إذا جاز التعبير - العمق العربي الأكثر فعالية لإيران، فإن محور الحديث بين الرئيس السوري ورئيس دولة الإمارات، وبالذات في إجتماعهما الثنائي، قد يكون جرى حول مهمة يمكن أن يقوم بها الحكم السوري يحل بموجبها الإختناقات الإقتصادية الكثيرة الصعبة من جهة، مقابل رفع الغطاء العربي عن الدور الإيراني وإضعاف شأن العمق اللبناني لهذا الدور. وفي الماضي كان الحكم السوري لا يفعل ذلك بحجة عدائه للحكم العراقي ويقول للخليجيين ما معناه إن الخلاف بينه وبين العراق "شأن بعثي" من نوع الشؤون الداخلية التي لا مصلحة لأحد أن يتدخل فيها، ويرتضي الخليجيون هذا المنطق ما دام الخلاف بين بعثين، أحدهما يحكم سوريا والآخر يحكم في العراق. أما بعد حادث مكة فإن المسألة لم تعد كذلك وبات إظهار حُسن النيات من جانب الحكم السوري مطلباً خليجياً ولا بد من إظهاره.

خامساً - إن أكثر المواقف مؤازرة في العلن للموقف السعودي هو الموقف المصري. وكان يمكن إعتبار الموقف السياسي الذي عبّر عنه الرئيس حسني مبارك أنه جاء

نتيجة للموقف الديني الذي عبّر عنه شيخ الأزهر، لكن صدور الموقفين في وقت واحد يعكس إنطباعاتاً بأن مصر بقيادتها السياسية والدينية توازر الموقف السعودي.

وفي ضوء التصعيد الإيراني من جهة والتعديل المتدرج في أسلوب التعامل السعودي فإن طبيعة العلاقات المصرية - السعودية قد تشهد نقلة نوعية تشكّل عامل ضغط على الحكم السوري. بل إن الأمر ربما لا يقتصر على رفع درجة الود المصري - السعودي، وإنما قد تشهد الساحة العربية خريطة تحالفات جديدة تتجاوز التحفظات السابقة حول إرتباط مصر باتفاقية كامب ديفيد ما دامت أساطيل الدول الكبرى ملأت بحار المنطقة وقناتها وخليجها. وإذا كان الحكم السوري لن يفك إرتباطه بإيران ويستمر العمق اللبناني لإيران على حاله، فإن تجمعاً سياسياً عربياً قد يبصر النور وقوامه السعودية والعراق والكويت ومصر والجمهورية العربية اليمنية والأردن والمغرب ومنظمة التحرير الفلسطينية، وهو تجمع الإمكانات العربية مالياً وبشرياً فضلاً عن أنه التجمع الذي يملك مرونة التنسيق السياسي ويستقطب الدول العربية الأخرى التي تجد في هذا التجمع أنه جامعة عربية مصغرة وليس محوراً ضد الآخرين.

ويبقى إنه منذ حادث مكة تسير التطورات ضمن إيقاع تطغى فيه طبول المواجهة العربية - الفارسية على احتمالات التعايش. وتجمع الإمكانات العربية مالياً وبشرياً هو عملياً تجمع الصمود والتصدي العربي لمواجهة الجموح الفارسي، خصوصاً أن "آيات الله" في طهران وقم يتطلعون إلى وضع العرب تحت هيمنتهم بالطريقة التي مارسها الحكم العثماني في الماضي.

مجلة "التضامن". لندن - 22 آب (أغسطس) 1987

* * *

واقعة لها دلالتها بين الملك فهد وتاتشر

خلال زيارته الأخيرة إلى بريطانيا، عرض خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز أمام رئيسة الوزراء مارغريت تاتشر، تصوراً لما ستكون عليه الأوضاع في منطقة الخليج، إذا كانت الدول الكبرى لن تستبق الأمور، وتبحث عن حل جذري للحرب الدائرة منذ سبع

سنوات بين العراق وحُكْم "آيات الله" في إيران.
وفي التصور الذي عرضه كان الملك فهد واقعياً وموضوعياً وصريحاً كعادته.

وإذا كان ليس من المرغوب فيه أن ينشر الصحفي ما يدور في جلسات المحادثات بين الحكام، إذا تيسرت له بعض التفاصيل وخصوصاً في جلسات المحادثات الثنائية، فإنه من الجائز أن يشير إلى مضمون الحديث وفي الوقت المناسب.

ولا نعتقد أن هنالك وقتاً مناسباً أكثر من الوقت الراهن للإشارة إلى فحوى ذلك الحديث الذي جرى قبل بضعة أسابيع بين الملك فهد والسيدة مارغريت تاتشر.

كان موضوع الحديث بالطبع هو الحرب الدائرة بين العراق وإيران. وفي التصور الذي عرضه قال الملك إنه يخاف أن تتطور الأمور بحيث تصبح هذه الحرب عالمية إذا كانت الدول الكبرى لن تتدارك الأمر وعلى وجه السرعة.

وأضاف الملك فهد، إنه إذا كانت إيران لن ترتدع، فإن دول مجلس التعاون الخليجي ستكون مهددة، وبالتالي ستكون مضطرة إلى خيارات لا تريدها من أجل أن تحمي نفسها.

وأشار الملك إلى وقائع، وحدد نقاط الضعف والقوة في الموقف. ومع أنه في العادة حريص على أن يمزج في حديثه التحذير بالتنبيه بالنصيحة، (كما سبق له أن فعل عندما إلتقى في البيت الأبيض بالرئيس ريغان)، إلا أنه في حديثه مع مارغريت تاتشر أضاف التمني على رئيسة وزراء بريطانيا بأن تفعل شيئاً، وعلى وجه السرعة لأنه لا يرى في الأفق سوى الأخطار.

وقد ردت مارغريت تاتشر بالقول ما معناه: إن الذي يسمع كلامك يا صاحب الجلالة يدوخ. ألا ترى أنك متشائم بعض الشيء؟

وودع الملك فهد رئيسة وزراء بريطانيا بالإصرار على أن تعي الدول الكبرى ماذا يحدث في منطقة الخليج، وقال لها إن التشاؤم الذي تشير إليه هو في نظره تنبؤ إلى الخطر الآتي في أي لحظة.

كان ذلك قبل بضعة أسابيع، وبعدما كانت غيوم الصفة الأمريكية - الإيرانية - الإسرائيلية بدأت تتلاشى وتتضح الأمور على حقائقها.

ومن بعد ذلك بدأت التطورات تتلاحق وتؤكد أن "آيات

الله" ليسوا على إستعداد للتجاوب مع أي مسعى سلمي، وأنهم بدل أن يجدوا في قرار مجلس الأمن 598 مخرجاً لائقاً للوضع الذي إختاروه لأنفسهم، إذا بهم يحولون الأنظار عن جوهر الأمور وينفذون في مكة المكرمة وخلال موسم الحج عملية تخريب شريفة.

ويبقى أننا، ونحن نورد الواقعة المشار إليها، والتي تتعلق بالحديث الذي دار بين الملك فهد والسيدة مارغريت تاتشر، نجد أنفسنا نتساءل:

هل إن الناقلات والحاملات التي ملأت مياه الخليج وتتحرك وسط الألغام التي زرعها الحُكْم الإيراني هي مقدمات للمواجهة الدولية التي أعرب الملك فهد عن خوفه من حدوثها؟

وهل إن الملك فهد عندما حذر، ونبّه، ونصح، وتمنى على رئيسة وزراء بريطانيا، كان يتطلع إلى طرف يملك القدرة على إستيعاب ما يريده الخليجيون ووجد في مارغريت تاتشر هذا الطرف الذي يستطيع مخاطبة الإدارة الأميركية بالأسلوب الذي لا يخاطب هذه الإدارة أحد؟

كذلك إننا نجد أنفسنا نتساءل: هل إن الهدف من حادثة مكة هو وقف الحديث عن المسجد الأقصى، بمعنى أن المسلمين، بعد الآن، سيهتمون بالحديث عن مكة، وعن الذي جرى فيها ولها، وعن طبيعة الأخطار التي سيكون عليها موسم الحج المقبل... وهكذا؟

وبالحد الأدنى من التحفظ نقول إنه قد يكون الهدف من حادثة مكة هو أن يتوقف الحديث عن المسجد الأقصى. وفي مثل هذه الحال فإن الضغوط الأميركية، وبالذات الأطراف التي تراعي ضمناً إسرائيل سترتاح إلى ذلك، وبالتالي لن تضغط على الحُكْم الإيراني، وتتركه يواصل إستهانته بالعرب والمسلمين، وتتركه يهيئ كل الأسباب للمواجهة الدولية في منطقة الخليج، وهي المواجهة التي أوضح تخوفاته منها ورؤيته لها الملك فهد بن عبد العزيز أمام مارغريت تاتشر. وتلك - على حد مرجع سعودي مطلع - كانت إحدى المرات القليلة التي يتحدث فيها خادم الحرمين الشريفين بأسلوب بدا فيه أنه ليس فقط متشائماً من التطورات، وإنما حزين على المصير الذي ستنتهي إليه المنطقة.

مجلة "التضامن". لندن - 29 آب (أغسطس) 1987

* * *

جحيم ضغوط الحرب ولا جنة

اللاحرب واللاسلام

سنة أخرى تنتقضي على الحرب العراقية - الإيرانية، والرهان الخميني لا يتحقق. فالتماسك قائم داخل العراق والليقظة سائدة. وكما أن هنالك سعياً وإصراراً من أجل أن تتوقف الحرب، هنالك في الوقت نفسه إستعداد لمواجهة العناد الإيراني على طول الجبهة وفي المحافل السياسية والدولية والعربية.

ولم يحدث أن تباطأت خطة التحرك الدبلوماسي والسياسي، لأن معركة تدور في هذه المرتفعات، أو حول تلك البحيرة أو عبر تلك الكثبان. كذلك لم يحدث أن طالت إستراحات المحاربين المدافعين عن الأرض والسيادة والكبرياء، لأن لجنة سباعية تنتقل من هذه الدولة إلى تلك قارات العالم الخمس، أو لأن وسيطاً من بين الوسطاء الكثيرين يحاول أن يجرب حظه لعله يصيب نجاحاً لم يتحقق لآخرين.

ولم يحدث أن توقفت أعداد المزيد من المقاتلين، ولا إخضاع الذين لم يتدربوا إلى أقسى أنواع التدريب، لمجرد أن بارقة أمل ظهرت في الأفق وبدت كما لو أنها إشارة إلى أن تبديلاً أساسياً سيحدث في بعض المواقف الدولية لمصلحة وقف الحرب.

وعندما كانت الدبلوماسية العراقية تنشط بالديناميكية التي إتسمت بها تبين أن هيئة التصنيع الحربي كانت في الوقت نفسه تنشط على صعيد آخر يتمثل في تطوير أسلحة، وإنتاج صواريخ بعيدة المدى، وتأمين إحتياجات الجيش من الذخيرة، وعندما تقضي الخطط بإنشاء المزيد من الفرق العسكرية فهذا يعني أنه لا بد من تأمين الذخيرة محلياً للألوف الجديدة من المقاتلين، فضلاً عن أن أكثر الإحتياجات خطورة على القرار الوطني المستقل سياسياً وعسكرياً هو الإحتياج إلى القمح والإحتياج إلى الذخيرة وقطع الغيار.

في السنوات السبع الماضية من الحرب لم يحدث أن إتجه التفكير العراقي في الإتجاه القطري نتيجة مرارة من هذا الموقف العربي أو ذاك، وإستمرت تتردد مقولة أن العراق يدافع عن أمته العربية لأن الحُكم الإيراني يستهدف هذه الأمة من خلال تحرشه بالعراق. ثم الإصرار على مواصلة الحرب ضده. وإتجاه التفكير العراقي في الإتجاه

القطري كان حلقة من حلقات الرهان. وكان في الوقت نفسه يمكن أن يكون ثمناً لوقف الحرب لو أن قيادة صدام حسين إرتضت به. ولكن هذه القيادات قرأت في عقول القوى الكبرى الخفية والمعلنة التي تدعم إيران، نيات شريرة تستهدف الإيقاع بالعراق بالطريقة التي تم بها الإيقاع بمصر عندما راح الرئيس "الراحل" السادات يضرب على وتر المصالحة وينال من العرب والعروبة. وهي بعدما قرأت إزدادت تمسكاً بالخط القومي للعراق على الرغم من أن هذا التمسك يبدو في بعض جوانبه أحد الدوافع لتواصل العدوان ضد العراق.

ولم يحدث أن تأكدت وبشكل حاسم مصداقية الموقف العراقي في إتجاه السلام مثلما تأكدت في أواخر أيام السنة السابعة للحرب. كما أن كثيرين عادت بهم الذاكرة، وهم يقرأون التصريحات السعودية التي ترفض بحزم مبدأ توسُّط طرف عربي بين المملكة والحُكم في إيران، إلى ما كانت قيادة صدام حسين رفضته وبالجزم نفسه منذ البداية في شأن الوساطة العربية بين العراق والحُكم الإيراني. ومثلما أن المملكة العربية السعودية تعتبر أن الوقوف إلى جانب العراق هو الأمر البدهي المطلوب من أي دولة عربية.

ومع أواخر أيام السنة السابعة للحرب تتأكد حقيقة أساسية وهي أن التعرض للسيادة هو عدوان متكامل الحلقات وأن خطورة التحرش الإيراني بالعراق من خلال حادثة الجامعة المستنصرية يمكن فهمها بالمقارنة مع التحرش الإيراني بالسعودية قبل أسابيع من خلال حادثة مكة. ومن يدري. فلو أن الأراضي السعودية متصلة بالأراضي الإيرانية كما هي حال العراق لربما كانت حادثة مكة مدخلاً لحرب من نوع الحرب الدائرة منذ سبع سنوات بين العراق والحُكم الإيراني. ونقول ذلك مع الأخذ في الاعتبار إن مياه الخليج التي تفصل بين إيران والسعودية لا تشكّل مانعاً إذا كان الحُكم الإيراني سينيّفذ ما يهدد السعودية به. ومع الأخذ في الاعتبار أيضاً أن أسلوب التعامل السعودي إعلامياً وسياسياً هو أسلوب أقرب إلى أجواء المواجهة المحتملة.

ومن يتابع تفاصيل هذا الأسلوب يستنتج أنه أسلوب تعبئة أو أنه على الأقل أسلوب من يتوقع أن يفعل الحُكم الإيراني بالسعودية ما فعله قبل سبع سنوات وما يزال بالعراق.

إن كلاماً كثيراً يمكن أن يقال في شأن الحرب العراقية - الإيرانية، التي نستقبل بحزن شديد سنة جديدة لها نتمنى

ألا تكمل أيامها بحيث تحدث المعجزة وتتوقف الحرب. لكن أمراً أساسياً على هامش هذا الكلام يشكّل ملامح ثلاث حقائق أساسية.

الحقيقة الأولى هي أن قيادة صدام حسين تدرك أن جحيم ضغوط الحرب يبقى أقل وطأة من جنة تعقيدات اللاحرب واللاسلم التي يتطلع إليها الحُكم الإيراني من خلال معاندته ورفضه قرار مجلس الأمن رقم 598 الذي هو الأفضل لإنهاء الحرب ولمرحلة ما بعد إنهاؤها، والذي هو مثّل زميله القرار 242 الذي لا فرصة لحل يتجاوزه أو يقل عن مضمون بنوده. وعلى أساس هذا الإدراك تتعامل مع الحرب داخلياً وخارجياً.

والحقيقة الثانية هي أن قوة الموقف العراقي هي في قدرة الرئيس صدام على تحويل المواجهة إلى حالة تاريخية نتيجة تطوير الدروس المستفادة من الحرب بحيث جعلها تقاليد هي موضع إعتراز العراقيين ومضرب مثّل الآخرين. والحقيقة الثالثة هي أن تحليلات الرئيس صدام حسين للموقف الإيراني التي كانت لها في الماضي صفة الإجهادات في نظر البعض باتت رؤية ذات معالم إستراتيجية في ضوء تطورات الحرب وبالذات بعد التحرش الإيراني بالكويت ثم بالسعودية.

ويبقى التمني بأن تكون السنة الثامنة للحرب هي سنة الحسم، بعدما سقطت كل الرهانات وأن كان ما يزال في الساحة بعض المراهنين عرباً وعجماً وأجانب.

مجلة "النضام". لندن - 5 أيلول (سبتمبر) 1987

قرارات دولية لا عودة عنها

إذا تعامل العالم مع القرار 598 مثلما تعامل مع القرار 242 فهذا معناه أن العناد الإيراني في رفض القرار 598 لن يستمر، وسيأتي يوم نجد فيه الحُكم الإيراني يميل إلى المرونة، ويوافق على القرار الذي رفضه قبل صدوره وإستمر لا يتقبله بعد صدوره، وإن كان بين الحين والآخر يوحي بأنه سيوافق على بعض ما في ذلك القرار.

وعندما نتأمل في القرار 242 نجد أن إصداره كان بهدف فرض أمر واقع وليس من أجل أن يُرضي الطرف الإسرائيلي ويغضب الطرف العربي. وهو صدر بالشكل

الذي صدر فيه لأن الدول الكبرى التي دعمته وإرتضتته فعلت ذلك على أساس أن هذا القرار لن يلغيه أن دولة من الدول المعنية قالت إنها ترفضه، أو إن دولة أخرى قالت إنه محجف بحقها.

ومن المؤكد أن الدول الكبرى عندما تبنت القرار ودعمته تصرفت على أساس أن الذي لن يُقبل به على الفور سيُقبل به في وقت لاحق، أو في نهاية المطاف، أما أن يعاد النظر في القرار فهذا أمر غير وارد على الإطلاق. وعندما نتأمل في التطورات التي أعقبت صدور القرار 242 نجد أن هذا القرار إستمر هو الأساس وبقي محور المواقف، ونجد أيضاً أن الذين إعترضوا عليه في العلن وافقوا عليه بشكل غير مباشر، بل إننا نجد أيضاً أن هنالك ما يشبه الإجماع العربي على روحية القرار 242 من خلال الطبعة العربية له - إذا جاز القول - والمتمثلة بقرارات قمة فاس.

وبالرغم من أن الفترة بين صدور القرار 242 والزمن الراهن طويلة فإن السياسة العامة في التعامل مع الصراع العربي - الإسرائيلي تسير وفق القرار 242، من دون أن تكون هنالك موافقة من قبل كل الأطراف المعنية على القرار. وهذا معناه أن القرار صدر ليبقى أو أنه ينتظر موافقة كل الأطراف عليه وليس العكس.

وما يقال عن القرار 242 يمكن أن يقال عن القرار 598 الذي هو الآخر صدر لكي يبقى حتى إذا رفضه الحُكم الإيراني.

والى ذلك يمكن القول إنه إذا كان التردد العربي في قبول القرار 242 مقبولاً أو مبرراً على أساس أن القرار تم وضعه بصيغة خاضعة للمزيد من التفسيرات والإجتهادات، فإن القرار 598 تم وضعه بعيداً عن الغموض، وبحيث لا يخضع لأي تفسيرات وبالذات التفسير الذي أخذ من أطراف الصراع العربي - الإسرائيلي الوقت الكثير وبالذات ما يتعلق بـ "أراضي" و"الأراضي".

ومثلما أن القرار 242 كان من النوع الذي لا يمكن القبول به جزئياً، وإنما بكامل الصيغة كما جاءت، فإن القرار 598 هو أيضاً من النوع ذاته، أي أنه لا يتحمل نصف موافقة، أو بالأحرى لا يتحمل أي إعتراضات. وهو هكذا لأن الدول الكبرى وضعت وإرتضت به صيغة موضوعية لنزاع طويل.

ومن المؤكد أنه لو كان الذي يحكم إيران رئيساً عادياً وليس قوة لها هذه الهيمنة، كما هي حال الخميني، لما كان

لهذا الرئيس أن يتردد لحظة في قبول القرار 598، إذ ليس هنالك ما هو أفضل له. فالقرار ليس فقط ينهي الحرب، وإنما يحفظ ماء الوجه. بل قد يجوز القول إنه في مسألة حفظ ماء الوجه يبدو القرار 598 بالنسبة إلى الحُكم الإيراني أفضل بكثير من القرار 242 بالنسبة إلى الأطراف العربية.

وإذا كانت الدول العربية إرتضت بالقرار 242 بعد تردد، وبالرغم من أنه غير منصف للقضية بشكل عام، على أساس أنه ليس هنالك ما هو أفضل، فإن الذي يدعو إلى الدهشة هو تردد الحُكم الإيراني في قبول القرار 598، وكأننا هنالك حلول أفضل.

ويبقى أن الذي يجعل الحُكم الإيراني يماطل في الإقرار بقبول الخيار الدولي لوقف الحرب، والذي يتمثل بالقرار 598، هو أنه حُكم يعتمد العناد كطريقة حُكم وأسلوب حياة.

ولكن إذا كان هذا العناد لم يَفِد مع العراق كدولة وحيدة خاضت بصدور أبنائها حرباً دخلت هذا الأسبوع سنتها الثامنة، فكيف سيكون مجدياً مع العالم كله، الذي قال في أواخر السنة السابعة للحرب، من خلال التوصل إلى القرار 598، إنه لا حرب بعد الآن؟

هل أن الحُكم الإيراني سيحارب العالم كله؟

إنها ليست حالة مثيرة وحسب. بل إنها الإستهجان بكل ما يحفل به من أوهام.

وتكراراً إن القرار 598 هو مثل القرار 242، هما من نوع القرارات التي قد يتأخر إستتباطها لكن عندما يتم وضْعها فإنها تكون قرارات لا عودة عنها... وإن طال العناد.

وعندما نقول إن القرار 598 هو مثل القرار 242 هما يرسم التطبيق، طال الزمن أم قصر، فإننا نتمنى أن يعي هذه الحقيقة الحالمون بدور الوسيط مثل الصادق المهدي رئيس الوزراء السوداني الذي توجه إلى طهران قبل بضعة أشهر وكادت زيارته تحدث ثغرة في جدار العزلة العربية حول الحُكم الإيراني، ومثل الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي وزير خارجية الجزائر الذي من المقرر أن يقوم يوم 14 أيلول (سبتمبر) بزيارة إلى طهران يختار المرء في فك ألغازها. فإذا كانت الزيارة للتوسط فإن زمن الوساطات إنتهى بصدور القرار الدولي 598، فضلاً عن أن العراق لم يكلف الجزائر بهذه الوساطة. أما إذا كانت من أجل دعم الموقفين الكويتي والسعودي وتجديد مساندة الموقف

العراقي، فإن التعبير عن هذا الدعم وتلك المساندة يكون بإلغاء الزيارة أو تأجيلها.. أو زيارة السعودية والكويت بدلاً من زيارة إيران. وما أكثر الزيارات التي يتم إلغاؤها أو تأجيلها للتدليل على موقف إحتجاجي.

ويخشى المرء أن يكون داخل الحُكم الجزائري "لوبي إيراني" وأن يكون هذا "اللوبي" هو والميسو وراء زيارة الإبراهيمي في وقت غير مناسب على الإطلاق.

أما لماذا التوقيت غير مناسب، فلأن الحُكم الإيراني سيوظف الزيارة في إتجاه فتح ثغرة في جدار العزلة العربية والدولية حوله، ولأنها تأتي قبل أيام من إستئناف وزراء الخارجية العرب إجتماعهم في تونس، وهو إجتماع مطلوب منه إتخاذ قرارات رادعة في حق الحُكم الإيراني من بينها قطع العلاقات الدبلوماسية، ولأنها - وهذا هو الأهم - تأتي في وقت يقوم الأمين العام للأمم المتحدة دي كويلار بزيارة إلى طهران ليقول للحُكم الإيراني إن كل العالم يطالب هذا الحُكم بوقف الحرب وتطبيق القرار 598.

وتبدو زيارة الإبراهيمي وكأنما هي مع الأسف البالغ "مزايدة ثورية" في غير وقتها، و"فيتو" من إبتكار الجزائر على قرار دولي هدفه إحلال السلام في المنطقة.

مجلة "التضامن". لندن - 12 أيلول (سبتمبر) 1987

آفاق ذهبية في اليوبيل الفضي

تحل بعد أيام الذكرى الخامسة والعشرون للثورة اليمنية. وهي مناسبة قومية وليست فقط شأنًا يمنيًا. ولأنها كذلك فإن كل عربي من المحيط إلى الخليج يشعر أن هذه الثورة ثورته، وأنه عندما يحتفل بها فعلى أساس أنها تعني الكثير بالنسبة إليه.

وبالرغم من أن الثورة اليمنية تدرجت في مراحل من التوتر، إلا أنها دخلت مع تسلّم العقيد علي عبد الله صالح دفعة القيادة مرحلة الإستقرار. وعندما إستقرت بدأ الإطمئنان يدخل النفوس، وبدأ الإنتعاش الإقتصادي يأخذ فرصته، وعندما يحدث ذلك في زمن إنحدار الطفرة النفطية، فإن معناه أن هذه الجمهورية الفتية مرشحة لأن تكون نموذجاً للدولة الحديثة.

وعندما نتأمل في أسلوب تعامل الدولة اليمنية مع

قضايا العالم العربي، ومع الجيران، ومع الأشقاء البعيدين، ومع الأصدقاء وغير الأصدقاء في شتى بقاع الدنيا تتبين لنا أسباب الإستقرار. فليس هنالك صراع مع أحد. وليس هنالك حسد لمالكي الثروات، وإنما إصرار على بناء الدولة الحديثة وتعويض البلد ما فقده في سنوات التخلف والتجهيل. وليس هنالك إنكالية. وفي الوقت نفسه هنالك إصرار على إبقاء الكبرياء اليمني في أحسن حال.

والى ذلك هنالك إبتعاد عن لعبة سياسة المحاور، وسعي دؤوب للتوفيق بين الأشقاء عندما تطرُق الخلافات أبوابهم. وفي الوقت نفسه هنالك حرص على الإيفاء بالواجب القومي، على رغم ما يحمله ذلك من مخاطر. وهذا الإيفاء بالواجب نلمسه عندما نرى أن الجمهورية العربية اليمنية لم تقصر عندما تعرض العراق للعدوان، وفتحت ذراعها للقضية الفلسطينية عندما داهم الخطر القيادة الفلسطينية. وعندما تعرضت الشرعية الفلسطينية لمحنة هنا، ومحنة هناك، ومحاولات تدوير للقرار الوطني المستقل، بادرت قيادة علي عبد الله صالح بمروءة تعكس أصالة العربي النقي المشاعر وحسمت بصمت أموراً في منتهى التعقيد.

والى ذلك أيضاً إن الجمهورية العربية اليمنية، إستمرت تعمل على تألف القلوب، وإستمرت الطرف الذي يرتاح المتخاصمون من الأشقاء العرب إلى رأيه، بل وإلى نصيحته، وكذلك إلى الحكمة اليمنية التي ربما لا تنهي خلافاً مستحكماً ولكنها تبلسم جرحاً ينزف. وما أكثر الجراح التي تنزف في الأمة.

ولقد كرست قيادة علي عبد الله صالح أموراً لها صفة التقاليد. وعلى سبيل المثال لا الحصر إنها أكدت أن الوفاق الوطني ممكن، وقد حدث ذلك على خير ما يكون عليه الوفاق. وأكدت أن الوفاء للذين ساعدوا في تثبيت الجمهورية هو أمر يعود بالخير المعنوي على الدولة لأنها بذلك تحظى بإحترام الجميع لها، وقد حدث ذلك بالنسبة إلى مصر وعلى خير ما يكون عليه الوفاء. وأكدت أيضاً أن الثورية لا تعني أن هامش الحرية والديمقراطية والشورى يجب أن يضيق، ولا تعني أيضاً أن الاشتراكية هي في التضيق على أرزاق الناس، وتطلعاتهم إلى العمل والكسب.

وكرست هذه القيادة معادلات أكسبتها التقدير من الجميع. ولعلها إحدى الحالات القليلة التي تكون هنالك دولة ثورية لجمهورية فنية وهي على علاقات أكثر من

جيدة مع الجار المحافظ، والشقيق المتطرف في ثورته، وأيضاً على علاقات جيدة مع الشقيق البعيد، محافظاً كان أم ثورياً. كذلك هي على أفضل علاقة مع الشرق ومع الغرب. وحيث ليس هنالك العلاقة الأفضل، فإن هنالك بالتأكيد التعايش المثالي، وتلك براعة في فن التعامل مع الآخرين تولدت نتيجة سنوات كثيرة المرارة حافلة بالتوتر والإخفاقات، ثم جاء ابن المؤسسة العسكرية اليمنية ليجعل من هذه المرارة دروساً يمكن الإستفادة منها في بناء دولة حديثة.

ولقد إستطاع العقيد علي عبد الله صالح بحزم القائد العسكري المستند إلى الحكمة اليمنية ذات الجذور، أن يبلور المفهوم الحقيقي للثورة العادلة. وفي الجمهورية العربية اليمنية هنالك ثورة للمستضعفين بالفعل، وللمحرومين بالفعل ولكنها تعمل بصمت ومن دون أن يكون هاجس هذه الثورة هو التصدير وإراقة الدماء كالأنهار في سبيل هذا التصدير كما يحدث مع إخواننا في إيران. ومن يتأمل في هاتين الثورتين، الثورة الإيرانية وما فعلته بالشعب، والثورة اليمنية وماذا فعلته للشعب وحققته له، يجد نفسه يسجل بإعجاب هذا الإنجاز للثورة اليمنية.

ويبقى أن هذه الأسطر هي كلمة حق يراد بها حق في ثورة تبدو أكبر بكثير من عمرها الفتي. وهي ثورة جعلت اليمن جمهورية وسعيداً ومستقراً... وعلى أهبة أن يدخل بالإستقرار الذي تكرر مع حلول اليوبيل الفضي للثورة الآفاق الذهبية ونعني بها مرحلة الإزدهار الإقتصادي الذي يستحقه قائداً وشعباً بجدارة.

مجلة "النضام". لندن - 19 أيلول (سبتمبر) 1987

* * *

الحسين بعد الحسن لمواجهة الخميني

بحساب الربح والخسارة فإن الإجتماع الذي عقده وزراء الخارجية العرب في تونس يوم الأحد 1987/9/20 إنتهى من دون ريح وفير لكن في الوقت نفسه لم تحدث خسارة فادحة. ومثل هذه النتيجة جيدة على رغم مشاعر الإحباط التي يمكن أن تنتج عنها.

ونتائج إجتماع تونس تبدو إلى حد ما مثل نتائج زيارة الأمين العام للأمم المتحدة إلى كل من طهران وبغداد.

بقطع العلاقات الدبلوماسية مع الحُكم الإيراني، تماماً مثلما أن عدم حدوث هذا الهجوم تجاوباً وتقديراً من جانب ذلك الحُكم للموقف العربي كما بدا في إجتماع تونس وبالتالي عدم سفك المزيد من الدم المسلم سيتم النظر إليه على أنه إحدى نتائج عدم إتخاذ قرار قطع العلاقات. وفي مثل هذه الحال فإن الاعتقاد السائد بأن ما يعلنه الحُكم الإيراني هو غير ما يبطنه، أو أن ما يصدر عن ألسنة بعض "الآيات" هو غير ما يدور وراء الكواليس إنما هو اعتقاد في محله. وما يدور وراء الكواليس مؤداه أن الحُكم الإيراني دخل في مدار الرغبة بالتفاوض، وأنه فقط ينتظر المخرج الأفضل بعدما كان في الماضي يسعى وراء الشرط الأصعب. أما الحديث المتزايد حول الهجوم الجديد فإن هدفه في الدرجة الأولى لملمة صفوف الجبهة الداخلية لا أكثر، وإن كان ذلك لا يعني أن الحُكم الإيراني تخطى عن لعبة الحرب وإتجه في طريق السلام.

وصحيح أن قطع العلاقات الدبلوماسية العربية مع الحُكم الإيراني كان من شأنه أن يرضي العراق، الذي يرى في الخطوة وسيلة ضغط على الحُكم الإيراني، إلا أن العراق يرى أيضاً أن القفز فوق قرار المقاطعة إلى موقف أكبر ونعني به القرار الذي إتخذ في شأن عقد قمة عربية طارئة كفيل بإرضاء المشاعر العربية، خصوصاً أن هذه القمة باتت مثل غصة في الحلق العربية. وإرضاء المشاعر له أهميته القصوى، وخصوصاً أن القمة الطارئة ستناقش في الدرجة الأولى موضوع الحرب العراقية - الإيرانية التي باتت مؤذية للمشاعر العربية لكثرة ما حفلت بالمناورات والمؤامرات والمزيدات، ولكثرة ما إمتلأت بالتسويق والتأجيل. وكان سيبدو أن إنتكاسة خطيرة حدثت في العمل العربي ولمصلحة الحُكم الإيراني لو أن مؤتمر تونس إنتهى من دون قطع علاقات وفي الوقت نفسه من دون تحديد موعد لعقد قمة طارئة.

ويبقى أن تحديد يوم 8 تشرين الثاني (نوفمبر) 1987 موعداً لإنعقاد القمة الطارئة ليس متأخراً ولا هو لتهينة الأوراق، وإنما هو وقت طبيعي تكون فيه توضحت بعض الشيء معالم الطريق المسدود أمام الحل الدولي في ضوء نتائج مهمة الأمين العام للأمم المتحدة في كل من طهران وبغداد. وفي هذا الإطار يجوز القول إن العمل العربي بات في أي حال عنصراً مسانداً وليس هدفاً بعد القرار 598، وسيستمر كذلك ما دام هذا القرار يتحرك.

يبقى أيضاً أن شعوراً بالطمأنينة سيسود لأن القمة

ومثلما أن ديكويار لم يستطع أن يعود من زيارته إلى طهران بما يشير إلى أن الحُكم الإيراني مستعد للتجاوب مع الإرادة الدولية بإنهاء الحرب، فإن وزراء الخارجية العرب الذين إلتقوا في تونس لم يستطيعوا الخروج من حالة الحيرة التي وضعوا أنفسهم فيها وتركوا الأمر لقمة عربية تتعقد في 8 تشرين الثاني (نوفمبر) في العاصمة الأردنية. وهذه النتيجة، التي إنتهى إليها إجتماع وزراء الخارجية العرب في تونس، لم تكن مفاجئة، بل إنه قد يجوز القول إنهم عندما أرجأوا في إجتماعهم الماضي إتخاذ قرار بقطع العلاقات الدبلوماسية مع إيران إنما كانوا يلمحون إلى أنهم لن يتخذوا تلك الخطوة. ثم جاءت نتائج إجتماعات وزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجي في جدة لتؤكد أن قرار قطع العلاقات لن يتم إتخاذه على الإطلاق، وذلك بعدما وصلت المداولات إلى الحد الذي بات فيه المجلس مهتداً بانقسام حقيقي.

ولولا الخلاف الذي ساد الصف الخليجي في شأن موضوع قطع العلاقات مع إيران لما كان في إستطاعة الحُكم السوري أن يصمد لوحده في معارضة الخطوة. ولكن الخلاف الذي ساد الصف الخليجي، وهو يحدث للمرة الأولى بهذه الحدة، جعل الموقف السوري يبدو كثير الإعتدال والإنسجام أمام مواقف بعض الخليجيين.

وإذا كانت أفضل نتائج إجتماع وزراء الخارجية العرب الماضي في تونس هي أنه حال دون إنقسام العالم العربي فإن هذا لا يعني أن شبح الانقسام قد زال بالإتفاق على عقد القمة الطارئة في العاصمة الأردنية. ونقول ذلك على أساس أنه إذا كان هذا الإنقسام لم يحدث علناً فإنه في داخل النفوس قد حدث بالفعل. وقد يصعب الجزم بما إذا كانت القمة الطارئة ستتمثل بكل الملوك والرؤساء، لكن من المؤكد أن إختيار عمان مكاناً للإنعقاد يعني أنها ستكون من نوع القمم التي تتعقد بمن يحضر.

وليس واضحاً ما إذا كان الحُكم الإيراني سيجد في هذه الخطوة العربية مناسبة لكي يعيد النظر في رفضه التجاوب مع الإرادة الدولية لإنهاء الحرب، أم أنه سيعتبر أن إجتماع تونس الذي أجهض محاولة قطع العلاقات الدبلوماسية التي كانت واردة مع هذا الحُكم هو فرصة جيدة بالنسبة إليه لإلتقاط الأنفاس. وفي هذه الحال فإن أي دم يسيل نتيجة هجوم إيراني يحدث بين 20 سبتمبر (أيلول) 1987 و8 تشرين الثاني (نوفمبر)، موعد إنعقاد القمة الطارئة، تتحمل مسؤوليته الدول العربية التي حالت دون إتخاذ قرار

العربية ستتعقد في العاصمة الأردنية وسيرعاها بعنايته الشديدة الملك حسين الذي نشط في السنتين الأخيرتين للعمل العربي كما لم ينشط حاكم عربي، وقطع في سبيل هذا العمل من الأميال الجوية ما لم يقطعه حاكم عربي. وإختيار العاصمة الأردنية لعقد القمة الطارئة يؤكد أن الحسين يأخذ دور الحسن الثاني في مسألة القمم الطارئة، أو القمم التي تواجه المصاعب من أجل أن تجد المكان المناسب للإنعقاد فيه. وفي الماضي كان كلما إستعصى على الملوك والرؤساء العرب إيجاد المكان المناسب يتجهون إلى المملكة المغربية ثم ها هم يبدؤون التوجه إلى المملكة الأردنية.

... والحسن أخ الحسين في العروبة وفي الإسلام.. وفي مواجهة آية الله الخميني وإصراره على مواصلة إضرام النار تحرق الأخضر واليابس في المنطقة.

مجلة "التضامن". لندن - 26 أيلول (سبتمبر) 1987

* * *

حسني مبارك في الولاية الثانية

بعد أيام يولد لمصر رئيس جديد. ابن بار يحفظ العهد، ويصون كرامات الناس، ولا يحاول أن يبني أمجاداً من خلال نبش الماضي بل على العكس يسجل مناسبة بعد أخرى حرصاً متناهياً على ضرورة أن يرتاح الراحلون في قبورهم.

وبعد أيام تبدأ شرعية جديدة قائمة على الكثير من التواضع ونكران الذات والإستعداد للتضحية. وصاحب هذه الشرعية لا يطرح برنامجاً ووعوداً ويقول إنه سيفعل، وإنما يخطو نحو الولاية الثانية تسبقه إنجازات تحققت خلال خمس سنوات.

وخلال خمس سنوات أنجز الرئيس حسني مبارك الكثير. بل إنه أنجز ما بدا أنه صعب بل ومستحيل. ومن أجل ذلك فإنه عندما شارفت الولاية الأولى على الإنتهاء لم يطالب بالولاية الثانية ويرجّح لها وإنما وجد نفسه يلبي نداء صامتاً بضرورة أن يواصل مسؤولية الحكم. ومثل هذا النداء لم يأت نتيجة أن الرجل من النوع الحديدي وإنما لأنه حقق الكثير من الإنجازات، أو أنه على الأقل حال دون تداعيات كثيرة. وعندما يتمكن حاكم من أن يحول دون

حدوث تداعيات لبلده فإنه يكون أنجز أمراً في منتهى الأهمية، أي بمعنى آخر إن وقّف التداعي هو بأهمية إنجاز مطلب جماهيري.

وللتدليل على أهمية الإنجازات التي تحققت في الولاية الأولى لحسني مبارك يكفي تصور حجم المتاعب والإرتباكات التي كانت ستواجهها مصر لو أن الأمور إستمرت على ما كانت عليه قبل ست سنوات. وليس مبالغة القول إن المتاعب كانت ستبدو أكثر تعقيداً، وكانت الإرتباكات ستبدو أكثر خطورة. ومن المؤكد أن المواطن المصري، بالإحساس العفوي، تصور أهوال المتاعب والإرتباكات فوجد في التجديد ست سنوات أخرى للرئيس حسني مبارك الحل والضمانة والإطمئنان إلى أن الأمور إذا كانت لن تسير نحو الأحسن فعلى الأقل تبقى في إطارها الحالي المعقول.

وصحيح أن المقاطعة الدبلوماسية العربية لمصر ألقت ظلالاً ثقيلة على حكم الرئيس مبارك، إلا أنه من الجائز القول إن العلاقات العربية - المصرية كانت في الولاية الأولى للرئيس مبارك أفضل بكثير مما كانت عليه قبل قطع العلاقات ببضعة أشهر. ومن المؤكد أن هذه العلاقات ستكون أفضل - حتى إذا إستمرت المقاطعة - في الولاية الثانية وذلك بسبب قوة الشرعية التي سيستمدّها الرئيس مبارك من الإلتفاف الشعبي حوله. ونقول ذلك مع الأخذ في الاعتبار أن العلاقات بين مصر ومعظم الدول التي قطعت العلاقات الدبلوماسية معها، وما زالت، أفضل قليلاً من العلاقات التي بين بعض الدول العربية التي تتبادل التمثيل الديبلوماسي ولم يصل التوتر بينها إلى درجة القطيعة.

والى ذلك إنه إذا كان الرئيس مبارك في الولاية الأولى لم يقلل عدد الدول العربية التي قطعت العلاقات الدبلوماسية مع مصر إلا أنه أبقي على الذين لم يقطعوا العلاقات يواصلون عدم الإنتقال إلى الفريق الذي قطع العلاقات. وعندما سقط حكم الرئيس نميري في السودان إفترض البعض أن حكم الأحزاب سيقطع العلاقات مع مصر ثم تبين لهذا الحكم أن الرئيس مبارك ليس أقل حرصاً على القضية من الآخرين.

كذلك إن الرئيس مبارك إعتد في الولاية الأولى تقليداً يقوم على إمكانية التعامل مع الأشقاء وكأن ليس هنالك قطيعة. وعندما يحاط الرئيس مبارك وهو في القمة الإسلامية الخامسة في الكويت بكل مظاهر الإهتمام

العربي، وعندما لا يجد الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد وهو في طريق العودة من أديس أبابا إلى الجزائر ما يحول دون التوقف الرسمي في الأقصر... إنه عندما يحدث ذلك وغيره على صعيد الإتصالات غير المعلنة واللقاءات المعلنة مثل اللقاء بين الرئيس مبارك وأمير الرياض سلمان بن عبد العزيز في القاهرة، فإن ذلك يؤكد أن التعامل أفضل تحت مظلة العلاقات الدبلوماسية العادية وأنه ممكن من دون هذه المظلة.

ويبقى أن الإنطباع السائد عن المصريين منذ مئات السنين هو أنهم شعب حريص على ولائه لحاكمه، بل إن هنالك من يضرب المثل في ولاء المصري لحاكمه. ثم ها إننا في الثمانينات نعيش إنطباعاً حول ولاء الحاكم لبلده ولشعبه.

وبهذا الولاء، الذي سيكون مضرب مثلاً، سيبدأ الرئيس حسني مبارك ولاية جديدة من المؤكد أنها ستكون صعبة، لأن الرجل تسلم الحكم في المرة الأولى مديناً للظروف وها هو سيبدأ ولاية ثانية وقد طوّق المصريون عنقه بجمايل، وهو أمر لم يحدث من قبل وأغلب الظن أنه لن يتكرر بهذه البساطة.

يبقى أيضاً أنه عندما يكون الابن باراً لبلده فإنه من المؤكد سيكون باراً لأُمته. ومن هنا هذا الإرتياح العربي إزاء حاكم بدأ مستقيماً ووطنياً وإستمر مستقيماً ووطنياً وسيواصل أكثر إستقامة ووطنية.

مجلة "التضامن". لندن - 3 تشرين الأول (أكتوبر) 1987

* * *

جنرال الإستقرار

طوال السنوات العشر الماضية كانت تونس في إستمرار محط أنظار قوى إقليمية ودولية كثيرة. وكانت في الوقت نفسه موضع حسد الكثيرين، شأنها في ذلك شأن لبنان الذي كان هو الآخر موضع حسد أكثر من طرف.

والحسد سببه أن هذه الدولة الصغيرة الحجم ذات شأن كبير.

وهي ذات شأن في المناخ الديمقراطي السائد والذي يتيح تعدد الرأي والتعبير.

وذات شأن في التحديث.

وذات شأن في تأمين الخدمات بحيث باتت قادرة على إستقطاب المستثمرين العرب وإغراء الإستثمارات العربية. وذات شأن في أن الغرب يرتاح لها وأن دولاً من الولايات المتحدة إلى أوروبا ترى فيها أنها بقعة عربية متميزة، أو كما لو أنها قطعة أرض كبيرة انفصلت عن العالم الغربي وباتت جزءاً من العالم العربي.

وذات شأن لأنها الدولة التي يمكن أن تكون محطة الرصد الأساسية للغرب بحيث يتأمل منها في أحوال العالم ومشاكله، ويضع الخطط لمواجهة هذا التيار أو ذلك.

نعم، هكذا هي تونس. تجربة لافئة للإنتباه على صعيد محاولة بناء دولة حديثة بأموال الآخرين. ولافتة للإنتباه، إلى حد الدهشة، على صعيد العلاقة المتميزة التي تربط هذه التجربة بالولايات المتحدة والدول الأوروبية من دون الدخول في لعبة المحاور ومن دون إغاطة دول الكتلة الشرقية. ولافتة للإنتباه على صعيد أنها المكان المناسب الذي إختارته الدول العربية عندما قررت نقل جامعتها من القاهرة، والمكان المناسب الذي إختارته منظمة التحرير الفلسطينية عندما فقدت المقر الذي يرمز إلى شرعيتها.

وعندما تكون الدولة صاحبة تجربة لافئة للإنتباه فإن من الطبيعي أن يتكاثر الحاسدون لها وتزايد محاولات الإلتفاف عليها.

كذلك إنه من الطبيعي أن ينشط الحاسدون والراغبون في إستقطاب تونس إلى جانبهم عندما تكون هنالك زعامة تاريخية تُمسك بزمام القيادة مثل زعامة الرئيس الحبيب بورقيبة الذي - أطال الله عمره - بات في السن التي تشجع الآخرين على التدخل أو الإستقطاب. ومن الجائز الافتراض أن كل القوى الإقليمية والدولية الكثيرة تنشط منذ عشر سنين على أساس أن الزعامة التاريخية تترك بعد رحيلها فراغاً كبيراً، وأن هذه القوى يمكنها أن تكون صاحبة دور في ملء هذا الفراغ.

وعندما نتابع تطورات السنوات العشر الماضية نجد أن هذه القوى كانت تنشط أكثر، ومن خلال أطراف محلية، كلما إنقضت سنة من عمر الرئيس بورقيبة، بمعنى أن تحركات هذه القوى عام 1980 كانت أقل بكثير من تحركاتها عام 1984، وأن تحركاتها عام 1987 كانت أضعاف تحركاتها عام 1985 وذلك نتيجة الوضع

الصحي للزعيم التاريخي ولتنوعه الذين يضعهم في مواقع المسؤولية.

ومن المؤكد أن الرئيس بورقيبة بإختياره وزير الداخلية زين العابدين بن علي يوم الجمعة 2 أكتوبر (تشرين الأول) 1987 ليكون رئيساً للوزراء، جعل القوى الإقليمية والدولية ترتبك بعض الشيء وتتوقف تبعاً لذلك عن المناورات بشكل مباشر أو عن طريق أطراف محلية.

وإختيار زين العابدين بن علي ليكون رئيساً للوزراء مهم لأكثر من سبب. فالبلاد تحتاج إلى إستقرار، والإستقرار يتطلب القانون الذي يتهببه المواطنون، وهيبة القانون يمكن أن يحققها إبن المؤسسة العسكرية من خلال أسلوب هذه المؤسسة في الحزم. وعندما يكون هذا الحزم موضع رعاية الزعامة التاريخية ورقابتها وتوجيهها فإن تطبيق القانون يصبح من ضرورات توفير الطمأنينة. وإلى ذلك إن زين العابدين بن علي صاحب سمعة طيبة، ورجل حوار يفضل به بعيداً عن الأضواء والعسائت. ولولا أنه لم يفز في الإمتحان البورقيبي الصعب لما كان إستطاع أن يصل إلى الوزارة الأولى. ومن الجائز الإفتراض أن زين العابدين بن علي حاله التوفيق في كل المهمات التي أوكل الرئيس بورقيبة إليه أمر تنفيذها، وأنه بسبب هذا التفوق إستحق عن جدارة الوصول إلى الموقع الثاني في الدولة.

وصحيح أن زين العابدين بن علي هو جنرال، وأن الجنرالات يميلون إلى الحزم أكثر من الميل إلى الديمقراطية والتعددية، إلا أن الرجل جنرال تحت مظلة البورقيبية التي هو أحد أبنائها والتي إذا فقدت النكهة الديمقراطية التي تتميز بها فإنها تفقد بذلك رصيدها كبيراً وترثاً له أهميته.

والأهم من هذا كله أن لغة الحوار يمكن أن تكون أكثر جدوى بين تونس وكل من الجماهيرية الليبية والجزائر بعد الآن، وذلك لأن رجال الدولة الذين أتوا إلى الحكم من المؤسسة العسكرية يمكن أن يتفهموا ظروف بعضهم بشكل أفضل.

يبقى أيضاً أن زين العابدين بن علي لم يأت إلى الوزارة الأولى في تونس بدبابية، ولا ببلاغ رقم واحد، وإنما بمرسوم جمهوري من قيادة تاريخية إختارت لكل مرحلة رجلها.

... وها هو زين العابدين بن علي أو "جنرال الإستقرار" يبدأ مرحلة جديدة في تونس.

ومن المؤكد أنه سينجز الكثير إذا حظيت تونس في هذه المرحلة بدعم إقتصادي وعسكري فعال من جانب الغرب ودول الخليج. ومثل هذا الدعم كان قليلاً جداً في الماضي على أساس أن الرئيس بورقيبة كان يختار قيادات غير مستقرة. لكن زين العابدين بن علي يأتي وقد توافرت له أكثر مما توافرت للآخرين عوامل الإستقرار. ومن هنا يجوز التوقع بأن أكثر من خطوة يمكن أن تستتبع إختياره وكلها للتأكيد بأن السلالة الثانية للبورقيبية تتواصل مع جنرال تسلم الوزارة الأولى في السن التي تسلم فيها الحبيب بورقيبة دفعة القيادة.

مجلة "التضامن". لندن - 10 تشرين الأول (أكتوبر) 1987

* * *

الإجماع مهمة الملك حسين والباقي على الخليجيين...

عندما نتابع هذا النشاط الذي يبذله الملك حسين في سبيل عقد القمة العربية في عمان يوم 8 تشرين الثاني (نوفمبر) 1987 فإننا نتفاءل خيراً بالنتائج.

وهذا النشاط ليس مستغرباً في العاهل الأردني، ذلك أنه قبل أن يتم الإتفاق على عقد القمة ويتم إختيار العاصمة الأردنية مكاناً لها كان الملك ومساعدوه يجوبون العواصم العربية وبعض عواصم العالم عملاً بالقاعدة التي يعكسها المثل الشعبي (في الحركة بركة).

وإذا كان الملك حسين بذل جهوداً قبل أن يتقرر عقد القمة في مملكته من أجل العمل العربي المشترك فمن الطبيعي أن يكثف الجهود ويضاعف السعي ليس فقط من أجل أن يتم عقد القمة لأن ذلك ليس الهدف وحده وإنما أن تتعقد القمة وتُحقق الحد الأقصى من النتائج الطيبة أو على الأقل الحد الأدنى إذا إستعصى تحقيق الحد الأقصى.

وحتى كتابة هذه الأسطر (يوم 1987/10/12) كان واضحاً أن قمة عمان ستعقد وأنه ليس هنالك من يهددها كما كانت الحال بالنسبة إلى القمة الإسلامية الخامسة التي جرى عقدها في الكويت على دوي التهديدات الإيرانية.

كذلك إنه كان واضحاً أن الملك حسين مستعد حتى إلى إرسال بعض أبنائه ووزرائه ومساعديه مبعوثين

شخصيين له إلى بعض العواصم العربية لإصطحاب هذا الملك أو ذاك الرئيس.

والذي تتميز به قمة عمان أنها ستكون قمة المواقف، بمعنى أن التطورات التي تشهدها المنطقة تُحتم أن يسجل كل طرف موقفاً حاسماً من الموضوع الأساسي الذي تتعقد القمة من أجله وهو موضوع الحرب العراقية - الإيرانية. وفي الماضي كان من السهل على البعض القفز فوق هذا الموضوع وإشغال المجتمعين بقضايا هامشية، إلا أنه في ضوء التطورات الأخيرة سيكون من الصعب على الذين سيشاركون في القمة التملص من تحديد الموقف.

وزيادة في التوضيح يمكن القول إن التملص قبل حادثة مكة وقبل قصف الكويت بالصواريخ الإيرانية كان متيسراً على البعض وكان العراق هو الذي يدفع الثمن نتيجة لذلك، أما وأن القمة العربية تتعقد هذه المرة وقد شاركت المملكة العربية السعودية والكويت العراق تحمّل المخاطر الفعلية للحرب فإن الموقف تبدل بشكل أساسي.

بل قد يجوز القول إن قمة عمان ليست قمة الحرب العراقية - الإيرانية بقدر ما هي قمة التهديدات الإيرانية لدول الخليج ولمخاطر هذه التهديدات على الأمن الخليجي.

وإذا كانت مخاوف عُقد القمة زالت بمعنى أنها ستتعقد في الزمان المحدد لها، وزالت إلى حد كبير المخاوف من مشاركة الجميع فيها، إلا أن الخوف الكبير الذي ما زال من الصعب الإطمئنان إلى أنه قد تبدد هو أن يحدث إختراق للقرار العربي من خلال التناقض السائد في الموقف الخليجي، بمعنى أن تنتهز بعض الأطراف المسايرة لإيران حالة عدم التجانس التي يتسم بها الموقف الخليجي منذ ثلاثة أشهر وتبقى تغرد خارج السرب العربي وتستفيد إيران من هذا التغريد.

ومن هنا فإنه إذا كان الملك حسين يسعى بكل ما أوتي من حيوية وحنكة وبعد نظر من أجل أن يحقق للقمة العربية في عمان الإجماع، فإن من حقه أن يطالب الخليجيين بموقف أكثر قوة من الموقف الذي هو عليه الآن. وأغلب الظن أن هنالك إتصالات تجري على هامش التحضير لعقد القمة وهدفها أن يشارك الخليجيون في القمة كما كانوا يشاركون في الماضي عندما تتعقد المؤتمرات العربية، بمعنى أنهم إذا كانوا على شيء من التناقض في مؤتمراتهم الخليجية فإنهم يأتون إلى القمم العربية بموقف أكثر تماسكاً وإنسجاماً.

ويبقى أنه في الوقت الذي كانت الإستعدادات تجري بكل الدقة في عمان من أجل عقد القمة فإن الآمال كانت معلقة على الملك حسين الذي يوظف خبرة ثلاثين سنة في سبيل إنجاح القمة وكانت الأنظار متجهة إلى رمزي الموقف الخليجي المطلوب من أجل إنجاح هذه القمة وهما الملك فهد بن عبد العزيز والسلطان قابوس.

وكان هنالك إرتياح لأن المشاكس التقليدي لمؤتمرات القمة العربية العقيد معمر القذافي إتخذ للمرة الأولى موقفاً تمثّل في وضع طائرة خاصة بتصرف الأمين العام للجامعة العربية الشاذلي القليبي يتنقل بها بين دمشق وبغداد وحيث يريد من أجل أن تنجح القمة التي من المقرر إنعقادها في عمان.

يبقى أيضاً أن هنالك ما يشبه السباق مع المفاجآت الدولية ومع التصعيد المحتمل حدوثه في حرب الخليج من جانب الولايات المتحدة، والذي قد يكون هدفه جعل الموقف السوفياتي قبل إنعقاد قمة عمان أقرب إلى إيران بحيث تجد هذه القمة نفسها تتخذ موقفاً من إيران ومن الإتحاد السوفياتي معاً.

وعلى هذا الأساس فإن المنطقة منذ الآن وحتى إنعقاد القمة أمام فيلم أميركي - سوفياتي طويل ومن النوع الذي يحبس الأنفاس.

مجلة "التضامن". لندن - 17 تشرين الأول (أكتوبر) 1987

المطلوب من أميركا: الضغط وليس الإنتقام

في الوقت الذي كان وزير الخارجية الأميركية جورج شولتز يصل إلى جدة لمقابلة الملك فهد بن عبد العزيز، كان الأمير عبدالله بن عبد العزيز وليّ العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني في طريقه إلى واشنطن للقيام بزيارته الأولى الرسمية لها كوليّ لعهد المملكة العربية السعودية.

ولقد عرف المسؤولون الأميركيون الأمير عبد الله بأنه الأكثر إفصاحاً عن الصراحة كلما إتقى في المملكة زائراً أميركياً رسمياً. وهو إذا كان يعتمد المخاطبة الصريحة مع زوار المملكة من المسؤولين الأميركيين، فإنه من المؤكد سيعتمد المخاطبة نفسها وربما بصراحة أكثر مع هؤلاء

المسؤولين عندما يزورهم في بلادهم.

وقد يكون من المناسب التوضيح هنا بأن المضيف يساير الضيف الزائر. وإذا كان الأمير عبد الله بن عبد العزيز من النوع الذي يقوم بواجب اللياقة إلى أبعد الحدود مع ضيوف المملكة من المسؤولين الأميركيين وغيرهم، وفي الوقت نفسه يعبر بالصراحة المتناهية عن مشاعره كمسؤول وكمواطن أمام هؤلاء الضيوف، فإنه عندما يزورهم في بلادهم يعتمد أسلوب المصارحة إلى أبعد الحدود، وذلك على أساس أن هذا أسلوبه وعلى أساس أن تقاليد اللياقة والضيافة شيء والتعبير عن المواقف الصريحة شيء آخر، وعلى أساس أنه ضيف.

وفي الماضي كان محور المخاطبة الصريحة لدى الأمير عبد الله القضية الفلسطينية. وهو كلما إستقبل مسؤولاً أميركياً يزور المملكة يخاطبه بلهجة العاتب على الإدارة الأميركية الناقد لموقفها من هذه القضية. كما أنه عندما قام بزيارته الرسمية الأولى لبريطانيا تحدث مع رئيسة وزرائها ورجال الدولة البريطانية الذين إلتقوا به بلهجة العاتب على بريطانيا لأنها لا تصح غلطتها التاريخية مع الشعب الفلسطيني لأنها ساهمت من خلال وعد بلفور بإنتراع حقوقه، وإننقد إستمرار الحكومة البريطانية في هذا الموقف.

هذا ما كان يحدث في الماضي، أو بالأحرى حتى عملية التحدي الإيرانية للمملكة والتي تمثلت بحادثة مكة. وبعد هذه العملية تقدمت الأخطار الإيرانية على المملكة والتحديات المستمرة لها ولدولة الكويت على مسألة الحقوق المغتصبة من الشعب الفلسطيني. وهذا معناه أن الصراحة التي تلازم أسلوب الأمير عبد الله عند مخاطبة الإدارة الأميركية ستتخذ منحى آخر.

ما هو هذا المنحى؟

إنه قد يكون من غير المنطقي إستباق الأمور، إلا أن الذي يمكن إفتراضه في ضوء التطورات الراهنة في المنطقة ورؤية الأمير عبد الله بن عبد العزيز لمخاطر هذه التطورات هو أن ولي العهد السعودي قد يجد نفسه ينصح الإدارة الأميركية بالتروي بحيث لا تدفع بالموقف المتوتر في الخليج إلى نقطة التفجر.

وهو قد يجد نفسه يفعل ذلك لأكثر من إعتبار لعل أهمها أنه قام بزيارته الرسمية إلى الولايات المتحدة بينما هناك مناقشة على مستوى أهل القرار الأميركي لأمر قد ترضي الكبراء الأميركي، إلا أنها في الوقت نفسه تعزز شأن

الحُكم الإيراني. وزيادة في التوضيح يمكن القول إن هذه المناقشة تتور حول طريقة الرد العسكري من جانب الولايات المتحدة على الإستفزازات الإيرانية والإنتقام من هذه الإستفزازات. ومثل هذا الرد سيطيل في عمر الحُكم الإيراني وسيجعل هذا الحُكم أكثر قدرة على الصمود، فضلاً عن أنه سيحرج الأطراف الإسلامية إذا هي كانت في موقف المتفرج على أميركا وهي ترد عسكرياً على الإستفزازات الإيرانية.

وإلى ذلك إن زيارة الأمير عبد الله بن عبد العزيز مناسبة لكي يسمع المسؤولون الأميركيون وجهة نظر عربية حول الوضع الراهن في المنطقة العربية تتسم بالشمول وتحظى بما يشبه القبول العربي لها نتيجة العلاقات الرسمية التي بين المملكة العربية السعودية ومعظم الأطراف العربية، والعلاقات الرسمية الممزوجة بعلاقات على المستوى الشخصي بين الأمير عبد الله وبعض هذه الأطراف. ومثل هذا التحليل الذي يعرضه الأمير عبد الله لا يمكن للسفراء أن ينقلوه كما أن أحدث مبعوثي الإدارة الأميركية إلى المنطقة، ونعني به وزير الخارجية جورج شولتز، لن ينقله بالموضوعية المطلوبة لإعتبارات كثيرة.

ومن المؤكد أن وجهة النظر التي نغنيها ترى أن ما يمكن أن تقّمه الولايات المتحدة هو الضغط على الحُكم الإيراني وليس مجرد مشاكسته. والضغط الحالي الذي تمارسه الإدارة الأميركية على الحُكم الإيراني لن يثمر وليس لمصلحة العرب وليس مقبولاً ضمناً منهم لأنه ضغط هدفه إستقطاب إيران حتى إذا جاء الإستقطاب على حساب العرب. أما الضغط المطلوب فهو تجنيد كل الإمكانيات لجعل الحُكم الإيراني يوافق على قرار مجلس الأمن الرقم 598 وهو أمر ليس بهذه الإستحالة عندما تقرر الإدارة الأميركية صادقة أنه يجب أن يأخذ القرار طريقة إلى التنفيذ. ويبقى أن زيارة الأمير عبد الله إلى الولايات المتحدة

جاءت في ظروف نفسية غير عادية، حيث إن الرئيس ريغان على شيء من الإكتئاب بسبب عملية جراحية دقيقة أجريت لزوجته. ولكن إتمام الزيارة في هذه الظروف قد يكون له وقع، وقد يستطیع الأمير عبد الله، المكتئب هو الآخر مما آلت إليه الأحوال في المنطقة العربية، أن يخفف من وطأة الظروف النفسية للرئيس ريغان وبالتالي يجعله يسجل، ما دام يعيش الأشهر الأخيرة من الرئاسة، موقفاً يذكره له العرب بالخير.

وليس هنالك أفضل من الظروف الراهنة لتسجيل مثل هذا الموقف، ذلك أن منطقة الخليج على مشارف الإنفجار

الكبير.

ولعل وعسى تساهم زيارة الأمير عبدالله بتقليل احتمالات حدوث هذا الانفجار على أن تحقق قمة عمان بعد أيام، بالموقف العربي الأكثر تماسكاً، إمكانية تعطيل هذا الانفجار.

ومثل هذا التعطيل سيحدث إذا وجد الحُكم الإيراني أن الدول العربية ذات موقف واحد وأنه لا مجال له بعد الآن لكي يلعب على التناقضات العربية. والأمير عبدالله أكثر المسؤولين العرب دراية بالتعثر الذي يواجهه الوضع في المنطقة جرّاء استمرار هذه التناقضات.

يبقى أن هذه الكلمة كُتبت بينما كان الأمير عبدالله بن عبد العزيز في طريقه إلى واشنطن. وما كان متوقعاً أن يقول للرئيس ريغان في شأن تفادي الإنتقام وإعتماد الضغط الفعال بدلاً من ذلك ما زال من الممكن قوله بعدما نفذت الإدارة الأميركية يوم الإثنين 19/10/1987 عملية ضد مواقع إيرانية، وهي عملية تترك - بسبب ظروف حدوثها - إنطباعاً بأن الطرفين اللذين يستفيدان منها هما ريغان والخميني حيث إنها تحافظ للأول على مصداقيته أمام شعبه وحلفاء بلاده وتُحقق للثاني أسباب البقاء من حيث إنها ستجعل صوت المعارضين عليه أقل ارتفاعاً.

وما يجوز التوقع بأن الأمير عبدالله بن عبد العزيز سيقوله هو: إن الضغط على الحُكم الإيراني قد يجعله يسلك طريق التعايش مع الآخرين وفق قاعدة لكل صاحب حق حقه في حين أن الإنتقام سيُشجع أطماع هذا الحُكم وأحلامه في التوسع.

وما قد يقوله الأمير عبدالله، وقد يكون قاله بالفعل، هو كلام حق يراد به حق ولا شيء غير الحق.

مجلة "التضامن". لندن - 24 تشرين الأول (أكتوبر) 1987

* * *

قرارات تاريخية لقمة الإجماع

أو قرارات شجاعة لأهل التفهم المشترك

عندما تكون القمة طارئة فهذا يعني أن تكون النتائج التي ستسفر عنها من النوع الذي ينسجم مع ظروف عقدها.

وليس معقولاً أن تكون القمة طارئة ولا تنتهي بقرارات مهمة.

وإذا جازت المقارنة فإن القمة الطارئة هي مثل إستدعاء فرقة مطافئ لإخماد حريق إندلع فجأة، أو مثل إستدعاء رجال الأمن لمواجهة عصابة إقتحمت مصرفاً وإحتجزت رهائن وأُنذرت بقتل الرهائن إذا كان لن يُسمح لها - أي لهذه العصابة - بالخروج سالمة ومعها الغنائم التي حصلت عليها.

وفي تاريخ المؤتمرات الطارئة هنالك قمة الهيتون التي عقدت في القاهرة عام 1970 لبحث الأزمة الكثيرة الخطورة بين الحكومة الأردنية والمقاومة الفلسطينية وقمة الرياض عام 1976 لبحث الوضع المتدهور في لبنان.

وعندما تعود بنا الذاكرة إلى ظروف عقد قمة القاهرة ثم قمة الرياض يتبين لنا أن النجاح الذي حققته كل من القمتين كان جيداً نسبياً وذلك لأن الذين شاركوا فيهما كانوا أهل التفهم المشترك، من دون أن يعني التفهم بالضرورة أن يكون المشاركون هم من أهل الصف الواحد والهدف الواحد.

كذلك إن نجاح القمتين كان لأنهما لم تتعقدا تحت راية الإجماع وهواجس الفشل إذا كان الإجماع لن يتوافر، علماً بأن الذي حدث في الأردن يهم الجميع في شكل أو آخر، وإن الذي حدث في لبنان يهم كذلك الجميع في شكل أو آخر.

ولو أن قمة القاهرة كانت ستنتظر الإتصالات وشروط هذا الطرف أو ذاك للحضور وجدول الأعمال المناسب لما كان لها أن تتعقد أو إذا هي إنعقدت لما كان لها أن تتجز. وكذلك الحال بالنسبة إلى قمة الرياض.

ومثلاً إن قمة القاهرة إستتبقت حلاً للأزمة الأردنية - الفلسطينية فإن قمة الرياض إستتبقت صيغة كانت فعالة قياساً بظروف تلك المرحلة.

كذلك إنه إذا كانت قمة القاهرة أوقفت قتالاً بين شقيقتين فإن قمة الرياض ساهمت بإطفاء حريق كانت ألسنة لهيبه تتصاعد بشكل لا مثيل له.

وتشاء المصادفات أن القمة العربية المقرر إنعقادها في عمان بعد أسبوع هي من حيث موجبات الإنعقاد مثل القمتين اللتين نشير إليهما، وإن كانت المضاعفات الناشئة عن الموضوع الذي إنعقدت قمة القاهرة وكذلك قمة الرياض من أجله ليست شيئاً أمام أهوال الأخطار الناشئة عن الموضوع الذي من أجله تتعقد قمة عمان.

وزيادة في التوضيح يمكن القول إنه إذا كانت هنالك دول عربية لا تبدو معنية بالأزمة الأردنية - الفلسطينية التي من أجلها إنعقدت قمة طارئة محدودة في القاهرة عام 1970 ودول عربية أخرى كثيرة لا تبدو معنية بالأزمة اللبنانية التي من أجلها إنعقدت القمة الطارئة المحدودة في الرياض عام 1976، فإن القمة العربية الطارئة والموسعة التي تنعقد في عمان بعد أسبوع إنما تنعقد للبحث في موضوع لم تعد هنالك دولة عربية ليست معنية به بدءاً من لبنان وإنهاء بدولة جيبوتي. أما لماذا هي معنية فلأن الظروف تبدلت تماماً من جهة ولأن الدول العربية التي لم ينقطع عنها الدعم العربي جراء الأزمة الأردنية - الفلسطينية وجراء الوضع المضطرب في لبنان بدأت منذ ثلاث سنوات - وبعضها منذ ست سنوات - تعاني من نضوب هذا الدعم نتيجة استمرار الحرب العراقية - الإيرانية. بل إن هذا الدعم توقّف نهائياً عن البعض فضلاً عن أن حيثيات المطالبة به لم تعد تقنع أحداً. وهنالك دول وجدت نفسها مهما إشتدت وطأة إحتياجاتها الإقتصادية لا تطلب الدعم من الأشقاء المقتردين (دول الخليج على وجه التحديد) لأنها تعرف أن طلباتها لن تستجاب بسبب ظروف الحرب.

وإزاء ذلك قد تكون قمة عمان محطة بالغة الأهمية في العمل العربي المشترك. بل إن كل المؤشرات تؤكد أنها قد تكون كذلك بدءاً من المشاورات التي تدور وراء الكواليس وإنهاء بالاتصالات التي تتم في العلن فضلاً عن أن تزايد المخاطر جعل الخوف من المفاجآت غير السارة يتقدم على مشاعر البعض بآلاً تنعقد القمة في عمان، ومشاعر البعض بآلاً تنعقد بالإجماع إذا كان لا بد من الإنعقاد، ومشاعر البعض بأنه إذا إنعقدت قمة عمان بالإجماع ألا يكون التمثيل على مستوى الذين في قمة السلطة، ومشاعر البعض بأنه إذا إنعقدت قمة وبالإجماع وعلى مستويين أو أكثر ألا تكون القمة التي تُحقق النتائج المؤمّلة منها.

ومع الأخذ في الاعتبار أن هذه المشاعر تدخل في إطار التنافس على الأدوار، إلا أن هنالك بعض الحقائق لعل أهمها أن الجميع متفقون على أن المرحلة الراهنة بالغة الأهمية وأنها من الخطورة بحيث إن مشاعر التنافس على الأدوار تتراجع أمام أهوال الخطر التي قد تحدث إذا كانت الحرب ستستمر.

وإلى ذلك إن أهوال الخطر التي قد تحدث تُحتم على الدول العربية أن تشارك في قمة عمان بحماسة الحريص

على المصير أو الخائف عليه وتُحتم على دول كثيرة أضرت بها الحرب، على رغم أنها بعيدة عن خطوط المواجهة، أن تكون بمثابة "اللوبي" الضاغط بأسلوب أو آخر على الطرف السوري وعلى بقية الأطراف التي ما زالت عملياً تغرد خارج السرب العربي بالنسبة إلى الحرب العراقية - الإيرانية.

ويبقى أنه ما دامت القمة طارئة فإنه يُفترض بالتمثيل أن يكون على مستوى رئيس الدولة، بمعنى أنه إذا كان من الجائر في القمة العادية لسبب أو آخر أن يوفد الرجل الأول في الدولة من يمثله في الإجتماعات فإنه ليس من الجائر حدوث ذلك إذا كانت القمة طارئة.

يبقى أيضاً أن الأنظار العربية ونفوس الناس المكتوية بنار الحروب والمشاكل العربية، تتطلع إلى قمة عمان وتتمنى ألا تأتي النتائج عادية للقمة الطارئة وإنما تكون النتائج منسجمة مع الظروف التي أوجبت عقد القمة، فضلاً عن أنه إذا كانت القمة عادية وإنتهت إلى نتائج ومقررات عادية فإن الأمر يكون مفهوماً أما إذا كانت القمة طارئة وإنتهت إلى مقررات ونتائج عادية فإن الأمر لا يعود مفهوماً وترتسم فوقه عشرات علامات الإستفهام والتعجب. وإذا حدث ذلك فهذا يعني أن الحاجة ستكون ماسة إلى القمة التي يعقدها أهل التفهم المشترك مثل قمة القاهرة عام 1970 وقمة الرياض عام 1976.

... وأغلب الظن أن العام 1988 قد يشهد مثل هذه القمة التي تنعقد وقد أخذت مصر مكاناً لها في تجمع عربي جديد يتحقق على هامش الجامعة العربية وقراراتها بحيث أن مصر تعود إلى العرب من دون أن يكون ذلك من بوابة الجامعة العربية وإنما من البوابة الخليجية الأكثر أهمية والأكثر إتساعاً والأكثر إستعداداً لتفهم ظروف مصر... ودورها.

مجلة "التضامن". لندن - 31 تشرين الأول (أكتوبر) 1987

* * *

سنة القمتين

لم يحدث من قبل أن تزامن التحرك الدولي مع التحرك العربي في سبيل قضية مثل الذي نعيشه منذ أيام وسيستمر بضعة أسابيع أخرى.

ونحن هنا لن نشير إلى التحرك الدولي التقليدي الذي يتم عبر الاجتماعات والاتصالات العادية وإنما نشير إلى التحرك الذي يحمل في طياته دلالات لها أهميتها.

وعندما نتأمل في ما يحدث من مشاورات واتصالات نجد أنه في الوقت الذي شارفت المهلة المحددة للبدء بتطبيق قرار مجلس الأمن، الرقم 598، على الإنتهاء وكان بدأ العد العكسي لإنعقاد القمة العربية غير العادية في عمان، كان وزير الخارجية الأميركية جورج شولتز يقوم بجولة عربية - أوروبية أتبعها بزيارة مفاجئة إلى موسكو تقرر فيها عقد قمة أميركية - سوفياتية في واشنطن يوم 7 كانون الأول (ديسمبر) 1987 أي بعد شهر على إنعقاد القمة العربية في عمان.

كذلك نجد أن وزير الخارجية البريطانية توجه إلى القاهرة وعمان، وتوجه رئيس وزراء فرنسا جاك شيراك إلى إسرائيل، واتسعت حلقة الاتصالات السوفياتية بكل من العراق وإيران.

وفي كل عاصمة من عواصم الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن نشاط لافت للإنتباه، وتفهم أفضل من ذي قبل لمخاطر استمرار الحرب العراقية - الإيرانية.

وهذا التزامن بين التحرك الدولي والتحرك العربي يؤكد أمراً لم يكن ملموساً من قبل، وهو أن الحرب العراقية - الإيرانية بدأت تخلق العالم بالفعل، ولولا ذلك لما كانت الدول الكبرى تحركت بالشكل الذي تتحرك فيه.

وزيادة في التوضيح يمكن القول إن الدول الكبرى لم تهتم بالحرب وتستصدر القرار 598 إلا بعدما شعرت بمخاطر استمرار الحرب. ومن المؤكد أنها كانت لن تهتم لو أن هذه الحرب باتت عبئاً على دول المنطقة من دون غيرها، في حين أن هذه الدول سارعت إلى الإهتمام بعدما وصل الخطر إلى مصالحها.

كذلك إنه من الجائز القول إن إتفاق الدول الأعضاء في مجلس الأمن على إستصدار قرار في شأن الحرب هو الذي جعل الدول العربية تتفاهم على ضرورة عقد قمة غير عادية في عمان. وعندما يتم الإعلان عن قمة سيتم عقدها في واشنطن يوم 7 كانون الأول (ديسمبر) المقبل بين الرئيسين ريغان وغورباتشوف فهذا يشكّل في حد ذاته رسالة إلى الملوك والرؤساء العرب بأن يتخذوا موقفاً موحداً خلال قمتهم غير العادية لأنه لا وقت للرئيسين الأميركي والسوفياتي خلال لقائهما التاريخي في واشنطن للمواقف المتنوعة، فضلاً عن أنهما بعد هذا اللقاء لن يكونا

مستعدين لأسلوب التعامل السابق مع دول المنطقة. كما أن الإعلان عن قمة واشنطن يشكل رسالة إلى الحُكم في إيران لكي يتفهم، وهي في الوقت نفسه رسالة إلى البدائل لكي تُعد نفسها ليتم إختيار البديل الأفضل فيها لتسلم الحُكم في إيران.

ومع أن القمة الأميركية - السوفياتية متفق عليها من حيث المبدأ، إلا أن الإعلان عن أنها ستعقد يوم 7 كانون الأول (ديسمبر) المقبل كان مفاجئاً وترك إنطباعاً مفاده أن الإسراع في عقد القمة ناشئ عن التدهور المالي في الولايات المتحدة والدول الصناعية الكبرى، وهو تدهور له علاقة بإستمرار الحرب العراقية - الإيرانية وبالمخاوف الناشئة عن إستمرار هذه الحرب. ومن هنا القول إن شعور الدول الكبرى، للمرة الأولى، بمخاطر استمرار الحرب على مصالحها هو الذي جعلها تتخذ قرار مجلس الأمن، وجعلها تضغط بشكل غير مباشر على الجانب العربي لكي تتخذ دولة موقفاً موحداً وتلوح لإيران بالعقوبات إذا كانت لن تعيد النظر في معاندتها ورفضها التجاوب مع رغبة العالم الذي يتطلع إلى مرحلة هدوء على ما يبدو.

ويبقى أن الرقمين 7 و8 قد يصبحان بعد الآن رمزاً للتفاؤل والإستبشار بالخير، خصوصاً إذا إنتهت القمة العربية غير العادية التي ستعقد يوم 8 تشرين الثاني (نوفمبر) بالنتائج التي تجعل الوضع العربي الراهن بمشاكله وتشعباته مادة أساسية من مواد جدول أعمال القمة الدولية غير العادية أيضاً والتي ستعقد يوم 7 كانون الأول (ديسمبر) 1987 في واشنطن.

ومن المهم أن يأخذ الملوك والرؤساء العرب الذين سيجتمعون في عمان في الحسبان أن الكبار ليسوا دائماً على إستعداد لمناقشة مشاكل الآخرين، وأن يحاولوا الإستفادة من الظروف المستجدة، ونعني بها إهتمام الدولتين الكبيرتين بأوضاع المنطقة وذلك بعدما وجدتا أنهما أصبحتا في صُلب هذه الأوضاع. هذا إذا نحن نقادينا القول إنهما أصبحتا متورطتين بعدما شاركتا بعملية تجارية حولتها إيران إلى هدف عسكري لها. وهذه العملية هي تأجير الكويت ناقلات النفط.

يبقى أيضاً أننا من باب التفاؤل نفترض أن السنة 1987 التي نعيش شهرتها الأخيرين هي سنة الإنفراج لأنها سنة القميتين اللتين تتعقدان بشكل غير عادي بل وبشكل مفاجئ.

وإذا أمكن للقميتين وقّف الحرب العراقية - الإيرانية،

وهذا هو المتوقع والمطلوب، فإن بقية القضايا العالقة تصبح سهلة الحل، أو على الأقل لا تعود مستعصية.. بما في ذلك المؤتمر الدولي المؤمل منه إستنباط الحل الواقعي للقضية الفلسطينية، الذي لا يعود مستحيلاً إنعقاده.

مجلة "التضامن". لندن - 7 تشرين الثاني (نوفمبر) 1987

* * *

رئيس كل التونسيين

كان السؤال الدائم في الماضي لدى أهل تونس ولدى أبناء منطقة المغرب العربي ولدى الدول العربية والدول الكبرى هو: ماذا بعد بورقيبة؟

وجاءت عملية التغيير التي إتسمت بأخلاقية عالية في التعامل والتي قادها الرئيس زين العابدين بن علي يوم الجمعة 6 تشرين الثاني (نوفمبر) 1987 لتجيب عن السؤال الذي كان بمثابة اللغز، ولتؤكد بأن زين العابدين بن علي هو رئيس لكل التونسيين.

وكانت الإجابة: ما بعد بورقيبة هو زين العابدين بن علي. مسؤول يجمع بين الحزم والحكمة السياسية، خائف على بلده من جهة، ويحترم الشرعية التي جاءت به ليكون الوزير الأول قبل بضعة أيام من جهة ثانية.

أما لماذا الخوف فلأن الدولة من دون هيبة، والشوارع تعصف به الحيرة، والثغرات تتزايد داخل الحزب الدستوري، ونساء قصر قرطاج مقر رئاسة الجمهورية، لا يدرين أي مصير يمكن أن تصل إليه البلاد.

وإلى ذلك إن على وجوه الجميع داخل تونس وخارجها سؤال كبير: ما الذي سيفعله الرئيس زين العابدين بن علي لوضع الأمور في نصابها، وهل سيبقي على البلاد في مهب الريح ما دام بات يملك الشرعية الحزبية والشعبية، إضافة إلى شرعية المؤسسة العسكرية الذي هو أحد أبنائها؟

ولقد أجاب الرئيس زين العابدين بن علي عن السؤال بخطوة تدعو إلى الطمأنينة.

ويكفي القول إنه أعاد إلى الوحدة الوطنية وهجها. وهذه الوحدة التي كانت مهددة في الماضي تشكل بديلاً إيجابياً وفعلاً للهالة التاريخية التي كانت للرئيس الحبيب بورقيبة والتي إهترت نتيجة أنه صار في قصر قرطاج "راسبوتين"

أو "راسبوتينة" في يديها الأمر والنهي لأن صاحب القصر بات في العمر الصعب.

وفي السنوات الخمس الماضية ونتيجة لأسلوب أهل القصر في معالجة شؤون البلاد لم تعد الإستثمارات تجد في تونس أنها المكان الجيد لها ولم يعد البنك الدولي يثق بهذه الدولة. ونتيجة لذلك، تزايدت البطالة واتسعت رقعة المحتاجين وإستطاعت الجماعات الدينية أن تنتشط في المقاهي، التي تعج بالعاطلين عن العمل وتستقطب منهم كثيرين على إستعداد لإقتراف الإرهاب وهو أمر ليس من طباع التونسيين.

وبعد الآن فإن الشعور بالإستقرار سيجعل أموراً كثيرة تتغير ومنها على الأرجح، نظرة البنك الدولي الذي سيجد في الحكم الجديد ما يجعله يطمئن تماماً مثل إطمئنان الإستثمارات العربية.

ويبقى أن أهم ما في عملية التغيير أنها تمت من دون إراقة نقطة دم في بلد يكاد الدم يفور في شرايين أبنائه من كثرة المعاناة، وتمت بالطريقة التي أراد منها الرئيس زين العابدين بن علي القول ما معناه: إن ما جرى ليس إنقلاباً بقدر ما هو علاج لحالة ميئوس منها. ومن المؤكد أنه لو أتت لجنة طبية فرنسية أو أميركية أو سوفياتية أو صينية أو بريطانية أو مصرية أو خليجية وأجرت كشفاً على صحة الرئيس بورقيبة لكانت إتخذت القرار نفسه الذي إتخذته اللجنة التونسية.

يبقى أيضاً أن العالم العربي حفل في الثلاثين سنة الماضية بعشرات الإنقلابات والثورات، ولكن التغيير الذي قام به الرئيس زين العابدين بن علي يبقى نموذجاً فريداً من نوعه لأنه تم من دون إراقة نقطة دم واحدة، ولأن الترحيب المحلي، والعربي، والدولي، به كان ترحيب من يستقبل أمراً طال إنتظاره، أو فلنقل إنه كان يجب أن يحدث على الأقل منذ ثلاث سنوات بعدما صارت تونس دولة يتوقف القرار فيها ليس فقط على صحة الرئيس... وإنما على صحوته.

مجلة "التضامن". لندن - 14 تشرين الثاني (نوفمبر) 1987

* * *

المحلل والمحرم بعد قمة عمان

ما يمكن قوله عن قمة عمان هو أنها كانت إستثنائية

من حيث الإنعقاد واستثنائية أيضاً من حيث النتائج التي أسفرت عنها.

وهي تعيد إلى الأذهان قمة الخرطوم عام 1967 وقمة بغداد عام 1978 من حيث أن توحد القرار العربي في القمتين المشار إليهما حقق نتائج بالغة الأهمية قياساً بطروف المرحلة الماضية. وفي هاتين القمتين توحد القرار العربي كما لم يتوحد من قبل.

وإلى ذلك إن قمة عمان أكدت أهمية المرونة في التعامل وهي صفة إفتقدناها طوال سبع سنوات وجاء الملك حسين بخبرة ثلاثين عاماً من العمل السياسي الحافل بالمفاجآت والتحديات ليعيد إلى المرونة العربية وهجها أو، إذا جاز التعبير، ليزيل صداً الخلافات الذي علق بها.

وإذا جاز القول فإن قمة عمان أفتت ولم تصدر قرارات، أو فلنقل إنها أصدرت قرارات لها صفة الفتاوى التي تحلل أو تحرم.

ولعل أهم ما إتخذته القمة هي الفتوى التي تحلل إعادة العلاقات الدبلوماسية مع مصر، والفتوى الثانية التي تحرم استمرار العلاقات العراقية - السورية على ما كانت عليه.

ومع أن ما قيل في شأن قرارات قمة عمان لم يتجاوز الكلام الرسمي، إلا أن قراءة ما بين سطور هذا الكلام من جهة والتأمل في وجوه الذين تعنيهم القرارات من جهة أخرى يوضحان الإرتياح الذي يشعر به الجميع.

ومن المؤكد أن أحداث مكة ومن ثم اعتداءات إيران على الكويت هي التي عجلت في موضوع إعادة العلاقات مع مصر، وهذا الموضوع ساعد بدوره على توفير مناخ أفضل للمصالحة العراقية - السورية. وكان الأمر سيبدو على شيء من الإستغراب لو أن القمة إتخذت قراراً في شأن إعادة العلاقات مع مصر، من دون أن تتخذ خطوة أكثر تقدماً في شأن المصالحة العراقية - السورية التي باتت أقل إستحالة بعد أحداث مكة والإعتداءات على الكويت. وفي هذا الصدد يمكن القول إن المحاولة الأولى التي قام بها الملك حسين قبل بضعة أشهر كان من الطبيعي أن تثمر لو أن الحُكم الإيراني الذي أخفق في تصدير الثورة وفي إحراز إنتصارات ضد العراق قام بتصدير الحرب إلى منطقة الخليج، كما فعل في مكة، ثم مع الكويت وفيها. وما حدث في مكة ومع الكويت من جانب إيران جعل وقف التناقض العراقي - السوري مطلباً عربياً وخليجياً.

ومع الأخذ في الاعتبار أن موضوع إعادة العلاقات مع

مصر كان قراراً عربياً، إلا أن موضوع المصالحة العراقية - السورية أيضاً كان شبه قرار. وهو موضوع قابل للتطور وبسرعة. وربما هنالك ظروف موضوعية تجعل هذه المصالحة تتم قبل قمتين مجزيتين، هما قمة واشنطن بين الرئيسين ريغان وغورباتشوف، وقمة دول مجلس التعاون.

ويبقى القول إن قمة عمان الإستثنائية أبطلت مفعول الألغام الكثيرة التي كانت تملأ الساحة العربية، وهي ألغام وجدت المملكة العربية السعودية نفسها تفضل، بسبب تلك الألغام، تأجيل القمة العادية إلى حين توافر الظروف الأفضل.

وعلى هذا الأساس من الجائز القول إن العد العكسي لقمة الملك فهد العادية بدأ لمجرد أن إنتهت قمة الملك حسين الإستثنائية بالفتوى التي أصدرتها في شأن مصر، حيث أجازت إعادة العلاقات الدبلوماسية نصف المقطوعة معها، وبالفتوى الأخرى التي إتخذت صفة التمني وليس القرار وتتعلق بمصالحة عراقية - سورية باتت ممكنة أكثر من أي زمن مضى.

مجلة "التضامن". لندن - 21 تشرين الثاني (نوفمبر) 1987

* * *

كيف سيرد مبارك على فتوى قمة عمان؟

لمجرد أن أفتت قمة عمان بإمكانية إعادة العلاقات الدبلوماسية مع مصر فإن التجاوب كان سريعاً وبدا الأمر كما لو أن الأسباب التي أوجبت قطع العلاقات لم تعد قائمة.

وقد يجوز القول إن هنالك أكثر من سبب موضوعي لإعادة العلاقات، من بينها أن الذي أبرم المعاهدة مع إسرائيل هو الرئيس (الراحل) أنور السادات وإنتهت بإغتياله ثلاثة أرباع الأسباب الموجبة للإبقاء على العلاقات مقطوعة، إلا أن السبب الأهم هو أن الرئيس حسني مبارك يسعى منذ اللحظة الأولى لتسلمه الحُكم إلى إزالة الربع المتبقي من تلك الأسباب الموجبة. وهو في سبيل ذلك ليس فقط لم يسجل مواقف حادة تجاه الدول التي قاطعته - مع بعض الإستثناءات الطفيفة - وإنما سجل مواقف تعتمد على الود والحرص وعدم تجاوز الحدود.

وخلال ست سنوات كان الرئيس مبارك يميز بين الحكام العرب ودولهم، فلا يتناول هذا الحاكم أو ذاك بكلمة نقد وإنما يلقي اللوم على الدولة. وفي الوقت نفسه كان عندما يضيق صدره بأمر ما يتعلق بالمقاطعة العربية لمصر يردد كلاماً عن الجامعة العربية يقلل فيه من أهمية هذه الجامعة بالنسبة إلى مصر.

ومثل هذا الأمر حقيقي لأن ما يهم الرئيس مبارك، ومن قبله الرئيس السادات، كان إزدهار مصالح الدول العربية في مصر، وبالذات دول الخليج، وليس الجامعة العربية على الإطلاق. كما أن الذي كان يهم الرئيس المصري، وما زال، هو بقاء دول الخليج - والعراق في مقدمة هذه الدول - عمقاً عريضاً للعمالة المصرية، وليس بقاء مصر عضواً في الجامعة، أو خروجها من هذه المنظمة، التي ساهمت في إنشائها والتي لها الدور التاريخي بالنسبة إلى إجتماعات القمة في إطار هذه الجامعة.

وللتذكير فإن القمة العربية الأولى تم عقدها في أنشاص في مصر عام 1946، وأن الرئيس عبد الناصر أحيا فكرة إجتماعات القمة بدعوته إلى قمة 1964 في القاهرة والتي كانت إنطلاقة القمم التي تم عقدها بعد ذلك. وإعادة العلاقات الدبلوماسية مع مصر لم تأت نتيجة ضغوط مصرية، وإنما نتيجة عوامل دولية تلازمت مع أسلوب في غاية الرقة إعتمده الرئيس مبارك في السنوات الخمس الأولى من حكمه وكان هذا الأسلوب هو أحد الأسباب التي جعلت التجديد للرئيس مبارك ست سنوات أخرى مطلباً يحظى بالتأييد الداخلي المصري والرضى العربي والإرتياح الدولي.

وإلى ذلك إن قرار إعادة العلاقات أفرزته في الدرجة الأولى الحرب العراقية - الإيرانية، الأمر الذي يجيز الإفتراض بأن هذه الحرب وضلوع إسرائيل فيها كطرف مساند للحكم في إيران كانت رداً على قرار قمة بغداد عام 1978 بقطع العلاقات مع مصر وضرب إتفاقية كامب ديفيد. وإذا كان هذا الإستنتاج لا يخلو من بعض المبالغة فإن من المنطقي القول إن كلاً من الولايات المتحدة وإسرائيل سارعتا إلى توظيف الحرب لمجرد أن بدأت في إتجاه أن تكون رداً إنتقامياً على الموقف العراقي الذي قاد إتجاه مقاطعة مصر، كإجراء يستهدف في الدرجة الأولى الضغط، وليس التقليل من شأن مصر كدولة ذات دور في سياسة المنطقة.

وبقدر ما إن قرار إعادة العلاقات العربية مع مصر هو بمثابة إنجاز يستطيع أن يتباهى به الرئيس مبارك، بالقدر نفسه إن القرار والتجاوب الفوري من جانب عدد من الدول العربية معه يلقيان على كاهل الرئيس مبارك حملاً ثقيلاً، ذلك أنه مطالب بعد الآن بصفة كونه حليفاً للولايات المتحدة ووثيق الصلة بإسرائيل أن يمارس ضغطاً فعالاً على كل من الولايات المتحدة وإسرائيل في سبيل أن تعيدا النظر في أسلوب توظيفهما الحرب العراقية - الإيرانية كإجراء إنتقامي ضد العرب الذين وقفوا في قمة بغداد سنة 1978 ضد إتجاه كامب ديفيد، وكذلك إستعمال كل الأوراق التي في يديه للضغط على إسرائيل من أجل إعادة نظر في موضوع التمثيل الفلسطيني في المؤتمر الدولي الذي سيكون ممكن الإنعقاد بعد هذا الإنفراج النسبي في الوضع العربي، وبعد إنعقاد القمة الأميركية - السوفياتية. وهنا تجدر الإشارة إلى أن العنصر الإقتصادي الذي عجل في عقد القمة العربية هو نفسه الذي عجل في الإتفاق على عقد القمة الأميركية - السوفياتية، وهو نفسه الذي سيعجل الإتفاق على عقد المؤتمر الدولي. وما نعينه بـ "العنصر الإقتصادي" هو هذه الإختناقات المالية المستجدة في العالم، والتي لا يزيلها سوى حقبة من الإنفراجات تبدأ بين القوتين العظميين وتتسع رقعتها لتشمل بقية القوى والدول في العالم بمشاكلها وقضاياها العالقة الكثيرة.

وقبل قرار قمة عمان بإمكانية إعادة العلاقات مع مصر كان من الصعب على الرئيس مبارك أن يضغط، إلا أن فتوى قمة عمان في شأن إعادة العلاقات لمن يريد إعادتها تشكّل مع تجديد ولاية الرئيس مقومات ضغط يمكن أن يأتي بمرود جيد إذا مارسه الرئيس مبارك كما هو متوقع، بل وكما هو مطالب به. وإذا كان الرئيس مبارك لن يمارس هذا الضغط فهذا معناه أنه سيعزز شأن الإتجاه العربي قبل قمة عمان وأثناء هذه القمة القائل بمواصلة مقاطعة مصر إلى أن تحل نفسها من إرتباط كامب ديفيد. وهذا الإتجاه له شعبيته داخل مصر وخارجها وسيزداد شأن هذه الشعبية إذا كان الرئيس مبارك لن يرد على قرارات قمة بغداد بما يشبه العرفان بالجميل، أو كما يشير القول المأثور يرد على التحية بتمثلها أو بأحسن منها.

وتبقى الإشارة إلى أن هذه الأسطر هي خواطر على هامش إنعقاد قمة عمان وخروج مصر من هذه القمة بمكسب قوي من المهم جداً توظيفه بالشكل الجيد. ومع هذه الخواطر لا بد من التذكير بأن الذي سهل

ولادة قرارات قمة عمان ليس فقط الحرب التي نجحت إيران في تصديرها إلى دول الخليج بعدما فشلت في تصدير الثورة، وإنما لأن عدداً كبيراً من الدول العربية التي شاركت خلال قمة بغداد عام 1978 كانت زمنذاك ضد قرار المقاطعة ولكنها وجدت نفسها توافق على قرارات تلك القمة وذلك كي لا يقال إن هذه الدول تسايير أي خطوة تريدها أميركا من جهة، ولأن الدول الثورية أصرت من جهة أخرى على معاقبة النظام المصري والتقت مع منظمة التحرير الفلسطينية التي وقف رئيسها يدلي أيام إنعقاد قمة بغداد بتصريحات يقول فيها ما معناه: هل تريدون بعدم معاقبتكم النظام المصري تحويل الفلسطينيين إلى قتلة يهاجمون المسؤولين العرب في غرف نومهم؟

وتشاء المصادفة أن معظم الذين نادوا خلال قمة بغداد بمعاقبة النظام المصري عملوا خلال قمة عمان بعد عشر سنين على إعادة الاعتبار النسبي إلى هذا النظام، إنما كل ضمن تحليله الخاص لتطورات الأوضاع في المنطقة... وأهمها الحرب العراقية - الإيرانية التي جاءت في بعض جوانبها إنتقاماً لمن يقف في وجه الإجتياح الأميركي - الإسرائيلي الذي يتجسد في إتفاقية كامب ديفيد، التي إذا كان من غير السهل على الرئيس مبارك إلغائها، فعلى الأقل إستعمالها كورقة ضغط يحقق بها لبلاده العودة الكاملة إلى مكانها ومكانتها.

مجلة "التضامن". لندن - 28 تشرين الثاني (نوفمبر) 1987

* * *

الوفاق الجديد

بعد ساعات تبدأ القمة الأميركية - السوفياتية أعمالها في واشنطن. ومجرد إنعقادها يعني أنها ستتجح أو أنها على الأقل ستتتوج الجهود التي تم بذلها طوال بضعة أشهر.

والقول بأنها ستتجح يعود إلى أن ما يحدث بين زعماء الدول الكبرى تقرره مؤسسات يمثلها هذا الحاكم أو ذاك، أي عكس ما يحدث بين الدول العربية على سبيل المثال، وخصوصاً عندما يتفق الحكام على جلسة ما تقتصر عليهم وحدهم ولا يحضرها حتى أقرب المسؤولين إليهم. كذلك إن القول بأن القمة الأميركية - السوفياتية

ستتجح يعود إلى أن كبار المساعدين، وهم عادة وزراء الخارجية والدفاع والمسؤولون عن الأمن والمخابرات، لا يضعون جدول الأعمال، (وهم لم يضعوا على سبيل المثال جدول الأعمال المتعلق بالقمة الثالثة)، من أجل أن يناقشه الزعيمان الكبيران وإنما يناقشون كل الأمور وفق مقتضيات المؤسسات التي تحكم البلدين ويتركون للزعيمن أمر اللقاء والتوقيع على الإتفاق والظهور أمام المصورين ورجال الصحافة بالمظهر الذي يعكس الإرتياح.

ومن الجائز القول إن القمة الثانية بين الرئيسين غورباتشوف وريغان لم تتجح بما فيه الكفاية لأن المساعدين لم يمهّدوا لها بالشكل الكافي لأن المؤسسات التي يمثلها الرئيسان لم تكن إكتملت لديها القنوات بتحقيق الوفاق الثاني بين الدولتين الكبيرتين. ومن هنا فإن الإتفاق المفاجئ على عقد القمة الثالثة معناه أن القنوات إكتملت لدى تلك المؤسسات وأنه بالتالي بات لا بد من إعلان الإتفاق من خلال اللقاء بعد التوقيع.

وأهمية القمة الثالثة أنها ستمهّد للقمة الرابعة والتي من الطبيعي عقدها في موسكو. ومن المؤكد أن عامل التقدم في السن من جهة وإقتراب نهاية الولاية من جهة أخرى ستجعل الرئيس ريغان لا يؤخّر كثيراً موعد سفره إلى موسكو للإشتراك في قمة مع الرئيس غورباتشوف من الواضح أنها ستعزز شأن الرئيس الأميركي وستوجد له شعبية لدى الرأي العام السوفياتي قلّ أن حظي بها رئيس غير روسي من قبل، فضلاً عن أنها ستعزز كذلك شأن الرئيس غورباتشوف الذي يقود عملية إعادة نظر تلقى من جانب المواطن السوفياتي كل الترحيب. والإفتتاح على الولايات المتحدة وتطعيم العادات والتقاليد السائدة في المجتمع الماركسي بنكهة رأسمالية أميركية هي جزء من عملية إعادة النظر.

وفي إستمرار كانت أنظار العالم معلقة على الدولتين الكبيرتين ويتطلع الملايين في دول العالم إلى إتفاق زعيمني العالم لعل في إتفاقهما ما من شأنه أن يحل القضايا العالقة الكثيرة في الدول الأخرى. إلا أنه من الجائز القول بالنسبة إلى القمة الثالثة أن القلق الناشئ لدى زعيمني الدولتين الكبيرتين جرّاء القضايا العالقة وهي كثيرة في الدول الأخرى جعلهما يتبادلان المرونة كما لم يحدث أن تبادلها من قبل وذلك من أجل ألا تصل الحال إلى وقت تنفجر فيه القضايا العالقة وتترك أثرها السيء على مصالح الدولتين الكبيرتين.

وعندما نتأمل في بعض القضايا العالقة وبالذات الحرب العراقية - الإيرانية ومدى المخاطر الناشئة عن إستمرارها، والقضية الفلسطينية وكيف أنها ستبقى قنبلة موقوتة ما دام أهل هذه القضية غير راضين عن صيغة الحل المطروحة لقضيتهم، والوضع في لبنان وكيف أنه يكفي هذا البلد العذاب الذي ألحقه به... إننا عندما نتأمل في هذه القضايا العالقة يتأكد لنا أن تعقيدات تلك القضايا ساعدت في جعل الدولتين الكبيرتين تتعاونان من أجل الوفاق الثاني والذي في حالة حدوثه كما هو متوقع في ضوء قمة واشنطن سيعيش على الأقل للسنين المتبقية من القرن العشرين.

ويبقى أنه من حُسن حظ دول مجلس التعاون الخليجي أن قمتهم ستعقد بعد أيام من إنعقاد القمة الأميركية - السوفياتية، وهذا معناه أن حكام الخليج عندما سيلتقون في الرياض يوم 26 ديسمبر (كانون الأول) المقبل سيجدون أنفسهم أمام حالة وفاق جديدة، أو فلنقل أمام تجدد حالة من الوفاق بين الدولتين الكبيرتين. وفي ضوء هذه الحالة فإن الحرب التي تهدد الإستقرار في الخليج لا يعود مسموحاً بإستمرارها، بل أكثر من ذلك إن الوفاق سيعني تعاون الدولتين الكبيرتين على إنهاء هذه الحرب وهما اللذان أبقيا عليها مشتعلة إلى حين لقاءهما الثالث الذي سيكون على الأرجح بداية الوفاق الجديد وهدية السنة الجديدة إلى العالم الذي أضناه الإضطراب بدءاً من لبنان وإنتهاءً بأفغانستان.

مجلة "التضامن". لندن - 5 كانون الأول (ديسمبر) 1987

* * *

معاناة أبناء الزعماء التاريخيين

ما دام خالد جمال عبد الناصر مواطناً مصرياً ومثقفاً فإن له حقوق العمل السياسي شأنه في ذلك شأن أي مواطن آخر. كذلك أن له الحق في أن يعارض على أساس أن المعارضة ذات الضوابط مجازة في مصر، وأن له الحق في أن ينشئ حزباً ضمن الطقوس المتعارف عليها، أو يتعاطى العمل التجاري بما يعود عليه بالريح الوفير.

مثّل هذه الأمور من حق خالد جمال عبد الناصر أن

يتعاطاها. أما الذي ليس له حق تعاطيه فهو التهريب والتخريب. ومثّل هذين الأمرين لم يسمح والده بهما عندما كان يحكم مصر. ولا يسمح بهما أي حاكم. وكثيراً ما دفع البعض حياتهم أيام عبد الناصر لأنهم إقترفوا أعمالاً إرهابية أو تخريبية.

ولكن هل إن خالد عبد الناصر من الذين يؤمنون بالعمل السياسي وفق أسلوب إرهابي وتخريبي كما يحاول البعض من داخل مصر أن يوحى؟

وهل بات هذا الشاب العالي الثقافة "كارلوس" آخر أو وديع حداد آخر، أو هل أنه في حقيقة الأمر زعيم "ميليشيا" تخطط للتغيير من خلال العنف؟

إن الإجابة عن ذلك مبكرة والتوضيح على درجة من المشقة، لأن الأمر الذي يعتبره البعض إتهاماً حاسماً لا مجال للمناقشة فيه، هو في أيدي القضاء الذي يعالجه بصمت ووفق إعتبارات على جانب من الدقة والحساسية.

لكن الذي يمكن قوله هو أن خالد عبد الناصر يعاني منذ سنوات الكثير. وعندما نعرض بعض ما يعانيه يمكن أن نصل إلى الإستنتاج الذي سيجعلنا نأخذ على محمل الجد جنوح هذا الشاب إلى العنف أو نتصور حجم الغضب في نفسه والذي يتسرب إلى الدم في شرايينه، حيث إن هذه الشرايين تمتلئ بالدم الذي يغلي.

المعاناة الأولى هي أنه أكبر الأبناء لزعيم كان شاغل الدنيا العربية والدولية. وتبعاً لذلك يشعر أن في عنقه أمانة الحفاظ على سمعة الوالد.

وفي السنوات القليلة الماضية تعرضت سمعة جمال عبد الناصر للكثير وقيل في شأنه داخل مصر وعبر صفحات صحفها كلام في منتهى القساوة من دون أن يكون المجال متاحاً أمام الإبن لكي يرد السهام التي تكاثر عدد الذين يوجهونها إلى والده. بل إنه لمجرد أن ووري عبد الناصر التراب بدأت عملية التهشيم المدروسة له. وقد تم ذلك في ظل المناخ الديمقراطي الذي قد يكون الرئيس "الراحل" أشاعه لهذا الغرض في الدرجة الأولى.

وفي السنوات القليلة الماضية، قيل الكثير عن أسرة عبد الناصر من دون أن يستطيع كبير عائلة الرئيس الراحل، وهو خالد النجل الأكبر، أن يفعل شيئاً حيث إنه لا يملك الصحيفة التي يرد على صفحاتها ولا يمكنه إنشاء الحزب الذي يرد من خلال مهرجاناته.

هو لماذا لم يمتص الرئيس حسني مبارك الضيق الذي يختزنه خالد عبد الناصر في صدره وذلك بإسناد منصب وزاري إليه، كان يمكن من خلاله أن يُبعد هذا الشاب، الذي يحمل كل مواصفات الشخص الذي يستحق تسلّم المسؤولية، عن العناصر التي لا يرتاح لها النظام...

مجلة "التضامن". لندن - 12 كانون الأول (ديسمبر) 1987

* * *

العالم يتفق

من راقب على شاشة التلفزيون في جميع عواصم العالم يوم 8 كانون الأول (ديسمبر) 1987 مراسم توقيع معاهدة إزالة الأسلحة النووية متوسطة وقصيرة المدى، شعر بأهمية تفاهم الدولتين الكبيرتين. بل قد يجوز القول إن الذي حدث هو إتفاق العالم بكل ما تعنيه الكلمة من معنى.

وللوهلة الأولى يكاد المرء لا يصدق أن رئيسي الدولتين الكبيرتين يلتقيان ببساطة ويتبادلان التوقيع على إتفاق سيحظى بتأييد بضعة ملايين من البشر كانت ستقضي عليهم نار الأسلحة النووية وغبارها الذي سيلوث الأجواء. لكن الأمر حدث وتم الإتفاق وبدا المشهد بأهمية مشهد النزول الأول للإنسان على سطح القمر.

وليس مهماً المكان الذي تم فيه الإتفاق. كذلك، ليست الشكليات في مثل هذه الحال مهمة، بمعنى أن الرئيس غورباتشوف هو الذي جاء إلى واشنطن ووقع الإتفاق، وليس الرئيس ريغان هو الذي توجه إلى موسكو ووقع الإتفاق في الكرملين بدل أن يتم التوقيع في البيت الأبيض. والقول بأن ذلك ليس مهماً مبني على أساس أن الأهمية هي حدوث الأمر - وهو هنا توقيع الإتفاق - وليس أين حدث الأمر.

ومن المؤكد أن سعادة الشعب السوفياتي لا حدود لها لأن رئيسه أنجز الإتفاق من دون أن يستوقف هذا المواطن أو ذاك أن رئيسه بذهابه إلى واشنطن يكون اعتبر نفسه يلي الرئيس ريغان من حيث الأهمية. والسوفيات سعداء لأن الرئيس غورباتشوف ليس فقط أبعد عنهم شبح الفناء النووي بالصواريخ الأميركية، وإنما فتح لهم نوافذ على الغرب. وحتى إذا كان الأمر سيقصر على فتح النوافذ

وفي السنوات القليلة الماضية، كان خالد عبد الناصر بصفة كونه الابن الأكبر للرئيس الراحل يحزن لأن كثيرين ركبوا موجة الناصرية وليسوا قميص جمال عبد الناصر من دون أن يدافعوا عن الأب وهو تحت التراب.

ومن أجل هذه الأسباب وغيرها فإن خالد عبد الناصر وجد نفسه قريب الصلة بالذين يعارضون النظام في مصر. وعملياً إن المعارضين هم الذين يقفون في مواجهة خط "كامب ديفيد". ومن هنا جاء القول بأنه ضالع أو متكتم أو مخطط.

ولكن مشكلة خالد عبد الناصر ليست فقط بهؤلاء الذين يتعرضون لسمعة والده وسمعة العائلة من بعد وفاة الوالد وإنما هي في كون أن خالد عبد الناصر هو ابن زعيم تاريخي. وفي استمرار إن الآباء التاريخيين سواء كانوا زعماء سياسيين أو كتاباً أو فنانيين أو قادة عسكريين أو رجال علم يسببون للأبناء مشكلة من الصعب فك لغزها. وخلاصة هذه المشكلة هي أن الأبناء يتهاوون أمام هالة الوالد والتي تكون أحياناً مثل "البولدوزر" الذي يأخذ في طريقه كل شيء. وهم يتهاوون لأن شخصيتهم تذوب تماماً في شخصية الآباء فلا تعود أهميتهم في مجتمعهم قائمة إلا على أساس أنهم أبناء زعامات أو قمم في ميادين شتى. ونتيجة لذلك يقرر هؤلاء أن تكون لهم شخصيتهم فيحالفهم الحظ أحياناً وتهزمهم هالة الآباء في معظم الأحيان.

وفي هذا الشأن يمكن سرد أمثلة وشواهد كثيرة. ويمكن أيضاً أن يقال الكثير بالذات عن حالة خالد عبد الناصر. ولكن أهم ما يمكن قوله هو أن جمال عبد الناصر إنشغل في حياته عن الأبناء ولم يزم ببعضهم في بحر تحمّل المسؤولية يحاولون السباحة فيه من خلال تسليم مراكز قيادية ولو متواضعة لهم.

وهو ربما لم يفعل ذلك لأنه كان ينتظر أن ينضج الأبناء وبالذات الإبن الأكبر والبنت الكبرى، ثم فاجأه الموت المبكر فترك الأبناء وهم من دون موقع.

وفي دول العالم الثالث وبالذات في بلد مثل مصر فإن الموقع الرسمي يمكن أن تكون له فعاليته. وبالنسبة إلى خالد عبد الناصر فإن إسناد منصب له كان يمكن أن يحل إشكالات كثيرة. قد يكون مفهوماً لماذا لم يفعل ذلك الرئيس (الراحل) أنور السادات، لكن غير المفهوم

والدولي في إنهاء الحرب التي يدور رحاها منذ ثماني سنوات.

ويجعلنا نتساءل أيضاً: هل بعد أن إتفق العالم ممثلاً في الرئيسين ريغان وغورباتشوف ما يزال هنالك مجال لنزاعات إقليمية يعتمد فيها هذا الطرف على الإتحاد السوفياتي وذاك على الولايات المتحدة؟
أغلب الظن أن ذلك صعب، هذا إذا لم نقل إنه بات مستحيلاً.

مجلة "التضامن". لندن - 19 كانون الأول (ديسمبر) 1987

* * *

الزعامة تتقدم على العقيدة

ليس من السهل على صحافي مواكبة الحركة النشيطة للرئيس صدام حسين. وأنا هنا أعني الحركة المعلنة. أما غير المعلن، أو الغاطس فهذا يحتاج من الصحافي إلى ما يشبه التفرغ، هذا إذا أتيح للصحافي أن يحيط ببعض جوانب غير المعلن من الحركة النشيطة للرئيس صدام حسين.

وفي كل خطوة يخطوها الرئيس صدام أو قرار يتخذه تتضح ملامح اللوحة التي يرسمها لمرحلة ما بعد الحرب، وهي لوحة تعتمد على الواقعية وعلى المزيد من الإنصاف. كذلك هنالك في كل خطوة إضافة لا تخطر في البال. وفي معظم الأحيان يكون لهذه الإضافة وقع المفاجأة السارة.

وهناك بعض أوجه الشبه بين الأسلوب الذي ينتهجه الرئيس غورباتشوف في الإتحاد السوفياتي والأسلوب الذي ابتكره الرئيس صدام في العراق.

ومثلما إن الحديث في الإتحاد السوفياتي وفي العالم بات عن غورباتشوف ثم بعد ذلك عن الماركسية، فإن الأنتظار في العراق باتت شاخصة أكثر من أي وقت مضى على الرئيس صدام ثم بعد ذلك على عقيدة البعث. كذلك إنه مثلما أن غورباتشوف بحركة التغيير السريعة الإيقاع التي ينتهجها بات زعيم الماركسيين وزعيم الصامتين في الإتحاد السوفياتي، فإن الرئيس صدام في ضوء تجربة التنمية من جهة، ثم في ضوء تجربة الحرب وحركة التغيير المدروسة التي ينتهجها بات زعيم كل

ولن يصل إلى حد فتح الأبواب، وتركها مشرعة لبضع سنوات، فإن هذا في حد ذاته يبدو أمراً يصل إلى حد الإنجاز. وبعد الآن فإن أحداً لن يفكر على الإطلاق بالولايات المتحدة أو دول الغرب عموماً على أنها المنفى - الحلم الذي يلجأ إليه ما دام بات، في سياق عملية التطوير الدؤوبة للعلاقات، يمكنه أن يسافر إلى الغرب وبتسهيلات من الدولة، ويؤكد بسفره هذا أنه قادم من وطن ليس ستاراً حديدياً على الإطلاق.

وما يقال عن الشعب السوفياتي يقال بصيغة أخرى عن الشعب الأميركي وسعادته التي لا توصف لأن الإتفاق الذي تم توقيعه في البيت الأبيض يوم 1987/12/8 ليس فقط أهم هدية يتلقاها الأميركيون قبل أيام من حلول عيد الميلاد ورأس السنة الجديدة من بابا نويل السوفياتي (غورباتشوف) وبابا نويل الأميركي (ريغان) وإنما لأنهم بعد الآن سينامون قريبي الأعين لأن حالة الجزع الناشئة عن الرعب النووي والتي عكستها في السنوات الماضية أفلام سينمائية وبرامج تلفزيونية كثيرة ستتدثر، ولن يعود هذا المواطن أو ذاك خائفاً على أبنائه من الفناء جزاء الصواريخ النووية السوفياتية الجاهزة للإنطلاق في أية لحظة. بل إن هؤلاء المواطنين لن يعودوا مشفقين على أولادهم وأطفالهم لأن الذين لن تقتلهم الانفجارات النووية سيلوثهم غبار هذه الانفجارات.

وإلى ذلك إن مسلكية المواطن في كل من الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي ستتبدل بعد الآن لأن الإتفاق الذي قد يكون إنفجار تشرنوبل عجل في التوصل إليه من خلال تنبيه الرئيسين إلى المخاطر وإلى النتائج، سيزيل الخوف من النفوس وسيجعل الفرح يحل محل الإكتئاب. ومع الوقت سيكون هنالك عدم إقبال على تناول أي شيء يمكن أن يقصر من العمر (وبالذات الكحول والمخدرات) ما دام هذا العمر سيطول لأن العالم إتفق.

ويبقى أن الرئيسين غورباتشوف وريغان وضعوا الأساس لمبدأ يمكن أن يعيش طويلاً ويتعلق بطريقة تعطيل الألغام. وهما لم يتفقا على وقف حرب دائرة (مثل الحرب العراقية - الإيرانية) وإنما إتفقا على تفادي حرب يمكن أن تقع، أو بمعنى آخر ألا حتى زمن بعيد جداً إمكانية حدوث الحرب العالمية الثالثة.

وإتفاقهما وبالتفاوض يجعلنا نتساءل: متى يقوم في إيران حكم يكتشف أن الحكمة هي في التفاوض وليس في العناد فيتجاوب مع رغبة العراق التي تحظى بالتأييد العربي

ويبقى أن هذه الإشارات الثلاث، ومن قبلها إشارات كثيرة، ومن بعدها إشارات أكثر ثم أكثر ثم أكثر، تعني أن الرئيس صدام منهمك في مرحلة ما بعد الحرب التي تبدو في ضوء متغيرات كثيرة، أهمها الوفاق العربي على التعايش والمؤازرة الذي تحقق في قمة عمان، ثم الاتفاق الدولي على إزالة الأسلحة النووية الذي تحقق في قمة واشنطن، إنها أقرب مما يتصور المرء.

مجلة "التضامن". لندن - 19 كانون الأول (ديسمبر) 1987

* * *

ضرورات الحزم وحسنات المرونة

قياساً بما حدث في الأشهر القليلة الماضية عام 1987 هو عام القمم الناجحة. فالقمة الإسلامية التي تم عقدها في الكويت والتي دشنت موسم القمم لعام 1987 كانت القمة الناجحة. وهي نجحت لأن الحزم إمتزج مع المرونة إضافة إلى الواقعية فجاءت النتيجة جيدة. ولم يحدث أن سجلت قمة إسلامية النجاح الذي أصاب القمة الإسلامية في الكويت.

والقمة العربية الطارئة التي تم عقدها في العاصمة الأردنية يوم 8 تشرين الثاني (نوفمبر) 1987 كانت قمة ناجحة. وهي نجحت لأن ظاهرة التشدد العربي انحسرت بعض الشيء أمام نظرة المرونة التي تزايد عدد المنادين بها من الملوك والرؤساء العرب. وإنحسرت أيضاً أمام تحذير بعض الحكام العرب من الخطر الذي يهدد مصير المنطقة إذا كانت لن تحدث وقفة تأمل في حالات التصدع الذي يحدث داخل الصف العربي.

ولم يقتصر الأمر على الانحسار المشار إليه وإنما حدث نوع من التلاقي في منتصف الطريق بين المتمسكين بالموقف المتشدد وبين دعاة المرونة، ونشأ عن هذا التلاقي وفاق وإتفاق من النوع الذي يمكن أن يعيش طويلاً. والقمة الدولية التي تم عقدها في واشنطن بين الرئيس غورباتشوف وريغان يوم 7 كانون الأول (ديسمبر) 1987 نجحت لأن الطرفين اللذين كانا في ذروة التشدد والتصلب قررا، كل لأسباب وظروف موضوعية، أن يجربا التعامل بمرونة. وعندما لاحظا أن شعوب بلديهما لا تريد سوى التعامل إندفاعاً في اتجاه التفاهم على الحد الأدنى مدعومين

العراقيين. وقد تتطور حركة التغيير التي إزدادت معالمها وضوحاً مع بداية ثورة الخمسين (أي بلوغ الرئيس صدام سن الخمسين) إلى وقت ليس بالبعيد يمكن أن يشهد العراق فيه أحزاباً كثيرة تمارس حرية الرأي بضوابط وتكون محصنة من مال الأجنبي وتوجيهاته كي لا تتحول هذه الأحزاب إلى ميليشيات. كذلك قد تتطور حركة التغيير بحيث تكون لهذه الأحزاب صحفها.

ويبقى أن مناسبة هذا الكلام ثلاث إشارات لها صفة الحدث وتشكل مجتمعة ما يجوز إعتباره خطوة أكثر تقدماً على طريق حركة التغيير التي يقوم بها الرئيس صدام.

أما الإشارة الأولى فتتمثل بجلسة موسعة جرت يوم 1987/12/6 لمناقشة مشروع بناء قصر جمهوري جديد سيجمل إسم "صرح القادسية". وفي هذه الجلسة رسم الرئيس صدام في مطالعة متألفة ما يجوز إعتباره الخريطة الفكرية لهذا المبنى، تاركاً للمهندسين وضع خريطة البناء. وهذا يعني أنه سيكون أول مبنى عربي يبني بخريطين. وفي الخريطة الفكرية بدا الرئيس صدام يرسم مبنى تتجاوز فيه العروبة مع الإسلام، والتراث مع الحداثة، والفروسية مع الفداء، والأبهة مع البساطة.

وأما الإشارة الثانية فتتمثل بإجتماع جرى عقده يوم 1987/12/8 وهو الأول من نوعه (من حيث الإعلان عنه) لمناقشة ميزانية وزارة الدفاع للعالم 1988. والإعلان بأن هذه الميزانية باتت موضع مناقشة معناه أن المخاطر تضاعفت وباتت هنالك ضرورة من أجل الإستعداد لإستئناف خطط التنمية الطموحة.

وأما الإشارة الثالثة فتتمثل بأمر من الرئيس صدام صدر يوم 1987/12/9 ينص على الآتي: (يقام في كل كلية أو معهد يقبل طلبة بعد الإعدادية، جدار يسمى "الجدار الحر" عدا الكليات والمعاهد العسكرية، يقوم الطلبة بملء حريتهم بكتابة آرائهم وما يريدون قوله وفي كل نواحي الحياة، وبإمكانهم توجيه نقد لما يلاحظونه سواء في جهاز الدولة أو غيره. ويقوم كاتب الرأي بذكر إسمه وتوقيعه).

وعندما يصدر هذا الأمر عن الرئيس صدام شخصياً ويتضمن في الوقت نفسه الطلب من كاتب الرأي ذكر إسمه وتوقيعه فهذا معناه أن الرئيس صدام يأخذ على ضمانته الشخصية أمر الناقد، ومعناه أيضاً أن النقد يجب أن يكون صريحاً وواضحاً وليس بهدف التجريح أو الوشاية.

مستمراً، وكانت مستمرة أيضاً صيحات التهديدات الإيرانية للمملكة العربية السعودية ودولة الكويت.

.. وهذا في حد ذاته جعل كل عربي من المحيط إلى الخليج يتربص باهتمام كبير يوم إنعقاد القمة الخليجية الجديدة ويتربص باهتمام أكبر ما ستتخذ من مقررات وبالذات المقررات غير المعلن عنها والتي تضع حداً لإستفزازات الحُكم الإيراني الذي إعتبر المرونة الخليجية نافذة يعبر منها لكي يهدد ويتوعد بدل أن يعتبرها باباً للخلاص من مأزق الحرب التي وضع نفسه فيها. وتكراراً إن القمة الخليجية تجاه موضوع الحرب العراقية- الإيرانية لا يمكن أن تنتهي إلى مقررات القمة العربية الطارئة في عمان لسبب بدهي وهي أن دول مجلس التعاون معنية أكثر ومتضررة أكثر. ثم، أوليس هذه الحرب إسمها... حرب الخليج.

مجلة "التضامن". لندن - 26 كانون الأول (ديسمبر) 1987

* * *

من مؤسسات الحُكم. ثم تطوّر الأمر إلى درجة أن الإتفاق بات على أمور إستراتيجية، بل على أمور حياتية. ألم يتفقا على إزالة الأسلحة النووية متوسطة وقصيرة المدى؟

ويوم صدور هذا العدد (26-12-1987) سيلتئم وفق ما هو مقرر شمل حكام مجلس التعاون لدول الخليج لعقد قمة هي القمة الأخيرة في عام 1987.

وهذه القمة بالذات مقدّر لها أن تتجح لأكثر من سبب لعل أهمها أن داخل مجلس التعاون هنالك الحزم والمرونة معاً، أي العنصران اللذان ساعدا القمة الإسلامية في الكويت على أن تتجح، ويلتئم شملها بالرغم من تهديدات إيران ومقاطعتها لها، والعنصران اللذان توافرا للقمة العربية فتم إنعقادها في العاصمة الأردنية وأنجزت أموراً كان من الصعب إنجازها، والعنصران اللذان لولهما لما كان للقمة الأميركية-السوفياتية أن تتعقد في واشنطن وتحقق النتائج التي حققتها.

وبالنسبة إلى القمة الخليجية فإنها تتسم بأهمية كونها الأولى التي تتعقد بينما باتت هنالك دولتان من دول المجلس تعيشان ظروف المواجهة إلى حد بعيد، وكونها الأولى التي تعود إلى الإنعقاد في الرياض التي بدأت منها وهي مناسبة للتأمل في ضرورات الحزم وحسنات المرونة. كذلك إن القمة الخليجية تتعقد بعد متغيرات دولية محتملة من الحرب التي تقض مضاجع دول الخليج وبعد حدوث تبدل في موقف بعض الأطراف العربية.

وعندما تحدث المتغيرات العربية وتكون هنالك متغيرات دولية محتملة الحدوث فهذا معناه أن التعاون الخليجي سيكون على غير الصيغة التي كان عليها في الماضي، وتحديداً في السنة الماضية.

وإنعقاد القمة الخليجية في الرياض من شأنه أن يجعل الأمر أكثر يسراً لجهة مزج المرونة بالحزم والخروج بصيغة تعامل جديدة مع الحُكم الإيراني قد تجعله يأخذ في الإعتبار أن عدم تجاوبه مع دعاة المرونة من مسلمين وعرب من حكام في المشرق والمغرب جعل هؤلاء يبتعدون عنه. وما حدث لهؤلاء يمكن أن يحدث للأطراف الخليجية التي شاءت، لإجتهاادات وحسابات، أن تبقى على خيط رفيع يربط الخليجين بالجار الإيراني لكن هذا الجار بممارساته القائمة على العناد والإستفزاز يبدو كمّن يمسك بمقص يريد قطع هذا الخيط.

ويبقى أن هذا الإستعداد لعقد القمة الخليجية تم بينما القرع على طبول الجولة الإيرانية الجديدة كان ما يزال

المقالات من 2 يناير 1988 إلى 26 ديسمبر 1988





التفاؤل بالخير... من الإنفراج العربي إلى الصحة الفلسطينية

طوال بضع سنوات نحن نتفاءل بالخير على أساس أننا سنجده. وكانت كل سنة تزداد سوءاً عن السنة السابقة لكننا كنا أيضاً نزداد تفاؤلاً.

وجاء العام 1987 ليؤكد أن التفاؤل كان في محله. فها هو الوضع العربي أفضل من ذي قبل. وها هو الوضع الدولي أكثر إرتياحاً مما كنا نتمنى. وها هي مستلزمات النهوض العربي بدأت تتوافر.

وقبل بضعة أشهر من كان في إستطاعته أن يتصور بأن الملوك والرؤساء العرب يمكن أن يجلسوا ويتصافحوا ويتصافوا... أو على الأقل يتفقوا على الحد الأدنى؟

ومن كان في إستطاعته أن يتصور بأن الحُكم الليبي الذي كان يساند الحُكم الإيراني ويدعمه بالسلاح والتأييد المعنوي الذي لا حدود له يعيد النظر في هذا الدعم وذلك التأييد، بعدما صدمه هذا التعاون الذي يدعو إلى ما هو أكثر من الإستغراب بين ذلك الحُكم وكل من الولايات المتحدة وإسرائيل؟

ومن كان في إستطاعته أن يتصور بأن القمة العربية التي كانت دائماً مستحيلة الإنعقاد تنعقد في عمان كقمة طارئة ثم سرعان ما تتحول إلى قمة عادية تناقش كل القضايا وبروح عالية من الشعور بالمسؤولية، ثم تتخلل المناقشة بعض المصارحات التي لولاها لكانت الصلوات ستستمر ملأى بالغضب والضيق؟

ومن كان في إستطاعته أن يتصور بأن الحُكم المصري يتجاوب قبل إنعقاد القمة التي رعاها الملك حسين بخبرته كحاكم صاحب تجربة عريقة شهدت العواصف أحياناً والتحديات الصعبة أحياناً أخرى، مع تمنيات عراقية ويسجل قبل إنعقاد القمة مواقف تدعو إلى الإرتياح وكلها تؤكد تمسك الحُكم المصري بميثاق الدفاع العربي المشترك؟

ومن كان في إستطاعته أن يتصور بأن الملك حسين يحقق وفي عاصمة مملكته حلماً تاريخياً ويختصر شقة الخلاف بين الرئيسين حافظ الأسد وصدام حسين ويمهد بذلك الطريق أمام علاقة من نوع جديد بين العراق وسوريا تبدأ بالوفاق كحد أدنى وتتطور تبعاً لظروف وتحولات وقناعات؟

ومن كان في إستطاعته أن يتصور بأن القمة العربية التي جرى عقدها في العاصمة الأردنية تنفهم دواعي تصريحات الرئيس حسني مبارك التي جاءت تلبية لتمنيات القيادة العراقية، وتقرر إعتبار إعادة العلاقات الدبلوماسية مع مصر أمراً يتعلق بالسيادة وليس قراراً يحتاج من القمة إلى إتخاذها؟

ومن كان في إستطاعته أن يتصور بأنه لمجرد أن أفتت القمة وبالإجماع بإمكانية إعادة العلاقات مع مصر أن توالى إعادة العلاقات بحيث إن أكثرية الذين سبق لهم أن قطعوا العلاقات أعادوها في أقل من عشرة أيام؟

ومن كان في إستطاعته أن يتصور بأن مناقشة عراقية - سورية في قمة عمان حول العلاقة مع منظمة التحرير الفلسطينية حسمها الرئيس الشاذلي بن جديد لمصلحة المنظمة عندما أورد واقعة خلاصتها أن جبهة التحرير فضلت أن تغادر مصر لأن الرئيس عبد الناصر إعتبر أنه ما دامت قضية الجزائر قضية قومية فإن من حق مصر أن تتدخل في شؤون من يمثل هذه القضية، وهي هنا جبهة التحرير. وقد أضاف الرئيس الشاذلي إلى ذلك قوله إن وضع منظمة التحرير الفلسطينية مع سوريا هو مثل وضع جبهة التحرير الجزائرية في الماضي مع مصر عبد الناصر؟

ومن كان في إستطاعته أن يتصور بأن الرئيسين السوفياتي والأميركي يستعجلان عقد لقاءهما في واشنطن ويتفقان على ما كان في الماضي محور حربهما وصراعهما التاريخي؟ بل من كان في إستطاعته أن يتصور بأن هذا اللقاء يتم في الوقت الذي بدا أن اللقاء مستحيل على الأقل في الوقت الحاضر، ومن كان في إستطاعته أن يتصور بأن اللقاء ليس فقط يتم وإنما أيضاً ينتهي إلى توقيع إتفاق حول إزالة الأسلحة النووية متوسطة وقصيرة المدى، ويشرعان البحث في قضايا كثيرة عالقة من بينها النزاعات الإقليمية وأهمها الحرب العراقية - الإيرانية والمسألة الأفغانية؟

والأهم من هذا كله هو أنه من كان يتصور أنه قبل إنقضاء الأيام العشرين الأخيرة من السنة تحدث في غزة وبعض مدن الضفة الغربية المحتلة تباشير الصحة الفلسطينية ويتصدى الجيل الفلسطيني الذي يكتوي بالقهر الإسرائيلي من جهة وبخيبة الأمل بالعمل العربي والخلافات الفلسطينية من جهة أخرى، لقوات الإحتلال بالصبر والحجارة ويؤكد أن في إستطاعة من يصبر أن

يحقق آماله أو على الأقل بعض ما يتمنى؟

من كان يتصور هذه المفاجآت تحدث كلها خلال بضعة أسابيع من الأشهر الأخيرة من العام 1987؟ إن أحداً ما كان ليتصور ذلك. ولكن هذه المفاجآت حدثت وتركت إنطباعاً بأن الدنيا العربية مقبلة على خير، وأن الذي يتقاعل بالخير يجده.

ولعل العام 1988 الذي نستقبله بأمال أرحب يكون العام الذي تكتمل فيه المفاجآت وبالذات مفاجأة الحل اللبناني الذي لم يزل حقه من العام 1987 إلّا إذا إعتبرنا أن هذا الحل يمر من خلال الوفاق الدولي ثم الوفاق العربي. إن البوادر التي تبشر بحدوث هذين الوفاقين كثيرة. وما نتمنى أن نكتبه في مثل هذه الأيام بعد سنة هما عبارتان لا أكثر. الأولى هي: من كان في استطاعته أن يتصور بأن الحرب العراقية - الإيرانية ستوقف؟

أما العبارة الثانية فهي: من كان في استطاعته أن يتصور بأن النزف في لبنان إنتهى وإنتهت الحرب؟ وتمني كتابة هاتين العبارتين على أساس أنهما تكونان خلال العام 1988 قد توقفتا.

ومثلما أن من يتقاعل بالصبر يجده فإن من يتقاعل بوقف الحرب يشهد نهاية لها.

مجلة "التضامن". لندن - 2 كانون الثاني (يناير) 1988

* * *

قراءة بين سطور

بيان القمة الخليجية الثامنة

من يقرأ بين سطور البيان الذي أصدره قادة دول مجلس التعاون يوم الثلاثاء 29 كانون الأول/ ديسمبر 1987 يخرج بإنطباعين:

الإنطباع الأول هو أن القمة الثامنة لدول المجلس شأئت إبقاء ما إتخذته من قرارات، أو على الأقل ما تقاهمت في شأنه من مواقف، طي الكتمان بحيث لا تعكسها كلمات بيان بشكل مباشر أو غير مباشر وذلك لدقة ظروف الوضع الخليجي.

وهذا الإنطباع ناشئ عن أن البيان بشكل عام هو أهدأ بكثير من حالة التوتر السائدة في منطقة الخليج جراء

الحرب العراقية - الإيرانية.

أما الإنطباع الثاني فهو أن القمة الثامنة لدول الخليج قالت في البيان كل شيء، أو تحديداً إنها قالت ما تستطيع أن تلتزم به وتتفّذه.

وهذا الإنطباع ناشئ عن أن العبارات التي صيغ بها البيان وبالذات ما يخص الحرب العراقية - الإيرانية هي من النوع الذي يترك النواذ مفتوحة أمام الخيار السياسي فقط.

ومع الأخذ في الإعتبار أن أحداً لم يكن يتوقع من القمة الخليجية أن تعلن الحرب على الحُكم الإيراني، إلّا أنه في الوقت نفسه كان من المتوقع أن يختار قادة الخليج لبياهم الختامي بعض العبارات التي تتجاوز العبارات التي يمكن أن تختارها لبياياتها دول صديقة أو دول حريصة وليست الدول التي تقترب نار الحرب من أجوائها. وأغلب الظن أن الإتجاه العام من أجل وقف الحرب هو الذي أوجب إعتداد مثل هذه العبارات التي تنشئ الود ولا تستفز، والتي ترى أنها متجانسة كل التجانس مع الإتجاه الدولي إزاء الحرب والذي يعكسه القرار 598.

ومن المؤكد أنه لو لم يكن ذلك القرار قد إتخذ وهو برسم التنفيذ، لما كان لقادة الخليج أن يلتزموا بكل هذه المرونة التي إلتزموا بها وظهرت في بيانهم. ولكن القرار 598 الذي سبق أن أصدره مجلس الأمن الدولي بات السقف الذي يصلح مظلة لأي موقف.

ومن هنا فإن بيان القمة الخليجية الثامنة لم يحاول تجاوز هذه المظلة أو إختراقها في شكل أو آخر.

ومثلما هي حال بعض المؤتمرات العربية خصوصاً في السنوات الثلاث الماضية هكذا حال القمة الخليجية الثامنة، بمعنى أن ما لا يرد في البيان الختامي يكون ورد في اللقاءات الثنائية وخلال المشاورات التي لا يتم الإعلان عنها. وفي العادة إن ما يجري في هذه اللقاءات يكون الأهم والملزم والبعيد عن ردود الفعل والإجتهاادات والإستنتاجات.

كما أن ما لا يرد في البيان الختامي، لا يعني أنه لا يمكن أن يرد في تصريح هنا أو تصريحات هناك. وعلى سبيل المثال إن الموقف الذي يتعلق بدور مصر لم يرد في البيان المشترك، لكنه ورد ضمن إيقاع متميز من خلال تلميح من جانب الملك فهد في الكلمة التي إفتتح بها القمة، ثم من خلال إجابة كثيرة الوضوح من جانب الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية رداً على سؤال من

"التضامن" ثم تزامن التلميح والتوضيح في شأن دور مصر مع نبأ شبه رسمي يؤكد أن الرئيس حسني مبارك سيقوم بجولة خليجية من الالاف للالاف أن توقيتها تم بحيث تبدأ في أعقاب انعقاد القمة الخليجية من جهة، وصدور بعض الميزانيات الخليجية من جهة أخرى.

ويبقى أن القمة الخليجية الثامنة عززت القمة العربية غير العادية التي جرى عقدها في عمان. وكانت العبارات الودودة تجاه القمة العربية، التي إستضافها الملك حسين ورعاها، لافته للالاف في البيان الختامي للقمة الخليجية الثامنة التي إستضافها الملك فهد بن عبد العزيز ورعاها.

يبقى أيضاً أن القراءة المتأنية بين سطور البيان الختامي للقمة الثامنة وبين سطور التصريحات والكلام الذي يقال في الجلسات المغلقة يعكس إنطباعات بأن قادة الخليج هم الآن أكثر إهتماماً بالتخطيط لمرحلة ما بعد الحرب وللأعباء الكثيرة التي ستتربط على هذه المرحلة. وهم في ذلك كمن يبدو متأكداً بأن الحرب باتت في الحلقة الأصعب، وهي الأصعب لأنها الحلقة التي تتضمن نهاية الرواية المفجعة للحرب التي تزامنت إنطلاقة مجلس التعاون لدول الخليج العربية مع بدئها.

مجلة "التضامن". لندن - 9 يناير (كانون الثاني) 1988

* * *

"تأميم" الطفرة في السعودية

ما تأخر من جاء... (مثل سعودي شعبي)

قبل أيام كنت في الرياض أتابع أعمال القمة الثامنة لدول مجلس التعاون التي إبتكر فيها قادتها أسلوب تعامل جديد مع الأمور غير المحسومة بحيث يتم القفز فوق هذه الأمور والإهتمام بالمسائل التي يمكن النقاها في شأنها، بدل الإنشغال بالأمور غير المحسومة. والهدف من هذا الأسلوب هو الإستفادة من عامل الوقت وفي الوقت نفسه التأكيد على أن ما يبدو غير قابل للحسم اليوم قد يصبح قابلاً للحسم غداً.

وصحيح أن الموضوعات التي ستناقشها القمة مهمة جداً وأن القرارات التي ستتخذ في شأن هذه الموضوعات ستكون بالأهمية نفسها، إلا أنني وجدت نفسي مشدوداً إلى

الأمر الأكثر أهمية وهو جلسة مجلس الوزراء السعودي التي ستعقد في اليوم التالي لسفر حكام دول الخليج عائدين إلى بلادهم بعد إنتهاء قمتهم الثامنة.

أما لماذا وجدت نفسي مشدوداً فلأن حديث الميزانية هو على كل شفة ولسان منذ بضعة أسابيع، وهو أيضاً على وجه كل سعودي ووجه غير السعوديين أيضاً من العاملين في المملكة بعدما بدأت أجواء ما بعد الميزانية تظهر من خلال إجراءات ذات طابع مالي حيث لا يتم التحديد لمئات العاملين والموظفين فضلاً عن أن تخفيض المرتبات ونسبة عالية بات ظاهرة مألوفة.

ولم يحدث أن بدت شوارع الرياض خالية من السيارات مثلاً بدت مساء الأربعاء الذي صادف اليوم ما قبل الأخير من 1987 وذلك لأن أكثرية السعوديين وغير السعوديين من العرب العاملين في المملكة كانوا مرابطين أمام أجهزة التلفزيون ينتظرون ما سيقوله خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز أمام مجلس الوزراء في شأن الميزانية. بل قد يجوز القول بأن هذه الشوارع في الرياض وفي معظم المدن الرئيسية في المملكة بدت إلى حد ما كما تبدو خلال أيام شهر رمضان الكريم قبل نصف ساعة من إعلان مدفع الإفطار عن أن ساعات الصوم قد إنتهت.

والغرض من هذه الدقة في الوصف هو التوضيح كم أن مسألة الميزانية مهمة، بل وبالغة الأهمية.

ومن قبل كان السعوديون يعتبرون يوم إعلان الميزانية عادياً لأنه يحمل في استمرار الأنباء الطيبة عن إرتفاع نصيب هذه الوزارة أو تلك من الميزانية العامة. وكان ذلك في زمن الطفرة أيام الإنفاق وكما لو أن المال لا ينتهي والخير لا ينحسر والدنيا على أحسن حال. ثم جاء قرار الملك فهد بتأجيل إصدار الميزانية ليحدث حالة تنبه لا بد منها. وللوهلة الأولى بدا أمر التأجيل مقلماً ثم تبين أنه بمثابة صدمة كهربائية أو أنه لفت نظر إلى أن التنبيه ضروري وأن ما يبدو إزدهاراً بفعل حالة الطفرة العابرة يجب أن يأخذ شكلاً جديداً.

وفي ضوء المناخ العام الذي أشاعه في الماضي تأجيل إصدار الميزانية بات تنبه المواطن السعودي إلى يوم إصدار الميزانية شبيهاً بتنبيه البريطاني على سبيل المثال الذي يعنيه جداً اليوم الذي تصدر فيه الميزانية. بل إنه ينتظر بفارغ الصبر هذا اليوم علماً بأن زيادة بسيطة على سعر تذكرة القطار أو علبه السجائر تؤثر عليه في حين

أن الإجراء الذي يؤثر على المواطن السعودي هو الإجراء الذي يقلل من مكاسب أيام الطفرة أياً كان حجم التقليل. ولقد كنت من بين الألوف الذين جلسوا أمام أجهزة التلفزيون في طول المملكة وعرضها ليلة الإعلان عن الميزانية. وبالنسبة إليّ فإن إهتمامي بهذا الحدث ينطلق من الاعتقاد الراسخ بأن المملكة العربية السعودية هي القلعة العربية المقتدرة أو فلنقل هي النبع الأكثر أهمية بين ينبابيع التي تروي شجرة الصمود العربي وأن هذه الشجرة يمكن أن تتأثر من دون الرعاية السعودية لها.

كذلك فإن إهتمامي بهذا الحدث ينطلق من الاعتقاد الراسخ بأن أي إرتباك مالي تواجهه المملكة العربية السعودية من شأنه أن ينعكس في شكل أو آخر على كل الجبهات العربية الصامدة.

وأنا لست هنا في معرض معالجة تعتمد على الأرقام لميزانية دولة ذات شأن مثل المملكة العربية السعودية وإنما الذي أريد قوله هو إنني في أعقاب الكلام الذي سمعنا الملك فهد بن عبد العزيز يقوله في جلسة مجلس الوزراء، وفي ضوء الظروف التي تعيشها المنطقة، وفي ضوء إجراءات بدأ اتخاذها في المملكة وسيواصل صدور المزيد من الإجراءات، وفي ضوء استمرار إنخفاض داخل المملكة من واردات النفط بنسبة الخمس، وإستمرار الحرب على حالها بين العراق وإيران... إنني في أعقاب هذا كله وجدت نفسي أكثر إقتناعاً بأن الملك فهد بن عبد العزيز أصدر ما يجوز إعتبره قراراً "بتأميم" الطفرة في المملكة العربية السعودية وأنه بالميزانية الجديدة للعام 1988 (الموافق بالتقويم الهجري 1407-1408) أبلغ السعوديين أن زمن الطفرة إنتهى وبشكل نهائي.

وعندما نتتابع الإجراءات واحداً تلو الآخر من إضافة ثمانية آلاف مليون ريال من الإحتياطي إلى الإيرادات، إلى إصدار سندات حكومية للإكتتاب العام بما لا يتجاوز ثلاثين ألف مليون ريال، إلى فرض ضرائب على الدخل بالنسبة على العاملين من غير السعوديين، إلى اعتماد قاعدة الرسوم الجمركية على السلع المستوردة... إنه عندما تتتابع هذه الإجراءات ويصدر غيرها الكثير بين الحين والآخر فهذا معناه أن الحكومة السعودية قررت وضع اليد على زمن الطفرة أو أنها تطلب من الجميع أن يعيدوا النظر.

وأغلب الظن أن الحكومة السعودية أثرت إصدار الإجراءات والقرارات بطريقة الجرعات وهو أسلوب يعتمد

في بعض جوانبه القاعدة النفسية. ولكن الإصدار بمثل هذا الأسلوب لا يعني أن الملك فهد لم يتخذ القرار الذي لا بد منه وهو "تأميم" الطفرة، على رغم ما في هذا القرار من شعور ثقيل على نفس المواطن الذي إعتاد خلال سنوات على حكم يعطيه ولا يبخل في العطاء فإذا بهذا الحكم يطلب منه المشاركة في مواجهة ظروف فرضتها تطورات وأوضاع دولية ضاغطة، وفرضتها أيضاً بعد الذي حدث بين العراق وإيران ضرورة بناء الدولة القوية وإلا تعرضت التنمية إلى مخاطر كثيرة.

وقد يكون المواطن السعودي الذي عاش بضع سنوات من البحبوحة التي لا مثيل لها بطيء التفاعل مع الأجواء الجديدة تماماً مثل الحكومة التي ترددت في فرض هذه الأجواء. إلا أن المسألة في النهاية تصبح مقبولة وأمر لا بد منه لأن هنالك حاجة لها فضلاً عن أن ثقة المواطن بما تقدمه الدولة له تجعله يتقبل إجراءات "تأميم" الطفرة، خصوصاً أن هذه الإجراءات ستؤدي إلى تقليص هذه الأعداد الوفيرة من الطائرات الخاصة في دولة تملك أهم أسطول نقل جوي وتحط فيها طائرات أكثرية شركات النقل الدولي. كذلك إن هذه الإجراءات ستجعل الأمور تتوازن بعض الشيء فلا يعود في معظم المنازل خدم وموظفون أكثر من أفراد العائلة ولا يعود في البيت الواحد أربع سيارات بدل السيارة الواحدة. كذلك إن هذه الإجراءات ستجعل هذا الإنفاق الخرافي يتوقف عند حدود المعقول، وستجعل هذا الإندفاع في سبيل جني الثروات أقل مما كان أو هو عليه.

ويبقى أن الإجراءات التي تؤكد أن ما حدث هو "تأميم" الطفرة بشكل نهائي أو بدء العد العكسي لإنهاء زمن الطفرة، هي بمثابة الإجراء الوقائي الذي ما كان للملك فهد بن عبد العزيز أن يتخذه لولا إقتناعه بالأسلوب الذي يعتمده وزير ماليته الشيخ محمد أبا الخيل الذي بدا أمام متابعي التلفزيون السعودي في اليوم التالي لإعلان الميزانية أكبر من سنه. وعندما كان أبو علي يوضح ويعلل ويطمئن ويسحب نظارته بعد أن يضعها على عينيه ويكرر هذه الحركة أكثر من عشرين مرة، كان واضحاً أن هذا العقل المالي السعودي يبشر بزمن جديد يقوم على توازن معقول بين واقع الحال وبين عادات موروثة منذ زمن الطفرة.

وللمناسبة فإن أبا الخيل يتولى وزارة المالية منذ 12 سنة أي أنه مخضرم بمعنى أنه كان وزير مالية زمن الطفرة وها هو الآن وزير مالية مرحلة "تأميم" الطفرة. وبعد

أن تخرج من القاهرة عمل مديراً لمكتب الأمير سلطان بن عبد العزيز عندما كان يشغل منصب وزير المواصلات ثم عمل مديراً عاماً لمعهد الإدارة ثم وكيلاً لوزارة المالية ثم نائباً لوزير المالية قبل أن يصبح وزيراً للمال في إحدى أقوى الحصون المالية في العالم، وهو منصب يعادل في أهميته منصب وزير الخارجية في الولايات المتحدة.

ويمكن سر نجاح أبا الخيل في أنه دؤوب يكاد لا ينقضي شهر من دون أن يسافر لكثرة ما يشغل من عضوية في حوالى أربعين لجنة تجتمع شهرياً. وعلى هذا فهناك أيام يجتمع في أربع لجان دفعة واحدة، كما أنه يسافر أحياناً في الصباح خارج المملكة ليشترك في اجتماع لجنة ثم يعود في المساء ليشترك ربما في اجتماع مسائي... وهكذا.

وخلال عمله كوزير للمال طوال إثني عشر عاماً تولدت لدى أبا الخيل قناعة لها صفة النظرية وترى أن يكون هنالك توازن بين القطاع العام والقطاع الخاص، وهذا ما يبدو أنه سيتبلور بشكل أساسي في مرحلة ما بعد الطفرة.

وفي إحدى المرات كنت في فندق "أنتركونتيننتال" في الرياض عندما شاهدت أبا الخيل يشارك في معرض لفنان تشكيلي سعودي وإلى جانبه الكاتب ورئيس مجلس إدارة الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون محمد الشدي. وإعتقدت للوهلة الأولى أن أبا الخيل جاء إلى المعرض مجاملة منه لصديقه محمد الشدي ثم إستفسرتُ فقبل لي إن محمد أبا الخيل من هواة الفن التشكيلي وأنه لمجرد أن يعرف أن هنالك معرضاً تشكلياً فإنه يتوجه على الفور إلى الغاليري التي يقام فيها المعرض ويقضي الوقت الذي تستحقه اللوحات المعروضة. وهو يفعل ذلك في واشنطن وباريس وروما ونيويورك وطوكيو وأي مدينة يزورها في العالم.

وبالنسبة إلى الرسامين السعوديين فإنه إعتاد أن يختار دائماً اللوحات المتميزة ويشتريها ويضعها في وزارة المال تماماً مثلما فعل الكاتب والزميل محمد حسنين هيكل عندما كان رئيسياً لتحرير "الأهرام" حيث إنه بمبادرة لقيت إستحسان عبد الناصر كان يشتري لوحات الفنانين المصريين الكبار. وإذا كان هيكل وضع اللوحات في مبنى "الأهرام" وما زالت حتى الآن إحدى ملامح هذا المبنى فإن أبا الخيل يقدّم اللوحات التي يشتريها هدايا لكبار الشخصيات التي تزور المملكة وتكون لها علاقة في شكل

أو آخر بوزارة المال.

وما دمنا في صدد الحديث عن شخصية هذا العقل المالي السعودي المستتير الذي يُعد ميزانية بلغت هذه السنة مصروفات الدولة بموجبها 141 ألفاً و200 مليون ريال وبلغت الإيرادات بموجبها 105 آلاف و300 مليون ريال منها 68 ألفاً و935 مليوناً إيرادات بترولية و36 ألفاً و365 مليوناً غير بترولية... إننا ما دمنا في صدد الحديث عن شخصية أبا الخيل نجد ضرورة الإشارة إلى أن هذا الرجل يملك ذاكرة قوية إلى درجة أنه يطلب ملفات معيّنة من الصعب أن يتذكر محتوياتها الإنسان بسهولة.

كما أن أبا الخيل من النوع الدؤوب في عمله. وقد يجوز القول إن حبه لعمله هو سر نجاحه.

وفي الوقت نفسه إن ساعات العمل الكثيرة لا تمنع أبا الخيل من أن يشارك في المناسبات الاجتماعية وفي حضور زيجات موظفي الوزارة وكذلك واجب التعزية.

وهو يعمل في أي وقت وفي أي مكان. داخل المكتب أو داخل الطائرة. يوم الجمعة وبقية الأيام سيارته. وفي سيارته مكتب صغير يتابع من خلاله العمل.

ولا يدري أحد لماذا هذا الحرص من جانبه على ساعة يد لم يغيرها منذ عشر سنين. كما لا يدري أحد لماذا هذا الحرص على حُجب وزارة المال بستائر عند تجديدها. وهذه الوزارة كانت آخر الوزارات التي تم الإهتمام بأمر تجديدها وحُدث ذلك بعدما باتت معرضة للسقوط، وأيضاً بعدما تم تجديد بقية الوزارات.

يبقى أيضاً أن أبا الخيل وضع ميزانية هي الأولى التي تزامنت مع إنخفاض مريع واجهه الدولار المرتبط بالريال ومع إضطراب مالي لا مثيل له في البورصات التي تلقى حماسة من قبل السعوديين ومع بدء تدفق الواردات من غير النفط... من الزراعة وصناعة البتروكيماويات على سبيل المثال.

وكان يمكن لهذه الواردات المستجدة أن تشكّل توازناً يقي المملكة من ضرورات اللجوء إلى الإحتياط وإصدار السندات لولا أن الإلتزامات التي تحرص قيادة الملك فهد بن عبد العزيز على الإيفاء بها كثيرة. وإذا كانت هذه الإلتزامات لا تُمس نتيجة ظروف الحرب العراقية - الإيرانية الدائرة منذ ثماني سنوات فإنها أيضاً لا تُمس وقد تتزايد بعدما حدثت العودة إلى مصر وبعدها باتت الإلتزامات لمرحلة ما بعد الحرب تشغل التفكير السعودي والخليجي عموماً... خصوصاً أن هذه الحرب يمكن

لإعتبارات موضوعية أن تقف إذا كانت الإلتزامات ستعوض خطوة التراجع عن الموقف الذي كان يرى أن تبقى الحرب دائرة إلى ما لا نهاية.

مجلة "التضامن". لندن - 9 كانون الثاني (يناير) 1988

* * *

الانتفاضة المطلوبة من مبارك

على إسرائيل

قبل إنعقاد القمة العربية الطارئة، التي تحولت إلى قمة عادية، ردد الرئيس حسني مبارك في أكثر من تصريح أو مقابلة صحافية كلاماً يؤكد فيه حرصه على إتفاقية الدفاع المشترك وتمسكه بهذا الميثاق.

وإلى ذلك قال الكثير في شأن التضامن العربي وكيف أنه لن يكون للعرب شأن إذا كانوا لن يتضامنوا.

ومع أن هذا الموقف جاء نتيجة تمنيات أطراف عربية بغرض تسهيل عملية إعادة العلاقات الدبلوماسية مع مصر إلا أنه في الوقت نفسه يعكس إقتناع الرئيس مبارك بأهمية التضامن بين العرب وضرورة التمسك بإتفاقية الدفاع المشترك.

وحتى عندما تصدر بين الحين والآخر تصريحات يبدي فيها الرئيس مبارك تمسكه بإتفاقية كامب ديفيد، فإنه بذلك لا يدافع عن تلك الإتفاقية بقدر ما أنه يتعامل معها تعامل ابن (أو كبير الأبناء في العائلة) رحل والده وترك ديوناً وأموراً مالية عالقة ولا قدرة له على التكر لهذه الديون، خصوصاً أن هنالك محاضر وتواقيع وشهوداً في شأنها، فضلاً عن أنه من خلال التصريحات التي يبدي فيها تمسكه بإتفاقية كامب ديفيد كان يضغط على الدول العربية التي قطعت العلاقات الدبلوماسية مع مصر لكي تعيد هذه العلاقات معه على أساس أن أي مناقشة في شأن أسلوب التعامل لا يكون قبل إعادة العلاقات.

وقد يجوز القول إن الرئيس مبارك من خلال أسلوب التآني الذي إعتمه حقق بعض ما يريده، حيث أن بعض الذين قطعوا العلاقات مع مصر قرروا في قمة عمان إعادة هذه العلاقات وأن المناقشة المطلوبة لتحديد طبيعة التعامل بدأت عملياً بالجولة التي بدأها الرئيس مبارك على دول

الخليج يوم السبت الماضي (1988/1/9).

واللافت للانتباه أن الرئيس مبارك حرص من خلال بعض الذين يتقنون التنظير السياسي أن يقول عبر صحيفة "الأهرام" ما معناه إن مصر لم تخرج على الإلتزام بمعاهدة الدفاع العربي المشترك. وعشية زيارته إلى الرياض التي بدأ منها جولته الخليجية كانت صحيفة "الأهرام" تنشر نص بنود هذه الإتفاقية وتصل إلى نتيجة خلاصتها أن إتفاقية كامب ديفيد لا تلغي إلتزام مصر بإتفاقية الدفاع العربي المشترك. وإستندت الصحيفة في تبريرها بأن إتفاقية الدفاع العربي المشترك لا تمنع مصر من عقد إتفاقية كامب ديفيد إلى المادة الأولى في الإتفاقية ونصها:

"تؤكد الدول المتعاقدة حرصاً منها على دوام الأمن والسلام وإستقرارهما عزمها على فض جميع منازعاتها الدولية بالطرق السلمية سواء في علاقاتها فيما بينها أو في علاقاتها مع الدول الأخرى".

وبصرف النظر عن المواد والبنود فإن التنظير المصري لا يُنفع أحداً، وأن المادة الأولى من الإتفاقية المشار إليها تجيز للدول الأعضاء فض منازعاتها بالطرق السلمية مع دول تربطها بها علاقات ونشأت بينها خلافات أو سوء فهم تطور إلى مشكلة، إلى أنه من المؤكد أن هذه المادة لا تجيز لأي دولة عربية أن تعقد إتفاقية سلام مع إسرائيل، وأنه لو كان الأمر بهذه البساطة لما كان للصراع العربي - الإسرائيلي أن يبلغ التعقيد الذي بلغه ويطول كل هذا الزمن.

ومقياس تمسك مصر بإتفاقية الدفاع المشترك هو الموقف الذي تتخذه من إعتداء تقوم به إسرائيل ضد دولة عربية، إلا أن مثل هذا الإعتداء لا يتم، بإستثناء الإعتداءات الإسرائيلية على لبنان والتي تتساوى جميع المواقف العربية إزاءها.

وإذا كانت مصر تتذكر إتفاقية الدفاع العربي المشترك بسبب الإعتداء الإيراني، فإنها مطالبة بأن تتذكره بسبب إصرار إسرائيل على موقفها ضد الشعب الفلسطيني. وهذا الموقف الذي تتخذه إسرائيل من الإنتفاضة المتواصلة منذ شهر في غزة هو بمثابة الإعتداء الذي يلقي على الرئيس مبارك عبئاً مزدوجاً. عبء أن غزة بالنسبة إليه هي في مكانة سيناء الذي عقد سلفه الرئيس (الراحل) أنور السادات الصلح مع إسرائيل بحجة إستردادها، وعبء أن القول بأن مصر تتمسك بإتفاقية الدفاع العربي المشترك يحتاج إلى

ترجمة عملية بحيث لا يبقى القول كلاماً من دون فعل. وفي هذا الإطار من الجائز القول إن من يريد أن يأخذ على عاتقه ممارسة دور قومي لا يمكن أن يعمل على تفسير مادة في إتفاقية بالشكل الذي تبدو فيه هذه المادة أنها مع الخطوة غير القومية التي أقدم عليها لضرورات شخصية مرتبطة بهاجس الزعامة التاريخية أكثر من إرتباطها بمصلحة الأمة. ومن يريد ممارسة الدور القومي يستطيع أن يفعل الكثير إذا هو أراد.

ولهذه المناسبة نتساءل: هل يجوز أن يكون موقف الحُكم المصري إزاء الإنتفاضة التي حدثت في غزة أقل تأثيراً من الموقف الذي إتخذته بريطانيا بجناحيها الحاكم والمعارض. وهل يجوز أن يكون الموقف البريطاني حديث العالم كله بينما الموقف المصري ليس كما هو مؤمل منه أن يكون؟

والى ذلك إن قوة الموقف المصري من خلال الإعلان عن التمسك بإتفاقية الدفاع العربي المشترك هي في أن بعض الدول العربية كانت لا تتمسك بهذه الإتفاقية في الماضي إزاء الإعتداء الإيراني على العراق، ثم بات الموقف أفضل قليلاً بعد القمة العربية الإستثنائية في عمان، وقد أصبح الموقف جيداً بفضل المساعي التي لم تتضح بما فيه الكفاية.

ولكن المرء يجد نفسه في الوقت نفسه يتساءل: كيف يمكن لدولة مثل مصر أن تُمسك بالنفط والنار في يد واحدة، أي كيف يمكن أن تتمسك بإتفاقية كامب ديفيد وإتفاقية الدفاع العربي المشترك في الوقت نفسه؟

والإجابة عن ذلك ستكون واضحة بما فيه الكفاية في ضوء جولة الرئيس مبارك الخليجية التي لقي فيها إستقبالا وحفاوة وإهتماماً قلّ إن لقيه حاكم مصري من قبل خارج بلده، ربما لأنه أول رئيس مصري يطمئن له الخليج، وفي ضوء لقائه مع الرئيس ريغان، وهو اللقاء الأول الذي يتم بينهما وقد بات الرئيس مبارك أقوى شأناً مصرياً وعربياً وهو أمر يلقي كل الإرتياح لدى الإدارة الأميركية.

ويبقى أن جولة الرئيس مبارك الخليجية، وبالذات الإهتمام الذي لقيه من الملك فهد بن عبد العزيز والذي يشبه الإهتمام الذي سبق أن لقيه (الراحل) الملك فيصل بن عبد العزيز في القاهرة من قبل الرئيس (الراحل) جمال عبد الناصر، هي الخطوة الثانية المهمة على طريق عودة تألف القلوب العربية بعد الخطوة الأولى التي تمثلت بإعادة العلاقات الدبلوماسية مع مصر.

ولكن الخطوة الثالثة هي الأهم ونعني بها مشاركة الرئيس مبارك في القمة العربية المؤجلة التي لا بد من عقدها في الرياض في نوفمبر/ تشرين الثاني 1988. ولكي تتعقد هذه القمة لا بد من مشاركة مصر فيها. ولكي تشارك مصر لا بد من إستكمال الخطوة الأولى بحيث تستأنف بقية الدول العربية العلاقات الدبلوماسية مع مصر. وتلك مهمة الملك فهد بن عبد العزيز في الدرجة الأولى لأن القمة ستعقد في الرياض.

وثمة سؤال: هل سيساند الرئيس مبارك الملك فهد في مهمته وخصوصاً بعد الذي لقيه في جولته الخليجية؟ من المؤكد أنه سيساند، خصوصاً مع تواصل الإنتفاضة الفلسطينية التي تشكّل سلاحاً قوياً في يدي الرئيس مبارك، يكسب كثيراً من يجيد إستعماله.

وما هو مطلوب من الرئيس مبارك خصوصاً بعد جولة الخليج المطمئنة له هو إنتفاضة سياسية على إسرائيل من المؤكد أن الرأي العام العربي والدولي مهياً لتقبلها وتفهّم ظروفها بنسبة تقبله وتفهمه لظروف الإنتفاضة الفلسطينية التي لا تستهدف في أي حال إسرائيل الدولة وإنما إسرائيل الإحتلال.

مجلة "التضامن". لندن - 16 كانون الثاني (يناير) 1988

جيل الأحفاد البريطاني

ينصف جيل الأحفاد الفلسطيني

مصادفة؟

أم أن الأمر أكثر من ذلك؟

والمصادفة هي أن الجيل الذي يجوز إعتباره جيل الأحفاد في بريطانيا، هو الجيل الذي يقول كلمة حق في أحوال الجيل الذي يجوز إعتباره جيل الأحفاد في فلسطين والذي يخوض منذ شهر أرقى عملية إحتجاج ضد الإحتلال الإسرائيلي.

وزيادة في التوضيح يمكن القول إن وزير الدولة البريطاني للشؤون الخارجية ديفيد ميللور هو رمز جيل الأحفاد البريطاني، وأن بولين كاتينغ هي أيضاً رمز هذا الجيل، مثلما أن المغني بوب غيلدوف هو رمز أيضاً مع الفارق أن غيلدوف قاد معركة ضد الجوع في أفريقيا وربح بعض

الجلات.

وعندما يقوم ميللور بزيارة إلى مخيم جباليا ويقول كلمة الحق التي قالها في أحوال الناس في هذا المخيم، فهذا معناه أن المسؤول البريطاني يحاول تصحيح خطأ تاريخي إرتكبه جيل الأجداد بشخص اللورد بلفور.

وعندما تُقرر بولين كاتينغ البقاء في مخيم شاتيل مع سكانه الذين تعرضوا لأبشع حالة حصار وتداوي كطبيبة هذا الطفل أو ذلك العجوز أو تلك السيدة الحامل، فإنها من دون أن تصرح بشيء كانت تتصرف على أساس أنها رمز الأحماد وأنها تحاول تصحيح خطأ تاريخي إرتكبه جيل الأجداد بشخص اللورد بلفور. وعندما يقوم بوب غيلدوف بمعركته ضد الجوع في أفريقيا فعلى أساس أن الأجداد الذين حصلوا على مكاسب وفيرة لبريطانيا من أراضي وخيرات أفريقيا يتحملون وزر أحوال أفريقيا الآن.

وحتى عندما عالجت الحكومة البريطانية الفتى الفلسطيني بلال ورفيقه سمير، وكلاهما من ضحايا حالة الحصار الذي عاشته الدكتور بولين كاتينغ بنقاصيله المأساوية فإن هذه الحكومة كانت تحاول أن تصحح خطأ الماضي.

وحتى الآن إن تصحيح الخطأ يتم في الإطار الإنساني ولم يدخل بعد في المدار السياسي. ولكن ذلك ليس بالأمر السهل على إسرائيل تحمله.

واللافت للإنتباه أن إسرائيل أقامت الدنيا ولن تقعدا لأن وزير الدولة البريطاني للشؤون الخارجية قال بعدما تجول في مخيم جباليا "إن الأحوال المعيشية في المخيم فظيعة وغير إنسانية وإهانة للمبادئ الحضارية وأتحدى أي أحد أن يأتي إلى هنا ولا يُصدم".

وهذا القول يبدو عادياً وأمرأً بدهياً وأن في إستطاعة كل من يزور المخيم أو أي مخيمات أخرى من البريطانيين أن يخرج بالإنطباع نفسه الذي خرج به الوزير البريطاني. لكن القول لا يعود عادياً عندما يصدر عن مسؤول بريطاني، وذلك لأن إسرائيل تدرك تماماً عمق التحول في الرأي العام الدولي عندما تتم مخاطبته من زاوية إنسانية، وتدرك أيضاً أن وسائل الإعلام من صحف وإذاعة وتلفزيون قد تتجاهل أي أحداث أو مناسبات لكنها - وبالتحديد هنا وسائل الإعلام البريطانية - لا تستطيع تجاهل تصريحات يدلي بها مسؤول في الحكومة، وتدرك أيضاً وأيضاً أن المواقع التي كسبتها لدى الرأي العام الدولي إنما كسبتها من زاوية إنسانية وإعلامية حيث إن وسائل الإعلام على أنواعها زرعت في أذهان الرأي العام صوراً مأساوية عن أفران الغاز ومعسكرات الإعتقال

النازية التي قاسى منها اليهود الكثير.

وإلى ذلك إن إسرائيل تترك أنه عندما يثير المسألة الإنسانية من خلال الحديث عن الأحوال المعيشية للفلسطينيين في المخيمات مسؤول، وبريطاني، ويشغل منصب وزير الدولة للشؤون الخارجية، وإسمه ديفيد، وشاب، وفي حكومة المحافظين، فإن هذا يعني أن كلامه سيكون موضع تأمل من قبل دول الغرب عموماً ومن التيار العاقل بين يهود العالم فضلاً عن أنه سيجعل حجة يهود بريطانيا أقل تأثير، بل ربما يجعل كثيرين منهم يتحولون إلى داعمين للفكرة المطروحة قيد البحث وبحيوية ملحوظة ونعني بها فكرة حكومة المنفى.

وهذه الحكومة في حال إنشائها كما هو متوقع ستشكل (على رغم تأخر ولادتها عشر سنين على الأقل) إضافة إلى أجواء التصحيح التي يبدو أن بريطانيا لن تتوانى عن القيام بها، من شأنها أن تُطمئن يهود العالم حيثما وجدوا إلى مسألة بقاء الأمن.

ولكن ذلك لا يعني أن أجواء التصحيح ليست معرضة لإنتكاسة في شكل أو آخر.

وتبقى ثلاثة أمور:

● الأول هو أن أسلوب التفاهم بين الأحماد المعنيين بتصحيح الوضع الكثير التشابك للقضية الفلسطينية يبدو للمرة الأولى على شيء من التجانس.

أسلوب الأحماد الفلسطينيين إحتجاجي ويتم التعبير عنه بأسلوب يقره العقل الغربي ويتقبله وهو أسلوب التظاهر والإحتجاج والرجم، وليس أسلوب خطف طائرة أحياناً أو خطف باخرة أحياناً أخرى، أو تفجير معبد أو هجوم على ركاب ينتظرون في مطار موعد إقلاع طائرتهم. وأسلوب العنف والخطف كانت له ظروفه إنما لم يأت مردوده لمصلحة الفلسطينيين.

وأسلوب الأحماد البريطانيين هادئ وشجاع وتلقائي، وهذا ما تمثل بالموقف الذي إتخذه وزير الدولة للشؤون الخارجية البريطاني ديفيد ميللور والموقف الذي إتخذته الطيبة البريطانية بولين كاتينغ. وهذان الموقفان سيسقطبان الكثيرين لأنه ليس هنالك من لا يسمع شكوى إذا كان هذا السامع عادلاً وغير منحاز.

● والأمر الثاني هو أن الموقف الذي إتخذه وزير الدولة البريطاني يلتقي مع ما يتمناه الحكام العرب من بريطانيا. وكثيراً ما عبّر هؤلاء للحكومة البريطانية عن تمنياتهم بأن يحدث نوع من التصحيح للموقف البريطاني

درس من موسكو برسم الحُكم الإيراني

(ما أكثر العِبرَ وأقل الإعتبار)

"الإمام علي عليه السلام"

من موسكو يأتي هذا الدرس الذي له دلالاته الكبرى. والدرس يتمثل في تصريح منسوب إلى رئيس أركان الجيش السوفيياتي سيرجي أخروميف ويقل فيه إن الإتحاد السوفيياتي ليس فقط مستعداً لسحب قواته من أفغانستان، بل أيضاً لسحب المدافع والدبابات السوفيياتية التي لن يتركها للجيش الأفغاني.

والى ذلك إن هذا الكلام عندما يأتي من مسؤول عسكري ومن رئيس الأركان وليس من ناطق بإسم الجيش السوفيياتي فهذا معناه أن الأمر على درجة عالية من الجدية.

واللافت للإنتباه أن التصريح جاء في سياق مؤتمر صحفي عقده رئيس الأركان يوم السبت 1988/1/16. وهو لفت للإنتباه لأنه منذ زمن بعيد لم نسمع بأن رئيس الأركان السوفيياتي يدلي بتصريحات أو يعقد مؤتمرات صحفية.

وأغلب الظن أن الحرص على أن يكون رئيس الأركان هو الذي يعلن أن الإنسحاب السوفيياتي من أفغانستان سيكون شاملاً، وأن القوات السوفيياتية عندما تتسحب لن تترك الدبابات والمدافع للجيش الأفغاني، إنما هو لقطع الطريق على أي تفسيرات، ولتطمين كل الأطراف والتأكيد لها بأن الإتحاد السوفيياتي قرر وبشكل نهائي إنهاء دوره العسكري في أفغانستان.

ولو أن الذي عقد المؤتمر الصحفي، وأدلى بالتصريح المشار إليه كان المندوب السوفيياتي في الأمم المتحدة، أو الناطق بإسم الخارجية لكان سيبقي هنالك مجالاً للتكهن وللتساؤلات، لكن المؤسسة العسكرية السوفيياتية أعلنت بحسم عما تريد أن تقوم به وبما لا يترك مجالاً للشكوك على الإطلاق.

ومن المؤكد أن هذه التصريحات لرئيس الأركان السوفيياتي أحدثت إرتياحاً في نفوس العسكريين السوفييات الذين لا يريدون للدور الذي يقومون به في أفغانستان أن يستمر، لأنه دور يشوه التحول الذي يقوم به رئيسهم ميخائيل غورباتشوف نحو وفاق مع العالم. كما أن التصريحات أحدثت إرتياحاً في نفوس أهالي العسكريين

الذي أجاز تسليم فلسطين لليهود ومن هنا فإنه إذا كُتب لهذا الموقف أن ينلم من محاولات تشويهه من قبل إسرائيل، فإنه سيصبح موقفاً بريطانياً ثابتاً ويشكل الحد الأدنى القابل للتطوير.

وقياساً بإمكانات إسرائيل في الأوساط الدولية فإن الموقف الذي إتخذه الوزير البريطاني قد يتعرض لإنتكاسة أو قد يصيبه ما أصاب فالدهايم الذي إستطاع أن يهزم بصحة أبناء شعبه محاولات إسرائيل لعدم تمكينه من الفوز برئاسة النمسا.

ومن المؤكد أنه إذا كُتب للموقف الذي إتخذه ديفيد ميللور أن ينجو من المكائد الإسرائيلية فإن العلاقات العربية - البريطانية ستشهد نمواً بالغ الأهمية في التسعينات ويكون الفضل في ذلك لجيل الأحفاد الذين أتعب ضميرهم موقف أجدادهم.

● أما الأمر الثالث فهو أن هذا التزامن بين ثورة الأحفاد الفلسطينيين والموقف البريطاني بزاويته الإنسانية، والإيقاع السريع للحديث حول حكومة المنفى الفلسطينية... إن هذا التزامن يعيد إلى الأذهان ما سبق أن حدث في عدن عندما إنتهت حالة إحتجاج مماثلة حدثت فيها إلى الإستقلال وإنسحاب بريطانيا وتسلم الحُكم من قبل العناصر الأقل تطرفاً هناك.

يبقى أيضاً أن الموقف الذي إتخذه ديفيد ميللور يستحق كل التقدير، فضلاً عن أنه من النوع الذي لا يمكن الإعتراض عليه. ومن أجل ذلك فإن إعتراضات بعض المسؤولين الإسرائيليين كانت غير مقنعة وبالذات إحتجاجهم على ديفيد ميللور لأنه يفترض أن الإنتداب البريطاني ما زال مستمراً، من دون أن يأخذ هؤلاء في الإعتبار أن دولة إسرائيل قامت بفضل هذا الإنتداب الذي سلم فلسطين تسليم اليد إلى العصابات اليهودية لتتشي وطناً لليهود على حساب حقوق الآخرين.

وتكراراً، إن الأحفاد يقومون بحركة التصحيح. ومن يدرى فقد ينجحون وقد ينتصر هذا التيار شرط أن يسانداه الأحفاد الفلسطينيون الذين يسجلون بإحتجاجهم موقفاً قد يجعل حكومة شامير تسقط. من يدرى؟

مجلة "التضامن". لندن - 16 كانون الثاني (يناير) 1988

* * *

الذين لا يريدون لأبنائهم أن يموتوا في أفغانستان ضحايا حرب لا معنى لها.

وهذه الخطوة الشجاعة تأتي من قبل إحدى الدولتين الكبيرتين في العالم، لا تعني أن هذه الدولة، والتي هي الاتحاد السوفياتي، غير قادرة على أن تواصل الحرب، وإنما لأن القيادة السوفياتية تخطط من أجل وفاق مع العالم ولا تريد لهذه الخطط أن تصطدم بالثغرة التي هي التورط في أفغانستان، فضلاً عن أن هذا التورط هو موضع إستهجان كل دول العالم بما في ذلك الدول الصديقة للاتحاد السوفياتي.

وإذا كانت هذه هي حال الاتحاد السوفياتي فلماذا لا تستفيد إيران من هذا الدرس وتوقف مخططاتها الجهنمي الذي يستهدف الإبقاء على الحرب غير المبررة ضد العراق مشتعلة؟

ولماذا لا يتعظ الذين يحكمون إيران ويتساءلون بينهم وبين أنفسهم عما سيجنونه من هذه الحرب؟ إن الحُكم الإيراني ليس بقوة الحُكم السوفياتي، ومع ذلك فإن الرئيس غورباتشوف قرر أن يتخذ خطوة تاريخية، وها هو بالفعل يتخذها، ويقرر الانسحاب من أفغانستان، بينما الحُكم الإيراني الذي يفترق إلى الخطوات التاريخية يقرر إطلاق صيحات الحرب ضد العراق ويدرب النساء بعدما حصدت هذه الحرب ألوف الرجال.

بل قد يجوز القول إن غورباتشوف يقفل ثغرة التورط في أفغانستان لأنها تورط من جهة، والتورط غير مقبول، ويتطلع من جهة أخرى إلى دور تاريخي والدور التاريخي لأي حاكم يبدأ بإنهاء حرب مشتعلة، بينما الحُكم الإيراني يواصل إشعال الحرب ضد العراق بالرغم من أن هذه الحرب باتت مرفوضة من الجميع باستثناء تجار السلاح. وقد يقال إن غورباتشوف يفعل ذلك بعد مضي ثماني سنوات على التورط السوفياتي في أفغانستان، مستنداً إلى أنه ليس الذي بدأ هذا التورط وإنما هو تركة ثقيلة ورثها من غيره.

وهذا القول صحيح ومعناه بشكل آخر أنه - مع الأسف - لا أمل من الحُكم الإيراني الحالي في أن ينهي موضوع الحرب، وأن هذه الحرب لن تتوقف إلا مع حُكم جديد في إيران يقرر أقطابه أنهم يحلمون بدور تاريخي من نوع الحُلم الذي يتحقق للزعيم السوفياتي غورباتشوف... إلا إذا استطاع الرئيس حافظ الأسد أن يُقنع الذين يحكمون في إيران بأنه عندما تصل المتغيرات في العالم إلى حد أن

المملكة العربية السعودية تبيع القمح إلى الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية، وأن زعيم الاتحاد السوفياتي ميخائيل غورباتشوف يسجل إنحناءة تكتيكية أمام مجاهدي أفغانستان، وأن بضعة مئات من سكان الأرض المحتلة هزوا هيبة إسرائيل وسمعتها بالصبر والحجارة، فإن على الحُكم الإيراني أن يعيد النظر ويبدأ الإعادة بفتح ملف الوفاق في المنطقة بدلاً من الحرب التي هي في عمر التورط السوفياتي في أفغانستان.

مجلة "التضامن". لندن - 23 كانون الثاني (يناير) 1988

* * *

فرصة أخيرة للحل العربي - اليهودي

لشهر الثاني تستمر الإنتفاضة التي حدثت في غزة وبدأت تشهد نمواً ملحوظاً لأن التربة صالحة والبذرة طيبة والحمد لله.

وعندما تتواصل الإنتفاضة كل هذا الوقت فهذا معناه أن الذين يقومون بها صبورون. والصبر إضافة إلى الإرادة والإيمان بالقضية تشكّل العوامل الأساسية في الصمود.

كذلك إنه عندما تتواصل الإنتفاضة فهذا معناه أن أهل غزة، ومن بعدهم على الطريق نفسه وبالعزيمة نفسها بقية أطفال ونساء ورجال مدن الضفة الغربية المحتلة. وربما، من يدري، تتمدد الإنتفاضة بحيث تشمل كل بقعة يسكنها فلسطينيون في المدن والقرى التي تم وضع اليد عليها قبل 1967، وهكذا إلى أن يتحول الفلسطينيون داخل الأراضي المحتلة من تجمعات بشرية تنتظر معجزة الحل من التحرك السياسي والثوري الفلسطيني في الخارج إلى قوة ضغط هائلة لها كلمتها في أمر الحكومة الإسرائيلية، هذا إذا لم نقل إنه قد يصبح لها مع الوقت التأثير في إختيار هذه الحكومة أو تلك.

ومثل هذا الأمر جديد على إسرائيل. ومن المؤكد أنه دلالة سيحسب الإسرائيليون لها ألف حساب، خصوصاً أن إسرائيل تتباهى بأنها طوال ثلاثين سنة إستطاعت التحكم بإيقاع التعامل مع الفلسطينيين في الداخل بحيث أن هؤلاء باتوا متفهمين وأن المشكلة هي - كما يحاولون الإيحاء للغير - في مجموعة فلسطينيين يمتنون "العمل الإرهابي" ويتحركون خارج فلسطين لحساب هذا النظام أو ذاك.

العسكرية الإسرائيلية منذ ثلاثين سنة؟
وأليست هي القادرة أن تضغط وتحول التبرعات إلى دعم
خُطط الحل العربي - اليهودي؟
ولا داعي للإجابة بنعم على أمر محسوم.

مجلة "التضامن". لندن - 30 كانون الثاني (يناير) 1988

* * *

حقوق كأنها الوطن

والإستهانة بها كأنها إحتلال

لم يحدث أن كان هنالك ترحيب شعبي عربي كذلك
الترحيب الذي لقيته القمة الإستثنائية التي جرى عقدها في
عمان يوم 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 1987.

ولقد بات مألوفاً في السنوات الماضية أن المواطن العربي
لا يكتثرب بأي مؤتمر عربي ينعقد، ولا يهتم كثيراً بالقرارات
التي تصدر عنه. وهذه المشاعر ناشئة عن الإعتقاد الذي
ترسّخ يوماً بعد آخر أو مؤتمراً بعد مؤتمر وهو أنه ليس هنالك
جدية وأن العمل العربي هو أدنى بكثير من حجم المخاطر
التي تواجهها الأمة.

وصحيح أن المسيرات لم تنطلق في الشوارع للترحيب
بالمقررات التي إتخذتها القمة العربية الإستثنائية، إلا أنه كان
من الممكن تلمس الترحيب من خلال وجوه الناس التي
إمتلأت إرتياحاً.

وبكثير من التبسيط، يمكن القول إن هذا الإبتهاج العربي
الصامت بالقمة الإستثنائية في عمان لم يأت نتيجة أن هذه
القمة إجتزحت المعجزة وحققت ما لم يستطع مؤتمر أن يحققه
من قبل، وإنما لأنها أوجدت لغة تفاهم وأرضية وفاق في ظل
سماء باتت قابلة لأن تصفو بعدما كانت ملبدة بالغيوم.

ومثل هذا الأمر، يدعو أي مواطن عربي من محيط الأمة
إلى خليجها إلى الإبتهاج. فهو يعرف أن الوفاق العربي معناه
التفاهم، والتفاهم معناه التعاون. وبالتعاون ترول هذه
الإختناقات التي تملأ النفوس. وإلى ذلك إن هذا المواطن
يعرف أن الموقف العربي الواحد سيتحول إلى أداة ضغط من
شأنها أن تضع حداً لكل الإستنزاف الذي يحدث ولكل إستهانة
يمارسها هذا الطرف أو ذاك.

وزيادة في التوضيح، يمكن القول إن النتائج التي أسفرت

وعندما تحدث الإنتفاضة بالشكل الذي حدثت فيه فهذا
معناه أن هيبة إسرائيل ستهتز أمام العالم، وهي إهتزرت
بالفعل، فضلاً عن أن اليهود المنتشرين في دول العالم
الذين كانوا ملتفين بقوة حول المجموعة التي تحكّم في
إسرائيل سيقالون من إلتفافهم وسيترجمون هذا الأمر
بالتقليل من المساعدات التي كانت تعطى على أساس أن
إسرائيل مهددة في حين أنها هي التي تتولى التهديد.

وفي الوقت نفسه إن الإنتفاضة هي، إذا جاز القول،
فرصة من الصعب تعويضها على إسرائيل من أجل حل
عربي - يهودي خصوصاً أنه لا حل من دون الحل الذي
يقوم على التعايش. وهذا الحل بات ممكناً أكثر في ضوء
القبول العربي بمصر على رغم إستمرار تبادلها العلاقات
مع إسرائيل، وبات ممكناً أكثر وأكثر في ضوء شبه الإتفاق
الدولي على حل معظم القضايا العالقة.

وفي الماضي ضاعت على إسرائيل فرصة من النوع
نفسه وتتمثل في مشروع الملك فهد بن عبد العزيز الذي
حظي بإجماع عربي في قمة فاس تماماً مثل الإجماع
العربي حول أهمية الإنتفاضة الفلسطينية الحالية. وقد
تكون إسرائيل لم تتجاوب مع ذلك المشروع على أساس
إطمئنانها إلى أن فلسطينيي الداخل ساكنون من دون أن
يعني سكونهم أنهم راضون، ثم جاءت الإنتفاضة لتؤكد
أنهم ليسوا كذلك على الإطلاق وكأنما هم بهذه الإنتفاضة
يثأرون لأربعين سنة من الإستهانة بمصير شعب وقضية
ووطن.

وببقى أنه إذا كان فلسطينيو الخارج عجلوا بقيام الإنتفاضة
فإن فلسطينيي الداخل عجلوا من خلال الإنتفاضة بتحريك
فكرة حكومة المنفى. ولعل هذه الفكرة هي إحدى النتائج
اللملموسة التي عاد بها الرئيس حسني مبارك من جولته
الخليجية ومن لقائه مع الرئيس صدام حسين ويأسر عرفات
ثم الملك حسين. وهو عندما إلتقى في القاهرة يوم الثلاثاء
(19/1/1988) برؤساء المنظمات اليهودية في الولايات
المتحدة بدا كمن يقول لهؤلاء قبل أيام من زيارته الرسمية إلى
الولايات المتحدة: هذه ليست فقط فرصة مثالية للحل العربي
- اليهودي وإنما هي الفرصة الأخيرة.

وإذا إقتنعت هذه المنظمات بما يراه الرئيس مبارك في
ضوء جولته الخليجية وفي ضوء لقائه مع الرئيس صدام
حسين ويأسر عرفات والملك حسين، فإنها قادرة على أن
تضغط.

أليست هذه المنظمات هي التي تغذي بالتبرعات الآلة

اللحظة تاريخية... والتعامل مجاملة

دخلت الإنتفاضة الفلسطينية شهرها الثالث ولكن مع الأسف الشديد ما زالت معظم الأنظمة العربية وأكثرية التنظيمات الفلسطينية لا تتعامل مع هذه الإنتفاضة على أنها لحظة تاريخية من نوع اللحظات التي ربما لا تتكرر.

أما المواطن العادي فإنه أفضل حالاً في تعامله، حيث إنه يتابع تطورات هذه الإنتفاضة بلهفة ويقرأ عنها بشغف، وينتظر بفارغ الصبر مواعيد النشرات الإخبارية في التلفزيون ليتأمل بكثير من التنبه بطولات أبناء غزة والضفة الغربية. وهو عندما يفعل ذلك يصلي في قرارة نفسه من أجل ألا يصيب الملل هؤلاء الذين يحققون بالإنتفاضة عملاً عظيماً وينسجون أسطورة من نوع تلك الأسطورة التي إرتبطت بالفيتناميين. وعندما نتأمل في الصور التي تمثل فتى يتصدى للهليكوبتر الإسرائيلية، وللمصفحة الإسرائيلية بـ "الثقيفه" كما يسمونها في لبنان أو "النبلة" كما يسمونها في مصر أو "المضايقة" كما يسمونها في العراق أو "الشديدة" كما يسمونها في غزة أو "النقافة" كما يسمونها في الضفة الغربية... فإن الذاكرة تعود بنا إلى أيام كان الفتية الفيتناميون يتصدون لطائرات الهليكوبتر الأمريكية المغيرة عليهم بالحبال التي يحولونها إلى كمائن يعلقونها بين الأشجار ويصطادون بها الطائرات الأميركية.

ولولا أن المواطن العربي ليس مطحوناً من كثرة الهموم والمشاكل التي يعيشها لكان أعطى بعض الأنظمة وأكثرية التنظيمات الفلسطينية أمثلة في كيفية التعامل مع الإنتفاضة على أنها لحظة تاريخية. لكن الهموم والمشاكل أخذت من هذا المواطن حماسه وعافيته فما عاد يجد الحيوية الكافية بإنتفاضة الجيل الفلسطيني الثالث من أجيال النكبة في غزة وبعض مدن الضفة الغربية المحتلة، ولدعم هذه الإنتفاضة بالشكل المطلوب. وهناك مثل شعبي شائع يقول: "كل واحد همه على قده" أي أن الهم الذي يشكو منه مواطن ما كبير جداً عليه وأكبر من قدرته على تحمّله، وإن بدا أن هذا الهم بسيط أمام هموم الآخرين.

وقد يكون هذا البرود في التعامل من جانب بعض الأنظمة ناشئاً عن أن هذه الأنظمة عندها من المشاكل ما يكفيها، وأن هذه الأنظمة إزاء ذلك باتت تميل نحو الإهتمامات القُطرية، فضلاً عن أن هذه الأنظمة، أو

عنها القمة العربية الإستثنائية كانت المطالب التي إستجاب إليها الملوك والرؤساء، الذين إجتمعوا في عمان، أما الذين تقدموا بهذه المطالب فهم الملايين العربية من المحيط إلى الخليج بل إنهم المواطنون العرب، وقد تقدموا بالمطالب، وبالإجماع، من خلال الأئين والشكوى والعذاب الذي يكاد يخنق الأنفاس.

من أجل ذلك فإن قرارات القمة الإستثنائية في عمان لم تعد مُلك أنظمة ولم تعد بالتالي قابلة لمن يريد أن يخرج عنها لسبب أو آخر. الشيء الوحيد المقبول هو تنفيذها أو إضافة المزيد من الإيجابية إليها.

إن تلك القرارات هي مُلك الإنسان العربي، حيث كان يعيش. إنها حقه. وإنها الحد الأدنى الذي يرفض التنازل عنه. وقد يطيب للبعض أن يتعامل مع هذا الحق بإستهانة ولا يحترم مالكها. وفي مثل هذه الإستهانة تصبح الحقوق كأنها الوطن ويصبح المتعامل معها بإستهانة كأنه إحتلال.

وأغلب الظن أن الإنسان العربي، الذي يتابع بأعصاب تحترق محاولات وضّع اليد على الحد الأدنى من حقه الذي يملكه والذي يتمثل في قرارات القمة العربية الإستثنائية في عمان لا يمكن أن يسكت.

... ولا بد أنه تعلّم من أبناء غزة وبعض مدن الضفة الغربية المحتلة درساً في أصول التعامل مع من يسلب حقوق الآخرين، وخصوصاً الحد الأدنى من هذه الحقوق.

وتكراراً إن مقررات القمة الإستثنائية هي نافذة صغيرة يمكن أن تقود إلى آفاق أرحب. وهي مقررات تم إتخاذها بفعل الضيق العربي الصامت، ومن أجل ذلك فإن الإستهانة بها قد تجعل الضيق يتجبر غضباً عربياً لا يرحم من يستهين أياً كانت مبررات الإستهانة.

ويبقى أن هذا الكلام قد يبدو ضيقاً لفظياً. ولكن الحقيقة ليست كذلك... إذ من كان يتصور أن يتحول الغضب الذي إنطلق من غزة إلى فيلم إحتجاجي فلسطيني طويل؟

وهذا الفيلم قد يكون نموذجاً لمن يريد أن يقلّد أو يقتبس. ومن المؤكد أن الموعد مع ذلك ليس بعيداً.

والمعذرة من قارئ "التضامن" لأن التوضيح لم يصل إلى حد تسمية الأشياء بأسمائها.

مجلة "التضامن". لندن - 6 شباط (فبراير) 1988

* * *

بعضها، تنتظر أن توضح القيادة الفلسطينية بشخص المنظمة التي تمثل الشرعية، حقيقة مشاعرهما تجاه الإنتفاضة، بحيث لا يبدو موقف الأنظمة هذه أنه بمثابة التقليل من المساندة المعنوية والمالية للمنظمة، ولا يبدو كذلك إنه نوع من أنواع المزايدة على المنظمة في حال أن هذه الأنظمة عبّرت عن موقف تجاه الإنتفاضة يكون أكثر تعاطفاً ودفناً من مواقف المنظمة والتنظيمات الفلسطينية.

وحتى الآن يجوز القول إن مواقف الأنظمة وبعض التنظيمات إزاء الإنتفاضة تغلب عليها المجاملة ولا يتم التعامل معها على ما يتمنى الإنسان العربي أن يكون عليه التعامل. بل قد يجوز القول أيضاً إن هذه المواقف هي أعلى من الترحيب بقليل، وأدنى بكثير من التعامل مع الإنتفاضة على أنها لحظة تاريخية.

وقد يقال: وما هو المطلوب وكيف يكون التعامل؟ والرد على ذلك هو عند أصحاب المواقف الذين لا توحى مواقفهم بأنهم يرون في الإنتفاضة لحظة تاريخية، أو إن رد فعلهم فاتر لأنهم يرونها كذلك.

وتبقى حقيقتان أساسيتان: الأولى مهمة والثانية أهم. أما الحقيقة المهمة فهي إن في هذه الإنتفاضة ملامح جديدة للمناضل الفلسطيني الذي يحمل علم فلسطين بدل الصور، ويستعمل الحجارة بدل الكلاشينكوف ويعبّر بالأسلوب الذي يشد أنظار العالم، وهذا يعني أن كل فتى فلسطيني من الجيل الثالث للنكبة مدرب ما دام سلاحه الحجر، وكل فلسطينية من الجيل نفسه يمكن أن تقاتل ما دام المطلوب إقتلاع حجر ورمي المحتلين به.

وأما الحقيقة الأساسية الأهم فهي أنه مع دخول الإنتفاضة شهرها الثالث فإن مصير الثورة الفلسطينية بات مطروحاً للمناقشة، بمعنى هل إن هذه الإنتفاضة ستؤكد أن الحل هو في العمل النضالي الذي يحدث في الداخل مثل ما حدث في الجزائر، وفي العراق، وفي عدن، وفي بعض دول العالم، أم إن الحل هو في ثورة على طريقة الثورة البلشفية؟ وفي هذه الحال يكون الأخ أبو عمار مثل لينين مع فارق التوجه المذهبي، ويكون رفاق أبو عمار سواء الذين معه وحوله، أو الذين يتحاملون عليه، أو الذين يقفون في الوسط، مثل رفاق لينين الذين دخلوا روسيا وتسلموا الحكم معه.

ومرة أخرى إن الإنتفاضة هي لحظة تاريخية، وهي إنتفاضة لن يكون من السهل إجهاضها بعدما دخلت الشهر الثالث وفتيها الذين آمنوا بقضيتهم أكثر إستعداداً

للمثابرة والصبر وإقتلاع الحجارة.

... وتلك أسلحة ثلاثة أدخلت تعديلاً جذرياً على مسألة التوازن الإستراتيجي في المنطقة بحيث إن الحديث حول هذا التوازن لا يمكن أن يُسقط من الإعتبار مفاجأة الجيل الثالث للنكبة... التي لن تستمر بإذن الله.

مجلة "التضامن". لندن - 13 شباط (فبراير) 1988

* * *

عدم الإنحياز إلى العرب

بعد الآن لا ضرورة لإضاعة الوقت في إنتظار تبدل الموقف الأميركي، ولا ضرورة لإضاعة الوقت في إنتظار مفاجآت أميركية.

ما يمكن أن تقدّمه الإدارة الأميركية الحالية، أي إدارة الرئيس ريغان قدّمته، وما يمكن أن تفعله هذه الإدارة فعلته. أما المتبقي من قضايا عالقة فهو متروك للإدارة الجديدة بمعنى أن هذه القضايا ستستمر عالقة لعشرين شهراً على الأقل تكون الإدارة الجديدة خلال هذه المدة إستقرت وربّبت ملفات القضايا وباتت مستعدة لتنفيذ الخطوات المطلوبة خطوة بعد خطوة.

إن الولايات المتحدة غارقة إلى أذنيها ومنذ بضعة أسابيع في حُمى المعركة الإنتخابية وهي قد تكون حامية الوطيس أكثر من أي معركة مضت، ذلك أن رئيس أميركا للسنوات المقبلة سيحكم وهو مرتاح البال من كوابيس الصراع الأميركي - السوفييتي، التي يمكن أن تتضاءل مع إنتهاء أعمال القمة الثالثة للرئيسين ريغان وغورباتشوف في موسكو بعد أسابيع. وعندما يحكم الرئيس الأميركي وهو مرتاح البال من كوابيس الصراع فهذا معناه أن فترة حُكمه ستكون أكثر إزدهاراً، وقد تطول فترة حُكم الرئيس بحيث تمتد إلى نهاية القرن العشرين هذا إذا كان الرئيس الذي سيحكم في السن التي تتيح له ذلك.

إزاء ذلك ما هو المطلوب منا نحن العرب، خصوصاً أن أكثر القضايا العالقة والمطروحة برسم إيجاد حل من الولايات المتحدة هي قضايا لنا علاقة فيها بشكل أو آخر... من الوضع في لبنان، إلى الحرب العراقية - الإيرانية، إلى القضية الفلسطينية، إلى مؤشرات المجاعة التي قد تدهم بعض الدول العربية - الأفريقية في أي

وقت؟

غير يهود.

ويبقى أن النقاط الأربع تنطبق، في شكل أو آخر، على الدول العربية من المحيط إلى الخليج مع بعض الاستثناءات، ولعلها النقاط التي لا تحتاج إلى مؤتمر قمة لكي يناقشها ويقرها، وفي إستطاعة كل دولة أن تعتمد ما من خلال قرار له طابع السيادة.

وإذا حدث ذلك فإن الوفاق الإقليمي المطلوب يتحقق مع الوفاق الدولي الذي يبدو أن العالم على موعد معه بعد أسابيع من خلال القمة التي ستجتمع الرئيسين ريغان وغورباتشوف، وهي قمة عصر الواقعية في العالم.

مجلة "التضامن". لندن - 20 شباط (فبراير) 1988

* * *

أخبار سارة حول المنطقة وحرب الخليج

عندما يذكر أحدهم كلمة جنيف، فإن هذه المدينة الكثيرة الهدوء، الرابضة في سلام حول بحيرة تكون جميلة صيفاً وأكثر جمالاً في فصل الشتاء، تعني الطمأنينة الدولية، وتعني الحياد، وتعني ضرورة حل المشاكل العالقة. أما لماذا تعني ذلك فلأن الدول الكبرى تتخذ عادة من جنيف المدينة التي يصلح فيها السعي وراء الكواليس لإيجاد حلول، أو لترتيب لقاءات دولية.

وبالنسبة إلى الوفاق الأميركي - السوفياتي الجديد، فإن هذا الوفاق، الذي بات على أهبة أن يصبح حقيقة، مدين لجنيف بالكثير. فكم من لقاء تم فيها. وكم من تذليل عقبات أمكن الجانبان الأميركي والسوفياتي تحقيقه من خلال لقاء داخل غرف تطل شرفاتها على البحيرة الجميلة وعلى الجبال الأكثر جمالاً.

وفي جنيف تتوافر، ومن دون ضجيج، المعلومات التي لا تتوافر في غيرها، والتي تتحول بعد نشرها إلى أحداث في منتهى الأهمية.

ولقد أمكنني يومي 15 و16 شباط (فبراير) 1988 أن أجمع بعض المعلومات المتعلقة بالوفاق الدولي، ومشاكل المنطقة العربية، والوضع في الخليج، وحول الحرب العراقية - الإيرانية.

ومع أنه ليس من عادتي أن أطلق نعتاً على المعلومات، وأتقاضي، قدر الإمكان، عنصر الإثارة،

المطلوب هو التأهب لأسلوب تعامل جديد مع الإدارة الأميركية التي ستخلف إدارة الرئيس ريغان. أسلوب يأخذ في الاعتبار أنه في ضوء الوفاق الأميركي - السوفياتي الذي سيتم تثبيت أسسه في القمة المقبلة في موسكو لم يعد مفيداً على الإطلاق ممارسة لعبة الصراع بين القوتين العظميين، ولا حتى اعتماد سياسة عدم الإنحياز إلى إحداهما في سبيل الحصول على مطالب من الأخرى. بل قد يجوز القول إن القوتين العظميين بالوفاق الذي سيتم تثبيت أسسه هما اللتان إختارتا عدم الإنحياز إلينا كما كان الأمر في الماضي.

وإذا كانت تلك هي الحال فما هو البديل إذاً كأسلوب تعامل؟

والرد على ذلك هو أن الوفاق الإقليمي هو البديل وهو ما يمكن أن يواكب الوفاق الدولي. ومن الطبيعي أنه عندما ستقرر القمة الدولية في موسكو بين الرئيسين ريغان وغورباتشوف ولادة وفاق مرحلة ما تبقى من سنوات القرن العشرين، فهذا معناه أن حالات عدم الوفاق في العالم لا يعود وارداً للترحيب بها ولا تشجيع إستمرارها.

ومن هنا فإن من يتطلع (والمقصود هنا الحكام العرب) إلى علاقة مستقرة مع كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بعد الآن، عليه أن يأخذ في الاعتبار أن الطريق إلى هذه العلاقة تتطلب الآتي:

أولاً - أن يعتبر الاتحاد السوفياتي مثله مثل الولايات المتحدة، دولة عادية كبرى لا يجوز إقامة علاقة مع واحدة وعدم إقامة علاقة مع الأخرى ما دامت إنتهت مرحلة الصراع بين الدولتين. وفي الوقت نفسه أن يعتبر الذين لهم رأي كثير الحدة في أميركا أن بوابة التقدم التقني والإزدهار الإقتصادي تكون بإعتبار الولايات المتحدة دولة من الضروري تعميق العلاقات معها.

ثانياً - أن يؤكد قدرته على تحقيق الإستقرار وفتح بعض النوافذ في مجال تعدد الرأي وتنويع الوجوه في مواقع المسؤولية.

ثالثاً - أن يكون هنالك إقتناع بأن الواقعية في النظرة إلى التعامل مع القوى الكبرى يجب أن تكون شعار مرحلة، وليست خطوة تكتيكية.

رابعاً - أن يشجع خطوات الحوار الفلسطيني - اليهودي، وهو حوار مطلوب، وسيكون في ضوء الإنتفاضة الفلسطينية موضع ترحيب الرأي العام الدولي من يهود أو

إلا أنني بالنسبة إلى هذه المعلومات المنشورة هنا أجد نفسي أشدد على أن هذه المعلومات مؤكدة، فضلاً عن أنها خاصة.

المعلومات مصادرها أطراف دولية ذات شأن. بل قد يجوز القول إن هذه المعلومات من مصدرين، مصدر أميركي، ومصدر سوفياتي. والمصدران رسميان.

كان لابد من هذا التقديم، أو فلنقل التوضيح، قبل أن أسجل المعلومات بشكل نقاط وملاحظات سريعة على النحو الآتي:

■ إتفقت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي على حل المشاكل العالقة في العالم خطوة - خطوة.

■ إن مدخل الاتفاق هو أفغانستان. ولقد تم الاتفاق نهائياً على هذا الأمر، حيث أن الاتحاد السوفياتي قرر أن ينجز الإنسحاب من أفغانستان في فترة لا تتجاوز العشرة أشهر، بحيث لا يبقى جندي سوفياتي واحد بعد هذه الفترة. وسيبدأ الإنسحاب في منتصف أيار (مايو) المقبل، وهنالك احتمال بأن يفاجئ الرئيس غورباتشوف العالم بإختصار الفترة الزمنية بحيث تكون أقل من عشرة أشهر.

■ إن الزعيم السوفياتي يشعر أن العالم يحتاج إلى أن يؤكد الاتحاد السوفياتي صدق توجهه الجديد، وأنه من أجل المصادقية ليس هنالك ما يمنع تحقيق إنسحاب القوات السوفياتية في ثمانية أشهر، أو أكثر قليلاً، إنما قبل إنقضاء اليوم الأخير من الأشهر العشرة المتفق عليها.

■ هنالك إتفاق على أن يكون العام 1989 هو عام حل جميع المشاكل الإقليمية. ومع أن الأولويات في نظر الجانب الأميركي ليست نفسها في نظر الجانب السوفياتي، إلا أن مثل هذا الأمر ليس مشكلة.

وبالنسبة إلى الجانب السوفياتي فإنه يرى أهمية المشاكل الإقليمية العالقة على النحو الآتي:

- أفغانستان.
- الحرب الإيرانية - العراقية (هكذا سمى المصدر الحرب ولم يقل: الحرب العراقية - الإيرانية).
- الصراع العربي - الإسرائيلي.
- نيكاراغوا.
- كمبوديا.

■ اللافت للانتباه أن الوضع في لبنان ليس من المشاكل الملحة، لكن المصدرين أشارا إلى أن تجربة

الإنسحاب السوفياتي المؤكد والسريع من أفغانستان، ستجعل الأطراف الأخرى التي لها قوات خارج دولها (سوريا وإسرائيل) تسحب هذه القوات وتترك للشعب اللبناني يقرر بنفسه ما يراه مناسباً له، ومنسجماً مع أجواء الوفاق الدولي الجديد.

■ في هذا الإطار تم تحديد حجم الدور السوري في المنطقة وفي لبنان كما تراه الولايات المتحدة. وحتى الآن مازال الحُكم السوري يأمل أن يكون الدور أكبر، وإن كانت هنالك مؤشرات تؤكد أن ما تم تحديده وعرضه من جانب الولايات المتحدة على الحُكم السوري هو الحد الأقصى.

■ كان لقاء القمة الماضي في واشنطن، بين الرئيسين غورباتشوف وريغان لقاء التفاهم على الأسس بالنسبة إلى المشاكل الإقليمية العالقة. وسيكون لقاء القمة المقبل في موسكو لقاء مباشرة تنفيذ الحل خطوة - خطوة.

■ سوف تتعقد خلال الشهر المقبل آذار (مارس) 1988 مفاوضات أميركية - سوفياتية في جنيف لتوقيع خمس وثائق تتعلق بحل المشكلة الأفغانستانية، وتنظيم العلاقات الأفغانستانية - الباكستانية. (كرر المصدران كل بطريقته ومن وجهة نظره أنه إذا كانت إسرائيل بالنسبة إلى لبنان مثل الاتحاد السوفياتي بالنسبة إلى أفغانستان، وكانت باكستان مثل سوريا بالنسبة إلى لبنان، فإن إتفاق الجانبين الأميركي - والسوفياتي سيكون رسالة إلى كل من إسرائيل وسوريا).

■ بالنسبة إلى الحرب العراقية - الإيرانية يبدو الطرفان السوفياتي والأميركي متفقين على أن الوفاق يتطلب إزالة الألغام التي قد يتسبب انفجار أحدها مستقبلاً في هرّ أسس الوفاق. ويبدو اللغم الإيراني هو اللغم الأكثر خطورة.

ويبدو الطرفان السوفياتي والأميركي وقد إقتربا أكثر من وجهة نظر خلاصتها، إنه لا أمل في تبدل الموقف الإيراني، وإن الدول الكبرى لا تستطيع أن تجلس في إنتظار وفاة الخميني، الذي يحول دون تحقيق أي تقدم على صعيد إيجاد حل للحرب.

ويشير الطرفان في هذا الصدد إلى أنه قبل أن يتم حسم أمر الوفاق الدولي الجديد، كان يجوز إبقاء هامش المرونة واسعاً. لكن عندما تصبح المرونة عنصراً معوقاً للوفاق فإن الأمر يتطلب حسماً سريعاً.

الصين أنها تفعل ذلك، وأن المسؤولين الصينيين عندما رأوا الصور لاذوا بالصمت.

■ يشدد الجانب السوفياتي منذ أيام على التأكيد بأنه يقف في خندق واحد مع العراق، وأن الموقف الماضي من القرار 598، إستههدف فقط محاولة إقناع إيران بالقبول.

■ يتفق الجانبان السوفياتي والأميركي على ضرورة التفاوض مادام تم تحديد سقف زمني للإتفاق وهو عشرة أشهر تكون خلالها القوات السوفياتية أكملت إنسحابها من أفغانستان.

ويتفقان أيضاً على أن فرص الحل للحرب العراقية - الإيرانية باتت أكثر توافراً مادامت الدول دائمة العضوية قررت وبشكل حاسم أنها لن تستعمل الفيتو بعد الآن عند التصويت على قرار فرض العقوبات.

■ يتفق الجانبان السوفياتي والأميركي أيضاً على أنه لا بد لمنطقة الخليج من أن تستقر. وفي حين يرى الجانب السوفياتي أن إيران باتت عبئاً فإن الجانب الأميركي يذهب أبعد من ذلك ليقول إن الإستقرار في منطقة الشرق الأوسط عموماً يكون في علاقات مصرية - سعودية - عراقية متميزة، وإن هذه الدول الثلاث هي مفاتيح المنطقة. (للمرة الأولى لا تكون إيران من وجهة نظر الولايات المتحدة بين هذه الدول. كذلك للمرة الأولى يتم مثل هذا التحديد الخالي من إشارة إلى سوريا كدولة تشارك في تحقيق الإستقرار). ومثل هذه النظرة الجديدة من جانب الولايات المتحدة إلى دول الإستقرار معنا إسقاط نظرية كيسينجر التي تقوم على أن إيران هي الثمرة الإستراتيجية للولايات المتحدة.

■ وفي الإطار نفسه يرى الجانب الأميركي أن العلاقة الحالية بين مصر والسعودية والعراق تؤكد أن كفة تأمين الإستقرار، وخصوصاً بعد عودة العلاقات مع مصر هي الراجحة، وهو أمر سيحاول الجانب السوفياتي التعامل معه وليس الإحتكاك به مباشرة أو بشكل غير مباشر.

■ بالنسبة إلى الإنتفاضة الفلسطينية يرى الجانب الأميركي أن التقارير أظهرت أن إسرائيل لم تستطع بعد أربعين سنة على نشوئها، تكوين عوامل إستقلالها الذاتي، وأنها باتت تورط الولايات المتحدة في مواقف خطيرة (إشارة إلى إيران غيت). وفي ضوء ذلك فإن

كذلك يشير الطرفان إلى أن الدول الصغرى قد يجوز للأقدار أن تلعب دوراً في قراراتها ومصائرهما، بمعنى أنها تنتظر سنوات وفاة زعيم ما (يقصدان الخميني) لكن الدول الكبرى لا تؤمن بذلك، ولا تسمح لقرار كبير على صعيد التعايش أن يتأثر على الإطلاق.

■ بات الشعور السائد لدى القيادتين السوفياتية والأميركية أن إيران ورقة خاسرة، وأنه إذا كان في إستطاعة العراق أن يصمد ثماني سنوات، فإن في إستطاعته أن يصمد 18 سنة أيضاً، مادام إخترق حاجز المزاج العربي النفسي. وبموجب هذا المزاج فإن أي صمود بعد مرور شهر على المواجهة يصبح معناه قدرة جيدة على المزيد من الصمود.

ولم يعد ينظر الجانبان السوفياتي والأميركي إلى موقف إيران على أنه صمود، وإنما حالة عناد ناشئة عن شعور مؤكد بأن مجرد وقف الحرب يعني خروج العراق منتصراً، ويعني عدم قدرة الثورة في إيران على الإستمرار.

■ يرى الإتحاد السوفياتي أن موقفه من قرار مجلس الأمن رقم 598 لم يعد كما كان في الماضي، وإن محاولته لإقناع الحُكم الإيراني بالقرار لم تثمر، ويأسف لأن هذا الحُكم أضعاف الفرصة السوفياتية.

وأبلغ الإتحاد السوفياتي موقفه الجديد إلى الولايات المتحدة وإلى العراق أيضاً. وزاد في معرض التوضيح للجانب العراقي القول إنه بات مستعداً للتصويت على قرار فرض العقوبات.

■ في هذا الإطار يرى الجانب الأميركي أن هناك تبذلاً بالفعل في الموقف السوفياتي، ويعتقد بأنه إذا كان الإتحاد السوفياتي لن يصوت إلى جانب قرار يتم بذل جهود إستثنائية من جانب الولايات المتحدة وحليفاتها لإستصداره قبل نهاية شباط (فبراير) الجاري، فإنه على الأقل، (بل ومن المؤكد وحرصاً على الوفاق) لن يستعمل حق النقض (الفيتو). وفي الحالتين فإن السوفيات مؤيدون لفرض العقوبات.

■ يرى الجانب الأميركي أيضاً أنه عندما يتبدل الموقف السوفياتي فإنه لا يعود أمام الصين سوى خيار عدم الإعتراض. ويشير الجانب الأميركي إلى أن الجهات المختصة في الولايات المتحدة اضطرت إلى تقديم صور إلى أهل الحُكم في بكين تؤكد أنهم يرسلون الصواريخ إلى إيران، وذلك رداً على إنكار

الولايات المتحدة ستكون في عهد الإدارة الجديدة (ما بعد ريغان) أكثر إستعداداً لإعادة النظر في الحسابات التي تتعامل مع الدول الصديقة والحليفة ضمن قاعدة الذخيرة الإستراتيجية.

هذا ليس كل شيء. فكل يوم تنتشعب عن المعلومات معلومات. لكن ما يبدو مؤكداً هو أن قطار الوفاق الدولي سينطلق، وستكون له خلال أشهر وقفة متأنية في المنطقة العربية. وهذا يعني أن الحرب العراقية - الإيرانية إقتربت من النهاية.

وهذه المعلومة تكاد تكون بشرى، وليست مجرد خبر سار، لكثرة ما شهدته المنطقة من ويلات.

وتكراراً إن الذين سمعنا منهم هذا التحليل المرفق بالمعلومات مصادر من حقها أن تتحدث، ومن واجبنا أن نأخذ كلامها على محمل الجد.

وها نحن نضع الكلام يرسم المواطن العربي، مع التمنيات بأن تتسارع الخطوات بحيث لا ينتهي العام 1989 إلا وتكون المشاكل الإقليمية العالقة قد وجدت الحل.

مجلة "التضامن". لندن - 20 شباط (فبراير) 1988

* * *

إستفتاء يحسم الأمر

لو أن المتهم الأول في قضية "تنظيم ثورة مصر" التي قامت بعمليات إستهدفت حياة الإسرائيليين والأميركيين كان مصرياً عادياً وليس الدكتور خالد عبد الناصر، النجل الأكبر للرئيس (الراحل) جمال عبد الناصر، لما كان للضجة المثارة منذ بضعة أيام أن تكون كما هي عليه. ولكن الضجة كبرى لأن بطلها ابن زعيم تاريخي، وهي كبرى لأنه لا مثيل لها حتى الآن.

وفي الخمسين سنة الماضية واجهت أبناء بعض زعماء المنطقة أوضاع صعبة نتيجة سقوط حُكم الآباء، فكان هؤلاء الأبناء يجدون في أصدقاء آبائهم من الحكام من يستضيفهم وينفق عليهم ويعوضهم بعض ما كان متوافراً لهم في زمن حُكم الآباء (نجل الملك السابق الراحل فاروق على سبيل المثال)... إلا أنها المرة الأولى التي نجد فيها ابن زعيم تاريخي في موضع تهمة عقوبتها الإعدام ويصر

رجال القضاء في الدولة على أن يمارسوا كل ما يفرضه القانون عليهم في مثل هذه الحالات.

وعندما نتأمل في قضية "تنظيم ثورة مصر" فإننا نشعر في الدرجة الأولى بالقلق على الرئيس حسني مبارك. والقلق ناشئ عن أنه في معرض الحرص على القضاء فإنها من المرات القليلة التي يضع فيها القضاء في شخص المدعي العام مصير حقبة ومصير نظام على المحك. كذلك إن القلق ناشئ نتيجة أن الإدعاء العام وضع رئيس الدولة أمام الخيار الصعب في الزمن الأصعب.

ومن دون أن يعتمد المدعي العام ذلك فإن تعامله القضائي البحت مع قضية "تنظيم ثورة مصر" يعزز موقف الأطراف المصرية على تأديب الرئيس مبارك لأنه يريد تصحيح مسار المرحلة الماضية. وهو أراد التصحيح من خلال تسهيل العودة العربية إليه ومن خلال تلميحاته بين الحين والآخر إلى أن كامب ديفيد إنتهى.

إننا نفهم أن يتم إكتشاف "تنظيم ثورة مصر" في الخارج ويراعي الحُكم المصري ظروف الدولة التي تم فيها إكتشاف التنظيم ولا يتدخل، لكن أن يتم ذلك داخل مصر نفسها ولا يأخذ مكتب الإدعاء العام في الإعتبار أي إرباك تسبب فيه لحُكم رئيس الدولة فهذا ما يصعب على المرء فهمه.

ويبقى أن الرئيس مبارك ليس ضياء الحق الذي رفض تمنيات عشرات الشخصيات من أجل أن يعفو عن ذو الفقار علي بوتو وأعدم هذا الزعيم الوطني الكبير. كما أن خالد عبد الناصر ليس ذو الفقار علي بوتو.

إنها حالة جديدة نخشى فيها من تزايد الضغوط على الرئيس مبارك خصوصاً في حال عودة خالد عبد الناصر إلى القاهرة بالإختيار أو عن طريق الأنتربول أو... خطفاً إلى جهة غير مصر.

ولكن، رب ضارة نافعة.

كيف؟

إن الأيام المقبلة ستؤكد بعض الحقائق وستكشف أيضاً عن بعض المواقف العربية والمصرية والدولية والإسلامية. وبالنسبة إلى المصريين فإن قضية "تنظيم ثورة مصر" بكل الذين إشتراكوا فيها من دون تمييز خالد عبد الناصر عن غيره يمكن أن تكون موضوع إستفتاء يقول المصريون فيه رأيهم. فإذا كانت الأكثرية مع ما فعله التنظيم فإن الرئيس مبارك ينحاز إلى الأكثرية، أما إذا كانت النتيجة عكس ذلك فإن الرئيس مبارك يختار في هذه الحال الموقف الذي يمليه عليه ضميره وقناعاته كمواطن مصري

بمنصب رئيس جمهورية.

والقول بأن مثل هذه القضية تحتاج إلى إستفتاء يستند إلى أنها قضية عامة ومن نوع القضايا التي تحسم الأمر فيها هيئة محلفين. وبالنسبة إلى مصر إن الإستفتاء هو الهيئة المطلوبة علماً بأن المصريين قالوا نعم في الإستفتاء الماضي لولاية جديدة للرئيس مبارك على أساس شعور داخلي لدى كل منهم بأن الرئيس بات على أهبة أن يتخلى عن كامب ديفيد لبشاعة ما فعلته بمصر والمنطقة العربية.

مجلة "التضامن". لندن - 27 شباط (فبراير) 1988

* * *

الحوار الذي كان مستحيلاً

ها نحن أخيراً نقرأ في صحافة المملكة العربية السعودية، ونسمع من إذاعتها، ونشاهد على شاشة تلفزيونها نبأ بثته وكالة الأنباء السعودية وخلصته أن ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني الأمير عبد الله بن عبد العزيز إستقبل بعد ظهر الأحد (21 شباط/ فبراير 1988) فلاديمير بولياكوف مساعد وزير الخارجية السوفياتية لشؤون الشرق الأوسط.

ويشير نص النبأ إلى صفة بولياكوف على أنه "مبعوث الزعماء السوفيات" وأن مهمته هي "لتسليم رد الزعماء السوفيات على رسالة خادم الحرمين الشريفين التي كان قد بعث بها إليهم بتكليف من قادة دول مجلس التعاون الخليجي ضمن عدد من الرسائل لأعضاء مجلس الأمن الدولي".

وها نحن نقرأ أيضاً أن بولياكوف كان إجتمع في الصباح بالأمير سعود الفيصل وذلك في وزارة الخارجية السعودية وأنه - طبقاً للصيغة الرسمية للنبأ - تبادل الآراء حول موضوع الرسائل التي سُلِمت للإتحاد السوفياتي ضمن الرسائل المماثلة.

ومثل هذا النبأ يبدو عادياً لو أن هنالك علاقات دبلوماسية بين البلدين، إلا أنه لا يعود عادياً بالمقارنة مع طبيعة العلاقات بين الدولتين. وهو من نوع الأنباء التي تفرز ملاحظات يمكن تسجيلها على النحو الآتي:

أولاً - إن النص الرسمي للنبأ تفادى إستعمال كلمة "زيارة" مكتفياً بالإشارة إلى أن المسؤول السوفياتي وصل

في مهمة.

ثانياً - اللافت للإنتباه، وفي الإطار نفسه، أن الذي إستقبل المسؤول السوفياتي في مطار الرياض لم يكن وكيل الوزارة ولا مسؤول المراسم في الخارجية فضلاً عن أنه ليس في منصب وزير الخارجية لكي يستقبله الأمير سعود الفيصل. أما اللافت للإنتباه أكثر فهو أن الذي إستقبله كان الأمير بندر بن سلطان سفير المملكة العربية السعودية في واشنطن. ومثل هذا الأمر يعني إحدى حالتين: إما أن الأمير بندر هو بمثابة نائب وزير الخارجية السعودية أو مساعد الوزير، وإما أنه بات القناة الدبلوماسية التي يتم من خلالها التعامل بين الإتحاد السوفياتي والمملكة العربية السعودية في غياب العلاقات الدبلوماسية. وفي الحالتين فإن المملكة تنظر إلى علاقاتها مع الإتحاد السوفياتي من زاوية الوفاق المستجد والذي ينمو بحيوية بين الدولتين العظيمين. وفي ضوء هذه النظرة كان إشراك الأمير بندر في الزيارة الماضية التي قام بها الأمير سعود إلى موسكو في أعقاب إنعقاد القمة الخليجية في الرياض.

ثالثاً - إن مجرد وصول مبعوث سوفياتي وعلى مستوى مساعد وزير خارجية إلى الرياض وعقدته جلسة عمل في مبنى وزارة الخارجية السعودية قبل التوجه إلى الديوان الملكي ومقابلة ولي العهد الأمير عبد الله وتسليمه رسالة من القيادة السوفياتية (إستعمل النبأ الرسمي السعودي تعبير الزعماء السوفيات) يُعتبر خطوة متقدمة جداً على طريق الحوار بين الدولتين في غياب العلاقات الدبلوماسية.

أما لماذا هي خطوة متقدمة جداً فلأنها المرة الأولى التي يأتي فيها مبعوث سوفياتي إلى الرياض، والمرة الأولى التي يقابل فيها مسؤول سوفياتي في عاصمة المملكة الرجل الثاني في المملكة. أما بالنسبة إلى المملكة العربية السعودية فإن الأمر يختلف حيث إنه سبق للأمير سعود أن زار موسكو مرتين، وتوجه إليها في مناسبة شبابية الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز الرئيس العام لرعاية الشباب. وفي الماضي كان الحوار يتم عبر قناة دبلوماسية يتسم العمل فيها بالتحفظ وتتمثل بسفير المملكة العربية السعودية والإتحاد السوفياتي في لندن.

وفي حدود الوضع الدولي، وغياب الوفاق بين الدولتين العظيمين، وإتساع حجم التورط السوفياتي في أفغانستان، فضلاً عن الشعور بأن الرئيسين اللذين تعاقبا على الحُكم في الإتحاد السوفياتي بعد بريجنيف وهما أندروبوف

وتشيرنيكو لم يكونا رئيسين تاريخيين لأكثر من سبب، فإن الإنجاز الذي تحقق كان جيداً نسبياً. ويكفي أنه حافظ على إمكانية الحوار متاحة. وعند الحديث حول أي تقدم تحقق فإن السفير السعودي في لندن الشيخ ناصر المنقور سيبقى تاريخياً، بالنسبة إلى بلاده وإلى السوفيات، الدبلوماسي الذي ساهم برحابة الصدر وحُسن التفهم في جعل لغة الحوار لا تنتكس، بل تتواصل إلى أن يأتي وقت نسمع فيه أن مسؤولاً سوفياتياً دخل قصر اليمامة برسالة حملها من قصر الكرملين ودشن بذلك مرحلة جديدة من العلاقات السوفياتية - السعودية.

رابعاً - إن عدم وصول المبعوث السوفياتي إلى الرياض حتى الآن لم يكن لعدم رغبة الكرملين بذلك، وإنما لعدة عوامل من بينها أنه ليس هنالك دعوة رسمية موجهة للقيام بالزيارة. ومن هنا فإن الزيارة الثانية التي قام بها الأمير سعود إلى موسكو قبل بضعة أسابيع كانت بسبب طبيعتها بمثابة دعوة موجهة إلى القيادة السوفياتية لكي توفد مبعوثاً إلى الرياض. ولقد فهمت القيادة ذلك وأوفدت المبعوث الذي هو بولياكوف.

ومن الضروري التوضيح هنا بأنه عندما يزور الأمير سعود موسكو ضمن وفد اللجنة السباعية فإن زيارته لا تكون بصفة كونه المسؤول السعودي فقط، في حين أنه عندما يقوم بالزيارة من دون أن يكون ضمن الوفد العربي فهذا يعني في لغة التعامل أنه يذهب كمسؤول سعودي. وفي اللغة نفسها إن الرد على الزيارة بالمثل يصبح واجباً بصرف النظر عما إذا كانت هنالك علاقات. والرد واجب ما دام الأمير سعود، الذي هو وزير الخارجية السعودية، زار موسكو واستقبل على خير ما يكون عليه الإستقبال الرسمي من دون أن يشكّل عدم وجود العلاقات عقبة في الطريق. بل إنه من الجائز القول إن عدم وجود العلاقات هو حافز لإستقبال جيد ويتسم بالكثير من الدفء على أمل أن يحقق تقدماً على طريق إقامة العلاقات.

خامساً - إن إستقبال مبعوث سوفياتي في الديوان الملكي في الرياض يأتي في وقت زالت إلى حد كبير الأسباب التي يمكن أن تحول دون هذا اللقاء، بل ودون قيام علاقات دبلوماسية بين البلدين. والوفاق الدولي يسرع الخطى، وبعد أسابيع سيتم تتويج هذا الوفاق بلقاء على مستوى القمة بين الرئيسين ريغان وغورباتشوف. والاتحاد السوفياتي قرر إنهاء تورطه في أفغانستان وهو دور جعل المخاوف السعودية من الاتحاد السوفياتي مشروعة.

وصحيح أن الوجود العسكري السوفياتي ما زال قائماً، إلا أن القيادة السوفياتية إتخذت قرار الإنسحاب. وإتخاذ القرار مع تحديد الجدول الزمني هو بالنسبة إلى دولة كبرى مثل الاتحاد السوفياتي بمثابة الإنسحاب.

سادساً - إن المملكة العربية السعودية التي باتت دولة مستهدفة من الحُكم الإيراني لا يمكن أن تستوقفها شكليات العلاقات الدبلوماسية فلا تخفف عبّر الإتصالات من إندفاع السوفيات في مساندة الموقف الإيراني، ولا تعزز الإتصالات نحو الوضع الأفضل والتي سبق لدولة الكويت أن بدأتها عندما جعلت الاتحاد السوفياتي تاجراً في حرب الناقلات في مياه الخليج. كذلك إن المملكة لا يمكن أن تستوقفها شكليات العلاقات الدبلوماسية بينما الجولة الحاسمة من الوفاق الدولي، والتي ستكون جولة حل المشاكل الإقليمية في العالم، باتت على الأبواب. وما نقصده بالوضع الأفضل هو ما حدث، أي إفاد وزير الخارجية الأمير سعود إلى موسكو ثم إستقبال مبعوث سوفياتي في الرياض.

وأغلب الظن أنه لو كان الملك فهد في الرياض لكان إستقبل المبعوث السوفياتي ما دام في مهمة ينقل فيها رسالة من زعامة إلى زعامة. ولكن الملك منذ أيام في البر، وهي الأيام التي تسبق فترة صوم رمضان.

ويبقى أن وصول مبعوث سوفياتي إلى قصر اليمامة في الرياض وتناوله القهوة العربية في مكتب وليّ العهد وتسليمه رسالة إلى الملك فهد من زعيم الكرملين غورباتشوف، معناه أن حوار القصرين قصر اليمامة في الرياض وقصر الكرملين في موسكو قد بدأ، وأنه ربما لا ينقضي عام آخر إلا وبات للاتحاد السوفياتي مكان في الحي الدبلوماسي في الرياض بعدما بات له مكانة في نفس القيادة السعودية، وبعدها بات دولة كبرى إنما في زمن هدا فيه الصراع وستحسر فيه الأطماع وستسود تبعاً لذلك حقبة من الطمأنينة لبضع سنوات.

وما دام الحوار قد بدأ فهذا معناه أن الدعوات ستنزايد إلى أن يأتي يوم ليس بعيداً وقد نسمع فيه أن الملك فهد بن عبد العزيز أو وليّ العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز هو ضيف الكرملين، وأن ميخائيل غورباتشوف هو ضيف المملكة العربية السعودية.

... وقد نسمع أيضاً أن بعض الأمراء الذين يحبون القمص قد يقومون برحلات قصص للدب الروسي الذي كان رمزاً للمخاطر والتدخلات، وأن غورباتشوف نفسه يتحول

يوماً بعد آخر إلى أمير روسي يحلم في التسعينات بأصدقاء لبلاده في كل مكان، وليس برفاق، ويريد أن يبيع ويشترى لا أن يضع يده على الآخرين، ويريد أيضاً أن يخاف الله لا أن يخيف الآخرين. وهذه سُنَّة التطور. ولا مكان في هذه الدنيا لمن لا يتطورون.

مجلة "التضامن". لندن - 27 شباط (فبراير) 1988

* * *

... وتبقى الإنتفاضة مسؤولية سعودية

"طوبى لمن طال عمره وحسن عمله"

(الرسول الكريم)

من الآثار الطيبة للإنتفاضة الفلسطينية أنها لم تترك لسوء الفهم أن يأخذ مداه ويتحول إلى خلاف بين أهل الصف الواحد. ولو أن الكلام الذي قاله رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات كان في ظروف أخرى لم تكن فيها الإنتفاضة بدأت، لما كان للمملكة العربية السعودية أن تتقبل ببساطة هذا الكلام ولما كان أبو عمار في الأصل قال هذا الكلام. لكن الكلام يقال بينما الإنتفاضة تتفاعل وتتواصل. ولأن الأمر كذلك فإن المملكة العربية السعودية تضايقت بحساب، والقيادة الفلسطينية تداركت بحساب.

ومن خلال هذا التعامل مع سوء فهم، أكد ياسر عرفات أنه ليس فقط مصري الهوى، كما يحلو له أن يردد وأن يقال عنه، وإنما هو أيضاً سعودي الهوى. كذلك إنه من خلال هذا التعامل عززت المملكة العربية السعودية شأن عرفات لأنها ردت على تصريحاته حول أمور دُعِمَتْ تتعلق بالإنتفاضة وكأنما هو يدلي بهذه التصريحات بصفة كونه زعيم هذه الإنتفاضة والمحرك الأساسي لها.

وقبل أن يدلي أبو عمار بتصريحاته كان موقف المملكة العربية السعودية من الإنتفاضة أقوى من موقف عرفات نفسه، ثم جاء أسلوب تعاملها مع التصريحات ورد الفعل عليها لتخفف بعض الشيء من قوة الموقف السعودي ولتزيد بعض الشيء من شأن موقف عرفات. وسواء كانت تصريحات عرفات بهدف تذكير

السعودية، أو لأسباب أخرى، فإن توقيتها كان غير مناسب، حيث أنها جاءت في وقت ما زالت فيه الأجواء الخاصة بالميزانية ترمي بثقلها على السعودي مواطناً ومسؤولاً. وجاءت في وقت هنالك إستعداد نفسي لدى المواطن السعودي للاتجاه القطري، فضلاً عن أنه عندما يسمع المواطن السعودي كلام عرفات وفي الوقت نفسه يتبلغ دعوة من أمير الرياض سلمان بن عبد العزيز للتبرع فإنه يتجاوب ببطء مع الدعوة للتبرع، أو إنه إذا تجاوب بشكل عادي فإنه في قرارة نفسه يشعر بأنه يجمال الأمير أو يفعل أمراً يجب ألا يفعله ما دام رئيس منظمة التحرير الفلسطينية يقول الذي قاله.

ومن المهم التوضيح هنا بأنه بسبب كثرة التصريحات الفلسطينية من جانب عرفات، وبعض المهتمين بالعلاقات الخليجية من القياديين في المنظمة حول دعم المملكة للقضية الفلسطينية وتسديد الإلتزامات المالية في الوقت المحدد فإن الكلام الذي قاله عرفات بدا مستغرباً، وفي الوقت نفسه بدا رد الفعل السعودي خروجاً على تقاليد التعامل التي تعتمدها المملكة.

ويبقى أن الأهم من هذا كله هو أن الإنتفاضة الفلسطينية باتت أكثر من أي وقت مضى مسؤولية سعودية في الدرجة الأولى. وإذا كان لن يتم تأمين مليون دولار يومياً لها فإنها قد تتحسر ويخسر العرب إحدى أهم اللحظات في التاريخ الحديث.

وهذه المسؤولية كانت قبل أن يدلي عرفات بتصريحاته ولم تتوقف بعد أن قال عرفات ما قاله ومستمرة بعدما زالت هذه السحابة الثقيلة من سماء العلاقات السعودية - الفلسطينية. وبالنسبة إلى الإنتفاضة إن مسؤولية دُعْمِها مجرد لا يوازيه مجرد. وعلى هذا الأساس كانت إشادة الملك فهد بن عبد العزيز بها في الكلمة التي إفتتح بها أعمال القمة الخليجية في الرياض، وكانت الإنتفاضة في أيامها الأولى. وعلى هذا الأساس أيضاً كانت حملة جمع التبرعات التي قرر الأمير سلمان بن عبد العزيز أن يقودها، والتي بدأت بعدما إطمأنت المملكة إلى أن الإنتفاضة عمل جدي وأنها تتم بمعزل عن أي دوافع خارجية.

ولأن المملكة إطمأنت إلى جدية الإنتفاضة فإنها وقفت معها. ولأن الأمر كذلك فإنها إحتوت خلافاً مع عرفات. وبصرف النظر عما إذا كان هذا الخلاف إنتهى

أو أنه مجمّد فإن عدم الإحتواء كان سيأخذ من وهج الدعم السعودي للإنتفاضة ومن الفرحة العربية الكبرى بها.

والحمد لله أن الأمر إنتهى على خير.

مجلة "التضامن". لندن - 5 آذار (مارس) 1988

* * *

رسالة بإسم أكثرية العرب والمسلمين

صواريخ الحسين... هي صواريخ الإمام الحسين تبركاً والرئيس صدام حسين دعماً وتوجيهاً والعقيد حسين كامل إشرافاً على الإنجاز وفي فترة زمنية تأخذ في الإعتبار ضرورات الحسم.

وصواريخ الحسين التي بدأ العراق إطلاقها يوم الإثنين 1988/2/29 في إتجاه مواقع محددة في طهران وبعض المدن الإيرانية حلقة في سلسلة المفاجآت التي أفرزتها القيادة العراقية، الأمر الذي يعني أن باب المفاجآت والإبتكارات مفتوح على مصراعيه. ومثلما أن المقاتل العراقي بالشجاعة التي أظهرها كان مفاجأة، والتسميات بالدور الكثير الفعالية الذي أمكن توظيفه كانت إبتكاراً، فإن صواريخ الحسين بالقدرة التي تتسم بها جاءت مفاجأة وتتساوى من حيث وقّعها الإستراتيجي مع المفاجأة الأهم وهي القوات الجوية العراقية التي أمكنها خلال السنوات الثلاث الماضية إدخال الطمأنينة إلى القلقين على تماسك الأمن العربي.

وهذه المفاجآت والإبتكارات مجتمعة وغيرها كثير هي التي جعلت الصمود يزداد رسوخاً ويتحول هذا الصمود من حالة إضطرارية في البداية إلى أسلوب حياة يتكيف معه المواطن بدافع الحرص على المسألة الوطنية وهو ما يحدث للمرة الأولى في التاريخ العربي الحديث.

وأهمية صواريخ الحسين ليست في إطلاقها لأنها بهذا المقياس تتساوى مع الصواريخ التي يجمعها الحُكم الإيراني من هذه الدولة أو تلك وفي غفلة عن العيون، وإنما أهميتها في أنها تصنع عراقي وتم صنّعها في وضوح النهار. وتصنيع السلاح هو في بعض جوانبه بأهمية خطوة تأمين النفط. ولو كان الصاروخ العراقي البعيد المدى ليس عراقي

الصنع وإنما سوفياتي الصنع أو فرنسي الصنع على سبيل المثال لما كان له أن يحظى بالإسم الذي حمله. وكم أن الأثر المعنوي عميق بين صاروخ يحمل إسم الحسين طوره العراقيون وأنتجوه بكميات يعكسها تأكيدهم بأنهم مستعدون للحرب خمسين سنة، وصواريخ مستوردة تحمل أسماء أجنبية.

وصواريخ الحسين مثل الحرب المفروضة على العراق. ومثلما أنه لولا المشاكسات الإيرانية داخل بغداد نفسها والتي تطورت إلى تحديات ثم إعتداءات لما كان للحرب أن تبدأ أو على الأقل تتوقف عند نقطة معينة، فإنه لولا الصواريخ التي أطلقها الحُكم الإيراني وتجاوزت في معانيها أسلوب المشاكسة والتحدي لما كان للعراق أن يرد بعد سنوات على الصاروخ الآتي من إيران بصاروخ عراقي أكثر تطوراً منه.

وصواريخ الحسين ليست فقط ستساند ما أخذته القوات الجوية على عاتقها في فترة إنجاز الصواريخ، وإنما هي إذا جاز القول رسالة من النوع المسجل أي المضمون الوصول سواء تسلّمها الطرّف المرسل إليه وسجلّ توقيعه بما يفيد التسلم أم تجاهل أمر وصول الرسالة. وليس واضحاً كيف سيكون من السهل تجاهل صواريخ تنادي بالصوت الذي تُحدثه والضوء الذي ينتج عنها بضرورة أن يحل السلام محل الحرب.

وإذا جاز القول أيضاً فإن صواريخ الحسين موجّهة بإسم الأكثرية العربية والإسلامية التي ضاقت ذرعاً بآيات الحرب. وهي مثل عريضة تحمل توقيع كل إنسان في العالم العربي وفي العالم الإسلامي أرهقته الحرب ويتأكد له كل يوم أن هذه الحرب لا تتوقف بسبب مكابرة الحُكم الإيراني ومعاندته.

ولكن إلى متى؟

إلى متى المكابرة وإلى متى المعاندة؟

ربما في إنتظار المفاجأة الأعظم.

وفي إنتظار هذه المفاجأة من المناسب الإشارة إلى أن الإستهانة بالإرادة الدولية والإعتداء على الآخرين وسلْب حقوق الغير إنتهت بالصهاينة إلى حُكم عنيد تطارده الحجارة.

مجلة "التضامن". لندن - 12 آذار (مارس) 1988

* * *

حسني مبارك والسودان:

أخيراً بدأت مرحلة التكافؤ

للمرة الأولى أشعر، كصحافي وكاتب يعايش شؤون مصر والسودان وشجونهما وهمومهما وإهتماماتهما طوال عشرين سنة ومن دون تبرُّم أو ضيق أو ملل، أن العلاقات المصرية - السودانية دخلت مدار النهم الموضوعي المشترك.

وهذا الشعور ناشئ عن الزيارة التي قام بها إلى الخرطوم يوم الأول من آذار/ مارس 1988 الرئيس حسني مبارك.

وهذه الزيارة تاريخية بكل المقاييس. ومن خلال الملاحظات التي سترد في الأسطر الآتية يمكن تلمُّس دقة هذا الوصف لها.

أولاً - إن الزيارة تمت بشكل مفاجئ ومن دون التمهيد التقليدي لها. وهي تمت بعدما أنهى الرئيس مبارك جولته التي شملت الدول التي أعادت العلاقات الدبلوماسية مع مصر في ضوء قرارات القمة العربية الإستثنائية التي تم عقدها في عمان، والتي كان مؤملاً فيها أن تكون القمة التي تحقق التضامن العربي المطلوب في هذه المرحلة أكثر من أي وقت مضى، لولا أن عقدة الموقف السوري ما زالت على حالها. كذلك إن الجولة شملت سلطنة عُمان التي لم تقطع العلاقات الدبلوماسية مع مصر إلزاماً بقرارات قمة بغداد عام 1978، والأردن الذي كان أعاد العلاقات بقرار ذاتي سبق الفتوى التي إتخذتها القمة الإستثنائية ببضعة أشهر.

وعندما تشمل الجولة التي تهدف إلى تقديم الشكر لهذه الدول كلاً من سلطنة عُمان والمملكة الأردنية ولا تشمل السودان، الذي كان هو الآخر من الدول التي لم تقطع في الأصل العلاقات مع مصر، فإن ذلك قد يثير علامات إستفهام وتعبُّب أزالها الزيارة المفاجئة التي قام بها الرئيس مبارك يوم الثلاثاء الأول من آذار/ مارس 1988.

ثانياً - إن تصوُّف الحكمة يحيط بكل الخطوات التي رافقت الزيارة. فالرئيس مبارك لم يقيم بها في إطار جولة وإنما قام بها خصيصاً، وبذلك أزال العتب الذي يمكن أن يكون نشأ عن تأخير القيام بها. وهو جعلها مزيجاً بين زيارة عمل بالغة الأهمية وزيارة لتقديم الشكر بالغة الرقة.

وبالنسبة إلى الشق الثاني من الأمر إن موقف السودان يستحق مثل هذه الرقة في تقديم الشكر، ذلك أنه لولا موقف السودان في قمة بغداد لما كان للرئيس (الراحل) السادات أن

يواصل المضي في مسألة الصلح مع إسرائيل برعاية أميركا ويا ليت السودان بسبب هذه الحقيقة لم يتخذ الموقف الذي إتخذه. ولولا موقف السودان لما كان الرئيس السادات إستطاع أن يصمد أمام المقاطعة العربية بالشكل الذي صمد فيه ويا ليت السودان بسبب هذه الحقيقة الثانية لم يتخذ الموقف إياه الذي إتخذه. وفي الوقت نفسه إنه لولا موقف السودان لكانت ربما تكرست العزلة المصرية على أساس أنه ما دام العرب جميعاً ضد ما إتخذه الرئيس السادات فإن على الحُكم المصري أن يعمق إلى أبعد الحدود علاقاته مع إسرائيل والولايات المتحدة. وهنا نلمس نقطة إيجابية إلى حد ما للموقف السوداني، بمعنى أن الموقف الذي إتخذه الرئيس (السابق) جعفر نميري إضافة إلى الموقف الذي إتخذه السلطان قابوس شكلاً، إذا جاز القول، حاجزاً لا بأس بشأنه يحول دون إندفاع الحُكم المصري إلى تعميق العلاقة مع إسرائيل، إلى أن تتشأ ظروف تتأكد فيه مصر من أنها تسرعت فتعيد النظر بشكل ما ويساعدها العرب في ذلك بأن يعيدوا العلاقات الدبلوماسية التي قطعوها معها، فضلاً عن نشوء ظروف أخرى دولية وإقليمية لا تكون في مصلحة إسرائيل ولا في مصلحة الصلح المنفرد الذي عقده الرئيس السادات وبذلك تتبدل الأمور ونحو الأحسن في شكل أو آخر. وما نقوله إجتهداً حدث في السنوات الخمس الماضية، ويتطور في اتجاه إيجابي يعزز ذلك المتغيرات الدولية السريعة الإيقاع.

ثالثاً - إنها المرة الأولى في تاريخ العلاقات المصرية - السودانية التي يتم فيها لقاء بمعزل عن أجواء الحساسيات التي كانت سمة العلاقات في الماضي. ومؤشرات الحساسية كانت أكثر من أن تُحصى ولكن أهمها على الإطلاق كان تصوُّف الحاكم المصري على أن علاقات العرب بالسودان تمر من خلاله أي من خلال هذا الحاكم، وأن علاقة السودان بالدول الكبرى يجب أن تأخذ في الإعتبار رأي مصر أو فلنقل رغبات الحاكم المصري.

والقول بأن اللقاء تم بمعزل عن أجواء الحساسيات التقليدية والمتوارثة يستند إلى عفوية الزيارة على رغم طابع المفاجأة الذي تميزت به.

كذلك إنها المرة الأولى التي يقوم حاكم مصري بزيارة إلى السودان كزعامات وقوى سياسية وحزبية ولا يكتفي بزيارة زميله الحاكم السوداني. وها نحن نقرأ أن الرئيس مبارك حرص في زيارة إستغرقت بضع ساعات أن يلتقي رئيس مجلس رأس الدولة أحمد عثمان الميرغني وأعضاء المجلس،

ثم رئيس الوزراء الصادق المهدي ووفد معه، ثم محمد عثمان الميرغني زعيم الحزب الاتحادي الديمقراطي، ثم يحرص على أن يلتقي بالذين ليسوا مشاركين في الائتلاف فيعقد إجتماعاً معهم، آخذاً في الاعتبار قاعدة قوة كل طرف. وفي هذا الإطار إلتقى أولاً الدكتور حسن الترابي الأمين العام للجهة الإسلامية القومية ومحمد إبراهيم نقد الأمين العام للحزب الشيوعي السوداني وبدر الدين مدثر الأمين العام لحزب البعث في السودان، وقادة الأحزاب الجنوبية الذين يمثلون في الجمعية التأسيسية أحزاباً جنوبية مع الحكومة وأخرى مع المعارضة.

رابعاً - من الجائز القول إن هذه الزيارة هي الزيارة المصرية الرسمية الأولى إلى كل السودان، وإن كان الرئيس مبارك أسقط من القوى التي زارها في السودان الطرف الذي يناصبه العداء ونعني بذلك الطرف الذي يتعاطف مع ليبيا وبعض القوى السياسية الأخرى.

وبالنسبة إلى الطرف المساند للحكم الليبي (اللجان الثورية) من الطبيعي ألا يلتقي الرئيس مبارك بأي منه ما دام هؤلاء على سُنّة العقيد القذافي يناصبون الرئيس مبارك ما هو أكثر من العداء.

ومن الجائز القول إنه لو إصطحب الرئيس مبارك معه ممثلي الأحزاب المصرية التي تربطها بأحزاب السودان علاقات طيبة لبدت زيارته كما لو أنها بداية زيارات الوحدة الوطنية بين البلدين.

خامساً - شاءت الظروف أن الزيارة تمت في وقت إرتبكت فيه العلاقات السودانية - الليبية وحدثت تطورات بالغة الأهمية على صعيد العلاقات المتوترة بين مصر والجمهورية الليبية.

كذلك إن الزيارة تمت في وقت هنالك حاجة لتماسك أكثر فعالية في الموقفين المصري والسوداني نتيجة ظروف داخلية يعيشها كل من النظامين. ففي مصر حالة لا تخلو من التعقيد أفرزها الكشف عن تنظيم "ثورة مصر" وتحديد الدكتور خالد الإبن البكر للرئيس الراحل جمال عبد الناصر على أنه المتهم الثاني في التنظيم وعقوبة التهمة الموجهة إليه هي الإعدام. وفي السودان الحالة الأكثر تعقيداً، والتي لا تجد العلاج الحاسم وهي حالة إستمرار حركة التمرد بقيادة جون قرنق تنشط وتستنزف الخزينة السودانية وتثير مشاعر الجيش السوداني وتضع النظام أمام خيارات صعبة تتشابك فيها وتتقاطع بعض العوامل الإقليمية.

ولكن على رغم كل ذلك تجاوز الطرفان هذه المنغصات

ودشّنا مرحلة جديدة من التعامل الذي يرتاح كل منهما له. وبالنسبة إلى الحكم السوداني الذي ليس عنده ما يعطيه في الوقت الحاضر سوى الود العفوي، فإنه لم يجد أفضل ما يعبر به عن رضاه عن زيارة الرئيس مبارك سوى منحه "قلادة الشرف" وإختيار كلمات في غاية الرقة توضح الأسباب الموجبة لمنح هذه القلادة "تقديراً للدور الطليعي الرائد الذي تقوم به مصر الشقيقة في العالمين العربي والإسلامي، وتعزيزاً وتأكيداً لعلاقات الإخاء والتعاون الأزلي التي تربط بين البلدين وإعترافاً بفضل الأشقاء في مصر تحت رئاسة الأخ حسني مبارك للإرتقاء بتلك الوشائج وتتميتها وتسجيلاً أميناً لهذه الزيارة الميمونة".

ويبقى أن المهم ليس في الموضوعات التي تم بحثها خلال الزيارة وإنما في أن الزيارة حدثت بالشكل الذي حدثت فيه.

ومن خلال القراءة الأولية لما أُنِيع حول الزيارة، فإن الرئيس مبارك أزال بزيارته عوامل عدم الإستقرار في العلاقات المصرية - السودانية وأوجد مناخاً أفضل لإستمرار الإئتلاف في السودان معافى، أو فلنقل إنه أبعد عن هذا الإئتلاف مخاطر الإنهيار.

ومن خلال القراءة الأولية أيضاً يخلص المرء بإستنتاج وهو أن العلاقة المصرية - السودانية تستقر عندما لا يتصرف الحاكم المصري على أساس أن عمقه في السودان يتمثل بحزب واحد هو الحزب الاتحادي وطائفة واحدة هي الختمية، وإنما على أساس أن السودان بأهمية مصر ومصر بأهمية السودان.

... ولقد فعل الرئيس مبارك ذلك. وهو فعل ما كان يصعب على عبد الناصر أن يفعله، وما رفض السادات أن يفعله. وما فعله مبارك هو إرساء تقليد جديد سيرتاح له السودانيون كثيراً. والإرتياح هنا بمعنى الإطمئنان لأنه قائم على التكافؤ الذي بدأت مرحلته أخيراً. ومن المهم أنها بدأت وإن كان ذلك حدث متأخراً.

مجلة "التضامن". لندن - 12 آذار (مارس) 1988

قمة الإنتفاضة وتوحيد الصف

إذا وافقت المملكة العربية السعودية على عقد القمة

الإستثنائية التي دعت إليها الجزائر في الرياض، فإن الجميع سيشاركون فيها، وذلك يعطي هذه القمة أهمية كبرى. وإذا إرتأت المملكة أن يتم الإنعقاد في عاصمة دولة مقر الجامعة العربية (أي تونس) فإن الجميع سيشاركون أيضاً وذلك يعطي القمة أهمية كبرى كذلك.

ومن الجائز الافتراض أن موضوع القمة الإستثنائية كان من الموضوعات التي أضيفت إلى جدول أعمال المحادثات التي أجراها الرئيس التونسي زين العابدين بن علي في المملكة العربية السعودية. ومن الجائز الافتراض أيضاً بأن الملك فهد بن عبد العزيز تقاهم في شأن القمة مع الرئيس التونسي في شأن مكان الإنعقاد.

والقول بأن إنعقاد القمة يتسم بأهمية كبرى يستند إلى أنها المرة الأولى التي يكون فيها الفريق العربي الذي يتحفظ، في شكل أو آخر، على القمم العربية هو الأكثر حماسة لعقد القمة، وهو المبادر بشخص الجزائر إلى الدعوة لها.

كذلك إن القول بأن إنعقاد القمة يتسم بأهمية كبرى يستند إلى أن الموضوع الذي من أجله تمت الدعوة إلى القمة الإستثنائية هو من الموضوعات التي لا تجيز لأحد أن يقاطع أو أن ينيب عنه من يمثله، أو أن يكون تمثله على مستوى المندوبين. بل قد يجوز القول إن الظروف التي تتعقد فيها القمة الإستثنائية بدعوة من الجزائر لدعم الإنتفاضة هي مثل الظروف التي كانت سائدة عند إنعقاد القمة العربية العادية لإتخاذ التوصية الشهيرة بإعتبار منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

ومع الأخذ في الإعتبار أن دعم الإنتفاضة لا يحتاج إلى قمة وأنه من الممكن أن يتم هذا الأمر في شكل مباشر وثنائي، إلا أن أهمية الإنعقاد أنها ستجعل الدعم قراراً بالإجماع وعلى مستوى القمة وهو أمر يتساوى، بالمقارنة مع الظروف الراهنة، مع قرارات قمة الخرطوم عام 1967 والمعروفة بأنها قمة اللاءات الثلاث، ويتساوى أيضاً مع قرارات قمة بغداد عام 1979 في شأن الدعم.

وعندما يجد أبناء غزة والضفة الغربية المحتلة أن إنتفاضتهم جعلت الملوك والرؤساء العرب يعقدون قمة إستثنائية لموازرة هذه الإنتفاضة فإنهم بالتأكيد سيواصلون حركتهم الإحتجاجية التي تسجل يومياً حركة تقدّم نحو الأمام. والمهم الآن هو مواصلة هذه الإنتفاضة بحيث تتحول إلى عنصر ضغط في إنتخابات الرئاسة الأميركية شأنها شأن أصوات اليهود وأثرها على المرشحين لرئاسة

الولايات المتحدة، وكيف أن هؤلاء يتبارون في التعبير عن تأييدهم لإسرائيل. ومن المؤكد أنه في كل يوم يمر وتكون الإنتفاضة مستمرة سيجد هؤلاء المرشحون أنفسهم أقل إلزاماً بالوعود تجاه إسرائيل لسبب بدهي وهو أن يهود العالم أنفسهم إنقسموا بعد الإنتفاضة، أو فلنقل إن تياراً عاقلاً في صفوف هؤلاء اليهود بدأ يرى ضرورة إعادة النظر في أمور كثيرة. وإذا كانت تلك هي حالة اليهود فلماذا يجب أن يقع المرشح الأميركي أسير لعبة أصوات اليهود؟

والى ذلك إن الإنتفاضة أوجدت لها رأياً عاماً دولياً ومتعاطفاً معها وهذا في حد ذاته يشكل مساندة أساسية للقمة العربية الإستثنائية. ومثل هذا الرأي العام المتعاطف لم يتواجد لقمة الخرطوم عام 1967 ولا بعد إنتهاء تلك القمة بلاءاتها الثلاث، ولم يتواجد أيضاً بعد قمة تثبيت منظمة التحرير الفلسطينية على أنها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

وتبقى ثلاثة أمور تشكّل إضافة تأكيد إلى أهمية هذه القمة الإستثنائية.

الأول: هو أنها المرة الأولى التي تتعقد فيها قمة عربية في أعقاب تشاور عربي - دولي أساسي وهو التشاور الذي تقوم به اللجنة التي ستستمر حتى آخر مارس 1988 تقوم بجولات في عواصم الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن. ومثل هذا التشاور سيجعل الصورة أكثر وضوحاً أمام الملوك والرؤساء عندما يجتمعون.

والثاني: هو أن القمة تتعقد عادة لتحريك الموقف الدولي في حين أن التحرك حدث قبل أن تبدأ القمة. وعندما نلاحظ أن وزير الخارجية الأميركية جورج شولتز بدأ لمجرد أن دخلت الإنتفاضة في مدار الجدية، ودعت الجزائر إلى قمة إستثنائية، زيارات إلى المنطقة وجولات مكوكية على طريقة جولات كيسينجر... إننا عندما نلاحظ ذلك فهذا معناه أن القمة العربية الإستثنائية التي دعت إليها الجزائر ستجعل الصف العربي أكثر إستعداداً للتوحد، وهذا معناه أنه سيكون من الممكن أو على الأقل من المناسب ترميم التصدع الذي حدث في البنية العامة لقرارات قمة عمان خصوصاً بعد الذي حققته صواريخ الحسين العراقية من نتائج طيبة على الصعيد العسكري، فضلاً عن المناخ المعنوي الذي ساد منطقة الخليج عموماً نتيجة دخول هذه الصواريخ بداية معركة ضغط كبرى على العناد الإيراني.

أما الأمر الثالث فهو أن هذه القمة ستؤكد موقف العرب من نضال الشعب الفلسطيني من جهة، وستضع من جهة

أخرى أمام فلسطيني الخارج فرصة لتوحيد موقفهم والإلتفاف حول المنظمة من دون أن يعني ذلك إسقاط تبائن الرأي والخلافات إنما تحت مظلة ديمقراطية، ولكي يؤكدوا أن الإنتفاضة إمتداد لهم على أساس أن الفلسطيني في موضوع إحتلال الوطن أصحاب موقف واحد وإن تعددت أساليب التعبير عن هذا الموقف.

إن القمة العربية الإستثنائية التي دعت إليها الجزائر كانت حتى كتابة هذه الكلمات (14/3/1988) أمراً مؤكداً حدوث، بمعنى أنها ستعقد في النصف الأول من نيسان/ أبريل 1988 قبل بضعة أيام من بدء شهر رمضان المبارك، وهذا في حد ذاته يشكّل دافعاً لبعض الحكام العرب من أجل إسقاط كل سلبات مواقف المرحلة الماضية والبدء من جديد.

وما نتمناه هو أن تكون القمة الإستثنائية التي بات شبه مؤكد عقدها هي القمة العربية الثالثة والأخيرة التي تتعقد بشكل إستثنائي (القمة الأولى في الدار البيضاء عام 1985 والقمة الثانية في عمان عام 1987) وتستأنف القمة العربية العادية مسيرتها بحيث تتعقد كل سنة في عاصمة عربية وبحيث تستمر على هذه الحال إلى أن يأتي دور إنعقادها في عاصمة الدولة الفلسطينية، إلا إذا تم الإتفاق على أن تتعقد القمة العربية فقط عندما يكون هناك أمر إستثنائي، وهذا ممكن إذا ساد التضامن الموقف العربي بحيث يصبح في الإمكان أن يجتمع وزراء الخارجية العربية ويتخذوا قرارات تحتاج إلى توافق الذين في القمة وليس إلى إنقائهم ومناقشتهم.

والتمني بأن يأتي وقت تتعقد فيه القمة العربية في عاصمة الدولة الفلسطينية ليس حتماً بعد الذي حققته الإنتفاضة في الداخل إستكمالاً لما بدأه الذين في الخارج.

مجلة "التضامن". لندن - 19 آذار (مارس) 1988

* * *

لماذا لا تنعقد القمة الإستثنائية في القاهرة؟

الآن وقد إكتمل النصاب الذي يجيز إنعقاد القمة العربية الإستثنائية التي دعا الرئيس الجزائري الشاذلي بن

جديد إلى عقدها لدعم الإنتفاضة الفلسطينية، بدأت التساؤلات تتكاثر:

هل إن الدعوة إلى هذه القمة جاءت في الوقت المناسب؟

وهل أن الرئيس بن جديد تتشاور مع الملوك والرؤساء العرب في شأن هذه القمة قبل أن يدعو إلى عقدها، أم أنه إرتأى إعتداد أسلوب المباغطة بمعنى أنه دعا من دون إتصالات ومشاورات وذلك مخافة أن يتحفظ هذا الطرف على الفكرة، أو يتمنى ذلك الطرف عدم طرح الفكرة، أو تنصح أطراف كثيرة بالتأجيل مخافة أن تتعقد القمة وهدفها دعم الإنتفاضة فتتحول إلى قمة تحمل في طياتها أجواء من خيبة الأمل؟

وهل أن الرئيس بن جديد إعتبر أن واجبه هو الدعوة إلى القمة الإستثنائية بالرغم من أن هنالك قمة عربية إستثنائية لم يمض على إنعقادها أسابيع ولم تثمر كما يجب لأن الإلتزام بما تم الإتفاق عليه لم يكن دقيقاً تماماً؟ وهل أن الرئيس بن جديد كان بتحديدده الرياض أو تونس مكاناً لإنعقاد قمة الإنتفاضة كان يتصرف على أساس تسهيل الإنعقاد بحيث إن الجميع يشاركون في القمة إذا هي عقدت في الرياض، وإن الجميع يشاركون إذا هي عقدت في تونس (عاصمة دولة مقر الجامعة) فضلاً عن أن وجود الرئيس زين العابدين بن علي في قمة السلطة في تونس يشكّل نقطة إستقطاب للإجماع العربي المطلوب؟ إن هذه التساؤلات ليست هي كل شيء ولكنها إضافة إلى تساؤلات أخرى كثيرة تجيز للمرء أن يفترض بأن الرئيس بن جديد إكتفى بالتصرف وفق ما تفرضه عليه مشاعره.

ولا ندري ما الذي يمكن أن يفعله الرئيس بن جديد الآن وهل أنه في ضوء البرود السائد إزاء القمة الإستثنائية التي دعا إلى عقدها يسحب دعوته، أم أنه يصبر على عقد هذه القمة خصوصاً بعدما توافر النصاب للإنعقاد؟

ونقول ذلك على أساس أن ما يدور في الكواليس لا يشجع بالنسبة إلى هذه القمة الإستثنائية، بل إن هنالك أطرافاً عربية ذات شأن تعتبر أن القمة الإستثنائية لن تعود بالخير على الإنتفاضة إذا كانت لن تنتهي بقرار كبير. ومثل هذا القرار لا يمكن أن يتحقق إلا إذا تم عقد هذه القمة في الرياض، وشارك فيها الجميع من دون تغيب أحد من الملوك والرؤساء وإتخذت قراراً بالدعم من نوع قرار قمة بغداد وبما لا يتعارض مع الدعم الحالي لمنظمة التحرير

الفلسطينية. أما إذا كانت هذه القمة لن تتعقد في الرياض فهذا معناه أن الدعم سيكون معنوياً. وفي مثل هذه الحال فإن هذه القمة قد تكون مرشحة للتأجيل، أو قد تتعقد في إطار مجاملة الإنتفاضة وليس دُعماً.

وبالرغم من كل ذلك فإن هنالك فرصة ذهبية أمام القمة الإستثنائية لكي تتعقد، وتكون قمة تاريخية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى.

والفرصة ذهبية إذا تم الإتفاق على عقدها في القاهرة وفي مبنى الجامعة العربية بالذات. وهي فرصة ذهبية على أساس أنه في القمة الإستثنائية الماضية في عمان تم إتخاذ الخطوة التي قضت بعودة العرب إلى مصر، وأنه في القمة الإستثنائية التي دعا الرئيس بن جديد إلى عقدها يمكن أن يتم إتخاذ الخطوة التي تقضي بعودة مصر إلى العرب هذا إذا تم عقد القمة في القاهرة.

وعندما نقول ذلك فعلى أساس أن عودة مصر إلى مكانها لن يتم فوق قرارات قمة سبق إتخاذها وإنما تحتاج إلى صيغة تتجاوز بعض الأمور المبدئية والشكلية.

ومثلما أنه من الصعب إنعقاد قمة عربية تقرر إلغاء إسقاط عضوية مصر ما دامت أسباب الإلغاء، وهي إتفاقية كامب ديفيد، قائمة فإنه بالقدر نفسه ليس سهلاً على الرئيس حسني مبارك الوقوف خطيباً في مناسبة ما ويعلن أنه بناء على معطيات أساسية ومن أجل وحدة الصف العربي قرر إلغاء إتفاقية كامب ديفيد.

وإزاء ذلك فإن عقد القمة العربية الإستثنائية في القاهرة هو بمثابة إلغاء لإتفاقية كامب ديفيد. وهذه القمة لأنها من أجل الإنتفاضة لن يقاطعها أحد. حتى الرئيس حافظ الأسد والرئيس معمر القذافي يشاركان فيها. وعقد مثل هذه القمة في القاهرة يعني أن الرئيس مبارك لا يمكن أن يعارض ما يوافق عليه الملوك والرؤساء. وبموافقته يكون منسجماً مع نفسه ومع قناعاته ومع رغبة الأكثرية المصرية في أن تستعيد مصر مكانها ومكانتها.

ويبقى أن الفرصة ذهبية ولا يمكن تعويضها. وإذا حدث ذلك فهذا معناه ولادة موقف عربي موحد لن يكون في أي حال هجوماً ومتطرفاً، وربما يستطيع أن يشكل أداة ضغط من أجل حل عادل للقضية الفلسطينية وللقضايا المشتعلة في المنطقة من لبنان إلى الصحراء مروراً بالخليج.

أما من يقترح ذلك، فإن الرد على ذلك هو أن مثل

هذا الأمر يتم في المشاورات الثنائية وراء الكواليس. وليس هنالك حجة لدى أحد من أجل أن يعارض مثل هذه الفكرة.

وتكراراً، إن البوابة المناسبة لعودة مصر هي بوابة الإنتفاضة إذا تم عقد القمة العربية الإستثنائية في القاهرة، فضلاً عن أن عقد مثل هذه القمة في العاصمة المصرية وفي المبنى الجاهز للأمانة العامة للجامعة العربية من شأنه أن يحسم نهائياً السؤال الحائر: هل أن مصر مع العرب، وهل من الممكن أن تكون مع إسرائيل ومع العرب في الوقت نفسه؟

وعقد مثل هذه القمة في القاهرة هو ضربة للإتجاه المصري الذي يظن البعض أنه هو الأقوى ونعني به إتجاه الإبقاء على كامب ديفيد، في حين أن الإتجاه الأقوى هو الإتجاه الآخر. ومن هنا لا بد من هذا الإختبار. ومن المؤكد أنه سيكون لمصلحة كل الأطراف العربية وأولها مصر وذلك لأن قمة الإنتفاضة لن تكون في أي حال قمة مواجهة وإنما إيجاد حل يعطي كل ذي حق حقه.

أما إذا كانت هذه الفرصة ستضيع فإن القمة الإستثنائية ربما لن تكون أكثر من تجمّع يضم البعض، أي من نوع قمة الهيلتون في القاهرة عام 1970 التي عقدها جمال عبد الناصر وفاضت روحه في يومها الأخير. ومنذ ذلك الحين فإن روح الأمة تعيش حالة حشجة. ومن شأن عقد القمة الإستثنائية التي دعا إليها الرئيس الشاذلي بن جديد أن تعيد الروح إلى قلب الأمة، الذي عاد ينبض بحيوية نسبية في أعقاب الإنتفاضة الفلسطينية، إنما بشرط أن يتم عقد هذه القمة في الرياض، ومن دون مصر، ويعطيها الملك فهد كل الإهتمام الذي يمكن أن يعطيه للقمة العادية المقترحة والموعودة، أو أن يتم عقدها في القاهرة.

ولا نعتقد أن الرئيس مبارك يمكن أن يعتذر إذا قيل له إننا سنلتقي في ديارك لبحث وسائل دعم الإنتفاضة الفلسطينية. وعندما لا يعتذر فإنه يكون صادقاً بالفعل في قوله الذي يردده منذ فترة طويلة وهو أن مصر لا يمكن أن تتخلى عن التزاماتها العربية.

مجلة "التضامن". لندن - 26 مارس (آذار) 1988

حماية الصواريخ الصينية

من واجبات الأواكس

هنالك أكثر من سبب يجعل إسرائيل تغضب وتهدد لأن المملكة العربية السعودية حصلت على الصواريخ الصينية، إلا أن هنالك سببين يتقدمان على هذه الأسباب ومن الضروري التوقف عندهما والتأمل فيهما بعض الشيء.

السبب الأول هو أن التهديد بضرب قواعد الصواريخ يأتي بمثابة رد على حملة التبرعات للانتفاضة الفلسطينية التي بدأتها المملكة قبل بضعة أسابيع، والتي تتزايد الحماسة لها يوماً بعد آخر.

وهذه الحملة تتساوى في نظر إسرائيل مع أي إستعدادات عسكرية تتخذها المملكة، لأن الحملة شعبية وليست مجرد مساندة مالية عابرة قدمتها الحكومة، ولأنها بعدما بدأت لن تتوقف ما دامت الانتفاضة مستمرة.

أما لماذا تتساوى حملة التبرعات السعودية مع أي إستعدادات عسكرية فلأن لهذه الحملة طابع التعبئة، بمعنى أن كل مواطن سعودي أو مقيم في المملكة مدعو إلى التبرع، بل ونكاد نقول إنه مطالب بالتبرع، فضلاً عن أن تصنيف الحملة على أنها شعبية لا يلغي حقيقة أساسية وهي أن الذي يقود الحملة هو أمير الرياض سلمان بن عبد العزيز، وأنه يقودها بدعم من الملك فهد ومباركته.

وإلى ذلك إن إسرائيل لا بد تأخذ في الاعتبار أن حملة التبرع التي تحدث في المملكة العربية السعودية لمصلحة الانتفاضة تشكل خطورة على أمنها على أساس أن التبرع، ومن دولة مقتدرة مثل المملكة، سيساعد الانتفاضة على أن تتواصل وتصلب وتمتد من قرية فلسطينية إلى أخرى، وهذا التواصل والصمود والتمدد يعني إبقاء إسرائيل في حالة إستنزاف، وهذا الإستنزاف يشكل ضربة مؤثرة في الإستقرار الذي تتباهى به إسرائيل، ويشكل بالتالي ضربة أكثر تأثيراً على الأمن الإسرائيلي.

وإذا كان البعض منا لا يدرك أهمية حملة التبرع السعودية بالصيغة الرسمية - الشعبية التي تتم بها فإن الإسرائيليين يدركون عمق هذه الأهمية، ويدركون الحقيقة الأساسية وهي أنهم على مدى أربعين سنة يعيشون على التبرعات التي يتم جمعها لإسرائيل (الدولة) من يهود العالم ومن أشخاص غير يهود تربطهم مصالح تجارية وإقتصادية وسياسية بيهود العالم.

كذلك أن الإسرائيليين يدركون أن البقاء لم يكن ممكناً لولا هذه التبرعات، ولولا انه ما أن يفرغ صندوق تبرعت به هذه المجموعة حتى يكون إمتلأ صندوق ملأته مجموعة أخرى بالتبرعات... وهكذا.

ذلك هو السبب الأول والذي يمكن أن يقال في شأنه وحوله الكثير.

أما السبب الثاني فهو أن إسرائيل تحاول أن تُرضي بالتهديد الذي أطلقتته ضد الصواريخ السعودية، الولايات المتحدة التي يبدو أنها متضايقة من هذه المفاجأة السعودية غير السارة، ونعني بها صفقة الصواريخ الصينية التي تشبه في بعض جوانبها صفقة السلاح الشيوعي التي أبرمها جمال عبد الناصر في الخمسينات مع تشيكوسلوفاكيا. ومثلما أن الولايات المتحدة لم توافق على إعطاء مصر السلاح ثم تضايقت لأن عبد الناصر رد على ذلك بالتوجه إلى تشيكوسلوفاكيا، فإن الولايات المتحدة أيضاً لم توافق على بيع السعودية الصواريخ ثم تضايقت لأن المملكة توجهت نحو الصين، ونحو الصين الشيوعية وليس تايوان، وأبرمت بصمت صفقة الصواريخ التي وصلتها بصمت.

وإذا جاز القول فإن التهديد الإسرائيلي للسعودية بسبب الصواريخ الصينية هو في أحد جوانبه رد ناشئ عن ضيق إسرائيل من صواريخ الحسنيين العراقية، ذلك أن دخول الصواريخ وبهذه الكثرة المنطقة العربية من شأنه أن يجعل التوازن الإستراتيجي يختل بشكل لا مثيل له، بمعنى أن بضعة صواريخ باتت كفيلة بتهديد القلعة النووية الإسرائيلية.

وببقى أن الصواريخ الصينية قد تشكل عنصر ردع بحيث إن الصيف المقبل لن يعود ساخناً، بل وكثير السخونة، كما هو المتوقع نتيجة معاندة إيران وإصرارها على تكرار محاولتها العام الماضي تحويل موسم الحج إلى مناسبة دموية، ونتيجة تقويتها فرصة مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الأخير في عمان للاستفادة من هذه الفرصة لتحقيق تسوية للحرب العراقية - الإيرانية.

وعندما شاركت إيران في هذا المؤتمر ساد إنطباع بأن الحُكم الإيراني يريد الجنوح نحو السلم ويريد تعويض الفرصة التي ضاعت والتي تتمثل بالقمة الإسلامية التي جرى عقدها في الكويت. لكن سرعان ما انسحب الوفد مؤكداً بذلك أن هذا الحُكم لا يريد سوى إستمرار الحرب، وأنه لو كان بالفعل يريد السلام لما كان إرتضى تقويت

الفرص وما أكثرها.

وتكراراً إن تهديدات إسرائيل للسعودية بسبب الصواريخ الصينية مفهومة، ما دامت المملكة تتصدر جمع المال الذي من شأنه مساندة الإنتفاضة وإبقائها مستمرة. أما الذي يصعب فهمه فهو قول مساعد وزير الخارجية الأمريكي ريتشارد مورفي يوم 1988/3/25 إن الولايات المتحدة دعت إسرائيل إلى عدم القيام بأي عمل ضد الصواريخ، مشيراً إلى أن إسرائيل لم تقطع على نفسها أي تعهدات بهذا الشأن. وهذا الكلام يقوله مورفي يبدو كما لو أنه تحريض أميركي لإسرائيل من أجل أن تعتدي.

وفي هذه الحال يتساوى الطرف المعتدي مع الطرف الذي يشجعه ضمناً على الاعتداء.

ويبقى سؤال: إذا كان هذا هو موقف الولايات المتحدة بينما الصواريخ صينية، فكيف سيكون موقفها لو أن الصواريخ التي حصلت عليها المملكة كانت صواريخ سوفياتية؟

المهم إن الصواريخ الصينية التي حصلت عليها المملكة العربية السعودية (وهو إنجاز نسجله للأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس الوزراء في المملكة العربية السعودية ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام للقوات المسلحة) باتت فجأة بأهمية طائرات الأواكس التي من واجبها أن تنذر مبكراً عن أي عدوان إسرائيلي جوي يمكن أن تتعرض له قواعد الصواريخ. ... وما قد يحدث هو من النوع الذي يحبس الأنفاس.

مجلة "التضامن". لندن - 2 نيسان (أبريل) 1988

* * *

إهتمام أميركي متأخر خمس سنوات

يحتار المرء في هذا الإندفاع من جانب الإدارة الأميركية نحو المنطقة العربية والإهتمام بمشاكلها. فما هو وزير الخارجية جورج شولتز بدأ قبل أيام جولة جديدة، وكان قبل أسابيع أنجز رحلات مكوكية لا يبدو أنها حققت ما تتطلع إليه الإدارة التي بدأت مرحلة جمع الأوراق استعداداً لمغادرة البيت الأبيض.

يحتار المرء ويتساءل:

هل أن هذا الإهتمام ناشئ عن مفاجأة الإنتفاضة

الفلسطينية التي وضعت الإدارة الأميركية في موقف لا يخلو من الحرج، لأنها إذا كانت لن تتعاطف مع الإنتفاضة فإن وقوفها مع الحكومة الإسرائيلية سينعكس على هيبتها وسُمعتها، وسيبدو حرصها على حقوق الإنسان يفتقد في نظر الرأي العام الأمريكي إلى المصادقية؟

وهل أن هذا الإهتمام يحدث لأن القمة الأميركية - السوفياتية التي ستعقد في موسكو بعد بضعة أسابيع ستكون قمة المشاكل والقضايا الإقليمية العالقة، بعدما كانت القمة الماضية في واشنطن هي قمة الإتفاق على تحديد حجم الصواريخ النووية، وأنه إذا كان من الطبيعي أن تعالج الدولتان هذا الأمر بمعزل عن الآخرين في القمة الماضية لأنه يخصهما من دون غيرهما، فإنهما لا تستطيعان الإتفاق على المشاكل والقضايا الإقليمية العالقة في العالم إذا كانتا لن تتفاهما أولاً مع الأطراف المعنية في هذه المشاكل والقضايا، وهما من أجل ذلك نشطتا كل في الإتجاه الذي يخدم مصالحها وأهدافها؟

وهل أن هذا الإهتمام بالمنطقة العربية من جانب الإدارة الأميركية سببه فقط أنها المنطقة التي تتكاثر فيها المشاكل والقضايا الإقليمية، وأن هذه الإدارة لكثرة تجاهلها لمشاكل المنطقة في الماضي تحاول أن تبدو أمام الإتحاد السوفياتي في قمة موسكو بأن المنطقة "منطقتها" وأنها مهتمة بها إلى أبعد الحدود؟

وهل أن عدم تحرك الإتحاد السوفياتي بالمستوى نفسه، أي أن يقوم وزير الخارجية السوفياتية شيفاردنادزه بجولة مماثلة، يعود إلى أن السوفيات متأكدون بأن الأميركيان لن يحققوا ما تتمناه المنطقة وبالتالي فإن تحركهم بعد جولة شولتز قد يكون مجدياً أكثر؟

وهل أن هذا الإهتمام من جانب الإدارة الأميركية ناشئ عن قلقها إزاء شأن إسرائيل في ضوء الإنتفاضة الفلسطينية من جهة وصواريخ الحسين العراقية من جهة أخرى، ثم في ضوء مفاجآت غير متوقعة من نوع مفاجأة الصواريخ الصينية للمملكة العربية السعودية وربما صواريخ مماثلة قريباً للكويت؟

وهل أن هذا الإهتمام ناشئ عن مخاوف من إضطراب مصر إلى فك الارتباط القائم بينها وبين كل من الولايات المتحدة وإسرائيل، وتريد الولايات المتحدة بالإهتمام الذي تبديه خلال جولات شولتز تثبيت هذا الارتباط؟

وهل أن هذا الإهتمام يستهدف من جملة ما يستهدف المشاعر التي سادت في المنطقة العربية في أعقاب

العدوان الأميركي على ليبيا؟

إن هذه الدوافع وغيرها قد تكون هي السبب وراء هذا الإهتمام اللافت للانتباه من جانب الإدارة الأميركية. وقد يكون أهم هذه الدوافع أن حسابات الجمهوريين تقوم على أساس أنهم ما داموا سينجزون بعد بضعة أسابيع من خلال لقاء القمة الأميركية - السوفياتية في موسكو الوفاق الدولي الجديد، فهذا معناه أنهم باقون في البيت الأبيض، وأن كل ما سيحدث هو أن الرئيس ريغان سيغادر ويبقى جورج بوش رئيساً، وتتجدد بذلك الولاية. تماماً كما حدث في بريطانيا التي واصل فيها المحافظون الحُكم، وكما هو متوقع حدوثه في فرنسا مع الحزب الاشتراكي.

ونقول ذلك على أساس أن الإهتمام الأميركي بالمنطقة العربية من جانب إدارة بدأ العد العكسي لبقائها في الحُكم يبدو مستغرباً ولم يحدث من قبل إلا إذا كانت هذه الإدارة تشعر بعقدة ذنب إزاء تجاهلها مشاكل المنطقة العربية طوال سنوات... من المشكلة اللبنانية إلى القضية الفلسطينية إلى الحرب العراقية - الإيرانية وما نتج عن هذا التجاهل من كوارث.

في أي حال إن هذا الإندفاع اللافت للانتباه في اتجاه المنطقة العربية من جانب الولايات المتحدة يبقى مفيداً بالرغم من أنه يحدث متأخراً خمس سنوات على الأقل. وفي السنوات الخمس الماضية حدثت في المنطقة تطورات على درجة من الأهمية إلا أن الإدارة الأميركية تعاملت معها على أساس أنها أمور ثانوية. ولو أن التعامل كان كما يجب أن يكون لما وصلت هذه التطورات إلى الخطورة التي هي عليها الآن.

أما لماذا هو مفيد، فلأنه سيزيل بعض ما هو عالق في الأذهان من شكوك حول جدوى العلاقة مع الولايات المتحدة بالأسلوب السائد حتى الآن.

مجلة "التضامن". لندن - 9 نيسان (أبريل) 1988

التضامن... في سبيل الوفاق العربي

هذا العدد الذي يحمل الرقم 262 تدخل «التضامن» سنتها السادسة.

وبالقدر الذي نشعر بصوابية الخط الذي إنتهجه

«التضامن» في السنوات الخمس الماضية، بالقدر نفسه نرى أن هذا الخط يجب أن يستمر في المرحلة المقبلة. وقد يكون من المناسب مع بدء سنة جديدة تحديد مبادئ هذا الخط على النحو الآتي:

أولاً - إعتبار التضامن، كهدف وقضية، مسألة يجب التمسك بها على رغم المحنة التي يواجهها التضامن، وعلى رغم إنقضااض البعض على أي محاولة جادة لتحقيق التضامن بهدف تقويضها.

ثانياً - إحترام التضامن، كقضية وكهدف، خصوصاً أنه بات مطلباً شعبياً، وخصوصاً أنه يحرز يوماً بعد آخر مواقع حصينة له.

ونتيجة أنه بات مطلباً فإنه يكاد لا يمر يوم إلا وتكون هنالك مطالبة بالتضامن. كما أنه يكاد لا يخلو تصريح يدلي به مسؤول عربي إلا ويكون للتضامن حصة كبيرة فيه، حيث أن هذا المسؤول إما يوجه الدعوة إلى تحقيق التضامن أو ينصح به وقبل بضع سنوات كان من يدعو إلى التضامن، أو ينصح به، أو يطالب بموقف تضامني، يعتبر إنهمازياً قياساً بأن الوحدة هي الحد الأدنى الذي يجب العمل في سبيله. أما الآن فإننا نادرأ ما نقرأ كلاماً وحدوياً، أو نستمع إلى تصريحات وحدوية بعدما تقدمت التصريحات التضامنية عليها لدى الودويين أنفسهم.

ونحن في «التضامن» نشعر أننا في خمس سنوات قمنا بدور ملحوظ في هذا المجال، حيث أننا أتحنا المجال أمام الإتجاه التضامني، وخصصنا القسم الأكبر من إهتماماتنا الصحافية. لأهل القرار العربي الذين يعملون بصدق من أجل التضامن، وتقادينا نشر كل ما من شأنه أن يسيء إلى التضامن كقضية شعبية.

ثالثاً - الإصرار أكثر وأكثر على أنه لا بد من جعل هامش حرية التعبير أكثر رحابة، وذلك على أساس أنه كلما إتسع هامش حرية التعبير إقترب تحقيق التضامن. وكلما ضاق هذا الهامش بات تحقيق التضامن على شيء من الإستحالة. وإذا جاز القول فإنه لولا حُجب بعض الحقائق عن الرأي العام العربي لكان لقطاعات هذا الرأي العام أن تحسم الأمر مع الذين يحولون دون تحقيق التضامن، ولكانت النغمة السائدة التي تعتبر تحقيق التضامن يخدم الإمبريالية إختفت تماماً.

رابعاً - قد يكون من المناسب القول هنا إنه في خلال عشر سنين تبين أن الذي يخدم الإمبريالية هو عدم توافر التضامن بالحد الأدنى، وإن حالة تضامنية بالحد الأقصى

كان في إستطاعتها أن تحقق للعالم العربي معجزة على صعيد الإستقرار. والإستقرار يعني الإزدهار.

ولا نقصد بالإزدهار هنا ذلك الإزدهار المخادع الناشئ عن طفرة عابرة، وإنما الإزدهار الناشئ عن تخطيط مدروس وحياة قائمة على القناعة.

ونحن في «التضامن» عملنا طوال خمس سنوات بهدي الحقيقة الثابتة (الإستقرار هو الطريق إلى الإزدهار). وعندما نتأمل في أحوال الأمة نجد أنفسنا نتساءل أي إستقرار هو هذا الإستقرار الذي لا يتم على أرضية تضامنية.

ولن نكتفي بالتساؤل وإنما سنعمل في سبيل ذلك، مثلما فعلنا في السنوات الخمس الماضية، يشجعنا على ذلك أن ما أنجزناه في الماضي كان، على تواضعه، جيداً. وعندما نعود إلى أعداد «التضامن» الـ 261، التي صدرت خلال الخمس سنوات نجد أننا لم نسجل في أي من صفحات هذه الأعداد تجريحاً بأحد، أو إستهانة بطرف، أو تجاهلاً لأدوار مضيئة على صعيد التنمية الإجتماعية، والتوجه السياسي القومي المنزه عن الأغراض الشريرة. ومثل هذا التعامل من جانبنا يعني أننا المنبر الإعلامي العربي الذي يشكّل إستقرار الأمة هاجساً بالنسبة إليه، وهو هكذا لأن الإستقرار يعني الإزدهار وهو ما نتطلع إليه الأمة، وبالأذات جيل التسعينات العربي المقبل على العام 2000 حيث لن تكون فرص التعايش سهلة أمام المتخلفين عن تكنولوجيا قرن جديد مدّش بتقدمه التقني.

خامساً - لقد حددنا في عددنا الأول أننا نمثّل خطأً ليبرالياً في الإعلام العربي. وبعد خمس سنوات من العمل وفق هذا الخط، من دون أن يكون ذلك على حساب القضية القومية، نجد أن الخط الليبرالي يجب أن يستمر على رغم العذاب الذي نواجهه من أجل تثبيت أسس هذا الخط، وعلى رغم المتاعب التي تنشأ أحياناً نتيجة إجتهد، أو نتيجة قناعات.

ومع أن الخط الآخر، الذي يعتمد مبدأ الإنحياز والإلتزام، يريح البال أكثر، إلا أننا نرى أن الأمة تواجه مرحلة تحتاج فيها إلى مبدأ (راحة الوجدان والضمير أهم من راحة البال). مرحلة يتسم فيها الإعلام بالمكاشفة والمصارحة.

ولقد تبيّن لنا طوال خمس سنوات أن مسألة التعامل مع الأنظمة هي أسلوب مخاطبة في الدرجة الأولى. وفي ضوء تجربة السنوات الخمس الماضية تأكد لنا أن في

إمكان الصحافي تناول أي أمر، وأن أسلوب التناول هو القضية الأساسية. كذلك تأكد لنا أن لمس بعض القضايا يبقى أفضل من تجاهلها، أو التعامل معها بحدة، وأن اللمس قد يتسبب في نشوء حالات من العتب في نفوس بعض الحكام والمسؤولين، إلا أنه لا يقطع الجسور. ومادامت هذه الجسور قائمة فإن المخاطر تكون أقل.

سادساً - إننا في «التضامن» تعاملنا مع بعض القضايا العربية، أو تحديداً مع بعض الممارسات لدى هذا النظام أو ذاك، على أساس أنه لا بد من إعادة النظر في هذه الممارسات والتي تصل عند البعض إلى مرتبة الطقوس.

وفي تعاملنا هذا كنا نأخذ في الإعتبار أن إعادة النظر تشكّل أحياناً ما يجوز إعتباره وقاية أو عملية درء للمخاطر.

وهذا التوجه من جانبنا سيستمر، خصوصاً وقد تعززت قناعاتنا في شأنه. والذي عزز هذه القناعات هو أن هنالك محاولة تاريخية تحدث داخل الإتحاد السوفياتي في هذا الإتجاه.

وإذا كانت قيادة مثل قيادة غورباتشوف تقوم بإعادة نظر لا مثيل لها ومن شأنها أن تحمي النظام من مخاطر التقجر مع إطلالة قرن جديد، فهل يعود مستغرباً ألا تحدث عمليات إعادة نظر من جانب هذا النظام العربي أو ذاك، في سبيل تفادي مخاطر التقجر؟

ونحن نقول ذلك مع الأخذ في الإعتبار أن الأنظمة العربية التي لا تحتاج إلى إعادة النظر المطلوبة كثيرة، وتعاملنا في «التضامن» مع بعض القضايا العربية من أجل إعادة النظر ينطلق من بعض الحقائق الثابتة، ومنها أنه إذا كانت قيادة غورباتشوف إكتشفت أنه لابد من إعادة النظر في أصول التطبيق الماركسي، فهل كثير على معظم حكام العالم العربي أن يعتمدوا الأمر نفسه؟ وإلى ذلك يمكن القول إن إعادة النظر هي حالة قوة للحاكم الواثق من نفسه.

يبقى أننا مع بدء سنة جديدة نتطلع إلى أن تكون السنة الجديدة من «التضامن» هي السنة التي يتحقق فيها الوفاق العربي، خصوصاً أن العالم على أهبة إستقبال لحظة تاريخية تتمثل بالوفاق الدولي الذي بات الإعلان عن ولادته قريباً في نهاية القمة، التي ستعقد بعد أسابيع في موسكو بين الرئيسين ريغان وغورباتشوف. وإذا تعرّ الوفاق العربي المنشود فإن «التضامن» ستستمر تنشط في

هذا الإتجاه إلى أن تحين لحظة تحقيقه.

أليس شعارها الذي طرحناه منذ العدد الأول إنها مجلة العرب من المحيط إلى الخليج؟ وأليس هذا التجمع العربي الهائل لن يكون فعالاً من دون وفاق... ومن دون تضامن؟ والرد على ذلك نعم. خصوصاً بعدما بدأ العد العكسي لنضوب الثروة العربية وبات لا بد من تدرك سريع للأمر.

مجلة "التضامن". لندن - 9 نيسان (أبريل) 1988

* * *

غياب رجل الوفاق المتعثر

ما دام قادة الثورة الفلسطينية ما زالوا أهدافاً للإغتيال فهذا معناه أن هذه الثورة فعالة وأنها تخلق العدو وأنها إذا كانت بالفعل مشتتة فإن إسرائيل ما زالت بسبب هذه الثورة غير مستقرة وأن أربعين سنة من القهر والترهيب والعدوان لم تُحقق لها الاستقرار المطلوب.

وما دام الذين يستشهدون في هذه الثورة هم الذين في القمة والذين في القاعدة، أي الذين يخططون ويعطون الأوامر وكذلك الذين ينفذون الأوامر ويقومون بالعمليات فهذا معناه أن هذه الثورة صاحبة قضية وأنها بالفعل الرقم الصعب.

وما دامت هذه الثورة قادرة على أن تتولى تتشئة جيل إستطاع أن يهز بالحجارة أمن إسرائيل، فهذا معناه أن هذه الثورة مستمرة بالفعل وحتى النصر بالتأكيد.

بهذه الإنطباعات يخرج المرء وهو يسمع أن الإسرائيليين كرروا في تونس ما سبق أن إقترفوه في بيروت. وفي المرتين إستهدفوا الذين يتولون التعبئة الشعبية داخل الأراضي المحتلة. إغتالوا أبو جهاد بالطريقة التي إغتالوا بها يوسف النجار وكمال عدوان وكمال ناصر.

وإلى جانب هذه الإنطباعات يجد المرء نفسه حزيناً ومطمئناً في الوقت نفسه. الحزن لأن الذي فقدناه في تونس هو من النوع الذي يشكّل غيابه خسارة كبرى. والإطمئنان لأن الثورة الفلسطينية ما زالت في عز الخصوبة قادرة على أن تعطي وبالذات عندما تكون الحاجة قصوى إلى العطاء.

وغياب أبو جهاد وفي هذه المرحلة بالذات خسارة للتوحد الغائب عن ساحة العمل الفلسطيني ونكسة لمحاولة تألف القلوب التي خطت نحو الأفضل في الأيام القليلة الماضية

بفضل الوهج الذي أحدثته الإنتفاضة في النفوس الفلسطينية، والذي كان مثل ذلك الوهج الذي أحدثه في النفوس العربية النشاط الفدائي الفلسطيني في أعقاب هزيمة 1967.

وصحيح أن خسارة القائد تكون صعبة على الثورة خصوصاً إذا كانت هذه الثورة خسرت الرجل الثاني، إلا أن الأمر بالنسبة إلى أبو جهاد يختلف، ذلك أن إستشهاده يجعل الإستشهاد أمنية المناضل. وعند تحقق هذه الحالة فإن القضية تصبح أكثر صلابة ويصبح المناضل أكثر إيماناً بقضيته. ومن المهم أن نتذكر ونذكر بالخير في هذه المناسبة أن من عوامل النصر الذي حققه الجيش المصري عام 1973، هو أن قائداً ببقاء عبد المنعم رياض كان قد إستشهد قبل ذلك في المرحلة التي كان الجيش المصري بدأ يعد نفسه لكي يثار من هزيمة 1967.

وإلى ذلك إن غياب أبو جهاد هو خسارة لعملية الوفاق التي تعثرت كثيراً وكادت تنمر بين الثوريين سواء كانوا أبناء التنظيم الواحد أو أبناء التنظيمات المتنافسة، وخسارة أيضاً لعملية الوفاق التي تعثرت كثيراً بين الثورة والأنظمة العربية لأنه كان مزيجاً من رجل الثورة ورجل الدولة في الوقت نفسه.

ويبقى أن أبو جهاد الذي إستشهد مع إطلالة فجر يوم كريم هو الأول من شهر رمضان هو أول قائد فلسطيني يحدث تنافس من أجل إستضافة جثمانه، ربما لأنه أول قائد فلسطيني بقي بعيداً وفي الظل فوفر على نفسه الحساسية التي تنشأ بشكل عفوي لدى الحكام عندما يجدون أن أكتافهم تحتك بأكتاف قادة منظمات أو تنظيمات.

ولقد بقي أبو جهاد بعيداً من دون أن يفقد سنوات إهتمامه بالقضية الأساسية. وإستطاع خلال خمس سنوات أن يثار من محنة المقاومة الفلسطينية التي واجهتها في لبنان، ثم إستطاع بفضل الإنتفاضة التي عمل من أجلها بصمت أن يعيد الإعتبار إلى الثورة الفلسطينية، بل وإلى الشعب الذي يعاني منذ أربعين سنة.

يبقى أيضاً أن أبو جهاد مثل جمال عبد الناصر. كلاهما رجل وهو في الثانية والخمسين. وكلاهما رجل قبل أن يقطف ثمار مرحلة الترميم. وتلك أقدار الزعامات التاريخية. البقاء للثورة والبركة بأمر جهاد.

مجلة "التضامن". لندن - 23 نيسان (أبريل) 1988

* * *

حالة تحرير واحدة

وسط حالات إحتلال كثيرة

بعد سنتين وبضعة أيام تعود «الفاو» إلى أهلها وإلى ربّعها والأهل. والربّع هنا ليسوا العراقيين وحدهم وليسوا الخليجيين وحدهم، وإنما هم العرب من المحيط إلى الخليج.

وبعد سنتين وبضعة أيام لا تعود «الفاو» بموجب صفقة مقايضة ولا بموجب المساعي الحميدة وإنما تعود بعملية تحرير قائمة على الفروسية.

وإستعادة «الفاو» في ظل الظروف الراهنة التي تعيشها الأمة لها أكثر من معنى. فهي من جهة رسالة جديدة تبعث بها قيادة صدام حسين إلى القمة الأميركية - السوفياتية التي ستعقد بعد أيام في موسكو، وهنالك فرق كبير بين أن تناقش هذه القمة الوضع في المنطقة بينما «الفاو» تحت الإحتلال وبين أن تتم المناقشة بينما تم تحرير «الفاو» في عملية عسكرية شجاعة.

وهي إسقاط لنظرية الحل بالثغرة على الطريقة التي ابتكرها كيسنجر وتم تطبيقها في الدفرسوار ودفعت مصر الثمن الباهظ نتيجة لذلك.

وهي تأكيد إلى أن ما يؤخذ تحايلاً يستعاد بالقوة حتى إذا طال الزمن.

وهي إنتصار من نوع إستثنائي وفي ظروف إستثنائية. ومع الأخذ في الإعتبار أن الجيش العراقي لا يشكو من قلة الإنتصارات إلا أن نصر إستعادة «الفاو» يأتي بينما النفوس العربية في أشد الحاجة إلى إنتصار يبقي على الصف متماسكاً ولو في الحد الأدنى ويدعم السعي المتواصل من أجل تحقيق الحل الذي يعطي كل ذي حق حقه.

وهي إنتصار من شأنه أن يضع حداً للتهديدات التي يوجهها «آيات الحرب» ضد المملكة العربية السعودية من خلال التلويح بنشر الفوضى في موسم الحج الذي تقترب أيامه، وضد الكويت التي كانت طائراتها المدنية المخطوفة بوجي وتدير وتخطط من الحُكم الإيراني ما زالت حتى كتابة هذه الأسطر يوم 19 - 4 - 1988 رهينة على أرض أكثر الدول العربية تعاطفاً مع موقف إيران ونعني بها الجزائر، وما زالت سيطرة الخاطفين عليها وعلى من فيها من ركاب تؤكد حالة عجز عربية ناشئة في الدرجة

الأولى عن عدم حُسم الموقف مع العناد الإيراني. وطوال سنتين كان الحُكم الإيراني يتناول على هذه الدولة العربية أو تلك وكان يهدد ويتوعد ويرفض ما يتم عرضه عليه من مشاريع للتسوية على أساس أن «الفاو» في قبضته وأنها ميناء «تصدير الثورة» التي يحلم بنشرها في أي بقعة إسلامية مستقرة.

ومن هنا فإن إستعادة «الفاو» هي بمثابة وضّح حد للتهديد والوعيد، فضلاً عن أنه ميدالية إستحقاق إضافية توضع على صدر الرئيس صدام الذي يخطط ويقود، ويهنيء القادة العسكريين في أرض المعركة عندما يكون الإنتصار من نوع إنهاء ثغرة «الفاو» التي كانت شوكة مزعجة في خاصرة القدرة العسكرية المتألقة.

ومثلاً أن إستعادة «الفاو» هي تأكيد للقدرة العسكرية العراقية المتنامية، فإن التعامل السياسي من جانب قيادة صدام حسين مع هذا الإنجاز تأكيد لصدق سعي هذه القيادة ونياتها الطيبة تجاه السلام. وعندما تؤكد هذه القيادة وهي على أرض «الفاو» بعد تحريرها ما أكدته مراراً في الماضي قبل إحتلال «الفاو» أن لا طريق غير طريق السلام وأن «لكل من العراق وإيران شعباً وأنظمة الحق في ما تختاره ولهما الحق في سيادتهما على أرضهما ومياههما وأجوائهما بموجب القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة ولهما الحق في العيش والإستقرار في المنطقة من دون أن ينغص غاز أو محتل هذه المبادئ أو يتجاوز عليها»، وتؤكد أيضاً «إن الإمتناع عن التدخل في الشؤون الداخلية للغير كبادرة حُسن نية لأبد من تأكيدها قولاً وتصرفاً لتخدم إستقرار دول المنطقة وفي مقدمتها دول الخليج العربي»... إن قيادة صدام حسين عندما تفعل ذلك فإنها تدعو بذلك الدول الكبرى والدول الأخرى من أجل أن تتعامل مع الحُكم الإيراني على أساس جديد يتناسب مع المرحلة الجديدة التي يعيشها العالم في ضوء الوفاق الدولي بطبعته الجديدة حيث لا مجال بعد الآن للحروب ولا للصراعات التي تهز الإستقرار العالمي.

وزيادة في التوضيح فإن قيادة صدام حسين أظهرت قوتها بأسلوب تعاملها مع الإنجاز العسكري البالغ الأهمية عندما كررت الموقف الثابت الذي لا تترك مناسبة إلاّ وتثيره في المحافل الدولية وفي الإتصالات التي تجربها مع الأثقاء والأصدقاء. وبالرغم من أن هنالك بعض البطء في تقيّم قوة هذا الموقف، إلا أنه الموقف التاريخي الذي سيكون بمثابة شواهد لها أهميتها عن القيادة التي تتمسك

بالسلام وهي في ذروة الإقتدار، مقابل الحُكم الذي لا ورقة عنده سوى ورقة المعاندة فقط وهي ورقة مفروضة على الناس بقوة الصفة الدينية لهذا الحُكم.

يبقى أن إستعادة «الفاو» وتحريرها بعد سنتين من المكابدة والمثابرة والإستعداد هي عملية تفوق بأهميتها حرب «الفوكلان» التي حوّلتها بريطانيا إلى ما يشبه الأسطورة وإلى ذكرى وطنية.

يبقى أيضاً أن الرئيس صدام الذي يعلّق منذ سبع سنوات الأوسمة وأنواط الشجاعة على صدور المقاتلين المتميزين في حرب مفروضة على العراق، هو الجدير قبل أي أحد آخر بأن يتم تزيين صدره بوشاح التحرير الذي هو «وشاح الفاو» خصوصاً أننا في عالم عربي تكاثرت فيه حالات الأقطار المحتلة أراضيها والأقطار المهددة أراضيها بالإحتلال، ولم تحدث سوى حالة تحرير واحدة بقوة الايمان بالقضية والقيادة ونعني بها حالة تحرير «الفاو» مع إطلالة شهر فضيل.

ولعل هذه الحالة تتحول إلى أمثلة إن رمضان كريم بالفعل. وإن الله أكرم. وتحية للذي قاد وللذين قاتلوا من أجل أن تعود «الفاو» إلى أهلها وإلى ربّيعها.

مجلة "التضامن". لندن - 23 نيسان (أبريل) 1988

* * *

الغم الباكستاني: ضياء الحق

في الوقت الذي لاحت في الأفق بوادر إنفراج أولي بالنسبة إلى حادثة الطائرة الكويتية المخطوفة، فتح الحُكم الإيراني ملف الحج بطريقة إستقرازية وتتطوي على الكثير من التحدي. وقد تمثّل ذلك بتصريحات للخميني بثتها إذاعة طهران يوم الثلاثاء 1988/4/12، وكانت المفاوضات في شأن إنتقال الطائرة الكويتية المخطوفة إلى الجزائر بدلاً من بقائها في لارنكا قطعت شوطاً طويلاً. وفي هذه التصريحات شدد الخميني على القول إن 150 ألف إيراني سيؤدون فريضة الحج هذا العام. وأضاف إلى ذلك قوله إنه من المستحيل أن يؤدي الحجاج فريضة الحج من دون التظاهر، وحذّر المملكة من محاولة منع الإيرانيين من التظاهر.

ولقد جاء رد الفعل السعودي على هذا الإستفزاز سريعاً.

فالملك فهد بن عبد العزيز أمر بتشكيل لجنة على مستوى عال لدراسة إجراءات الأمن التي ستُتخذ في مكة المكرمة أثناء موسم الحج هذا العام. ووزير الداخلية الأمير نايف بن عبد العزيز أدلى بتصريحات وصف فيها كلام الإيرانيين في شأن إصرارهم على عدد الحجاج وإصرارهم على التظاهر بأنه "هرطقة وكلام لا قيمة له"، مضيفاً إلى ذلك قوله "إن القرار يصدر أصلاً من المملكة العربية السعودية وما تقرره هذه البلاد هو الذي سيكون، وأمن الحج والحجاج سنقرضه على أي إنسان، ومن يخالف ذلك سيدد لدينا يداً قادرة على رذعه".

وهذا الموقف من جانب الحُكم الإيراني يدعو إلى الإستغراب، وي طرح أمام من يتأمل في تفاصيله الكثير من علامات الإستفهام.

فهو يأتي بعد أن أجمع المسلمون والعرب، أو فلنقل أجمعت الأكثرية الساحقة من المسلمين والعرب في العالم على أن الحج يجب أن يبقى في منأى عن المشاحنات والتظاهرات السياسية والأعمال الغوغائية، وذلك من أجل أن يؤدي المسلم فريضة الحج بطمأنينة.

وهو يأتي بعدما أدانت المؤتمرات الإسلامية الرسمية والشعبية أحداث الشغب التي شهدتها مكة المكرمة في موسم الحج الماضي (1987) وكادت تتحول إلى كارثة دموية.

وهو يأتي بعدما ضاق الحصار حول الحُكم الإيراني نتيجة للممارسات المشار إليها، وغيرها كثير. ولولا النافذة الباكستانية لكان البيت الإيراني، إذا جاز القول، من دون نوافذ. ولنتصور حال بيت لا نوافذ له.

وصحيح إن الموقف الإيراني ليس مفاجئاً، إلا أن الطريقة التي تم الإعلان بها عنه تشكّل مفاجأة. ذلك أن فتح ملف الحج المقبل صدر من القمة ومن الخميني شخصياً. ولو أن الإعلان عن أن 150 ألف إيراني سيؤدون فريضة الحج لهذا العام جاء من مسؤولين في الحُكم الإيراني أو من بعض "آيات وحجج الله" الأقل رتبة دينية من الخميني لكان من المحتمل إعادة النظر في الأمر، لكن الإعلان أتى من القمة. وإذا كان من الصعب إعادة النظر في أي قرار يأتي من القمة بالنسبة إلى دول العالم الثالث، أو معظمها، فإن الأمر بالنسبة إلى الخميني يبدو على شيء من الإستحالة، حيث إنه يتصف بالعناد وبعدم العودة عن أي خطوة سيّئتها، أو مسألة يدعو إلى إعتادها. وهو على هذه الحال منذ أن تسلّم الحُكم.

والى ذلك إن تحديد الخميني لعدد الحجاج الإيرانيين بمئة وخمسين ألفاً، وإصراره على أن يتظاهروا في مكة، وتحديد المملكة العربية السعودية لهذا العدد بخمسين ألفاً فقط، ومن العمر الذي لا يوحى بالريبة، معناه أنه بات هناك موقفان واضحان كل الوضوح. ولكي يشلم موسم الحج فإن المطلوب هو تراجع في الموقف الإيراني أو على الأقل تراجع نسبي في مسألة عدد الحجاج وتعهّد من الحُكم الإيراني بأن لا يكون هنالك تظاهر. وهذا التعهد لا يكفي أن يكون شفهياً.

وأغلب الظن أن الخميني عندما حدد بهذا الشكل المفاجئ أن عدد الإيرانيين الذين سيؤدون فريضة الحج سيصل إلى 150 ألفاً، وأن من حق هؤلاء أن يتظاهروا، فإنه بدا كمن يعلن التعبئة ويفتي في معرض التحريض بوجوب التظاهر. كذلك إنه بدا كمن يعطي الضوء الأخضر للذين يلقون خطبة الجمعة في مساجد إيران - وبالذات رافسنجاني - بأن يحرضوا منذ الآن وحتى إقتراب أيام الحج الناس على التأهب لـ "يوم المواجهة". ومثل هذا التحريض في أيام فضيلة مثل أيام شهر الصوم له أثره في نفوس الناس.

وبقدر ما إنه يحز في النفس ألا تكون الإستعدادات لموسم الحج هادئة وبعيدة عن كل ما من شأنه أن يلقي ظلالاً على هيبة المناسبة الكريمة، بالقدر نفسه يتمنى المرء لو يحدث منذ الآن ضغط إسلامي على الحُكم الإيراني من أجل إبقاء المناسبة في منأى عن أي منغصات، وبحيث لا يقول هذا الشعب أو ذاك: أنظروا ماذا يفعل المسلمون بأيامهم المقدسة.

ومثل هذا القول ترداد بشكل ما في أعقاب محاولة الإيرانيين الماضية تحويل موسم الحج إلى مناسبة تسيل فيها الدماء، بدل أن تكون مناسبة للتعبّد. لكنه في ضوء ما حدث قد يأتي القول هذه المرة بشكل أكثر وضوحاً.

وعندما نشير إلى ذلك لا نسقط من الحساب احتمال أن يكون إعلان التحدي مبكراً، ومن جانب الخميني مباشرة، يستهدف تعطيل موسم الحج بحيث إن ألوفاً من المسلمين في شتى أنحاء العالم وبالذات من هم في سن متقدمة يترددون في تأدية فريضة الحج هذا العام، على أساس أن الخميني نفسه يهّد، ويتوعّد، ويحرض، وعلى أساس أن المملكة العربية السعودية إنلتزمت بموقف حازم. والتعطيل بمعنى أن يتساءل المسلم بينه وبين نفسه قائلاً: ما دامت تلك هي الحال، وما دام لا قدرة لي على مواجهة

محاولات الشغب الإيرانية بالسكاكين أو بإشعال الحرائق، وما دامت الفريضة تحتاج إلى أجواء هادئة فلماذا أتوجه لتأدية الفريضة هذا العام؟

ومثل هذا التساؤل يكفي لتعطيل موسم الحج. وحدث مثل هذا الأمر لا سمح الله، أي الإحجام عن تأدية الفريضة، هو جانب من جوانب الخطة التي يبدو واضحاً من إصرار الخميني على أن يكون عدد الإيرانيين الذين يؤدون الفريضة 150 ألفاً، وعلى أن يتظاهروا خلال الحج، إنها تستهدف تحقيق فتنة كبرى.

ومن الضروري التوضيح هنا بأن المسلم يمكن أن يتحمل المشقة من أجل أن يؤدي فريضة الحج، إلا أنه يتردد في مسألة تحمّل المخاطر.

كذلك من الضروري التوضيح أيضاً بأن النيات الإيرانية، قياساً بما حدث العام الماضي، وبما يتم التخطيط له للحج المقبل، لا تبدو طيبة على الإطلاق، هذا إذا لم نقل إنها نيات شريرة. وفي هذه الحال فإن الخمسين ألفاً مثل المئة والخمسين ألفاً، ما دام هؤلاء سيأتون لإشعال الفتنة وليس من أجل تأدية الفريضة.

وفي هذا الإطار تجدر الإشارة إلى أن الخميني نفسه مهّد قبل شهرين إلى إمكانية إلغاء فريضة الحج.

ويبدو واضحاً أن حملات الإدانة الإسلامية للموقف الإيراني في شأن الحج، التي إتخذتها طوال الأشهر العشرة الماضية ندوات ومؤتمرات وشخصيات إسلامية لم يستقبلها الحُكم الإيراني بالجدية المطلوبة، أو إنه اعتبرها نوعاً من التحدي بدل أن ينظر إليها على أنها نصيحة، وأنه رد على ذلك بالإستقزاز وتولى الرد الخميني نفسه كما أشرنا.

ومن هنا فإن المطالبة بضغط إسلامي على الحُكم الإيراني توجب ما هو أكثر من الموقف اللفظي وتوجب التلويح بإجراءات، أكثر مما تسجل إدانة لا يأخذها الحُكم الإيراني على محمل الجد.

والتلويح من جانب الدول الإسلامية بإجراءات، أمر مبرّر على أساس أن المسألة لا تتعلق بقضية سياسية يمكن أن يكثر في شأنها الإجتهااد، وإنما تتعلق بركن من أركان الإسلام. كما أن التلويح بإجراءات ليس خدمة للحُكم السعودي، بقدر ما هو حالة دفاع مشروعة عن مناسبة يجب أن تبقى في منأى عن المنازعات، ويجب أن تبقى بمثابة الحلم للمسلم، ويجب أن تبقى على صفائها.

ولعل أكثر الذين يقع على عاتقهم واجب ممارسة الضغط على الحُكم الإيراني هم الذين تربطهم علاقة طيبة

بإيران من المسلمين عرباً وغير عرب. وفي مقدمة هؤلاء الرئيس الباكستاني ضياء الحق الذي يسجل مناسبة بعد أخرى إبتعاداً عن العرب وإقترباً من إيران. وتلك حال الرئيس الباكستاني منذ سنتين.

وعلى رغم الاعتقاد السائد بأن الرئيس ضياء الحق يبدو طرفاً محايداً في الصراع العربي - الفارسي، فإن الرجل ليس كذلك تماماً، وإنما بات في شبه حالة تحالف مع الحُكم الإيراني. ومن هنا فإن مطالبته بأن يضغط على الحُكم الإيراني طبيعية. ومطالبته بممارسة الضغط ضرورية أيضاً لإثبات حُسن النية، خصوصاً وأن هناك مؤشرات إلى أن الحُكم الإيراني قد يستفيد من تحالفه مع الرئيس ضياء الحق بحيث يكون هنالك تنسيق في مكة بين "ميليشيات الحج الإيرانية"، و"ميليشيات الحج الباكستانية" بمعنى أن يفضح حُكم الرئيس ضياء الحق النظر عن تجنيد الحُكم الإيراني لبضعة ألوف من الباكستانيين على أساس أن السلطات السعودية ستكون مطمئنة لهم، بينما هم آتون إلى الحج بالتوجه نفسه الذي يتم به الإيرانيون، وهو نشر حالة من الفوضى تتحول إلى شغب وما هو أكثر من ذلك.

والباكستانيون ليسوا الوحيدين الذين يمكن أن يقوموا بدور الحليف لـ "ميليشيات الحج الإيرانية"، وإنما قد يكون هنالك آخرون من هذه الدولة أو تلك.

وفي الأشهر القليلة الماضية سجل الرئيس ضياء الحق مواقف تؤكد تحالفه مع الحُكم الإيراني، الأمر الذي يعني أنه قد يؤازر خطط هذا الحُكم خلال موسم الحج المقبل. فهو إفتتح شخصياً مؤتمرًا إسلامياً تم عقده في إسلام آباد، بدعم مستتر من الحُكم الإيراني. وكان يمكن للعراق أن يكتفي بإعتبار هذا المؤتمر موقفاً غير ودي من جانب الرئيس ضياء الحق، لولا أن الرئيس الباكستاني حوّل بإفتتاحه شخصياً الاجتماعات إلى مؤتمر شبه رسمي، ولولا أن المؤتمر أداّن العراق بحجة أنه الذي بدأ الحرب من دون إدانة إيران لعدم تجاوبها مع مساعي السلام الهادفة إلى إنهاء الحرب.

وبسبب هذا الموقف إستدعى العراق سفيره. ومع أن مبعوثاً من الرئيس ضياء الحق جاء إلى بغداد وإعتذر، إلا أن المرارة التي تركها موقف الرئيس الباكستاني في نفس القيادة العراقية كانت واضحة.

والرئيس ضياء الحق لم يتخذ موقفاً يتناسب مع حجم الدعم السعودي له من التهديدات الإيرانية للمملكة، وقد بدا

الأمر مستغرباً جداً منه، ووصله الإستغراب السعودي عن طريق أطراف أخرى.

وفي مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الذي تم عقده في العاصمة الأردنية قبل بضعة أسابيع كان الوفد الباكستاني ينشط وراء الكواليس مع الوفد الإيراني، وبالطريقة التي بدا أنها للتشويش على توجهات المؤتمر وبالذات في ما يخص حرب الخليج.

وعندما أثير في المؤتمر موضوع تهريب اليهود من إيران عن طريق باكستان، لم يجد الوفد الباكستاني ما يقوله سوى التمني على بعض الوفود العربية إغلاق هذا الموضوع.

وفي السنة الماضية زوّدت باكستان الحُكم الإيراني بالأسلحة وقطع الغيار وخبراء صيانة الأسلحة الأميركية والمعلومات وبذلك ساهمت في تطويل الحرب، بعدما كانت وصلت هذه الحرب إلى مرحلة حاسمة في إتجاه التوقف.

ويبقى أن هذه المؤشرات أوضحت أمراً كان يحتاج إلى المزيد من التوضيح ويتعلق بإخفاقات المساعي الإسلامية في السنوات الخمس الماضية لإيجاد حل إسلامي لحرب الخليج. ولقد تبين أن الرئيس ضياء الحق بالذات، كان يخفي بعض الحقائق أو ينقل بعض الوقائع التي تبين أنها تصب في النهاية لمصلحة إستمرار الحرب، أي بمعنى آخر لمصلحة الطرف الإيراني.

وعلى هامش القمة الخليجية في الرياض قبل ثلاثة أشهر أثيرت هذه المسألة وراء الكواليس، ثم أثيرت مرة أخرى وراء كواليس القمة الإسلامية المصغرة.

وفي المرتين كانت هنالك حيرة في أمر موقف الرئيس ضياء الحق.

البعض يعتبر أنه حالة ثأر من العرب الذين يتعاطفون دائماً مع ذو الفقار علي بوتو، الذي شنقه ضياء الحق، والذين ما زالوا يذكرونه بالخير، وفي الوقت نفسه ما زال شبح الرجل يلاحق الرئيس ضياء الحق.

والبعض الآخر يعتبر أن الإدارة الأميركية هي التي طلبت من الرئيس ضياء الحق أن يُبقي على النوافذ مفتوحة مع الحُكم الإيراني، لكي تكون هنالك وسيلة حوار عند الضرورة أو عند إبرام صفقة سياسية مع حكم الآيات ولكي تكون كراتشي مصدر معلومات للأميركان عن إيران مثلما كانت بيروت في الماضي مصدر معلومات لهم عن دول المنطقة. ولكن هذا البعض يقول في الوقت نفسه إن الإدارة الأميركية طلبت من الرئيس ضياء الحق أن يُبقي

على النوايا مفتوحة مع حُكم الآيات ولم تطلب منه فتح الأبواب وعقد التحالفات كما فعل. وإلى ذلك يضيف البعض القول إن الحُكم التركي إستوعب الطلب الأميركي أفضل بكثير من الرئيس ضياء الحق، حيث إن المسؤولين الأتراك وضعوا ضوابط في العلاقة مع إيران بحيث لا تكون على حساب العرب كما فعل الرئيس ضياء الحق، ومن هنا نجحوا في أن تكون العلاقة متوازنة بينما إختار الرئيس ضياء الحق أن يكون أكثر إلتصاقاً بالآيات في كل مرة يُكثرون من إنذاراتهم وتهديداتهم للسعودية ودول الخليج.

ولكن كل هذه المواقف من جانب الرئيس ضياء الحق تبقى دون الخطر الذي يمكن أن يصيب العالم الإسلامي إذا هو إستمر صامتاً على حالة الإستقراز الإيرانية الجديدة ضد المملكة العربية السعودية، والتي تمثلت بإعلان الخميني أن عدد الإيرانيين الذين سيؤدون فريضة الحج هذا العام مئة وخمسون ألف إيراني، وليس خمسين ألفاً كما حددت الرقم السلطات السعودية، وأن المئة والخمسين ألفاً سيتظاهرون.

والصمت أحياناً هو بمثابة موافقة. وصمت الرئيس ضياء الحق على تحديات الخميني للسعودية ومعاندته لإنهاء الحرب العراقية - الإيرانية هو موافقة.. لا بل إنه مباركة. ولا بد إذاً من خطوة أكثر من النصيحة وأقل من المواجهة معه. خطوة كفيلة بفك هذا اللغم الباكستاني الذي زرعه الحُكم الإيراني لكي ينفجر وتصيب شظاياه الذين ساندوا الرئيس ضياء الحق على أنه الصديق الآسيوي العنيد فإذا به صديق آسيوي وعنيد... إنما إلى جانب الهجمة الفارسية التي تريد وضع اليد على المنطقة العربية.

مجلة "التضامن". لندن - 23 نيسان (أبريل) 1988

* * *

شرعية دولية للإنتفاضة...

لم يحدث من قبل أن تحرك الرأي العام العالمي إزاء القضية الفلسطينية كما تحرك في أعقاب تفجر الغضب في قطاع غزة ثم إمتد إلى معظم قرى الضفة الغربية.

وبسبب هذا الغضب، الذي كان في نظر بعض الدول "إنتفاضة" وبدا في نظر دول أخرى أنه "ثورة حجارة"، تم

إذا جاز القول إعادة فتح ملف قضية وضعها العالم على الرف، أو في الأدرج، أو في المكان المخصص لمفات القضايا العالقة. وإعادة فتح الملف تبدو مثل الإجراء الذي يتم بموجبه إعادة النظر في قضية صدر الحُكم في شأنها وإنتهى الأمر، ثم يحدث بعد ذلك أن يعاد التحقيق لأن طرفاً أدلى فجأة بشهادة جعلت الحُكم الذي صدر جائراً ويحتاج إلى تصحيح.

وإستناداً إلى بعض الأمثلة والشواهد يمكن القول إن وزير الدولة البريطاني للشؤون الخارجية ديفيد ميللور أعطى شرعية للإنتفاضة بعد الجولة التي قام بها في بعض المخيمات الفلسطينية. وهذا الموقف من جانب المسؤول البريطاني أحدث حالة تنبه في أوساط قطاعات عريضة من الرأي العام البريطاني فلم يعد المتحفظ على الفلسطينيين وقضيتهم متحفظاً ولم يعد المتردد في تأييدهم متردداً. وكثرت في هذا الشأن الكتابات والتعليقات وعرض الأفلام التسجيلية في محطات التلفزيون. ثم إستسع حجم الإهتمام وإمتد ليشمل كل دول أوروبا.

كذلك إنه إستناداً إلى بعض الأمثلة والشواهد، فإن عشرات الشخصيات اليهودية في أوروبا التي أبدت إمتعاضها من أسلوب تعامل القوات الإسرائيلية مع الفتية الفلسطينيين الغاضبين، أعطت بإمتعاضها هذا شرعية للإنتفاضة.

وإستناداً إلى بعض الأمثلة والشواهد أيضاً فإن الضغوط، التي إعتادت اللوبيات اليهودية في العالم ممارستها على وسائل الإعلام من صحف ومجلات ومحطات تلفزيون، لم تمارسها بالشكل التقليدي إزاء الإنتفاضة الفلسطينية لأن حجتها هذه المرة ليست قوية. وإزاء ذلك لم تعد الأفلام التي تروي العجائب عن أفران الغاز النازية تنتقل من هذه المحطة التلفزيونية إلى تلك في الدول الأوروبية بالذات. وقد أعطت اللوبيات اليهودية بعدم ممارستها الضغوط بالشكل المكثف الذي إعتدنا عليه في الماضي بعض الشرعية للإنتفاضة.

وفي الولايات المتحدة كان الأثر الذي تركته وسائل الإعلام من تعليقات في الصحف والمجلات وأفلام تسجيلية وتوثيقية في التلفزيون بمثابة عنصر ضغط على الإدارة الأميركية، بمعنى أن الإنتفاضة حرّكت بعض المشاعر في نفوس الرأي العام الأميركي، وفي نفوس قطاعات عريضة من يهود أميركا، فإضطرت تلك الإدارة إلى إيفاد وزير الخارجية جورج شولتز إلى المنطقة يبحث

في موضوعات تظللها الأجواء المعنوية التي أحدثتها الإنتفاضة، ومثل هذا الأمر يعني أن الإدارة الأميركية نفسها أعطت الإنتفاضة شرعية ليس مهماً أنها خالية من الدفء.

وعلى هامش ذلك إن كبريات المجلات في أميركا وأوروبا، التي صدرت بعض أعدادها بأغلفة وعناوين مثيرة حول مصير إسرائيل وأجواء الإنقسام السائدة فيها، وشبح الحرب الأهلية المخيم عليها نتيجة لظاهرة الرفض بالحجارة، أعطت بمعالجاتها هذه الإنتفاضة شرعية واضحة.

ويمكن أن يقال الشيء نفسه بالنسبة إلى الكُتّاب والسياسيين والمفكرين الأميركيين، وبينهم يهود، الذين طرحوا بسبب الإنتفاضة تساؤلات مستقبلية فأعطوا الإنتفاضة، بتصوراتهم وتساؤلاتهم هذه شرعية تبقى مهمة بالرغم من أنها نسبية.

وهؤلاء الذين قاطعوا احتفالات إسرائيل بذكرى إنشائها إغتصاباً على حساب شعبها الفلسطيني، لأن إسرائيل قامت بتصفية أبو جهاد، إنما أعطوا بمقاطعتهم هذه شرعية للإنتفاضة.

هنا يبرز السؤال: هل إن كون أبو جهاد هو الأب الشرعي لفكرة الإنتفاضة، والمعرض عليها، والمخطط الذكي البعيد النظر لما يجب أن تكون عليه طبيعة الصراع العربي - الإسرائيلي، يقلل من أهمية الشرعية الدولية التي أعطيت للإنتفاضة، فقط لمجرد أن أبو جهاد هو أحد قادة حركة "فتح" وأحد قادة منظمة التحرير الفلسطينية؟

وهل أن كون أبو جهاد كذلك يشكل سبباً لكي تهدد أميركا بإستعمال حق الفيتو لإسقاط قرار يدين قتلة أبو جهاد... أبو الإنتفاضة؟

وأغلب الظن أن الإدارة الأميركية لا تفعل ذلك هذه المرة عن قناعة، وإنما هي إنتخابات الرئاسة الأميركية التي تجعل المرشحين لها على إستعداد لعمل أي شيء.

ونقول ذلك على أساس أن رعاية القائد العسكري لمنظمة التحرير الفلسطينية للإنتفاضة وإبتكاره لهذا الأسلوب في المطالبة بالحقوق يشكل نقلة حضارية وكان من الواجب دعمها وتنشيطها، بحيث إنه ما دامت تلك الإدارة لا تعترف بالمنظمة، لكنها في الوقت نفسه لا تعترض على الإنتفاضة بحدّة، فهذا معناه أن الإنتفاضة يمكن أن تشكل مخرجاً لائقاً على أساس أن أبو جهاد هو أبو الإنتفاضة، وعلى أساس أن الإنتفاضة، نتيجة أن

قائدها هو أحد أركان "فتح" وأحد قادة المنظمة، هي الممثل الشرعي والوحيد للمنظمة وأن المنظمة هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

والمسألة كانت تحتاج إلى تخریجة لائقة، لكن إسرائيل لا تبحث عن تخریجة وتضغط على حلفائها من أجل ألاّ يبحثوا.

وهذا هو ما حدث مع الأسف. وتلك طبيعة الدولة العدوانية.

مجلة "التضامن". لندن - 30 نيسان (أبريل) 1988

* * *

الجولة الرابعة في الخطوط الخلفية؟

بات طبيعياً وقد توافرت الظروف الموضوعية لعقد المؤتمر الدولي إلى درجة أن هذا المؤتمر، طبقاً لمعلومات تُرَددها دوائر عربية رسمية عالية المستوى، سينعقد في ربيع 1989 وربما قبل ذلك بقليل... بات طبيعياً وقد توافرت هذه الظروف أن تسود اليقظة الصف العربي، لأن إسرائيل ستهيئ نفسها لجولة جديدة ضد العرب تكون بمثابة الحرب العربية - الإسرائيلية الرابعة وربما الأخيرة.

والذي يجعلنا نفترض حدوث ذلك نستند في تسجيلنا له إلى كلام سمعناه من هذا المسؤول العربي الكبير، أو تحليل مستند إلى معلومات أورده مسؤول يتيح له قرينه من مركز إتخاذ القرار أن يترك إنطباعاتاً أمام سامعه بالجدية والدقة المتناهية.

وما يقال في هذا الشأن هو إن إسرائيل وصلت إلى حالة من الضيق والتوتر تجعلها أمام خيارين: إما القيام بجولة خاطفة عملاً بالأسلوب الذي تعتمده، وإما التوجه نحو الحل الدولي بالموقف الذي هي عليه الآن، وهو موقف ليس قوياً إلى درجة رفض الصيغ العادلة ولا حتى وضع الشروط المستعصية.

وقبل الإنتفاضة في غزة وعدد كبير من مدن وقرى الضفة الغربية، لم يكن التوتر داخل إسرائيل على ما بات عليه مع دخول الإنتفاضة شهرها الثاني. وبعدما دخلت الإنتفاضة الشهر الثالث بدأ التوتر ينعكس على المسؤولين الإسرائيليين، ثم بدأ يسود داخل الجيش وبين الناس إلى درجة أن الحكومة الإسرائيلية وجدت نفسها أسيرة وضع ناشئ عن حرب

إستتزاز لا مثيل لها وحرب جعلت الجيش الإسرائيلي في وضع لم يألفه.

وبعد إغتيال أبو جهاد، والتشيعي اللافت للإنتباه الذي جرى له، وتحرير "الفاو" والمعنويات العالية التي أحدثتها في نفوس العراقيين والعرب بشكل عام، يقابل ذلك هبوط حاد في المعنويات الإيرانية، بات واضحاً لدى الحُكم الإسرائيلي أن هنالك حالة نهوض عربية جديدة وأن معنى ذلك هو إشتداد التحدي العربي لإسرائيل، فضلاً عن أن هذه الأجواء بشكل عام ستجعل العرب أكثر إنفتاحاً حول الإنتفاضة وأكثر دعماً وتفهماً لموقف العراق.

والى ذلك إن الذين يحكمون في إسرائيل يأخذون في الاعتبار أن الفلسطينيين ظهروا على غير ما يعتقد الإسرائيليون، حيث إنهم صبورون ولا ييأسوا، وينفذون إنتفاضة تجمع بين أسلوب قائم على العنف وأسلوب غاندي القائم على الرضا الذي له جدوى الرصاص. وظهر لهم أن العراقيين أيضاً يصبرون ومارسوا أفضل أنواع القتال. وظهر لهم أن المملكة العربية السعودية تريد أن تمارس دورها القومي إلى نهايته. وظهر لهم أيضاً أن دولة صغيرة مثل الكويت تصرف في موضوع الطائرة المخطوفة بتدبير ودعم من الحُكم الإيراني، تصرف الدولة الكبرى. وظهر لهم أن اللقاء الذي لا يريدونه بين أهل القضية الواحدة يمكن أن يحدث بعد قطيعة طويلة، ويمكن أن يحقق بعض النتائج بدليل أن لقاء دمشق بين الرئيس حافظ الأسد وياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية دشّن مرحلة جديدة تبقى، على رغم الخطوات الحذرة والنظرة الحذرة والنيات الحذرة لدى طرفي اللقاء، وعلى رغم تواضع النتائج التي أسفرت عن هذا اللقاء، خطوة قابلة للتطوير في ضوء بعض المتغيرات وخطوة متقدمة على صعيد العلاقات السورية - الفلسطينية قياساً بما كانت عليه الحال قبل ذلك.

وهذه الظواهر وغيرها تشكّل بالنسبة إلى إسرائيل هواجس تحسب لها ألف حساب، خصوصاً أنها تعتمد على قاعدة شن العدوان على العرب بمعدل مرة كل عشر سنين وذلك من أجل أن تضمن تفوقها الدائم وعجز العرب الدائم.

ولكن ما كان يحدث في الماضي هو غير ما يحدث الآن، حيث إن المسألة لم تعد مسألة سلاح وإنما حالة إرادة جديدة تؤكد حقائق ثابتة ومؤكدة، من الإنتفاضة وتواصلها على رغم كل المواجهات، إلى الإنتصارات العراقية وتضاؤل الفرصة أمام الحُكم الإيراني كي يحصل على أوضاع عسكرية أفضل له، إلى هذا التبدل المفاجئ في وسائل القتال

حيث أن الحرب باتت أسهل ما دام سلاحها الأساسي سيكون بعد الآن الصواريخ، إلى الميزة العربية التي لا قدرة لإسرائيل عليها ونعني بها تحمّل حرب الصواريخ مهما إشتدت وطأتها كما يحدث عند العرب الذين يتحملون هذه الحرب بصبر عجيب.

وهذه الحقائق تتحول يوماً بعد آخر إلى ورقة ضغط عربية تأخذها الدول الكبرى في الاعتبار، ولا بد أن تشكّل بالنسبة إلى هذه الدول رؤية جديدة عندما سيلتقي الرئيس غورباتشوف وريغان بعد أيام في موسكو ويتفقان على قضايا عالقة كثيرة.

ولأن إسرائيل تترك ذلك وباتت مقتنعة بأنها لا تستطيع أن تتاور إذا كانت الدولتان الكبيرتان ستنتفاهمان على بعض القضايا أو على معظمها، فإنها ربما تلجأ إلى الجولة الجديدة التي قد تكون هذه المرة ضربة في المواقع الخلفية وليس في دول المواجهة. وهي تأمل من هذه الضربة خلط الأوراق أو قلب طاولات التفاهم والوفاق العربية والدولية. من أجل ذلك تبدو اليقظة العربية مطلوبة. ويبدو التنبه أمراً لا بد منه.

والأكثر من ذلك والذي هو في أهمية اليقظة والتنبه هو أنه من الضروري عدم دعوة إسرائيل إلى العدوان وعدم إتاحة الفرصة والحجج أمامها لكي تعتدي، وهذه تمنيات أو بمثابة نداء موجه إلى القيادة الفلسطينية مخافة أن يدفعها الإبتهاج بإستقبالات دمشق ورفع سيارة أبو عمار مرتين من قبل الناس في مخيم اليرموك الذي كان ليس مخيمه بالشكل التقليدي، إلى عملية قد تكون الذريعة مهما بدا أن هذه العملية تشفي الغليل الفلسطيني من جزاء إغتيال أبو جهاد وتهديد غيره.

ولأن أبو عمار يدرك هذا الأمر جيداً فإن النداء يشمل ولا يشمل. وهو يشمل بمعنى أن تكون يقظته في أقصى درجاتها وقبضته أشد وفي أعلى تأثيرها إلى أن تمر قمة موسكو على خير وتشن إسرائيل عدوان المفترى والمعتدي ولسلم العالم بأنها تدافع عن نفسها.

مجلة "التضامن". لندن - 7 أيار (مايو) 1988

قمة الجزائر... هدنة لتوحيد الصف

أخيراً إستقر الرأي على عقد القمة العربية الإستثنائية،

التي تستهدف دعم الإنتفاضة الفلسطينية. وعندما كانت الجزائر صاحبة المبادرة إقترحت أن يتم عقد هذه القمة في الرياض، أو في تونس، ها هي تجد نفسها ستستقبل الملوك والرؤساء يوم 7 حزيران/ يونيو 1988.

وإستناداً إلى بعض المعطيات والمؤشرات يجوز الافتراض أن كل الملوك والرؤساء العرب سيشاركون في هذه القمة، على أساس أنها لدعم الإنتفاضة من جهة، وعلى أساس أن التشاور العربي على مستوى القمة بات ضرورياً لكثرة تسارع الأحداث في الأشهر الثلاثة الماضية، وإحتمال تزايد الأحداث في الأسابيع التي تسبق الإنعقاد. والتشاور تحت مظلة الإنتفاضة والوهج الذي أشاعته في نفس الإنسان العربي له وقع يريح العرب حكاماً ومحكومين.

وإنعقاد القمة، وقد إقتربت الإنتفاضة من دخول الشهر السادس، يضع على الملوك والرؤساء واجب المؤازرة بالشكل المطلوب.

وإذا كان حدث بعض التباطؤ في الماضي على صعيد الدعم والمؤازرة نتيجة التشكيك في إمكانية الإنتفاضة على الصمود، فإن هذا التشكيك لم يعد قائماً بعدما إقتربت الإنتفاضة من شهرها السادس وأثبتت جدارتها في أن تحظى بكل الدعم المطلوب، خصوصاً أنها تمتد يوماً بعد آخر من قرية إلى أخرى، وخصوصاً أن هاجس الإسرائيليين من المصير يكبر، وتزايد علامات الإستفهام في هذا الشأن، وتزايد كذلك الكتابات والتحليلات والبرامج التلفزيونية التي تعالج هذا الشأن، وهو أمر لم يكن يحدث من قبل على الأقل بهذه الحدة.

كذلك إنه إذا كان حدث تباطؤ في الماضي على صعيد الدعم والمؤازرة نتيجة الحيرة في أمر الجهة التي يتم تسليم أقساط الدعم لها، فإنه بعد إغتيال أبو جهاد على أساس أنه "أبو الإنتفاضة" أو عقلها المدبر، وهو أمر أشارت إليه الأوساط الإسرائيلية تلميحاً أو صراحة، بات من الجائز إعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الجهة التي تنوب عن الإنتفاضة في تسلّم مبالغ الدعم العربي المخصصة لها، هذا مع الأخذ في الإعتبار أن تعاوناً أردنياً - فلسطينياً في هذا الشأن من شأنه أن يكون مجدياً، خصوصاً في ضوء الموقف الأردني الحاسم من التمثيل الفلسطيني الذي حدده الملك حسين قبل أيام خلال لقاء رمضان في منطقة المفرق.

وصحيح أن القمة الإستثنائية هي قمة لدعم الإنتفاضة،

إلا أن ذلك لا يعني أن كل هذه التطورات المثيرة التي يعيشها العالم العربي والعالم بشكل عام لن تكون محور مناقشات ومشاورات بين أهل القرار العربي.

ومن خلال نظرة سريعة على ما حدث وحدث في العالم يمكن القول إنه من غير المعقول أن يلتقي ملوك ورؤساء العالم العربي من دون أن يبحثوا في نتائج القمة الأميركية - السوفياتية، التي سيكون تم عقدها في موسكو والتي ستكون تنويعاً لإتفاقات دولية تم التوصل إليها في القمة السابقة، التي جرى عقدها في واشنطن بعد أيام من إنعقاد "قمة الوفاق والإتفاق" في عمان. ومن غير المعقول أن يجتمع الملوك والرؤساء من دون تدأرس أمور تتعلق بتطوير العلاقة مع الرئيس ميثران الذي حقق إنتصاراً كبيراً وتجددت رئاسته لفرنسا، وبطريقة التعامل مع الرئيس الأميركي الجديد في حال عدم حدوث مفاجأة وفوز بوش، أو حدوث مفاجأة بفوز دوكاكيس.

كذلك إنه من غير المعقول أن يجتمع الملوك والرؤساء العرب ولا يناقشوا وبعمق الوضع العربي - الإيراني في ضوء تحرير "الفاو" وفي ضوء إتخاذ المملكة العربية السعودية قرارها غير التقليدي بقطع العلاقات الدبلوماسية مع إيران. كذلك إنه من غير المعقول إجتماع أهل القرار العربي من دون أن يبحثوا في الوضع اللبناني وربما يتم التفاهم ضمناً في ما بينهم حول من يكون الرئيس اللبناني بعد بضعة أشهر. وهذه المرة بالذات تبدو إنتخابات الرئاسة اللبنانية قضية عربية أكثر من أي وقت مضى، خصوصاً وأن الحكم الإيراني يسعى إلى وضع اليد على هذه القضية. ويبقى أن إنعقاد القمة الإستثنائية في الجزائر من شأنه أن يمتص تساؤلات تتعلق بمحنة الطائرة الكويتية (الجابرية) وأسلوب الجزائر في معالجة هذه المحنة.

لكن الأهم من هذا كله هو أن المطلوب من هذه القمة إحياء القمة الإستثنائية الماضية، ونعني بها "قمة الوفاق والإتفاق" التي تم عقدها في العاصمة الأردنية والتي بسبب عدم الإلتزام بها حدث ما يشبه البعثرة في الوضع العربي. ولولا الإنتفاضة، التي حدثت في الوقت المناسب، لكان لهذا الوضع أن يتفجر بشكل لا مثيل له. لكن أبناء غزة ومدن وقرى الضفة الغربية حققوا بالإنتفاضة تماسكاً في الموقف العربي، ثم جاء إنتصار العراق من خلال تحرير "الفاو" ليدعم هذا التماسك.

أما كيف يناقش أهل القرار العربي أمر الإنتفاضة وأمر العلاقة مع إيران في ضوء الإنتصار العراقي والقرار

السعودي بقطع العلاقات مع الحُكم الإيراني، فهذا هو المحك الأساسي للقمة الإستثنائية.

وفي الدرجة الأولى إن أمام الرئيس الشاذلي بن جديد والمسؤولين الجزائريين فرصة تاريخية من أجل تحويل القمة الإستثنائية بهدف دعم الإنتفاضة إلى حدث إستثنائي لتحقيق وحدة الصف العربي... ولو جاء ذلك (بلغة الحروب) بمثابة هدنة يتم في ضوئها وضع معالم مرحلة جديدة من التكامل بين الدول العربية.

ولا يبدو أن هنالك من يعترض على قيام هذه المرحلة.

مجلة "التضامن". لندن - 7 أيار (مايو) 1988

* * *

الملك حسين... عندما يحسم

لعلها المرة الأولى التي يلاحظ فيها الزائر إلى الأردن، خصوصاً إذا كان صحافياً، هذه الحيوية السياسية للعاهل الأردني خلال شهر رمضان. وأقول ذلك على أساس أن هذا الشهر الفضيل يكون في العادة مناسبة طيبة للتأمل، إلا أن الملك حسين، الذي يبدو كما لو أنه في سباق مع التحديات، حول هذا الشهر إلى مناسبة نشط فيها كما لم ينشط من قبل. وخلال أيام كان الملك قد زار مناطق عدة في المملكة، وأقام مآدب إفطار في هذه المناطق، وألقى من الخطب والكلمات الكثير.

ولكن الخطاب الذي ألقاه الملك مساء الأربعاء (4 أيار/ مايو 1988) في لقاء رمضاني مع وجوه وأعيان وشخصيات محافظة "المفرق"، يبقى حتى إشعار آخر الخطاب الأكثر أهمية، وذلك لأنه حسم فيه الأمور كما لم يحدث من قبل بمثل هذا التحديد الكثير الوضوح.

وفي قراءة متأنية لهذا الخطاب، يمكن الإستنتاج بأن الملك حسين بعدما لاحظ أن رد وزير الخارجية الأميركية جورج شولتز على بعض الأفكار والمقترحات الأردنية لم يصل كما كان متوقعاً، قرر أن يضع، وبشكل حاسم النقاط على الحروف بالنسبة إلى المؤتمر الدولي والتمثيل الأردني - الفلسطيني، بل والعلاقة المشتركة بشكل عام.

وقد حدث ذلك في وقت كثر "القال والقال" في شأن الموقف الأردني من المؤتمر الدولي، إلى درجة أن البعض

يفترض بأن هناك صفقة تم التوصل إليها على حساب الشعب الفلسطيني. ثم جاء خطاب الملك حسين بالنقاط الموضوعية على الحروف ليحسم الأمر بشكل نهائي.

ومن خلال القراءة المتأنية لهذا الخطاب، ووضع خطوط تحت بعض الكلمات والأسطر، يمكن تلمس ما نقوله بكثير من الوضوح.

وعلى النحو الآتي نقرأ هذا الخطاب ونخرج بما يمكن الخروج به من إستنتاجات:

أولاً - قال الملك إن المملكة دفعت في حرب 1967 الثمن غالياً جداً، وأنه في العالم 1972 طرح ثلاثة خيارات لما يمكن أن تكون عليه الحال عندما تعود الأرض. وهذه الخيارات هي: الوحدة، أو الإتحاد، أو قيام دولة فلسطينية مستقلة على التراب الوطني الفلسطيني.

ثانياً - قال الملك إن موقف الأردن في إستمرار هو إنقاذ الأرض "التي فقدناها في الحرب" لا لتعود إلى الأردن وإنما "لتعود إلى أصحابها" مضيفاً إلى ذلك القول "لأننا كنا نعتقد ولا زلنا أن القضية الفلسطينية في الواقع قضية أكبر من قضية الضفة الغربية وقطاع غزة ولا نجد سبباً أو مبرراً لوقوع أي صدام".

ثالثاً - في معرض الإشارة إلى القرار الذي إتخذه مؤتمر القمة العربي في الرباط عام 1974 بإعتبار منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، ذكر الملك حسين أن هذا القرار "يُتخذ بعد نقاش طويل".

وبعدما أشار إلى الأهمية التي هو عليها الجيش الأردني البالغ عدده الآن 120 ألفاً، عدا الجيش الشعبي الرديف له، شدد على القول إن الأردن لن يكون بديلاً لمنظمة التحرير الفلسطينية في حال إنعقاد المؤتمر الدولي، وذلك لأن الشعب الفلسطيني من خلال منظمته هو الذي يجب أن يقول كلمته.

وفي هذا الصدد فإن الملك قال وبكثير من الوضوح والحسم "إن فكرة الوفد الأردني - الفلسطيني المشترك إلى المؤتمر الدولي ننظر فيها إذا كانت هذه إرادة منظمة التحرير والشعب العربي الفلسطيني. وحاولنا في الماضي أن نبلور صورة عن العلاقة المستقبلية الأردنية - الفلسطينية القائمة على ما بيننا من صلات وروابط. وتحدثنا في موضوع هذا الوفد في مرحلة سابقة لأننا كنا نتعامل مع ما نراه ممكناً ولتمكين المنظمة من أن تحضر المؤتمر وتؤدي دورها. وعندما أقول: "وفد مشترك"، فإني

أعني وفداً نصفه من منظمة التحرير الفلسطينية والنصف الآخر أردني. وفد يمثل الشعب الفلسطيني ووفد يمثل الجانب الأردني. هذا متروك للمنظمة أن تختار، إذا كانت تريد هذا الطريق فبالإمكان ذلك وإذا تهيأت ظروف أفضل ننظر في الأمر. أما إذا شاءت أن تذهب لوحدها وكان هذا ممكناً فهذا أقصى ما نتمناه".

رابعاً - إستكمالاً لما ورد في الأسطر السابقة ذكر الملك أن منظمة التحرير الفلسطينية "إتصلت بدولة عربية شقيقة وطلبت أن تذهب معها بوفد مشترك" موضحاً بذلك إن المنظمة ليست ضد مبدأ الوفد المشترك.

خامساً - لمس الملك الوضع الإقتصادي الذي تواجهه المملكة. وكان لافتاً للإنتباه قوله: "إذا نظرنا إلى ما حققنا وأنجزنا برغم إمكانياتنا المحدودة، وبما تفضل به إخواننا في الوطن الكبير، وقد يكون في بعض الأحيان أقل بكثير مما إلتزموا به، فإننا نفخر بما أنجزناه وحققناه".

سادساً - إستكمل الملك خطابه المهم بكلام محدد حول قضيتين: الأولى هي الحرب العراقية - الإيرانية، وفي هذا الصدد قال "إن العراق يقدم قوافل الشهداء دفاعاً عن النظام العربي وإن أقصى ما يؤلم الإنسان أن لا نكون في وضع نعبر فيه عما في نفوسنا تجاه إخواننا في العراق".

أما القضية الثانية فهي حول الموضوع الشائع الحديث في الأردن وهو موضوع "القوى الوطنية والعناصر الوطنية". وقد رفض الملك بحزم هذا التصنيف قائلاً: "إن الكل متساوون في الحقوق والواجبات" مع إعطاء أفضلية من جانبه إلى الذين سماهم "النشطاء".

... يبقى أنه إذا كانت الأسطر التي أوردناها بنقاطها الست كانت حاسمة، فإن الأسطر القليلة الباقية من الخطاب كانت أكثر من حاسمة وبالذات قول الملك: "إنني كهاشمي لن أكون ولن يكون في أسرتي في يوم من الأيام إنسان، ولا من هذا البلد، ينقض الوثيقة العُمرية مهما كانت قوة وبأس إسرائيل سواء كانت قوة نووية أو عسكرية"، وقوله أيضاً: "مهما يكن السلاح الذي في يد إسرائيل لا بد أن تعود الأرض إلى أصحابها ولا بد أن تعود القدس العربية للسيادة العربية".

يبقى أيضاً أن توقيت إعلان الملك حسين لهذا الموقف هو الأمر الأكثر أهمية، فبعد أيام تتعقد القمة الأميركية - السوفياتية في موسكو. وهذا الأسبوع بدأت مرحلة أكثر إستقراراً للقرار السياسي الفرنسي وهو قرار له أهميته

القصوى على صعيد الخطوات المتعلقة بالمؤتمر الدولي. وبعد بضعة أشهر يستقر القرار السياسي الأميركي بإنتخاب رئيس جديد. ومن الطبيعي إذاً أن يحدد الملك حسين وبصيغة تغلب فيها المبدئية على التكتيك والمناورة الموقف الذي حدده في خطابه المشار إليه... وهو موقف تاريخي سواء رد عليه الطرف الفلسطيني بموقف من النوع نفسه، أم أن هذا الطرف أثر عدم الرد.

مجلة "التضامن". لندن - 14 أيار (مايو) 1988

* * *

هل تكون قمة نهاية أحزان منطقة الشرق الأوسط؟

نعيش هذه الأيام مرحلة العد العكسي للقمة الأميركية - السوفياتية. فبعد أسبوع سيعقد الرئيسان رونالد ريغان وميخائيل غورباتشوف الإجتماع الذي يتطلع إليه العالم على أساس أنه قد يكون نقطة تحول في إتجاه بداية حقبة من الإستقرار.

وبما أن منطقة الشرق الأوسط هي أكثر مناطق العالم توتراً لكثرة ما تحويه من مشاكل وقضايا عالقة وحروب، فإن القمة الأميركية - السوفياتية التي ستعقد يوم 29 أيار/ مايو 1988 هي إلى حد ما قمة هذه المنطقة في الجزء الأكبر من بنود جدول أعمالها.

والقول بأن قمة موسكو هي إلى حد ما قمة منطقة الشرق الأوسط ليس مبالغاً فيه، ذلك أننا عندما نتأمل في القضايا العالقة في العالم والمشاكل التي تبحث عن حل نجد أن هذه المنطقة الشرق الأوسط تحتكر النسبة الكبرى من هذه القضايا والمشاكل، وإلى ذلك إن الدولتين الكبيرتين معنيتان بكل قضية عالقة وكل مشكلة من تلك المشاكل، بل إنهما طرفان بشكل مباشر في بعض هذه القضايا والمشاكل.

وعلى وجه التحديد إن الإتحاد السوفياتي معني بالقضية الفلسطينية بقدر ما أن الولايات المتحدة معنية. وهذه القضية هي الأكثر أهمية بين قضايا العالم العالقة وهي، بالتطورات الناشئة عنها، المشكلة الأكثر تعقيداً. ومثلما أن الإتحاد السوفياتي يريد أن يجني توظيفاته المتمثلة بمؤازرة

الفلسطينيين والدول العربية بشكل عام على مدى ربع قرن، فإن الولايات المتحدة تريد ألا تفقد توظيفاتها المتمثلة بدعم غير محدود لإسرائيل طوال ربع قرن، وهو دعم كان على حساب السمعة الأميركية فضلاً عن أن المال الذي حصلت عليه إسرائيل من الولايات المتحدة كان على حساب الدول الفقيرة في العالم، والتي يقع على الدولة الكبرى التي هي الولايات المتحدة واجب مساعدتها. وهي لم تفعل لأن المساعدات كانت وما زالت تتدفق على إسرائيل.

وما يقال عن القضية الفلسطينية يقال عن الحرب العراقية - الإيرانية، وهي حرب لا مثيل لها في العالم الثالث، وقد تمر أجيال قبل أن تتكرر هذه الحرب بالشكل الذي حدثت فيه. ومثلما أن الإتحاد السوفياتي يريد أن يجني توظيفات كثيرة في هذه الحرب بعضها معلّن وبعضها غير معلّن فإن الولايات المتحدة تريد هي الأخرى أن تجني توظيفات مماثلة، بحيث يستطيع الإتحاد السوفياتي أن يكون له حضور سياسي وإقتصادي في منطقة الخليج بعدما استطاع بسبب الحرب أن يحقق أحلام الذين تعاقبوا على قيادة الكرملين في أن يكون لبلادهم موطئ قدم في مياه الخليج الدافئة، وبحيث يكون للولايات المتحدة حضور إقتصادي وتجاري فعّال في سوق العراق الذي هو سوق التسعينات للتجارة العالمية وهو أيضاً السوق الذي يعزز شأن من له حضور فعّال فيه نتيجة مواقف إيجابية في زمن الحرب.

ولأن القمة الأميركية - السوفياتية يوم 29 مايو في موسكو بين الرئيسين ريغان وغورباتشوف هي قمة استثمار التوظيفات، فإننا نلاحظ هذا الإهتمام من جانب الرئيس ريغان الذي أوفد مبعوثه الشخصي (فيرنون والترز رئيس الوفد الأميركي لدى الأمم المتحدة) في جولة تشمل مصر والأردن وسوريا ودول الخليج بحيث يتوجه الرئيس الأميركي إلى موسكو، وهو أكثر إستيعاباً لبعض الأمور التي قد يكون وزير الخارجية الأميركية جورج شولتز لم ينجح في إستيعابها. والذي قد يساعد والترز هو أنه "عروبي البيت الأبيض" بمعنى أنه الأكثر تفهماً للنفسية العربية من أي مسؤول آخر في الإدارة الأميركية، ولأن الرجل قادر بسبب هذه السمعة فضلاً عن إمكانية تطعيم حديثه ببعض الكلمات وأبيات الشعر والأمثال الشعبية العربية أن يربط الجو الجاف الذي يتركه جورج شولتز في محادثاته مع الحكام والمسؤولين العرب. وهذا الجو بلغ

الحد الذي لا يطاق حتى مع المسؤولين الأردنيين عندما زارهم شولتز في عمان خلال جولاته الأخيرة للمنطقة. وإلى ذلك إن والترز قد يستطيع أن ينجز في جولته ما هو أهم حيث إنه بالأسلوب الذي يتسم بالسلاسة أن يعرف وعوداً يمكن أن يكون الإتحاد السوفياتي تعهّد بها من خلال المبعوثين الذين أوفدهم الرئيس غورباتشوف في الأشهر الخمسة الماضية إلى المنطقة ويعلق عليها بعض الزعماء العرب الآمال. وعندما يعرف الرئيس ريغان هذه الوعود فإنه يستطيع أن يكون في موضع أفضل للمناورة وبحيث لا يزايد الرئيس السوفياتي عليه في أي شأن يتعلق بالقضية الفلسطينية أو المسألة اللبنانية أو مشكلة الحرب العراقية - الإيرانية.

وللهولة الأولى يبدو أن السيناريو مُعدّ بحيث يقوم والترز بالمهمة الإستقصائية قبل أن تتعقد قمة موسكو وبأن يقوم شولتز بعد القمة بجولة في المنطقة هدفها إبلاغ النتائج، أو وضع ما تم الإتفاق عليه موضع التنفيذ. أو بكلام أدق إن شولتز سيقوم بجولته في المنطقة لكي تقر القمة العربية الإستثنائية التي ستعقد في الجزائر يوم 7 يونيو 1988 ما تم الإتفاق عليه بين الرئيسين ريغان وغورباتشوف.

وعندما نسمع جون وايتهد مساعد وزير الخارجية الأميركية يقول في تصريح في الرباط عشية الذكرى الأربعين لإعتصاب فلسطين "إن الولايات المتحدة تأسف للوضع الذي يعيش فيه الفلسطينيون في الضفة الغربية وغزة"... فإننا نستبشر خيراً. ذلك أن هذا التصريح يعطي الإنتفاضة مشروعية ويجعلها تتواصل من جهة، ويحمل على الإعتقاد من جهة أخرى بأن التصريحات الأميركية بعد الآن لن تكون أقل وضوحاً مما ورد في تصريح وايتهد.

وإذا كان مساعد شولتز يقول ذلك فإن والترز عندما سيزور المنطقة سيقول كلاماً أكثر تحديداً، وهكذا صعوداً إلى أن تحسم الإدارة الأميركية الأمر وتقرر وقفة إلى جانب الحل العادل للقضية الفلسطينية عندما يلتقي الرئيسان ريغان وغورباتشوف وجهاً لوجه في قمة تتويج الوفاق الدولي في طبعته الجديدة.

وإذا فعلت الولايات المتحدة ذلك فإن أمر المسألة اللبنانية يهون إلى درجة إنتهاء المأساة التي يعيشها لبنان منذ ثلاث عشرة سنة، وأن أمر الحرب العراقية - الإيرانية يهون هو الآخر بحيث تُطوى الصفحة الأخيرة لهذه الحرب

في ضوء القرار الدولي الجاهز ونعني به القرار 598 الذي وافقت عليه الدول الكبرى والدول الأخرى ولم يبق لوضعه موضع التطبيق سوى إصرار الدولتين الكبيرتين عن أن يتم تنفيذ بنوده... وعلى الفور.

... وليس هنالك أفضل من قمة موسكو للإتفاق على ذلك. ومن هنا القول إن هذه القمة مرشحة لأن تكون قمة نهاية أحزان العالم... وأحزان منطقة الشرق الأوسط في الدرجة الأولى.

مجلة "التضامن". لندن - 21 أيار (مايو) 1988

* * *

قمة الجزائر... والإستفادة

من دروس الماضي

حتى إشعار آخر، أو حتى قمة أخرى، ستبقى القمة العربية الرابعة، التي تم عقدها في الخرطوم عام 1967 في أعقاب هزيمة حزيران، أفضل القمم العربية لأنها كانت الحد الفاصل بين حالة إحباط عربية عامة ناشئة عن الخلافات الكثيرة الحدة بين الراحلين الملك فيصل والرئيس جمال عبد الناصر، وإستمرار هذه الخلافات على رغم وقوع الهزيمة وحالة نهوض بدأت ملامحها من اليوم الأول لإنعقاد القمة ثم توضحت هذه الملامح مع نشر القرارات التي تحدد بالأرقام حجم الدعم العربي الذي يساعد على تثبيت حالة النهوض.

وإذا جاز القول فإن سر نجاح تلك القمة التاريخية يكمن في قدرة الدولة السودانية ممثلة بقطبها زمنذاك إسماعيل الأزهرى رئيس مجلس السيادة ومحمد أحمد محجوب رئيس الوزراء على إبتكار أسلوب للمصالحات التي تغلب عليها العفوية.

والأسلوب السوداني المشار إليه كان مثل وصفة سحرية حققت مفعولها السريع في شفاء الجرح الذي ينزف. وللتذكير فإن ما فعله الأزهرى ومحجوب هو أنهما إعتبرا، أو إعتبر أحدهما (وهذا سر مدفون مع الإثنيتين) أنه لا يمكن للقمة أن تنجح إذا كانت لن تحقق مصالحة بين الملك فيصل والرئيس عبد الناصر. بل إن هذه القمة يجب ألا تنعقد إذا كانت لن تحقق هذه المصالحة.

وإعتبر الإثنان أيضاً أن المصالحة أمر مرغوب ومطلوب من الزعيمين المتخاصمين. فالملك فيصل لا يجوز، بعدما حدثت الهزيمة، أن يبقى في حالة خصومة مع عبد الناصر لأن الإنسان العربي لا يتحمل ذلك، وعبد الناصر من جانبه لا يجوز، بعدما حدثت الهزيمة، أن يبقى في حالة خصومة مع الملك فيصل ما دام مطالباً بإعادة بناء الجيش، وترميم الوضع الداخلي، وفرض اليمين من بعض المشاغل والإهتمامات الخارجية، وما دام في كل ذلك يحتاج إلى الطرف العربي المقتدر الذي يتجاوب مع إحتياجات تتطلبها مرحلة ما بعد الهزيمة.

وإعتبر الأزهرى ومحجوب أيضاً أنه يجب عدم إضاعة فرصة توظيف الحشد الجماهيري السوداني الذي بدأ يصطف على مسافة عشرة كيلومترات على جانبي الطريق من المطار إلى الفندق مقر الإقامة.

وبعقلية رجال الدولة المخلصين في توجهاتهم جرى إبتكار الوصفة السحرية وكانت عبارة عن توقيت نزول الطائرتين (طائرة الملك فيصل وطائرة الرئيس عبد الناصر) في فترة متقاربة جداً، وبحيث يجمعهما بعد نزولهما صالون الشرف الواحد ثم يتحرك الموكب الذي يتكون من سيارة مكشوفة تُقل الملك فيصل وإلى جانبه الأزهرى، تليها سيارة ثانية تُقل عبد الناصر وإلى جانبه محجوب.

وعندما إبتكر الأزهرى ومحجوب هذه الوصفة السحرية أخذوا في الإعتبار أن الظروف النفسية الناشئة عن الهزيمة، من جهة، إضافة إلى الحشد الجماهيري الهائل على جانبي الطريق من مطار الخرطوم إلى الفندق، ورهبة هذا الموقف ستجعل الزعيمين العربيين يعتبران الذي فعله الأزهرى ومحجوب بمثابة رسالة بإسم الملايين العربية التي أرهقتها الخلافات العربية ويحدث من جانبهما تجاوب فوري في إتجاه تحقيق المصالحة. وهذا ما حدث بالفعل حيث إن الأزهرى ومحجوب حققا مصالحة كان المواطن العربي دائم الحيرة في شأنها ودائماً يتساءل: كيف سيمكن تحقيق هذه المصالحة بعد كل الذي جرى؟

وما فعله الأزهرى ومحجوب لم يكن وفق خطة جرى التشاور في شأنها، بمعنى أن الإثنيتين لم يتصلا بكل من الملك فيصل والرئيس عبد الناصر ويقولوا لهما إنهما سيفعلان ذلك، أو أن برنامج الوصول إلى الخرطوم سيتم على النحو الذي حدث.

كذلك إن الأزهرى ومحجوب لم يشكلا لجنة أو لجاناً

الناصر إلى الرباط من القاهرة عام 1969 بعدما كان الملك فيصل قام بزيارة رسمية إلى القاهرة؟ وهل يحدث مثلاً أن يخترق شوارع الجزائر موكب الرئيس بن جديد في سيارة واحدة محاطاً بالرئيسين حافظ الأسد وصدام حسين على أساس أنهما وصلاً في وقت واحد إلى المطار؟

وهل تحدث اللقاءات المعلنة والتي تتسم بالدفء في أروقة مقر المؤتمر. ونقول المعلنة لأننا ضيقنا بلقاءات الكواليس أو لقاءات المصادفة في الممرات؟ وهل يحدث أن تسبق الجلسة الافتتاحية مسيرة قصيرة للملك والرؤساء في شارع قرب مقر إقامتهم من نوع تلك المسيرة التي ابتكرها عبد الناصر خلال القمة الأولى في القاهرة عام 1964؟

إن في تاريخ القمم العربية دروساً كثيرة يمكن لمن يريد لقمة تتعد في رحاب بلاده، ونعني هنا الرئيس الشاذلي بن جديد، أن يستفيد منها. فهل يحدث ذلك؟

هل تتم الاستفادة وتحقق المصالحات العربية... ذلك الأمل المنشود.

نأمل الاستفادة، وعدا ذلك ستكون القمة مجرد لقاء بارد بدافع رفع العتب أو المجاملة، أو مجرد لقاء خيري هدفه جمع بعض المال للانتفاضة الفلسطينية.

ومثل هذه القمة لا فائدة منها، ولا يريد لها أحد.

مجلة "التضامن". لندن - 28 أيار (مايو) 1988

* * *

من أجل القضية وبسببها

من أجل القضية الفلسطينية وبسببها يعيش العالم العربي منذ العام 1948 وضعاً غير مستقر. وبحجة فلسطين والقضية الفلسطينية قامت أحزاب وحدثت إنقلابات عسكرية وتدرجت رؤوس وتساقطت زعامات لتحل محلها قيادات جديدة. ومن أجل فلسطين حدثت تضحيات ودفع كثيرون حياتهم ثمن مواقف إتخذوها. وبسبب إجتهادات حول الصيغة المناسبة لإيجاد حل للصراع العربي - الإسرائيلي تعرضت زعامات وطنية لها

لمناقشة تفاصيل خطة ذلك اللقاء التاريخي، ربما لأنهما لو فعلاً ذلك لما كان للقاء أن يتم بالشكل الذي تم فيه، أو أن خطتهما لم تكن من نوع الخطط الحربية التي لها كلمة سر. وربما إنهما لم يفعل ذلك مخافة أن تفقد الخطوة العنقودية المطلوبة، والتي تبين أنها هي سر النجاح الذي تحقق وتمثل بمصالحة الملك فيصل والرئيس عبد الناصر وهي أسرع مصالحة يشهدها التاريخ السياسي العربي الحديث.

وعندما حدثت تلك المصالحة كان الشاذلي بن جديد ما زال قائداً عسكرياً، إلا أنه كإنسان عربي يعاني من وطأة الخلافات العربية زمنذاك وكذلك من وطأة الهزيمة التي حدثت لا بد إبتهج بالمصالحة التي شهدتها الخرطوم. وما هو الشاذلي بن جديد الآن رئيساً لبلاده التي تستضيف القمة العربية الإستثنائية، وما هي الخلافات العربية تأخذ من طريق التقدم العربي وتأخذ أيضاً من وهج الإنتفاضة الفلسطينية التي من أجلها تنعقد القمة الإستثنائية. وما هي الأنظار موجهة إليه على أساس أن علاقاته بأطراف الخصومات العربية تجيز له أن يقوم بدور فعال وبغفوية الدور السوداني الذي أشرنا إليه.

وعندما نلاحظ أنه من أجل إنجاح القمة بدأ بنفسه ما يمكن أن يطالب الغير به، يصبح من الطبيعي التمني عليه القيام بالدور الفعال. وعندما نقول إنه بدأ بنفسه فإننا نعني بذلك تسوية الخلاف العميق الجذور والتاريخي بين المغرب والجزائر. ولا نعتقد أن هذا الخلاف أقل تعقيداً من الخلاف العراقي - السوري، أو الخلاف المصري - السوري، أو الخلاف الفلسطيني.

إن الخلافات العربية كلها متشابهة وما تحتاج إليه في ضوء حل الخلاف المصري - السعودي عام 1967 والخلاف المغربي - الجزائري قبل أيام قليلة، مبادرات من نوع المبادرة السودانية التي قام بها الأزهرى ومحجوب.

فهل يفعلها الرئيس الشاذلي بن جديد؟

وهل يشهد مطار هواري بومدين، وشوارع العاصمة الجزائرية يوم 7 يونيو 1988 مشاهد ومصالحات من نوع طال شوق المواطن العربي إليه؟

هل يحدث مثلاً أن يصل إلى الجزائر الملك فهد بن عبد العزيز والرئيس حسني مبارك في طائرة واحدة من القاهرة بعدما يكون خادماً الحرميين أنهى زيارة إلى مصر، ويكون قدومهما مثل قدوم الملك فيصل والرئيس عبد

شأنها لإتهامات. ولا بد أن الكثيرين يتذكرون ما الذي جرى للرئيس الحبيب بورقيبة لأنه اقترح في الستينات صيغة تبدو في ضوء ما وصلت إليه الحال متطرفة، علماً بأن الإتهامات التي وُجّهت إلى الرئيس التونسي السابق إنما تم توجيهها على أساس أنه يبالغ في الاعتدال.

ونتيجة مواقف إتخذها هذا الطرف أو ذاك من سياسات محلية تحت ستار العمل من أجل قضية العرب الكبرى فلسطين دخل كثيرون السجون ولجأ كثيرون إلى دول أخرى.

وفي بعض السنوات تحولت فلسطين من قضية كبرى للعرب إلى لعبة سياسية بالنسبة إلى البعض، ولعبة غير مسلية على الإطلاق.

وفي مرحلة لاحقة حدثت إنقسامات وإنشقاقات وكثرت الإجهادات والتنظيرات. وحدثت أيضاً مساجلات بعضها بالكلام وهذه مسألة مقبولة ومعقولة. أما المساجلات الدموية فكانت هي المحزنة.

وخلال أربعين سنة تم إنفاق البلايين على الجيوش من أجل فلسطين وتم التبرع بالملايين من أجل دعم الثورة الفلسطينية.

ووسط هذا كله لم يحدث إهتمام عربي بالفلسطينيين الذين في الداخل. إلى أن جاء هؤلاء بعد عشرين سنة من الاحتلال وأعلنوا إنتفاضة بقدر ما هي ضد الإسرائيليين إحتجاجاً على ما يفعلونه بهم شعباً ووطناً وقضية فإنها بالقدر نفسه بمثابة رسالة إلى كل من يهمه الأمر في العالم العربي، أو فنقل إلى كل من في يده الأمر. رسالة معبرة ومقتضية خلاصتها أن الإنتفاضة التي حدثت أمكنها أن تحدث وأن تصمد وأن تلتفت أنظار العالم لأن القاعدة التي انطلقت منها كانت قاعدة الوحدة الوطنية، وأن الحكم الإسرائيلي استطاع أن يواجه هذه الإنتفاضة لأن هنالك وحدة موقف بين الحزبين اللذين يتقاسمان الحكم.

وزيادة في التوضيح يمكن الافتراض بأن هذه الرسالة تتضمن القول ما معناه إنه لو كان الغزاويون قاموا بالإنتفاضة على أساس فصائل، أي مجموعة تابعة لحركة "فتح" ومجموعة تابعة لجناح أبو نضال وأخرى لجناح أبو موسى ومجموعة تابعة للجبهة الشعبية وأخرى لجناح نايف حواتمة وأخرى لجناح أحمد جبريل ومجموعة تابعة لجبهة التحرير العربية ومجموعة تابعة للصاعقة (والمعذرة من سرد بقية التنظيمات لكثرتها)... إنه لو كان الغزاويون قاموا بالإنتفاضة على الأساس المشار إليه لما كانت

حدثت الإنتفاضة، لأنهم كانوا من أجل أن يقرروا الإنتفاضة سيجتمعون لمناقشة الأمر وكانوا من المؤكد لن يتفقوا على شيء أو كانوا سينتفضون على بعضهم بدل أن ينتفضوا على الخصم.

وتكراراً إن الإنتفاضة هي بمثابة رسالة من الداخل إلى الخارج، أو بالأحرى من بضعة ألوف من الفلسطينيين إلى الملايين العربية المنتشرة بين المحيط والخليج خلاصتها أن رحلة الوفاق العربي تبدأ بمصالحة وطنية. مصالحة الأنظمة مع الأنظمة. ومصالحة الأنظمة مع المعارضة.

ومثل هذا الأمر ليس دعوة مثالية يصعب تحقيقها وإنما باتت من البدهيات في الزمن الراهن.

فهل تبدأ لمناسبة "قمة الإنتفاضة" في الجزائر يوم 7 حزيران، أو بعد هذه القمة، مرحلة المصالحات العربية وتعوض القضية الفلسطينية عذاب ربع قرن من بعثرة الوقت والمال؟

لعل وعسى يحدث ذلك، إلا إذا كانت قضية فلسطين تم إستحداثها من أجل أن تكون هنالك قضية يختلف عليها أصحابها ولا يتفقون في شأنها على الإطلاق.

مجلة "التضامن". لندن - 4 حزيران (يونيو) 1988

* * *

قمتان ... والقضية واحدة

العرب في القمة: ومن الخليج إلى المحيط. وهذه الحالة التي حدثت يوم الثلاثاء 7 حزيران/ يونيو 1988 جديدة على الحياة السياسية العربية.

ففي الوقت الذي كان الملوك والرؤساء العرب يستعدون لعقد جلساتهم الإفتتاحية في الجزائر، وفي إطار القمة الإستثنائية التي سبق أن دعت الجزائر إلى عقدها، واستقر الرأي على أن تتعقد في العاصمة الجزائرية، كانت طائفة الرئيس المصري حسني مبارك تحط في بغداد وتتخذ قمة مصرية - عراقية من المؤكد أنها تتقاسم مع القمة الأخرى المنعقدة على ضفاف البحر الأبيض المتوسط الأهمية المنقطعة النظير.

وعندما نقول ذلك فعلى أساس أنه قبل وصول الرئيس مبارك إلى بغداد كانت أنظار العالم متوجهة في شكل أو آخر إلى الجزائر لتعرف ما الذي ستمتخض عنه القمة

العربية الإستثنائية، وهل أنها ستقتصر على البحث في مساندة الإنتفاضة أم أنها ستناقش أموراً أخرى، وتحديدًا موضوع الحرب العراقية - الإيرانية، والوضع في لبنان، وتثبيت ما تم التفاهم عليه في قمة عمان الإستثنائية في شأن الوفاق والإتفاق.

بل إنه قد يجوز القول إن أنظار الملوك والرؤساء العرب أنفسهم الذين وصلوا إلى الجزائر للمشاركة في القمة العربية الإستثنائية، كانت متوجهة إلى القمة المصرية - العراقية المفاجئة وغير المفاجئة في الوقت نفسه والتي على الأرجح لم يتوقع أحد منهم أن تحدث.

وأهمية وصول الرئيس حسني مبارك إلى بغداد أنها رد على قمة الجزائر التي إستبعدت إشتراك مصر، وهي أيضاً حركة إلتفاف ذكية حول الأطراف التي تريد عزل مصر، والتي ترى أن مجرد إنعقاد قمة الجزائر من دون مشاركة مصر، ولا حتى مناقشة أمر إسقاط التحفظ حول إستئناف دورها في الجامعة العربية، هو محاولة تطويق إنطلاقة مصر في السماء العربية في أعقاب قرار القمة الإستثنائية في عمان الذي إعتبر مسألة إعادة العلاقات مع مصر قرار سيادة تعيدها الدولة التي تريد إعادة هذه العلاقات، وكذلك في أعقاب جولة مبارك العربية التي أحدثت إنفراجات ملحوظة في الداخل ومن شأن عدم إستكمال الخطوات خلق حالة إحباط داخل مصر. وعدم الإستكمال هو في إبقاء وضع مصر عالقاً، أي تعاد العلاقات معها من دون أن يكون لها حق المشاركة في أعمال القمم العربية.

والى ذلك إن القمة المصرية - العراقية هي أيضاً حركة إلتفاف ذكية على الأطراف التي إعتبرت أن عدم مشاركة الرئيس صدام حسين شخصياً في قمة الجزائر فرصة للإبتعاد عن إتخاذ الموقف الذي لا بد من إتخاذه وهو حسم مسألة العلاقة مع الحُكم الإيراني الذي إختار رفسنجاني "جنرالاً" يتمتع بكل السلطات العسكرية إلى جانب ترؤسه البرلمان لكي يثأر من تحرير العراق لأراضيه، بدل أن يكون هذا التحرير فرصة ذهبية للقبول بالتعايش وإنهاء الحرب ضمن تعهدات دولية يبدو أن القمة الأميركية - السوفياتية توصلت إليها وتم إبلاغها إلى من يهتمهم الأمر.

ويبقى أن وصول الرئيس مبارك إلى بغداد يوم إفتتاح القمة العربية الإستثنائية في الجزائر هو دعوة من نصف العالم العربي الذي إجتمع في بغداد إلى النصف الآخر

الذي إجتمع في الجزائر، بأن يناقش المجتمعون في الجزائر أمور العالم العربي بالكثير من الترفع وروح المسؤولية حيث إنه يكفي الأمة ما تنزفه من دماء وثروات. يبقى أيضاً أن زيارة الرئيس مبارك هي الثالثة التي يقوم بها إلى العراق بعد الأولى مع الملك حسين مطلع 1987، والثانية مطلع 1988 ضمن جولة الرئيس المصري الخليجية التي شملت العراق والأردن. ولكن الزيارة الثالثة تتميز في أنها لقاء قمة أكثر منها زيارة رسمية.

وقد يجوز من باب المقارنة القول إنها تشبه في بعض جوانبها حرص أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح على أن يختار طائرة "الجابرية" وليس الطائرة الأميرية الرسمية لكي يتوجه بها إلى الجزائر، حيث كانت هذه الطائرة قُبل بضعة أسابيع جاثمة هناك لعدة أيام نتيجة محنة كثيرة القساوة سببها أن القرار العربي بالإنتفاضة على العناد الإيراني تأجل أكثر من اللازم وبات لا بد من إتخاذه.

فهل يعي الملوك والرؤساء الذين أتوا إلى الجزائر هذا الأمر فيقرروا دعم الإنتفاضة الفلسطينية وفي الوقت نفسه الإنتفاضة على العناد الإيراني؟
لعل وعسى يحدث ذلك.

مجلة "التضامن". لندن - 11 حزيران (يونيو) 1988

* * *

القمة الإستثنائية... قمة الواقعية

ما هذه المصادفة الغريبة. إسحاق شامير رئيس وزراء إسرائيل يصرح وهو في زيارة رسمية للولايات المتحدة تزامنت مع إنعقاد القمة العربية الإستثنائية في الجزائر بأنه يتمنى لهذه القمة أن تفشل.

وسفير إيران لدى الجزائر ينسحب من الجلسة الإفتتاحية لتلك القمة إحتجاجاً على موقف مبدئي وموضوعي من الحرب العراقية - الإيرانية أشار إليه الأمين العام للجامعة العربية الشاذلي القليبي في الكلمة التي ألقاها.

وبعد أن إختتمت القمة أعمالها وأذاعت بيانها الختامي يصدر عن وزارة الخارجية الإيرانية تعليق يصف البيان بأنه "نقطة سوداء في تاريخ العالم العربي" ويذهب الرئيس

الإيراني علي خامنئي بعيداً فيصف البيان بأنه "عار على الأمة العربية".

إذاً هناك طرفان خاسران فقط من أي تفاهم عربي يحدث، ولو كان هذا التفاهم هو الحد الأدنى. والخاسران هما إسرائيل والحكم الثوري الإيراني.

وهذان الطرفان شعرا بالخسارة لأن قمة الجزائر أكدت أن اللقاء العربي ممكن وهما لا يريدان ذلك.

وشعر الطرفان بالخسارة لأن اللقاء الذي تحقق تميز بالإنسجام، وهما اللذان إعتادا على لقاءات عربية تنتهي بتعميق الخلافات، وهو أمر يفيد كلا منهما.

وشعر الطرفان بأن الملوك والرؤساء العرب باتوا أكثر تحسباً بالمخاطر الإسرائيلية والإيرانية ولا يريد الطرفان أن تصل الحال بالعرب إلى هذه الحقيقة. ومن الطبيعي أنه بعد أن يمارس العرب كل المرونة الممكنة إزاء فكرة التعايش السلمي بين شعوب المنطقة وبما يعطي كل صاحب حق حقه ولا تتجاوز إسرائيل والحكم الثوري في إيران مع هذه المرونة... من الطبيعي أن يتحسس القادة العرب بالمخاطر، خصوصاً بعدما ظهر واضحاً لكل منهم أن إسرائيل لا تريد سوى إستمرار الحال مع الفلسطينيين كما كانت عليه قبل الإنتفاضة، وأن الحكم الثوري في إيران لا يريد سوى إستمرار الحال مع العرب كما كانت عليه قبل تحرير "الفاو" و"السلامة" أي تعامل الطرف الذي يحتل الأرض العربية وإلى حد ما الإرادة العربية.

إن القمة الإستثنائية العربية التي جرى عقدها في الجزائر كانت واقعية. ومن يقرأ كلمات القرارات والتوصيات ويتأمل في وجوه الملوك، والرؤساء، ورؤساء الوفود، الذين شاركوا فيها يتبين له أن هذه القمة التي بدأت على شيء من الحيرة دخلت في يومها الثاني، ونتيجة للقاءات الثنائية التي لم تشهدها قمة عربية بهذه النسبة المكثفة من قبل، مدار الواقعية.

الواقعية في ما يخص الشرعية الفلسطينية وفي هذا الصدد يتأكد بُعد نظر ياسر عرفات، الذي على رغم حماسته للقمم العربية، فإن حماسته لهذه القمة بالذات كانت كبيرة لشعور منه بأنها تشكل حماية للشرعية التي يمسك بزمامها.

والواقعية في ما يخص الموقف من مصر، حيث بدا أن هذه القمة لم تحسم أمر إستعادة مصر كما كان يأمل الرئيس حسني مبارك، إلا أنها لم تعطل إمكانية العودة القريبة لمصر إلى مكانها في الجامعة والتي قد تتزامن مع

دخول فكرة المؤتمر الدولي مرحلة الجدية أو مقدمات البدء بالتنفيذ.

والواقعية في ما يخص السيادة الليبية على خليج سرت وهي سيادة دفعت ليبيا ثمناً لها الدماء والشهداء في العدوان الأميركي الجوي الشهير.

والواقعية في ما يخص الحرب العراقية - الإيرانية، حيث إن الملوك والرؤساء جددوا التضامن الكامل مع العراق والوقوف معه في دفاعه عن سيادته وإستقلاله وحرية أرضه، ووجهوا التحية بالإكبار والإعتزاز له لتحريره منطقتي "الفاو" و"السلامة".

والواقعية في تأكيد الملوك والرؤساء أن التهديدات الناجمة عن إستمرار الحرب العراقية - الإيرانية أصبحت تمس أمن وإستقرار بعض دول المنطقة، وخاصة دولة الكويت.

والواقعية في التضامن مع الموقف السعودي وتأييد الإجراءات التي تتخذها المملكة العربية السعودية لتنظيم الحج.

والواقعية في إعتبار الإنتفاضة الفلسطينية جزءاً من الثورة الفلسطينية وبذلك لا يعود هنالك أخذ ورد في مسألة من يمثل الإنتفاضة، حيث إن الأمر إنتهى على أساس أن الثورة من أجل فلسطين وأن الإنتفاضة إبنة الثورة، أو إن الثورة التي بدأت من أجل فلسطين ليست بعيدة عن الإنتفاضة التي هي الطريق الأكثر يسراً إلى الحل الدولي. والواقعية في أن دول المغرب العربي مارست للمرة الأولى موقف دول الصف الواحد، الأمر الذي يعني أن ولادة تكتل دول المغرب بات أقرب من ذي قبل.

والواقعية في أن رئيس الدولة المضيفة كان في أقصى حالات اليقظة، فلم يترك حاكماً يأخذ على خاطره، ولم يترك قضية لا تنال حقها من التأييد، وبذلك جعل القمة الإستثنائية الإنعقاد إستثنائية على صعيد النتائج. وهو بذلك بدد الإنطباع الذي ساد بأن القمة الإستثنائية لن تحقق شيئاً. وتبديد هذا الإنطباع يؤكد التوجه الذي كان يرى بأن القمة الإستثنائية تنعقد فقط من أجل دعم الإنتفاضة ليس أمراً مفيداً ولا يتطلب تجمع الملوك والرؤساء. ومن أجل ذلك نرى أن القمة الإستثنائية نجحت لأنها تناولت كل الأمور وقد تكون إستندت إلى أرضية الإنتفاضة في ذلك.

وهي إعتمدت الواقعية فحققت الحد الأقصى من الإنسجام والإتفاق على رأي واحد، ومهدت الطريق بالفعل

أمام القمة العادية في الرياض.

وبعد الآن فإن من المهم الالتزام بما تم التفاوض فيه شأنه والتنبه من المكائد والمكامن الإسرائيلية والإيرانية، إذ ليس أمراً سهلاً على إسرائيل تقبل نتائج قمة تربط الثورة بالإنقضاة إلى درجة عدم التفريق بينهما، ومن أجل ذلك تمنى شامير الفشل، لكنها والحمد لله لم تفشل، وليس سهلاً على الحكم الثوري في إيران تقبل صدور موقف عربي واضح وشامل بإدانة إيران المعتدية وتجديد التضامن مع العراق واعتبار تحرير "الفاو" و"السلامة" مسألة توجب توجيه التحية بإكبار واعتزاز، ومن أجل ذلك إعتبر ذلك الحكم أن بيان قمة الجزائر هو "نقطة سوداء في تاريخ العرب" وقال الرئيس خامنئي إن البيان هو "عار على الأمة العربية".

تحية للواقعية العربية خصوصاً أنها جاءت من ملوك الأمة ورؤسائها بعد لقاءهم الاستثنائي في الجزائر.

مجلة "التضامن". لندن - 18 حزيران (يونيو) 1988

* * *

"شطرنج" الخلافة في إيران

يوم الخميس 2 حزيران (يونيو) 1988 أصدر الخميني قراراً بتعيين هاشمي رفسنجاني قائداً عاماً لجميع القوات المسلحة الإيرانية (الحرس الثوري. الجيش. الشرطة. الأمن العام... الخ).

وفي الرسالة التي وجهها في هذا الشأن أشار الخميني إلى أن تعيين رفسنجاني في هذا المنصب، هو نتيجة إنعدام الإنسجام وفقدان التنسيق والوحدة بين الجيش والحرس الثوري وقوات الأمن وكذلك بسبب تدني معنويات الجيش والحرس.

وفي وقت مبكر من اليوم التالي (الجمعة 3 حزيران 1988) قامت طائرة حربية إيرانية من نوع «اف - 4» بعملية إستهدفت دار سكن عائلة الرئيس صدام حسين في مسقط رأسه قرية «العوجة» في محافظة صلاح الدين. وطبقاً للبيان العسكري العراقي فإن الطائرة ألقت حمولتها في منطقة قريبة من الدار وأن المقاومات الأرضية تصدت لها وأرغمتها على الفرار من دون أن يصاب أي من أفراد عائلة الرئيس ولا أي من المواطنين بأذى.

ومن الواضح أن الحدثين يلتقيان عند نقطة واحدة تتعلق بالحالة النفسية السائدة في إيران منذ أن إستطاعت القوات العراقية إستعادة القسم الأكثر حساسية من الأراضي المحتلة من جانب إيران، وأفقدت بذلك الحكم الإيراني ورقة الضغط من جهة، و «الدولة الإسلامية» الموعودة والتي في سبيلها إحتلت إيران «الفاو»، ووضعت اليد على مناطق تحيط بمدينة البصرة من جهة أخرى.

وحول هذين الحدثين يمكن ملاحظة الآتي:

1- إن استهداف دار سكن عائلة الرئيس صدام حسين التي هي العائلة المتوكلية على الله يبدو كما لو انه عملية إستفزازية في الدرجة الأولى القصد منها إستدراج العراق إلى عملية مماثلة تستهدف مقر الخميني أو إستئناف حرب المدن.

والغرض من هذا الإستدراج هو أن تتعقد القمة العربية الإستثنائية بينما العراق يوجه ضربات إلى المدن الإيرانية بدل أن تتعقد تلك القمة ويشارك فيها العراق وهو في غاية التألق بعد عمليتي التحرير القياسيتين في «الفاو» ثم في «السلامة»، ويستطيع وهو في هذه الحال إضعاف حلقة التناقضات العربية وجمع الدول العربية حول موقف أكثر فعالية في ضغطه على إيران. وإلى ذلك إن الغرض من هذا الإستدراج هو تطويق أي تفاهم مبدئي توصلت إليه القمة الاميركية - السوفياتية التي عقدها الرئيسان ريغان وغورباتشوف قبل أيام في موسكو.

2- في الوقت نفسه قد يجوز الافتراض أن تعيين رفسنجاني جنرالاً هو رسالة من جانب الخميني إلى الولايات المتحدة ودول أوروبا مفادها أن الثورة الإيرانية تود حسم أمر هويتها، وأنها مع الخيار الغربي، وأنها مع ما تراه الدولتان الكبريان إنما بعدما يتم ترتيب الشؤون الداخلية للبيت الإيراني، وإتخاذ الإحتياطات التي لا بد من إتخاذها وأهمها على الإطلاق عدم تمكين الجيش من ممارسة دور المنقذ في حال توقف الحرب. وهذا الدور سيمارسه الجيش الإيراني لأنه يبقى المؤسسة الوحيدة التي يمكن التعويل عليها. وعندما يمسك رفسنجاني بزمام الأمور ويصبح فجأة وكما لو أنه قائد عسكري مرموق فهذا معناه أنه سيقضي على أي إمكانية دور للجيش في حال توقف الحرب أو تمهيداً لوقف الحرب. والقضاء على هذه الإمكانية يكون من خلال زج الجيش في معارك جديدة مع العراق لا يخرج منها هذا الجيش سالمًا. وعندما

تتكرر المسألة مرتين أو أكثر فهذا سيكون بمثابة إطلاق رصاصة الرحمة على المؤسسة العسكرية الإيرانية. وعلى أنقاض هذه المؤسسة يمكن إنشاء جيش جديد يكون جيش المرحلة المقبلة ورجل هذه المرحلة.

3- من الضروري الأخذ في الاعتبار أن دور رفسنجاني قد يكون في بعض جوانبه مثل دور مناحيم بيغن الذي حقق بتشدده الصلح المصري - الإسرائيلي. ومثلما أن هذا الدور لم يكن ممكناً تحقيقه مع شخصية تميل بعض الشيء نحو المرونة مثل ليفي أشكول أو أبا إيبان أو شيمون بيريز، فإن الشيء نفسه يمكن أن يقال بالنسبة إلى إيران، بمعنى أن التقاهم مع العراق يحتاج إلى زعامة في إيران متشددة مع العراق بما من شأنه أن يحقق حفظ ماء الوجه، ومتشددة مع الإيرانيين الذين يواصلون غيبتهم الثورية وتعصبهم الديني بحيث يرتضي هؤلاء بالتعايش مع العراق، وعلى أساس أنه ليس دولة كافرة وإنما هو جارة لها تميزها وأن زيارة المراكذ المقدسة في كربلاء والنجف تتم وفق الأصول وبتأشيرة وليس عبر الهجمات والتهمجات والحجابات والشارات الموضوعة على الجبين والطم على الصدور.

كذلك من الجائز الأخذ في الاعتبار أن تعيين رفسنجاني ربما كان بمثابة صفقة ومخرج في الوقت نفسه. مخرج لائق للخميني الأب الذي لا يستطيع أن يوقف الحرب مع أن وقفها سهل، ولا يستطيع العودة عن شرط إلزام به وهو إسقاط النظام في العراق مع أن العودة ممكنة وضرورية مادام ليس هنالك من هو مقتنع بها سواء، وأنه مادام لا يستطيع الأمرين فإنه يترك المسألة إلى رفسنجاني. ومن دون تنويعه جنراً وصاحب القرار العسكري في إيران لا يستطيع رفسنجاني أن يحقق ما هو مطلوب منه. ذلك هو المخرج. أما الصفقة فإنها قد تكون عبارة عن تقاهم بين أحمد الخميني وهاشمي رفسنجاني - وكلاهما يمثل الاتجاه الغربي في الحكم الإيراني - يقضي بتقاسم السلطة بحيث يمهّد رفسنجاني الطريق أمام أحمد الخميني لتولي الحكم بعدما أمكن تأمين مجلس شوري ينتخب الخميني الابن رئيساً للجمهورية وتحت مظلة دستورية عادية. ومقابل ذلك فإن رفسنجاني يتسلم السلطة التنفيذية إنما وفق صيغة جديدة على أساس أن الخميني الابن لا يمكن أن يكون رئيساً للجمهورية على شاكلة الرئيس الحالي خامنئي.

وقد يكون الخميني الابن خطط منذ فترة لهذا الأمر على أساس أنه تدبير وقائي يحفظ لوالده الأبهة التي يريدتها ويصونه من أذى أي حالات تأربة ربما تنتج نتيجة وقف الحرب. هذا من جهة ومن جهة أخرى إنه قد يكون خطط على أساس أنه إذا كان لن يتسلم أحمد الخميني الحكم بينما والده على قيد الحياة فإنه بعد وفاة الوالد لا يستطيع ذلك على الإطلاق، خصوصاً أن المرتبة الدينية له لا تجيز أن يكون البديل وأن كل ما يمكن أن يناله هو موقع في الدولة التي لن تشهد إطمئناناً بعد رحيل الخميني الأب. وإلى ذلك إن أحمد الخميني قد يكون خطط على أساس أن الذي يقف حجر عثرة في وجهه هو رفسنجاني وأن الإطاحة بهذا الرجل تكون على مرحلتين الأولى هي إبعاده تدريجياً عن البرلمان وتلك تحققت عندما تقرر أن يبقى في هذا الموقع لمدة سنة إلى جانب موقعه العسكري. والثانية إغراقه في هموم الحرب وتناقضات العسكريين وكيف أن جماعة الجيش لا ينسجمون مع جماعة الحرس الثوري، وكيف أن ضابط الجيش لا يتحمل أوامر من قائد ينتمي إلى الحرس، وكيف أن جنود الحرس يرفضون أوامر ضابط الجيش لهم... وهكذا. وهذه التناقضات ستستمر مستعصية الحل إذا كان رفسنجاني لن يميل إلى جانب طرف ضد آخر. وهو بطبيعة الحال سيميل إلى الحرس الثوري إلا إذا كان الرجل بعيد النظر بحيث يضرب الجيش بالحرس وبالعكس، ثم يؤسس في الوقت نفسه الجيش الذي يمنحه الطاعة.

4- إن هموم الحرب لا تقتصر على ذلك وإنما هي الوضع على الجبهة. وربما كان الخميني الابن خطط من أجل أن يمسك رفسنجاني الشأن العسكري في البلاد لأن مثل هذه المسؤولية ستجعل رفسنجاني يتصرف على أساس أن يصبح بطلاً قومياً. ومثل هذا الأمر يعني أنه قد يغامر على الجبهة ويحاول تعويض ما لحق بالحكم الإيراني من هزائم. فإذا نجح في ذلك وحقق احتلالاً هنا أو هناك فإن هذا الاحتلال يفتح الباب أمام خطوة أكثر تقدماً على صعيد إنهاء الحرب، وهذه الخطوة ستصب في خانة الخميني الأب ثم يقوم بتجييرها على الفور إلى الخميني الابن. أما إذا فشل فإن الخميني الابن يكون أراح نهائياً من طريقه مركز القوة الأكثر قبولاً من أميركا والغرب والذي هو في سن فتية. وهو يزيحه على أساس أنه يتحمل الوزر الكامل للهزيمة.

5- إن أحمد الخميني ينشط منذ فترة على أساس أن

مرحلة ولاية الفقيه ستنتهي ب وفاة والده. وهو لا يفصح عن ذلك إنما يسعى في مجالسه إلى تأكيد ذلك. ومثل هذا الأمر له دلالاته لأنه يرمي من ورائه إلى القول ضمناً ما معناه أنه لا إمامة بعد الآن وإنما دولة إسلامية يكون رئيسها على الطريقة التي ترأس فيها المطران مكاريوس دولة قبرص، حيث أن مكاريوس لم يكن ممثلاً للكنيسة وإنما رئيس للجمهورية ومن دون أن يضطره ذلك إلى خلع ثياب الكهنوت، بل إن هذه الثياب كانت في بعض الأحيان تعزز مواقفه وتخلق حوله هالة من التهيّب والإحترام إضافة إلى أنها كانت تخفف من وطأة الظروف السائدة في المنطقة زمنذاك. وفي الوقت نفسه إن هذه الثياب لم تمنع خصومه من التأمر عليه ومحاولة خلعها لكنه استطاع أن ينجو ويواصل.

ومثلاً أن حالة مكاريوس كانت جديدة فإن الحالة الإيرانية هي الأخرى جديدة ومن الصعب وضع الإفتراضات على الطاولة. لكن الذي يمكن قوله هو أن الحالة القبرصية كانت مسالمة لأن مكاريوس إستمر دائماً يعرف حدوده وحجم هامش حركته فضلاً عن أنه لم يعتبر نفسه نموذجاً للتحرر أو مكلفاً بمهمة إلهية. كذلك إنه لم يعتبر أن هنالك ثورة يجب تصديرها كما هي حال الذين يحكمون إيران. وقد يكون أحمد الخميني يرى ضمناً أن أسلوب مكاريوس هو الأكثر سلامة وأن منهجه هو الأكثر صوابية. وقد يكون أيضاً يرى فيه القدوة والمثل الذي يجب الإحتذاء به.

6- إن الذي يشجع أحمد الخميني على إبرام صفقة مع رفسنجاني هو أن عامل السن لمصلحته، بمعنى أنه إذا كان نجح في تسلّم الحكم بكامل الصلاحيات فلن يجد من يقول عنه إنه شاب ومن المبكر أن يتسلم الحكم. ومثل هذه المقارنة صحيحة إذا كانت بين الخميني الأب الذي يقترب من التسعين وبين الخميني الابن الذي مازال في الأربعينات. أما إذا لم تتم المقارنة على هذا الأساس فيمكن القول عندئذ إن الذين من جيل أحمد الخميني هم الذين يتسلمون الحكم في إيران. رئيس الجمهورية خامنئي (من مواليد 1939)، وأحمد الخميني (من مواليد 1942)، وكذلك رئيس البرلمان الذي أصبح جنرالاً ونعني به رفسنجاني (من مواليد 1935)، ورئيس الوزراء مير حسين مير إسماعيل موسوي خامنئي (من مواليد 1941) وهو شقيق رئيس الجمهورية. وإذا كان هؤلاء ليسوا من عمر واحد فإنهم في أي حال من جيل واحد حيث تفصل الواحد

عن الآخر سنتان أو ثلاث سنوات أو سبع سنوات. المهم أن الجميع ينتمون إلى جيل العقد الرابع. وإلى ذلك إن الإيرانيين قد يتقبلون أحمد الخميني بالحد الأدنى من الإعتراض على أساس أنه قد يضع نهاية للحرب، وأنه قد يحسم مادام سيتسلم الحكم، وأنه إذا كان لم يحسم حتى الآن فعل أساس أنه يستفيد من الصراعات. بل إن قطاعات كبيرة من إيرانيي الخارج قد يرحبون بمجيئه لكثرة ما ذاقوا من ويلات السنوات الثماني المستمرة حرائقها. وعندما نقول ذلك لا نُسقط من الحساب أن أحمد الخميني هو منذ السنة الثانية للثورة في إيران يحكم. بل إنه بالمقارنة مع رئيس الجمهورية يبدو أكثر قوة من الرئيس نفسه. وهو قوي على أساس أن الدولة محكومة من والده الإمام وأن مهمته هي أن يكون الأقرب إلى الوالد، ولا سبيل لأحد بما في ذلك الطبيب لرؤية الوالد عن غير طريق الابن. وكلما زاد عمر الخميني الأب يوماً زادت قوة الخميني الابن. وفي العادة إن الكبار في السن يشكلون همّاً بالنسبة إلى الأبناء. أما بالنسبة إلى أحمد الخميني فإن والده الإمام يشكّل عنصر قوة أو أنه البئر التي تروي شجرة القوة عند الخميني الابن. وإلى ذلك إن قوة أحمد الخميني تكمن في أنه ناقل رسائل الوالد وتوجيهاته إلى الدولة وكذلك نقل رغبات الدولة بأشخاصها من رجال دين وعسكريين وتجار وسفراء التي يريدونها هؤلاء من الخميني الأب. وهو أيضاً الذي ينقل رغبة أو طلبات دول العالم من الخميني الأب وكذلك رأي الوالد في هذا الأمر أو ذاك. والقصد من ذلك هو القول إن قرار الحكم الإيراني هو بين يدي أحمد الخميني. فالأب لا يكتب الرسالة التي يذاع بأن أحمد الخميني نقلها إلى البرلمان أو الجيش أو الناس. إن الأب بسبب الظرف الصحي يقول بعض الكلام والابن يسجل ثم يتولى الصياغة. وفي علم الغيب ماذا قال الأب وما الذي نقله الابن. وبمعنى آخر إن الخميني الابن قد يكون هو الذي يحكم منذ سبع سنوات. وإذا كان من غير الجائر الجزم في هذا الأمر فإن القول بأنه كان يوظف مواقف الوالد في الإتجاهات التي تُحقّق له طموحه ليس قولاً مجافياً للحقيقة. وكل ما سيحدث هو أن الخميني الابن وجد أن اللحظة المناسبة قد إقتربت وأنه دفع بما ينقله إلى والده عن واقع الحال إلى وضع رفسنجاني الأكثر شأناً والأكثر سعياً من أجل أن يخلف الإمام في الموقع الأكثر حساسية وهو الزعامة العسكرية، وربما من دون أن يغيب عن باله أن رفسنجاني قد إبتهج بهذا التزعم على

أساس أن إشرافه على كل جهة عسكرية وأمنية في البلد ستجعله قادراً على أن يصفى كل خصومه. لكن المهم من يبقى في النهاية خصوصاً أن الحال مازالت على ما هي عليه، بمعنى أن رسالة من الإمام ينقلها نجله أحمد في لحظة غير متوقعة وتتحدث عن تعثر رفسنجاني وإخفاقه في تحقيق التنسيق العسكري من شأنها أن تجعل رفسنجاني خارج المسرح تماماً.

7- على رغم أن رفسنجاني يملك الآن أقوى سلطتين في إيران (سلطة ترؤس البرلمان وسلطة الإشراف على القطاعات العسكرية) إلا أن إستعماله لهاتين السلطتين محكوم بإعتبارات كثيرة، بمعنى أنه لكي يبقى يجب أن يمارس المهمة بما لا يتجاوز حدوداً مرسومة في رأس الذين دفعوه إلى المقدمة. وفي اللحظة التي سيشعر هؤلاء، ونعني هنا تحديداً أحمد الخميني، أن رفسنجاني يقوم بتوظيف السلطتين لحساب طموحاته في أن يصبح الرجل الأول في إيران فإن المواجهة ستحدث ولن تكون طويلة مادام الأمر مقتصر على رسالة يذيعها أحمد الخميني ومنسوبة إلى والده الإمام الذي - إذا جاز القول - يسحب الثقة في شكل أو آخر من رفسنجاني. ومثل هذه الخطوة تعني إسقاط رفسنجاني من خلال تشويه هالته.

ومثلما أن في إستطاعة من يملك السلطة الواسعة أن يحول هذه الملكية إلى قوة راسخة، فإن هذا الشخص يصبح من النوع الذي يخطئ في التقدير، بمعنى أنه يتحول إلى شخص جموح يدمر في طريقه أي شيء يعترضه. وبكلام أكثر تحديداً إن بعض الذين يملكون السلطات الواسعة يصبحون عرضة لإرتكاب الأخطاء التي تصل أحيانا إلى درجة الخطايا التي يصعب إيجاد حلول لها. ومع أن تجربة ثمانية أعوام في الحكم قد تكون صقلت رفسنجاني وعلمته الكثير، إلا أن الرجل قد يضعف في لحظة شعور بأن بينه وبين أن يملك كل شيء مادام مالكا للسلطتين العسكرية والتشريعية خطوات قليلة يكفي إذا هو إجتازها أن يصبح الرجل الأول. وهذه الخطوات هي تجريد أحمد الخميني من بعض أسلحته وتعطيل قنوات الإتصال بينه وبين مراكز القوى التي يعتمد عليها. وأغلب الظن أن أحمد الخميني في حالة يقظة لهذا الأمر وأن عيوبه الساهرة تُحرق ليلاً ونهاراً وفي كل لحظة في كل ما يجري.

8- من الجائز الافتراض أن رفسنجاني عندما أرسل طائرة من نوع «اف 4» إستهدفت دار سكن عائلة الرئيس صدام حسين في مسقط رأسه (قرية العوجة) كان يعتقد أن

العراق سيرد بقساوة على أساس أن إرسال الطائرة هو ذروة التحدي. وكان معنى ذلك أن الإيرانيين سيعلقون الآمال الكبيرة على رفسنجاني. لكن ما توقع رفسنجاني حصوله لم يحدث، عملاً بقاعدة التريث، وعلى أساس أنه إذا كان هدف رفسنجاني إستدراج العراق إلى موقف يخدم غرضه (أي غرض رفسنجاني) فلماذا مساعدته على تحقيق ذلك؟

والى ذلك قد يكون رفسنجاني إعتبر أن القيادة العراقية ستزد على الفور وفي ذلك يحقق ما يرمي إليه وهو الإحياء بأن العراق يحسب حساباً لرفسنجاني من جهة، وأنه إذا قام العراق بالرد القاسي فإنه يستطيع أن يقول إنه لم يأخذ وقته بعد لكي يتعامل كما يجب مع العراق.

وعندما لم يرد العراق فإنه فوت بذلك على رفسنجاني فرصة إبداء الحجج التي تعكس عجزه. ولكن هذا لا يعني أن إنهاء رفسنجاني ليس بين يدي العراق وأن عملية تحرير يكون هدفها هذه المرة «حليجة»، قادرة على أن تقص جناحي رفسنجاني وتجعل هذا «الصقر» يهوي أرضاً ولا يجد من يضمد له جراحه. ومن المهم التوضيح هنا بأنه لو كانت القيادة العراقية تريد أن ترسل طائرة تضرب مقر الخميني لكان الأمر سهلاً عليها، ذلك أن الطيار العراقي الذي يضرب في أقاصي إيران ويعود سالماً لن يصعب عليه ضرب مقر الخميني خصوصاً أن ما نعرفه هو أن كل مراكز إقامة الخميني وكبار المسؤولين مرصودة بالكثير من الدقة وبالصور وهناك قدرة جوية على الوصول إليها. ولكن الدول لا تتعامل على هذا النحو. وعدم رد العراق بقساوة لا يعني أن الرد ليس وارداً ولكن الدروس المستفادة من إحتلال «الفاو» ثم تحريرها، وإحتلال «السلامجة» ثم تحريرها كثيرة ومن بينها الدرس الأكثر أهمية وهو أن عدم الإنفعال لأن أرضاً تم إحتلالها يبقى أفضل من الإنفعال في سبيل تحريرها. كذلك إن الرد في لحظة الغفلة له وقع وتنتج عنه آثار نفسية تحفر في الوجدان.

يبقى أن ما يمكن ملاحظته في هذا الشأن كثير. وقد يكون قي قول الرئيس صدام حسين للصحفيين المصريين الذين رافقوا الرئيس حسني مبارك في زيارته إلى بغداد، والتي إستغرقت بضع ساعات يوم الثلاثاء 7 حزيران (يونيو) 1988، ما من شأنه أن يشكّل علامة بارزة وكثيرة الوضوح. وما قاله الرئيس صدام: «إن تحرير الفاو والسلامجة هو بوابة النصر النهائي».

ومن الواضح إن العملية التي إستهدفت عائلة الرئيس صدام حسين كانت محاولة يائسة للإبقاء على هذه البوابة

مغلقة أمام قرار دولي لإنهاء هذه الحرب. وفي إطار هذا القرار جيء برفسنجاني جنرالاً وحجراً في لعبة شطرنج إقتربت من نهايتها، وهناك صراع مرير داخل إيران يدور حول الحقيقة الأساسية وهي: مَنْ سيكش مَنْ؟ وَمَنْ تكون الزعامة التي ستتادي بعد الآن بالحرب ليس من أجل الحرب وإنما في سبيل أن يكون ماء الوجه محفوظاً؟

وتكراراً، إن أحمد الخميني يمارس اللعبة على هذا الأساس. ينجح. يتعثر. يفشل يسقط هو. يسقط غيره؟ إن الصراع على أشده واللعبة معقدة أكثر مما يظن المرء. وعندما نتأمل في اللعبة والملعب واللاعبين نجد أنفسنا أمام ساحة ملأى بالرؤوس التي تتدحرج. وهذا الصراع بالغ الشراسة لأنه يجب أن يُحسم من وجهة نظر الخميني الإبن بينما الخميني الأب لا يزال على قيد الحياة.

وأغلب الظن أنه سيُحسم وتكون «ولاية الفقيه» هي الفترة التي بدأت مع بداية الثورة وإنتهت بوفاة الخميني وبذلك تضيق فرصة آية الله منتظري في أن يكون الخليفة... أو بجل على الطريقة التونسية يكون فيه أحمد الخميني مثل زين العابدين علي ورفسنجاني مثل محمد مزالي. أما بورقيبة هنا فهو الخميني الأب الذي أخطأ في التقدير. ونتيجة هذا الخطأ تبذرت الثروة ومات البشر وتحطمت الأحلام الجميلة في سرايب مظلمة.

وفي إستطاعة الخميني الإبن أن يرمم، هذا إذا كان يريد سلطة تتحصر ضمن حدود إيران، بمعنى أنه لا ثورة للتصدير، ولا إستمرار للحرب، ولا أي محاولة لتعكير جو التعايش مع الآخرين.

وأغلب الظن أن أحمد الخميني الذي يعرف من دون غيره حقيقة الوضع الصحي الدقيق لوالده يريد ذلك، ويعرف قبل غيره أيضاً أن قضية الإيرانيين في الداخل والخارج هي إنهاء الحرب وأن من يلعب هذه الورقة بعناية يكسب. وكل خطوة بعد الآن مرتبطة بهذا التوجه. وهذا الصعود لرفسنجاني كان إذا جاز القول الخطوة الأولى.

مجلة "التضامن". لندن - 18 حزيران (يونيو) 1988

* * *

جزاء الساعين لوقف الحرب

بالرغم من أن في تركيا مشاكل وصراعات داخلية كثيرة

قد يتطلب حسمها - حسب المفاهيم السائدة في دول العالم الثالث - أحياناً اللجوء إلى العنف، إلا أن محاولة إغتيال رئيس الوزراء تورغوت أوزال تبدو مرتبطة في شكل أو آخر بالحرب العراقية - الإيرانية.

أما لماذا هي مرتبطة، فلأن أوزال، على عكس ما يفعله الرئيس الباكستاني ضياء الحق، يبدو أكثر تفهماً للحقائق الموضوعية وأهمها أن الحرب يجب أن تتوقف، وأنها مستمرة لأن الحُكم الإيراني لا يريد لها أن تتوقف.

وإلى ذلك إن الحُكم الإيراني يعتبر أن من حقه على أوزال أن يناصر الموقف الإيراني بحكم وحدة اللسان العجمي، من جهة، وبحكم أن تركيا لا تضم الخير للعرب الذين يتذكرون بالمشاعر غير الودية على الإطلاق حقبة الأمبراطورية العثمانية.

وإذا كانت محاولة إغتيال أوزال شبيهة، من حيث الأسلوب، إلى حد ما بتلك المحاولة التي نفّذها شاب تركي قبل بضع سنوات في ساحة الفاتيكان وإستهدفت رئيس الكنيسة الكاثوليكية، فإنها من حيث الهدف تبدو مثل تلك الجريمة التي إستهدفت أولاف بالمه رئيس وزراء السويد، والذي يجوز إعتباره الشهيد الدولي لقضية السلام، حيث إن هذا المسؤول صاحب السمعة الطيبة بذل جهداً مرموقاً من أجل أن تقف الحرب العراقية - الإيرانية، وكاد مسعاه، لولا الرصاصات التي أنهت حياته، يثمر في شكل أو آخر.

ومنذ حوالى ثلاث سنوات ينشط الحُكم الإيراني في سبيل جعل الحُكم التركي يتخذ الموقف الذي يتخذه الرئيس الباكستاني ضياء الحق من الحرب العراقية - الإيرانية. لكن مشاعر أوزال من جهة، وتأكده الملموس، خصوصاً بعد موسم الصيف الماضي، من جدوى العلاقات الودية مع العرب ومع دول الخليج التي أنعش رعاياها موسم السياحة والإصطياف في تركيا، جعلته أكثر حرصاً على أن يبقى على الموقف التركي متوازناً بحيث لا يجنح نحو الموقف الذي إختاره الرئيس ضياء الحق وكان موضع عدم إرتياح العرب، الذين فاجأهم الرئيس الباكستاني بمشاعره غير الودية.

بل قد يجوز القول إن الحُكم الإيراني حاول قبل بضعة أسابيع توريط الحكومة التركية عندما فاجأ هذه الحكومة بالطلب منها رعاية مصالح إيران في المملكة العربية السعودية بعد أن أعلنت المملكة قطع العلاقات مع الحُكم الإيراني.

وعندما تشاورت الحكومة التركية مع المملكة في شأن

الرغبة الإيرانية وإكتشفت أن المسؤولين السعوديين ليسوا مبالين لهذا الإقتراح، وأنهم كانوا يفضلون التشاور معهم قبل الموافقة على الرغبة الإيرانية، فإنها تجاوبت مع الموقف السعودي مما أثار حفيظة الحُكم الإيراني الذي كان يتوقع أن تحتج الحكومة التركية على الموقف السعودي أو تحدث أزمة بين الحكومتين السعودية والتركية، وهذا ما يسعى إليه الحُكم الإيراني.

أما لماذا لم ترحب المملكة العربية السعودية بما عرضته الحكومة التركية فعلى أساس أنه ليس هنالك مصالح مشتركة بين المملكة وإيران توجب الرعاية، وعلى أساس أن الحُكم الإيراني سيلجأ إلى أعمال تستهدف إقلاق السعودية خلال موسم الحج، وهذا معناه أن الدور التركي سيكون على جانب من التعقيد حيث إن تركيا ستتحمل وزر أعمال الشغب التي يقوم بها إيرانيون أو الجماعات المناصرة للحُكم الإيراني.

وبعدما تجاوبت الحكومة التركية مع الموقف السعودي والذي هو لمصلحة تركيا ومن أجل خير العلاقات العربية - التركية التي تزداد نمواً، حدثت محاولة إغتيال أوزال. هذا مع الأخذ في الاعتبار أن المسؤولين السعوديين لم يرفضوا فكرة رعاية المصالح جملة وتفصيلاً، إلا أنهم أرجأوا ذلك إلى ما بعد إنتهاء موسم الحج، حيث إن التعامل مع المناورات الإيرانية يصبح أكثر يسراً مما هي الحال عليه خلال موسم الحج.

وتبقى الإشارة إلى أن محاولة إغتيال أوزال تمت بعدما أصبح رفسنجاني جنراً مسؤولاً من قبل الخميني على كل الشؤون العسكرية والأمنية في إيران. وقليلون لا يعرفون أن حقد الخميني على العراق، لأنه طلب منه مغادرة أراضيه قبل حوالي تسع سنوات، هو مثل حقد رفسنجاني على المملكة العربية السعودية التي طلب من حكومتها قبل حوالي أربع سنوات توجيه الدعوة رسمياً إليه من أجل تأدية فريضة الحج.

واللافت للإنتباه أنه على رغم كونه رجل دين فإن رفسنجاني طلب دعوته ولم يقنعه الرد السعودي بأن تأدية فريضة الحج لا تتم بدعوة رسمية، وأنه إذا أراد أن يؤدي الفريضة فليفضل معزراً مكرماً وسيلقى المعاملة التي يلقاها من هم في موقعه ومن دون أن يلفت أحد نظر المسؤولين السعوديين إلى الواجب واللياقات.

ويبقى إستكمالاً لما بدأناه في مطلع الكلام أن على أي مسؤول مسلم، أو غير مسلم، أن يكون حذراً ما دام يسعى

من أجل أن تتوقف الحرب العراقية - الإيرانية التي دخلت الأسبوع الماضي مداراً بالغ الأهمية بإنتقال "مجاهدي خلق" التنظيم الإيراني الأقوى شأناً على الصعيد العسكري، من مرحلة التدريب إلى مرحلة تنفيذ عملية السيطرة على بلدة "مهران" الإيرانية، وهي رد ليس من السهل على رفسنجاني أن يتحمله ببساطة، فضلاً عن أنها سترفع من معنويات الإيرانيين المعارضين الذين يعيشون في الخارج وستزيد في الوقت نفسه من تملل الذين يعيشون في الداخل. والأهم من ذلك أن هذه النقلة النوعية ستجعل "مجاهدي خلق" يحظون مع الوقت، وفي ضوء جموح الحُكم الإيراني نحو إستمرار الحرب والتحرش بدول الخليج، بالإهتمام الذي حظي به المجاهدون الأفغان وهو إهتمام كان له أثره الفعال على مسار الوضع في أفغانستان إلى درجة أن المجاهدين الذين صمدوا بفضل الدعم الخليجي باتت لهم كلمة أساسية في القرار السياسي وفي مصير أفغانستان وداخل كابول نفسها.

مجلة "التضامن". لندن - 25 حزيران (يونيو) 1988

الصراحة في زمن الإنتفاضة

الأسبوع الماضي أنهى ولي عهد المملكة العربية السعودية نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني الأمير عبد الله بن عبد العزيز زيارة رسمية إلى بريطانيا، يمكن اعتبارها نموذجاً غير مألوف للزيارات الرسمية التي يقوم بها إلى بريطانيا المسؤولون الكبار في دولهم.

ولقد سجلت هذه الزيارة أكبر عدد من "الإختراقات" للبروتوكول البريطاني. وإذا جاز القول فإن الذين يحكمون والذين يملكون تجاوزوا البروتوكول، الذي يتسم بأنه عريق أكثر من بروتوكول أي دولة أخرى من أجل أن تتجج الزيارة بل وتُحقق أقصى درجات النجاح.

وعلى سبيل المثال لا الحصر فإنه لم يحدث من قبل أن إستضافت الملكة إليزابيث في المنصة الخاصة بها في "اسكوت" ضيفاً زائراً، إلا أنها أدخلت في معرض التجاوز تقليداً جديداً على البروتوكول بإستضافتها الأمير عبد الله في المنصة الملكية ومتابعتها معاً أهم سباق خيل في المملكة المتحدة.

وفي إطار الإهتمام فإنها حرصت على أن يتواجد في مأدبة الغداء التي أقامتها تكريماً للأمير عبد الله كل أفراد الأسرة المالكة البريطانية باستثناء الغائب من هؤلاء الأفراد (الأمير إدوارد نجل الملكة كان أهم الغائبين).

ولم يحدث أيضاً من قبل أن رافق الملكة في عربة مكشوفة ضيف زائر، إلا أن الملكة إليزابيث أدخلت في معرض التجاوز أيضاً لحرفية البروتوكول تقليداً جديداً بدعوتها الأمير عبد الله لمرافقتها في العربة المكشوفة.

ولم يحدث أيضاً من قبل أن جاء ولي عهد بريطانيا إلى مقر إقامة ضيف وإصطحبه إلى عشاء يقيمه عمدة لندن، إلا أن ولي العهد البريطاني الأمير تشارلز جاء إلى مقر إقامة الأمير عبد الله وتوجها معاً إلى العشاء، الذي كان أيضاً يتسم بالتكريم لأن العمدة أقام المأدبة في منزله. إن مظاهر الإهتمام هذه هي بعض ما أمكن ملاحظته. ومن المؤكد أنه ما دام الظاهر للعيان هو إهتمام يتجاوز طقوس البروتوكول الدقيقة فإن هنالك إهتماماً غير ملحوظ يتمثل في عبارات مجاملة ويكون لها وقع كبير في نفس الضيف الزائر.

ومن المؤكد أنه عندما يقارن الأمير عبد الله بن عبد العزيز بين البرنامج الذي أعدته الحكومة البريطانية لزيارته الثانية التي تمت الأسبوع الماضي وزيارته السابقة عام 1984، وبين الزيارة وزيارات رسمية كثيرة قام بها مسؤولون كبار إلى بريطانيا، سيجد أن الزيارة الثانية كانت على درجة عالية من التميز، وأنها كانت، إذا جاز التعبير، زيارة الرجل الثاني بالتعامل الذي يلقاه إلى حد ما رئيس دولة، أو من أجل الدقة إن التعامل كان أكثر من التعامل الذي يلقاه من هو في منصب ولي العهد ورئيس الوزراء.

وما يقال عن الإهتمام البريطاني يقال أيضاً عن الإهتمام الإيرلندي، حيث إن رئيس إيرلندا لم يتمالك إلا أن يقول للأمير عبد الله ما معناه: إننا سعداء جداً بالاستقبال الشعبي الذي لقيته، خصوصاً أنه عفوي ولا علاقة لنا به. وهو توضيح في غاية اللباقة من جانب الرئيس الإيرلندي الذي لم يجبر هذا الإستقبال العفوي من جانب المواطنين لولي العهد السعودي لحكومته وإنما حرص على أن يعبر عن واقع الحال. وما لم يقله الرئيس الإيرلندي، وربما لا يكون خطر في بال الأمير عبد الله، هو أن ما يبثه حوالى ثلاثة آلاف إيرلندي وإيرلندية يقيمون في المملكة العربية السعودية، ومعظمهم من المرضى والمرضى والممرضات والمهندسين، من أخبار حول التعامل السعودي الطيب

معهم، يشكّل سبباً أساسياً للترحيب العفوي بولي العهد السعودي، خصوصاً أنه يزور بلادهم للمرة الأولى. وعندما سيُرد رئيس وزراء إيرلندا الدعوة التي وجهها الأمير عبد الله إليه لزيارة المملكة قريباً فإن العفوية التي تتميز بها العلاقات السعودية - الإيرلندية ستكسر أكثر فأكثر.

وإهتمام بريطانيا سواء من جانب الملكة أو من جانب الحكومة، بزيارة الأمير عبد الله هو بعض ما تتسم به الزيارة. أما الأهم من ذلك فهو أن الصراحة التي يعتمدها الأمير عبد الله في مخاطبته مع المسؤولين الذين يزورون المملكة، أو مع الوفود التي تشمل مهمتها في المملكة اللقاء به، إعتدتها خلال زيارته الثانية إلى بريطانيا. وهو إذا كان لم يتردد في أن يقول للوفد البريطاني البرلماني المهم الذي زار الرياض قبل فترة عند مناقشة القضية الفلسطينية مع أعضاء الوفد "الله يسامحكم على ما فعلته بلادكم بالشعب الفلسطيني"... فإنه لم يتردد في أن يقول للسيدة مارغريت تاتشر خلال محادثاته الرسمية مع الوفد البريطاني "إن وعد بلفور نقطة سوداء في تاريخ بريطانيا وعليكم أن تصحوه". وهذه العبارة قالها الأمير في زيارته الماضية بالصراحة نفسها إلا أنه زمناً لم يسمع الرد الذي سمعه هذه المرة.

وما قالته مارغريت تاتشر رداً على ذلك هو: "إن وعد بلفور حدث قبل أن أُولد".

وأضافت إلى ذلك القول: "وهناك قرارات صدرت من الأمم المتحدة بعد وعد بلفور إلا أنه مع الأسف لم يتم تطبيقها. ولو حدث التطبيق لما كان الفلسطينيون على هذه الحال التي هم عليها".

ومع أن السيدة تاتشر لم تحدد هذه القرارات إلا أنها كانت تعني تلك القرارات المتعلقة بالتقسيم.

كذلك إنها بقولها إن وعد بلفور صدر قبل أن تولد معناه ضمناً أن جيل ما بعد وعد بلفور يجب عدم تحميله وزر ذلك الوعد.

ومن الجائز الافتراض أن الأجواء التي أشاعتها الإنتفاضة في غزة ومعظم قرى ومناطق الضفة الغربية المحتلة هي التي أحدثت تعديلاً في النظرة البريطانية نحو المسألة الفلسطينية، إلى درجة وصلت الحال برئيسة الوزراء مارغريت تاتشر إلى أن تتبرأ، ولو بأسلوب يتسم بحذاقة سيدة الدولة، من وعد كان بمثابة الحصرم الذي أكله الأجداد وما زال الأحفاد يضرسون منه.

وخلال المحادثات بدا كم أن الأمير عبد الله كثير

الإرتياح من الموقف الذي إتخذه وزير الدولة للشؤون الخارجية ديفيد ميلر، الذي دشّن مرحلة إنتقاد إسرائيل وكان في نقده بعد زيارة قام بها إلى غزة وشملت أكبر المخيمات هناك، عنصراً ساعد على لفت أنظار العالم إلى أوضاع اللاجئين الفلسطينيين وإلى قضيتهم العادلة.

وعندما بدأ الأمير عبدالله الحديث عن ديفيد ميلر، وأشارت تاتشر إلى وزيرها قائلة: هذا هو، فإن الأمير واصل الإشادة بالوزير البريطاني الشاب وقال في ما بدا أنه تعزيز لمكانته: إننا في المملكة وفي العالم العربي ننظر بتقدير إلى شجاعة ميلر ونبدي الكثير من الإرتياح للموقف الذي إتخذه وعبر عنه، الأمر الذي أوضح لنا أن الحكومة البريطانية يمكن أن تتخذ مواقف منصفة لشعب مسلوقة حقوقه.

وتشاء المصادفة أن ميلر كان الوزير المرافق لولي العهد طوال زيارته، الأمر الذي جعل الأمير عبدالله يعرفه أكثر، وجعله يرتاح أيضاً للزيارة. أما ديفيد ميلر فإنه حرص على عدم إخفاء مشاعره وعبر عن إمتنانه لهذا التقدير الإيجابي يأتي من قبل وليّ العهد السعودي الذي إشتهر بأنه يميل إلى الصراحة في مناقشاته وفي أحكامه على الآخرين وعلى مواقفهم. وإختيار ميلر ليكون المرافق كان أمراً مقررّاً منذ فترة التحضير للزيارة، ولم يتم إختياره لأن الأمير عبدالله عبر عن الإرتياح السعودي والعربي بشكل عام لموقفه وتصريحاته التي دعمت إتجاه الإنتفاضة. واللافت للإنتباه أن حديث الأمير عبدالله عن الإنتفاضة، وعن ضرورة تصحيح الموقف البريطاني من القضية الفلسطينية، وكذلك حديثه عن الحرب العراقية - الإيرانية إستغرق ثلاثة أرباع وقت المحادثات، ربما لأن العلاقات الثنائية تسير ضمن المسار الذي يرتاح إليه الطرفان ولا يعكر صفوها شيء. أما المسائل الأخرى فإنها شائكة وتحتاج إلى الساعات الطويلة.

كذلك من اللافت للإنتباه أن الجانب البريطاني في المحادثات يرى أن الإستمرار في تبادل الزيارات يجعل المواقف أكثر تقارباً، ويجعل الجسر الذي يربط الجانبين أكثر صلابة وتحملاً للهزات الطارئة.

ويرى الجانب البريطاني أن مبادرات الملك حسين في شأن القضية الفلسطينية جيدة وتحظى بإهتمام بريطانيا ومساندتها، إلا أنهم (أي الإنكليز) لا يرون أن تبدلاً ما سيحدث ويُرْضَى العرب قبل أن تتم الإنتخابات في الولايات المتحدة وفي إسرائيل.

وحول هذه النقطة كان للأمير عبدالله تعليق خلاصته أن شامير مثل بيريز وأن أياً منهما لن يفعل شيئاً ما لم يمارس عليه ضغط من الولايات المتحدة.

أما بالنسبة إلى الحرب العراقية - الإيرانية فإن الأمير عبدالله لفت الإنتباه إلى مخاطر التصلب الإيراني وأشاد بالتجاوب الذي يصدر عن العراق من أجل إنهاء الحرب. وفي الإطار نفسه عبّر عن ثقة مطلقة في مواجهة أي محاولات من جانب الحُكم الإيراني للتشويش على موسم الحج.

أما بالنسبة إلى العلاقات البريطانية - السورية والعلاقات البريطانية - الليبية فإن الأمير عبدالله لم يتطرق إليها، ولا الجانب البريطاني من جانبه أشار إلى هاتين المسألتين والتوتر الذي يسود علاقات بريطانيا مع كل من سوريا وليبيا. وعدم التطرق أبعد الزيارة عن بعض المنغصات.

تبقى الإشارة إلى أن من محاسن المصادفات أن الزيارة الرسمية الثانية التي يقوم بها الأمير عبدالله بن عبد العزيز إلى بريطانيا حدثت في وقت تتزايد فيه ملامح صورة جديدة لبريطانيا ذات وجه إيجابي تجاه القضية الفلسطينية. وفي الوقت الذي كان الأمير عبدالله يواصل زيارته ويلقى هذا الإهتمام الإستثنائي من جانب الأسرة المالكة، ومن الحكومة البريطانية، كانت الحكومة الإسرائيلية تغلي من الغضب لأن بريطانيا نفسها صاحبة وعد بلفور أقدمت على خطوة في منتهى الحزم والشجاعة وتتلخص في طرد إثنين من الدبلوماسيين الإسرائيليين بعدما إكتشفت أنهما يقومان بأعمال تستهدف الإرهاب... الإرهاب الذي بُجّ الصوت العربي لكثرة ما علا منادياً بوقفة عادلة تُميز بين أصحاب الحق ومغتصبي حقوق الشعوب.

وقبل الإنتفاضة من كان يستطيع في أوروبا والولايات المتحدة إتخاذ مثل هذه الخطوة؟

وما نتمناه هو أن يواصل الأمير عبدالله صراحته لعل زيارته الثالثة إلى بريطانيا تكون إلى بريطانيا التي نريدها كلنا من المحيط إلى الخليج: دولة تعطينا بعض الشيء عن العنجهية الأميركية وتعيد الإعتبار إلى شعب ذاق الأمرين بسبب خطأ إرتكبه الأجداد.

مجلة "التضامن". لندن - 25 حزيران (يونيو) 1988

* * *

كلام لا يرتاح له المتشددون

سادساً - قيام الدولة الفلسطينية المستقلة بعاصمتها القدس.

سابعاً - يضع مجلس الأمن الدولي ضمانات السلام بين جميع دول المنطقة بما فيها الدولة الفلسطينية المستقلة.

ثامناً - يقوم مجلس الأمن الدولي بضمان تنفيذ تلك المبادئ.

ذلك ما كتبه بسام أبو شريف في مقالته. وبالمقارنة مع المقررات التي إتخذها الملوك والرؤساء العرب في فاس قبل المقال بست سنوات يتبين لنا أن المقالة منسجمة مع المقررات المشار إليها، بل وأيضاً منسجمة مع معظم المواقف العربية الراهنة من الصراع العربي - الإسرائيلي لكنها بالنسبة إلى مسؤول فلسطيني تبدو جريئة إلى حد ما. بل إنها إذا جاز القول تبدو أعلى كثيراً من الموقف الذي إتخذه الرئيس التونسي السابق الحبيب بورقيبة (أطال الله عمره) في الستينات عندما نادى بضرورة قبول قرارات التقسيم، وأدنى قليلاً من الموقف الذي إتخذه الرئيس المصري (الراحل) أنور السادات (سامحه الله) بعد سنتين على حرب 1973 عندما فاجأ الأمة في لحظة غير متوقعة بإستعداده للذهاب إلى إسرائيل من أجل السلام. ولقد ذهب ودفع حياته ثمناً من دون أن يتحقق السلام.

وأهمية ما كتبه بسام أبو شريف تتصل بالموقع الذي يشغله. فهو مستشار عرفات الآتي إليه من الجانب الفلسطيني المتشدد، وتحديداً من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. وهو المستشار العملي لرئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية. وهو من القيادات الفلسطينية التي لا طموح عندها في أن تتزعم ولا أن تتشقق وتتشظى تنظيمياً خاصاً بها. ولو أن بسام أبو شريف كان من هذه النوعية لكان انفصل عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وأعلن ولادة تنظيم جديد على شاكلة الجبهة الشعبية (الديمقراطية) والجبهة الشعبية (القيادة العامة)... وهكذا. لكنه لم يفعل ذلك وأتى ليتخذ له مكاناً قريباً من عرفات.

والذي جعل بسام أبو شريف ينشر هذا الكلام هو إقتناعه بأن الإنتفاضة من جهة والوفاق الدولي بصيغته الجديدة في أعقاب القمة الأميركية - السوفياتية في موسكو تفرضان حقائق جديدة من الضروري أن تكون هنالك مواكبة فلسطينية لها، ولأنه يحكم علاقاته مع الإعلاميين الأجانب من رجال صحافة وإذاعة وتلفزيون وكتاب أدري بالأسلوب الذي يمكن أن يجعل الرأي العام الدولي يتبدل

إذا نحن جمعنا مقررات قمة فاس، مع مشروع الملك فهد بن عبدالعزيز، مع إسقاط التحفظات العربية على الحُكم المصري وإعادة العلاقات الدبلوماسية معه لمن يريد، مع تبادل الزيارات المصرية - العربية، مع مواقف ياسر عرفات من خلال التصريحات التي يدلي بها، مع التطورات المتلاحقة التي يشهدها العالم في ما يتعلق بالنظرة الواقعية المطلوبة، مع اللقاءات التي تمت بين شخصيات فلسطينية وأخرى يهودية... إذا نحن فعلنا ذلك لتوصلنا إلى نتيجة خلاصتها أن المقالة التي كتبها بسام أبو شريف أحد مستشاري ياسر عرفات هي "كوكتيل" ومزيج كلمات وأفكار مستوحاة من كل هذه المواقف والتصريحات والخطوات مجتمعة.

وما قاله بسام أبو شريف في مقالته قبل أيام هو "إن الفلسطينيين يريدون سلاماً وأمناً دائماً لأنفسهم كما يريدون أيضاً للإسرائيليين لأن ما من أحد يستطيع أن يبني مستقبله على أنقاض الآخرين". وقال أيضاً "إن المنظمة مستعدة للمفاوضات المباشرة مع إسرائيل دون أن يكون لأي طرف خارجي الاعتراض أو حق النقض" و"إن منظمة التحرير مستعدة للاعتراف بإسرائيل مقابل أن تكون في فلسطين دولتان واحدة للفلسطينيين وأخرى لليهود".

أما مقررات قمة فاس (6-9 أيلول/ سبتمبر 1982) فإنها تضمنت فقرة تنص على أن الملوك والرؤساء إعتدوا المبادئ الآتية:

أولاً - انسحاب إسرائيل من جميع الأراضي العربية التي إحتلتها عام 1967 بما فيها القدس العربية.

ثانياً - إزالة المستعمرات التي أقامتها إسرائيل في الأراضي العربية بعد عام 1967.

ثالثاً - ضمان حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية لجميع الأديان في الأماكن المقدسة.

رابعاً - تأكيد حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وممارسة حقوقه الوطنية الثابتة غير القابلة للتصرف بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي والوحيد وتعويض من لا يرغب في العودة.

خامساً - تخضع الضفة الغربية وقطاع غزة لفترة إنتقالية تحت إشراف الأمم المتحدة ولمدة لا تزيد عن بضعة أشهر.

قليلاً أو كثيراً، فإنه كتب المقالة التي يجوز إعتبارها موجّهة في الدرجة الأولى إلى الإدارة الأميركية وليس إلى الحكومة الإسرائيلية.

وهذا الكلام الذي كتبه بسام أبو شريف يردده في مجالسهم وأحياناً في الصحف الأميركية المفكرون والمتفقون الفلسطينيون المحسوبون على القيادة الفلسطينية أو يأسر عرفات شخصياً والذين يتولون التدريس في الجامعات الأميركية، وكذلك يردده بعض الذين يقيمون داخل الأرض المحتلة. لكن ما يقوله هؤلاء الذين نشير إليهم يفقد إلى التأثير الذي يُحدثه كلام يقوله من هو قريب جداً من يأسر عرفات على رغم أنه ليس لهذا الشخص المنصب الرسمي.

ويحتار المرء في تصنيف كلام بسام أبو شريف. فهو ليس موقفاً إستراتيجياً يمثل رأي رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وفي الوقت نفسه إن كاتب الكلام ليس بالالون الذي يختبر عرفات من خلاله أمراً يريده.

وإذا فإن الكلام الذي كتبه أبو شريف هو إجتهدا قد يصل إلى مرتبة الموقف الإستراتيجي. ولكنه إجتهدا من النوع الذي لا ينسجم مع التناقضات السائدة في الصف الفلسطيني في حين يبدو كثير الإنسجام مع متغيرات كثيرة يشهدها الوضع الدولي ولا بد من مواكبتها.

وعندما نجد أن البابا يوحنا بولس الثاني يقول وهو في زيارة إلى النمسا قتل أيام "إن للشعب اليهودي حقاً في وطن قومي مثل أي شعب آخر وفق القانون الدولي، ومثل هذا ينطبق على الشعب الفلسطيني الذي يعيش كثير من أبنائه لاجئين دون وطن" ونجد قبله وزير الدولة البريطاني للشؤون الخارجية ديفيد ميللر يحرك الرأي العام الدولي بتصريح من بضع كلمات... إننا إزاء هذين الموقفين نجد أن ما كتبه بسام أبو شريف يبدو عادياً ومطلوباً إلى حد ما، ولا يستوجب هذا الإنفعال يصدر عن المتشددين الفلسطينيين.

لكننا في زمن إختلطت فيه الأوراق بشكل لا مثيل له. وإذا كان كلام بسام أبو شريف إجتهداً قابلاً للمناقشة، فإن ما ليس قابلاً لأي مناقشة هو إنشغال بعض الفصائل الفلسطينية بتصفية الفصائل الأخرى. وهذا ما حدث في مخيم شاتيلا الذي "نجح" المنشقون خصوم عرفات في إحتلاله يوم الإثنين 1988/6/27 (وهو اليوم الذي يصادف الذكرى الحادية والعشرين لإعلان إسرائيل ضم القدس)

وكأنه هدف إسرائيلي. والكل يعرف ماذا يعني الإحتلال الذي يقوم به طرّف فلسطيني ضد طرّف آخر. إنه يعني المزيد من الدم يُسفك على أعتاب الجاهلية الفلسطينية. وعلى هذا الأساس فإن الهدف من ذلك قد يكون تطوير محاولة تغيير في الرأي العام الدولي إستهدفها الكلام الذي كتبه بسام أبو شريف، وهو كلام تخاف منه الصهيونية لأنه الإنتفاضة الفكرية ويخاف كثيرون على قائله لأنه يشكّل بداية توجه جديد لإيجاد حل دولي فلسطيني قد تتبلور ملامحه في غضون أشهر قليلة.

وتكراراً إن الكلام الذي كتبه بسام أبو شريف هو كوكيتل ومزيج كلمات وأفكار مستوحاة من مواقف وتصريحات وقرارات عربية.

لكن مع ذلك لا بد من تدعيم موقف قائل هذا الكلام، خصوصاً أنه كلام لا يتحملة المتشددون الفلسطينيون الذين يتشددون لأن لا مكان لهم في أي صيغة حل دولية، ويُطلق الإسرائيليون الذين هم في أكثرية الساحة متشددون وخائفون على سقوط رهانهم في إمكانية قيام دولة على أنقاض وطن وشعب.

مجلة "النضام". لندن - 4 تموز (يوليو) 1988

إرادة السلام وهاجس الثأر

أضيف يوم الأحد 3 تموز (يوليو) 1988 إلى الفصول المأساوية في حرب الخليج فصل جديد يتمثل بسقوط طائرة ركاب مدنية إيرانية، بعد إصابتها بصاروخين أميركيين عندما كانت في طريقها إلى الهبوط في دبي آتية من ميناء بندر عباس في الطرف الإيراني من الخليج.

وعلى رغم أن شعور الحُكم الإيراني بمآسي الحرب ليس عميقاً بدليل أن تناثر أشلاء الشبان والفتية الذين يتم إرسالهم لخوض معارك خاسرة مع الدولة الجارة العراق لا يجعل هذا الحُكم يعيد النظر في مغامراته... على رغم ذلك فإن سقوط الطائرة المدنية فصل مأساوي من فصول الحرب نتمنى أن يشكّل الأسباب الموجبة من أجل وقفة تأملية من جانب الحُكم الإيراني في أمر هذه الحرب.

والتأمل هنا بمعنى الإجابة عن سؤال أساسي وهو: لو أن الحُكم الإيراني يطوي صفحة الحرب ويبدأ صفحة

السلام هل كان لمثل هذه الحادثة أن تقع وتتساقط أشلاء بضعة عشرات من الإيرانيين بينهم أطفال في مياه الخليج؟ من الطبيعي أنه لو كان الحُكم الإيراني طوى صفحة الحرب لما كان للقطْع البحرية الأميركية وغيرها أن تتواجد بالشكل الذي تتواجد فيه في مياه الخليج. ولكن هذا الحُكم إستمتر يقرع طبول الحرب وكأنما هو يوجه الدعوة إلى أساطيل الدول الكبرى لكي تملأ مياه الخليج.

والآن وقد أضيف هذا الفصل الجديد إلى فصول الحرب المأساوية، فإن الحُكم الإيراني بدل أن يطلق صيحات التهديد والتأثر يستطيع أن يتأمل قليلاً في الوضع السائد في المنطقة ويبدأ تعطيل الألغام الكثيرة التي زرعها والتي تنفجر تباعاً وتتسبب في سقوط ضحايا لا ذنب لهم سوى أن هذا الحُكم متمسك بالحرب وكأنما هي فريضة لا بد من تأديتها. وأحدث هذه الألغام هو اللغم الذي يتمثل بوجود أساطيل الدول الكبرى في مياه الخليج.

وصحيح أن هذه الأساطيل لم تأت إلى مياه الخليج بطلب من الحُكم الإيراني إلا أنها أتت بسبب هذا الحُكم. ومن هنا فإن مسؤولية وجود هذه الأساطيل يتحملها الطرف الذي تسبب بمجيئها وليس الطرف الذي دعاها إلى التواجد.

والى ذلك إن هذه الأساطيل عندما تتواجد في مياه الخليج بينما صيحات الحرب تتعالى من إيران ضدها وضد معظم دول الخليج فهذا معناه أن الذين داخل القطع الحربية سيعيشون وسط هواجس الهجوم ومخاوف القتل، وعلى هذا الأساس فمن الطبيعي أن يكونوا حذرين وقلقين ومستعدين لإطلاق الصواريخ في أي لحظة يشعرون فيها بالخوف، من دون أن يغيب عن بالهم ما حدث لرفاق لهم في هجمات على مراكزهم في بيروت والكويت.

وعندما تصل الهواجس لدى هؤلاء إلى حد عدم القدرة على التمييز بين طائرة مدنية وطائرة عسكرية فهذا يعني أن المزيد من المآسي ربما ستحدث بعد الآن ما دامت الأسباب الموجبة لوجود هذه الأساطيل قائمة. وهذه الأسباب هي إستمترار الحرب التي يُصر الحُكم الإيراني على إستمترارها.

وإذا كان سقوط الطائرة بالظروف التي سقطت فيها يبدو عملاً مأساوياً ذهب ضحيته أبرياء، فإن الرد على ذلك بإطلاق صيحات الأخذ بالتأثر ليس هو الرد المناسب إلا إذا كان الحُكم الإيراني لا ينظر إلى الحياة إلا على أساس التأثر. وبدلاً من تحريض الناس على التأثر فإن

المطلوب منه أن يتعظ ويعتبر سقوط الطائرة بصاروخين أميركيين بأنه تنبيه بضرورة التأمل في حقائق الدنيا. وقبل سقوط الطائرة حدثت واقعة أخرى يمكن للحُكم الإيراني الإستناد إليها في معرض تبرير الموافقة على إنهاء الحرب والشروع بمرحلة تحقيق السلام. وهذه الواقعة تتمثل بالتصريحات التي أدلى بها نائب رئيس وزراء العراق ووزير الخارجية طارق عزيز في بون وأشار فيها إلى إضطرار القوات العراقية في معرض الدفاع عن النفس إلى إستعمال الأسلحة الكيميائية ضد الغزو الإيراني. وبدلاً من أن ينسج الحُكم الإيراني الخيوط الكثيرة حول هذه التصريحات ويخوض معركة يحاول فيها القول ما معناه ها أن العراق يؤكد ما سبق أن أعلنه إيران في شأن إستعمال الأسلحة الكيميائية، فإن الأجدى بالنسبة إليه أن يعتبر تصريحات طارق عزيز بأنها تسهيل لولادة موقف إيراني جديد يرى أن تتوقف الحرب على أساس أن العراق سيواجه بعد إنجاز تحرير ما تبقى من أراض ومواقع محتلة من قبل إيران، بالأسلحة الكيميائية في الدرجة الأولى أي محاولة للتحرش به. وبالنسبة إلى من يدافع عن أرضه فإن إستعمال هذه الأسلحة مبرر في حين أنه غير مبرر لمن يهاجم أراضي الغير. والعراق في إستمترار يدافع لصد المعتدين.

ولعل من الضروري التوضيح هنا بأن الأسلحة الكيميائية ما دامت موجودة في كل دول الغرب والشرق على السواء، فهذا معناه أن الأخذ والرد يكون في مسألة الأسباب الموجبة لإستعمالها وليس في مسألة توافرها. وهي في هذا الشأن مثل القنبلة الذرية.

وتكراراً إن حادثة الطائرة إضافة إلى تصريحات طارق عزيز تبدو بمثابة عنصر مساعد للحُكم الإيراني إذا كان هذا الحُكم يريد أن ينهي أمر الحرب ويبدأ مرحلة جديدة يعيش فيها بسلام ويترك الآخرين يعيشون بطمأنينة. وهو إذا قرر ذلك فإن الأساطيل ستسحب ولن تكون الأسلحة الكيميائية برسم الإستعمال على الإطلاق.

ولكن هل حقاً يريد السلام من كان هاجسه الحرب والتأثر؟

والرد على ذلك إنه لا يريد. لكن في الوقت نفسه ليس في إستطاعته أن يستمر على موقفه هذا إلى ما لا نهاية، ليس رغبة في السلام وإنما لأن هنالك قوى ستشكّل الحيليات التي أشرنا إليها سبباً لها من أجل أن تحسم الأمر، وتُنهى في شكل أو آخر ظاهرة العناد والرفض لكل

ما من شأنه تحقيق مطلب العصر لكل الأطراف. وهذا المطلب هو الإستقرار وهو مطلب لا يمكن أن يتحقق في ظل إستمرار الحروب.

ويبقى أن حادثة الطائرة أضيفت كبند رئيسي في جدول أعمال المحادثات البالغة الأهمية التي سيجريها ولي عهد الكويت ورئيس الوزراء الشيخ سعد العبد الله مع الرئيس ريغان وبقية المسؤولين الأميركيين خلال زيارته الرسمية إلى الولايات المتحدة المقرر أن تبدأ يوم 10 تموز 1988 وهي الأولى التي يقوم بها مسؤول كويتي في موقع القيادة إلى واشنطن منذ عشرين عاماً.

وقبل عشرين عاماً كان الخليج بحيرة هادئة لا أساطيل فيها وكانت العلاقات العراقية - الإيرانية هادئة كل الهدوء. فهل ستعود الحال إلى ما كانت عليه كما يتمنى الشيخ سعد ويتمنى العرب معه ذلك؟
لعل وعسى.

مجلة "التضامن". لندن - 11 تموز (يوليو) 1988

* * *

شاهد حق على عشرين سنة عاصفة

مع حلول الذكرى العشرين لتسلم صدام حسين موقع إتخاذ القرار، تتزايد الإنتصارات التي يحققها الجيش الذي يرفعاه هذا الزعيم الكثير التميز منذ أن إختار لنفسه في تموز 1968 أن يكون الرجل الثاني من حيث المنصب وشريك الرجل الأول عند إتخاذ القرار.

وتجربة بناء الجيش القوي هي إحدى السمات البارزة في مسيرة صدام حسين طوال عشرين سنة. وهي تجربة تستحق التأمل في كل جوانبها. وعندما سيروي الرئيس صدام ذات يوم في خطاب أو في مقال كيف بنى هذا الجيش، وما الذي فعله في سبيل أن يكون للعراق المقاتلون الأكفاء في الأرض والجو وفوق الماء، فإننا سنجد أمامنا نموذجاً من القادة الذين أضافوا الكثير إلى مواصفات القادة التاريخيين.

والرئيس صدام حسين شاهد حق على عشرين سنة عاصفة تشكّل أهم ثلاث فترات في تاريخ الأمة. شاهد على الفترة التي أعقبت عدوان 1967 والآثار العميقة التي أحدثتها الهزيمة في وجدان المواطن العربي. وكيف أن

أسلوب حجب الحقائق وأسلوب المبالغات جعل هذا المواطن عندما إنتهت حرب 5 حزيران (يونيو) 1967 إلى هزيمة مأساوية غير مستعد لتقبل أي كلام على محمل الجد يسمعه من قيادة.

وشاهد على الفترة التي أسيء فيها توظيف انتصارات تحققت خلال حرب 1973 وكيف أن الأسلوب الذي إعتمه الرئيس (الراحل) أنور السادات في توظيف تلك الإنتصارات جعل العسكري العربي يخاف على نفسه وعلى رصيده، وذلك على أساس أن هذا العسكري إذا كان سيتدرب ويقاتل ويتحمل المخاطر ويضحي ثم يأتي الحاكم ويستعمل كل هذه التضحيات في صفقة ليست لمصلحة الوطن وإنما هي لمصلحة الحاكم، فلماذا التضحية إذا كان سينتهي الأمر كما حدث مع السادات الذي أساء توظيف ذلك الإنتصار النسبي الذي تحقق عام 1973. ولأنه أساء التوظيف فإنه دفع الثمن حياته نتيجة لذلك.

وشاهد على الفترة التي بدأت بالحرب التي فرضها حُكم الآيات على العراق وما زالت إلى الآن لم تحسم بالشكل النهائي، وكيف أن التآلق الذي حققه العراق جعل البعض يشعرون بالغيرة بدل أن يتباهوا بأن لهم أخاً شجاعاً قاتل وتحمل وضحي في سبيل أن يصد هجمة تستهدف العراق كبوابة يعبر منها الحالمون بالأمبراطورية الفارسية إلى الأهداف الأخرى والتي هي العالم العربي شبراً شبراً.

إن الرئيس صدام حسين شاهد حق على هذه الفترات. ولأنه شاهد حق فإنه لم يترك فرصة للإستفادة من تلاقي الثغرات إلّا وأقدم عليها.

وقد يجوز الافتراض أن هزيمة 1967 كانت بالنسبة إليه شحنة جعلته يسرع الخطى من أجل الرد عليها وذلك بالإستيلاء على السلطة، لأن الرد عدا ذلك لن يكون مجدياً. وهو منذ اللحظة الأولى لتسلم السلطة وضع أمامه الثغرات التي واجهت مصر وبدا يخطط من أجل تلافيها. ومن هنا كان تأميم النفط وكانت معركة التنمية وكان البدء في بناء قوة عسكرية تتأثر لهزيمة 1967 على أساس أنها كانت هزيمة للأمة وليست هزيمة لعبد الناصر. كذلك قد يجوز الافتراض أن صفقة كامب ديفيد كانت من وجهة نظره كشاهد حق على أوضاع الأمة (خصوصاً بعدما صار في السلطة وصار في إستطاعته أن يعرف الكثير) محاولة لتكريس الإنكسار في النفس العربية فتصدى لها وأصابها في نقطة القوة وحال بذلك دون تمددها.

ويجوز الافتراض أيضاً أن فرض الحرب من جانب

الإستفادة من الثغرات فإنه لن يترك لشجرة أن تأخذ من هالة أي إنجاز. وهو إذا كان يفعل ذلك إسترشاداً بتجارب مضيئة للآخرين من الأجداد فكيف لا يفعل الشيء نفسه ازاء تجربته المتألقة والملاى بالكثير من العبر.

مجلة "التضامن". لندن - 11 تموز (يوليو) 1988

صفقة المليارات

عندما نتأمل في هذا الإندفاع العربي في إتجاه التسليح فإن الذاكرة تعود بنا إلى الخمسينات عندما عقد جمال عبد الناصر صفقة السلاح السوفياتي الشهيرة مع تشيكوسلوفاكيا وشن بها مرحلة بالغة الأهمية على صعيد التسليح.

وعندما نتأمل نجد أن المملكة العربية السعودية عقدت صفقة المليارات مع بريطانيا وها هي الكويت على طريق عقد صفقة كبرى مع بريطانيا أو غيرها، إذا كانت الولايات المتحدة سترفض التجاوب مع الطلب الكويتي الذي سيحدثه ولي العهد الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح الذي قام بزيارة رسمية إلى واشنطن هي الأولى على هذا المستوى بين البلدين منذ عشرين عاماً. كذلك إنه يجب عدم إستبعاد إقدام بقية دول الخليج على عقد صفقات سلاح كبرى.

واللافت للإنتباه أن دول الخليج هي المندفعة في إتجاه التسليح، الأمر الذي يعني أنها في ضوء الواقع الناشئ عن الحرب العراقية - الإيرانية تشعر أن ما حدث للعراق من جانب إيران ومن جانب إسرائيل يمكن أن يحدث لها. وما حدث للعراق كان فظيماً حيث إن إسرائيل دمرت له مفاعله النووي وأكملت إيران المهمة بفرضها عليه حرباً لا يريد لها وتدور رحاها منذ ثمانية أعوام.

كذلك إن دول الخليج لا بد إكتشفت في ضوء الواقع الناشئ عن الحرب العراقية - الإيرانية أنه لا يحك جلد الإنسان مثل ظفره، وإكتشفت أيضاً حقيقة بالغة الأهمية وهي أنه إذا كانت الدول الكبرى عاجزة عن أن تفرض على إسرائيل القبول بالمؤتمر الدولي على رغم الإستعداد العربي الشامل والموافقة الفلسطينية على الفكرة، وعاجزة عن أن تفرض على إيران الموافقة على القرار 598 على

حكم الآيات على العراق كان في الدرجة الأولى لإصراره على أن يؤكد للأمة أهميتها، ويزيل من وجدان المواطن العربي المشاعر التي نشأت في أعقاب هزيمة 5 حزيران 1967 والتوظيف السيء للإنتصارات النسبية التي تحققت في حرب 1973.

وعندما نتأمل في حال المواطن العربي الآن نجد أنه بات خارج دائرة المأساة الناشئة عن هزيمة 1967، وصار أكثر إستعداداً لتقبل الكلام الذي يصدر عن قيادة جادة. وفي هذا الإطار يجوز القول إن لصدام حسين الفضل في ذلك.

كما إننا عندما نتأمل في حال العسكري العراقي وكيف يتم تكريمه وفي الوقت نفسه كيف تتعامل قيادته معه، نجد أن هذا العسكري لا يخاف على نفسه وليس قلقاً على رصيده مادامت قيادته لا توظف تضحياته في سبيل صفقة على طريقة صفقة كامب ديفيد. وعندما يرى العسكري العربي حال زميله في العراق فإنه يزداد إطمئناناً على المصير وثقة بالنفس.

إن الرئيس صدام مع حلول الذكرى العشرين لتسلّمه السلطة، شريكاً لوضع سنوات ثم متحملاً المسؤولية كاملة في الحزب والدولة بعد ذلك، بات صاحب تجربة بالغة الأهمية. والذي خبره خلال هذه السنوات يؤهله لكي يبدأ الفترة الأهم القائمة على دراية واسعة في أمور كثيرة.

وطوال العشرين سنة كان الرئيس صدام في كل خطوة يخطوها يستحضر ما فعله الأجداد في اللحظات الصعبة وإزاء القضايا التي تتطلب قرارات تاريخية. وكان في ذلك كمن يستمزج رأي الأقدمين على أساس أنهم أصحاب خبرة ولهم تجارب في بناء الدولة وإتخاذ القرار الذي لا يتحمل المخاطر.

أما بعد الآن وفي ضوء التجربة الفريدة من نوعها وفي فترات المتوعدة، فإنه سيجد نفسه، بالإضافة إلى إستحضار ما فعله الاجداد، يتذكر ما فعله هو خلال العشرين سنة سواء في ما يخص التنمية أو التصنيع أو بناء الدولة أو إنشاء الجيش القوي أو المرونة ساعة الحاجة إليها والحزم عندما لا يكون هنالك مناص من إعتماده، أو إدارة الدولة في زمن الحرب...

إنه سيجد نفسه يتذكر ما فعله، وبالذات كيف تعامل مع الحرب، ويضع موضع التطبيق ما يراه ضرورياً لفترة ما بعد العشرين... فترة ما بعد الحرب.

ولأن الرئيس صدام من القادة الذين يحرصون على

رغم إتخاذ هذا القرار بإجماع الدول الكبرى وإستعداد العراق للموافقة عليه وسعيه الدائم في سبيل ذلك، فإن هذا العجز معناه إبقاء الخليج تحت مرمى الخطر الإيراني ومعناه أيضاً أن ما حدث للعراق يمكن أن يحدث لدول الخليج في أي لحظة.

وصحيح أن بريطانيا هي إذا جاز القول "اللوبي" الأميركي في أوروبا، إلا أن فوزها بالصفقة التي تم إبرامها مع المملكة العربية السعودية لا يعني أنه لن يتسبب بالضيق للإدارة الأميركية، هذا مع الأخذ في الاعتبار أن إسرائيل قد تعوّض هذه الإدارة الضيق المشار إليه إذا هي أبلغت يهود أميركا بالوقوف مع بوش بدلاً من مرشح الحزب الديمقراطي دوكاكيس.

وقد يقال في هذا الشأن إن إدارة الرئيس ريغان ليست السبب في عدم إبرام الصفقة مع المملكة العربية السعودية وإنما هو الكونغرس. وفي الشأن نفسه يجوز التساؤل: إذا كانت تلك هي الحال مع كونغرس ريغان فكيف ستكون عليه حال العرب عموماً مع كونغرس إدارة يتربع على قمته دوكاكيس المؤيد لإسرائيل إلى أقصى الحدود. ونقول ذلك مع الإشارة إلى أن الموقف الأميركي الحالي من إسرائيل يبقى أكثر إفادة لها على أساس أن تأييداً نسبياً من إدارة تحكم أكثر فعالية من وعود حزب يحلم بالوصول إلى السلطة.

وتبدو الصفقة العملاقة التي أبرمتها المملكة العربية السعودية مع بريطانيا أنها بمثابة تعبير عن خيبة الأمل بالسياسة الأميركية وذلك على أساس أن الولايات المتحدة لم تحقّق في ربع قرن ما توقعت المملكة العربية السعودية منها أن تحقّقه. وإذا كانت الولايات المتحدة لم تساعد في إيجاد حل معقول للقضية الفلسطينية على رغم المرونة العربية والفلسطينية السائدة منذ سنوات، ولم تحسم أمرها في قضية الحرب العراقية - الإيرانية بمعنى أنها لا تزال ضمناً تراهن على إيران ويعرف الحُكم الإيراني ذلك فلا ينهي الحرب... إذا كانت الولايات المتحدة تلك الدولة الكبرى لم تفعل شيئاً إزاء هاتين القضيتين فما الذي عليها أن تفعله إذاً. ومن هنا خيبة الأمل.

وقد لا تعوّض بريطانيا ما هو مطلوب من الولايات المتحدة إلا أن من شأن هذه الصفقة أن تجعل بريطانيا صاحبة دور وليست مجرد بائعة سلاح. ونجد أنفسنا هنا نتذكر ما رده الأمير عبدالله بن عبد العزيز وليّ العهد السعودي النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس

الوطني عندما قال للسيدة مارغريت تاتشر: "إن وعد بلفور نقطة سوداء في تاريخ بريطانيا وعليكم أن تصحّوه" وردّت عليه بعبارة بدت أنها بوادر موقف جديد وهي "إن وعد بلفور حدث قبل أن أُولد".

وقد يقال في معرض التساؤل: وما هو الدور الذي يمكن بريطانيا أن تقوم به؟

والرد على ذلك هو: أن تقف ضد من يكون البادئ في الإعتداء على المملكة العربية السعودية وبقيّة دول مجلس التعاون سواء كانت إيران أو إسرائيل هما الطرف الذي يعتدي. وكلاهما لا يترك مناسبة إلا ويطلق التهديدات أو يقوم بالتحركات.

وللتذكير فإن مثل هذا الموقف ليس جديداً على أوروبا وسبق للجنرال ديغول أن إتخذه قبل أن تبدأ إسرائيل عدوانها يوم 5 حزيران/ يونيو 1967 وبسببه شهدت العلاقات الفرنسية - العربية بعد ذلك إزدهاراً لا مثيل له. بل قد يجوز القول إن فرنسا كانت أكثر دولة أوروبية، نتيجة لذلك الموقف تقطّف خير الطفرة التي حدثت في منطقة الخليج بعد ذلك بثلاث سنوات وإستمرت حوالى عشر سنين.

وعندما نطالب بريطانيا بموقف مماثل فهل معنى ذلك أن هنالك أخطاراً تُحدّق بالمملكة العربية السعودية؟

والرد على ذلك هو أن هذا الإحتمال وارد في ضوء النيات الإيرانية والتي كانت الأحداث الدامية التي شهدتها مكة المكرمة في موسم الحج (1987) وفي ضوء مقاطعة الحُكم الإيراني للموسم الحالي وإرفاق المقاطعة بحملات إعلامية لا تعكس حُسن النية على الإطلاق.

كذلك إن الإحتمال وارد في ضوء التهديدات الإسرائيلية لمجرد أن حصلت المملكة على الصواريخ الصينية. وعندما تم الإعلان عن صفقة المليارات مع بريطانيا تزايدت حدة اللهجة التي تعبّر فيها إسرائيل عن التهديد. ولقد إعتدنا خلال ثلاثين سنة على إسرائيل تنفّذ التهديد بعدوان.

ومن هنا المطالبة بأن تتعهد السيدة مارغريت تاتشر التي من شأن صفقة المليارات أن تعزز شأنها الداخلي وتطيل عمر حزب المحافظين في الحُكم، بأن تكون ضد المعتدي ومع المعتدى عليه. هذا مع الأخذ في الاعتبار أن الأمر كثير التعقيد نتيجة الإرتباط التاريخي بين بريطانيا وكل من إسرائيل وإيران. ولكن الصفقة التي ستساهم في حل متاعب إقتصادية تشكو منها بريطانيا، وكانت الشكوى يمكن أن تصبح كثيرة المرارة، تفرز واقعاً جديداً تتقدم فيه المصالح على الإرتباط التاريخي. ومن المؤكد أنه إذا جرى إستفتاء

محاييد على البريطانيين وكان السؤال هل تريد (أو تريد) للارتباط التاريخي بإيران وإسرائيل أن يتقدم على المصالح البريطانية - السعودية أو الخليجية عموماً، والتي جاءت صفقة المليارات تمثل مرحلة بالغة النفع فيه، لكان الجواب من دون تردد أننا مع أي خطوة من جانب الحكومة تعزز شأن المصالح لأن الارتباط التاريخي لا يلغي بطلالة ولا يحقق ضماناً للشيخوخة ولا يطعم خبزاً.

والتعهد المطلوب يصبح فعالاً إذا كان علنياً، بمعنى أن تقول السيدة مارغريت تاتشر في إحدى المناسبات وبكل الوضوح الذي لا يقبل تعدد التفسيرات والاجتهادات أن بريطانيا ستقف في صف المملكة العربية السعودية إذا هي تعرضت لإعتداء من جانب إيران أو إسرائيل. والقول بأن يكون التعهد علنياً سببه أن التعهد السري ربما يعطي أثراً سلبياً. كذلك إن القول بأن يأتي التعهد واضحاً لا يقبل تعدد التفسيرات والاجتهادات ناشئ عن أن بريطانيا عودتنا على المواقف والقرارات التي لكثرة ما فيها من تفسيرات واجتهادات تتقلب علينا بدل أن تكون لمصلحتنا مثل القرار 242 الذي لم تته صياغته البريطانية التي تتسم بالحقاقة الإحتلال الإسرائيلي حتى الآن ولا يبدو أنها ستتهيه.

ومن المؤكد أن إتخاذ تاتشر الموقف الذي نتمنى أن تتخذه وهو الموقف على طريقة ديغول من شأنه أن يجعل الدولة الأوروبية الأخرى على صعيد الأهمية، ونعني بها فرنسا، تتخذ موقفاً مماثلاً خصوصاً أن المملكة العربية السعودية أقدمت قبل بضع سنوات بشخص الملك الراحل خالد بن عبدالعزيز، وفي الوقت الذي كان الرئيس الحالي فرنسوا ميتران لم يتسلم منصب الرئاسة رسمياً، على خطوة مماثلة لصفقة المليارات مع بريطانيا أنقذت في حينه الفرنك الفرنسي من سقوط مريع وأحدثت في الصناعة العسكرية الفرنسية إنتعاشاً كانت تحتاج إليه.

وعندما يلتقي القطبان الأوروبيان بريطانيا وفرنسا على موقف واحد إزاء أي إعتداء إيراني أو إسرائيلي على المملكة العربية السعودية فهذا سيعني تبذلاً جذرياً في موازين القوى، ويعني أيضاً تأميم الصراعات في المنطقة وتجدد حالة الإزدهار في شكل أو آخر.

وأهمية صفقة المليارات أنها ستفتح الباب أمام دول عربية كثيرة لكي تطرق الباب البريطاني من أجل السلاح، وهذا قد يعني عودة الشأن البريطاني بالترج إلى المنطقة.

كما أن أهمية الصفقة تكمن في أن الإتحاد السوفياتي سيعيد النظر بعض الشيء في موقف الحياد الذي تخطط

زعامة غورباتشوف لإتخاذها في مسألة الصراع العربي - الإسرائيلي، عندما سيجد أنه على رغم المرونة التي إعتدها نهجاً في سياسته فإن الأنظار العربية لم تتوجه إليه بما فيه الكفاية. ولو أن غورباتشوف تعمق في الأمر لإكتشف أن السلاح السوفياتي في العشرين سنة الماضية لم يحقق الدفاع المطلوب عن الأصدقاء. وعلى سبيل المثال إن هذا السلاح لم يمنع إسرائيل من أن تعتدي على مصر وسوريا عام 1967، كما أن هذا السلاح لم يمنع الولايات المتحدة من أن تعتدي على ليبيا وتحاول قتل العقيد معمر القذافي وعائلته تحت الأنقاض، وهو الذي أبرم مع الإتحاد السوفياتي صفقة مليارات مماثلة لتلك الصفقات التي أبرمتها المملكة العربية السعودية مع بريطانيا. وقبل القذافي والصفقات التي أبرمتها مع القيادة السوفياتية لم تدخل الخزينة السوفياتية هذه الكميات الوفيرة من العملة الصعبة وذلك على أساس أن الرئيس القذافي إعتد قاعدة دفع ثمن ما يشتريه من الإتحاد السوفياتي كي لا يصيبه ما أصاب غيره من هيمنة سوفياتية عليه، ونجح في ذلك إلى حد بعيد.

ويبقى أن صفقة المليارات ليست فقط خطوة ناجحة كسرت الرفض الأميركي لتسليح العرب وبالأذات أصدقاء أميركا وإنما هي خطوة ناجحة أيضاً على صعيد تحقيق توازن في التسليح بعدما أبرمت المملكة العربية السعودية صفقة الصواريخ الشهيرة مع الصين الشعبية.

وهذه الصفقة أيضاً من شأنها دعم الموقف العربي في المؤتمر الدولي إذا كُتب لهذا المؤتمر أن ينعقد وفي الوقت نفسه إنها أداة ضغط من أجل إنعقاد هذا المؤتمر إذا كان هنالك تباطؤ في إتجاه عقده.

يبقى أيضاً أن صفقة المليارات والصفقات الأخرى المتواضعة التي تعقدها الكويت وبعض دول الخليج، وإتجاه المنطقة بشكل عام نحو التصنيع العسكري، تشكّل مؤشرات إلى أننا على أبواب حرب عربية - إسرائيلية جديدة أو حرب إيرانية - خليجية.

... إلا إذا قرر الحُكم الإيراني أن يبقى بسلام وقررت إسرائيل أن تعيش بأمان. وأمام إيران وإسرائيل فرص كثيرة وقرارات دولية أكثر... ونيات عربية ربما لا تتوافر في زمن آخر بالشكل المتوافرة عليه الآن.

مجلة "التضامن". لندن - 18 تموز (يوليو) 1988

* * *

سقوط الخيار الديني من المحيط إلى الخليج

في ذكرى السنة الأولى لصدور قرار مجلس الأمن الدولي الرقم 598، يعلن الحُكم الإيراني أنه يوافق على القرار، وتوزّع وكالة الأنباء الإيرانية يوم الإثنين 18/7/1988 نبأ مفاده أن الحكومة الإيرانية أبلغت الأمين العام للأمم المتحدة ديكيوار موافقتها على قرار المجلس. ثم يعلن الأمين العام إنه تلقى بالفعل رسالة من إيران تحمل توقيع الرئيس علي خامنئي وتتضمن الموافقة من دون شروط على القرار 598.

سنة كاملة، والحُكم الإيراني يرفض هذا القرار، الذي تم إتيخاذه فجر يوم الإثنين 20 يوليو (تموز) 1987 بالإجماع. ثم ها هو بعد سنة يعلن أنه يوافق على هذا القرار.

وبصرف النظر عما إذا كان هذا القبول جاء نتيجة أن جناحاً داخل هذا الحُكم تغلب على جناح آخر، فكان أن بادر الجناح الغالب إلى إعلان قبول قرار مجلس الأمن، أو أن هذا القبول جاء نتيجة حدوث صحوّة ناشئة عن إخفاق القوات الإيرانية في كل المعارك التي واجهتها بعد نجاح العراق في تحرير الفاو... بصرف النظر عن ذلك، فإن مجرد القبول بقرار مجلس الأمن رقم 598 يشكّل أول إقرار علني من جانب الحُكم الإيراني بأنه لا قدرة له بعد الآن على مواصلة الحرب.

ومن المهم التوضيح هنا أن الإيرانيين قبل تحرير الفاو شيء، وبعد تحرير الفاو ثم عمليات التحرير المتلاحقة، وآخرها تحرير الزبيدات، شيء آخر تماماً.

فقبل التحرير كان الحُكم الإيراني قوياً باحتلاله لمساحات من الأراضي العراقية، وبسبب هذا الإحتلال كان قادراً على أن يرفض قرار مجلس الأمن، مثلما كان في الماضي يرفض أي مسعى يقوم به طرف دولي، أو طرف مسلم، لوقف الحرب. ونتيجة لذلك كان قادراً على أن يعبئ الناس ويجندهم للحرب.

وبعد الإنتصارات العراقية بات هذا الحُكم غير قادر، وبات مطالباً أمام الشعب بإحدى حالتين: إما مواصلة الحرب، وهذه لا قدرة له عليها. وإما القبول بقرار مجلس الأمن الذي من شأنه أن يوقف الحرب.

ومن المهم ألاّ تُسقط من الإحتمالات بعض العوامل التي شكّلت في معظمها ما يجوز إعتباره "ولادة قيصرية"

للموافقة الإيرانية على قرار مجلس الأمن. ومن هذه العوامل التصريحات التي أدلى بها وزير الخارجية العراقية طارق عزيز في شأن الأسلحة الكيماوية، وتمكّن القوات العراقية من تحرير الأراضي المحتلة، وبذلك أنجز العراق بنفسه البند الأساسي في القرار، ثم توغل بعض القوات العراقية داخل الأراضي الإيرانية في عملية إحتلال مؤقت، وقبل هذا كله، القدرة الجوية العراقية والقدرة الصاروخية العراقية...

وإلى ذلك إن تطوير الرئيس صدام حسين لشروط العراق من أجل السلام العادل، من حيث إنه أضاف إليها في خطاب الذكرى العشرين للثورة نقطتين جديتين، جعل الحُكم الإيراني، وتحديداً الجناح الراغب في وقف القتال، يقول ما معناه: إذا كانت لن تحدث موافقة على القرار 598 فإنه قد يأتي وقت يُكثر فيه العراق من الشروط بحيث تبدو إيران مهزومة بالكامل، ولا مجال حتى لحفظ ماء الوجه. والنقطتان المشار إليهما وللتان لم تكونا واردتين في قرار مجلس الأمن هما:

"حق العراق من الإستفادة إستفادة كاملة من شط العرب"... و "حق العراق بصفتة دولة خليجية في التمتع بكل حقوق الملاحة الحرة في مياه الخليج ومضيق هرمز". وعلى الرغم من أن هاتين النقطتين هما من الأمور المسلم بها، إلا أن الرئيس صدام وجد أن الحديث عنهما بعدما حرر ضفة الخليج بات ضرورياً، في حين أن الحديث قبل ذلك ربما كان يحتاج إلى تحرير الضفة قبل التطرق إليه.

ويبقى إنه على الرغم من أن البيان الإيراني في شأن قبول قرار مجلس الأمن صيغ بلهجة فيها الكثير من العنجهية والإستفزاز، إلا أن هذا لا يلغي أمراً أساسياً وهو أن البيان يتضمن قبولاً واضحاً لقرار مجلس الأمن رقم 598، وأن الأمين العام للأمم المتحدة بإعلانه رسمياً عن القبول الإيراني حسم إلى حد ما شكوكاً تجمعت مثل الغيوم وخلاصتها إن القبول الإيراني قد يكون شائعة. ثم جاء الحديث الذي أدلى به، بعد ذلك، لإذاعة وتلفزيون طهران هاشمي رفسنجاني وأعلن فيه بشكل حاسم قبول القرار 598، وتأكيده على أن الإمام الخميني قرر ذلك... جاء هذا الحديث ليقطع الطريق على أي شكوك، وليؤكد أمراً أساسياً وهو أنه لا يمكن بعد الآن لإيران أن تعود عن هذا الموقف.

ويبقى أيضاً أن رد الفعل العراقي الأولي على القبول

الإيراني بالقرار 598 عبّر عنه وزير الثقافة والإعلام لطيف نصيف جاسم بملاحظات تتسم بالتحفظ لتترك المجال رحباً أمام البيان الرسمي الذي يصدر عن القيادة العراقية، التي إعتدنا عليها طوال سنوات الحرب تتخذ القرارات الكبرى في أعقاب إجتماع موسّع. ومثل هذا التحفظ الذي عبّر عنه وزير الإعلام العراقي في محله، ليس فقط بسبب العنجهية التي حفل بها البيان الإيراني في شأن قبول قرار مجلس الأمن، وإنما تحسباً من أن يكون الحُكم الإيراني بخطوته العاقلة المفاجئة يعتمد أسلوباً جديداً قائماً على المناورة، بمعنى إنه يعلن موافقته على القرار 598 من دون أن يرافق ذلك إتفاق سلام شامل وثابت يمنع تجدد الحرب، ونقول ذلك على أساس أن القضية بالنسبة إلى العراق ليست تحرير أرض بعدما حرر بنفسه الأرض، وليست مجرد وقّف القتال لأنه متفوق ومقتدر ومستعد للمزيد من المنازلة، فضلاً عن أن الحُكم الإيراني قد يكون يخطط من خلال قبوله بقرار مجلس الأمن لكسب الرأي العام الدولي إلى جانبه على أساس أنه بات "داعية سلام" وأن العراق هو الذي لا يريد السلام، هذا في حال أن العراق أصر على إتفاق السلام الثابت والدائم الذي يمنع تجدد الحرب مستقبلاً.

كذلك إن الحُكم الإيراني قد يكون يخطط أيضاً إلى أنه من خلال قبوله القرار 598 يتسبب في حالة إسترخاء في الجبهتين المدنية والعسكرية في العراق، ومن خلال هذا الإسترخاء يستعد لعدوان جديد. ومثل هذا الافتراض ليس مستغرباً على حُكم يرفض السلام، وهو قد رفضه حتى عندما كان الموقف لمصلحته، عندما إحتل من الأراضي ما يجعله في الوضع القوي برغم ما لحق به من خسائر بشرية.

إن القبول الإيراني بالقرار 598 قد يكون جاء للأسباب والنيّات التي أوردناها، لكن في الوقت نفسه قد يكون ببساطة جاء على أساس أنه الفرصة الأخيرة، ومخافة ألا يكون هنالك بعد الآن مجال لأي فرصة، بعدما أضاع الحُكم الإيراني كل الفرص، وأما مقدمة القبول والحيثيات بكل كلماتها المستغربة، فإنها فقط للاستهلاك المحلي وللتبرير، وإن السطرين الأخيرين من البيان الإيراني هما فقط للعالم، وزيادة في التوضيح فإن ثلاثة أرباع البيان كان عبارة عن كلمات تعتبر الهزائم التي لحقت بإيران إنتصارات، وتعتبر العراق هو المعتدي، أما الربع الباقي من البيان فهو الربع العاقل الذي يعلن القبول بقرار مجلس

الأمن.

وفي الوقت نفسه قد يجوز الافتراض أن القبول الإيراني بالقرار 598 حدّث على أساس أن مرحلة ما بعد الخميني قد بدأت بالفعل، ومع بدء هذه المرحلة تكون معركة الحرب، بكل ما حفلت به من تعقيدات ومنازلات مفاجئة قد إنتهت، أو فلنقل إنها حتى كتابة هذا المقال يوم 18/7/1988 قد شارفت على الإنتهاء، لتحل محلها معركة السلام الأكثر تعقيداً في بعض الجوانب، لكثرة الإعتبارات والتقاطعات الدولية والإقليمية.

ومع بدء هذه المرحلة يكون حدّث الأمر الأكثر أهمية وهو سقوط الخيار الديني من المحيط إلى الخليج. وكخطوة أولى يكون هذا الخيار سقط من لبنان إلى السودان مروراً بمصر التي تضعها الجماعات الدينية المتطرفة والمبهوره بالثورة الإيرانية والمدعومة منها منذ بضعة سنوات على حافة الحقل المليء بالألغام الجاهزة للتفجر. وأهمية هذا السقوط أنه يحدث بينما الخميني على قيد الحياة.

مجلة "التضامن". لندن - 25 تموز (يوليو) 1988

* * *

الحل المضمون للحرب:

مؤتمر قمة لدول الأوبك

من الواضح حتى الآن أن قبول الحُكم الإيراني بالقرار 598 هو مجرد خطوة.

خطوة عاقلة، لكنها تتعثر إذا إستمر الحُكم الإيراني ينظر إلى الأمر على أن وقّف إطلاق النار لا يعني إنتهاء الحرب، وأصر العراق على أن المطلوب هو إنهاء الحرب بحيث لا تتجدد مستقبلاً.

وبقدر ما إن القبول الإيراني بالقرار 598 هو مجرد خطوة، إلا أنه في الوقت نفسه فرصة لا بد من إستثمارها، أو فلنقل، إنه مثل سمكة بداخلها جوهرة يجب التنبه إليها كيف لا تفقر فجأة وتعود إلى البحر.

وعندما نتأمل في مواقف معظم دول العالم نجد أن هنالك تعاملات مع الخطوة الإيرانية لا يصل إلى حد تطويرها، سواء من خلال الضغوط، أو من خلال الترغيب.

بل إن هنالك بعض دول العالم التي تأمل لسبب أو آخر أن يستقر الحال على ما هو عليه بحيث يتحول إلى ما يشبه اللاحرب واللاسلم.

كذلك إننا عندما نتأمل في الخطوة الإيرانية، وفي رد الفعل العراقي عليها يتراءى لنا أنه إذا كانت لن تحدث مبادرة إيجابية وشجاعة فإن الحالة الجديدة قد تتأكل شيئاً فشيئاً.

وفي الماضي أخفقت أطراف كثيرة في إقناع الحُكم الإيراني بتحقيق هدنة، فأثرت إزاء هذه المهادنة من جانب ذلك الحُكم الإنسحاب من حلقة الوسطاء وأصحاب المساعي الطيبة، أما عندما أعلن الحُكم الإيراني قبوله بالقرار 598 فإن تجدد السعي من قبل تلك الأطراف قد يفيد، بمعنى أنه إذا كان الحُكم الإيراني يرفض في الماضي أي حديث في شأن وقف الحرب، فإنه الآن بات لا يرفض وبالتالي فإن مهمة أصحاب المساعي الحميدة تصبح أكثر يسراً من ذي قبل. وهؤلاء سيجدون أنفسهم يركزون على ضرورة التفاوض المباشر وبحيث يتم تعطيل لغم الحرب إلى الأبد.

وفي معرض التمني والإجتهاد نجد أنفسنا نتساءل: لماذا لا يتم الحل المضمون للحرب من خلال قمة يشارك فيها زعماء منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) وتتمثل فيها الأمم المتحدة بشخص الأمين العام، ومنظمة المؤتمر الإسلامي بشخص أمينها العام، والجامعة العربية بشخص أمينها العام الشاذلي القليبي؟

إن مثل هذه القمة ستجعل الحل مضموناً للحرب لأسباب موضوعية لعل أهمها أن النفط هو العصب الأساسي للحرب، وهو أيضاً العصب الأساسي للإعمار، ولأن لدول النفط أكثر من إعتبار لدى دول العالم، بمعنى أنه إذا إرتأت هذه الدول حلاً وإتفقت عليه، فإن دول العالم، لسبب أو آخر ستحترم هذا الإتفاق وترعاه.

ولنعرض معاً دول الأوبك التي نتمنى لو يعقد حكامها قمة الحل المضمون لحرب الخليج المشتعلة منذ ثمانين سنوات. إن هذه الدول هي: المملكة العربية السعودية، العراق، إيران، الجزائر، ليبيا، الكويت، الإمارات العربية المتحدة، قطر، فنزويلا، اندونيسيا، نيجيريا، الأكوادور، و... الغابون.

وعندما نعرض الأسماء يتبين لنا أن الجانب العربي الذي يعنيه أمر وقف الحرب في الدرجة الأولى ووضّع حل نهائي وشامل لها موجود في (الأوبك). كذلك نجد الطرف

الآخر المعني بأمر الحرب مباشرة، أي إيران. وما دامت الحرب لن تنتهي إلا بالتفاوض المباشر، فإن إنعقاد قمة لـ (الأوبك) سيكون المدخل إلى هذا الأمر، وذلك على أساس أن التفاوض المباشر يحتاج في الدرجة الأولى إلى لقاء مباشر.

والذي يجعل مثل هذا الأمر قابلاً للتنفيذ هو أن الاجتماعات التي تعقدها (الأوبك) لتتمثل فيها الدول الأعضاء في إستمرار. ولم يحدث أن غابت أي دولة عن الاجتماع الذي تعقده منظمة الأوبك، وحتى في ذروة المواجهة العراقية - الإيرانية، وفي ذروة التصعيد السعودي - الإيراني، والكويتي - الإيراني، وما يتخلل هذا التصعيد من خطف طائرة، أو محاولة تعطيل موسم الحج وإثارة الشغب في مكة المكرمة، فإن وزير النفط العراقي كان يشارك في أعمال أي مؤتمر لـ (الأوبك) مع وزير النفط الإيراني، ووزير النفط السعودي، ووزير النفط الكويتي... والآخرين.

وفي إستمرار إن ضحكة الواحد من هؤلاء تكون رطلاً - كما يقول التعبير الشعبي - بمعنى أن الانفراج يغمر وجوه هؤلاء، خصوصاً إذا توصلوا إلى قرار من شأنه أن يرفع أسعار النفط التي يريد كل منهم رفعها.

وقد يقال إن وزراء نفط دول الأوبك كانوا يجتمعون ولا يقاطع أحد منهم الاجتماع، أي إجتماع، لأنهم وزراء فنيون ويعالجون أموراً ذات طابع فني تتعلق بسقف الإنتاج وعدم تخفيض الأسعار والتسويق في مجالات التسويق، والأثر الذي تتركه زيادة الإنتاج على هذه الدولة أو تلك.

ومثل هذا القول صحيح إلى حد ما، إلا أن وزراء نفط الأوبك هم عملياً وزراء الحرب والتنمية. كما أن أي جولة قتال، أو حملة عمران، أو خطة تنمية طموحة، أو صفقات سلاح بالملايين أو المليارات تتم في ضوء إنجازاتهم.

وإذاً، فإن هؤلاء فنيون وغير فنيين في الوقت نفسه، بمعنى أن اجتماعات الأوبك هي قبل كل شيء اجتماعات القرار السياسي والإقتصادي والمالي والعسكري.

وما دام الأمر كذلك فما الذي يمنع عقد قمة لدول الأوبك عندما يكون ممكناً عقد مؤتمر لوزراء النفط في هذه الدول وفي أي وقت وفي أي عاصمة؟

ما الذي يمنع عقد هذه القمة ما دام وزراء النفط يعقدون اجتماعاتهم الدورية بدقة الساعة السويسرية؟ الأسباب؟

إنها كثيرة جداً.

والمبررات؟

إنها أكثر.

وعلى سبيل المثال نورد سبباً واحداً، ومبرراً واحداً أيضاً.

السبب هو أن الحرب يجب أن تتوقف، وتتوقف فوراً وإلى الأبد. وتلك ضرورات ومشاعر.

والمبرر هو أن الحرب لن تتوقف إذا لم يجلس الأقطاب وجهاً لوجه.

وما هو المؤتمر الذي يمكن أن يجمع الأقطاب المعنيين بالحرب العراقية - الإيرانية مثل مؤتمر قمة لدول الأوبك؟

إن المؤتمر الإسلامي يمكن أن يشكّل بديلاً، لكن المؤتمر أخفق في الماضي في دور المساعي الحميدة، فضلاً عن أن مشاعر الحُكم الإيراني إزاء هذا المؤتمر غير ودية، في حين أن مشاعره تجاه الأوبك ودية، ولا وجود لأي حساسية نحو هذه المنظمة التي تضم الدول المصدرة للنفط.

وإلى ذلك إن التركيبة الراهنة لمنظمة الأوبك تجعل التوازن لا يغيب عن أجواء اللقاء، ومثل هذا الأمر يحافظ على الكبرياء والمشاعر وفي الوقت نفسه يحفظ ماء الوجه. ونقول ذلك على أساس أن الرئيس الإيراني إذا شارك في هذه القمة سيجد أمامه جلوساً وراء طاولة الاجتماع حكماً لهم عليه حق إبداء المرونة وحق التعهد بالسعي للحل المنطقي، وحق المطالبة بتوقيع إتفاق لا عودة عنه ويقضي بتثبيت أسس السلام الدائم بين العراق وإيران كمرحلة أولى، وبين إيران ودول الخليج كمرحلة ثانية.

إن الحاكم الإيراني سيجد أمامه العقيد معمر القذافي والرئيس الشاذلي بن جديد والشيخ زايد بن سلطان. والثلاثة علاقتهم بإيران جيدة. وتلك فرصة لا تعوّض. لكن المهم أن يكون التمثيل على مستوى القمة إضافة إلى أن الرئيس الإيراني علي خامنئي أو رجل إيران القوي هاشمي رافسنجاني يجب أن يشارك وهو يتمتع بتأييد الخميني، وأن تكون يده خاليتين من قيود الإمام التي لخصها بقوله: "إن تجرّع السم أهون عليه من القبول بالقرار 598".

ويبقى أن الحديث حول عقد قمة لدول الأوبك يجب ألا يكون أمنية. ذلك إنه ليس في ميثاق هذه المنظمة ما يحول دون إنعقاد قمة لملوك ورؤساء الدول الأعضاء فيها. وعندما نرى أماننا، إذا تم عقد هذه القمة، الملك فهد بن عبد العزيز، والرئيس صدام حسين، والشيخ جابر

الأحمد، والعقيد معمر القذافي، والرئيس الشاذلي بن جديد، والشيخ زايد بن سلطان، والشيخ خليفة بن حمد، وجهاً لوجه مع الرئيس الإيراني علي خامنئي، أو رجل إيران القوي هاشمي رافسنجاني، ومعهم بقية رؤساء دول منظمة الأوبك إضافة إلى الأمناء العامين للأمم المتحدة، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، والجامعة العربية... إننا عندما نرى مثل هذا الجمع يلتقي للمرة الأولى من نوعها في قمة تعالج بنداً يتعلق بالأخطار التي تواجه دول الأوبك، على سبيل المثال، في سبيل إيجاد حل لها، فإن المجتمعين سيجدون بالتأكيد حلاً للمشكلة الأهم وهي الحرب العراقية - الإيرانية. وسيجدون الحل الذي يحظى بدعم كبير من الدول الأعضاء وبحيث لا يكون مثل إتفاقية الجزائر عام 1975 بين الشاه وصدام حسين برعاية هوارى بومدين.

بل إن مثل هذه القمة قد تكون مناسبة لفتح ملف بعض القضايا العالقة بحيث لا تعود مسألة إحتلال إيران للجزر العربية الثلاث (طنب الكبرى والصغرى وأبو موسى) شوكة دائمة في الخاصرة العربية، خصوصاً أن الشيخ زايد، التي تعود ملكية الجزر إلى دولة الإمارات التي يترأسها، يشارك في تلك القمة التي نكتب عنها بصيغة التمني والإجتهد. إن كلاماً كثيراً يمكن أن يُقال في شأن هذه القمة، إلا أن أهم ما في هذه الفكرة هو أنها ستشكّل المخرج اللائق، فضلاً عن أن كل ما يتعلق بالأوبك يكون موضع إهتمام الغرب والشرق على السواء، لأنه متعلق بالنفط. ولأن النفط يتساوى في نظر الغرب، وإلى حد ما الشرق، مع الدم الإسلامي عربياً كان أم غير عربي هذا الدم.

وهذه الفكرة ما كانت لتزد لو أن إيران لم تعلن قبولها للقرار 598، ولولا أن السعودية والعراق وإيران والكويت من بين دول الأوبك، وما كانت الفكرة لتبدو بمثابة حل لولا أن كل المحاولات التي قامت بها منظمات وأطراف أخرى في سبيل وقف الحرب إصطدمت بالفشل إلى أن تمكّن العراق بالانتصارات التي حققها وأمكنه من خلالها تحرير أرضه، وتمكنت المملكة العربية السعودية بقطع العلاقات الدبلوماسية مع إيران من توسيع طوق العزلة الدولية والإسلامية بوجه خاص حول الحُكم الإيراني، من إجبار الخميني على القبول بالقرار 598.

لكن الخميني وضع صيغة للموافقة من شأنها أن تجعل معركة السلام تطول أكثر من الحرب، وهو ما لا يمكن تحمّله. وهو ما يمكن للأوبك أن تجد حلاً له ما دامت الدول الأساسية الأعضاء في هذه المنظمة هي المطلوب

منها أن تتفاهم وتضع نهاية للحرب، وما دامت العقدة هي في التفاوض المباشر وهو أمر يبدو صعباً إلى حد ما خارج الأوبيك ويبدو ممكناً من خلالها للحثيات التي أوردناها.

وإذا أمكن حدوث ذلك فإن الأوبيك، التي تأسست خلال إجتماع عُقد في بغداد قبل 28 سنة، تكون حققت إنجاز العصر، ويكون زعماء دول هذه المنظمة تصرفوا بالطريقة التي يتصرف بها زعماء الدول الصناعية السبع عندما يلتقون، ليس لإيجاد حل لحرب بين بعض هذه الدول، وإنما لوضع حلول لمشاكل قد تقود مع الوقت إلى حروب.

مجلة "التضامن". لندن - 1 آب (أغسطس) 1988

* * *

البقاء للواقعيين

في عددها الصادر بتاريخ 20 شباط/فبراير 1988، كان الموضوع الرئيسي لـ "التضامن" عبارة عن تلخيص لمعلومات في شأن الحرب العراقية - الإيرانية. ولقد اخترنا لهذه المعلومات عنواناً يحمل في طياته البشائر وهو "أخبار سارة". والتزاماً منا بعهد قطعناه على أنفسنا للمصادر الأميركية والسوفياتية التي إستقينا المعلومات منها في جنيف، لم نتوغل أكثر من اللازم وننشر كل ما سمعناه وذلك مراعاة لإعتقاد تلك المصادر بأن الدخول في التفاصيل قد يتسبب في حدوث أجواء ليست لمصلحة الإنفراج الذي كان يجري في حينه العمل من أجل تحقيقه.

وكانت العناوين البارزة لـ "الأخبار السارة" كثيرة أهمها:

- الحل خطوة خطوة... والأولى مطلع الصيف المقبل.
- 1988 سنة كل الحلول لكل المشاكل.
- قرار أميركي: مفاتيح الإستقرار في علاقات متميزة بين السعودية ومصر والعراق.
- قرار أميركي - سوفياتي: إستبعاد إيران وإعتبارها ورقة خاسرة.

وعندما صدر العدد المشار إليه بالعناوين التفاوضية أبدى البعض إستغرابه لهذا التفاؤل، وذلك على أساس أن الأجواء كانت ملبّدة بالغيوم الثقيلة. وكان التفاؤل بإمكانية التوصل إلى حلول ضرباً من ضروب الخيال.

كان ذلك في 20 شباط/فبراير 1988 وبعد ثلاثة أشهر

من هذا النشر ومع إطلالة الصيف بدأت البشائر تهل بتحريير العراق أراضييه ثم بإصرار المسلمين على أن يكون موسم الحج خالياً من أي منغصات. وبعدما وجدت إيران نفسها إزاء ذلك في عزلة حقيقية حيث الهزائم تتلاحق وموسم الحج يبدأ على خير ما يجب أن يكون عليه من هدوء وخشوع فإنها أعلنت قبولها بقرار مجلس الأمن رقم 598.

ومهما تباطأ الحُكم الإيراني في مسألة التفاوض المباشر، فإنه في النهاية سيجد نفسه يوافق على هذا التفاوض ويجلس المفاوضون الإيرانيون وجهاً لوجه مع المفاوضين العراقيين لوضع أسس مرحلة جديدة من التعايش التي يكون فيها لكل ذي حق حقه فقط، من دون أن يحاول في شكل أو آخر سلب الجار أو الشقيق بعض الحقوق.

ومن الواضح أن هذه الإنفراجات تحدثت إنسجاماً مع إتفاق الدولتين الكبيرتين، الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، على أن التسعينات هي مرحلة الواقعية وأنه لا بقاء إلا للواقعية والواقعيين. وفي هذا الإطار كانت هنالك أكثر من حالة إنفراج واحدة. كان هنالك الإنفراج الذي حققه العقيد معمر القذافي داخل بلاده. وكان هنالك أيضاً القبول الإيراني بالقرار 598. أما الخطوة البالغة الأهمية المتعلقة بالصفة الغربية التي إتخذها الملك حسين فإنها قد تشكّل الحلقة الأكثر تميزاً في هذه الإنفراجات. وفي الإطار نفسه ستحدث على الأرجح إعادة نظر جزئية من قبل الحُكم السوري في موضوع لبنان بحيث يسود الإنفراج في ظل واقعية مسؤولة ومرضي عنها من الدول الكبرى.

وكل هذه الأمور وغيرها ستحدثت على أساس أن لقاءات القمم الأميركية - السوفياتية إنتهت إلى أن سنة 1989 ستكون سنة كل الحلول لكل المشاكل، وعلى أساس أننا دخلنا مدار الواقعية.

ومن ليس واقعياً مطلوب منه أن يبدأ إستدارة في إتجاه الواقعية، لأنه لا مجال لغير الواقعيين... أو على الأقل لن تكون هنالك فرص للتعامل معهم.

مجلة "التضامن". لندن - 8 أغسطس (آب) 1988

* * *

فرصة العمر الفلسطيني

هذه فرصة العمر بالنسبة إلى الفلسطينيين.

في الماضي كان الحديث عن حكومة في المنفى يبدو نوعاً من التفریط. أما الآن فإن التفریط بهذه الفرصة هو التفریط في حد ذاته.

ومن هنا فإن الملك حسين بالخطوة التي إتخذها قام، إذا جاز القول، بتسهيل أمر ولادة صعبة، ولم يضع عراقيل أمام تحقيق الفكرة التي بات لا بد من تحقيقها، وإلا فإنه سيأتي يوم نتحسر فيه على حكومة المنفى الفلسطينية مثلما تحسّرنا من قبل على قرارات التقسيم وإعتيرناها تفریطاً في القضية على أساس أنه إما التحرير الكامل وعودة التراب الفلسطيني حبة حبة، وإما الإنتظار إلى ساعة تحين خطوة التحرير.

وها إن الإنتظار كان طويلاً. وكانت رحلة العذاب ملأى بالفواجع، فاجعة، تلو فاجعة، تلو فاجعة.

وقد يجوز القول إن حكومة المنفى كانت تفریطاً في زمن كانت القضية الفلسطينية تستحوذ على إهتمام كل إنسان عربي وكانت بنذاً أساسياً في جدول الصراع بين الشرق والغرب. أما الآن فإنها ليست كذلك أي إنها ليست تفریطاً لأكثر من سبب.

وعندما نتأمل في أحوال المنطقة يتأكد لنا ذلك. كما يتأكد لنا عندما نتأمل في طبيعة العلاقات بين الشرق والغرب.

إن هموم المنطقة تكبر يوماً بعد آخر إلى درجة أنه لم يعد هنالك مواطن عربي لا يكتوي بنار الهموم والحروب والمشاكل. ولو سأئنا أي مواطن الآن عن إهتماماته لوجدنا أن الهموم الشخصية والمعيشية، بدءاً من لبنان وإنهاء بالمغرب، تتقدم على التطلعات القومية، ومنها النظرة الماضية المفعمة بالمشاعر الفياضة تجاه القضية الفلسطينية.

أما عندما نتأمل في طبيعة العلاقات بين الشرق والغرب فإننا نجد الطرفين تفاهما على المسائل الكبرى، وتفاهما أيضاً على ألا تؤثر المشاكل الصغرى على تلك المسائل التي تم التفاهم عليها. وزيادة في التوضيح يمكن القول إن القضية الفلسطينية لم تعد تلك الورقة التي يتسلح بها الإتحاد السوفياتي ومن معه في الكتلة الشرقية من دول صغرى وكبرى والتي يستعملها في لعبة الصراع مع الولايات المتحدة ودول الغرب عموماً. كما أن الولايات المتحدة ودول الغرب لم تعد على موقفها الماضي من القضية الفلسطينية، وأنها باتت في ضوء الوفاق الذي تحقق مع الإتحاد السوفياتي تنتظر مبادرة منطقية ومعقولة

تأتي من الجانب الفلسطيني يدعمها العرب لكي تحاول أن تجد لها صيغة تكون بمثابة حل للمشكلة العالقة. وليس مثل حكومة المنفى ما هو أفضل في الوقت الحاضر.

ومن هنا فإن الملك حسين عندما أعلن فك الارتباط مع الضفة الغربية كان يؤدي واجباً إزاء السعي الدولي من أجل الحل. وهو يؤدي هذا الواجب في وقت هنالك تفهم عربي شامل لموقفه ولخطوته.

وهو يفك الارتباط في وقت تدور فيه رحى الحروب لسنوات طويلة من أجل الحدود ومن أجل السيادة. ولكن الملك حسين صاحب التجربة الطويلة في الحكم وحميد الحكام العرب، إستوقفه في لحظة تأمل في أمور الدنيا فأراد أن يكمل ثورة الحجارة الدائرة منذ ثمانية أشهر بحجر كبير يرميه في بحيرة العالم الساكنة لعلها تتحرك وتتجز ما كان دائماً من الصعب إنجازها. وهو لم يرم حجرًا وإنما رمى صخرة وترك مياه البحيرة تتلاطم كأنها الموج الهادر.

وعلى رغم إرتفاع صوت هذه الكلمات التي نكتبها فإنها تبدو على درجة من الواقعية، ويبدو الملك حسين بالخطوة التي أقدم عليها بضع نقاطاً فوق الحروف، ذلك أنه عندما يقرر العرب أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وعندما تحسم الإنتقضة أمر إنتمائها وتقرر أنها مع المنظمة ووراء قيادتها، وعندما يتقرر جمع المساعدات فلا يصيب الأردن ما يعوّضه الأعباء المالية التي يتحملها، وعندما يجري الحديث حول وفد مشترك أردني - فلسطيني إلى المؤتمر الدولي يتزايد التحفظ حول هذه الشراكة... إنه عندما يحدث كل ذلك فلماذا لا يتخذ الملك حسين خطوة في حجم تجربته وسعة أفقه؟

وها هو إتخذها ووضعاً منظمة التحرير الفلسطينية أمام الإمتحان الصعب، وواضعاً أهل الإنتقضة أمام الخيار الأكثر صعوبة، وواضعاً العرب والعالم أمام الأمر الأصعب.

لقد تصرف الملك حسين على الطريقة التي تصرف بها في الستينات الرئيس السابق الحبيب بورقيبة عندما نادى بأعلى صوت بضرورة وضع قرارات التقسيم موضع التنفيذ، مع الفارق أن بورقيبة لم يفعل أكثر من الإدلاء بتصريح، في حين أن الملك حسين ذهب أبعد من ذلك وأعلن فك الارتباط مع الضفة إنما من دون أن يفك الارتباط مع القضية.

وهو في هذا وضع الجميع على المحك. أما ماذا يمكن حدوثه فإن الذي نأمل هو أن يكون برلمان المنفى الفلسطيني بعد بضعة أيام هو الهيئة التي تشترع لحكومة المنفى والتي يلتقي للمرة الأولى عليها من كانوا يرون أنها تقرب بال قضية فباتوا في صف واحد مع الذين كانوا يرون في استمرار أنها هي الحل.

وإزاء هذا الواقع الجديد سيكون من المحزن التقريب بالخطوة التي بدأها الملك حسين لكي يكملها الفلسطينيون... وطبعاً بإستثناء الذين لا مكان لهم في أي حلول موضوعية، وتأخذ في الإعتبار حقائق الوضع الراهن والمرحلة المقبلة.

مجلة "التضامن". لندن - 15 آب (أغسطس) 1988

* * *

... وفي الخليج السلام

من كان يتصور أنه سيأتي يوم تتوقف فيه الحرب العراقية - الإيرانية، ويسود السلام في منطقة الخليج التي كانت طوال خمسين سنة محور صراع حاد بين الغرب والشرق، حيث إن الغرب يعتبر الخليج منطقة مغلقة له، بينما الشرق يحلم بوضع قدميه في المياه الدافئة لذلك الخليج، وعلى رمال صحرائه وشطآنه، وواحاته، وقبل ذلك آبار النفط فيه.

لقد مرت لحظات، خصوصاً بعدما دخلت الحرب سنتها الثانية، بات المرء يعتقد أن هذه الحرب لن تتوقف وأن كل نقطة دم تسيل إنما تسجل كلمة في كتاب الحرب الذي سيكون ذلك الكتاب الكثير الصفحات.

وزاد في هذا الإعتقاد أن مياه الخليج إمتلأت بحاملات الطائرات، وإمتلأت أيضاً بحرائق ناقلات النفط وبالألغام وكاسحات الألغام...

وزاد في هذا الإعتقاد أيضاً أن الطرف الإيراني لا يريد إتاحة الفرصة أمام أي مسعى للتوفيق، ولا يشجع أية محاولة يقوم بها الذين يبذلون الجهود الطيبة من أجل أن تتوقف الحرب، ولا يتجاوب مع مبادرات السلام التي طرحها الرئيس صدام حسين..

ثم تتبدل المشاعر فجأة، ونرى أن ما كان صعباً تصور حدوثه، يمكن أن يحدث، وأن السلام الذي كان بعيد المنال، بات من الممكن تحقيقه..

وهذا السلام لم يحدث لأن الحكم الإيراني أعلن قبوله بالقرار 598، وإنما لأن العراق جرد هذا الحكم من القدرة على المماطلة، وقبل ذلك من السلاح الذي كان الإيرانيون ينوون إستعماله، فضلاً عن تعطيل اللغم الأكبر الذي كانوا يخططون لتجثيره، ونعني بالسلاح وباللغم نقل الحرب إلى داخل دول الخليج، دولة دولة، أو فنقل - من أجل الدقة - إلى بعض دول الخليج.. والهدف من ذلك تحقيق الهدف الأساسي وهو تطويل الحرب وتكريس حالة لا حرب ولا سلم على الجبهة مع العراق، وتعزيز الإحتلال للأراضي العراقية التي تم إحتلالها من الفاو إلى حلبجة، وهو إحتلال كان سيضمن للحكم الإيراني إبقاء موضوع الحرب مفتوحاً عشرات السنين، وبحيث تتوارثه الأجيال جيلاً بعد جيل..

وعندما نفذ الرئيس صدام حسين مفاجآت التحرير المتلاحقة، فإنه جرد بذلك الإيرانيين من السلاح الأساسي، وعطل لهم اللغم الذي كانوا يعلقون الآمال على انفجاره وتطأ شظاياه في كل شبر من أراضي الخليج.. وهذه الآمال هي أن الدول الكبرى التي لن تضغط على إيران من أجل العراق ستقرع أبواب آيات الله في حال أن اليد الإيرانية تطاولت على هذه الدولة الخليجية أو تلك، وعندما يحدث ذلك فإن الحكم الإيراني لن يفتح الأبواب إلاً مقابل ثمن باهظ يريده من الولايات المتحدة ومن الإتحاد السوفياتي، وإستطراداً من الدول الأخرى..

من هنا فإنه لولا نجاح العراق في تجريد الإيرانيين من السلاح الأساسي، وتعطيل اللغم الذي علّقوا الآمال على انفجاره، وذلك بتحرير الأرض وإظهار الحكم الإيراني بمظهر العاجز، لما كان لهذا الحكم أن يقبل بالقرار 598 ولما كان للسلام أن يقترب من الخليج.

وعندما تريث الرئيس صدام حسين في التعامل مع الموقف الإيراني "المسالمة" فإنه بدا في ذلك كمن يحسب حساباً لوجود ألغام أخرى من الضروري تعطيلها وبذلك لا يعود الخليج مهدداً بشظايا ألغام إيرانية ليست قوية، إلاً أنها قد تسبب القليل من الأذى والكثير من التشويش. وهو فعل ذلك على أساس أن سلام العراق من سلام الخليج ومن سلامته أيضاً. ونعني بالخليج كل الدول التي تطل على مياهه والتي شهدت في ثماني سنوات من الأحوال ما لم تشهده منطقة في العالم.

والذي يؤكد هذه المعادلة هو أن الرئيس صدام حسين في رسالته إلى العراقيين والعرب والإيرانيين والعالم، والمؤرخة في 6 آب/ أغسطس 1988 لم يكتف بإعلان الموافقة على وقف

إطلاق النار شرط أن تلي ذلك المفاوضات المباشرة، وإنما أضاف إلى ذلك في الرسالة أمرين يرتاح لتوثيقهما الخليجيون العرب، ويجب أن يرتاح للتوثيق أيضاً الخليجيون غير العرب، فضلاً عن أنهما ينسجمان مع رأي الرئيس صدام حسين في مبدأ التعايش بين الجيران، عرباً وغير عرب (بإستثناء إسرائيل) وهو ما سبق أن أوضحه في الإعلان القومي قبل أن تبدأ الحرب، وهما ينسجمان أيضاً مع المعادلة التي ترى أن سلام العراق من سلام الخليج ومن سلامته.. وهذان الأمران يتمثلان في قول الرئيس في رسالته: "إن الإنتصار العظيم لشعبنا وأمتنا وقواتنا المسلحة لا يمكن أن يُدخل إلى نفوسنا أي مظهر أو عامل من عوامل الغرور أو التشفي أو الحقد) وفي قوله أيضاً: (إن حاضر اليوم سيغدو تاريخ المستقبل، وإن مرارة الشعور بالمهانة والظلم أمر لا يُحتمل، وعليه ولأسباب تتصل بتاريخنا المجيد أمة وشعباً، وتتصل بعقيدتنا إتصالاً عميقاً، وإستحضاراً منا لما يرضاه الله فإننا نمد يد صداقة وتسامح وسلام لشعوب إيران بغض النظر عما يعتلج نفوسنا من مرارة وما أصابنا كشعب وأمة من عدوان وتجاوز..."

وهذان القولان يعكسان رغبة الرئيس صدام حسين في أن يكون المتفوق في معركة السلام مثلما كان المتفوق في معركة التحرير. ولكي ننصوّر أهمية هذا التفوق من المهم أن يتكرر كثيرون كيف كان الحُكم الإيراني عام 1980 وكيف هو الآن. وتكراراً نقول إن السلام حدث في الخليج. وحدث بعدما كنا لا ننصوّر أن ذلك سيحدث.

لعل وعسى لا نعود ننصوّر إستحالة أن يحدث السلام في المنطقة، خصوصاً أن ما حدث للحُكم الإيراني هو درس للذين يحكمون ظلماً في فلسطين.. أو أنه يجب أن يكون درساً..

مجلة "التضامن". لندن - 22 آب (أغسطس) 1988

* * *

كارتر يعترف بالمنظمة

والمنظمة تعترف بـ "كامب ديفيد"

طوال العشرين سنة الماضية لم يسجل مسؤول أميركي واحد تعاطفاً علنياً مع القضية الفلسطينية. وبإستثناء أندرو

يونغ (المندوب الأميركي لدى الأمم المتحدة الذي إرتضى التضحية وعقد إجتماعاً في شقة مندوب الكويت، زمناً، والأمين العام لمجلس التعاون الخليجي حالياً، عبدالله بشاره مع مندوب منظمة التحرير الفلسطينية زهدي الطرزي) فإن المسؤولين الأميركيين كانوا يتحاشون اللقاء بأي مسؤول فلسطيني. وعندما تكون هنالك مناسبة توجب عليهم تسجيل موقف متعاطف مع القضية الفلسطينية يبتعدون قدر الإمكان أو يتجاهلون الأمر تماماً.

أما الذين يحلمون بالسلطة من السياسيين الأميركيين فإنهم يفعلون ما هو أكثر من ذلك. وكثيراً ما سَجَّل هذا الحالم بأن يكون عضواً في مجلس الشيوخ مواقف حادة عن غير قناعة ضد فلسطين كقضية وشعب. وهو يفعل ذلك لأن مراعاة إسرائيل هي تأشيرة الدخول إلى عالم السياسة الذي يحلم به.

وإذا كان الحالم بالسلطة يتطلع إلى ما هو أهم، أي إلى رئاسة أميركا، فإنه يخوض ما يشبه الحرب ضد القضية الفلسطينية وذلك من خلال الوعود التي يقدمها لإسرائيل. وفي العادة إن إسرائيل تركز على أمرين: الأول، هو إقرار المرشح للرئاسة بأن أمن إسرائيل ضروري للولايات المتحدة. والأمر الثاني، هو ألا يعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية. وهذان الأمران يعنيان إسقاط حق الفلسطينيين في أن يكون لهم وطن.

ولعل جيمي كارتر كان أكثر سياسيي أميركا تطرفاً في مساندته لإسرائيل على حساب القضية الفلسطينية. ذلك أنه لم يكتفِ بالوعود التقليدية، وتنفيذها بحذافيرها، وإنما أضاف إلى ذلك صفقة كامب ديفيد التي جمد بموجبه دور مصر ومسؤولياتها القومية بعد تقردها بصلح مع إسرائيل، أبرمه الرئيس (الراحل) أنور السادات ودفع بعد ذلك حياته ثمناً لصفقة تمت من وراء أهل القضية الأساسية وعلى حسابهم.

تلك هي حال سياسيي أميركا وكبار المسؤولين فيها، بل وحال أي مسؤول ما دام السياسي يحلم بالسلطة، وما دام المسؤول حريصاً على الموقع الذي يشغله. وعندما يصبح السياسي خارج السلطة فإنه يحاول أن يكون عادلاً. كما أن المسؤول عندما لا يعود في موقعه الرسمي يحاول أن يفعل الشيء نفسه. وكمن مرة طالعنا المسؤولين الأميركيين، بعدما يكونوا صاروا سابقين، بتصريحات يجد المرء نفسه وهو يقرأها يقول: لو أن ربع هذا التصريح قيل عندما كان كارتر رئيساً لأمركا، أو عندما كان هذا

الشخص سفيراً في السعودية، أو في سوريا، لكان التاريخ تبدّل، وكانت تبدّلت معه جغرافية المنطقة.

ومناسبة هذا الكلام أن الرئيس الأسبق جيمي كارتر إنلتقى في القاهرة يوم السبت 20 آب/ أغسطس 1988 هاني الحسن المستشار السياسي لياسر عرفات وسعيد كمال ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في القاهرة. ولو أن هذا اللقاء تمّ بين هاني الحسن وسفير أميركا في القاهرة لكان يعني شيئاً، لكن اللقاء تم مع سائح أميركي من نوع السياح الأجانب الذين يطيب لهم تناول فنجان شاي في سفح الهرم، وبالذات في فندق ميناهاوس. ولقد أتى هذا السائح، الذي لا دور له في القرار السياسي الأميركي إلى القاهرة التي بنّت له مجداً لا يعادله مجد عندما تفرّد الرئيس (الراحل) أنور السادات بجل أَدْخَلَ كارتر، الذي رعاه، في لائحة العظماء، وأَدْخَلَ في الوقت نفسه مصر في نفق لا تستطيع حتى الآن الخروج منه. وهو أتى كسائح، وليس موفداً من حزبه، والفرق كبير جداً.

لكن في الوقت نفسه إن مثل هذا اللقاء له فائدته لأنه يكشف كارتر على حقيقته وذلك على أساس أن هذا الزعيم التاريخي الذي كان لا يطيق سماع كلمة فلسطين والشعب الفلسطيني ويعتبر عرفات إرهابياً كبيراً ها هو يجتمع في القاهرة لمدة ساعتين بمستشار عرفات وبممثل منظمة التحرير في القاهرة. وإذن فإنه يعترف بالمنظمة، وإن كان الإعتراف متأخراً ثماني سنوات مثل تأخر إيران سنة لتوافق على القرار 598 الذي وافقت عليه بعد ذلك مضطرة.

ولو أن المرشح الديمقراطي المقبل لرئاسة أميركا كان محايداً بعض الشيء ويتضمن برنامجه ما من شأنه أن ينصف الشعب الفلسطيني، ويحقق الحل العادل والعادل للقضية الفلسطينية، لكان مثل هذا اللقاء أفاد المرشح وبذلك يكون كارتر أدى خدمة جليلة لحزبه. لكن المرشح دوكاكيس متطرف في تعاطفه مع إسرائيل وملاً برنامجه وعوداً لإسرائيل تفوق بكثير وعود كارتر، وتتساوى في حال فوزه مع صفقة كامب ديفيد، ومن أجل ذلك فإن لقاء القاهرة بين كارتر وهاني الحسن وسعيد كمال لن يكون أكثر من مناسبة هدفها الإحياء بأن منظمة التحرير الفلسطينية تعترف بشكل ما باتفاقية كامب ديفيد، خصوصاً أن اللقاء تم في القاهرة، وأن جيمي كارتر هو بطل تلك الاتفاقية. وخصوصاً أن المسألة ليست مسألة مقالة كتبها المستشار الآخر بسام أبو شريف، فضلاً عن أن هاني الحسن وسعيد كمال في السلم التاريخي والشأن لدى عرفات أكثر أهمية

من بسام أبو شريف.

... وما هو معروف عن الدكتور أسامة الباز، مدير مكتب الرئيس حسني مبارك للشؤون السياسية، براعته في إخراج مواقف من شأنها أن تصب في قطار الحل الدولي، الذي تعتقد مصر أن تأخر إنطلاقه لا يعني أن الرحلة تأجلت ولا يعني أن القطار معطل وإنما المسألة هي في تأخر بعض الركاب. ومن دون هؤلاء لن ينطلق القطار. وبعد أن ينطلق فإن السيناريو المتداول يشير إلى أن محطته الأولى ستكون حكومة منفى فلسطينية... وفي القاهرة. ومثل هذا الإنجاز سيكون مهماً إلا إذا قامت حكومة منفى ثانية في دمشق.

مجلة "التضامن". لندن - 29 آب (أغسطس) 1988

إيران خسرت ضياء الحق

فهل يربح العرب باكستان؟

كان لافتاً للإنتباه أن التمثيل العربي في تشييع جنازة الرئيس الباكستاني ضياء الحق كان عادياً جداً وليس بحجم ما يقال عن روابط العلاقة القوية بين ضياء الحق وعدد كبير من الحكام العرب.

وإستناداً إلى إستفسارات قامت بها "التضامن" لدى أكثر من جهة عربية أمكن أستخلاص الملاحظات الآتية:

أولاً - إن الرئيس ضياء الحق كان طوال سنوات الحرب العراقية - الإيرانية أكثر تعاطفاً مع الموقف الإيراني.

ثانياً - إن ثلاثة حكام عرب على الأقل إكتشفوا أن الرئيس ضياء الحق نقل إليهم معلومات هدفها التشويش حول السياسة الإيرانية، الأمر الذي ترتبت عليه مواقف كانوا في غنى عنها.

ثالثاً - إن موقف الرئيس ضياء الحق من مساعي الوساطة الإسلامية لإنهاء حرب الخليج كان دائماً سلبياً، ومن أجل ذلك لم تثمر أي وساطة وذلك على أساس أنه ما دام رئيس الدولة الأولى لا يقوم بدور الوسيط الصلب فكيف ستتجح الوساطة؟

رابعاً - كان موقف الرئيس ضياء الحق خلال محنة

طائرة (الجابرية) باهتاً وكان في إستطاعته أن يضغط على إيران لإنهاء تلك المحنة ولم يفعل.

من جهة أخرى كان لافتاً للإنتباه أن الرئيس ضياء الحق لقي مصرعه يوم أربعاء (الأربعاء 17 آب/ أغسطس 1988) أي في اليوم نفسه الذي صدّق فيه حكم الإعدام على رئيس الوزراء ذي الفقار علي بوتو، (الأربعاء 4 نيسان/ أبريل 1979) وهو اليوم نفسه أيضاً الذي تم إنتخابه رئيساً لباكستان (الأربعاء 19 كانون الأول/ ديسمبر 1984).

وبعد مواراة الجثمان بدأ التحقيق يتشعب لمعرفة أسباب إنفجار طائرة الرئيس ضياء الحق. وشارك في التحقيق ثمانية خبراء عسكريين أميركيين تم إستدعاؤهم للمساعدة في التحقيق.

وفي هذه الأثناء تكاثرت الروايات حول أسباب الإنفجار. رواية تقول إن صندوقاً من المانغو وضع في اللحظة الأخيرة في الطائرة وقد يكون بداخله قنبلة. ورواية تقول إنه ليس مجرد مصادفة تخلف ثلاثة ركاب عن السفر في الطائرة التي سقطت وهؤلاء هم ضابط أميركي كبير، والجنرال ميرزا إسلام نائب قائد الجيش الباكستاني، والجنرال حامد حول رئيس المخابرات الباكستانية.

وتشير أوساط أمنية عربية إستوقفها هذا الأسلوب في التصفيات يحدث في إحدى أهم دول العالم الإسلامي والعالم الثالث عموماً، إلى أن أهم ما في عملية إسقاط طائرة الرئيس ضياء الحق هو أن الذين نظموا يعرفون تماماً تحركات الرئيس بما في ذلك التحركات السرية العسكرية التي لا يعرفها أو لا يجوز أن يعرفها أحد. وتضع هذه الأوساط خطوطاً تحت الخبرة التي إكتسبها الأفغانيون من المخابرات السوفياتية.

وتجدر الإشارة إلى أن بين الإحتمالات الواردة هو أن الأفغانيين ربما لهم دور في تصفية الرئيس ضياء الحق وأن تحذيرات أفغانية - سوفياتية تم توجيهها في الآونة الأخيرة ضد باكستان إذا هي لم تغير سياستها.

وأبدت الأوساط الأمنية العربية أمام "التضامن" مخاوفها من أن تتعكس تصفية الرئيس ضياء الحق على الوفاق الأميركي - السوفياتي إذا ثبت أن أفغانستان ليست بعيدة عن التصفية. وأشارت الأوساط إلى أن تصفية الرئيس ضياء الحق ربما كانت بفعل جناح داخل الحُكم السوفياتي يريد هزّ هيبة الرئيس غورباتشوف والخطوات المهمة التي خطاها في سبيل وفاق أميركي - سوفياتي ثابت.

وخلال مناقشة مع هذه الأوساط أمكن الإستنتاج بأن تصفية الرئيس ضياء الحق جواً قد يكون هدفها إزالة أي آثار للتصفية وأن إسقاط طائرته كان عملية مزج للشعور بأن المسألة إغتيال وقضاء وقدر في الوقت نفسه. كذلك أمكن الإستنتاج بأن خطط حماية المسؤولين في العالم الثالث ستأخذ في الإعتبار بعد الآن ما حدث للرئيس ضياء الحق.

وعندما إستفسرت "التضامن" من إحدى الشخصيات السياسية العربية ذات الشأن عما خسره العرب جرّاء تصفية الرئيس ضياء الحق، أجابت هذه الشخصية بالقول: خسرنا صديقاً محسوباً علينا لكن خيره يصب في إيران. وأضاف الشخصيّة: لكننا لن نخسر باكستان. وسألت "التضامن" الشخصيّة: "لم نخسر" أو "لن نخسر"؟

وأجابت الشخصيّة: كدنا نخسرها... ولكن باكستان جناحنا الآسيوي القوي عائد إلينا بإذن الله. وأترك للذين يقرأون هذا الكلام أن يفسر كل منهم الكلمات على طريقته وأن يقرأ السطور وما بين السطور.

مجلة "التضامن". لندن - 29 آب (أغسطس) 1988

* * *

كيف يرد الصادق المهدي؟

هذا الإقبال من جانب الدول العربية على نجدة السودان لمساعدته على مواجهة الكارثة الناشئة عن الفيضان أمر لافت للإنتباه.

والذي حدث أنه لمجرد أن أعلنت الحكومة السودانية عن فيضان النيل بشكل يهدد القرى الصغيرة على ضفتي النهر بالغرق، بادرت الدول العربية إلى نجدة الشقيق السوداني من دون أن تنتظر هذه الدولة أو تلك معرفة حجم الأضرار الناشئة عن الفيضان.

وخلال أيام تحوّل مطار الخرطوم إلى واحد من المطارات التي تمتلئ بالطائرات. وبدا الأمر كما لو أن الموسم موسم الحج، وبدا مطار الخرطوم كما لو أنه مطار جدة. والذي حدث هو أنه ما أن تُقْلَع طائرة حتى يتلقى مطار الخرطوم بعد قليل إشارة بأن هنالك طائرة تطلب الإذن بالهبوط. ومعظم هذه الطائرات من النوع العملاق

وكلها أنت إلى الخرطوم ناقلة المساعدات بشكل لم يحدث من قبل.

ومع أن أحداً من الأشقاء العرب لم يقصّر إلا أن هنالك ثلاثة مواقف تستحق التأمل فيها وهي مواقف مصر والسعودية والعراق، ذلك أن الدول الثلاث قامت بالمساعدة بما هو أكثر من الواجب وأنشأت كل منها لهذا الغرض جسراً جويّاً لنقل المساعدات.

ولقد فعلت الدول الثلاث ذلك على رغم أن موقف الحكومة السودانية من هذه الدول هو موقف المشاكس، وعلى رغم أن الحكومة السودانية لم تتجاوب مع رغبة حقيقية لدى هذه الدول في أن تكون العلاقات على أحسن حال بينها وبين السودان. ولا بد أن كثيرين يتذكرون معاناة الرئيس حسني مبارك من الحكومة السودانية، ومرارة الملك فهد من هذه الحكومة بعد محاولة الفتنة التي أثارها بعض الحجاج الإيرانيين أو تحديداً "ميليشيات الحج الإيرانية" العام الماضي وإستمرار مسايرة تلك الحكومة للمحاولات الإيرانية وسكوتها على الإستقرازمات التي وصلت إلى حد التهجم وإضطرت الملك فهد بن عبد العزيز إلى التلويح بالقوة.

كذلك إن كثيرين يتذكرون خيبة أمل الرئيس صدام حسين من الحكومة السودانية بسبب تحويل هذه الحكومة أنظار السودانيين عن إنجازات معارك التحرير، التي يستعيد بها العراق أراضيهِ المحتلة من إيران، وذلك بتوجيه الإتهام إلى ديبلوماسي عراقي بأنه يُشتبه بوجود علاقة له في حادثة إغتيال مهدي الحكيم في فندق هيلتون - الخرطوم.

لقد ضغطت القادة الثلاثة على مشاعرهم وتصرفوا بعقلية رجال الدولة الذين لا ينشغلون عن الواجب بتذكّر مواقف إتخذتها الحكومة.

وصحيح أن القادة الثلاثة، بالجسر الجوي الذي أقامه كل منهم، ساعدوا أشقاء سودانيين تسبب الفيضان لهم بمشاكل كثيرة، إلا أنهم في الوقت نفسه ساعدوا الحكومة السودانية التي يحملون في نفوسهم أكثر المشاعر مرارة نحوها بسبب مواقفها التي كانت تساير الموقف الإيراني على حساب الهموم العربية الناشئة عن تعنت الحكم الإيراني وعناده. ونقول إنهم ساعدوها لأن هذه الحكومة صمدت بفضل هذه المساعدات، خصوصاً أن الذين ساعدوا أرسلوا الطائرات إلى الحكومة لكي تتولى هي توزيع المساعدات ولم يرسلوا إلى جمعيات داخل السودان. ولو أن هذه المساعدات لم تصل لكانت الحكومة عجزت عن أن تصمد ولكان الشارع السوداني لن يلوم الدول العربية، وإنما كان سيقول إن

هذه الدول لم تساعد بسبب سياسة الحكومة السودانية. وأغلب الظن أن الحكومة السودانية إطمأنت إلى هذه النقطة، بمعنى أنها أدركت سلفاً أن الدول العربية لا بد أن تساعد ومن أجل ذلك تصرفت وهي مرتاحة. ولكن ماذا بعد الآن؟

لقد حدّث الفيضان. وجاءت المساعدات من الدول التي من حقها ألا تساعد، أو تساعد إنما بطريقة غير مباشرة وليس عن طريق الحكومة ونعني بها مصر والسعودية والعراق.

وهذه المساعدات أنقذت ألوف المواطنين السودانيين، ولكنها أنقذت في الوقت نفسه الحكومة السودانية. ويبقى على هذه الحكومة أن تزد على ذلك بإعادة نظر أساسية في أسلوب تعاملها في الشأن العربي وفي أسلوب تعاملها مع كل من مصر والسعودية والعراق... هذا إلا إذا كان الأوان قد فات ولم يعد ذلك ممكناً. وفي هذه الحال تكون تجربة الأحزاب فشلت للمرة الثانية، ويصبح بالتالي لا بد من صيغة جديدة تأخذ في الإعتبار أن محاولة تغيير دور السودان بحيث يكون بوابة تصدير الثورة الإيرانية إلى أفريقيا كانت مجرد مغامرة غير عاقلة، وأن السودان كان وسيبقى بوابة العرب إلى أفريقيا.

... وعلى أساس هذه النظرة تعاملت الدول العربية، وفي الدرجة الأولى مصر والسعودية والعراق، مع السودان عندما غضب النيل وفاض وأشاع الخوف في نفوس السودانيين الطيبين.

وتكراراً إن هذا التعامل كان من أجل السودان وتعاطفاً مع السودانيين وليس تعاطفاً مع الحكومة التي يترأسها الصادق المهدي، أو إنصافاً مع بعض هذه الحكومة.

مجلة "التضامن". لندن - 5 أيلول (سبتمبر) 1988

* * *

حل عقدة شط العرب

على ضفاف بحيرة جنيف

لو أن أعضاء الوفد الإيراني الذين أتوا إلى جنيف للمشاركة في المحادثات المباشرة مع الوفد العراقي بحضور الأمين العام للأمم المتحدة غادروا غرفهم وغادروا الشرنقة

التي وضعوا أنفسهم فيها وتأملوا في بحيرة جنيف الهادئة ونعمة السلام التي حظيت بها سويسرا... لو أن هؤلاء فعلوا ذلك ما كانوا يتصرفون في جنيف، وكما لو أنهم هم الذين كسبوا الحرب ويريدون أن يعاندوا وهم في قصر الأمم كما كانوا يعاندون وهم بين قم وطهران.

ولو أن هؤلاء إعتبروا أن القرار 598 إنما وافقوا عليه بعد نصيحة دولية، أو فلنقل "نصيحة إستكبارية" وبعد عمليات تحرير للأرض لا مثيل لبراعة الذين قادوها وشجاعة الذين نفذوها، لما كانوا يثيرون في قصر الأمم في جنيف أموراً تؤخر حسم قضية السلام من دون أن تهدد بإندلاع الحرب من جديد..

لقد بدأت المحادثات المباشرة يوم الخميس 25 آب (أغسطس) 1988 وسط طقوس باردة. ولاحظ رجال الصحافة والتلفزيون وكذلك السويسريون الذين يتابعون من خلال أجهزة التلفزيون أن الوفد الإيراني يشترك في المحادثات وكأنه أتى للمشاركة في محنة، وليس البحث عن إيجاد حل للسلام العادل والشامل والدائم.. فالوجه الإيراني عابسة والقسمات هي قسمات وجوه منزعة، لأن السلام سينشر ربوعه في المنطقة.. والتصرفات هي تصرفات مسؤولين يتطيرون من سماع نداءات السلام. وفي إحدى ردهات قصر الأمم كنتُ مع مجموعة من الإعلاميين وبعض الأصدقاء العاملين في البعثات الدبلوماسية لدى المقر الأوروبي للأمم المتحدة، نتذكر حول فنان قهوة سويسرية رائع المذاق بعض مؤتمرات القمة العربية وكيف كانت محادثات الكواليس تحسم أي خلاف وتُحقق نتائج معقولة في اللحظة الأخيرة. وكنا في الوقت نفسه نتساءل:

هل إن غياب مشاورات الكواليس عن المحادثات العراقية - الإيرانية هو السبب في أن هذه المحادثات تتحرك حتى الآن دون سرعة السلحفاة؟

وبالنسبة إلى هذه المحادثات فإن غياب التشاور الذي يتم وراء الكواليس سببه أن الطرف الذي يرفع هذه المحادثات هو الأمين العام للأمم المتحدة وليس الدول الكبرى، التي كان يمكن أن تتدخل في اللحظات الصعبة ويثمر تدخلها مع هذا الطرف أو ذاك...

لقد بدأت المحادثات بعد جو بارد ساد جنيف. ولمجرد أن عقد الجانبان اجتماعين حدّث تبدّل في الجو حيث إنحسر البرد ليحل الدفء محله. ولقد إستبشرنا خيراً عندما رافقت الحرارة في وقت لاحق أمطار غزيرة.. ثم ما لبثت

أن جاءت الأيام المشمسة في وقت كان الأمين العام يبذل يوم الإثنين (29 آب/ أغسطس 1988) مسعى قال بعض المتصلين به أنه قد يكون مثمراً. وعزز هذا الاعتقاد أن رئيس الوفد العراقي طارق عزيز قال إنه باقٍ طويلاً في جنيف وإن إختيار الرئيس صدام حسين للدكتور سعدون حمادي ليكون وزير دولة للشؤون الخارجية معناه أن الرئيس صدام يريد لي - أي لطارق عزيز - أن أبقى بتصرف الأمين العام". ويبدو وزير الخارجية العراقي بهذا القول كمن يعبر عن إستعداده لكي يكون واسع الصدر، وعلى إستعداد لتحمل مفاصلة الوفد الإيراني ومعاذته، خصوصاً أن هذا الوفد برأسين (صادق خلخالي وعلي أكبر ولايتي).. كذلك إنه يبدو كمن يقطع الطريق على الجانب الإيراني إذا كان يخطط لتجسير الموقف ومقاطعة محادثات جنيف.

المسألة الأساسية التي دار الأخذ والرد في شأنها في الأسبوع الأول من المحادثات والذي لم ينته بعد (حتى كتابة هذا الموضوع يوم الثلاثاء 30 آب/ أغسطس 1988) تتعلق بشط العرب حيث يرى الجانب العراقي - من أجل تثبيت دعائم السلام - أن هذا الشط هو بالكامل تحت السيادة العراقية مع تمتع إيران بحرية الملاحة فيه، بينما تريد إيران أن تكون وضعية الشط كما تم تحديدها في إتفاقية الجزائر... ومثل هذا الأمر كان يمكن أن يكون موضع مناقشة لو أن إيران الثورة لم تفرض الحرب على العراق ووضعت له لمدة ثماني سنوات من دون مُنفذ على العالم، وجعلت من شط العرب سلاحاً تحاول به عزل العراق عن العالم.

وتبقى بعض الملاحظات:

أولاً - إن الوفدين العراقي والإيراني لم يتبادلا حتى كتابة هذا الموضوع (1988/8/30) إبتسامة واحدة، يقابل ذلك نظرات يعلم الله ماذا تخفي وراءها.

ثانياً - إن الأمين العام للأمم المتحدة كان حتى إنقضاء الأيام الأولى من المحادثات المباشرة يمارس عملية إطفاء للمشاعر غير الودية على الإطلاق بين الوفدين.

ثالثاً - إن إجراءات الأمن السويسرية في غاية البقظة والتتبع الشديد بدءاً من مطار جنيف وإنهاءً بقصر الأمم، المقر الأوروبي للأمم المتحدة، إنما من دون أن يلاحظ ذلك أحد بسهولة. ولم تُتخذ مثل هذه الإجراءات إلا عندما التقى الرئيسان ريغان وغورباتشوف.

وحول هذه الإجراءات يجوز التساؤل: إذا كانت تلك

... والمعلومات التي تتردد في بعض ردهات فندق الأنتركوننتنتال - جنيف، حيث يحل "العقل المدبر" للوفد الإيراني صادق خلخالي، الذي هو أحد خمسة فقط من رجال الحُكم في إيران يستطيعون رؤية الخميني ساعة يشاءون... إن تلك المعلومات التي تتردد في ردهات ذلك الفندق هي أن الخميني الذي لم يظهر على الناس في الأول من محرم قد يكون من الصعب ظهوره بعد الآن، وإن الموافقة على القرار 598 مرتبطة بـ "تصحية إستكبارية ضاغطة" من جهة وبمعلومات شبه مؤكدة حول حالته الصحية، تشير طبياً لتشخيص أطباء أجانب كشفوا عليه، إلى أن العد التنازلي لحياة الرجل قد بدأ قبل قليل من الموافقة الإيرانية على القرار 598... علماً بأن هؤلاء الأطباء لا يأخذون بحقيقة تستند إلى الإيمان وهي أن الأعمار بيد الله.

والمعلومات التي تتردد في بعض ردهات فندق الأنتركوننتنتال - جنيف تمتاز بروائح البخور الخليجي التي تعبق في أجواء هذا الفندق وفي أجواء معظم الفنادق الفخمة المنتشرة على ضفاف بحيرة جنيف.. ذلك أن الصُدف شاءت أن تبدأ المحادثات العراقية - الإيرانية المباشرة في ذروة الحضور الخليجي السياحي في جنيف، التي يتكلم الجميع فيها همساً، بإستثناء بعض العرب المقبول صوتهم العالي على مضض نتيجة أن لأموالهم مساهمة ملحوظة في إزدهار سويسرا وقوة مصارفها.

وقبل أن تلوح في الأفق تباشير السلام بعد وقف إطلاق النار، كان الحضور الخليجي يأتي إلى جنيف مهموماً، لكنه الآن، كما يلاحظ المرء، في وضع أفضل حيث يبدو الإخوان على شيء من الإنسراح، وإن كانت ضاغت من العمر ثماني سنوات وتوقفت الودائع عند أرقام غير قابلة للزيادة.

مجلة "التضامن". لندن - 5 أيلول (سبتمبر) 1988

* * *

المبادرة المطلوبة من القذافي

هناك فرصة تاريخية متاحة الآن أكثر من أي زمن مضى للقضية الفلسطينية وهي فرصة الإنتقال من مرحلة التشتت إلى مرحلة أفضل يكون فيها للشعب الفلسطيني

هي الإجراءات لمناسبة إجتماع أهل الدبلوماسية، فما الذي سيحدث لو إجتمع الرئيس صدام حسين مع هاشمي رفسنجاني الأكثر قوة الآن في إيران؟

رابعاً - يبعث رؤساء البعثات العربية لدى المقر الأوروبي للأمم المتحدة بتقارير مفصلة عن الإجتماعات، ويبدلون جهوداً حثيثة لمعرفة ما يدور في الإجتماعات. وبإستمرار هنالك إتصالات هاتفية من بعض العواصم العربية تسأل، ويقول المتصلون: طمنونا أين صاروا. ولا يحظى السائلون بإجابات شافية.

خامساً - يدلي الأمن العام للأمم المتحدة بتصريحات تغلب عليها الحنكة الدبلوماسية، من دون أن يحجب الإيحاء بوجود خلافات. ويحيط مساعدا الأمين العام رئيسهم، أولاً بأول، بكل المحطات الصعبة في المحادثات. وفي معظم الأحيان يُجري ديكيوار مشاورات مع أطراف في نيويورك، وأحياناً تتصل به هذه الأطراف في جنيف.

أما المتحدث بإسم الأمين العام للأمم المتحدة، فإن التصريحات التي يدلي بها هي من نوع النشرات الطبية التي تصدر عادة عن الحالة الصحية الدقيقة لشخصية مرموقة وكثيرة الأهمية. والشخصية هنا هي السلام، الذي يتوقف مصيره على المحادثات الدائرة في جنيف، بحيث يتكرس كحالة دائمة ولا يكون هدنة طويلة تتبعها حرب أخرى بعد بضعة سنوات.

سادساً - إضافة إلى موضوع السيادة على شط العرب هنالك نقاط يواجه العراق من أجل حُسمها الكثير من المشقة، مثل تبادل الأسرى وإنسحاب القوات.

ويبقى أنه على رغم التكهانات بأن المحادثات ستطول بضعة أشهر، فإن إحتمال حدوث مفاجأة تتعلق بتحقيق إتفاق سريع ليست مستبعدة، ذلك أن من مصلحة الذين يتصارعون على السُلطة في إيران أن يتوصلوا إلى إتفاق قبل أن يرحل الخميني، مثلما أنه كان من مصلحتهم أن يتم وقف إطلاق النار وهو حي وبقوى منه.

وبالنسبة إلى العراق فإنه مثلما أن مصلحته كانت في وقف القتال والخميني على قيد الحياة بحيث لا يترك الأمر عالقاً ويبقى في نظر الإيرانيين "بطلاً لم يستسلم حتى اللحظة الأخيرة" فإن مصلحته بعدما تمت موافقة إيران على القرار 598 والخميني حي أن يتحقق الإتفاق وذلك كي لا يتوفى الخميني والإتفاق لم يحدث وتستمر المسألة عالقة ويأتي من يقول إن الخميني توفي من دون أن يستسلم لشروط العراق في المحادثات المباشرة.

كيان أو دولة أو حكومة مؤقتة.

والذي ساهم في ولادة هذه الفرصة هو المناخ الدولي العام، الذي بات أكثر ميلاً نحو الوضع المستقر والتبدل الجذري الذي طرأ على التفكير الفلسطيني في اتجاه الواقعية. وجاءت الإنتفاضة لتستقطب رأياً عاماً دولياً ما كان للقضية الفلسطينية أن تستقطبه من قبل.

وبسبب هذه الإنتفاضة بدأنا نرى شخصيات رسمية دولية تبدي تعاطفاً مع الشعب الفلسطيني، وبدأنا نلاحظ حدوث إنقسامات داخل حكومات، أو على وجه الدقة، إجراءات مفاجئة إستهدفت تقادي حدوث إنقسامات.

وما جرى بالنسبة إلى وزير الدولة البريطاني للشؤون الخارجية ديفيد ميللر دليل على ذلك، حيث إنه رمز للإنتفاضة الذي تعاطف مع الشعب الفلسطيني بسبب الإنتفاضة. وبعدما كشف عن تعاطفه باتت هنالك شخصيات رسمية أوروبية تبدي تعاطفها. بل إن وزير الخارجية في حكومة الظل البريطانية فعل ما فعله ديفيد ميللر، من دون أن يصيبه ما أصاب ميللر الذي فوجئ برئيسة الوزراء مارغريت تاتشر تنقله من منصبه في إجراء كان واضحاً كل الوضوح أنها إتخذته لتطويق الغضب الإسرائيلي على العاصفة التي أثارها ميللر عندما تعاطف مع الشعب الفلسطيني.

كذلك إننا بسبب هذه الإنتفاضة بدأنا نشاهد في محطات تلفزيون أميركا وأوروبا برامج ولقطات لمصلحة القضية الفلسطينية، وبدأنا أيضاً نلمس أثر هذه البرامج واللقطات عندما إمتلأت هذه المحطات بالأفلام التي يُظهرها اللوبي الصهيوني العالمي عندما يواجه أزمة ما وهي الأفلام التي تتعلق بالإضطهاد الذي عاناه اليهود من النازية، مع الأخذ في الاعتبار أن الصور التي عرضتها محطات التلفزيون الأوروبية والأميركية ألقت بعض الظلال على تلك الأفلام وبالذات اللقطة التي بدا فيها الجنود الإسرائيليون يكسرون بالحجارة مرفق أحد الفتية الفلسطينيين. وهي ألقت الظلال لأنها أظهرت أن الإضطهاد الإسرائيلي للفلسطينيين ونحن على أعتاب القرن الواحد والعشرين أشد وطأة من الإضطهاد النازي لليهود أيام الحُكم الهتلري.

وفي الصحافة العالمية بدأت تظهر كتابات وتحليلات وبيادر إنقسام في التفكير اليهودي بعدما حدثت إنقسامات فعلية في الصف اليهودي.

ونحن هنا لسنا في صدد عرض أمثلة وشواهد لأنها

كثيرة ولأنها ليست سرّاً. لكن الذي يعيننا هو أن الفرصة التاريخية متاحة أكثر من أي زمن مضى للقضية الفلسطينية، وخصوصاً بعدما أعلن الملك حسين فك الارتباط مع الضفة الغربية المحتلة وبذلك وضع القضية في أيدي أصحابها.

وفي الوقت الذي تكون الفرصة متاحة وبهذا الوضوح التام نجد الصف الفلسطيني في حالة من الإنقسام قد تتعكس آثاره على هذه الفرصة.

ولقد إستبشر الكثيرون خيراً بمناسبة ذكرى ثورة الفاتح من سبتمبر على أساس أن العقيد معمر القذافي هو الزعيم العربي الوحيد الذي تربطه أفضل العلاقات بكل قادة العمل الفلسطيني. فهو مع الإنتفاضة وله خطوط سالكة مع المستقلين وهو صاحب كلمة مسموعة داخل التيار الفلسطيني المتطرف، كما أن له دالة على أحمد جبريل وأبو موسى.. وفي الوقت نفسه إن مياه الجدول الليبي - الفلسطيني الشرعي صافية أكثر من أي وقت مضى بمعنى أن قادة "فتح" يريدون أطيب العلاقة معه.

ومثل هذه الموصفات تحتاج إلى ترجمة فورية وعملية بحيث إنه كان من المتوقع خلال تواجد قادة العمل الفلسطيني في طرابلس لمناسبة ذكرى الثورة الليبية أن يقوم العقيد القذافي بمبادرة تحقّق موقفاً فلسطينياً موحداً. ولكن الذي فاجأ الكثيرين هو أن العقيد القذافي تصرف بشكل محايد، الأمر الذي جعل اللقاء المطلوب لا يحدث.

ومثل هذا الأمر كان يمكن تقبّله لو أن المسألة مسألة مكان فقط، أي أن ليبيا هي الدولة العربية الوحيدة التي يمكن أن يتواجد على أرضها وفي وقت واحد كل قادة العمل الفلسطيني ببتناقضاتهم وتنوع وجهات النظر.

كذلك إن مثل هذا الأمر كان يمكن تقبّله لو أن دور العقيد القذافي هو مثل الدور الذي يمارسه الأمين العام للأمم المتحدة ديكوار في المفاوضات العراقية - الإيرانية المباشرة في جنيف.

لكن دور العقيد القذافي ليس كذلك. وقبل سنوات كان من الطبيعي أن ينحاز إلى تيار فلسطيني في وجه تيار آخر لكنه في توجّهه الجديد الذي تتقدم فيه "دولة القذافي" على "ثورة القذافي" مطالب بتوظيف الورقة التي بين يديه لمصلحة الإنتفاضة، وبالتالي لمصلحة الفرصة التاريخية المتاحة الآن أكثر من أي زمن مضى للقضية الفلسطينية. وهذه الورقة تتلخص في أن قادة العمل الفلسطيني قسماً: قسم على علاقة طيّبة جداً معه وقسم يسعى إلى

علاقة طيبة معه.

فهل تحدث المبادرة المطلوبة من العقيد معمر القذافي ما دام قادراً عليها؟

لعل وعسى نسمع بذلك قريباً، خصوصاً أن توحيد موقف قادة العمل الفلسطيني سيكون موضع ترحيب من كل الأنظمة العربية التي باتت ترى أن أعباء الحكومة الفلسطينية تبقى أكثر إطمئناناً لهذه الأنظمة من متاعب العمل الثوري الفلسطيني. بل إن هذه الأنظمة ترى أنه بعد ظهور بواكر السلام في منطقة الخليج وتوقف الحرب العراقية - الإيرانية لن تتحمل منغصات العمل الثوري الفلسطيني، لكنها على إستعداد لإعتبار أعباء الحكومة الفلسطينية جزءاً من بند إهتمامها بإعادة ترميم ما دمرته الحرب في أكثر من مجال.

وقبل دخول الثورة الليبية عامها العشرين كان العقيد القذافي غير مهتم بما يريح الأنظمة العربية لأنه كان يفضل التغريد خارج السرب، أما بعد إعادة النظر الأخيرة، التي لم تنته فصولها بعد، فإن العقيد القذافي بات يرى على الأرجح أن الجميع في الهمّ عرب... من المحيط إلى الخليج.

مجلة "التضامن". لندن - 12 أيلول (سبتمبر) 1988

* * *

ياسر عرفات الجديد

عندما يعلن ياسر عرفات من ستراسبورغ إستعداده لمفاوضات سلام مع إسرائيل في الأمم المتحدة أو في إحدى الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن، فإنه يؤكد بضع حقائق لعل أهمها على الإطلاق أن عرفات بات أكثر ميلاً إلى الحلول الواقعية وهي حالة لا يبدي رجل الثورة إستعداداً للأخذ بها إلا بعد أن يكون وصل إلى الإقتناع بأن المحاولات السياسية يجب أن تُعطى فرصتها، وبأن العالم العربي يعيش مرحلة قد تطول لبضع سنوات وتقوم على تغليب المفاهيم الواقعية على الأحلام الثورية.

وعندما تكون هذه حال العالم العربي وتكون القوات الكبريان، الإتحاد السوفياتي والولايات المتحدة، إتفقتا على أن يتعايشا بعد الآن على قاعدة صلبة من الوفاق، فإن رجل الثورة يصبح مطالباً أكثر من أي وقت آخر بإبداء

تفهّم للأوضاع الجديدة السائدة في محيطه وفي العالم الخارجي.

وصحيح أن خطوة عرفات التي تكتسب صفة المبادرة ليست جديدة وأن المستشارين مهّدوا لها في أكثر من مناسبة لعل أهمها مقالة بسام أبو شريف من جهة، ولقاء هاني الحسن وسعيد كمال مع الرئيس الأميركي السابق جيمي كارتر من جهة أخرى، إلا أن طرّحها بالطريقة التي طرّحها ياسر عرفات تبدو أمراً بالغ الأهمية.

وقبل هذه المبادرة كان يمكن الإفتراض بأن مقالات المستشارين وتصريحاتهم ولقاءاتهم لا تعكس بالضرورة رأي رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، لكن بعد المبادرة يجوز الإفتراض أن المستشارين كانوا يمهّدون للمبادرة بتكليف رسمي.

وقد يكون من السابق لأوانه الحكم على مسألة التوقيت بالنسبة إلى هذه المبادرة وهل إن طرّحها في الوقت الذي إقتربت معركة إنتخابات الرئاسة الأميركية من نهايتها أكثر جدوى من طرّحها في وقت آخر، إلا أن الأمر المؤكد هو أن المبادرة وضعت ياسر عرفات في مكانة جديدة وفي دور جديد، بمعنى أنه لن يعود بعد الآن إلى لغة التحرير والحل الذي ينبع من فوهة البندقية.. كما أن هامش التكتيك لن يعود رحباً مثلما كان من قبل.

وهذه الصورة الجديدة التي أطلّ بها ياسر عرفات على العالم من ستراسبورغ، وهي صورة رجل الزعامة الفلسطينية الذي يكمل الدور الذي بدأه رجل الثورة الفلسطينية، ستكون موضع ترحيب العالم وموضع إرتياح العرب. ومن المؤكد أن حجة أي أطراف دولية ستكون بعد مبادرة عرفات الأوروبية ضعيفة، ولن تستمر النغمة السائدة عن الإرهاب والإرهابي ما دام ياسر عرفات ينادي من ستراسبورغ بمفاوضات مع الإسرائيليين تستهدف الوصول إلى صيغة معقولة، وأن تتم هذه المفاوضات في الأمم المتحدة أو في إحدى الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن وهي الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي وبريطانيا وفرنسا والصين. ومن الطبيعي الإفتراض أنه عندما إقتراح أن تتم المفاوضات في إحدى الدول الخمس المشار إليها فإنه كان يقصد أميركا في الدرجة الأولى أو بريطانيا أو فرنسا. ولم يكن يقصد الإتحاد السوفياتي أو الصين على الإطلاق.

كذلك من المؤكد أن الإرتياح العربي سيكون شاملاً بما في ذلك الذين قد يظهرون العكس ويسجلون مواقف لفظية سينظر إليها الفلسطينيون بعد الآن على أنها تدخّل في

السياسي عن هدف الإنتفاضة، أو أن مبادرة عرفات في ستراسبورغ هي إذا جاز القول الأيديولوجية الواضحة المعالم للإنتفاضة.

وسيكون من الصعب على العالم تجاهل هذه الأيديولوجية.. ومن الصعب على أميركا في الدرجة الأولى. وعندما ستهتم أميركا ببدأ قطار الحل الفلسطيني رحلته التي نأمل أن تكون أقل طولاً من رحلة قطار الحل العراقي - الإيراني الذي كانت جنيف أقرب المحطات إلى المنطقة فإذا بقرار غير مبرر وغير مفهوم ينقل المفاوضات المباشرة إلى أبعد نقطة وهي نيويورك.

مجلة "التضامن". لندن - 26 أيلول (سبتمبر) 1988

* * *

سوار الذهب اللبناني

أنهى الرئيس اللبناني أمين الجميل الدقائق الأخيرة من ولايته يوم الخميس 22 أيلول (سبتمبر) 1988 بقرار من بضعة أسطر كلّف بموجبه قائد الجيش العماد ميشال عون بتشكيل حكومة، وبأمر قائد الجيش إلى تشكيل الحكومة من القادة العسكريين الكبار وفق الصيغة التقليدية بحيث تتمثل الطوائف اللبنانية في هذه الحكومة.

وكان في إستطاعة هذا القرار أن يشكّل طوق النجاة بالنسبة إلى اللبنانيين الذين أنهكتهم إلى درجة الإذلال الحرب القذرة الدائرة منذ ثلاث عشرة سنة لولا أن الضابط السني والضابط الشيعي والضابط الدرزي إعتذروا عن قبول المهمة إنسجاماً مع الموقف العام الذي تتخذه طوائفهم.

وفي العادة إن التربية العسكرية تقوم على أساس أن الأعلى يأمر الأدنى وأن الأدنى ينفّذ الأمر. لكن الذي حدث هو أن الضباط الثلاثة لم يعلنوا العصيان على القائد الأعلى لأن ما يمكن للواحد منهم رفضه كضابط يمكن له أن يرفضه كتكليف بمنصب وزاري. والعماد ميشال عون سمّاهم وزراء ولم يكلفهم بمهمة عسكرية أو بالأحرى بواجب عسكري.

ولو أن الضباط الثلاثة تجاوبوا مع التكليف وتصرفوا وكما لو أن الأمر الموكول إليهم هو أمر عسكري هدفه إنتشال لبنان من الهاوية، لكانوا ظهروا في عيون الشعب اللبناني كما لو أنهم أبطال. كذلك إنه لو أعلن العماد

شؤونهم الداخلية، وأنه مثلاً أن كل دولة عربية ترفض أن يتدخل آخرون في شؤونها فإن الفلسطينيين بعد مبادرة عرفات الأوروبية سينظرون إلى أي طرف عربي يعترض على المبادرة أو يتحفظ عليها على أنه تدخّل في الشؤون الداخلية الفلسطينية.

أما لماذا سيكون الإرتياح العربي شاملاً فلأن المبادرة التي سجلها عرفات في ستراسبورغ تتسجم مع نظرة أكثرية الأنظمة العربية للقضية الفلسطينية، فضلاً عن أن إلتزامات هذه الأنظمة نحو العمل الفلسطيني السياسي، كما طرح خطوطه العريضة وبكل الصراحة والوضوح ياسر عرفات الجديد في ستراسبورغ، تبقى أقل وطأة من الإلتزامات نحو العمل الفلسطيني الثوري وحتى ثورية عرفات نفسه التي يمكن الأخذ والرد معها.

والى ذلك إن الأنظمة العربية في ضوء مبادرة ياسر عرفات لن تشعر بالحرج بعد الآن عندما تتثير قضية فلسطين في المحادثات التي تجريها مع دول العالم. وفي الماضي كانت هذه الأنظمة تحتار في طريقة طرح القضية الفلسطينية خشية أن يحدث تقاطع بين طريقة طرحها وبين ما تريده القيادة الفلسطينية. أما بعد الآن ففي إستطاعة أي مسؤول عربي يُجري محادثات في هذه الدولة أو تلك أن يتحدث بطلاقة عن القضية الفلسطينية من زاوية ضرورة إجراء مفاوضات بهدف التعايش كما طرح الأمر في ستراسبورغ ياسر عرفات الجديد.

وصحيح أن المبادرة الأوروبية التي طرحها عرفات لم تأخذ حتى الآن فرصتها من قبل الإعلام الأجنبي. إلا أن ذلك يعود إلى أن وسائل الإعلام في الولايات المتحدة ومعظم الدول الأوروبية متأثرة بالقرار اليهودي إلى حد ما. ومن الواضح أن هذا القرار لم ينته بعد من تقويم مبادرة عرفات ولم يحدد أسلوب التعامل معها. وهذا ما حدث للإنتفاضة التي لقيت في البداية الكثير من التجاهل إلى أن أثبتت الإنتفاضة جديتها فبدأ الإعلام يهتم بها وبدأت تُحدث ثقباً في جدار الصهيونية.

ومن المؤكد أن ما أحدثته الإنتفاضة من إنقسامات داخل الرأي العام العالمي وداخل إسرائيل نفسها كان نتيجة أنها أكدت أهميتها. وبالنسبة إلى مبادرة عرفات سيحدث على الأرجح الشيء نفسه لها، خصوصاً إذا نحن أخذنا في الإعتبار أنه لولا الإنتفاضة لما كان للمبادرة أن تُطرح. ومثلاً أن الإنتفاضة هي التي أفرزت المبادرة، فإن مبادرة ستراسبورغ ستجعل الإنتفاضة تتواصل لأنها التعبير

ميشال عون منذ اللحظة الأولى لتكليفه بترؤس الحكومة أنه سيقوم هو وزملاؤه الضباط القياديون في الجيش اللبناني بالدور الذي قام به المشير عبد الرحمن سوار الذهب وزملاؤه الضباط القياديون في السودان لكان أحدث حالة تنبّه لبنانية وعربية ودولية.

ولكن الفرصة ما زالت سانحة لعدة أسباب، منها أن المجموعة العسكرية ذات ميول إستقلالية وهذا يجعل القبول العربي بها مضموناً، ومنها أن المجموعة العسكرية لم تسجل على نفسها تورطاً في لعبة أطراف الصراع غير اللبنانية وهذا يجعل الحكام العرب يشعرون بالإرتياح، ومنها أن المؤسسة العسكرية لها شأنها في معظم الدول العربية سواء بشكل مباشر أو غير مباشر وهذا يجعل التقاهم مع حكم يقوده عسكريون في لبنان ممكناً خصوصاً إذا تصرف هذا الحُكم على أساس أنه مؤقت أو أنه إنتقالي وأن العماد ميشال عون هو سوار الذهب اللبناني.

والى ذلك إن اللبنانيين ضمناً هم مع حُكم عسكري على أساس أن العسكريين بتكوينهم هم ضد الميليشيات وأنه ما دامت مشكلة لبنان في ظاهرة الميليشيات التي إستشرت وتحولت إلى مراكز قوة تحول دون تحقيق الحل لأنها في أي صيغة ستدفع الثمن، فإن مجيء العسكريين لفترة إنتقالية يتم خلالها إنهاء ظاهرة الميليشيات هو موضع الترحيب الضمني للبنانيين الذين يعانون من وطأة الحرب للعام الثالث عشر على التوالي.

لكن ذلك لا يعني أن اللبنانيين مع أي عسكريين يمسكون بزمام الأمور. إنهم مع عسكريين هدفهم تحقيق الخلاص وليس الوصول إلى الحُكم. ومن هنا القول إن العماد ميشال عون لو أوحى بأنه يرى في تجربة سوار الذهب أمثلة يُحتذى بها لكان إرتاح اللبنانيون والعرب إلى ذلك، ولكان بدا هو ورفاقه على أنهم فريق إنقاذ وربما كان رفاقه الضباط المسلمون الثلاثة أثروا البقاء إلى جانب قائدهم على الإعتذار. هذا مع الأخذ في الإعتبار أن العماد ميشال عون قد يكون مثل سوار الذهب بل وأكثر زهداً منه في الحُكم وأن تكليفه برئاسة الحكومة أمر يختلف عن المنصب الذي تولاه سوار الذهب. ومع الأخذ في الإعتبار أيضاً أن قائد الجيش اللبناني المعين في إطار شرعي رئيساً للحكومة قال في أول مؤتمر صحفي يوم السبت 24 أيلول (سبتمبر) 1988 بعد يومين من تكليفه بالمهمة كلاماً يتوافق مع ما نشير إليه ومع التوجه الذي بدأه وحافظ عليه حتى اللحظة الأخيرة المشير سوار

الذهب. وفي المؤتمر الصحفي قال العماد ميشال عون: "إن الهدف من حكومته هو تأمين إنتقال السُلطة بصورة سريعة وسليمة ومتجدة وتوفير الأمن لإنتخابات رئاسية حرة. ونحن نتعهد لشعبنا أننا لن نساوم على مصيره ولن نتركه في مهب الريح..."

واللافت للإنتباه أن التشكيك بالحكومة العسكرية التي يترأسها العماد ميشال عون أتى من الحكومة المدنية التي يترأسها الدكتور سليم الحص.. ومحور التشكيك هو مسألة الشرعية التي تحتل الأخذ والرد على أساس أن المطلوب في هذه المرحلة ليس شرعية لا قدرة لها على الحل وإنما شبه شرعية يؤمّل منها الحل.. واللبنانيون في أكثريةهم الساحقة مقتنعون بأن حكومة شبه شرعية وقادرة على الحل تبقى أفضل من حكومة شرعية ولا قدرة لها على شيء وتتقاذفها الميليشيات ومن وراء هذه الميليشيات كما لو أنها كرة وأن لبنان ملعب لمباراة لا تنتهي.

ويبقى أن المرء كان يتمنى لو يستطيع لبنان أن يحل أزمتة شبه المستعصية ويتم إنتخاب رئيس ترتضيه كل الأطراف.. أما وإن ولاية الرئيس أمين الجميل إنتهت وكرر الرئيس سابقة أقدم عليها في ظروف مماثلة الرئيس الأسبق الراحل بشارة الخوري عندما أوكل إلى قائد الجيش اللواء فؤاد شهاب مهمة تشكيل حكومة عسكرية، فإن ذلك يجب أن يكون موضع الإرتياح خصوصاً أن فؤاد شهاب عمل بما يعد العماد ميشال عون بأنه سيفعله وهو تأمين إنتقال السُلطة بصورة سريعة وسليمة ومتجدة.

وللتذكير فإنه بفضل إلتزام اللواء فؤاد شهاب بالمهمة التي أوكلها الشيخ بشارة الخوري إليه وتأمين إنتخاب الرئيس الأسبق الراحل كميل شمعون، فإن اللبنانيين إبتهجوا باللواء فؤاد شهاب عندما تسلّم الحُكم بعد شمعون، وكان عهده عهد رخاء وإستقرار.

وتكراراً إن الفرصة لم تنته. قد تبقى حكومة العماد ميشال عون وتحول إلى أمر واقع في مواجهة حكومة الدكتور سليم الحص، وربما لا تبقى. ولكن من المؤكد أنه كلما أكد قائد الجيش اللبناني التمسك بالتقاليد التي تمسك بها المشير سوار الذهب في السودان وجد إلتفافاً من الناس حوله كفيلاً بمواجهة إلتفاف الميليشيات ومن يقف وراءها عليه.

وليس أمامه إلا أن يتأمل ويتذكر، هذا مع الأخذ في الإعتبار أن سوار الذهب كان فترة إنتقالية بين حُكم يقوده عسكري وحُكم الأحزاب الذي تسلّم الحُكم بعدها، بينما

القضايا العربية. وسُجله حافل بالتحفظات وبالتوصيات التي لها صفة المعاقبة والقرارات التي تمنع حصول هذه الدولة العربية أو تلك على صفقة سلاح من الولايات المتحدة.

ولو كانت لمجلس الشيوخ الأميركي بعض المواقف الودية تجاه القضايا العربية لجاز الأخذ في الاعتبار أن هذا المجلس منحاز إلى الحقيقة أو أنه يميل نحو التوازن في أحكامه السياسية.

هذا هو مجلس الشيوخ الأميركي الذي يتخذ موقفاً بالغ السوء، في الوقت الذي يطالب الرأي العام العربي للولايات المتحدة بمواقف أكثر حسماً من أجل حل واقعي للقضية الفلسطينية وحل أكثر واقعية للحرب العراقية - الإيرانية والوضع في لبنان.

وهذا الموقف سيء لأنه لا يخدم قضية السلام بين العراق وإيران ولا يساعد على إيجاد الحل الواقعي للقضية الفلسطينية ولا إيجاد الحل الواقعي الآخر للوضع في لبنان. والقول بأنه لا يخدم قضية السلام يستند إلى أنه في ضوء الانتصار العسكري في الحرب الذي حققه العراق فإن الرئيس صدام حسين بات، لعدة إعتبارات موضوعية، مطالباً بدور جديد يتعاطى من خلاله ببعض المشاكل والقضايا العربية العالقة. وفي السنوات الثماني الماضية كانت مشاغل الحرب وشراسة الهجمة التي واجهها العراق تحول دون إعطاء هذه المشاكل والقضايا الإهتمام المطلوب. أما بعدما تم الاتفاق على وقف إطلاق النار وبدأت المفاوضات المباشرة فإن دور العراق مع القضايا والمشاكل العالقة سيكون أكثر حيوية وبما يساعد على إيجاد حلول لتلك القضايا وبالذات القضية الفلسطينية في ضوء الإنتفاضة والقدرة على إبقائها مستمرة والقضية اللبنانية في ضوء الأثر الذي تركه خروج العراق منتصراً في الحرب على ميزان القوى وطبيعة الصراع في الساحة اللبنانية.

ويبدو أنه من أجل عدم إتاحة الفرصة أمام الدور العراقي الجديد المستند إلى إنتصار عسكري فاجأ الدول الكبرى وإسرائيل وأوجد حالة من الطمأنينة في النفسية العربية، كان لا بد من الإبقاء على العراق مشغولاً بأموره وكان لا بد من فتح جبهة جديدة عليه، فكانت حملة التشهير به والتلويح بـ "الورقة الكردية". وعندما نتأمل في الأسلوب الذي إعتد به مجلس الشيوخ الأميركي تحت وطأة اللوبي المتعاطف مع إسرائيل داخل المجلس يتبين لنا أن

الفترة الإنتقالية في لبنان هي بين عهد الميليشيات وعهد تستعيد فيه الشرعية هيبتها ودورها وبالذات شرعية المؤسسة العسكرية التي تبعثر لبنان بعدما تعرضت هذه المؤسسة إلى التمزيق. ومنذ ذلك الحين والمعركة الخفية تدور حول هذه المسألة... مسألة عدم تمكين الجيش اللبناني من أن يستعيد عافيته ووحدته وينهض بلبنان.

وعندما تعترض الميليشيات ومن وراءها على حكومة يترأسها قائد الجيش فمن أجل ألا يحدث النهوض ولأنها ترى أن ما حدث هو أن قائد الجيش أصبح رئيساً للبلاد... إنما بمنصب رئيس وزراء.

مجلة "التضامن". لندن - 3 تشرين الأول (أكتوبر) 1988

* * *

مجلس المواقف غير الودية للعرب

قبل أيام وافق مجلس الشيوخ الأميركي على فرض عقوبات إقتصادية على العراق بحجة أن العراق إستعمل أسلحة كيميائية ضد متمردين من الأكراد. وهذه ليست المرة الأولى التي تصدر فيها عن المجلس مواقف ليست لمصلحة العرب. ذلك أن تاريخ المجلس حافل بكل ما من شأنه أن يلحق الضرر بالعرب. بل إن اللوبي المتعاطف مع إسرائيل داخل المجلس يرصد أي محاولة لتصحيح مسار العلاقات الأميركية - العربية التي تحتاج إلى تصحيح لكثرة ما إختلطت فيها الأمور بحيث لم يعد من الممكن معرفة ما إذا كانت سياسة مجلس الشيوخ الأميركي إزاء منطقة الشرق الأوسط تقوم على قاعدة إبقاء العلاقات دائمة التوتر بين العرب والإدارة الأميركية.

ولسنا هنا في معرض التذكير بمواقف وشواهد على الأسلوب الذي يتبعه مجلس الشيوخ الأميركي. فهو مجلس منحاز وهو لا يكن أي مشاعر ود تجاه القضايا العربية. والدليل على ذلك هو أنه ليس في تاريخ هذا المجلس موقف واحد منصف للعرب، ونقول ذلك على أساس أن الرعاية التي أحاط بها المجلس الرئيس (الراحل) أنور السادات في بعض المراحل لم تكن تكريماً لمصلحة عربية يمثّلها السادات وإنما كانت مكافأة لدور قام به الرئيس المصري الراحل وإستفادت منه إسرائيل في الدرجة الأولى. ولا يتذكر المرء موقفاً ودياً واحداً من هذا المجلس تجاه

ما حدث لم يكن حملة وإنما هو عدوان لن تكون آثاره طيبة على مسيرة العلاقات العراقية - الأميركية التي لم تغادر في الأصل غرفة العناية الفائقة التي ترقد فيها منذ ثلاث سنوات نتيجة استمرار المراهنة الأميركية على إيران، علماً بأن المراهنين تراجعوا إلى حد ما بعد أن حسم الرئيس صدام حسين عنصر التفوق لمصلحة العراق ووضع الحُكم الإيراني أمام الخيار الذي لا بد منه وهو وقف إطلاق النار والتوصل إلى إتفاق عبر المفاوضات المباشرة.

والى ذلك إن هذه الإنتكاسة في العلاقة العراقية - الأميركية تبدو في بعض جوانبها نجدة من جانب اللوبي الكاره للعرب وقضاياهم داخل مجلس الشيوخ الأمريكي لإيران على أمل أن تحقق في السلم ما خسرت في الحرب. أما لماذا هي نجدة فلأن موقف مجلس الشيوخ الأمريكي سيحدث بعض البلبلة بحيث تتردد قطاعات عريضة من الإيرانيين داخل إيران في الضغط على الحُكم على أساس أن مجلس الشيوخ في الدولة الكبرى (الولايات المتحدة) يقف بالإجراء الذي إتخذه ضد العراق مع الحُكم الإيراني، وأنه ما دام الأمر كذلك فمن الأفضل الصبر قليلاً على هذا الحُكم. كما أنها نجدة لأن موقف مجلس الشيوخ الأمريكي سيجعل المفاوضات الإيراني في جنيف، والمحاصر بموقف عراقي موضوعي ومنطقي، أكثر جنوباً نحو المعاندة ورفض الصيغ التي تحقق الحل المتوازن، وكل ذلك بهدف أن تحدث هدنة عراقية - إيرانية طويلة بدلاً من حل دائم وشامل.

ويبقى أن موقف مجلس الشيوخ الأمريكي يحدث في وقت لا يتحمل المواطن العربي في العراق وخارج العراق أي محاولة تشويش للأثر الطيب الذي تركه الإنتصار العراقي في النفسية العربية. ومن أجل ذلك فإنه موقف موجّه إلى كل الأطراف التي ساندت العراق في الحرب المفروضة عليه.

وفي إستطاعة السفارة الأميركية الجديدة في العراق التي قدمت أوراق إعتمادها قبل أيام أن تنقل إلى حكومتها صورة عن الأثر السيء الذي أحدثه في العراق الموقف الذي إتخذه مجلس الشيوخ الأمريكي. وقد توضح السفارة التي ستجد في العراق كم أن شأن المرأة أساسي جداً وكان عنصراً مهماً من عناصر اجتياز سنوات الحرب بإطمئنان... أنها قد توضح لحكومتها أن موقف مجلس الشيوخ هو في بعض جوانبه مثل الموقف الذي إتخذه حُكم رجال الدين منذ اليوم الأول لتسلّمهم السلطة في إيران،

وهو يقوم على التدخل في الشؤون الداخلية للعراق... ونتيجة لهذا التدخل حدثت حرب تميزت بشراسة لا مثيل لها. وبسبب إصرار الحُكم الإيراني على التدخل فإن المفاوضات المباشرة تراوح مكانها بينما المطلوب أن تنطلق ويسود السلام في المنطقة.

وكيف ستتطلق إذا كانت أهم أدوات الضغط في الولايات المتحدة تعمل في الإتجاه المعاكس وبما يرضي إسرائيل ويطمئنها، وفي الوقت نفسه يحول دون أن يمارس العراق دوره إزاء قضايا عربية عالقة مثل القضية الفلسطينية في ضوء الإنتفاضة وقضية الحرب في لبنان.

مجلة "التضامن". لندن - 10 تشرين الأول (أكتوبر) 1988

* * *

يوغسلافيا مهمومة وبغداد جاهزة

هنالك تصدعات في ركن أساسي من أركان حركة عدم الإنحياز، وهو يوغسلافيا التي تواجه مشاكل إقتصادية خطيرة، لا يبدو أنه سيكون من السهل مواجهتها في ظل الحزب الذي يقود، وهو رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف، خصوصاً أن هذا الحزب لم يتطور منذ سنوات وبقي أسير قوالب جامدة.

وبسبب هذه المشاكل تشهد عواصم الجمهوريات اليوغوسلافية تظاهرات يومية، أو شبه يومية، ويكاد منظر المتظاهرين يبدو مألوفاً لمن يزور هذه العواصم. ولولا حرية النقد الممنوحة للصحف كي يعبر أصحاب الشكاوى عن شكواهم، ويعبر الذين يعانون عن معاناتهم، لكان حدث في يوغسلافيا ما هو أسوأ من التظاهرات. بل قد يجوز القول إنه لولا النقد المسموح به والذي يساهم في تبريد مشاعر الناس، وضيقهم من الأحوال الإقتصادية الخائفة لكان حدث في يوغسلافيا ما حدث قبل أيام في الجزائر، الركن الأساسي الآخر في حركة عدم الإنحياز.

واللافت للإنتباه أن هذه التصدعات تأتي قبل بضعة أشهر من إنعقاد الدورة المقبلة لقمة عدم الإنحياز في أيلول (سبتمبر) 1989 وتواجهها الدولة، التي تتراش الحركة التي يؤمل منها أن تلعب دوراً مهماً في الصراع الدولي من أجل تثبيت السلام في المنطقة وترسيخ أسس الوفاق الدولي الذي تم التوصل إليه في أعقاب إجتماعات القمم الأميركية

- السوفييتية.

وفي ظل الصيغة الحالية للحُكم في يوغسلافيا لا يبدو أن هنالك إمكانية في أن يجتاز هذا الركن الأساسي والتاريخي في حركة عدم الإنحياز الأزمة الاقتصادية الخانقة التي تنعكس على هيبة الحُكم وسمعته.. أما لماذا ليس هنالك إمكانية، فلأن صيغة مجلس الرئاسة بحيث يكون هنالك رئيس لمدة سنة من بين أعضاء المجلس هي صيغة تُحقق التراضي لكنها لا تُحقق الاستقرار، خصوصاً أن هذه الصيغة تأتي بعد فترة مزدهرة كان فيها المارشال تيتو (الذي ابتكر الصيغة) الحاكم الوحيد لكنه استطاع بالزعامة التي حققها أن يبقي بلاده في منأى عن التصدع ويعمّق الإنطباع عن يوغسلافيا بأنها بلد من دون مشاكل. ونحن هنا لسنا في معرض مناقشة صيغة الحُكم، وأهمية الزعامة في حكم بلد بحجم يوغسلافيا، ولا مناقشة عدم قدرة الحزب على إنقاذ البلد من الوضع الاقتصادي المتردي فيه، وإنما معالجة أمر القمة المقبلة لدول حركة عدم الإنحياز. ذلك أن العالم الثالث وبالذات الدول العربية والإسلامية التي تشكّل المجموعة الأساسية بين أعضاء هذه الحركة تحتاج إلى دور أكثر فعالية لهذه الحركة لأن الوفاق الأميركي - السوفييتي لا يلغي دور دول عدم الإنحياز ولا يعني أن سياسات الدول الأعضاء في العالم الثالث يجب أن تنوب في بحر الوفاق الدولي المشار إليه، خصوصاً أن هذا الوفاق ربما يتعثر ذات يوم. وما هو متوافر من معلومات يشير إلى أن الوضع السياسي العام السائد في يوغسلافيا لا يوحي بالاستقرار، ولا يؤكد أن شأن هذا الركن الأساسي في حركة عدم الإنحياز كبير إلى درجة أن يكون انعقاد الدورة المقبلة في يوغسلافيا فعالاً. فالإرتباك سائد. والضعف يتزايد في بنية الحُكم. ولم يعد الدور كما كان من قُبل.

وإلى ذلك أن يوغسلافيا لا تبدو مهتمة بأمر إستضافة الدورة المقبلة لحركة عدم الإنحياز. وتديلاً على عدم الإهتمام هو أنها تبحث عن مبلغ خمسة ملايين دولار لكي تتفق منه على المؤتمر.

وعندما تصل الأمور إلى هذا الحد فإنه يصبح من الطبيعي البحث عن مكان آخر تتعقد فيه القمة المقبلة لحركة عدم الإنحياز.

ونجد أنفسنا هنا نتساءل: لماذا لا يتم التفاهم على انعقاد هذه القمة في بغداد؟

لهذا التساؤل أسبابه. فالعراق في وُضع مستقر. وفي

العراق زعامة قوية تعيد إلى الأذهان صورة زعامات الستينات أمثال تيتو، نهرو، سوكارنو، عبد الناصر، وبومدين.. ومن شأن عقد قمة يترأسها صدام حسين الخارج قوياً ومعافى من الحرب أن يشكّل دعماً ضرورياً لتوجهات السلام في المنطقة..

والأهم من هذا كله إن للعراق في ذمة حركة عدم الإنحياز قمة لم تتعقد فيه عام 1982 بحجة أجواء الحرب ونتيجة لضغوط لا مثيل لها في السر والعلن من إيران. وكان العراق عام ذاك مستعداً كل الإستعداد لتلك القمة وبنى لها القصر المناسب للإجتماعات والمقر المدروس لسكن الوفود.

ومثلما تم التفاهم في حينه على عدم عقد القمة في بغداد فإن من الممكن التفاهم على عقدها في سبتمبر (أيلول) 1989 في بغداد.

وأغلب الظن أن يوغسلافيا المشغولة بهمومها الداخلية إلى أبعد الحدود لن تعارض من يقترح عليها هذه الفكرة، خصوصاً أنه ليس لديها خمسة ملايين دولار تتفقهها على المؤتمر، أو أنها تفضل إذا توافر لها هذا المبلغ قرضاً أو تبرعاً أن تتفقه على بعض المتطلبات التموينية.

وتبقى الإشارة إلى أنه مثلما أن عدم عقد القمة عام 1982 في بغداد كان خطأ فادحاً، لأن عدم عقدها لم يحقق أية مكاسب لحركة عدم الإنحياز، فإن عقدها العام المقبل في دولة غير مهيأة لهذه القمة سيأخذ من بقايا وهج هذه الحركة. أما عقدها في بغداد، إذا بادر أحد الأطراف إلى طرح الفكرة والسعي إليها، فإنه يساعد على تحقيق سلام الخليج، ويساعد على أمر أكثر أهمية وهو أن حركة عدم الإنحياز سوف تستعيد أمجادها القديمة...

أمجاد بريوني وباندونغ ونيودلهي.
هل من مبادر؟

مجلة "التضامن". لندن - 17 تشرين الأول (أكتوبر) 1988

* * *

الكوكاكولا... ليست أكثر وطنية

من نجيب محفوظ

لو أن الروائي المصري الكبير نجيب محفوظ نال جائزة

نوبل قبل 1978 لكانت الأمة العربية تعيش الآن فرحة لا مثيل لها... بل وكان هنالك فرح حقيقي في كل بيت عربي.

ونحن عندما نقول ذلك فعلى أساس أن نجيب محفوظ ليس للذين يقرأون وإنما هو أيضاً معروف من الذين لا يقرأون، أي أنه للمتعلمين الذين قرأوا رواياته وقصصه طوال خمسين سنة من العطاء، وكذلك للذين شاهدوا بعض هذه الروايات والقصص في أفلام سينمائية.

ولكن الفرح العربي بحصول نجيب محفوظ على هذه الجائزة الدولية الكبرى ليس شاملاً، وليس كما يجب، وهذا سببه أن الروائي الكبير باغت جمهوره الكبير الموجود حيث هنالك مكتبات وكتب ومجلات وصحف بموقف من الصراع العربي - الإسرائيلي قد يجوز الافتراض أن الذين يجلسون على مقاعد الحكم يحتاجون إليه للمناورة وليس كخط إستراتيجي كما فعل الرئيس (الراحل) أنور السادات، لكن من المؤكد أن الذين آثروا الحياة البسيطة ولا يرتاحون على غير كرسي أكثر بساطة في بعض المقاهي البسيطة في القاهرة، مثل نجيب محفوظ، لا يحتاجون على الإطلاق إلى مثل هذا الموقف.

وحتى الآن ليس واضحاً لماذا اتخذ نجيب محفوظ ذلك الموقف، ولماذا بدأ يساير أبطال رواياته الذين لا يخوضون غمار القضية الوطنية بعدما كان منحازاً إلى أبطال رواياته الأولى حيث القضية الوطنية، هي كل شيء..

هل هي خيبات الأمل؟

هل هي السن المتقدمة؟

هل هو الخوف من أن يفقد المصداقية أمام جمهوره؟

أم هل هي مجرد مواكبة لمرحلة كامب ديفيد حيث كانت، عندما بدأها الرئيس (الراحل)، تجذب الأنظار... أنظار المصريين في الدرجة الأولى، إلى أحلام السلام وتضع المشاعر... مشاعر المصريين في الدرجة الأولى، في أجواء البهجة والرفاهية؟

إنها قد تكون كل هذه الأسباب معاً أو تكون هنالك أسباب أخرى مضافة إليها جعلت نجيب محفوظ أحد الذين يروجون لسياسة كامب ديفيد ويولد بموقفه هذا صدمات وأحزاناً دفينية في النفوس العربية من المحيط إلى الخليج.

ومن هنا فإن هذا الإستقبال العربي الناهت إلى حد ما لحصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل له ما يبرره، بمعنى أنه إذا كان جمهور نجيب محفوظ من المحيط إلى الخليج لم يسجل حالة إبتهاج عفوية بالتكريم الذي حصل

عليه الروائي الكبير فلأن مشاعر خيبة الأمل في نفوس هذا الجمهور من أديبهم الكبير ما زالت قائمة بعد تلك المواقف التي سجلها من الصراع العربي - الإسرائيلي وأراد من خلالها أن يساند موقف الرئيس (الراحل) أنور السادات في وقت كان المطلوب من نجيب محفوظ وغيره أن يقولوا لرئيسهم: ما هذا الذي تفعله بمصر وأي سلام هو هذا السلام الذي تصنعه؟

ولو أن لجنة نوبل قررت منح الجائزة لنجيب محفوظ في العام التالي لعقد إتفاقية كامب ديفيد أو بعد عامين من إبرام هذه الإتفاقية لكان الأمر سيبدو محرراً جداً. لكن الجائزة تُمنح له بعدما إختللت المواقف بشكل لا مثيل له، أو بشكل باتت معه إتفاقية كامب ديفيد حلقة من سلسلة حلقات يصعب فيها التمييز بين الموقف الذي إتخذه نجيب محفوظ عندما إندفع في تأييد سياسة كامب ديفيد، وبين مواقف عربية وفلسطينية راهنة.

لقد حصل نجيب محفوظ على جائزة كثر الأخذ والرد في شأن القواعد المعتمدة في منحها. وحصل عليها من يستحقها الآن ومن قبل عشرين سنة..

وفي العادة إن أسباب منح الجائزة لا تعلن إلا بعد خمسين سنة.. وهذه الأسباب كانت تعنينا لو أن الذي نال الجائزة كان كاتباً عادياً وليس قمة في الفن الروائي والقصصي وقمة في العطاء.

وسواء كان منح الجائزة لسبب سياسي أو لتشجيع الإتجاه السلمي في المنطقة، فإن من المؤكد أن الغرب إكتشف بعد تزايد حركة ترجمة الأعمال الأدبية العربية ذات الشأن إلى اللغات الأجنبية أن هنالك في العالم العربي من هم في مستوى الذين سبق أن حصلوا على الجائزة من قبل، وأنه على هذا الأساس جرى إختيار نجيب محفوظ للحصول على الجائزة الدولية الكبرى.

وبقدر ما إننا سعداء بحصول نجيب محفوظ على هذه الجائزة الدولية، والتي تتزامن مع السعي الحثيث للمؤتمر الدولي الذي سيحسم أمر الصراع العربي - الإسرائيلي، فإننا بالقدر نفسه نتمنى على أديبنا الكبير إشعار جمهوره العربي العريض بأنه ملك هذا الجمهور... وهذا يتطلب منه إعادة نظر نسبية في الموقف الترويجي لكامب ديفيد والذي إتخذه فأدعى بذلك كبرياء جمهوره العربي العريض.

والى أن يحدث ذلك فإننا نأمل أن يتم إسقاط اسم نجيب محفوظ من لائحة قرارات المقاطعة، خصوصاً أن الواقعية التي بات العمل السياسي العربي يتسم بها توجب

ذلك، فضلاً عن أن الكوكاكولا التي تم رفع الحظر عنها من قبل مكتب المقاطعة ليست أكثر وطنية من نجيب محفوظ.

مجلة "التضامن". لندن - 24 تشرين الأول (أكتوبر) 1988

* * *

1989... سنة عدم التدخل

يوماً بعد آخر يسجل التحرك السياسي العربي خطوة جديدة.

فهذا خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز يواجه بوقف الحملات الإعلامية على إيران إنسجاماً مع دعوة سابقة إلى إعلام إسلامي يقوم على التسامح.

وهذا الرئيس صدام حسين يوفد مبعوثين إلى عدد من دول العالم حاملين رسائل منه إلى رؤساء هذه الدول.

وهذا السودان يقترح عقد قمة عربية إستثنائية لبحث الوضع في لبنان.

وهذا الرئيس حسني مبارك يصل فجأة إلى العقبة ومعه ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ويعقدان مع الملك حسين قمة هدفها تنشيط الحوار الأردني - الفلسطيني، بحيث لا ينعقد المجلس الوطني الفلسطيني بعد أيام وفي سماء العلاقات بين الطرفين غيوم ثقيلة قد تعرقل السعي المبذول منذ أشهر لإعلان خيار فلسطيني متقدم.

وهذا الرئيس مبارك وياسر عرفات ينتقلان من العقبة إلى بغداد ويعقدان لقاء قمة مع الرئيس صدام حسين لا يستغرق أكثر من بضع ساعات يغادر بعدها الرئيس المصري إلى القاهرة ويبقى عرفات في بغداد.

وهذا الرئيس صدام حسين يرحب بإستضافة قمة عربية إستثنائية في بغداد إقترحها الملك حسين.

وهذا الملك حسين يتأهب بعد توديع الرئيس مبارك وعرفات للتوجه إلى دمشق لإكمال مهمة التوفيق الذي يعمل من أجله منذ سنوات.

وهذا الملك فهد بن عبد العزيز يوفد وزير خارجيته الأمير سعود الفيصل برسائل إلى قادة دول مجلس التعاون تتعلق بالوضع الراهن على الساحة العربية.

ونحن هنا نتحدث عن التحرك السياسي العربي الذي

يتم على مستوى الملوك والرؤساء. أما التحرك الذي يتم على مستوى الوزراء فإنه أيضاً على جانب كبير من الحيوية.

هل هنالك أمر ما في الأفق ومن أجل ذلك ينشط أهل القرار العربي؟

أو بمعنى آخر هل هنالك خطوات على المستوى الدولي يتم تهيئة أجواء المنطقة لها وأن التحرك السياسي العربي الذي نشير إلى بعض ظواهره يستهدف التشاور للتعامل مع هذه الخطوات بروح عالية من الواقعية؟

أياً كانت الدوافع فإن هذا التحرك السياسي العربي يوحى بالحيوية وبالطمأنينة. وأهميته أنه يحدث قبل مناسبات بالغة الأهمية. فها هي المفاوضات المباشرة بين العراق وإيران سيتم إستئنافها في جنيف ولا بد من تحريك هذه المفاوضات بحيث لا تبقى مثل الجولات السابقة التي عقدها الجانبان العراقي والإيراني في جنيف ونيويورك. وها هي القمة الخليجية ستعقد بعد أيام في البحرين وتكتسب أهمية لافتة للإنتباه كونها القمة الخليجية الأولى التي تتعد وقد توقّف إطلاق النار بين العراق وإيران وبدأت تظهر في الأفق بوادر سلام دائم بين البلدين تنعكس آثاره على الوضع العام في المنطقة العربية وفي الخليج بشكل خاص. وها هي القمة العربية العادية يُحتمل عقدها في الرياض وإذا تم ذلك فهذا معناه أن صيغة خالية من التوتر سيتم إعتماؤها للعمل العربي المشترك في المرحلة المقبلة. والأهم من هذا كله هو أن هذا التحرك الذي ستتسع دائرته يبدو في بعض جوانبه مثل اللقاءات التي تحدث بين قادة دول أوروبا علماً بأن مشاكل القارة الأوروبية ليست بوطأة مشاكل المنطقة العربية. وعندما يكون الأمر كذلك فهذا يعني أن التحرك العربي يجب أن يكون أكثر حيوية وهذا ما حدث الأسبوع الماضي من خلال التحركات واللقاءات التي رصدنا بعضها.

وأغلب الظن أن هذه التحركات واللقاءات ستتواصل في الأشهر المقبلة وإلى أن يتحقق الهدف منها. ونقول ذلك على أساس أن هذه التحركات واللقاءات بالذات من توجيه الملك فهد بن عبد العزيز بوقف الحملات الإعلامية على الحُكم الإيراني إلى التحرك الذي يريعه الرئيس مبارك في إتجاه موقف أردني - فلسطيني إلى سعي الملك حسين من أجل تأييد الرئيس حافظ الأسد في شكل أو آخر لهذا السعي إلى فكرة الملك حسين بعقد قمة عربية إستثنائية في بغداد... إن هذه التحركات واللقاءات والمبادرات ما كانت

على وجه الدقة قرر إعادة النظر وأن إختياره عبد الحميد المهري ليكون الرجل الثاني في الحزب كان إختيار الخط المتوازن.

إن مأساة الجزائر منذ الإستقلال هي أن مرحلة كانت تتأثر من مرحلة مع العلم أن رموز المراحل هم أبناء الثورة الواحدة. الرئيس (الراحل) هواري بومدين يثار من مرحلة أحمد بن بيللا. والرئيس الشاذلي بن جديد يحاول أن يبقى خارج لعبة الثأر لكنه يجد حوله داخل الحكم من يرى أن الثأر حالة لا بد منها. وهكذا فإن خمس سنوات من أصل السنوات التي حكم فيها الرئيس بن جديد كانت عملياً سنوات الثأر من المرحلتين السابقتين، مرحلة بن بيللا ومرحلة بومدين.

ولأن الثأر كان يحدث فإن الغضب كان يتزايد ويتم إختزانه في النفوس. ومن هنا قد يجوز القول إن العنف بالشكل الذي حدث فيه خلال الأيام الخمسة التي كادت تهز الجزائر لم يكن من أجل الخبز وحده وإحتجاجاً على الغلاء وحده وضيقاً بحالات الفساد وحدها، كما أنه لم يكن لقساوة التعامل الأمني مع البعض. لقد حدث العنف لهذه الأسباب مجتمعة ولسبب رئيسي أساسي وهو لأن ظاهرة ثأر الحاضر من الماضي إستشرت وباتت سمة من سمات الحياة السياسية في الجزائر.

والى ذلك إن هذه الظاهرة وصلت إلى حد أن المواطن الجزائري بات يشعر أنه من دون تاريخ أو بمعنى آخر إن التاريخ عنده حالة مؤقتة تنتهي بإنتهاء مرحلة الحاكم. وهذا الشعور أوجد حالة نفسية تفجرت لمجرد أن حدثت أسباب إجتماعية توجب الإحتجاج.

ويبقى أن الأزمة ستنتهي في الجزائر عندما يتم إيجاد علاج لحالة الإستقرار النفسي وليس إغراق السوق بالسلع وتخفيض الأسعار ودعم الدولة لبعض مستلزمات الإستهلاك.

ولن يحدث الإستقرار النفسي إلا بوقف حالة الثأر التي تقوم بها كل مرحلة، بمعنى أن يعتبر الحاضر نفسه جزءاً من الماضي وليس خصماً له.

ومع عبد الحميد المهري الذي حل محل محمد الشريف مساعديه يمكن أن نتوقع حدوث ذلك. فالرجل يعرف ما هو الداء. ويدرك أن حل أزمة الجزائر يبدأ بحل العقدة التي يشكو منها الجزائري. والمدخل إلى حل العقدة هو تحقيق مصالحته بين ماضي الجزائر وحاضرها، بحيث لا يعود تاريخ هذا البلد يبدأ فقط ببداية من يحكمه.

لتبدأ لو أن الذين قاموا بها لم يكونوا متأكدين أو شبه متأكدين بأنها ستنتهي إلى نتائج مؤكدة... ونتائج لمصلحة الإستقرار الذي يحتاج إليه حتى الذين لا يتجاوبون مع السعي من أجل وفاق عربي يسير جنباً إلى جنب مع حالات الوفاق الدولي، خصوصاً بعدما بات واضحاً أن التسعينات وما بعدها لا تتحمل سوى الذين يقرون بالحقائق الجديدة لأوضاع العالم ويؤمنون بأن العام 1989 يجب أن يكون عام الطمأنينة العربية وعام عدم تدخل أحد في شؤون أحد... بإستثناء التدخل الذي يتم في صيغة من التراضي البعيد عن أي هيمنة. وهذا يكون تعامللاً وليس تدخلاً.

ويبقى شعار يقوله كل مواطن عربي بصوت عال أو بينه وبين نفسه وهو: فليكن العام 1989 الذي سيحل بعد أسابيع هو عام عدم تدخل العرب في شؤون بعضهم البعض.

... وتأتي التحركات واللقاءات العربية التي أشرنا إليها كما لو أنها حالة تجاوب على مستوى القمة لتحويل الشعار إلى واقع.

مجلة "التضامن". لندن - 31 تشرين الأول (أكتوبر) 1988

* * *

مشكلة الجزائر تنتهي بحل عقدة الجزائري

هل كان يجب أن يسقط عشرات القتلى ومئات الجرحى وينتقل العنف من مدينة إلى أخرى في الجزائر من أجل تحقيق أمور من الممكن أن تتحقق في لقاء يقوم على مبدأ الديمقراطية وتشاور يقوم على قاعدة الأخذ والرد؟ يبدو أنه كان لا بد من ذلك، بدليل أنه حدث.

ومثلما أن العنف الذي شهدته الجزائر كان لافتاً للإنتباه فإن أسلوب الرئيس الشاذلي بن جديد كان هو الآخر لافتاً للإنتباه. فالرجل إحتوى الأزمة بالحد الأقصى من التبصر. وهو لم يتهم الذين قاموا بأعمال الفوضى بأنهم "حرامية" كما سبق أن فعل الرئيس (الراحل) أنور السادات عندما حدثت فجأة في القاهرة إنتفاضة تشبه في بعض الجوانب والدوافع الإنتفاضة التي حدثت قبل أيام في الجزائر.

وهو إلى ذلك لم يبحث عن كبش يفتدي به الحكم ويرمي عليه الخطأ وإنما أعاد النظر في التوجه، أو أنه

هذه هي مشكلة الجزائر والجزائري. وعدا ذلك فإن ما يحدث هو مجرد هوامش لجوهر الحقيقة.

مجلة "التضامن". لندن - 7 تشرين الثاني (نوفمبر) 1988

* * *

قمة الشيخ زايد

على مدى عشر سنين كان لبنان لا يملك قدرة إتخاذ القرار الذي لا يرضى عنه الحُكم السوري في شأن مؤتمرات القمة العربية. فإذا كان الحُكم السوري سيقاطع قمة لا يريدّها، فإن على لبنان أن يقاطع. وإن تحقّق الحُكم السوري على قرار أو توصية يتخذها مؤتمر القمة ولا يكون الحُكم السوري وبالتالي لبنان غائبين عنه، فإن على الرئيس اللبناني أن يتحفظ... وهكذا.

ونتيجة لذلك ضاعت على لبنان فرص كثيرة، بمعنى أنه طوال عشر سنين وأكثر لم يستفد شيئاً من مؤتمرات القمة، لا على صعيد المساعدات، ولا على صعيد عرض قضية. ولقد كان لافتاً للانتباه أن منظمة التحرير الفلسطينية إستطاعت أن تجد لها مكان الصدارة في مؤتمرات القمة العربية وتُحقّق مكاسب سياسية ومالية ذات شأن كبير، في حين أن لبنان لم يجد له مكاناً في الصدارة بل إنه في بعض القمم العربية لم يجد له موطئ قدم. ولو أن الرئيس اللبناني قرر أن يضحّي، بالأسلوب الذي إعتمده ياسر عرفات، لكان من المؤكد، وعلى رغم كل التعقيدات التي تحيط بالموقف، وجد لبنان مكاناً متميزاً له في مؤتمرات القمة وحقق مكاسب مادية ومعنوية من نوع تلك المكاسب التي حققها ياسر عرفات لقضيته وشعبه.

وحول هذه القمة، التي نأمل في الدرجة الأولى أن تتعقد، يمكن تسجيل الملاحظات الآتية:

أولاً - للمرة الأولى سيجد لبنان أن في إستطاعته أن يشارك في القمة العربية من دون أن يتم ذلك تحت مظلة القرار السوري. بمعنى أنه إذا حدّث أن قاطع الحُكم السوري هذه القمة فإن لبنان يستطيع أن يشارك فيها، وإذا كان هذا الحُكم سيشارك بوجهة نظر معيّنة فليس من الضروري أن تكون وجهة النظر اللبنانية هي نفسها وجهة النظر السورية.

ثانياً - عندما دعا رئيس دولة الإمارات الشيخ زايد بن سلطان إلى هذه القمة فإنه أخذ في الاعتبار أن القمة ستعقد

بحضور لبنان، كما أنه دعا إلى عقد هذه القمة بعدما بات لبنان من دون رئيس جمهورية لكن ليس من دون شرعية. وقد يكون التباطؤ في الموافقة النهائية على المشاركة في القمة سببه الأمر المتعلق بالشرعية.

وليس من المستبعد أن يكون السعي غير المعلن عنه، والذي يتم وراء الكواليس وبدأ منذ اللحظة الأولى لدعوة الشيخ زايد إلى القمة هو السبب في التريث. وزيادة في التوضيح يمكن القول إن هذا السعي يستهدف الضغط على أطراف كثيرة أولها الحُكم السوري لتسهيل عملية إنتخاب رئيس للجمهورية يبدّن إطلاقاته الأولى بالمشاركة في القمة التي ستبحث إعادة بناء لبنان بدل أن تكون القمة التي تتعقد لمساعدة لبنان على تجاوز أزمته.

وفي ضوء ذلك من الجائر الافتراض أن هنالك بعض الأطراف التي تتصح الحُكم السوري بقبول تسوية بالطريقة التي وافقت فيها إيران على قرار مجلس الأمن 598، وبأن قمة تتعقد ويمثّل لبنان فيها رئيس يأتي ضمن صيغة الحل الوسط، الذي يكون مقبولاً من الأكثرية اللبنانية، يبقى أفضل بكثير من إنعقاد هذه القمة وقد مثل لبنان فيها العماد ميشال عون الذي إختاره الرئيس السابق أمين الجميل في اللحظات قبل الأخيرة التي سبقت إنتهاء ولايته، وضمن طقوس الشرعية التي تحدثت في لبنان في حالة الطوارئ السياسية.

ونقول ذلك مع الأخذ في الاعتبار أن القمة في حال إنعقادها لن تكون ساحة صراع، بمعنى أن يمثّل لبنان بحكومتين، وإنما يمثّل لبنان طرف واحد هو الطرف الشرعي.

ثالثاً - إن الحُكم السوري يتطلع إلى أن يمارس في لبنان، وكحد أدنى، الدور الذي كانت تمارسه مصر مع السودان حيث كانت دول العالم تنظر إلى مصر على أنها دولتان هما مصر والسودان، أو تتعامل مع السودان من خلال القنوات المصرية. وعندما ننظر إلى ما إنتهت إليه حال العلاقات المصرية - السودانية يتبين لنا أن هذه النظرة غير ممكنة التطبيق بالنسبة إلى العلاقات السورية - اللبنانية. وها نحن في أواخر الثمانينات نرى أي عملية ترميم شاقة يقوم بها الرئيس حسني مبارك لإزالة تلك المشاعر المتراكمة والتي بلغت الذروة بالتصريحات التي كان يطلقها الرئيس (الراحل) أنور السادات ويعامل فيها السودان على أنه جزء من الخريطة المصرية.

رابعاً - درجت العادة أن تكون دول الخليج داعمة للقمم

التغيير... خارج صيغة البلاغ رقم واحد

صادف يوم 7 تشرين الثاني/نوفمبر 1988 الذكرى السنوية الأولى لعملية التغيير التي قام بها زين العابدين بن علي، ووضع فيها حداً للبورقراطية التي بدأ عامل السن ينعكس على مسلكية رموزها من الرئيس الحبيب بورقراطية إلى بقية مراكز القوى في عهده.

ومن يتأمل في الأسلوب الذي إعتمده الرئيس زين العابدين بن علي، منذ أن قام بعملية التغيير قبل سنة، يزداد تقديره لهذا النوع من القادة. فهو لم يقيم بإنقلاب. وهو أيضاً لم يترك مجالاً لأي نقطة دم تسيل في تظاهرة أو في مواجهة.

وفي الوقت نفسه أنه لم يسلم تفاصيل عملية التغيير للمساعدين والمستشارين مخافة أن تتغلب المشاعر الثأرية لدى هذا المساعد أو ذاك المستشار على الموقف المبدئي والموضوعي الذي يجب أن يتخذه. وحتى بعد إنقضاء سنة على عملية التغيير التي قام بها نجده يهتم بالتفاصيل الصغيرة ويتابعها بنفسه بحيث إنه كلما أنجز حلقة ينتقل إلى حلقة أخرى.

واللافت للانتباه أنه لم يتكرر - وما زال - للمرحلة الماضية وفي الوقت نفسه لا ينكر على الذين تضرروا من تلك المرحلة أن ينالوا حقهم في ممارسة العمل السياسي. ومن المؤكد أنه بهذا الأسلوب يرمي على أكتاف رموز العمل السياسي في تونس مسؤولية كبرى، بمعنى أن يأخذ هؤلاء في الاعتبار أنه إذا كان المطلوب إحداث تغيير، فإن هذا التغيير قد حدث وحققه بنفسه زين العابدين بن علي، أما إذا كان المطلوب الإجتهد وإبداء الرأي والنشاط السياسي في منأى عن أجواء العنف وتحت خيمة الحكم القوية الأوتاد، فإن ذلك ممكن بل إنه هو المطلوب والمرحب به.

كذلك إن اللافت للانتباه هو هذا التآني في التعامل مع رموز العمل السياسي، حيث ينظر الحكم إليهم على أنهم قوى يمكن أن تفيد البلد، فيتعاون معهم من هذا المنطلق، بدل أن ينظر إليهم على أنهم ضحايا المرحلة الماضية وبالتالي يجب توظيف أحقادهم على تلك المرحلة من أجل دعم الحكم الراهن.

وهذه النظرة تبدو ذكية جداً لأن مثل هذا التوظيف الذي نشير إليه معناه أن تدخل تونس في دوامة الصراع

العربية ومصدر المساعدات التي تتقرر في هذه القمم لخطط الصمود أو لمشتروات السلاح. ومن هنا فإنها المرة الأولى التي تكون هنالك دولة خليجية هي المبادرة إلى الدعوة. وهذا يعني أن الشيخ زايد سيبقى وراء دعوته إلى أن تتحقق.

والى ذلك إن العلاقة التي تربط الشيخ زايد بالحكم السوري تجيز الإقتراض بأن الرئيس حافظ الأسد لن يتعامل مع هذه الدعوة تعامله مع دعوة تصدر من دولة عربية أخرى لا تربطها بسوريا العلاقات العميقة التي بين الشيخ زايد والرئيس الأسد.

خامساً - صحيح أن القمة التي دعا إليها الشيخ زايد تساعد لبنان على تجاوز محتته، إلا أنها في الوقت نفسه تبدو مخزجاً عربياً لانقاً لإخراج الحكم السوري من لبنان بالطريقة التي أخرجت بها القمة العربية في الخرطوم عام 1967 الرئيس (الراحل) جمال عبد الناصر من اليمن. ومن المؤكد أنه لولا قمة الخرطوم لما كان من السهل على عبد الناصر الخروج من اليمن بالحد الأدنى من الضرر المعنوي الشخصي. ونقول ذلك على أساس أن اليمن عاشت ظروفًا مماثلة للظروف التي يعيشها لبنان حيث كانت هنالك حكومتان، بل كان هنالك حكمان. ومن يدري قد يتطور عدم الحسم للوضع اللبناني إلى صراع عربي على أرض لبنان يماثل ذلك الصراع الذي حدث في اليمن.

يبقى أن الدعوة التي أطلقها الشيخ زايد لعقد قمة عربية من أجل لبنان، تشبه في كثير من الجوانب تلك القمة التي دعا إليها الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد من أجل الإنتفاضة في الضفة الغربية وغزة.

ومثلما أن الإنتفاضة كانت قضية تحظى بإعجاب الشعب العربي ومن أجل ذلك حدثت ضغوط غير مرئية ساعدت على عقد تلك القمة، فإن لبنان وطن يحظى بإعجاب الشعب العربي ويحظى - وهذا هو الأهم - بمحبة الخليجيين له. ومن هنا فإن الشيخ زايد عندما يدعو إلى قمة عربية من أجل لبنان فإنه بذلك يعبر عن مشاعر عفوية وصادقة لدى دول مجلس التعاون. ومن أجل ذلك فإن القمة التي دعا إليها ستتجح. لكن المهم عقد القمة. وحتى كتابة هذه الأسطر يوم الإثنين 31 تشرين الأول/أكتوبر 1988 كان هذا ما يتم إنصاجه على نار هادئة.

مجلة "التضامن". لندن - 7 تشرين الثاني (نوفمبر) 1988

* * *

ويبقى أن أهم ما في السنة الأولى لعهد الرئيس زين العابدين بن علي أن سمة التغيير بعيداً عن الصيغة الانقلابية أثبتت صوابيتها. وطوال ربع قرن عانى العالم العربي كثيراً من مغامرات تلك الصيغة ومن مغامريها الذين يبدأون مغامرتهم بما عرف بـ "البلاغ رقم واحد" والذين ساهموا في إدخال المنطقة في نفق من حالة عدم الاستقرار... سامحهم الله.

مجلة "التضامن". لندن - 14 تشرين الثاني (نوفمبر) 1988

* * *

الرصاصية الأخيرة في بندقية الثورة

ها هي العملية الفلسطينية الجريئة التي طال إنتظار العرب قبل الفلسطينيين إليها تحدث. ومن الجزائر يعلن البرلمان الفلسطيني، وبعد مناقشات إخواننا الفلسطينيين الذين لا يميلون إلى الإختصار في المناقشة ويؤثرون التنظير بكل ما يستنزفه من وقت، قيام الدولة الفلسطينية التي تشكّل الرصاصية الأخيرة في بندقية الثورة الفلسطينية. ومثلما أن من حسنات عدم مشاركة أي وفد عربي أو أجنبي في حضور أعمال الإجتماع الإستثنائي للمجلس الوطني الفلسطيني ترك ممثل الشعب الفلسطيني يتخذون قرارهم في منأى عن أي مؤثرات، إلا أن الحضور العربي والدولي كان سيعني موافقة شاملة على القرار الفلسطيني الذي يتّوج مسيرة أربعين سنة من التضحيات. ولو أن الإجتماع كان عادياً لكان هنالك ضيوف وتصفيق ولما كانت هنالك إنسحابات ما دام ليس هنالك، بإستثناء الحُكم السوري، من يعارض الخطوة الفلسطينية التاريخية. والقول بأن ما تم إتخاذه في الجزائر كان عملية جريئة ليس مجافياً للحقيقة. بل إنه من الجائز القول إنها العملية الأكثر جرأة، خصوصاً أنها مثل العمليات الفدائية قد تُحدث الضرر البالغ في صفوف العدو.

وإذا لم يكن إعلان الدولة من الجزائر هو العنصر الأهم فإنه من المؤكد أحد العناصر المهمة. فالإعلان تم من إحدى دول الكوكب الثوري العربي، وتم من الدولة التي في إستطاعة ماضيها الثوري أن يشكّل حماية لهذه النقطة النوعية في العمل الفلسطيني، أي من العمل الثوري إلى العمل السياسي. وبعد الآن فإن أي إتهام يوجّه إلى القيادة

التي لا نهاية لها. ولقد ذاقت بعض دول المشرق الأمرين من هذه اللعبة، بل ووصلت الحال مع الرئيس (الراحل) أنور السادات إلى حد أن القوى التي وظفها في لعبة الصراع الجهنمية إنقلبت بعد ذلك عليه وأنتهت برصاصات رشاش أحد عناصر هذه القوى. ولقد حدث ذلك لأن نيات الرئيس المصري الراحل لم تكن طيبة، بمعنى أن لعبة الصراع التي مارسها كانت ضد البلد، فضلاً عن أنها تحمل في طياتها مخاطر التفجير المذهبي. ولو لم تحدث عملية إغتيال السادات لكان ذلك التفجير ربما حدث وتأثرت الجغرافيا المصرية شظايا هنا وهناك ولحدث لا سمح الله له ما يعانيه لبنان حتى الآن.

وفي العادة إن كل رئيس دولة يتباهى في نهاية عهده أو في نهاية ولايته الأولى بالإنجازات التي حققها. وهو يفعل ذلك على أساس أنه يريد أن يقول للناس ما معناه، إن فترة رئاستي عادت بالخير على البلد، أو أنه يريد من وراء ذلك القول، إنه ما دامت إنجازات الولاية الأولى طيبة فإن ولاية ثانية يمكن أن تعود بالمزيد من الإنجازات. وعندما نستعيد قراءة "بيان 7 نوفمبر" 1987، وهو البيان الذي أعلن فيه زين العابدين بن علي أن عهداً جديداً قد بدأ، نلاحظ، على الرغم من قُصر المدة، أن الرئيس بن علي قد أنجز الكثير، بل إننا لكثرة ما أنجز نتصور أنه في الحُكم منذ سنوات بينما هو منذ سنة لا أكثر.

لقد أعلن الرئيس بن علي في ذلك البيان أنه "لا مكان للحقد والبغضاء والكراهية". ولقد إنقضت السنة الأولى لتوليه الحُكم من دون أن يحدث ما يشير إلى عكس ذلك. وأعلن أنه "لا مجال في عصرنا لرئاسة مدى الحياة ولا لخلافة آلية لا تدخل فيها للشعب" وها إن الممارسة تسير في هذا الإتجاه.

وجاء في البيان قوله "سنحرص على إعطاء القانون حرمة فلا مجال للظلم والقهر، كما سنحرص على إعطاء الدولة هيبتها، فلا مكان للفوضى والتسيب ولا سبيل لإستغلال النفوذ أو التساهل في أموال المجموعة ومكاسبها". وها إن الإنطباع السائد هو أن الرئيس بن علي حازم في أمر سيادة القانون وفي موضوع عدم إستغلال النفوذ.

وفي البيان أيضاً تعهّد الرئيس بن علي بالعمل "...بخطى ثابتة على تجسيم وحدة المغرب العربي الكبير في نطاق المصلحة المشتركة"، وها إننا أمام خطوات متقدمة حدثت في هذا الإتجاه.

يبقى أيضاً أن معارضة الخطوة الفلسطينية سواء كانت من بعض الفلسطينيين أو من بعض العرب تشكّل ظاهرة صحية وطبيعية إذا نحن تأملنا في الأحوال السائدة في العالم العربي. فقد إنتهى زمن الإجماع ومن مصلحة العمل الفلسطيني أن يكون له معارضون متطرفون لأن هؤلاء قد يُسقطون بمعارضتهم اللفظية أو العملية بقايا التحفظات الدولية على العمل الفلسطيني ويشقون الصف الإسرائيلي، وبذلك يساهمون في خدمة الكيان الفلسطيني الذي نأمل أن نشهد ولادته في التسعينات.. وعلى يدّي ياسر عرفات وبقية الرفاق الصابرين.

مجلة "التضامن". لندن - 21 تشرين الثاني (نوفمبر) 1988

* * *

لماذا لا يرتاح العرب إلى جورج بوش؟

من المؤكد أن كل الحكام العرب إستقبلوا بالكثير من الإرتياح فوز جورج بوش برئاسة الولايات المتحدة. وهذا الإرتياح له أسبابه، ذلك أن بعضهم يعرف بوش معرفة شخصية. ومن لا يعرفه من هؤلاء فإن وزراء الخارجية أو المشرفين على أجهزة المخابرات أو المندوبين لدى الأمم المتحدة يعرفونه في شكل أو آخر.

وللإرتياح أسباب أخرى من بينها أن السياسة العربية الراهنة ليست مهيأة لمفاجآت. كما أن إدارة غير جمهورية تعني أن هنالك ثلاث سنوات سيقضيها هذا الحاكم أو ذاك يستكشف الوجوه الجديدة ويحاول بناء صداقات وعلاقات معها. وهذه السنوات ستكون عملياً وقتاً ضائعاً في زمن هناك حاجة فيه إلى الثواني بعدما ضاع الكثير من الوقت العربي وبدأ النضوب أيضاً في الثروة.

وبإستثناء التوتر السائد في العلاقات الشخصية بين الرئيس ريغان والرئيس معمر القذافي فإن العلاقات الأميركية - العربية عموماً جيدة وقابلة للتطور. ومن المؤكد أن جورج بوش سيبدأ التطوير من حيث إنتهى الرئيس ريغان. ولمجرد أن يحدث ذلك فهذا مؤشّر طيّب. أما إذا كانت هذه العلاقات ستستقر على ما هي عليه الآن فهذا مؤشّر لا بأس به.

ونقول ذلك مع الأخذ في الاعتبار أن هنالك أموراً بدأت في الولاية الثانية للرئيس ريغان، وكان لنائبه زمناك جورج

الفلسطينية التي وافقت على القرارات الدولية التي تأخذ في الإعتبار الأمر الواقع في المنطقة وظروف الوفاق السائدة بين الدولتين الكبيرتين، هو في الوقت نفسه إتهام للجزائر. فالرئيس الشاذلي بن جديد لم يكن مجرد مضيف ولا أعضاء القيادة الفلسطينية والبرلمان الفلسطيني كانوا مجرد ضيوف، وإنما كان الجميع أبناء قضية واحدة، أو إذا جاز التعبير أنهم أصحاب الهم الواحد الذي يحتاج إلى حل. كما أن الجزائر في الوقت نفسه لم تكن فندقاً وقصر إجتماعات وإنما كانت أيضاً قنواتاً بالنقل الفلسطينية وحرصاً على تحقيقها في أفضل ظروف.

وفي هذا الإطار من الجائز القول إن الدول العربية بأكثريتها الساحقة ومعظم دول العالم، وبالذات الدول الكبرى، أصيبت ببعض الضيق لأن إنتفاضة جيل الإستقلال حدثت في الجزائر وتغجّر الموقف الذي أزعج القيادة الفلسطينية أيضاً والتي كانت هيأت نفسها لدورة تاريخية للمجلس الوطني. أما لماذا الضيق ولماذا الإنزعاج، فلأن تقاوم الإضطرابات كان من شأنه أن يخلق وضعا في الجزائر يتعذر فيه عقد الدورة الإستثنائية للمجلس الوطني الفلسطيني. ولأسباب التي أوردناها من الأفضل إنعقاد الدورة في الجزائر وليس في عاصمة أخرى. ولو أن المناخ الدولي العام كان على غير ما إنتهى إليه لكان من الجائز إعتبار الخطوة الفلسطينية متسعة. لكن المناخ السائد لا يتحمل ما هو أكثر من الواقعية. وفي الجزائر كرست القيادة الفلسطينية والبرلمان الفلسطيني مرحلة العمل الواقعي الذي بدأ قبل سنتين تلميحاً ثم تطور بعد ذلك وبات العمل الفلسطيني يتم وفق سيناريو تشكل الخطوة التي تم إتخاذها يوم 15 تشرين الثاني/ نوفمبر 1988، الذي سيكون بعد الآن هو اليوم الوطني الفلسطيني، الحلقة الأكثر تقدماً فيه.

ويبقى أن أقوى ما في الخطوة الفلسطينية هي أن تأييد الفلسطينيين لها أقوى من التأييد للعمل الثوري، وأن مباركة العرب، حكومات وشعوباً، لها أقوى من مباركتهم للعمل الثوري، وأن إرتياح العالم لها سيكون كبيراً وسيكون هنالك تعامل بعد الآن لا أثر فيه للتحفظ والخوف، وأن ضيق إسرائيل بها ومنها أقوى من ضيقها من العمل الثوري. وإذا إستطاعت الحكومة الفلسطينية المؤقتة، التي سيتم تأليفها، الحصول على إعتراف بها يفوق الإعتراف بإسرائيل - وهذا متوقّع حدوثه - فإن رحلة العذاب تكون قاربت على الإنتهاء.

من الذين ترأسوا الولايات المتحدة من قبل. عرف لعبة الأمم، وكيف يُحكم العالم، وما هي نقاط الضعف والقوة في هذا الحاكم أو ذاك. ومن هنا ليس مبالغة القول إن جورج بوش يأتي إلى الحُكم وهو أكثر إماماً بالأُمور العربية العالقة في منطقة الشرق الأوسط. وصيح أنه إبتعد سنوات عن رئاسة المخابرات إلا أنه شغل ذلك المنصب في الفترة الأكثر أهمية والأكثر غنى والأكثر حساسية في العالم العربي.

ويبقى أمران:

الأول هو أن جورج بوش عندما كان نائباً كان فعّالاً وشريكاً أساسياً في القرار وفي التخطيط، ومن هنا يبدو كما لو أنه رئيس الولايات المتحدة منذ سنوات وليس منذ يوم الثلاثاء 8 نوفمبر 1988 تاريخ إنتخابه.

وإذا جاز التشبيه فإنه كان مع الرئيس ريغان مثل الأمير فهد بن عبد العزيز (وليّ العهد) مع الملك خالد بن عبد العزيز ومثل صدام حسين (نائب الرئيس) مع الرئيس أحمد حسن البكر، وتلك حالات لا تتكرر كثيراً في الحُكم وتكون عادة رموزاً للأحداث المهمة وللإستقرار.

أما الثاني فهو إنطباع عربي عام أنقله كصحافي وكاتب وهو أننا نحن العرب نعلّق أهمية على الهيبة، ونعطي رجل الدولة الذي له الهيبة أهمية وتقديراً.

ومنذ اللحظة الأولى لإختيار مايكس دوكايس مرشحاً عن الحزب الديمقراطي وجورج بوش مرشحاً عن الحزب الجمهوري تولّد بيننا كعرب إنطباع بأن جورج بوش رجل دولة له هيبة ويملاً كرسي رئاسة أميركا بينما يبدو مايكل دوكايس كرئيس لقبرص وليس أكثر، مع الأخذ في الإعتبار أن دوكايس قد يكون كفؤاً ومخلصاً، لكن ذلك لن يتبين إلا بعد سنوات من الخبرة. ونحن نشير إلى إنطباع ولا نطلق أحكاماً قاطعة.

مجلة "التضامن". لندن - 28 تشرين الثاني (نوفمبر) 1988

الدين بخير... والوطن في خطر

كان من المتوقع أن تسود حالة من الفرح المدن السودانية لأن موجة التوجه نحو السلام شملت السودان بعد الإتفاق الذي أبرمه في أديس أبابا زعيم الطائفة

بوش دور فيها، ولا بد أن الرئيس الجديد سيواصل السعي من أجل تحقيقها ويضيف عليها من شخصيته لمسات واضحة المعالم. ومن هذه الأمور على سبيل المثال لا الحصر الحرب العراقية- الإيرانية بحيث يتم وضع نهاية حاسمة لها والمؤتمر الدولي بحيث يبدأ ويُنهى بصيغة معقولة الصراع العربي- الإسرائيلي.

وثمة مواصفات في جورج بوش تجعل الحكام العرب يرتاحون إليه، أو فلنقل الحكام الأكثر أهمية في العالم العربي. فهو يحب الخيل والقنص والإجازات البحرية. وسبق له أن تعاطى بتجارة النفط. وهو لم يسجل على نفسه مواقف حادة في شأن الصراع العربي- الإسرائيلي وإن كان في إحدى المرات ساير اليهود أمام حائط المبكى إلى درجة أنه وضع الطاقية اليهودية على رأسه.

ومن حُسن حظ الأمور العالقة التي يتطلع الحكام العرب إلى حلول حاسمة لها أن جورج بوش سيحكم وهناك متسع من الوقت لديه للبحث في هذه الأمور. فالوفاق الدولي بدأ مرحلته الثانية وليس في الأفق ما من شأنه أن يعكر صفو العلاقات الأميركية- السوفياتية. كما أن علاقات الولايات المتحدة مع الآخرين ليست متوترة، الأمر الذي يعني أن ما كان مؤجلاً للبحث فيه بات من السهل على الرئيس بوش أن يعالجه.

ومثلما أن الرئيس ريغان ناضل من أجل أن ينهي حياته السياسية بفصل تاريخي هو الوفاق السوفياتي - الأميركي ونجح في ذلك، فإن الرئيس بوش الشغوف بالنهايات التاريخية سيفعل الشيء نفسه وليس أمامه أفضل من الحرب العراقية - الإيرانية والمؤتمر الدولي كموضوعين من شأن إيجاد حل واقعي ومثالي وغير منحاز لهما أن يُدخل الرئيس بوش من بوابة التاريخ ويُدرجا إسمه على لائحة الحكام الذين يصنعون الإنجازات الكبرى.

وإذا جاز القول، فإن خبرة الرئيس جورج بوش والحيوية التي يتمتع بها ستجعل الحكام العرب أكثر إطمئناً إليه، فضلاً عن أنه ليس أسير وعود إنتخابية يهودية ولا هو أسير مراكز القوى اليهودية داخل الولايات المتحدة لأن النخبين اليهود أثروا الوقوف مع المرشح الديمقراطي الذي لم يحالفه الحظ.

وعندما نتحدث عن الخبرة، فإننا نعني في الدرجة الأولى معرفة الرئيس بوش بأحوال العالم. ولا بد أنه في الفترة التي قضاها رئيساً للمخابرات عرف ما لم يعرفه أحد

الختمية محمد عثمان الميرغني مع جون قرنق، الذي يقود تمرداً أثبت في السنتين الأخيرتين أنه لا يشكل تهديداً إلا أنه يشكل عنصر إنهاك للجيش ويلقي على كاهل الحُكم السوداني أعباء كثيرة ويأخذ من طريق المواطن الكثير مما يمكن الاستفادة منه في مجالات التنمية.

هذا ما كان متوقفاً حدوثه بعدما أثمر اللقاء بين الميرغني وقرنق، وبرعاية كاملة من الحُكم الأنثوي، إتفاقاً يمكن بموجبه إحلال السلام، ويشبه في ملامحه العامة وفي روحيته الإتفاق الذي سبق أن أبرمه في الماضي الرئيس السابق جعفر نميري مع جوزف لاغو الذي أصبح بعد ذلك نائباً لرئيس الجمهورية. بل قد يجوز القول إن ما فعله الرئيس السابق نميري كان سابقة يركن إليها الحُكم الحالي، أو أن تلك السابقة حلت التفاوض بين الشرعية والتمرد وأجازت مشاركة من كان يطلق النار على الحُكم في هذا الحُكم.

ولقد حدثت حالة الفرح المتوقعة وكانت خطوة طيبة من رئيس الحكومة الصادق المهدي أن يؤيد الإنجاز الذي حققه زعيم الطائفة الأخرى في السودان. ولكن هذه الحالة تعرضت لإنتكاسة نتيجة أن الطرف الثالث في الحُكم، ونعني به الدكتور حسن الترابي الأمين العام للجبهة الإسلامية عارض الخطوة وتعامل معها تعامل العسكريين مع أمر لا يرحبون به. ونفذ الوعيد على الفور داعماً موقفه بمحاولة ترتسم فوقها أكثر من علامة إستفهام، وإستهدفت وزير الدفاع الفريق عبد الماجد خليل حيث تم إطلاق صاروخ على طائرته وهو في جنوب السودان لكن المحاولة فشلت.

وبدأ التوتر يسود الخرطوم وتتطلق التظاهرات في شوارعها، ويتسع ساعة بعد أخرى حجم مشاعر الذعر بين السودانيين الذين توقعوا أن يكون إتفاق أديس أبابا مناسبة لإحلال السلام في السودان لا أن ينتقل التوتر من الجنوب إلى الخرطوم.

إزاء ذلك يجد المرء نفسه يتساءل:

إن الدكتور الترابي مفكر وسياسي إسلامي بعيد النظر ويدرك تماماً أن الخيار الإسلامي بات، بعد التجربة التي حدثت في إيران، أمراً صعب التحقيق. وما دام يدرك ذلك فلماذا لا يترك الفرصة أمام السلام كي يسود بلداً يعاني الكثير من عدم الإستقرار؟

وقد يجوز القول إن الموقف الذي إتخذه الدكتور الترابي ينسجم مع المناخ الديمقراطي السائد في السودان، لكن

المسألة الآن ليست مسألة ديمقراطية وحرية تعبير بقدر ما هي مسألة تتعلق بالإستقرار المفقود، فضلاً عن أنه بالمفهوم الديمقراطي يمكن تسجيل موقف معارض بدل تسيير التظاهرات للتعبير عن هذا الموقف. والكل يعرف أنه في بلد مثل السودان تستطيع تظاهرة واحدة أن تتسبب في إشعال الفوضى في كل مكان.

والى ذلك إن الذي أبرم الإتفاق مع قرنق ليس زعيم الحزب الشيوعي لكي يقال إن هذا الطرف يعتنق عقيدة لا تعبر أهمية لموضوع الدين، وإنما الذي أبرم الإتفاق هو زعيم ديني له مكانته الكبرى وله في السودان أكثر مما للدكتور الترابي. كما أن الذي أيد الإتفاق، ونعني به الصادق المهدي، هو الآخر زعيم ديني لطائفة لها دورها ومكانتها وتراثها.

وهذان الزعيمان يلبيان تطلعات الأكثرية السودانية وتطلعات الجيش السوداني، كما أنهما يلبيان بسعيهما المخلص من أجل السلام مطلباً عربياً شاملاً يرى ضرورة تعطيل كل الألغام المزروعة في الساحة العربية وإطفاء الحرائق المذهبية والسياسية كي لا يتصاعد لهيبها أكثر وأكثر.

ونحن على ثقة بأن الدكتور الترابي يشاركنا ضمناً الإقتناع بأن الدين الإسلامي بخير وأن الوطن هو الذي في خطر.

ويبقى أن الخطوة التي أنجزها زعيم الطائفة الختمية محمد عثمان الميرغني وتأييد زعيم طائفة الأنصار الصادق المهدي لها ستصمد.. وقد تصمد أكثر من تلك التي أنجزها في الماضي الرئيس السابق نميري، والتي صمدت لأنها بين طرفين عسكريين. أما لماذا قد تصمد أكثر فلأن زعيم الختمية وزعيم الأنصار، بالصفة الدينية لكل منهما، لهما الشأن القوي نفسه الذي كان في الماضي للرئيس نميري عندما توجه إلى أديس أبابا وأنجز تحت رعاية الأمبراطور هيلاسيلاسي الإتفاق التاريخي مع حركة التمرد التي كان يقودها جوزف لاغو، والذي أصبح بعد ذلك شريكاً في الحُكم وضد أي تمرد.

وصحيح أن الإتفاق الجديد معقد بعض الشيء لأن محوره تطبيق الشريعة التي لم تكن قائمة كقضية في التمرد الماضي... إلا أن ذلك لا يعني أنه لن يوضع موضع التنفيذ حتى إستغرق ذلك الوقت الطويل.

إلا أنه من أجل ذلك لا بد من الذي يتفهم ويساند ويرعى بدل أن يحرك التظاهرات ويحاول أن يبدأ مواجهة

قد توظفها بعض الأطراف التي تسعى لكي تنتقل الفتنة من لبنان إلى السودان.. وما أكثر الذين لا يريدون الخير للسودان.

وتكراراً يمكن القول للدكتور الترابي المفكر، والدكتور الترابي السياسي، والدكتور الترابي صاحب العقيدة: إن الدين بخير لكن الوطن في خطر... وخصوصاً إذا كانت التظاهرات لن تتوقف. ومن الضروري أن تتوقف التظاهرات ما دام الأمر يمكن أن يكون شوري بين أهل القرار.

مجلة "التضامن". لندن - 5 كانون الأول (ديسمبر) 1988

* * *

من تشارلز ومرافقه إلى ستيفاني ووالدتها.. إلى عدي وكامل!

قبل بضعة أشهر حدثت فوق إحدى المناطق الجبلية في سويسرا مأساة يجد المرء عندما يتأمل فيها أن الأقدار تدخلت في هذه المأساة من اللحظة الأولى وحتى اللحظة الأخيرة.

المنطقة ثلجية، والثلج شتوي القساوة. والموسم موسم تزلج، وفوق هذه المنطقة عشرات الأشخاص توجهوا إلى هناك للاستمتاع برياضة التزلج الممتعة.

وبين هؤلاء كان وليّ عهد بريطانيا الأمير تشارلز وزوجته الأميرة الجميلة دايانا ومعهما شلة من الأصدقاء بينهم ضابط صديق للأمير والأميرة، فضلاً عن أنه أحد قلائل من موظفين ومسؤولين في القصر الملكي البريطاني كانوا موضع ثقة الملكة اليزابيث الثانية. وكان هذا الضابط من المسؤولين عن حماية وليّ العهد، كما أن زوجته هي إحدى الموظفات المرموقات في قصر باكنغهام.

وفي العادة إنه حيث يكون هنالك شخصيات مهمة يكون هنالك مصورون كثيرون يحاولون إقتناص فرصة لصورة نادرة. وليست هنالك صور تلقى رواجاً أكثر من صور وليّ عهد بريطانيا وهو يتزلج ويسقط أرضاً، أو صورة لزوجته الأميرة الجميلة دايانا تسقط هي الأخرى أيضاً فيساعدوا زوجها أو أحد الذين يرافقونها من صديقات وأصدقاء. كذلك لسيت هنالك صور أفضل من تلك

اللقطات التي يسرقها مصور لهذه الشخصية أو تلك، أو لهذه الممثلة أو تلك.. وهكذا.

وإذا كانت الممثلات والممثلون يجدون متعة في هذه الصور المسلية واللافتة للإنتباه، فإن أميراً سيتم تنويجه ذات يوم ملكاً على عرش بريطانيا ليس من مصلحته أن يظهر بمظهر غير جدي، ولا يجوز أن تنشر الصحف صوراً له ولزوجته، وبالذات تلك الصورة التي يتم إنقائها خلسة، فضلاً عن تقييد الحرية الشخصية خلال أيام الإجازة.

ومن هذا المنطلق كانت رغبة الأمير تشارلز الابتعاد عن المنطقة المسموح التزلج فيها والخالية من المخاطر عموماً، وتجاوز الخط الأحمر أي نقطة الخطر والتوجه إلى منطقة نائية بعض الشيء ولا يرتادها أحد، كما أن المصورين لا يقصدونها مادام أحد لا يتوجه إليها.

وتوجه الجميع الى هناك بناء على رغبة الأمير تشارلز وهذا ما جاء في تقرير لجنة التحقيق السويسرية - على رغم ان المنطقة معروفة بأنها غير مأمونة العواقب عدا عن كونها منطقة محظور التزلج فيها. لكن وليّ العهد البريطاني تصرّف على أساس أنه متميز وشجاع وأن مرافقه الضابط الذي له مكانة خاصة في نفس الأسرة المالكة تصرّف على أساس أن رغبة وليّ العهد لا تُرفض. وكان الضابط الصديق والمسؤول عن السلامة الشخصية للأمير تشارلز أول الذين توجهوا...

وفي لحظات، حدث إنهيار ثلجي في المكان الذي يقف عليه الضابط المسؤول عن حماية الأمير وليّ العهد والذي جاء إلى هذا المكان نتيجة إلحاح وليّ العهد ورغبته هرباً من الفضوليين وعدسات المصورين.

وظل الضابط مدفوناً تحت ركام الجبل الثلجي ساعات إلى أن تمكنت فرقة الإنقاذ السويسرية من العثور على جثته.

وعمّ الحزن الأمير وزوجته ومنّ معهما، وبعد أن كانوا في قمة السعادة أصبحوا في سفح الأحزان تغلفهم مشاعر سوداوية لم يعهدها أحدهم من قبل، بل إن الأمير تشارلز عاش لأيام وهو يعاني من عقدة ذنب لا ترحم، معتبراً نفسه المسؤول الوحيد عما جرى لصديقه الضابط. لأنه لولا إصراره على تجاوز الخط الأحمر لما حدث لصديقه ومرافقه ما حدث.

وبدلاً من أن يترك الأمير تشارلز نفسه ممرقاً بين الأسف والندم مستسلماً لعقدة الذنب القاتلة، فإنه بدأ على

الفور التفكير بما من شأنه تكريم الضابط الذي مات تحت أكوام الثلج في منطقة ألح ولي العهد البريطاني على التزلج فيها.. وعندما بلغ النبأ والدته الملكة تصرفت هي بالإتجاه ووجد الأمير تشارلز أن التكريم الأفضل هو أن يرافق هو وزوجته الأميرة دايانا، الجثمان في الطائرة الحزينة التي أقلتتهما من جنيف إلى لندن.

وبدلاً من أن يتزايد الحديث حول الأمير تشارلز وكيف أنه تسبب في حادثة أدت إلى وفاة الضابط المسؤول عن السلامة الشخصية لولي العهد البريطاني، فإن الحديث كان حول الطريقة التي تعامل بها ولي عهد بريطانيا وملكها المقبل والأسرة المالكة بشكل عام مع الحادث الذي - على رغم قساوته - اعتبره الجميع أنه من صُنْع الأقدار... وعندما تقرض الأقدار أمراً فإن على البشر أن يقولوا: «اللهم نجنا من الأعظم».

... وعليهم أيضاً أن يقولوا: الحمدلله... وسبحانه

وتعالى كيف يجعل لكل ميتة سبباً.

وذات يوم قبل بضع سنوات أرادت الأميرة الحسنة ستيفاني إحدى ابنتي أمير موناكو رينيه والأميرة الجميلة الممثلة الذائعة الصيت سابقاً غريس كيلي، أن تعلمها والدتها قيادة السيارة، أو ربما أرادت أن تكون إلى جانبها وهي تقود سيارتها، أو ربما هنالك إفترض ثالث حول الدوافع لم يكشف النقاب عنها بعد.

المهم أن الأميرة الوالدة إمتثلت لرغبة الأميرة الصغيرة، وإنطلقت بهما السيارة من قصر الحكم في مونت كارلو، وبعد بضعة كيلومترات، وعند منعطف طريق تطل على أرض منحدر ومترجة هوى السيارة وإستقرت في حديقة ملأى بالأشجار المثمرة وشتلات الورد.

ولم يعرف الشهود أن في داخل السيارة أميرتين جميلتين، وعندما وصلت سيارة الإسعاف كانت الأميرة الأم غريس قد فارقت الحياة وهي في غاية تألقها، بينما شاء القدر أن تتجو الأميرة الصغيرة ستيفاني وتصاب بكسور ورضوض وكدمات.

ولأن الحادث هو من فعل الأقدار فإن الأميرة الصغيرة ناحت كثيراً في البداية ثم هدأت.. وعندما كانت تردد مذهولة أنها المسؤولة عن موت والدتها، كان الوالد والأهل يقولون لها ما معناه، إننا مؤمنون وهذه مشيئة الله.

وليلة الثلاثاء 18 تشرين الأول (أكتوبر) 1988 شاءت الأقدار أن تتحول حادثة كان يمكن أن تستمر بسيطة، على ضفاف دجلة، إلى كارثة. لولا أن الرئيس صدام

حسين طبق منذ اللحظة الأولى قاعدة المبدئية، بصرف النظر عن الألم الشخصي الذي أصابه.

والذي حدث هو أن أحد العاملين في خدمة الرئيس وإسمه كامل حنا ججو (وهو من محافظة دهوك التي هي خليط لافت للإنتباه في العراق من المسيحيين والمسلمين والأكراد واليزيديين..) كان يسهر ومعه بعض أصدقائه وأقاربه في أحدث الفيلات الحكومية في «جزيرة الأعراس» المواجهة للشاطئ الذي يقع فيه القصر الجمهوري، ودارات خاصة بأعضاء القيادة. ويبدو أن مشاعر من الزهو الناشئ عن الخمر جعلت هذا الشاب، الذي يعطف الرئيس صدام حسين عليه وعلى عائلته، يمك برشاش ويطلق النار، الأمر الذي لفت إنتباه عدي صدام حسين الذي كان في تلك الساعة (حوالي الحادية عشرة ليلاً) جالساً على شرفة منزله داخل منطقة القصر الجمهوري. ومع أن إطلاق الرصاص عادة شبه مألوفة في العراق، إلا أنها بعد توجيه الرئيس صدام، في أعقاب ليلة الرصاص التي ذهب ضحيتها أبرياء كثيرون، (وكانت ليلة إحتفالية لمناسبة إعلان الخطوات الأولى لوقف الحرب) بعدم إطلاق الرصاص باتت حالة شبه محرمة وخصوصاً إذا حدث ذلك في منطقة القصر وما يحيط بها.

وبشعور من المسؤولية ومن دون أن يعرف عدي صدام حسين من هو الشخص الذي يطلق الرصاص في هذه الساعة من الليل، وحرصاً منه على عدم إقلاق ضيفة العراق والعائلة السيدة سوزان مبارك حرم الرئيس المصري، فإنه طلب من مرافقه التوجه إلى المكان الذي إنطلق منه الرصاص والإستفسار وإبلاغ الذي يفعل ذلك بأن عليه أن يتوقف.

وعاد المرافق ليقول إن الذي يطلق الرصاص هو كامل حنا ججو وأنه أبلغه الرسالة المكلف بها.

وتوقّف إطلاق الرصاص، لكن سرعان ما تجدد بعد نصف ساعة، ومن الجهة نفسها، الأمر الذي حمل عدي صدام حسين على التوجه بسيارته إلى هناك وعلى أن يقول لكامل حنا ججو: لقد أرسلتُ مرافقي لإبلاغك ضرورة وقف إطلاق الرصاص وأنتك إذا كنت لن تمتثل فإنني سأضطر إلى إبلاغ السيد الرئيس.

ويبدو أن رد كامل حنا ججو أثار غضب عدي صدام حسين لأكثر من سبب من بينها أن وظيفة كامل لا تجيز له مخاطبة عدي بالطريقة التي خاطبه فيها.

وبدلاً من أن ينقل عدي الأمر إلى الجهات الأمنية

التي تقع على عاتقها مهمة معالجة الأمر، فإنه أمسك بعضاً بلاستيك قصيرة كانت في سيارته وحاول بضربة منها على كتف كامل أن يصحيه من حالة السكر مخافة أن يتكرر إطلاق الرصاص للمرة الثالثة. كما أن الضربة كانت، إذا جاز القول، تعبيراً عن ضيق عدي لأنه توقع من كامل بعدما جاءه المرافق في المرة الأولى أن يتوجه إلى منزل عدي ويعتذر عن موضوع إطلاق الرصاص خصوصاً أن طبيعة الوظيفة والمكانة تفرض ذلك، ولكنه لم يفعل. كذلك إن الضربة قد تكون تعبيراً عن ضيقه، لأنه على رغم مجيئه بنفسه فإن رد كامل تجاوز حدود المخاطبة المألوفة، وهذا أمر طبيعي بين إثنين أحدهما ابن رئيس دولة وآخر يعمل في خدمة الرئيس.. أي بمعنى آخر، إن المسألة قد تكون نفسية إلى حد كبير.

وهنا تدخلت الأقدار وبشكل مأساوي على الخط، حيث أنه في اللحظة التي هوى فيها عدي بالعصا على كتف كامل وهو أقصر بكثير من عدي حرك كامل رأسه فجاءت الضربة على الرأس. وبلغة الرياضيين حدث ما يشبه إخفاق حارس المرمى في صد كرة مندفعة في اتجاه مرماه، لأنه إفتراض أن الكرة ستدخل من زاوية اليمين - مثلاً - فتوجه يميناً ودخلت الكرة من زاوية اليسار، في حين أنه لو بقي في منتصف المرمى لكان وفر على نفسه وعلى فريقه هدفاً لمصلحة الطرف الآخر.

وانتهى الأمر عند هذا الحد..

لم يسقط كامل من جراء الضربة.

ولم تخرج من مكان الضربة نقطة دم واحدة.

وأكمل هؤلاء سهرتهم لبضع دقائق وغادر كل إلى منزله. وكان عدي عاد إلى دارته معتبراً أنه أوقف حالة إقلاق كان لا بد من إيقافها. وتوجه كامل إلى منزله في محيط القصر أيضاً لينام ويتوجه مبكراً إلى عمله في خدمة الرئيس، خصوصاً أنه كان في الليلة الماضية خفيراً، بمعنى أنه توجه إلى السهرة بدلاً من أن يبقى في العمل كما عليه أن يكون حيث ربما يحتاج الرئيس إليه. وتلك إشارة أخرى إلى الأقدار الحزينة، بمعنى أنه لو كان كامل حنا ججو بقي في حالة الخفر ولم يذهب إلى تلك السهرة ما كان وقع الحادث.

وعند الصباح سمعت زوجته شخيراً قوياً ثم تفقدته فوجدت دماً على فمه. وتم نقله إلى مستشفى ابن سينا الخاص بموظفي القصر الجمهوري. ولكن سرعان ما لفظ أنفاسه متأثراً بالنزيف الداخل الذي حدث في راسه.

وتم إبلاغ الرئيس صدام بوقائع الحادثة.

وتلاحقت التطورات والإجراءات بعد ذلك.

طلب الرئيس أولاً التحدث مع عدي. وعندما قال له عدي (صباح الخير يا أبي) لاحظ أن والده منزعج جداً منه. وشعر على الفور بأن الأمر متعلق بما حدث في الليل ومن أجل ذلك قال للوالد الرئيس: استأذنيك أولاً في أن أشرح لك ما حدث.. إن الأمر بسيط وإنتهى على خير. ولم يكن عدي حتى هذه الساعة (العاشرة من صباح الأربعاء 19-10-1988) يدري أن الأمر البسيط لم يكن بسيطاً وإنه إنتهى إلى مصيبة..

وقال له الرئيس: لقد مات كامل. وعليك أن تجهز نفسك لأنه سيتم القبض عليك بتهمة التسبب ب وفاة شخص. وغادر عدي مكتبه باللجنة الأولمبية إلى منزله حيث حاول هناك الإنتحار على أساس - على ما يجوز الإعتقاد أنه لا يتحمل غضب الوالد الرئيس من جهة، ولأن عدي إرتأى أن يفقدي بحياته وحدة الصف العراقي وهيبة الدولة والرصيد الهائل الذي حققه والده الرئيس، ولا يجوز على الإطلاق التفريط به... وفي مشاعر أعرف ككاتب وصحافي، ومن عدي شخصياً، مدى الإعتزاز بها خصوصاً أنه - وكذلك شقيقه قصي - شاهد حي وميداني طوال سنوات الحرب على هذا الرصيد الهائل.

ثم أمكن إقناع الرئيس بضرورة إنقاذ عدي. وبعد غسل معدته وتجاوزه الخطر، أمر الرئيس بوضعه في سجن هو الأول من نوعه في العراق.. وهذا السجن كان عبارة عن سرداب وله بابان حديديان بدل الباب الواحد وكان فيه سجين واحد (هو عدي). أما ضابط السجن فإنه يأتمر بأوامر الرئيس فقط. وقد فعل الرئيس صدام ذلك كي لا يتم التعامل مع عدي بالمعاملة والمسايرة.

وداخل هذا السجن لاقى عدي الكثير من الأهوال..

وظهرت آثار الضرب على جسمه... ولم تختف الآثار بسرعة.

والحمد لله أن الذين ضربوه لم تكن ضربة أحدهم مثل ضربة عدي لكامل حنا ججو... وإلا كانت المصيبة أكبر. أما خارج السجن فكانت القضية تتفاعل وبانت خلال أسبوعين قضية عراقية عامة أنست العراقيين لبعض الوقت حديث الحرب ومحادثات السلام مع إيران. كما أنها سارت ضمن السياقات القانونية وهو ما أراده الرئيس صدام حسين، أو فلنقل إن هذا كان بعض ما أراده الرئيس الذي شاءت الأقدار أن تضعه في وضع صعب فتصرف

بمبدئية الزعيم المشدود إلى التراث.

وهذه الإنطباعات عن الأقدار الحزينة ليست الوحيدة، ومن يغتش في زوايا الذاكرة يجد القصص والمواقف المأساوية الكثيرة. ولكن الخيط المشترك الرفيع الذي يربط الحالات الثلاث التي أوردناها، أن محورها الحكام والقصور وأطرافها أبناء وبنات ومشاكل نفسية وتراكمات في الدرجة الأولى.

وإزاء هذه الأقدار إننا لا نحسد الحكام، وفي الوقت نفسه نرثي لحال الأبناء.

... ويبقى انه لا الأمير تشارلز كان يتمنى الموت لصديقه وصديق العائلة الضابط المسؤول عن السلامة الشخصية للأمير، عندما أبدى رغبة في التزلج بعيداً عن الفضوليين... ولم يخطر في بال الأمير أن ينتهي الضابط والصديق جثة تحت الثلج.

... ولا الأميرة ستيفاني كانت تتوقع أن تنتهي رغبتها بأن تكون والدتها إلى جانبها تعلّمها القيادة، بتدهور السيارة ووفاة الوالدة.

ولا عدي صدام حسين كان ينوي شراً للشباب الذي يعمل في خدمة والده، والذي كثيراً ما قدم لعدي القهوة والشاي والحامض والماء البارد. ولكنها الأقدار الحزينة.

ومثلما أن الله سبحانه وتعالى يضع الإنسان في أصعب الاختبارات بهدف ألا يطعم البشر في الحياة ويتمسكوا بها فيموتوا من الخوف من الموت، فإنه جلّ جلاله يمنح الإنسان نعمة النسيان كي لا تبقى المأساة تتفاعل في النفس.

وهذا ما حدّث للأمير تشارلز الذي إستأنف حياته ودوره.

وهذا ما حدث للأميرة ستيفاني التي إستأنفت حياتها. وهذا ما سيحدّث لعدي صدام حسين - عافاه الله - في الوقت المناسب. والبركة في الذين نصحو بإخلاص ورفعوا المعنويات برُفُق وتعاملوا بنضوج مع أمر كاد لولا الحزم من جهة وسعة الصدر من جهة أخرى أن يحقق لإيران ومن معها وحولها في لحظة ما عجزت عنه طوال ثماني سنوات.

وتحسباً من ذلك إشتري عدي بنفسه ومن إحدى صيدليات بغداد زجاجة الفاليوم، وإبتلع حباتها حبة حبة. وفي تقديري أنا الذي أعرف عدي فتى وشاباً، أنه كان في تصرّفه هذا على درجة عالية من المسؤولية والحس

القومي والوطني المرهف..

وعلى هامش هذه الحقيقة من السهل إيجاد الحلول وشفاء الجراح: جراح النفس، وجراح الجسد.

ويبقى أنني أكتب هذه الإنطباعات يوم السبت 26 تشرين الثاني (نوفمبر) 1988 وكان مضى على وجود عدي صدام حسين في السجن 37 يوماً.. وأجد نفسي أختم الأسطر الأخيرة من هذه الإنطباعات بالقول: إنه إذا كان للعراقيين على عدي قبل 18 تشرين الأول (أكتوبر) 1988 القليل، فإنه صار له عليهم الكثير بعد الذي جرى له.

... ومن خلال التأمل وتحكيم الوجدان في الذي جرى تتأكد هذه الحقيقة.

مجلة "التضامن". لندن - 5 كانون الأول (ديسمبر) 1988

من الثورة إلى الدولة إلى... الفيزا

يحتار المرء فيما إذا كانت الإدارة الأميركية أساءت إلى ياسر عرفات عندما رفضت منحه (فيزا)، أي تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة، للمشاركة في أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة.

ونقول ذلك على أساس أن رفض منح التأشيرة بينما عرفات يعلن قبوله بالقرار 242 الذي كان في إستمرار مطلباً أميركياً، معناه إما أن الإدارة الأميركية لم تستوعب تماماً ما الذي حدّث في المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر، وإما أن هنالك الكثير من الضغوط الصهيونية على هذه الإدارة جعلتها تقرر عدم منح التأشيرة.

ولكن لا الإدارة الأميركية لم تستوعب ولا أن فكرة الضغوط واردة لأكثر من إعتبار موضوعي، من بينها أنه إذا كان لا بد لهذه الإدارة أن تضغط فهل إنها ستضغط على إدارة جمعت كل أوراقها من الأدراج ولم يبق لها في الحُكم سوى أيام تُعتبر من حيث المبدأ أياماً مجمدة حيث إن القرارات، وبالأذات الكبرى، لا تتخذ في مثل هذه الأيام تبعاً لتقاليد سائدة.

ومثل هذا الأمر يتم الأخذ به إذا كانت الإدارة الراحلة تنتمي إلى حزب بينما الإدارة التي ستحل محلها تنتمي إلى حزب آخر. فكيف هي الحال عندما تكون الإدارتان الراحلة والمقبلة تنتميان إلى حزب واحد؟

وإذا كانت الإدارة الأميركية، أي إدارة الرئيس ريغان، لم تستوعب الخطوة النوعية التي إتخذها البرلمان الفلسطيني في الجزائر، وفي الوقت نفسه لا يبدو أن هنالك الكثير من الضغوط الصهيونية عليها، فلماذا إذاً رفضت منح ياسر عرفات تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة؟

أغلب الظن أن رفض منح التأشيرة سببه مزاج شخص هو جورج شولتز وزير الخارجية الأميركية وليس قرار دولة... وإن كان ما إتخذ شولتز هو قرار رسمي وله مفعول أكيد.

وعندما نستعيد ما حدث في جولات شولتز في الأشهر الماضية، وكيف أن القيادة الفلسطينية تسببت في تعثر مشروعه الذي كان يحلم بأن يتوج به حياته السياسية، فإنه يجوز لنا الافتراض أن الرجل إنما ينتقم عندما يرفض منح عرفات تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة. وعندما بدأ شولتز يسعى من أجل مشروعه لم يكن ليتصور أنه يمكن أن تصل الحال بياسر عرفات إلى حد إعلان مفاجأته الصاعقة التي أعلنها في الجزائر والتي كهربت كثيرين، أولهم شولتز الذي ضاعت عليه فرصة أن تأخذ الأطراف المعنية بمشروعه فتتحقق التسوية العربية - الإسرائيلية على حساب الفلسطينيين ويسجل بذلك أنه كسينجر الآخر.

إن القرار الذي إتخذ البرلمان الفلسطيني في الجزائر لا يوجب على الإدارة الأميركية منح تأشيرة دخول إلى ياسر عرفات لزيارة واحدة، وإنما منحه تأشيرة لعدة زيارات وتأشيرة مجاملة، بمعنى أنه لا يدفع رسوم طوابع البريد عليها. وتأشيرة صالحة لمدة سنة.

ونقول ذلك على أساس أن ياسر عرفات الذي رفض شولتز منحه التأشيرة هو ياسر عرفات الذي قال، بدعم قوي من الشرعية الفلسطينية وليس بتصريح: "نعم للقرار 242. ونعم للإعتراف بدولة إسرائيل مقابل الإعتراف بدولة ثانية على أرض فلسطين"، وهو ياسر عرفات نفسه الذي يتزايد عدد الدول التي تعلن إعترافها بالدولة التي أعلن ولادتها في البرلمان الفلسطيني في الجزائر.

ويبقى أننا إعتدنا على الإدارة الأميركية، تتخذ مواقف ضد العرب رغبة منها بمسايرة إسرائيل أو نتيجة للإتزاز الصهيوني. لكنها المرة الأولى التي يتم فيها إتخاذ موقف لا تستفيد إسرائيل منه إذا كان هدفه مسايرتها، ولا تبدو الصهيونية وراءه بشكل مباشر... وإنما هو موقف ناشئ عن مزاج شخص يصفى حساباته مع الفلسطينيين، وهو

جورج شولتز، أكثر منه قرار صادر عن الإدارة الأميركية. ومن المؤكد أن الرئيس الأميركي المنتخب جورج بوش سعيد جداً بذلك لأنه سيكون الرئيس الأميركي الأول الذي سيبدأ مع الفلسطينيين علاقة من نوع جديد تاركاً أوزار الماضي للذين سبقوه.

ولعل من حسنات القرار الذي إتخذ شولتز في شأن التأشيرة هو أن إجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة ستعقد في جنيف كما هو محتمل. وبعد هذه الإجتماعات ستكون الطريق ممهدة أكثر أمام عرفات للحصول على تأشيرة لزيارة واشنطن... وليس نيويورك فقط، وذلك على أساس أن إدارة بوش تكون قد بدأت وإنتهى شولتز برحيل إدارة الرئيس ريغان وبات عدد الدول المعترفة بالدولة الفلسطينية أو المرجحة بها أكثر من عدد التي تعترف بإسرائيل أو المرتاحة لها.

... وفي هذا يكون شولتز حتى كتابة هذه المقالة يوم 1988/12/2 أفاد في معرض الإساءة المتعمدة.

ونقول حتى كتابة هذه المقالة، على أمل أن الإدارة الأميركية قد تعيد النظر في أي لحظة في قرار فج ولا يخدم السلام الذي بات قضية تهم الجميع. فهل تتراجع أميركا... أم ينتصر شولتز على أميركا، وعلى العالم؟

مجلة "التضامن". لندن - 12 كانون الأول (ديسمبر) 1988

* * *

أسباب الحرص السويسري على عرفات

بالطريقة نفسها التي أعطت فيها سويسرا تأشيرة دخول إلى الرئيسين ريغان وغورباتشوف عندما إلتقيا في المقر الأوروبي للأمم المتحدة في جنيف، منحت ياسر عرفات التأشيرة.

ويوم الجمعة 9 كانون الأول/ ديسمبر 1988 تلقى مندوب منظمة التحرير الفلسطينية لدى المقر الأوروبي نبيل رملاوي رسمياً من الحكومة السويسرية ما يفيد بأن تأشيرة الدخول مُنحت لعرفات ومن دون أن يطلبها.

وكيف يحدث ذلك؟ أي كيف يمكن منح التأشيرة من دون أن يطلبها الشخص الراغب في دخول سويسرا؟ والرد على ذلك هو أن مثل هذا الأمر لا يكون إلا لرؤساء الدول. ولا يتم بالطريقة التقليدية، أي تسليم جواز

السفر إلى السفارة السويسرية في الدولة التي يتواجد فيها عرفات وتحول السفارة الجواز إلى القسم الفصلي ويتم وضع تأشيرة على الجواز وتكون عادة من دون رسوم كبادرة مجاملة نحو كبار الشخصيات. إن منح التأشيرة من دون طلب يكون عن طريق إبلاغ الجهة التي سيدخل منها الزائر (وهي هنا مطار جنيف) أن في استطاعة الزائر الكبير الشأن الدخول على الرحب والسعة إلى البلاد.

وهذه لم تكن المرة الأولى التي تمنح فيها سويسرا ياسر عرفات تأشيرة الدخول من دون أن يطلبها، وإنما تفعل ذلك للمرة السادسة ومنذ العام 1983 عندما تمت الزيارة الأولى لعرفات إلى جنيف.

ولقد تم إبلاغ الجهة الرسمية الفلسطينية لدى سويسرا بمنح التأشيرة لعرفات من دون أن يطلبها في الوقت الذي كانت التطورات الناشئة عن رفض الولايات المتحدة منحه التأشيرة تتفاعل وتحدث المزيد من التشقق في أرضية الرأي العام الدولي وفي قطاعات عريضة من الرأي العام الأمريكي. وهذا التشقق كان مكسباً جيداً سيفيد القضية الفلسطينية إذا تم التعامل معه بذكاء وتوظيفه ضمن الأصول. ومثل هذا الأمر لن يكون صعباً بعدما باتت القضية الفلسطينية تحتاج إلى كوادرات تتفنن فن العلاقات العامة وليس إلى ثوريين متصلبين رافضين مبدأ المرونة جملة وتفصيلاً.

وما يقال عن التأشيرة التي منحتها الحكومة السويسرية إلى عرفات من دون أن يطلبها يقال أيضاً عن الحرص السويسري الواضح على حياة ياسر عرفات. وعندما يكون الحرص من جانب دولة تعتمد الحياد سياسة وتعرف ما هي الآثار الإيجابية للحياد على الاستقرار، فهذا معناه أن النظرة التي لا تفصح عنها الدولة السويسرية تقوم على أن ياسر عرفات بات نموذجاً للفلسطيني المحايد بفضل إختياره النهج المعتدل وعلى أن الاستقرار الفلسطيني، بل والاستقرار في منطقة الشرق الأوسط، بات مرتبطاً بحياة عرفات. ولعل هذه النظرة هي التي أوجبت على السلطات السويسرية إتخاذ إجراءات أمنية هي الأولى من نوعها في تاريخ سويسرا.

والذي يتواجد في جنيف يستطيع ملاحظة هذه الإجراءات، ومن يتعمق في الاتصالات والاستفسارات يمكنه أن يعرف الكثير عن هذه الإجراءات التي لم تتخذ حتى عندما عقد الرئيسان ريغان وغورباتشوف قمتها

الشهيرة التي كانت نقطة الإنطلاق للوفاق الدولي بطبعته الجديدة.

وعندما تفوق الإجراءات الأمنية في دقتها تلك الإجراءات التي إتخذت لمناسبة لقاء ريغان وغورباتشوف، فهذا أيضاً تأكيد لأهمية نظرة الدولة التي تمثل رمز الحياد الدولي، ونعني بها سويسرا، لعرفات. وهي نظرة إلى رئيس الدولة الفلسطينية التي بدأ العد العكسي لها.

ومع أن عرفات زار سويسرا من قبل خمس مرات إلا أن الإجراءات التي كانت تتخذ في الماضي لم تكن بالحزم واليقظة والدقة التي هي عليها لمناسبة إنعقاد دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة والتي هي، إذا جاز القول، «دورة الدولة الفلسطينية».

وإلى ذلك إن هذه الإجراءات ليست فقط من أجل عرفات وإنما هنالك وفود أخرى ستشارك في الدورة ولا تريد سويسرا حدوث أي منغصات.

وصحيح أن الدورة الأوروبية للجمعية العامة تشكل حلاً وسطاً بسبب رفض الإدارة الأميركية منح عرفات التأشيرة، إلا أن هذه الدورة تبدو في بعض جوانبها أنها تشكل تحدياً للإدارة الأميركية وتشكل في الوقت نفسه «فيزا» دولية لعرفات لدخول إدارة الرئيس جورج بوش نفسها، وليس فقط دخول نيويورك في الدورة المقبلة.

ويبقى أن يوم الثلاثاء 13 كانون الأول/ ديسمبر 1988، وهو يوم إنعقاد الدورة العادية للجمعية العامة للأمم المتحدة في جنيف بدلاً من نيويورك، سيشكل نقطة حاسمة في التفكير الدولي.

ذلك أن عدم منح التأشيرة لعرفات مازال أمراً يتفاعل في عقل رجل القرار والمواطن العادي في أوروبا.

وهو يتفاعل على أساس أن الإدارة الأميركية التي رفضت منح التأشيرة لعرفات يمكن أن ترفض منحها لأي مسؤول آخر مادامت لا ترتاح له... حتى إذا كان هذا المسؤول أوروبياً.

... وتلك مسألة نبهت العالم إلى أن الأمم المتحدة منظمة محايدة، أو أنها يجب أن تكون كذلك. وهي ليست كذلك مادامت الإدارة الأميركية منعها من الإنعقاد في نيويورك عندما رفضت منح «صاحب الدورة»، وهو هنا ياسر عرفات، تأشيرة دخول مع أنه أتى إلى نيويورك رافعاً غصن الزيتون بيديه متفهماً أن مرحلة الوفاق التي بدأت بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي تتطلب مرونة من جانب أصحاب القضايا العالقة.

ولم يخطر في بال عرفات ولا في بال العالم كله، الذي إرتاح للنهج الفلسطيني الجديد، أن الإدارة الأميركية ستبالغ في التشدد بعدما بالغ عرفات في المرونة. ولكن هذا ما حدث مع الأسف.

مجلة "التضامن". لندن - 19 كانون الأول (ديسمبر) 1988

* * *

1988 سنة المنتصرين

لكل سنة رجلها. وفي العادة يكون هنالك على مدار السنة الشخص الذي تنطبق عليه أوصاف رجل العام لأنه حقق عملاً كثير التميز لبلده أو أنجز أمراً بالغ الأهمية من شأنه أن يحقق الإزدهار والإستقرار للمنطقة التي ينتمي إليها أو للعالم.

تلك هي القاعدة. أما الإستثناء فهو ما تميزت به سنة 1988 حيث أنه كان هنالك بدل الرجل الواحد رجال وأيضاً كانت هنالك امرأة.

وسنة 1988 كانت سنة المنتصرين.

سنة إنتصار العراق في الحرب. ولم يترك الرئيس صدام حسين مناسبة منذ أن أعلن الحُكم الإيراني قبول قرار وقف إطلاق النار إلاّ وشّدّ فيها على أن الإنتصار كان عربياً، وأن الحرب التي دامت ثماني سنوات إنما خاضها العراق نيابة عن أمته العربية ودفاعاً عنها.

وسنة بداية إنتصار الحق الفلسطيني. وبعد أربعين سنة من المعاناة التي لا مثيل لها تنتزع الشرعية الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات تأييد العالم وإعجابه وتُحقّق بفضل الإنتقاضة من جهة، والمرونة من جهة أخرى، أكثر الخطوات السياسية أهمية ونعني بذلك قبول الإدارة الأميركية ببدء حوار مع منظمة التحرير الفلسطينية.

وسنة إنتصار باكستان ذات المشاعر العربية على باكستان المنحازة إلى الحُكم الإيراني، أي إنتصار السيدة بنازير كريمة ذو الفقار علي بوتو على ورثة الرئيس ضياء الحق الذي لقي مصرعه في حادث إسقاط طائرته العسكرية. وسنة إنتصار جورج بوش الذي نأمل كعرب في إدارته أن تكون مثالية خصوصاً بعدما مهدت لها إدارة الرئيس ريغان الطريق بإعلانها الموافقة على الحوار الأميركي - الفلسطيني، وهو حوار قد يطول لكنه من المؤكد سيثمر.

ومن المؤكد أنه لو فاز الحزب الديمقراطي بشخص مايكل دوكاكيس برئاسة الولايات المتحدة لما كان للقرار الأميركي ببدء الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية أن يحدث على الإطلاق، أو أنه كان لن يحدث على الأقل في السنوات الثلاث الأولى للإدارة الديمقراطية.

وسنة إنتصار المرونة في الكرملين بفضل إقتناع الرئيس غورباتشوف بأنه ما دام سيستمر متمسكاً بحرفية العقيدة الماركسية، كما فعل الذين سبقوه، فإنه لن يستطيع أن يحل شيئاً من القضايا العالقة. ولولا إعادة النظر لما كانت تحققت بعض الخطوات وأهمها على الإطلاق الحوار السوفياتي - الأفغاني برعاية المملكة العربية السعودية وفي الطائف، التي بدت كما لو أنها جنيف العربية بمعنى الدور السياسي الذي حقّقته جنيف على صعيد القضية الفلسطينية.

لقد كانت سنة 1988 سنة المنتصرين... سنة صدام حسين الذي خرج من الحرب المفروضة على العراق معافى وصاحب شأن. وسنة ياسر عرفات الذي وضع بفضل الإنتقاضة والمرونة القضية الفلسطينية على طريق إستعادة الحق. وفي هذين الإنتصارين كان الملك فهد موجوداً بال دعم والمساندة والحزم والحكمة. وفي الإنتصارين أيضاً كان حضور الرئيس حسني مبارك والملك حسين ملحوظاً.

وحتى الإنتصارات الأخرى من إنتصار بنازير بوتو إلى إنتصار جورج بوش إلى إنتصار غورباتشوف في معركة إعادة النظر... حتى هذه الإنتصارات تبدو حصة العرب فيها كبيرة، لكن ذلك يرتبط بإنتصار العرب على خلافاتهم. ولعل ذلك يحدث في السنة الجديدة التي بدأت وبذلك يكون الله سبحانه وتعالى عوّضنا رحلة العذاب، خصوصاً إذا كانت سنة 1989 ستنتهي وبشكل حاسم رحلة عذاب اللبنانيين بحيث تعود لهم دولتهم ويبقى لهم وطنهم ويكون للوطن رئيس وجيش وهيبة.

وعلى هذا الأساس نقول إلى اللقاء في القمة العربية في الرياض لتبدأ من هناك، وبوفاق عربي شامل، الحقبة الثانية للإستقرار في المنطقة العربية.

... والإستقرار هو مدخل الإزدهار.

مجلة "التضامن". لندن - 26 كانون الأول (ديسمبر) 1988

* * *

المقالات من 9 يناير 1989 إلى 25 ديسمبر 1989



بعد الفيضان السياسي في السودان

هذا الذي حدث في الأيام الأخيرة وما زالت آثاره تتوالى هو الفيضان السياسي. وهكذا يكون السودان شهد في العام الواحد فيضانين.. الفيضان الذي نشأ عن هطول للمطر لم يحدث بهذا التدفق منذ سنوات طويلة. والفيضان الذي نشأ عن تفجر مشاعر الناس من شدة وطأة الأسعار وتراكم الإختناقات التموينية.

ومع أن حكومة الصادق المهدي تراجعت عن قراراتها الإقتصادية، وأكثر غرابة على الإطلاق زيادة أسعار السكر بنسبة 500 في المئة، إلا أن ذلك لا يعني أن الأمور إنتهت على خير. ومثلما إن الفيضان الناشئ عن الأمطار إنحسر فزال الخطر الذي كان يهدد الخرطوم نفسها وعشرات القرى على طول ضفتي النيل بعد أن أحدث الكوارث للناس، فإن الفيضان الآخر إنحسر بإلغاء القرارات الاقتصادية، إلا أن آثاره ستبقى حتى إشعار آخر مثل التدوب على جسم الحكومة السودانية.

وإذا كان الفيضان الأول وجد الأطراف العربية الكثيرة - بما في ذلك الأطراف غير المرتاحة لمواقف الحكومة السودانية - التي تسارع لنجدة الناس الذين شردهم الفيضان وتقيم لهذا الغرض الجسور الجوية التي إستمرت على مدى أسابيع تنقل الأغذية والأدوية والملابس والبطانيات إلى المنكوبين، فإن الفيضان السياسي لم يجد من يهتم به على أساس أنه لماذا الإهتمام بحكومة أخفقت في بناء علاقات متوازنة وبالذات مع الذين في حال حدوث الإختناقات التموينية يمكن طرُق أبوابهم وبالتالي الحصول على ما من شأنه أن يساعد الحكومة فلا تضطر إلى إتخاذ قرارات إقتصادية لا قدرة للناس على تحملها ولا قدرة للحكومة في الوقت نفسه على التمسك بها. وهذا ما حدث بالفعل حيث أن مصير إستمرار الحكومة بات القضية الأساسية فتراجع رأي المستشارين الإقتصاديين ونصائحهم أمام تحذير المستشارين السياسيين وتكتيكاتهم.

لقد تراجعت حكومة الصادق المهدي عن قراراتها الإقتصادية أمام ضغوط الإتحادات السودانية التي عبرت عن رفضها للقرارات بتسيير التظاهرات. ولكن التراجع لا يعني أن القرارات كانت خاطئة. وهذه حال الإصلاح الإقتصادي. وقد تستطيع حكومة الصادق المهدي تأمين عبور مؤقتة للمحنة التي واجهتها ولكن ذلك لا يعني أن

هذه التظاهرات لن تتجدد وتواصل الإتحادات الضغط في شكل أو آخر على الحكومة.

واللافت للإنتباه أن التعامل الديمقراطي لم يحقق النتيجة الطيبة في الإختبار بين الإتحادات والحكومة، ذلك أنه عندما يكون في إستطاعة الإتحادات إجبار الحكومة على التراجع عن قرارات لإصلاح المسار الإقتصادي فهذا معناه أنه بدلاً من تسيير التظاهرات وإضطراب الشرطة إلى إطلاق النار عليها، كان يُفترض بالحكومة دعوة هذه الإتحادات إلى إختبار من يمثلها في الحكومة ومعه برنامج هذه الإتحادات لإصلاح المسار الإقتصادي. وما لم يحدث في الأيام الماضية لا يعني أنه يجب أن يحدث مستقبلاً وإلا فإن فرصة الطموحين من جنرالات الجيش أو رواده تصبح أكثر يسراً.

كذلك من اللافت للإنتباه أن أحداث الأيام الماضية في السودان إنتهت بالحد الأدنى من الضرر. فالتظاهرات لم تتسع والعنف لم يتحول إلى لغة حوار وإن كانت حدثت بعض المصادمات. وهذا سببه أن الصادق المهدي مقتنع ضمناً بأن إحتجاج الناس في محله وأن الخطوة التي إتخذتها حكومته ورفعت بموجبها الأسعار هي أفضل حجة لمن يريد أن يعارض، وأنه عندما كان ما زال معارضاً كانت تعبئة الناس بسبب الإختناقات التموينية وزيادة الأسعار، وبالذات ما يتعلق بالذرة والكبريت، هي السلاح الأقوى بيديه ضد حُكم الرئيس السابق جعفر نميري. وعندما تكون الحال كذلك فإنه يصبح أكثر تفهماً للذين يعارضون ما دامت إعتراضاتهم محصورة في إطار الإحتجاج على قرارات إقتصادية وليس على خط سياسي. ومن جانب آخر فإن الإتحادات إكتفت بعدم التصعيد ما دام الصادق المهدي الذي ساهمت في وصوله إلى الحُكم تراجع، ولأن هذه الإتحادات تدرك أن عدم التنبه من شأنه أن يجعل فرصة البديل العسكري متاحة. ومن المؤكد أنه لو لم يلجأ الصادق المهدي إلى الحكمة ويعيد النظر وتتوقف الإتحادات عن المواجهة التي أعلنتها لكان الموقف تحوّل إلى مأزق حقيقي تتكرر فيه عملية إنتقال العساكر من الثكنات إلى الوزارات.

ويبقى أن إنحسار الفيضان السياسي فرصة حقيقية وذهبية للتأمل ولإعادة النظر من قِبَل الجميع، خصوصاً أن الديمقراطية محاولة متعثرة في السودان ما دام أطرافها إتفقوا فقط على إسقاط النظام وما زالوا حتى الآن مختلفين على كل شيء بما في ذلك على المسألة الأهم وهي وقف

الحرب في جنوب البلاد وبناء علاقات متوازنة مع الأشقاء العرب من شأنها أن تساعد على تحقيق الإستقرار. وما دام أولئك الأطراف أظهروا أمام الأشقاء العرب التغيير الديمقراطي الذي حدث في السودان على أنه تجربة في الحُكم الديمقراطي غير المألوف في العالم العربي وهو ما لم يتحمل البعض مبالغة بعض القيادات السودانية في تباهيها به.

كذلك إن انحسار الفيضان السياسي فرصة حقيقية من أجل أن يتوقف الأقطاب في السودان عن لعبة البحث منفردين عن أدوار تاريخية بحيث لا يباغت زعيم الطائفة الختمية محمد عثمان الميرغني حليفه في الحُكم الصادق المهدي بإتفاق مع زعيم حركة التمرد في الجنوب جون قرنق، وبحيث لا يجهض الصادق المهدي الإنجاز الذي حققه الميرغني كي لا تتقلب الآية ويصبح الحليف الأقل شأنًا هو القطب الأقوى بتحالفه مع قرنق، وبحيث لا يُوَجَّح حسن الترابي النار بين الميرغني إلى الدرجة التي تضطر زعيم الختمية إلى فك الارتباط مع الصادق المهدي، وهذا ما حدث بالفعل وما بدأ الترابي على الفور يسعى لتوظيف نتائجه لمصلحة الجبهة الإسلامية التي يتزعمها.

هل يحدث التأمل؟ وهل يستمر؟ من أجل السودان الذي جعلته بعض زعاماته رجل العرب المريض، نتمنى ذلك.. ومن أجل السودان كي لا يصبح حاله مثل حال لبنان رجل العرب الميؤوس من شفاء مرضه أو أمراضه، نتمنى ذلك. ونتمنى وإن كنا نرى أن حال السودانين مع الديمقراطية بشكلها الحالي وممارستها المستمرة عليها منذ سنتين تذكّرنا بحال المصريين الذين أمضوا سنتين يُمنون النفس بالخيرات التي وعدهم الرئيس (الراحل) أنور السادات بأنها ستعود إليهم من إتفاقية "كامب ديفيد" فسايروه ثم كفروا بـ "كامب ديفيد" وساعته لكثرة المشاكل التي أحاطت بهم ومن بينها إرتفاع الأسعار على الطريقة نفسها التي إرتفعت فيها في السودان.

مجلة "التضامن". لندن - 9 كانون الثاني (يناير) 1989

* * *

ربيع المصارحة العربية - الأميركية

حتى الآن لم تستقم لنا نحن العرب علاقة مستقرة مع

الولايات المتحدة.

هي تتصرف على أساس أنها الدولة التي لا غنى للعرب عن خطب ودها، وما دام الأمر كذلك فإن على العرب أن يسمعوها منها أكثر مما تسمعه هي منهم وأن ينفذوا طلباتها من دون أن تكون ملزمة بالتجاوب مع تمنياتهم.

وأصدقاء الولايات المتحدة يتصرفون على أساس أنها الدولة القوية والأولى في العالم والتي تشابكت المصالح معها بحيث إن المثابرة على ترويضها تبقى أفضل من مناسحتها. وهؤلاء يتذكرون في إستمرار كيف أن تجربة عبد الناصر مع الولايات المتحدة لم تثمر حيث إنه بعدما ألهب مشاعر الناس بتحدي أميركا إلى درجة القول لها أن عليها أن تشرب من البحر، فإن الأستاذ محمد حسنين هيكل الذي ساهم لفترة طويلة في التعبير عن أفكار عبد الناصر أو التمهيد لها من خلال صحيفة "الأهرام" دعا إلى إعادة النظر وإستعمل لهذا الغرض تعبيراً وصف فيه الولايات المتحدة بأنها ثور من الأفضل عدم مناسحته لتفادي مخاطر قرنيه.

وخصوم الولايات المتحدة يتصرفون على أساس أن التحدي العربي للسياسة الأميركية كان دون ما هو مطلوب، وأنه لو كان بالحدة الكافية لكانت السياسة الأميركية أعادت النظر في موقفها في أمور كثيرة تزعج العرب. ويرى هؤلاء أن المشاكسة الإيرانية للولايات المتحدة أفادت أكثر من المرونة التي تم إعتمادها.

وعدم إستقامة العلاقة العربية - الأميركية كانت في إستمرار بسبب إنحياز الولايات المتحدة لإسرائيل وتبني وجهة النظر الإسرائيلية في القضية الفلسطينية. وإذا نحن أحصينا المواقف التي إتخذتها الإدارة الأميركية ضد العرب من أجل مسايرة إسرائيل لوجدناها بالعشرات.

ولقد ضاقت الصدور أحياناً وكاد الكيل أن يطفح أحياناً أخرى، ولكن كان يحدث في اللحظة الأخيرة بعض التريث فلا يتجاوز الضيق العربي حدود معاتبة أصدقاء الولايات المتحدة للأسلوب الذي تعتمده الإدارة الأميركية مع أن المطلوب كان خطوات فعالة وحاسمة.

وخلال ربع قرن قاسينا كعرب من الولايات المتحدة الكثير، بل قد يجوز القول إننا أضعنا من عمرنا ربع قرن كانت فيه السياسة الأميركية تمارس علينا لعبة الأمم على أحدث الأساليب.

الآن هناك مؤشرات إلى صفحة جديدة في العلاقات

العربية - الأميركية ستتبدأ. والفضل في ذلك يعود إلى القرار الفلسطيني المرن والواقعي الذي إتخذته القيادة الفلسطينية.

وبعد هذا القرار تبدو الإدارة الأميركية مطالبة بأن تعيد النظر في خمس وعشرين سنة من السياسات القائمة على عدم تفهم المشاعر العربية. ومن المؤكد أنها ستعيد النظر إذا هي نظرت إلى الموقف الفلسطيني المرن والواقعي على أنه الموقف القوي وليس الموقف الضعيف الذي إستسلم للإرادة الأميركية.

وهذا الموقف قوي لأنه ليس موقف القيادة الفلسطينية الذي إتخذ في إجتماع قيادي وإنما هو موقف تشكّل الإنتفاضة الفلسطينية والتفاف الرأي العام الفلسطيني في الداخل قبل الخارج حولها ما يشبه الإستفتاء له.. وعندما تتواصل الإنتفاضة بعد صدور الموقف المرن والواقعي فمعنى ذلك تأييد لموقف القيادة.

وهذا الموقف قوي أيضاً لأنها المرة الأولى التي يكون فيها مثل هذا الدعم العربي للقيادة الفلسطينية. وإذا جاز القول فإن وقفة الحكومات العربية مع القيادة الفلسطينية تتساوى مع وقفها السابقة يوم إتخذت قرار القمة الشهير بإعتبار منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

وهذا الموقف قوي أيضاً وأيضاً لأن التحفظات التي كانت قائمة من جانب بعض الدول الأوروبية على الموقف الفلسطيني تزول يوماً بعد آخر.. ومن الواضح أن أي تبدل في موقف دول أوروبية يأخذ من ترابط العلاقة بين هذه الدولة والولايات المتحدة ومما لا تريد الإدارة الأميركية إستمراره.

في ضوء ذلك ما هو مطلوب؟

القيادة الفلسطينية أعادت النظر.

والدول العربية باركت الموقف الفلسطيني المرن والواقعي.

والعلاقات العربية - الأميركية تحتاج إلى الإستقرار.

وقبل أن يتم إنتخاب جورج بوش رئيساً للولايات المتحدة خلفاً للرئيس ريغان كانت هنالك مخاوف حقيقية من إستمرار حالة عدم الاستقرار، إلا أن إنتخاب بوش جاء ليخفف من القلق على مصير حالة التعامل العربية - الأميركية. وقد يجوز القول إن الناخب الأميركي بدعمه لجورج بوش كان يدعم الخط الذي يرى أن تستقر العلاقة العربية - الأميركية. وهي العلاقة التي شعر هذا الناخب

بحساسيتها في سنوات الحرب العراقية - الإيرانية وما باتت الولايات المتحدة طرفاً أساسياً في هذه الحرب من خلال تواجدها العسكري في مياه الخليج.

نصل الآن إلى الأسلوب الذي يجب إعتماده لتحقيق الإستقرار المطلوب للعلاقة العربية - الأميركية.

هل يكون في شكل حوار عربي - أميركي على المستويات البرلمانية؟

أم هل يكون في شكل لجنة عربية من نوع اللجنة السباعية تُجري محادثات مع الإدارة الأميركية الجديدة وتنتهي هذه المحادثات ببيان مشترك نقرأ بين سطور كلماته الرغبة في العمل من أجل إستقرار العلاقة العربية - الأميركية؟

أم إننا بدل هذا كله نتوقع أن يقوم الملك فهد بن عبد العزيز بزيارة إلى واشنطن بعد أن تُرتب الإدارة الأميركية الجديدة أوراقها وتكون زيارة وضّع النقاط على الحروف وليس مجرد زيارة تهنئة؟

من المؤكد أن مثل هذه الزيارة ستكون مجدية لعدة إعتبارات موضوعية. فالملك فهد صديق للولايات المتحدة. والملك فهد يستطيع أن يقول للإدارة الأميركية ما هو أكثر من النصيحة وأقل من التحذير. والملك فهد موضع قبول العالم العربي بجناحيه المحافظ والثوري. والملك فهد معني في الدرجة الأولى بضرورة إستقرار العلاقات العربية - الأميركية.

هل يحقق خادم الحرمين الشريفين ذلك؟

إن الظروف الموضوعية تجعلنا نفترض أن ربيع 1989 هو ربيع المصارحة العربية - الأميركية.. وعلى أرضية المصارحة سيحدث الإستقرار المطلوب للعلاقة بين العرب والولايات المتحدة.

وعلى الإنتظار من دون إسقاط مفاجآت اللحظة الأخيرة. ونعني هنا المفاجآت غير السارة من نوع الإعتداء الأميركي على ليبيا والذي كنا نتمنى في سبيل الإستقرار العربي - الأميركي عدم حدوثه. والآن بعدما حدث هذا العدوان الذي نأمل ألا يتجاوز حدوده الحالية فإن المصارحة العربية مع الإدارة الأميركية باتت أمراً في منتهى الأهمية خصوصاً أن الرئيس الليبي معمر القذافي عرض على الإدارة الأميركية، التي سيبدأ بعد أيام عهدها، الحوار بدل الإستمرار في هذا التآزم الذي يهدد الإستقرار والمصالح المشتركة. وأهم ما في مبادرة العقيد القذافي أنها تمت بعدما نفذت إدارة الرئيس ريغان وعيدها وإعتدت

طائراتها على الطائرات الليبية، وكأنما يريد الرئيس الليبي من تلك المبادرة قطع الطريق على الجزء الأكثر خطورة من الاعتداء والذي يشكل تنفيذه إزعاجاً لإدارة الرئيس بوش وإنتكاسة كبرى للإستقرار المنشود.

مجلة "التضامن". لندن - 16 كانون الثاني (يناير) 1989

* * *

مجرد تفقّد لأحوال المريض اللبناني

حتى الآن لا يبدو أن هناك إصراراً عربياً على إنهاء الأزمة اللبنانية. وكل ما حدث بعد ثلاث عشرة سنة من الإقتتال هو أن مجلس الجامعة العربية، الذي عقد إجتماعاً قبل أيام في تونس على مستوى وزراء الخارجية، قرر تأليف لجنة سدادسية يترأسها وزير خارجية الكويت الشيخ صباح الأحمد وتضم وزراء خارجية الأردن والإمارات العربية، المتحدة والجزائر وتونس والسودان والأمين العام للجامعة العربية وأن هذه اللجنة وجهت الدعوة إلى رئيس حكومة لبنان الدكتور سليم الحص والعماد ميشال عون وإلى رئيس مجلس النواب اللبناني للقاء بهم في تونس. هذا ما حدث حتى الآن. ومن حيث المبدأ فإن الخطوة تبدو إيجابية ولكنها ليست فعالة لأن مثل هذا التعاطي مع الأزمة اللبنانية يبدو كما لو أن الدول العربية تريد أن تستقي الحقائق مع أن الحقائق معروفة ما فيه الكفاية، وأن المطلوب ليس أكثر من قرار وعلى مستوى الملوك والرؤساء يضع حداً بل يضع نهاية للأزمة اللبنانية.

وعندما نقول ذلك تعود بنا الذاكرة إلى ما حدث في الأيام الأخيرة من سبتمبر/أيلول 1970 عندما إنعقدت في القاهرة القمة المصغرة التي دعا إليها الرئيس جمال عبد الناصر لوضع حد للأزمة الأردنية - الفلسطينية التي لم تكن أقل خطورة وتعقيداً من الأزمة اللبنانية الراهنة.

ولو أن عبد الناصر سعى في تلك الأيام إلى مؤتمر ينعقد على مستوى وزراء الخارجية ثم يناقش هذا المؤتمر الأزمة ويضع جدول أعمال للملوك والرؤساء أو لبعضه كي يناقشوا الأزمة في ضوء تصوّر واضح حدوده ووزراء الخارجية لكان معنى ذلك أن تتطور الأزمة وتتفجر بحيث تصيب شظاياها الجميع. لكن عبد الناصر دعا إلى تلك القمة التي تم عقدها في فندق هيلتون وحول الإجتماع

إلى ما يشبه غرفة العمليات بالمعنيين الطبي والعسكري ولعل الكثيرين يتذكرون أن إجتماع قمة هيلتون إنتهى يوم 27 أيلول/سبتمبر 1970 وقد تم وضع إتفاق واضح المبادئ إلّتزم به الطرفان الأردني والفلسطيني.

هذا هو ما تحتاجه الأزمة اللبنانية، قمة مصغرة تتخذ قراراً لا مجال للمناقشة في شأنه من نوع قمة هيلتون التي دعا إليها عبد الناصر، وهو ربما قد يكون لإحساس داخلي شعر بدنو أجله فدعا إلى قمة بينما هو مريض وبذل كل الجهد الممكن من أجل أن تتجح القمة وذلك كي يختم المشهد الأخير من فترة حكمه بمشهد يبقى عالماً في أذهان العرب ولكي يروي الآباء للأبناء أن عبد الناصر ودّع الدنيا بخدمة جليلة قدّما للقضية الفلسطينية وللوفاق العربي.

واللافت للإنتباه أنه مقابل إصرار عبد الناصر خلال قمة هيلتون عام 1970 على كشف الوقت إلى حد إرسال جعفر نميري والشيخ سعد العبدالله والباهي الأدم إلى عمان في مهمة أشبه ما تكون بمهمة إنتقال فريق طبي داخل سيارة إسعاف لإنقاذ عائلة محاصرة أو تحت الأنقاض... إنه مقابل ذلك فإن اللجنة التي قررها مجلس الجامعة الذي عقد إجتماعه في تونس قبل أيام وضعت خطة لا يبدو فيها عامل الوقت أساسياً حيث إنها، طبقاً لما تردد من معلومات، ستجتمع خلال أسبوعين بالشخصيات اللبنانية الثلاثة الحص وعون والحسيني في تونس، وكان الأجدى، كما فعل عبد الناصر من قبل، إرسال وفد إلى بيروت يعود معه الشخصيات الثلاثة لأن ذلك سيترك إنطباعاً بجدية المسعى... هذا إذا نحن سلّمنا بأن هذه الشخصيات هي رموز الأمة وأنها مفوضة لدى العرب بأن تقرر ما تراه مناسباً. يبقى أننا ونحن نبدي هذه الملاحظة نأخذ في الإعتبار أن اللجنة ترى أنه ما دامت الأزمة اللبنانية في سنتها الثالثة عشرة فإن تأخير إستقبال الشخصيات اللبنانية الثلاثة أسابيع ليس شيئاً أمام طول مدة الأزمة اللبنانية، فضلاً عن أن عدم الإستعجال قد يكون مرتبطاً بتوقع حدوث تطورات على صعيد ميزان القوى على الساحة اللبنانية. ومثل هذا الأمر معقول ومقبول. لكن الخوف هو أن يكون عدم الإستعجال عائداً إلى حسابات أهل القرار العربي بأن حل الأزمة اللبنانية يبدأ عندما يتم الإتفاق على المؤتمر الدولي لإيجاد الحل الفلسطيني وعندما تنطلق مفاوضات السلام العراقية - الإيرانية.

وعلى هذا الأساس فإن ما تقرر في تونس ليس أكثر من تفقّد لأحوال المريض اللبناني وليس لإجراء العملية الجراحية التي تنقذه لأن الجراحين بمباضعهم منصرفون إلى آخرين تم إدخالهم في غرفة العمليات. وهي غرفة لا تحتمل أكثر من حالة واحدة فضلاً عن أن العملية الواحدة تستغرق بضعة أشهر وليس بضع ساعات. ... لذا إقتضى التنويه أيها اللبناني الذي يكاد يقتلك إنتظار الطبيب العربي المداوي.

مجلة "التضامن". لندن - 23 كانون الثاني (يناير) 1989

* * *

ذهب ريغان.. وبقي القذافي

ذهب ريغان وبقي القذافي. بهذه العبارة يمكن تلخيص مسيرة العلاقات الأميركية - الليبية التي لا مثيل لها في تاريخ علاقات الولايات المتحدة مع أي دولة في العالم. إن التوتر بين دولتين بصرف النظر عما إذا كان هذا التوتر مبرراً أو غير مبرر، إلا أن التوتر الذي إتسمت به العلاقات الأميركية - الليبية طوال حُكم الرئيس ريغان كان من نوع لم يحدث من قبل ولا نعتقد أنه يمكن أن يتكرر. وعندما نقول ذلك فإننا نقصد أنه لم يحدث أن إعتدت دولة كبرى على دولة تبعد عشر ساعات طيران بحجة أن أمنها مهدد. كما أنه لم يحدث أن كانت الدولة الصغرى، التي هي هنا الجماهيرية الليبية، تُلقى الدولة الكبرى، التي هي الولايات المتحدة، ويصل الإقلاق إلى حد يعطي الرئيس ريغان أوامره إلى الطائرات والقُطع البحرية لكي تقصف مواقع في العاصمة الليبية على مَن فيها من البشر، أو توجّه الصواريخ إلى طائرتين ويتم إسقاطهما أمام سَمْع العالم وبصره.

ولا يمكن تفسير الموقف الذي إتخذه الرئيس ريغان ضد الجماهيرية الليبية سوى أنه حالة نفسية ناشئة عن شعور حاكم الدولة الأولى في العالم بأنه ليس من حق رئيس دولة لا يتجاوز عدد سكانها الثلاثة ملايين نسمة أن يتحداه ويستتهين به ويقول في حقه كلاماً يتسم بالسخرية. وعندما نتأمل ما تنشره وسائل الإعلام الأوروبية أو تبثه من معلومات وتحليلات وبرامج إذاعية وتلفزيونية فيها الكثير من التهكم على الجميع، بمن فيهم رئيس الدولة

الأولى أميركا، فإننا نستغرب لماذا لا يكون ذلك مقبولاً من هذه الوسائل ومرفوضاً من العقيد معمر القذافي. وعلى سبيل المثال لا الحصر إن بعض البرامج التلفزيونية التي بثها التلفزيون البريطاني لا تنتقد الرئيس الأميركي وحسب وإنما تتهكم عليه وبطريقة تجعل المرء يبدي إستغرابه لأن بريطانيا دولة حليفة للولايات المتحدة ويفترض في الحليف مراعاة حليفه لا السخرية منه.

كذلك إن عامل السن يشكّل عنصراً مهماً في الأمر، بمعنى أن الرئيس ريغان إعتبر أن مجرد أن يتحداه العقيد القذافي الذي يصغره بأربعين سنة فهذا معناه أن عليه البحث عن أي ذريعة يستند إليها في الرد على التحدي بالعدوان، من دون أن يأخذ في الإعتبار العوائق، ومن دون أن يحسب حساباً للمرارة التي ستتركها خطوته في نفوس العرب والمسلمين الذين هم إكتفوا بالتنديد، فهذا لا يعني أن مشاعرهم إزاء العدوان تقتصر على ذلك. وفي نفس كل عربي ومسلم، وبالذات الذين في مواقع المسؤولية، ما هو أكثر من ذلك بكثير.

لقد بدا لبعض الوقت أن إحدى المهام الأساسية التي يعتبر الرئيس ريغان أنه مطالب بتحقيقها قبل إنتهاء ولايته وهي إسقاط حُكم العقيد القذافي. ومن أجل ذلك فإنه عندما تنتهي ولاية ريغان ويغادر البيت الأبيض ويصبح مجرد رئيس سابق بينما العقيد القذافي في الحُكم يواصل واجبه القومي ودوره في تطوير بلاده فهذا معناه أن الجولة إنتهت لمصلحة العقيد.

ومن المؤكد، وإستناداً إلى عوامل موضوعية كثيرة، أن الصيغة الجديدة للعلاقات الأميركية - الليبية ستكون مختلفة تماماً في عهد الرئيس بوش بسبب معادلة قائمة على أساس أن العقيد القذافي ليس ضد أميركا وأن الرئيس الأميركي الجديد ليس ضد العقيد القذافي.. أو أنه ليس من مصلحة العقيد القذافي أن يكون ضد أميركا.

أما الرئيس بوش فمن مصلحته نزع بعض الصفحات من كتاب تعامل بلاده مع العالم وأهم هذه الصفحات تلك المتعلقة بالتعامل العدواني مع ليبيا.

ويبقى في المقابل الأمر المطلوب من العقيد القذافي، وهو أن يغرد في التسعينات، بل ومنذ الآن، داخل السرب العربي بعد الموقف المساند له الذي إتخذه الأشقاء العرب رداً على "الإعتداء الريغاني" عليه، وأن يتعايش مع بقية دول العالم وفي مقدمتها الدول الأوروبية التي إستتكرت، علناً أو صمناً، الخطوة العدوانية التي أقدم عليها الرئيس

ريغان على مرحلتين.

ونكاد نجزم بأن العقيد القذافي على أهبة التعاطي بأسلوب جديد مع الأشقاء ومع الأصدقاء.. ومع العالم. وهذا ما نعينه بالتغريد مع السرب، ومساعدة إدارة الرئيس جورج بوش على إزالة آثار موقف سيء إتخذته إدارة ريغان التي إنتهت قبل أيام من دون أن تنجح في تحقيق مخططاتها لإغتيال القذافي أو إسقاطه أو - وهذا أمر بالغ الأهمية - تحييد العرب والمسلمين الذين تصرّفوا على أساس أن الإعتداء على ليبيا هو إعتداء عليهم. وهذا ما جعل مخطط ريغان يُمنى بالفشل الذريع.

مجلة "التضامن". لندن - 30 كانون الثاني (يناير) 1989

* * *

تحرير مازق المفاوضات على طريقة تحرير الفاو

من الطبيعي بالنسبة إلى رئيس دولة من نوع صدام حسين أن يكون الوقت عنده ثميناً جداً، بمعنى أن أي ثانية من دون الإستفادة منها لا يمكن تعويضها.

والرئيس صدام ليس هكذا بسبب الحرب وإنما لأنه منذ السنة الثانية لتسلم الحكم قبل عشرين سنة يخوض معارك يشكّل الوقت العامل الأساسي فيها. ولعل أهم هذه المعارك على الإطلاق معركة التنمية التي إختصر صدام حسين سنواتها ومعركة محو الأمية التي إختصر أيضاً سنواتها.

ثم جاءت الحرب لتؤكد كيف أن يوم صدام حسين هو غير اليوم العادي، وأن هذا القائد قادر على أن ينجز في وقت واحد أكثر من عمل، وأنه على رغم ذلك يتمنى في قرارة نفسه لو كان اليوم الواحد عبارة عن مئتين وأربعين ساعة بدلاً من أربع وعشرين ساعة.

وعندما يتوجه صدام حسين من إجتماع بالغ الأهمية إلى المطار ثم إلى جدة ومنها إلى مكة المكرمة لتأدية مناسك العمرة، ثم التوجه إلى المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية قبل العودة إلى بغداد وإستئناف الإجتماعات والزيارات إلى الجبهة والاطلاع على التقارير وكتابة الملاحظات على كل تقرير مرفوع إليه.. إنه عندما يحدث ذلك في خلال أقل من يومين، في حين يحتاج

إنجازه في الظروف العادية إلى أكثر من شهر، فهذا مؤشر إلى حرص الرئيس صدام على الإستفادة من الوقت. كذلك إنه عندما يقوم الرئيس صدام حسين بزيارة مماثلة إلى القاهرة ويوصل النهار بالليل وينجز المحادثات المهمة مع الرئيس حسني مبارك ويزور مناطق عاش فيها أيام كان طالباً ولاجئاً سياسياً في القاهرة ثم يشاهد عرضاً في الأوبرا المصرية، ويكون في بغداد بعد ساعات لحضور اليوم الأخير من مهرجان المربد ويستمتع إلى الشعر ويشهد الآن توزيع جائزته الأدبية القيمة... إنه عندما يحدث ذلك في يوم أربع وعشرين ساعة، بينما يحتاج ذلك في الظروف العادية إلى أسبوع على الأقل والإستعداد الذهني والنفسي والراحة بين مناسبة وأخرى، فهذا مؤشر إلى حرص الرئيس صدام على الإستفادة من الوقت فضلاً عن الحيوية التي يتم فيها توظيف الساعات بحيث لا تذهب هدراً أي دقيقة لأنها ستكون على حساب أمر آخر.

وهذان مثالان من أمثلة كثيرة لها تعكس مدى حرص الرئيس صدام على الوقت ورفضه لأي مساس من جانب أي مسؤول يعمل في ديوانه وفي الدولة عموماً بالوقت. وليس مبالغة القول إن ضبط ساعة الدولة يتم على وقت صدام حسين لأن الوقت أكثر دقة ولأنه رئيس الدولة الذي يدرك كم أن عنصر الوقت حاسم في القرارات الكبرى والخطوات الأكبر على صعيد بناء الدولة.

ومناسبة الإشارة إلى مسألة الوقت وحرص صدام حسين على الإستفادة حتى من الثواني ما حدث يوم الأحد 29 كانون الثاني (يناير) 1989 عندما إستقبل الرئيس صدام حسين لمدة أربع ساعات يان الياسون ممثل الأمين العام للأمم المتحدة بيريذ ديكيوار.

وعندما يستقبل رئيس دولة من نوعية صدام حسين زائراً لمدة أربع ساعات فإن علينا أن نفترض أن الرئيس وظّف هذا الوقت من أجل تنشيط عملية السعي لتحقيق السلام بين العراق وإيران.

وعندما يحرص الرئيس صدام شخصياً على أن يشرح نصف وعلى مدى ساعتين، الوقت (على أساس أن نصف الوقت أو أقل تستغرقه في مثل هذه اللقاءات الترجمة) لممثل الأمين العام طبيعة الصراع العربي - الفارسي (والحرب التي حدثت بين العراق وإيران جزء من هذا الصراع) فلكي يتفهم هذا المسؤول الدولي، ما دام يقود المفاوضات العراقية - الإيرانية المباشرة في جنيف، بعض الحقائق التي يمكن أن تساعده عندما يجلس بين الطرفين

السخونة.

والمبادرات لن تتوقف. وبعد أيام سيكون العالم العربي والدول الكبرى على موعد مع نقلة نوعية في التحرك الدبلوماسي العراقي من أجل السلام الشامل والدائم.

مجلة "التضامن". لندن - 6 شباط (فبراير) 1989

هل هي محاولة لضرب فرصة لا تعود؟

منذ أن أذيع أن مجلس الجامعة العربية أوكل إلى لجنة سداسية يقودها عميد الدبلوماسية العربية الشيخ صباح الأحمد مهمة السعي من أجل إيجاد حل للمشكلة اللبنانية بدأت التساؤلات تتجمع في الأفق وتدور حول نقطة واحدة، ما الذي يستطيع أن يفعله نائب رئيس وزراء الكويت ووزير الخارجية بالنسبة إلى هذه المشكلة التي دخلت عامها الرابع عشر وهي تنتقل من مأزق إلى مأزق؟

وفي الوقت نفسه فإن مشاعر من التفاؤل سادت، لأكثر من سبب لعل أهمها أن مكانة الكويت في نفوس أطراف المشكلة كبيرة، ومن المهم التوضيح بأن الأطراف التي نعيها لا تشمل بالطبع الطرف الإسرائيلي ولكنها تشمل الأطراف الدولية التي تستطيع أن تضغط على إسرائيل وهذا أمر جيد. وإلى ذلك يمكن ملاحظة الأمور الآتية:

أولاً - إنها المرة الأولى التي يكون فيها المتعاطي في أمر المشكلة اللبنانية، الشخص الذي يملك الموصفات التي لا تنوافر في كثيرين. فالشيخ صباح الأحمد صاحب تجربة دبلوماسية عريقة، وهو في هذه التجربة لم يكن بعيداً عن القرار السياسي وإنما هو أحد صانعي القرار.

وقد مرت هذه التجربة في مراحل متناقضة من السياسة العربية. وفي كل مرحلة كان الشيخ صباح يكتسب المزيد من الخبرة، بمعنى أنه بات الأكثر دراية في أسلوب التعامل مع الطرف المرن ومع الطرف المتشدد. وخلال هذا التعامل لم يسجل الشيخ صباح على نفسه وعلى بلاده أنه أغضب هذا الطرف أو ذاك، أو أنه سجل تنازلات لهذا الطرف على حساب ذاك. كما لم يسجل أنه يمكن أن يكون ضد قناعاته من دون أن يكثر من ممارسة الإجهادات.

ثانياً - إن الشيخ صباح هو ابن تجربة ديمقراطية في الحياة السياسية العربية. ومن ينتمي إلى هكذا تجربة يكون

خلال المفاوضات أو عندما يستقبل كلاً منهم على حدة. ومن المؤكد أن الرئيس صدام فعل ذلك على أساس أن الحرب العراقية - الإيرانية ليست مثل الحرب الأميركية - الفيتنامية لكي يكون فيها التفاوض تقليدياً. ولا هي مثل الحرب التي شهدتها أفغانستان، وإنما هي جزء من صراع يشبه، في بعض أوجهه الصراع العربي - الإسرائيلي. ومن دون إستيعاب حقائق هذا الصراع لا يمكن للتفاوض أن يتقدم ولا للحل الدائم أن يتكرس.

وإلى ذلك إن أهمية مثل هذا الأمر هي أن الياسون سيستطيع عند إستئناف المفاوضات التمييز بين كلام وكلام. بمعنى أنه إذا قال رئيس الوفد الإيراني كلاماً لا يلتقي مع الحقائق الموضوعية للصراع العربي - الفارسي فإن الياسون لن يتصرف مع هذا الكلام تصرفاً من يدير جلسة وإنما سيعرف أن القائل غير واقعي وبسبب ذلك تتعثر عملية التفاوض.. وهكذا.

كما أن ممثل الأمين العام، الذي من الطبيعي أن يكون كتب تقريراً دقيقاً عما سمعه من الرئيس صدام إلى الأمين العام للأمم المتحدة، بات هو ورئيسه بفضل لقاء الساعات الأربع بين الرئيس صدام والياسون أكثر إحاطة بالنيات العراقية. وإذا حدث أن جدد رئيس الوفد الإيراني القول في جلسة مقبلة بأن رئيس الوفد العراقي غير مفوض كما حدث في الماضي، فإن الياسون سيكون، وعلى الأقل بينه وبين نفسه، مطمئناً إلى أن رئيس الوفد العراقي مفوض بدليل أن ما يقوله سمعه هو شخصياً - أي الياسون - من الرئيس صدام حسين عندما إجتمع إليه لمدة أربع ساعات. ويبقى أن هذا الإهتمام من جانب الرئيس صدام بتوضيح الحقائق شخصياً لممثل الأمين العام هو بادرة من مبادرات الرئيس غير المطروقة التي تستهدف تنشيط عملية السلام المتعثرة. وقيل هذه المبادرة كانت مبادرته بإطلاق بضع عشرات من الأسرى الإيرانيين وبعدها كانت مبادرته بفتح المجال الجوي أمام الطائرات المدنية المتوجهة إلى إيران.

وكل هذه المبادرات أشبه على الصعيد الدبلوماسي بعمليات تحرير الأرض في الفاو والسلامة وحلجة على الصعيد العسكري، والتي قادها الرئيس صدام وإنتهت إلى إجبار الحُكم الإيراني على القبول بالقرار 598.

وهي مبادرات تستهدف مأزق المفاوضات ولا يقوم بها إلا رجل الدولة الحريص على السلام والذي لا يريد للوضع بين بلاده وإيران أن يستمر حرباً ساخنة.. بل وكثيرة

بطبعه متعاطفاً مع تجارب مماثلة، وبالذات إذا واجهت هذه التجارب أو إحداها (كما حدث لتجربة الديمقراطية في لبنان) أزمة أو محنة.

ومن المؤكد أن سعي ابن تجربة ديمقراطية في سبيل حل أزمة بلد كانت له تجربة ديمقراطية مماثلة، أو أن جوانب التشابه متعددة، يختلف عن سعي طرف آخر ينظر إلى لبنان من زاوية مختلفة.

وزيادة في التوضيح إن سعي الشيخ صباح في التجربة الديمقراطية في لبنان من شأنه تعزيز الخيار الديمقراطي في الكويت. وعندما تستعيد الديمقراطية، التي كانت علامة فارقة في التاريخ اللبناني عافيتها فإن الديمقراطية، التي هي علامة مضيئة مسجلة في التاريخ الكويتي، ستبقى على وهجها. وإذا فإن سعي الشيخ صباح هو بمثابة نجدة من ديمقراطية خليجية، ما زالت معافاة، لديمقراطية على ضفاف المتوسط تحتاج إلى من ينقلها إلى غرفة العناية الفائقة ويرعاها بعض الوقت.

ثالثاً - إن الدبلوماسية الكويتية التي أدخلت ناقلات الدول الكبرى مادة رئيسية في جدول أعمال الحرب العراقية - الإيرانية، وبذلك شعرت إيران أنها في مأزق لا قدرة لها على الخلاص منه إذا هي استمرت تستفز هذه الناقلات التي تحمل النفط الكويتي وأعلام الدول الكبرى وأولها الاتحاد السوفياتي... إن هذه الدبلوماسية تملك من القدرة على ابتكار الوسائل ما من شأنه جعلها لا تياس من إستنباط حل للمشكلة اللبنانية.

والى جانب القدرة فإن هذه الدبلوماسية موضع إرتياح السياسة العربية بجناحيها الشرقي والمغربي والمحافظ والثوري.

كما أن علاقتها القوية بأطراف المشكلة اللبنانية الداخليين والخارجيين تتيح لها الفرصة التي لا يمكن أن تتاح لغيرها. وعندما يتذكر اللبنانيون أن أمير الكويت كان يصطاف عندهم، وأن العائلات الكويتية المقتدرة كانت تملك في بيروت والجبال اللبنانية الدارات والعمارات والأراضي، وأن الأسواق اللبنانية كانت دائمة الإنتعاش من الزوار الكويتيين... إن اللبنانيين عندما يتذكرون ذلك، ويلاحظون في الوقت نفسه أن دولة الكويت لم ترسل قوات ولا دعمت ميليشيات، فإنهم سيشعرون أنها المرة الأولى التي يتعاطى في شأن مشكلتهم الطرف العربي الذي يريد الخير للبلد ويسعى من أجل حل مخلص للمشكلة المتعثرة.

والى جانب القدرة أيضاً هنالك الدعم الخليجي للدور الكويتي والدعم المصري لهذا الدور. كما أن هنالك المباركة التي لا تخفيها الدول الكبرى وبالذات الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا وفرنسا.

لكن يبقى ونحن نقول ذلك نشعر بخشية على الدور الكويتي ونخاف أن يصاب بنكسة من قبل الطرف العربي الأكثر تشدداً إزاء أي حل لا يرتاح إليه للمشكلة اللبنانية، ونعني بهذا الطرف الحُكم السوري.

وفي البداية شعرنا بالإرتياح والإطمئنان عندما قيل لنا في الكويت إن الموقف السوري جيد ويشر بالخير، وأن عميد الدبلوماسية العربية الشيخ صباح الأحمد عاد من زيارته إلى دمشق بهذا الإنطباع، لكن سرعان ما إرتسمت فوق مشاعر الإرتياح والإطمئنان علامات كثيرة من الإستقهام والتعجب تؤكد أن ما يقال هو غير ما في العقول والقلوب من بينات. والذي جعل علامات الإستقهام والتعجب تتجمع مثل الغيوم وترسم في الأفق هو قول صحيفة "البعث" السورية يوم عودة الشيخ صباح الأحمد من دمشق إلى الكويت (الأحد 5 فبراير 1989) إن اللجنة الوزارية العربية السداسية المكلفة بالبحث عن حل للأزمة اللبنانية "توصلت إلى القناعة السورية بشأن القضية اللبنانية".

أما لماذا علامات الإستقهام والتعجب فلأننا نتمنى أن تتجح اللجنة السداسية برئاسة عميدها الشيخ صباح في حمل الحُكم السوري على الأخذ بقناعاتها وليس العكس. ونقول ذلك على أساس أنه إذا كانت اللجنة السداسية توصلت بالفعل إلى القناعة السورية فهذا معناه أن المشكلة اللبنانية ستبقى على حالها... مع الأسف.

والذي يعزينا بعض الشيء هو أن اللجنة السداسية لم تقل ذلك، كما أنه لم يقل ذلك الرئيس حافظ الأسد، من دون أن يعني ذلك أن صحيفة "البعث" عندما تقول ما قالت لم تكن تعبر عما يدور في خلد الحُكم السوري أو تمهد الأجواء لكلام في الإطار نفسه يقال على أعلى المستويات وهدفه تقويض فرصة لا تعوض للمشكلة اللبنانية. والأمر في أي حال يحتاج إلى توضيح من الشيخ صباح الذي يخاف كل عربي يتمنى الإستقرار للمنطقة وكل عربي يحب لبنان ويريد له الخير، أن يصاب مسعاه الحميد والمخلص بنكسة.

مجلة "التضامن". لندن - 13 شباط (فبراير) 1989

* * *

تجمع المحاربين

عندما يلتقي الرئيس حسني مبارك والرئيس علي عبد الله صالح والملك حسين مع الرئيس صدام حسين وفي بغداد ويعلنون منها ولادة تجمع إقتصادي، فإن مثل هذا التجمع يبدو منسجماً مع الواقع الذي أحدثته دول الخليج عندما إختارت أن تعمل هذه الدول ضمن صيغة تعاونية بمعزل عن تعقيدات العمل العربي المشترك والتناقضات السائدة في الصف العربي.

ولو أن تجربة مجلس التعاون لدول الخليج العربية لم تكن في نظر الدول الأربع، وهي مصر والعراق والجمهورية اليمنية والأردن، تجربة ناجحة لما كان قادة هذه الدول فكروا بالإقدام على التجربة المماثلة. ولكن تجربة مجلس التعاون الخليجي أثبتت على مدى تسع سنوات أن التنسيق السياسي مهم، وأن التكامل الإقتصادي ممكن وبفضل خطط التنسيق وخطوات التكامل حقق مجلس التعاون الخليجي إنجازات طيبة لعل أهمها على الإطلاق أنه بات نموذجاً للعمل المشترك يتطلع إليه العرب الآخرون.

ومن الناحية العملية إن التجمع العربي الإقتصادي هو تجمع الدول المثقلة بالمشاكل الإقتصادية والقروض المؤجلة، إلا أنه في الوقت نفسه التجمع الذي تغلب على شعوب دوله الصفة الإنتاجية أكثر من الظاهرة الإستهلاكية التي تغلب على شعوب دول مجلس التعاون الخليجي. ومن شأن التكامل المتأني والبعيد المدى على الصعيد الإقتصادي بين كل من مصر والعراق واليمن والأردن أن يخفف من المشاكل الإقتصادية ومن أعباء الديون والقروض.

ومن الناحية العملية أيضاً فإن التجمع العربي الإقتصادي هو تجمع المحاربين، بمعنى أن كلاً من مصر والأردن والجمهورية اليمنية وقفت خلال سنوات الحرب، من دون تحفظ، مع العراق وشاركت، إلى حد ما، في هذه الحرب، وكأنما هي أطراف مباشرة في هذه الحرب. وعندما تكون هذه هي الحال فمعنى ذلك أن قادة الدول الأربع على درجة عالية من الإنسجام. وأكدت الزيارات المتبادلة بين القادة أهمية هذا الإنسجام.

والى ذلك إن التجمع الرباعي يؤكد حقيقة أساسية وهي نفّض الأيدي من العمل الودودي بالصيغة التقليدية، ويؤكد حقيقة أساسية أخرى وهي تعديل النظرة إلى المفاهيم

الإشترابية التي سادت في الستينات والسبعينات.

وإذا كانت مسألة التجانس بين الأنظمة ومسألة الإمتداد الجغرافي هما السمة المميزة لدول مجلس التعاون الخليجي وهما نقطة القوة في هذا المجلس، فإن التباعد الجغرافي بين دول التجمع الرباعي لا تعود نقطة ضعف ما دام منطلق التجمع إقتصادياً وليس سياسياً، وما دام هناك تكريس للخيارات وللكيانات بل وإصرار على ذلك.

واللافت للإنتباه ان العمل من أجل التجمع الرباعي تم في أجواء من التكنم النسبي. كما أن الإعلان عنه حدث بأسلوب الجرعات، الأمر الذي يعني أن قادة دول هذا التجمع حريصون على تقادي الثغرات والنكسات.

وأهمية التجمع الرباعي هو في رحابته، بمعنى أنه إذا كان مجلس التعاون الخليجي أغلق باب العضوية بالدول التي إنتسبت إليه والتقت في الإجتماع الأول، فإن التجمع الرباعي ترك الباب مفتوحاً أمام من يريد من الدول العربية الإنضمام إليه من دون أن يشكّل العامل الجغرافي عائقاً أمام الإنضمام ما دام التجمع يضم العراق في قلب الخليج واليمن على ضفاف باب المندب. وعلى هذا الأساس فإن الدول العربية الحائرة ستجد في هذا التجمع مكاناً إذا هي أرادت إضطراراً أو إختياراً. ونقول ذلك على أساس أن ولادة التجمع المغاربي ستترك دولا حائرة ويشكّل مجلس التعاون العربي حلأ لها.

ومن نقاط القوة في مجلس التعاون العربي أنه يحظى بالتأييد الشعبي القوي، بمعنى أنه لا يحتاج إلى الإستفتاءات ما دامت تلك منطلقاته.

إن صورة العالم العربي في السنوات المتبقية من القرن العشرين ستكون على شكل ثلاثة تجمعات: التجمع الخليجي والتجمع العربي الذي نواته مصر والعراق واليمن والأردن والتجمع المغاربي الذي يُفترض فيه أن يولد قريباً ويضم المملكة المغربية والجزائر والجمهورية الليبية وموريتانيا.

وقد تحاول الدول الحائرة وأبرزها على الإطلاق السودان وسوريا، البحث عن صيغة ما إلا أن الأمور إنتهت على ما يبدو إلى أنه لا مجال لتجمع رابع، وإن كان الدول الحائرة، على رغم كل التحفظات، هو في مجلس التعاون العربي.

والسؤال الأساسي هو: وماذا عن الجامعة العربية وإداراتها؟

والرد على ذلك هو أنها قد تستمر كوعاء وربما لا

تستمر، إلا إذا إرتأت التجمعات العربية الثلاثة أن يكون هنالك من يتولى عملية التنسيق بينها.. مجرد التنسيق لا أكثر.

يبقى أن هذه الأسطر ليست أكثر من إفتراضات وإجتهاادات كُتبت قبل ثلاثة أيام من إجتماع القمة الرباعية في بغداد.

وعند كتابة هذه الأسطر لم يكن الموقف واضحاً بالشكل الكافي، لكن الأوساط العربية، وعلى جميع المستويات، كانت تنتظر إلى لقاء بغداد على أنه خطوة ستدخل تعديلاً جذرياً على تاريخ المنطقة العربية وجغرافيتها يشمل أيضاً ميزان القوى.

وللتذكير فإن لقاء بغداد الماضي في أعقاب إتفاقية "كامب ديفيد" التي أبرمها الرئيس (الراحل) أنور السادات مع إسرائيل كانت خطوة مماثلة رفع العراق ثمناً لها حرباً إنتقامية شرسة إستمرت ثمانية أعوام.

مجلة "التضامن". لندن - 20 شباط (فبراير) 1989

* * *

الوفاق العربي: أمن قومي وأمن غذائي

إذا حاز التصنيف فإن يوم 8 شباط - فبراير - سيظل في نظرنا وحتى إشعار آخر هو «يوم الأمن والقومي والأمن الغذائي» للعالم العربي. ففي هذا اليوم من عام 1980 وقف الرئيس صدام حسين خطيباً يحدد أمام حشد جماهيري مبادئ الإعلان القومي الذي أراده ميثاقاً لتنظيم العلاقة بين الدول العربية.

ويرفض الإعلان وجود الجيوش والقوات العسكرية على أي أرض عربية، وينادي بتحريم اللجوء إلى إستخدام القوات المسلحة من قبل أي دولة عربية ضد أي دولة عربية أخرى وعدم اللجوء إلى إستخدام القوات المسلحة في المنازعات مع الأمم والدول المجاورة إلا في حالة الدفاع عن السيادة والدفاع عن النفس. كما أن الإعلان يؤكد على ضرورة تضامن الأقطار العربية ضد أي عدوان أو إنتهاك يقوم به أي طرف أجنبي للسيادة الإقليمية، وإبتعاد الاقطار العربية عن دائرة الصراعات أو الحروب الدولية والتزامها الحياد التام وعدم الإنحياز إزاء أي طرف من أطراف الصراع أو الحرب ما لم ينتهك أحد أطراف الصراع أو

الحرب السيادة الإقليمية العربية والحقوق الثابتة للأقطار العربية التي تكفلها القوانين والأعراف الدولية.

ويدعو الإعلان إلى إلزام الأقطار العربية بإقامة علاقات إقتصادية متطورة وبناءة في ما بينها بما يوفر ويعزز الأرضية المشتركة للبناء الإقتصادي العربي المتطور.

ولقد حرص الرئيس صدام على أن يوضح بأن الإعلان لا يشكّل بديلاً عن ميثاق الجامعة العربية وعن معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الإقتصادي بين دول الجامعة.

وعند التأمل في البنود الثمانية للإعلان القومي تستوقفنا الرؤية المستقبلية للرئيس صدام، ويستوقفنا أيضاً إقتناعه، في ضوء تجربة طويلة وعميقة من أجل تحقيق الوحدة والحرية والإشتراكية، بأن الطريق إلى الوحدة يبدأ بالوفاق، وأن الطريق إلى الحرية يبدأ بالتخلص من الوجود الأجنبي العسكري في الأرض العربية، وأن الطريق إلى الإشتراكية يبدأ بتحقيق الأمن الغذائي من خلال التعاون في المجالات الإقتصادية.

ومثل هذه الرؤية تأتي منه تختلف عما إذا كانت أتت من رئيس غير وحدوي في نشأته وفي منطلقاته، بمعنى أن صدام حسين هو رمز العمل الوحدوي وأنه عندما ينقل هذا الرمز، وهو في موقع القيادة والمسؤولية الكاملة، المفهوم الوحدوي من أفاق العاطفية إلى المدار الواقعي فإنه يقطع الطريق بذلك على أي مزايدات وأي هبوط حاد لدى المتمسكين بالعمل الوحدوي وفق مبادئ تغلب فيها الرومانسية على الواقعية.

كذلك إنه عند التأمل في البنود الثمانية للإعلان القومي يستوقفنا كيف أن الرئيس صدام شاء منذ اللحظة الأولى لتسلمه المسؤولية كاملة في الحزب والدولة أن يقول من خلال هذا الإعلان للعرب من المحيط إلى الخليج مواطنين ومسؤولين، إن هذا الإعلان هو برنامجه وأن واجبه في السنوات المتبقية من القرن العشرين هو تضيق شقة التباعد بين العرب، وليس توسيع رقعة إنتشار البعث، كما أن واجبه هو إختصار حجم الهوة بين أغنياء العرب وفقرائهم بمفهوم التعاون والتكامل في المجال الإقتصادي وليس من خلال الإصرار على الإشتراكية التي إنتهى أسلوب تطبيقها في سنوات الستينات والسبعينات إلى حقيقة بالغة المرارة، وهي أن الإشتراكية ليست الحل المثالي وإنما هي إنقضاض الفقر على الغنى وكأنما ليس في التاريخ العربي والإسلامي الذي نعتر به أغنياء وفقراء.

معادلة منطقية.

ولو كُتِبَ للعرب التأمل فيها إلى درجة الغوص في أعماق البنود الثمانية للإعلان القومي لكان حدث ما تمناه الرئيس عند إذاعته الإعلان وهو مساندة الجماهير له. لكن الحرب اندلعت وبات العرب مشدودين إلى العراق. وكانت الحرب شرسة إلى درجة أن الإهتمام بالإعلان القومي بات مسألة ثانوية. أما وقد إنتهت الحرب، أو فلنقل إنها أوشكت على الإنتهاء، فإن العودة إلى التأمل في الإعلان القومي تبدو ضرورية.

والتأمل ضروري لأن هذا الإعلان هو البوابة التي يمكن دخول العرب منها إلى ساحة الوفاق آمنين مطمئنين متعاونين.

مجلة "التضامن". لندن - 13 شباط (فبراير) 1989

* * *

البلاغ رقم واحد للشرعية العربية

بعد قيام "مجلس التعاون العربي" و"إتحاد المغرب العربي" ومن قبلهما بتسع سنوات "مجلس التعاون لدول الخليج العربية"، إكتملت ملامح صورة واقعية للعالم العربي.

عالم عربي أكثر إستقراراً.

وأكثر طمأنينة.

وأكثر تفهماً لعملية المراجعة، وإلى حد ما إعادة النظر التي تحدث في كل دول العالم.

وقبل أن يحزم الملوك والرؤساء أمرهم وتقوم هذه التكتلات، كان العمل العربي المشترك متعثراً دائماً. وحتى في لحظات الخطر فإن الإجتماعات العربية كانت في أجواء من المسايرة، ومن أجل ذلك فإنه لا يمكن القول إن العمل العربي المشترك حقق في السنوات العشر الماضية، ما من شأنه ترجمة أمان المواطن العربي، أو أنه حقق ما من شأنه أن يشكل رداً حاسماً على التحديات التي واجهتها الأمة. وعندما يستمر وضع مأساوي مثل الوضع في لبنان على حاله أربع عشرة سنة من دون أن يتمكن العمل العربي المشترك من إيجاد حل للمشكلة اللبنانية، فهذا معناه أن العمل المشترك كان دون المطلوب بكثير. كذلك إنه عندما تستمر الحرب العراقية - الإيرانية ثمانية أعوام من دون أن يكون هنالك موقف عربي حازم وموحد يساند إصرار العراق على التعايش

وعندما نقول ذلك ونشير بالتحديد إلى أن الرئيس صدام أراد الإحياء بأن الإعلان القومي هو برنامجه، فإننا نستند إلى أن الرئيس لم يؤجل إذاعة الإعلان وإنما حدث ذلك بعد فترة، تعتبر وجيزة، من تسلّم المسؤولية كاملة في الحزب والدولة.

ويبقى أن الرئيس صدام عندما طرح الإعلان القومي كصيغة تعاون تُبقي لكل دولة كيائها ونظام حُكمها فإنه بدا بذلك كمن يقول: إنه إذا كانت الوحدة صعبة التحقيق والجامعة العربية ليست فعالة بالشكل الذي تتطلبه مرحلة العمل العربي، فهذا هو الإعلان القومي الذي يحول دون إنحسار الأمل بالوحدة ويحسم الظاهرة الخطيرة التي بدأت تستشري، وهي ظاهرة تقول بأن العمل القومي أفلس وأنه من الضروري العمل وفق الصيغة الدينية.

يبقى أيضاً أن الإعلان القومي طرحه الرئيس صدام قبل ست سنوات من ولادة الوفاق الدولي بين الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي، ولو كُتِبَ للإعلان أن يأخذ فرصته لكان الوفاق العربي سبق الوفاق الأميركي - السوفياتي وكان للعرب مكانة أكبر بالنسبة إلى الدولتين العظميين وهما تتناقشان مشاكل العالم، وكان الحيز العربي أكبر لدى ترتيب الأولويات بين الرئيسين ريغان وغورباتشوف.

ولكن على رغم كل ذلك يبقى الإعلان القومي صيغة بالغة الأهمية مادام لم يبادر أحد بعد إذاعة الإعلان إلى طرح صيغة أهم. وهي صيغة بالغة الأهمية لأنها تجمع بين الوفاق السياسي والتعاون الإقتصادي، أي إنها تحقق الأمن القومي والأمن الغذائي اللذين هما محور الإهتمام وخلصا الهوموم في المرحلة الراهنة وحتى سنوات طويلة قد تستغرق ما يتبقى من القرن العشرين. وعلينا أن نتذكر بأن الوفاق الأميركي - السوفياتي كان بهدف تحقيق أمن المواطن في كلا البلدين وتأمين متطلبات الحياة من غذاء وكساء.

وحتى الآن لا يبدو إهتمام صاحب الإعلان القومي، ونعني به الرئيس صدام حسين، يتجاوز التذكير بهذا الإعلان. إلا أننا في ضوء ما نعرفه عن الرئيس نقول: إنه لو كان سينفض اليد منه لما كان أذاعه وأنه من أجل ذلك فإن إصراره عليه سيكون مثل إصراره على السلام الشامل والدائم مع إيران. ثم كيف سينفض اليد من صيغة تبدو مثالية في واقعيتها وتبدو حلاً في زمن من الصعب إيجاد المعادلات المنطقية فيه. والإعلان القومي عبارة عن

والسلام، ويتصدى لإصرار الحُكم الإيراني على مواصلة الحرب، فهذا معناه أن العمل المشترك كان أيضاً دون المطلوب بكثير. وإذا جاز القول فإن ظاهرة عدم الإكتراث والتفاعل التي باتت سمة لشخصية المواطن العربي في السنوات الماضية سببها عدم الجدية والمسؤولية في العمل العربي المشترك. ومن المؤكد أنه لو كانت هناك جدية لكان حال المواطن العربي أفضل. ولما كان إختار عدم الإكتراث. لكن هذا المواطن عندما يتأمل في أسلوب التعامل الرسمي مع إعتداء هنا، وعملية تخريب هناك، وتلاعب بمصير الأمن القومي هناك، فإنه يصاب بما يشبه الصدمة. وهذا الشعور يحوله إلى إنسان يميل إلى عدم الإكتراث خصوصاً في ظل ظروف لا مجال فيها للتعبير عن المشاعر التي تعصف بوجدانه.

ومن الطبيعي الإفتراض أنه بقيام التجمعات العربية سيكون هنالك هامش أكثر رحابة للتعبير، ذلك أن هذه المجالس، التي ستكون السمة المميزة للعالم العربي في التسعينات وفي السنوات الأولى من القرن الواحد والعشرين الذي سيهل علينا بعد عشر سنين، لن تصان بالإجراءات وإنما بالحوار الذي يستند إلى قاعدة من القناعة والتصرف بمسؤولية كاملة.

والى ذلك إن صيغة التعاون، التي كانت المجموعة الخليجية هي الرائدة في إبتكارها قبل أن يتم تصديرها إلى بقية النول العربية، تبدو منسجمة مع الظاهرة السائدة الآن في العالم وهي تقدّم الهموم الإقتصادية على الإهتمامات السياسية، وتبدو أيضاً منسجمة مع المراجعة الجذرية في السياسات والتوجهات والعقائد.

واللافت للإنتباه هو هذا الإرتياح الذي ساد في النفوس العربية لمجرد أن تم الإعلان عن ولادة "مجلس التعاون العربي". ومن الجائز القول إن هذا الإرتياح ليس فقط نتيجة أن هموم الناس الإقتصادية والمعيشية تكاثرت، وباتوا بالتالي ميّالين إلى العمل المشترك الذي يخفف أعباء الحياة اليومية، وإنما لأن صيغة العمل المشترك في الإطار السياسي كانت بإستمرار متعثرة، وفي الهموم الإقتصادية والمعيشية هي نتيجة لهذا التعثر.

ومن المؤكد أنه لو أعلنت دولتان عربيتان أو أكثر عن خطوة وحدوية أو إتحادية ويغلب عليها الطابع السياسي لما كنا لمسنا هذا الإرتياح، الذي غمر النفوس العربية لمجرد أن تم الإعلان عن تجمعين يكملان في توجّهيهما منطلقات التجمع الآخر الذي هو "مجلس التعاون لدول الخليج العربية".

ولكن ذلك لا يعني أن السياسة ستكون بعيدة عن هذه التجمعات. لأن الإقتصاد يقف جنباً إلى جنب مع السياسة. لكن الفرق كبير بين أن نبدأ بالسياسة ثم ننقل بعد ذلك إلى الإقتصاد وبين أن يحدث العكس.

ويبقى حماية هذه التجمعات التي نأمل أن لا تتزايد بحيث تتضمن الدول العربية الأخرى (سوريا ولبنان والصومال وجيبوتي والدولة الفلسطينية واليمن الجنوبي) إلى مكانها الطبيعي وهو "مجلس التعاون العربي"، إنما هي مسؤولية شعبية، ونقول ذلك على أساس أنه لا داعي للحساسيات التي إقتحمت تجربة الوحدة الإندماجية عام 1958 بين مصر وسوريا فأسقطتها. ومنذ ذلك الحين والعمل العربي المشترك في مجال السياسة يقوم على الحذر والشكوك والمناورات.

وكل ذلك على حساب مصالح المواطن والوطن إلى درجة أن الأذى أصاب الإقتصاد في الصميم.

ومن هنا تأتي ملامح الصورة الواقعية للعالم العربي وكأنما هي حركة تصحيح أهم ما فيها أن الذي يعلن بلاغها رقم واحد هي الشرعيات بشخص الملوك والرؤساء وليس الإنقلابيون المغامرون.

وبعد الآن علينا أن نتابع بإهتمام الظاهرة المتوقعة وهي التنافس بين التجمعات الثلاثة من أجل أن تقدّم الأفضل لشعوبها من دون أن يكون ذلك ضد أحد أو على حساب أحد أو في أجواء تنأى عن التآمر والضغينة.

وعندما يقوم "مجلس التعاون العربي" و"إتحاد المغرب العربي" في يوم واحد فإن هذه العلامة من علامات التنافس على العمل القومي من المنطلقات الإقتصادية.

ولو أن هذا الذي نعيشه حدث قبل خمس عشرة سنة فكيف كان حال الأمة، ألم تكن حالها جيدة بل وعلى أحسن حال ومزدهرة ومستقرة؟

نعم. لكن هنالك المثل الشعبي الذي يردده إخواننا في المملكة العربية السعودية ويشكّل عزاء معنوياً للسنوات الضائعة بتجاربها المريرة. وهذا المثل هو:

ما تأخر من جاء.

... والذي جاء أو الذي بدأ بالفعل هو عصر التعاون في العالم العربي من خلال تجمعاته الثلاثة.

مجلة "التضامن". لندن - 27 شباط (فبراير) 1989

* * *

إنقلبَت الآيَة: السوفيات

يطلبون ودَّ العرب

طوال سنوات التعامل العربي السوفياتي لم يحدث تحركٌ سياسي سوفياتي في اتجاه المنطقة العربية على مستوى عالٍ. وكل الذي كان يحدث هو أن بعض المساعدين لوزير الخارجية السوفياتية كانوا يقومون بين الحين والآخر بزيارات إلى الدول العربية الصديقة يُجرون خلالها محادثات أو ينقلون رسائل إلى رؤساء الدول التي يزورونها.

وباستثناء الزيارة التي قام بها الرئيس (الراحل) خروتشوف إلى مصر لتدشين بدء العمل في مشروع السد العالي فإن أياً من الزعماء الذين تعاقبوا على الحكم في الاتحاد السوفياتي لم يزوروا الدول الصديقة لهم في المنطقة. وحتى رجال الصف الثاني لم يقوموا هم أيضاً بزيارات باستثناء زيارة قام بها إلى القاهرة في تشرين الأول (أكتوبر) 1970 رئيس الوزراء (الراحل) كوسيجين للتعزية بوفاة الرئيس جمال عبد الناصر.

وهذا التعامل من جانب الاتحاد السوفياتي مع الدول الصديقة كان لافتاً للانتباه وموضع إستغراب وكان أيضاً يسبب بعض الحرج للحكام العرب الذين تربطهم علاقات متميزة مع الاتحاد السوفياتي. أما لماذا الحرج، فلأن الناس كانوا يتساءلون في مجالسهم: لماذا يجب على رئيسنا وعلى المسؤولين الكبار في دولتنا زيارة الاتحاد السوفياتي في حين أن المسؤولين السوفيات لا يقومون بزيارات مماثلة؟

وهذه التساؤلات مشروعة خصوصاً عندما نجد أن الزعماء السوفيات يزورون - عندما يريدون - الدول التي يرتبطون معها بحلف وارسو لكنهم لا يريدون الزيارات لهذا البلد العربي الصديق أو ذاك.

كذلك هذه التساؤلات مشروعة لأن المسؤولين في الدول الأوروبية وفي الولايات المتحدة يتعاملون بأسلوب آخر مع الدول الصديقة لهم.

ومن هنا فإنه عندما تبدأ القيادة السوفياتية تقليداً جديداً، وهو رد الزيارات والقيام بجولات في الدول الصديقة يتولاها كبار المسؤولين مثل وزير الخارجية شيفاردنادزه، فإن ذلك يبدو أمراً لافتاً للانتباه، وتطوراً مهماً.

كذلك انه عندما يبقى وزير الخارجية السوفياتية في بلد عربي صديق مثل العراق ثلاثة أيام فهذا يعني أن الاتحاد السوفياتي هو في صدد بناء علاقة متوازنة جديدة مع الدول الصديقة. ومن المهم الأخذ في الاعتبار أن هذه الزيارات والجولات تتم بعدما إستقر أمر الوفاق الأميركي - السوفياتي، وبعدها إتسعت آفاق سياسة إعادة النظر من جانب القيادة السوفياتية في قضايا السياسة الداخلية والسياسة الخارجية.

كما أن هذه الزيارات والجولات تحدث في وقت بات الاتحاد السوفياتي يحتاج إلى تدعيم صداقاته وعلاقاته مع الآخرين، وذلك لأن مرحلة الإنفراج في العلاقات الدولية تترسخ يوماً بعد آخر، ولأن القضايا الإقليمية العالقة مرشحة إلى الإنفراج هي الأخرى نتيجة للمرونة التي تمارسها الأطراف المعنية بهذه القضايا. وفي مثل هكذا ظروف فإن الاتحاد السوفياتي الذي كسب مواطئ قدم له هنا وهناك في ظل مرحلة الصراعات الكثيرة الحدة والسخونة لن يستطيع في ظل مرحلة الإنفراج المحافظة على موطئ القدم تلك.. وذلك لأنه لا يملك القدرة على تقديم الخدمات والتكنولوجيا والخبرات بالسرعة التي كان يقدم فيها، خلال مرحلة الصراعات، الأسلحة والخبراء.

ويبقى أنه إذا كانت الدول العربية أمضت ربع قرن تلهث وراء الاتحاد السوفياتي وتتمنى عليه وتتحمل شروطه وتبغات التعامل معه. وتتحمل تعامل الدول الصديقة، والدول العربية في المقدمة، بأسلوب يتسم بالإستعلاء، وأسلوب القادر على تقديم الحاجة إلى المحتاج.. وأنه إذا كانت الدول العربية تحملت كل ذلك طوال ربع قرن فإنها في السنوات المتبقية من القرن العشرين لن تفعل ذلك بعدما زالت الأسباب الموجبة.

وبعد الآن سنبدأ نسمع أن الرئيس غورباتشوف سيرد الزيارات للدول الغربية التي زار حكامها بلاده. بينما لم يكلف رئيس سوفياتي نفسه الرد بالمثل. وسنسمع أن كبار المسؤولين السوفيات يُردون على زيارات زملائهم العرب بالمثل.

وإذا فعل الرئيس غورباتشوف ذلك فلأن الصورة تغيرت، حيث بات الاتحاد السوفياتي هو الذي سيخطب ود العرب بعد الآن، بعدما تعب العرب ربع قرن من طرق أبواب الكرملين الموصدة والتي لا تفتح إلا بشروط... ومعااهدات الصداقة والتعاون.

وقد يجوز الافتراض أن رجل الدبلوماسية السوفياتية شيفاردنازده يمهّد الطريق بجولاته المستجدة لسيد الكرملين... ميخائيل غورباتشوف.

مجلة "التضامن". لندن - 6 آذار (مارس) 1989

* * *

الإستقرار... ذلك الأمل المنشود

من السعي العربي المكثف الذي تقوده حكومة دولة الكويت لإيجاد حل للأزمة اللبنانية، إلى الإصرار الذي تمسكت به القيادة العسكرية في السودان من أجل إيجاد حل للمشكلة السودانية، تتأكد حقيقة أساسية، وهي أن المشكلتين باتتا توّرقان بالفعل الإستقرار العربي الذي إكتسب المزيد من المناعة بقيام "مجلس التعاون العربي" و"إتحاد المغرب العربي"، وكلاهما مجتمعان يشكّلان مع التجمع الآخر "مجلس التعاون لدول الخليج العربية" صورة جديدة لعالم عربي لا يتحمل أي رياح عانية تعصف به، سواء جاءت هذه الرياح من السودان أو جاءت من لبنان.

وإذا كان من سوء حظ لبنان أنه لم يبق فيه الجيش الذي يستطيع ممارسة الحزم بهدف الحسم مع أهل اللعبة السياسية، فإن من حُسن حظ السودان أن الجيش فيه إستمّر على تماسكه وإستمرت المؤسسة العسكرية هي ذلك الوعاء الذي في إستطاعته أن يحقق الوحدة الوطنية السودانية. والقول بأن العالم العربي لم يعد قادراً على تحمّل الرياح التي تهدد المحاولة الجديدة لتثبيت أسس الإستقرار، يستند إلى بعض الحقائق الموضوعية، ومنها أن ما حدث في لبنان لم ينحصر ضمن العشرة آلاف كيلومتر مربع التي هي مساحة لبنان. وإنما إمتد إلى خارج الحدود ثم تحوّل الإمتداد إلى ما يشبه الشظايا هنا وهناك وهناك في طول العالم العربي وعرضه.

كذلك إن من بين الحقائق الموضوعية هو أن هذا الذي يحدث في السودان منذ سنتين بات يحمل في طياته بعض المخاطر من أن ينفجر الموقف فجأة وتنتج عن ذلك شظايا مماثلة للشظايا اللبنانية. بمعنى أن ما قد يحدث في السودان لن ينحصر في المليون كيلومتر مربع التي هي مساحة ذلك البلد الذي يبدو كما لو أنه قارة.

ومثلما أن السؤال جائز حول ما إذا كان في إستطاعة

المسعى الذي تقوده دولة الكويت أن يجترح المعجزة ويضع حداً للمشكلة اللبنانية، فإن السؤال نفسه جائز بالنسبة إلى المحاولة الجديدة من نوعها التي يقوم بها الجيش السوداني والتي تستهدف وضع حد للمشكلة السودانية.

ونقول ذلك على أساس إن هاتين المشكلتين باتت من النوع المستعصي الذي لا تتفع فيه الحلول التقليدية. ولكن ذلك لا يعني أن يفقد الإنسان الأمل ويتوقع إنفراجات محسوسة لهاتين المشكلتين. ولعل الجامع المشترك للمشكلتين هو الحرص العربي على إيجاد حلول لهما يشكل في حد ذاته الدافع إلى التفاؤل خيراً.

وإذا نحن تأملنا في الأسلوب المعتمد لإيجاد حل لكل من المشكلتين لجاز لنا أن نتفاعل بعض الشيء.

لماذا التفاؤل بالنسبة للمشكلة اللبنانية؟

لأن التعامل من جانب دولة الكويت مع هذه المشكلة هو تعامل على درجة عالية من المسؤولية. فالكويت ليست مجرد ساحة يلتقي فيها أطراف المشكلة اللبنانية وإنما هي طرف في مواجهة هذه الأطراف بالمعنى الإيجابي للكلمة. وعندما نلاحظ أن دولة الكويت تعاملت بكل اللياقات الرسمية مع هذه الأطراف يتأكد لنا ذلك. ومن مظاهر اللياقات المشار إليها أن أركان الدولة إستقبلوا هذه الأطراف، وأن الإقامة كانت في قصر المؤتمرات وهو القصر الذي بُني من أجل القمة الإسلامية التي تم عقدها في الكويت. والفرق كبير بين إقامة هؤلاء في قصر المؤتمرات وإقامتهم في فندق.

ولماذا التفاؤل بالنسبة إلى المشكلة السودانية؟

لأن الأسلوب الذي إعتّمه القادة العسكريون مع أهل الحُكم من السياسيين أوضح أن العسكريين في السودان قرروا عدم القيام بإنقلاب عسكري وإنما المعارضة ضمن الأصول. ولو أنهم كانوا يريدون تنفيذ إنقلاب لكانوا نفّذوه منذ إتفقت كلمتهم على وضع مذكرة وجهوها إلى الحكومة. والمعروف في العالم العربي، وفي العالم الثالث عموماً، أنه عندما تتفق كلمة عشرين ضابطاً على موقف فإنهم يستطيعون تنفيذ إنقلاب عسكري، فكيف هي الحال عندما يوقع المذكرة المشار إليها عشرات الضباط السودانيين من رتبة عميد وما فوق.

إننا نكتب هذه الكلمات والسعي بالنسبة إلى المشكلتين لم يتضح بعد.

اللجنة السادسة لا تعرف إلى أين سينتهي سعيها ولكنها تعرف أنها ستبذل كل ما في إستطاعتها من أجل

إيجاد حل للمشكلة اللبنانية.

والقيادات العسكرية في السودان لا تريد أي تغيير خارج الصيغة الجديدة التي تتأى عن المفهوم الانقلابي، وذلك لكيلا يبدو العسكريون أنهم خاطفوا الحرية وأن المدنيين هم شهداء الديمقراطية، ولكن هؤلاء لا يعرفون أن لعبة أهل السياسة يجب أن تتوقف عند حد، وأن عامل الوقت مهم جداً في الأمر.

والطرفان: اللجنة السداسية والقيادات العسكرية السودانية، يقومان بالسعي، كل على طريقته، لأن المشكلتين اللبنانية والسودانية باتتا تورتقان الإستقرار العربي.

ولم يحدث من قبل إن كان هناك مسعى عربي يحظى بإهتمام المواطن العربي، الذي أضناه إهتزاز الإستقرار في المنطقة، كالمسعى الذي تقوم به اللجنة السداسية. كذلك لم يحدث إطمئنان العساكر كالإطمئنان إلى حركة الإعتراض التي سجلها عساكر السودان على أهل السياسة في السودان.

وهذا الإهتمام وذلك الإطمئنان يؤكدان بأن الإستقرار مطلب عربي شامل وليس فقط مطلب السودانيين واللبنانيين فقط ولأنه كذلك فإننا أكثر تفاؤلاً بالسعي الذي تقوم به اللجنة السداسية، ولتحرك الذكي والمسؤول الذي يقوم به عساكر السودان بعيداً عن مفاهيم الانقلابات التقليدية.

مجلة "النضام". لندن - 13 آذار (مارس) 1989

لماذا نجحت أكينو وبنازير

ولم ينجح الصادق المهدي

خلال السنوات الثلاث الماضية حدثت في ثلاث من دول العالم الثالث ثلاث محاولات تغيير لافتة للإنتباه.

وهذه المحاولات متشابهة في منطلقاتها إلى حد كبير. المحاولة الأولى حدثت في الفلبين حيث إستطاعت المعارضة بقيادة السيدة أكينو وهي أرملة الزعيم المعارض وصاحب الشأن السياسي أكينو، إسقاط حُكم الرئيس ماركوس. وقد ساعد في ذلك أن الولايات المتحدة سحبت

دعماً لحُكم ماركوس، وأن الجيش الذي يعلق أهمية كبرى على الموقف الأميركي ويتجاوب مع ما تحدده البوصلة الأميركية. وقف على الحياد فلم ينجح ماركوس وتركه في مهبط الريح مكتفياً بتأمين سلامته ومغادرة البلاد على وجه السرعة، وإلى حد ما على طريقة شاه إيران محمد رضا بهلوي من قبل.

والمحاولة الثانية حدثت في السودان حيث إستطاعت المعارضة، ضمن تحالف ضم الأحزاب الكبرى والأحزاب الأخرى في السودان، إسقاط نظام الرئيس جعفر نميري. وقد ساعد في ذلك أن الرئيس كان خارج البلاد في زيارة الولايات المتحدة التي أعطت بشكل غير مباشر الضوء الأخضر لمن يريدون التغيير وسحبت بذلك دعماً للرئيس نميري الذي كان محسوباً على الولايات المتحدة. وساعد على نجاح المحاولة أيضاً أن الجيش السوداني وقف على الحياد وإستمر لمدة سنة يعمل على أساس أن دوره هو نقل السلطة إلى الأحزاب المتلهفة إلى الحُكم. ولقد سلم السلطة بالفعل وجلس يراقب وبحذر صراعات الحزبيين وأسلوب إداراتهم لشؤون البلاد.

والمحاولة الثالثة حدثت في باكستان حيث إستطاعت المعارضة بقيادة السيدة بنازير بوتو تحقيق نصر ملحوظ في الإنتخابات التي جرت في أعقاب إنهاء حياة حاكم باكستان القوي ضياء الحق في حادث طائرة إكتنف الغموض ظروفها، إلا أن التطورات ترجح كفة الإغتيال على كفة السقوط الطبيعي للطائرة. ولقد ساعد على فوز بنازير بوتو أن الباكستانيين تذكروا ما فعله ضياء الحق بوالد بنازير، الزعيم المعروف ذو الفقار علي بوتو، فأرادوا تكريم ذكره بالوقوف وراء إبنته، وأن الولايات المتحدة من جانبها أوحى بأنها تفضل أن تكون على الحياد ربما لشعور منها بأن بنازير بوتو لن تكون ضد أميركا لكي تؤيد الحكومة الأميركية حزب ضياء الحق.

تلك هي المحاولات الثلاث التي نجحت من حيث التنفيذ إلا أن النجاح من حيث الإستقرار يتفاوت.

وما يمكن ملاحظته في هذا الشأن هو أن السيدة أكينو إستطاعت أن تحقق في الفلبين إستقراراً نسبياً وتواصل الحُكم بالحد الأدنى من القلاقل؟

كما أن السيدة بنازير ذو الفقار بوتو إستطاعت أن تحقق في باكستان حالة مماثلة من الإستقرار النسبي وها هي تواصل الحُكم بالحد الأدنى من القلاقل.

أما بالنسبة إلى السودان فيحدث العكس. وهذا ما يلفت

الإنتباه وبشير الكثير من علامات الإستفهام. فإذا كانت المسألة مسألة فقر ومشاكل إقتصادية فإن في الفلبين وباكستان حالات مستعصية من الفقر وحالات عالقة من المشاكل الإقتصادية من نوع الحالات الموجودة في السودان.

إن تمكّن السيدة أكيو من حكم بلادها وب عقلية تدعو إلى الإعجاب، يجعلنا نتساءل: كيف إستطاعت هاتان السيدتان تحقيق قدر من النجاح ولم يستطع السيد الصادق المهدي تحقيق نجاح مماثل؟

إن المشاكل متشابهة. والإرث واحد. والواقع الحزبي في كل من الدول الثلاث لا يختلف.

ويجد المرء نفسه يتساءل: هل إن السبب في نجاح السيدتين وعدم نجاح الرجل هو أن أكيو وبنازير تعتبران أن بلديهما أولاً، وشخص كل منهما ثانياً، بينما الصادق المهدي يعتبر أن شخصه أهم من السودان ولذلك فإنه ينتقل من تعثر إلى تعثر ولا يترك الطريق سالكة مع الآخرين.

ويبقى إننا نقول ذلك على أساس أن الحُكم ليس مسألة حظ ولا هو إستخارات. كما أن النجاح ليس حليف النساء فقط لأن هنالك رجال دولة في العالم الثالث حققوا نجاحاً مرموقاً بفضل المبدئية وعدم الجحود.

وتكراراً إن السيدة أكيو نجحت في الفلبين وبنازير بوتو نجحت في باكستان أكثر مما نجح الصادق المهدي في السودان.

ومثل هذا الأمر يستحق وقفة تأمل... وما هو أكثر من التأمل.

مجلة "النضامن". لندن - 20 آذار (مارس) 1989

* * *

تعددت الأسباب... وحملة التشويش واحدة

بات واضحاً أنه كلما إتخذت دولة عربية موقفاً على صعيد السمعة الدولية، أو حققت إنجازاً يمكن أن يؤثر في القرار الدولي، تتحرك على الفور الصهيونية العالمية بما تملكه من إمكانات إعلامية ضخمة لتشويه صورة هذه الدولة في أذهان الرأي العام، أو للتشويش في شكل أو آخر على هذه الدولة.

وفي كل مرة تكون وسيلة التشويش والتشويه واحدة، وهي الإدعاء بأن هذه الدولة أو تلك تنتج الأسلحة الكيماوية.

عندما حقق العراق إنتصاره الكبير في الحرب لم يتم التركيز على أنه ما دام العراق إنتصر ولم يعد في وسع الحُكم الإيراني مواصلة الحرب فإن السلام يجب أن يسود وعلى وجه السرعة وبضمانات دولية، وإنما بدأ التشويش والتشويه ينتشر بشكل حملة مشبوهة هدفها تحويل أنظار الرأي العام الدولي عن النصر الذي حققه العراق وإفتعال معركة ذات "دوافع إنسانية" بين الرأي العام الدولي والعراق وذلك من خلال غُسل الأدمغة يومياً بأخبار وصور وتحليلات متجنبة وإقناع الناس بأن العراق لم ينتصر بفضل الشجاعة والصبر والإصرار على صيانة الحقوق الوطنية والتمسك بالسيادة والإستبسال في الدفاع عنها، وإنما لأنه إستعمل أسلحة كيماوية.

ولقد فعلت الصهيونية ومَن يساند مخططاتها ذلك لأنها لا تريد أن يسود إنطباع بأن العربي يمكن أن ينتصر، فضلاً عن أنها بحملة التشويش والتشويه تحاول أن تحافظ على مواقع كسبتها في أوساط الرأي العام الدولي ووظفتها لمصلحتها وحققت من وراء ذلك مكاسب لا حصر لها.

وعندما بدأ العقيد معمر القذافي توجهاته الجديدة في الإنفتاح على الأشقاء العرب وعدم التمسك بحرفية العمل الثوري، وبدأ أيضاً سياسة إعادة نظر في بلاده من شأنها أن تحقق قدراً كبيراً من تماسك الجبهة الداخلية بدأت تتصاعد حملة التشويش والتشويه عليه. وزادت الحملة إتساعاً بعدما سجّل العقيد مرونة لجهة العمل الفلسطيني ولجهة الوضع في لبنان ولجهة الأزمة مع تشاد.

وما أثاروه ضد العراق فعلوه مع ليبيا حيث بدأت وسائل الإعلام الدولية المنحازة للصهيونية العالمية، أو الواقعة تحت تأثيرها، حملة شرسة حول المصنع الذين إدّعوا أنه ينتج الأسلحة الكيماوية مع أنه مصنع أدوية. وتطورت الحملة بحيث أصبحت حديث محطات تلفزيون العالم وحديث الإذاعات والصحف والمجلات التي تخضع في شكل أو آخر للتأثير الصهيوني.

ولقد فعلت الصهيونية ومَن يساند مخططاتها ذلك لأنها لا تريد أن يسود إنطباع بأن العربي الثوري يمكن أن يعيد النظر بعد التأمل ويعتمد المرونة ما دامت هذه تعزز شأن الصف من دون أن تكون على حساب الهدف أو تأخذ منه.

من الأمور المطلوبة كي لا يتزايد التطاول على العرب الذين يعيدون ترتيب أوراقهم وتنظيم صفوفهم.

مجلة "التضامن". لندن - 27 آذار (مارس) 1989

اللقاء الذي طال إنتظاره

يتطلع المواطن العربي من المحيط إلى الخليج إلى مرحلة يسود فيها الوفاق ويحدث فيها الإستقرار وتُستأنف مسيرة التنمية التي ما كادت تنطلق حتى كثرت موجبات الإستنزاف فباتت الثروة تأخذ طريقها إلى مستلزمات الدفاع.

ويأمل المواطن العربي في أن تنتهي هذه الصراعات التي إتسمت بها السياسة العربية في السنوات الخمس عشرة الماضية ويحل محلها أسلوب تعامل جديد يقوم على أساس أن لكل صاحب حق حقه... ودوره.

ويتمنى المواطن العربي بعدما تفجّر الصراع العربي - الفارسي أن يتم إحتواء هذا الصراع وتتم تسويته إذا أمكن، وذلك لأن هذا الصراع هو بين مسلمين، وهو صراع لا مثيل له في العالم.

وعندما يتطلع المواطن. وعندما يأمل. وعندما يتمنى... فعلى أساس أن هموم السنوات العشرين الماضية كانت ثقيلة إلى الحد الذي يصعب على كاهله تحمّله. لقد كانت هذه الهموم بقل الجبل، من الهموم الناشئة عن هزيمة 1967 إلى الهموم الناشئة عن صفقة 1973 التي أفرزت سلاماً دموياً وفواجع لا مثيل لها من نوع الفاجعة التي حلت بלבnan إلى الفاجعة التي أصابت القضية الفلسطينية، إلى الفواجع التي نشأت عن الحرب التي فرضها الحُكم الإيراني على العراق وفي مخططه أن يتهاوى العالم العربي أمام هذا الحُكم دولة بعد دولة.

وقبل أن تتم زيارة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز إلى العراق يوم السبت 25 آذار (مارس) ثم إلى مصر يوم الإثنين 27 منه كان هذا المواطن يأمل ويتمنى ويتطلع، إلا أنه بعد الزيارتين بات يتوقع.

يتوقع حدوث ما يتطلع إليه على صعيد الوفاق. ويتوقع حدوث ما يتطلع إليه على صعيد إنتهاء مرحلة الصراعات. ويتوقع أن تتم تسوية الصراع العربي - الفارسي ويحل

وقبل أيام طلعت علينا الصهيونية ومن يساند مخططاتها بحملة التشويش وتشويه إستهدفت مصر هذه المرة. ومثلما أن الأسلحة الكيماوية كانت محور الحملة ضد العراق ثم ضد ليبيا، فإن الأسلحة الكيماوية كانت المحور نفسه في الحملة الجديدة على مصر.

ولقد فعلوا ذلك مع مصر كفعل إحتجاج على السياسة التي إنتهجها الرئيس حسني مبارك، والذي إستطاع بفضلها إختراق الحصار الذي أرادوه لمصر منذ أن أدخلها الرئيس (الراحل) أنور السادات في نفق كامب ديفيد، واللافت للإنتباه أنه في غضون ثلاث سنوات إستطاع الرئيس مبارك أن يختصر المسافة بين مصر والشقيقات إلى درجة أن مصر باتت جزءاً من العمل العربي المشترك. وإذا كانت لم تدخل بعد في صميم هذا العمل فإنها باتت قريبة من ذلك.

وفعلوا ذلك مع مصر وحدث تصعيد ملحوظ لحملة التشويش والتشويه لأنهم يريدون ترسيخ أمر فشلوا في ترسيخه. وهو أن من يتفاهم مع إسرائيل لا يجب أن يعود عن تفاهمه كما فعل الرئيس مبارك وحقق خطوة متقدمة في هذا الإتجاه. مع الأخذ في الإعتبار أن الرئيس مبارك ورث التفاهم ولم يكن من صنّعه وإنما من صنّع سلفه السادات.

ويبقى أن حملة التشويش والتشويه أحدثت بعض الخدوش إلا أنها لم تؤثر على الذين إستهدفتهم. فالرئيس صدام حسين إستمر يعزز النصر الذي حققه، والعقيد القذافي إستمر يوسع هامش المرونة التي إعتدها والرئيس مبارك يواصل التمسك بخط العودة إلى الشقيقات وإلى ممارسة الدور الذي لن ترتاح له في أي حال الصهيونية العالمية.

يبقى أيضاً أنه إذا كانت الحملة لا تحقق أهدافها الشريرة فهذا ليس معناه أنها ستتوقف. وقد نسمع بعد الآن أن الحملة إستهدفت هذه الدولة العربية أو تلك إلا أن ذلك لا يعني التراجع عما حدث، وأن الرد هو بالمزيد من تعزيز النصر والشأن والقوة، والمزيد من إعتداد سياسة المرونة والتماسك والتعاون.

وإلى ذلك إنه قد تكون هنالك بعد الآن ضرورة إلى أن تصدر عن المؤتمرات العربية والإسلامية وأي مؤتمرات تشارك بها الدول العربية قرارات إدانة لكل من يتبنى حملة التشويش والتشويه والمزاعم المتعلقة بالأسلحة الكيماوية. ومع هذه القرارات قد يكون صدور تحذير شديد اللهجة

التعايش محل هذا الصراع.

أما لماذا من حقه أن يتوقع، فلأنها المرة الأولى في التاريخ العربي الحديث تتوافر هذه النسبة من الإنسجام بين الدول التي تملك المواصفات التي تتميز بها عن سائر الدول العربية والتي تعكس الإقتدار في جوانبه المختلفة من الإقتدار السياسي إلى الإقتدار العسكري إلى الإقتدار المالي إلى الإقتدار الإستراتيجي إلى الإقتدار البشري.

في الخمسينات لم يكن هذا الإنسجام متوافراً. وفي الستينات لم يتوافر هذا الإنسجام نتيجة إصرار السياسة المصرية على أن دور مصر هو في قيادة الآخرين.

وفي السبعينات بدأت المفاجآت تتوالى وبدأت تغيب بعض الوجوه وتحل وجوه جديدة في الحُكم. ثم جاءت الخطوة التي إتخذتها مصر في إتجاه الصلح مع إسرائيل، ثم الحرب التي فرضها الحُكم الإيراني على العراق، لتفرز قنوات جديدة لم يكن من الممكن، لأسباب موضوعية، تلمسها في الماضي.

ومع إستمرار الحرب ثمانية أعوام وإستمرار مصر لا قدرة لها على إختراق القرار العربي بتجميد عضويتها تبلورت بشكل حاسم هذه القنوات، وأهمها على الإطلاق أنه ليس هنالك في العالم العربي أو بالأحرى للعالم العربي زعامة واحدة كما كانت الحال في الستينات، وأن الإستقرار هو في تعايش الزعامات المؤهلة.

وقبل أن يقوم الملك فهد بن عبد العزيز بزيارة العراق ثم بزيارة مصر كانت مسألة تعايش عواصم الزعامة العربية تحتاج إلى تأكيد وإلى مشروعية. ولقد حصلت عليها بعد الزيارتين وتأكدت بعض الحقائق الموضوعية ومنها، أنه ليس في إستطاعة الطرف الأوحد أن يقود هذا العالم العربي الواسع، وأنه ليس هنالك من توافرت له كل المقومات، وأن تجربة مصر في الستينات كانت غير واقعية، أو أنها إذا جاز القول كانت زعامة طفرة. مثل الطفرة المالية التي نشأت عن النفط في منطقة الخليج طوال عشر سنين قبل أن تبدأ الإنحسار وتأخذ حجمها الطبيعي.

وبعد الآن ليس هنالك ما يوجب عدم بدء مرحلة الإستقرار في العالم العربي ما دامت حالات الإقتدار مكتملة لبعضها البعض وعلى درجة عالية من الإنسجام.

وبعد الآن ليس هنالك ما يوجب عدم إنتظام عقد القمة العربية العادية.

وبعد الآن لا مجال لأي محاولات تشويش على العمل العربي المشترك بصيغته الواقعية. ومن هنا يصبح القول إن اللقاء بين الملك فهد بن عبد العزيز وكل من الرئيسين صدام حسين وحسني مبارك كان اللقاء الذي طال إنتظاره... قولاً منطقياً وواقعياً.

ومن المؤكد أن الجيل العربي في التسعينات سيكون محظوظاً لأنه سيجني ثمار هذا اللقاء الذي تأخر، لكنه في الوقت نفسه اللقاء الذي ينطبق عليه التعبير السعودي الشائع "ما تأخر من جاء...".

ومن حق الملك فهد بن عبد العزيز على أبناء هذا الجيل أن يذكره بالخير كلما تذكروا في إستمرار أنه كان بزيارتيه المبار إلى تحقيق الصيغة التي يؤمل أن ينال فيها العربي الذي أضناه سهر الصراع... ملء جفونه، وحتى نهاية ما تبقي من سنوات القرن العشرين.

مجلة "التضامن". لندن - 3 نيسان (أبريل) 1989

الإعتدال العربي... كي لا يكون إستعجالاً

بعد محادثات مكثفة أجراها في القاهرة والإسماعيلية والإسكندرية مع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، ومن قبلها محادثات من نوع آخر أجراها فوق يخت في قناة السويس مع الملك حسين وباسر عرفات الذي بات رسمياً الرئيس الفلسطيني، توجه الرئيس حسني مبارك يوم السبت الأول من نيسان (أبريل) 1989 إلى واشنطن.

وأهمية هذه الزيارة هي أنها القمة الأولى بين إدارة الرئيس جورج بوش التي لا تزال في أسابيعها الأولى، وبين الإعتدال العربي الذي وصل إلى نقطة النهاية، بمعنى أنه لا مجال لأي خطوات أبعد من ذلك، وأن العرب قدّموا ما يمكنهم تقديمه وعلى الإدارة الأميركية أن ترد على تحية المرونة العربية والإعتدال العربي بمثلها.

ولم يحدث من قبل وفي تاريخ العلاقات الأميركية - العربية أن كان في إستطاعة حاكم عربي يزور واشنطن أن يكون بالتفويض الذي هو عليه الرئيس مبارك؟ وإذا كانت كلمة التفويض ليست هي الكلمة الدقيقة فإن البديل لها هي عبارة "مندوب الإعتدال العربي إلى الإدارة

الأميركية".

والقول إنه "مندوب الإعتدال العربي" معناه أنه مندوب الأكثرية العربية التي سينقل بأمانة، كعادته، تمنياتها على إدارة الرئيس بوش ومطالب بعضها من هذه الإدارة.

وفي الماضي قام الرئيس مبارك بعدة زيارات إلى واشنطن إلا أنه في كل زيارة كان يتحدث بإسم بلده وكان التعامل يتم معه على هذا الأساس. أما في هذه المرة فإنه يتحدث بإسم الأكثرية العربية التي عبر الملك فهد بن عبد العزيز وهو في زيارته إلى القاهرة عن موقفها عندما أعلن أن مصر ستشارك في القمة العربية بعد الآن سواء القمة العادية أو القمة الطارئة إذا كانت هنالك موجبات لهذه القمة.

وإذا كانت الإدارة الأميركية تجد في السابق الأعذار الكثيرة لكيلا تتجاوب مع تمنيات الأكثرية العربية، فما هو موقفها بعدما زالت العقبات الأساسية وسقطت بالتالي الحجج والأعذار. وأهم هذه العقبات على الإطلاق هي العقبة الفلسطينية التي زالت بإعلان الدولة الفلسطينية وإقترب موقف منظمة التحرير الفلسطينية من موقف كل من مصر والأردن إزاء الصراع العربي - الإسرائيلي. بل إن هذه المواقف تبدو متجانسة ومتطابقة أحياناً أخرى.

ويبقى أن الإدارة الأميركية كانت طوال عشر سنين مضت تطلب من كل رئيس دولة عربية يزورها أن يعيد العلاقات مع مصر. وكان أي مبعوث أميركي إلى الدول العربية يطلب الشيء نفسه عندما يلتقي بهذا الحاكم العربي أو ذلك. ولقد فعلت الإدارة الأميركية ذلك على أساس أنها لا تستطيع أن تفعل شيئاً لمشكلة الشرق الأوسط وبالذات لإيجاد حل للصراع العربي - الإسرائيلي إذا كانت الدول العربية ستستمر على موقفها من مصر. بل إن الإدارة الأميركية كانت ترى ضمناً أنه ما دامت الدول العربية (باستثناء دولتين) أسقطت عضوية مصر في الجامعة العربية وقطعت العلاقات معها رداً على إتفاقية تولت الإدارة الأميركية إستنباطها (أي إتفاقية كامب ديفيد)، فإن قطع العلاقات مع النظام في مصر هو بمثابة قطع العلاقات مع الإدارة الأميركية نفسها.

ولقد عادت العلاقات ولم يبق هنالك سوى سوريا وليبيا وإلى حد ما الجزائر واليمن الجنوبي. وعملاً بقاعدة الأكثرية وليس الإجماع التي تم التفاهم في شأنها خلال زيارة الملك فهد إلى مصر فإن إستمرار أربع دول لا تعيد العلاقات مع مصر لا يشكل عائقاً ما دامت الأكثرية أعادت النظر في

موقفها وما دامت الشرعية الفلسطينية تقف إلى جانب مصر.

والسؤال الآن: هل ستعيد الإدارة الأميركية النظر ويعود الرئيس مبارك ليبلغ الملوك والرؤساء الذين قدّموا له المساندة المهمة بتصرفهم أو إعلانهم أنه خير من يمثلهم لدى الإدارة الأميركية وقد أنجز شيئاً، أم أن هذه الإدارة ستواصل التباطؤ ولا تخطو الخطوة المؤمل منها أن تخطوها؟

وهذه الخطوة هي التعامل مع الحرب العراقية - الإيرانية تعامل من يريد بالفعل إنهاء هذه الحرب لا أن تبقى الحالة على ما إنتهت إليه أي مجرد وقف إطلاق نار. والتعامل مع الوضع في لبنان تعامل من يريد حسم هذا الصراع. والتعامل مع الصراع العربي - الإسرائيلي تعامل من يريد بالفعل للمؤتمر الدولي أن يعقد.

إذا فعلت إدارة الرئيس بوش ذلك فعلياً أن نتوقع خيراً للإستقرار العربي. أما إذا عاد الرئيس مبارك بحلول متواضعة للظروف الإقتصادية الخائفة في مصر فهذا معناه أن الإعتدال العربي كان إستعجلاً، وهذا معناه أن أمام المنطقة سنوات أخرى من البلبلة وقّانا الله شرورها واضطراباتنا.

مجلة "التضامن". لندن - 10 نيسان (أبريل) 1989

* * *

الدور الفرنسي في لبنان

بصرف النظر عن الدوافع التي أملت على الحكومة الفرنسية القيام بالدور الذي قامت به قبل أسبوعين إزاء الأزمة اللبنانية، فإن هذا الدور من جانب فرنسا، التي تربطها أفضل العلاقات بمعظم الدول العربية، كان بمثابة حجر كبير سقط في مياه راكدة وبدأ يُحدث دوائر ويحرك هذه الدولة أو تلك لكي تتخذ موقفاً أو تقوم بمبادرة.

والتوقف عند نقطة أن فرنسا لم تتدخل إلا لحماية المسيحيين في لبنان فيه الكثير من الحقيقة. لكن ثمة حقيقة أخرى وهي أن أي تدخل لا بد له من دافع، وجاءت ظروف المواجهة السورية مع التيار الذي يمثلته العماد ميشال عون لتشكّل الدافع الذي يمكن من خلاله القيام بدور لم تسجل احتجاجاً عليه الدول العربية.

وقبل تلك المواجهة كان من الصعب على الحكومة الفرنسية أن تقوم بأي دور. وهي لو فعلت لكان الرأي العام الفرنسي شن حملة لا مثيل لها على الرئيس فرنسوا ميتران، ولكانت هنالك مراكز قوى سياسية كثيرة في فرنسا أعلنت، في شكل أو آخر، أنه لا علاقة للفرنسيين بهذا الأمر، وأن فرنسا يمكنها فقط أن تقوم بدور إذا أجمع اللبنانيون على طلب ذلك منها.

وهنا تبرز أهمية وسائل الإعلام من صحف وإذاعة وتلفزيون. وخلال أسبوع إستطاعت الوسائل الفرنسية تعبئة الرأي العام، بل نكاد نقول تحريضه، لكي يضغط على الحكومة من جهة ولكي يشكّل بضغطة من جهة أخرى شرعية لأي دور يمكن أن يقوم به الرئيس ميتران.

إننا نكتب هذه الكلمات وهنالك بعض الصيحات اللبنانية تأتي من هنا وهناك تستنكر الدور الفرنسي وتتهمه. ومن الطبيعي صدور هذه الصيحات ما دامت تأتي من طرف يتعاطف مع الحُكم الإيراني الذي يتطلع إلى إصطباد فرنسا في أي لحظة وفي أي مكان، وتأتي من أطراف أخرى لا تستطيع، لأسباب موضوعية وغير موضوعية، فك التحالف بينها وبين الحُكم السوري. أما الرأي العام اللبناني المسلم العادي وهو ما يُعرف بـ "الأكثرية المظلومة الصامتة" فإنه لا يمكن أن ينظر إلى الدور الفرنسي بالحدة والإنفعال، وإنما بالتأني والتحفّظ والحذر، وفي الوقت نفسه إعتبار الدور خطوة قد تعود بالخير وتساهم في إنهاء هذه الأزمة التي دخلت سنة جديدة من دون أن تجد مَنْ يفك ألغازها.

وهنا لا بد من وقفة نجد أنفسنا نرى فيها أن ما فعلته فرنسا هو أكثر من نجدة وأقل من تدخّل، وإن الرئيس ميتران ليس مثل الرئيس الأميركي السابق ريغان لكي يأمر أسطوله بالقصف من البحر أو ينفعل فيكسر بدل أن يجبر كما يعبر القول الشائع. ويبقى أمران.

الأول، هو أن الإهتمام من جانب وسائل الإعلام الفرنسية والأجنبية عموماً بما حدث ويحدث للمناطق اللبنانية التي تقع تحت سيطرة العماد ميشال عون، سببه أن رجال الإعلام والتلفزيون الأجانب يعملون هنالك بكل إطمئنان بعيداً عن المخاوف من أن يتعرضوا للخطف ويتحول خطفهم إلى سلعة في سوق المساومات التي إشتهرت بها بيروت الغربية وبعض المناطق اللبنانية

الأخرى التي تخضع لنفوذ الحُكم السوري. وعندما تكون تلك هي الحال فإن رجال الإعلام الأجانب يقاطعون مخافة خطفهم وتحويلهم إلى صفقة، أو أنهم إذا لم يقاطعوا لا يكتبون بالحماسة التي كتبوا بها عن التيار الذي يمثّله العماد ميشال عون والذي خاض مواجهة بالغة المرارة مع القوات السورية.

أما الأمر الآخر، فهو أن فرنسا لا تقوم بدور الدولة التي ترغب في تكرار الدور الإستعماري ولا هي لعبة في يد أميركا كما إتهمها البعض، وذلك لسبب بدهي وهو أن زمن الإستعمار إنتهى. كما أنه من الجائز القول بأن كل ما يحلم به أي فرنسي، من المواطن العادي إلى الرئيس ميتران، هو بعض الصفقات التجارية وصفقات السلاح والطائرات مع الدول العربية. وهي صفقات من شأنها نجدة الإقتصاد الفرنسي مخافة أن يتواصل تعثره فتتساقط بقايا الإزدهار والتقدم. وما دامت تلك هي حال فرنسا فإن الدور التي قامت به من شأنه أن يشكّل دعماً للجهد العربي الذي تمثّله اللجنة السداسية التي قادها وزير خارجية الكويت الشيخ صباح الأحمد وتعرضت في المرحلة التي كان من المؤمل تحقيق بعض النجاح فيها للكثير من السهام السورية.

ونجد أنفسنا نتساءل: ألم يكن من الأفضل والأجدي أن يتم تسهيل مهمة اللجنة العربية السداسية ومنحها كل ما تطلب من دعم بدل أن يتم دفع الأمور إلى حد دخول فرنسا على الخط بالشكل الذي دخلت فيه؟

ومع هذا التساؤل يمكن القول: إن الفرصة ما زالت ممكنة.. إلا إذا كان الذين يعارضون تدويل الأزمة اللبنانية هم أنفسهم الذين يسعون إلى التدويل على أساس أن الخروج من الأزمة اللبنانية بفعل قرار دولي قد يحقق مكاسب لا يحققها الخروج بفعل قرار عربي.

وفي ضوء ذلك يصبح الدور الفرنسي المرفوض في العلن، مطلوباً ومرحباً به في السر. وهذا في حد ذاته لغز في مسلسل الألغاز الذي لا مثيل له.

وفي أي حال إن اللبناني المغلوب على أمره هو الذي يواصل دفع الثمن.

مجلة "التضامن". لندن - 17 نيسان (أبريل) 1989

* * *

صراع قبل القمة

بالقدر الذي يشعر المواطن العربي بالإرتياح والمزيد من الثقة بالنصر مع حلول الذكرى الأولى لتحرير الفاو التي كانت معركتها إيذاناً بالتحرير الشامل للأراضي العراقية التي كانت تحتلها إيران... بالقدر نفسه يشعر هذا المواطن بالحزن والمزيد من الإحباط لإنقضاء العام الرابع عشر من المشكلة اللبنانية المتعجرة وبدء عام جديد هنالك مؤشرات كثيرة إلى أنه سيكون تفجراً إذا كان لن يحدث تدارك للأمر.

ولكن هذا القدر من الحزن والإحباط لا يعني فقدان الأمل بإيجاد حل للمشكلة اللبنانية. بل إنه قد يجوز القول إفتراضاً وإجتهداً إن هذا التصعيد الذي شهدته معظم المناطق اللبنانية في الأسابيع الثلاثة الماضية هو نتيجة إقترب الفترة التي ستعقد فيها القمة العربية العادية التي طال أمر تأجيلها.

كيف؟

إن عقد القمة بات أمراً محسوماً في أعقاب الزيارتين التاريخيتين اللتين قام بهما خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز إلى كل من العراق ومصر وتأكيده على أن القمة ستعقد وبمشاركة مصر، وتركيزه على أن مثل هذا الأمر سيستند على مبدأ الأكثرية وليس الإجماع. كما أن عقد القمة بات أمراً محسوماً بعدما أوضح الملك حسين نقطة أساسية وهي أن دول "مجلس التعاون العربي" متفقة على أنها تحضر مجتمعة أي قمة عربية وأن العراق والأردن والجمهورية اليمنية تقاطع هذه القمة إذا كانت مصر لن تدعى إليها.

وإلى ذلك إن الملك فهد بن عبد العزيز عندما أوضح بأسلوب الحسم والحزم أن مصر ستشارك في القمة التي ستعقد وأنه بات ميالاً إلى قاعدة الأكثرية وليس الأغلبية، فإنه كان يحتسب إلى احتمال أن تقاطع سوريا القمة وأنه أعلن ذلك لكي يقطع الطريق على أي مقاطعة.

وعندما نتأمل في الوضع العربي الراهن نجد أن القمة العربية المفاجئة ليس أمامها أمور عالقة سوى المشكلة اللبنانية. وفي الماضي كان موضوع مصر هو العقبة ثم لم تعد هذه العقبة موجودة ما دامت القمة ستعقد وبمشاركة مصر، وما دامت القاعدة التي سيتم بموجبها بعد الآن هي الأكثرية وليس الإجماع. وفي الماضي أيضاً كان الموضوع

الفلسطيني يشكّل أيضاً عقبة ثم لم تعد هذه العقبة موجودة بعد إعلان الدولة الفلسطينية ثم إعلان إختيار ياسر عرفات رئيساً لهذه الدولة. وعند إنعقاد أي مؤتمر عربي إلى حين إنعقاد القمة لن تكون هناك مناقشات حادة وعقيمة لموضوع عودة مصر ما دامت مصر عادت عملياً بقرارات منفردة وليس بقرار واحد من القمة، ولن تكون هناك مناقشات مماثلة للموضوع الفلسطيني ما دامت الأمور لدى القيادة الفلسطينية تطورت بحيث تم إعلان الدولة وتسمية رئيس لهذه الدولة يتم إستقباله بهذه الصفة عند زيارته لأي بلد عربي أو إسلامي أو أجنبي.

وعلى هذا الأساس فإنه لن يكون أمام القمة العربية عند إنعقادها سوى بحث المشكلة الساخنة وهي المشكلة اللبنانية وربما موضوع العلاقات الثنائية بين بعض دول الأعضاء.

وعند بحث المشكلة اللبنانية ستجد الدول الأعضاء، عملاً بمبدأ الأكثرية الذي أشار إليه الملك فهد بن عبد العزيز، أنها ستتخذ قرارات تقضي بإنهاء القتال وبما يحقق انسحاب القوات غير اللبنانية والوفاق السياسي في الوقت نفسه.

وحتى إذا قاطعت سوريا القمة فإن ذلك لن يحول دون صدور القرارات التي توجب على الحُكم السوري الأخذ بها. وثمة نقطة أخيرة وهي أنه في حال إنعقاد القمة وفي الرياض فإنه سيتم توجيه الدعوة إلى لبنان. والمشاركة الطبيعية في هذه القمة تكون بشخص العماد ميشال عون والدكتور سليم الحص.

وإذا شارك الرئيس حافظ الأسد، وحضر الإثنان ممثلين للبنان ولا يمكن لأحدهما أن يقاطع، فهذا معناه إقرار سوري بشرعية قائمة وإقرار بضرورة إيجاد حل.

ومن هنا فإن التصعيد الذي حدث في لبنان خلال الأسابيع الثلاثة الماضية هو صراع من أجل كسب الوقت قبل إنعقاد القمة العربية ومحاولة لإنهاء العماد ميشال عون كي لا يشارك في هذه القمة.

وهذا الصراع هدفه المشاركة في القمة بأوراق أقوى تحقّق مكاسب أفضل.

ويبقى أن هذا الاحتمال هو الذي يجعل مشاعر الإحباط تتساوى مع الشعور بالكثير من الآمال. واللافت للإنتباه أنه كلما فقدت الروزنامة ورقة كان معنى ذلك إقترب موعد القمة، وكلما كان التصعيد الذي فاق في شراسته التصور عنيماً بدا ذلك بمثابة مؤشر إلى أن

أطراف المشكلة يريدون التوجه إلى القمة وهم في موقع أقوى أو أن يكونوا في وضع أفضل عندما سيتم فرض الحل عليهم.. بإرادة الأكثرية العربية.

وهذه المرة إن الأكثرية مصممة على أنها تريد أن ترتاح من المشكلة اللبنانية، ولولا ذلك لما كانت تطورات الأشهر السبعة الماضية حدثت بالإيقاع الذي حدثت فيه وكان أهمها على الإطلاق، بعد خروج العراق منتصراً، قيام "مجلس التعاون العربي"، وإعلان الدولة الفلسطينية، وزيارة الملك فهد بن عبد العزيز إلى العراق ثم إلى مصر وهي زيارة كانت الرقم الأول في العد العكسي لعقد القمة التي سيكون الحضور فيها وفق قاعدة الأكثرية.. والتصويت فيها كذلك.

هذا مع الأخذ في الاعتبار أنه عندما تتعقد القمة العربية في الرياض فإن الأكثرية يصبح لها فعل الإجماع.

مجلة "التضامن". لندن - 24 نيسان (أبريل) 1989

* * *

هل إنها خطة لتفليس دول العالم الثالث؟

قبل أيام حدثت في الأردن اضطرابات ناشئة عن إرتفاع الأسعار ونتج عن ذلك سقوط عدد من القتلى والجرحى.

وفي لبنان يتساوى أحياناً الخوف من القصف مع الخوف من جنون الأسعار. وهناك حالات كثيرة بات فيها الدواء مثل المعدن الثمين بسبب إرتفاع سعره وعدم تمكن مواطن عادي من شراء الدواء. كما أن هناك حالات كثيرة بات فيها المريض يشترى الدواء بالحبة الواحدة. وهذه حقيقة لا مبالغة فيها على الإطلاق.

وفي مصر باتت الأسعار مثل النار... والنار تحرق وتترك ندوباً في الجزء الذي تلمسه هذه النار. وهناك قصص وحكايات لا حصر لها حول الإنحدار الأخلاقي في المجتمع الذي حدث نتيجة للغلاء وإرتفاع الأسعار بالشكل الجنوني الذي يرتفع فيه.

وما يحدث في السودان الآن نتيجة لإرتفاع الأسعار يكاد لا يصدق. أما الذين يموتون جوعاً أو من شدة وطأة أسعار السلع فهم بالعشرات يومياً.

وفي الجزائر حدثت نتيجة لإرتفاع الأسعار متاعب

واضطرابات وسقط قتلى وجرحى وإندلعت حرائق. وفي الوقت الذي إفترضنا أن الأمور هدأت حملت الوكالات أنباء من الجزائر خلاصتها أن هناك إضراباً بدأ إحتجاجاً على إرتفاع الأسعار وأن الإضراب بدأ في الوقت الذي كانت الأنباء تتحدث عن الاضطرابات التي حدثت في بعض المناطق الأردنية.

وفي سوريا حكايات لا تنتهي عن الغلاء والأسعار والأثر الذي تتركه في نفوس المواطنين.

وفي إيران طغى الحديث عن أسعار السلع المرتفعة على أي حديث. بل إن الزيادات المتواصلة لأسعار السلع قد تكون إحدى أسباب التفجر داخل النظام الإيراني.

ومن المؤكد أن كثيرين يتذكرون كيف أن جنوداً من قوات الأمن المركزي في مصر عبروا عن غضبهم على الحرمان وزيادة الأسعار بأن هاجموا بعض الفنادق والمنشآت وإستهدفوا في هجومهم الثلاجات ومخازن اللحوم والمعلبات من دون أن يستوقفهم على الإطلاق ما في معاصم النزلاء من ساعات ومجوهرات.

ولقد حدث ذلك قبل بضع سنوات وبدأ كما لو أنه درس وموعظة لم يتم الأخذ بهما مع الأسف.

وفي العراق تسببت سنوات الحرب في حدوث بعض الخلل في إستقرار الأسعار الذي كان يتميز به العراق، ويبدو الحكم تشدداً ملحوظاً في سبيل عدم تعرض الأسعار لأي إرتباك.

وحتى في معظم دول الخليج التي عاشت سنوات في ظل طفرة لا مثيل لها هناك شكوى من إرتفاع الأسعار وتوجه نحو مسلكية جديدة في الإنفاق.

ويوم الخميس 13 نيسان (أبريل) 1989 حملت وكالات الأنباء من الأرجنتين، إحدى دول العالم الثالث وإحدى الدول التي يُفترض أن تكون أوضاعها في أميركا اللاتينية أفضل قليلاً من غيرها، نبأ مفاده أن الأسعار تتزايد هناك كل ساعة، بمعنى أنه إذا غادرت سيدة منزلها إلى السوق لتتبع فإن الأسعار ستزداد في الفترة بين مغادرتها المنزل ووصولها إلى السوق، وأنها إذا تأخرت في الوصول نتيجة إزدحام السير ووصلت إلى السوق بعد ساعتين بدلاً من ساعة فإن الأسعار ستزداد ضعفين وستكون محظوظة لأن السيدة التي ستتأخر في النزول إلى السوق لسبب أو آخر وتصل قبل إقفال المتاجر بقليل ستدفع ثمن السلعة أضعاف ما كان سعرها في الصباح.. وهكذا.

وبسبب إرتفاع الأسعار لم يعد في إستطاعة موظف أن

يعرف تدبير أمره ولم يعد في إستطاعة زوجته أن تضع ميزانية توزّع بموجبها المرتب على الإحتياجات. ونتيجة لذلك تحدث مشاكل داخل البيوت لا موجب لها.

وما يحدث في بعض الدول العربية ليس شديداً أمام الذي يحدث منذ بضعة أشهر في دولة مثل يوغسلافيا حيث أن إرتفاع الأسعار بات قضية تهدد بإندلاع المزيد من الإضطرابات التي تترك بصماتها على مصير وحدة الدولة. وعندما تصل الحال بالدولة اليوغوسلافية إلى بيع ديونها يتبين لنا حجم المأساة.

وقد يتساءل البعض: وهل أن الديون سلعة لكي يتم بيعها مثل اللبن أو السكر أو الأرز أو النفط أو السيارة أو الطائرة.. الخ؟

وللتوضيح يمكن القول إن الديون يمكن أن تكون سلعة، بمعنى أنه إذا كانت دولة مدينة بمليار دولار على سبيل المثال وعاجزة عن الدفع فإن بعض المصارف تجمع وتشترى هذه الديون بنسبة النصف أو أقل وتسدها. ومثل هذا الأمر يتم في حال موافقة الطرف الدائن الذي يحصل على جزء من أمواله إلا أنه يشطب الطرف المدين من لائحة التعامل ولا يعود مستعداً لتقديم أي قرض ثم يرفض مبدأ الإستدانة جملة وتفصيلاً، وهذا يسبب متاعب لدولة تخوض معركة شرسة في سبيل إستقرار وضّعها الإقتصادي.

وما أوردناه هنا عبارة عن نماذج تعكس المعاناة الناشئة عن زيادة الأسعار في دول العالم الثالث. وما يمكن قوله إن كل دولة من دول العالم الثالث تعاني من مشاكل إقتصادية وإضطراب في الأسعار لا مثيل له.

وقبل الحرب في لبنان ثم الحرب العراقية - الإيرانية كانت هنالك أزمات إقتصادية وكان هنالك بعض الضيق الناشئ عن زيادة الأسعار. إلا أن الأزمات لم تصل إلى الحد الذي وصلت إليه، الأمر الذي يعني أن الحرب التي فرضوها على لبنان والحرب التي فرضها الحُكم الإيراني على العراق كان من أهدافهما تحويل العالم الثالث إلى تجمّع دول تتخبط بمشاكلها الإقتصادية وإبقاء الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية واليابان في منأى عن الكوارث الإقتصادية، أو بمعنى أكثر دقة تكون أقل تضرراً.

ومن هنا لا تبدو في الأفق بوادر إنفراج إلا إذا حدثت معجزة تُنتهي الحرب في لبنان أو فلنقل الحرب عليه، وإذا تحوّل وقف إطلاق النار على الجبهة العراقية - الإيرانية إلى إنتهاء للحرب وإقنتع الحُكم الإيراني بأن ما أصاب

دول العالم الثالث، وبالأدات الدول التي عرضنا نماذج مما أصابها، سيحدث في إيران بشكل لا مثيل له وستكون وطأته أشد بكثير من وطأته في الدول الأخرى.

ولقد كنا نتمنى حدوث خطوات دولية وعربية تنهي المأزق اللبناني لكن ذلك لم يحدث. وكنا نتمنى أيضاً أن تصدر في الجولة الرابعة من المفاوضات العراقية - الإيرانية في جنيف، التي ما زالت بسبب العناد الإيراني تدور في الحلقة المفرغة، إيماءات إيرانية من شأنها أن توحى بالطمأنينة. لكن عدم صدور ذلك لا يعني أن التفاعلات التي تحدث منذ فترة في إيران نتيجة لإضطراب الحُكم إلى قبول القرار 595 لا تشكّل في مجملها مقدمات لموقف إيراني عاقل يأخذ في الإعتبار أن الإصرار على الحرب من أجل تصدير الثورة سينتهي بتوريد ما هو أخطر.

وما هو أخطر لن يقتصر على زيادة الأسعار لأن ذلك حاصل في إيران بشكل خطير وإنما سيشمل توريد الفقر... وربما الجوع.

ويبقى سؤال: هل أن إفقار العالم الثالث وجعله يتخبط في مشاكل زيادة الأسعار هي خطة يتم تنفيذها بدقة من قبل الدول الرأسمالية بحيث تصبح الأسعار هي القضية وهي الأهم من القضية الوطنية للمواطن في العالم الثالث؟ والرد على ذلك هو أن مثل هذا الإفتراض وارد لأن القاموس الذي حوى في السنوات العشرين الماضية مفردات مثل الثورة والتأميم والإستقلال الوطني والإنتفاضة والإكتفاء الذاتي وإستخراج الثروات ومحو الأمية.. وكلمات أخرى كثيرة، كان من إبتكار المواطن في دول العالم الثالث. ويبدو أن الدول الرأسمالية الكبرى لا تريد لهذا القاموس أن يتحول إلى قاعدة وتريد للمفردات التي حواها ذلك القاموس أن تندثر.

وهل هنالك سلاح لجعل هذه المفردات تندثر أكثر فتكاً من التلاعب بالأسعار ورفعها إلى الحد الذي لا يطاق، وإلى درجة يعبر فيها المواطن عن ضيقه بالتظاهر إحتجاجاً على زيادة الأسعار وهو الذي كان في الماضي لا يشارك في تظاهرة إلا إذا كانت من أجل الإستقلال الوطني أو لمباركة التأميم أو إحتجاجاً على الأسلحة الفاسدة أو من أجل نصرة القضايا القومية.

ومن خلال ما يحدث هنا وهناك وهناك من دول العالم الثالث من حالات غضب على زيادة الأسعار يبدو أن هذا السلاح هو الأكثر فتكاً بالفعل.

وعليها أن نتوقع في هذه الدول ما هو أكثر إقلاقاً وإزعاجاً. علينا أن نتوقع سماع أنباء بأن دولاً كثيرة في العالم الثالث تجاوزت حالة الإفكار إلى حالة الإفلاس. والإفلاس هنا بمعنى وصول الدولة إلى وضع الميئوس من أمر حل الشأن الإقتصادي فيها.

مجلة "التضامن". لندن - 1 أيار (مايو) 1989

* * *

تأجيل يدعو إلى الإستغراب

يوم 26 نيسان (أبريل) 1989 من المفروض أن يكون مجلس الجامعة العربية قد عقد دورة إستثنائية في تونس على مستوى وزراء الخارجية للبحث في الوضع اللبناني. وكان من المقرر أن تنعقد الدورة يوم الجمعة 21 نيسان لولا أن وزير خارجية الكويت صباح الأحمد أعلن يوم الأربعاء 19 نيسان 1989 عن تأجيل الدورة خمسة أيام وأورد في معرض ذلك الأسباب التي أوجبت قرار التأجيل. هنا تعليق حول التأجيل كتبه الزميل فؤاد مطر رئيس تحرير "التضامن" يوم الخميس 20 أبريل:

عندما أذيع رسمياً أن مجلس الجامعة العربية سيعقد يوم الجمعة 21 (نيسان) أبريل 1989 اجتماعاً غير عادي في تونس للبحث في التطورات المأساوية في لبنان إنتابنا شعور بالإرتياح إنطلق من إنطباع بأن الدول العربية تتصرف بمسؤولية، وأنها بسبب فداحة الخسارة الناشئة عن إستمرار التفجر في لبنان قررت التحرك بسرعة وعقد إجتماع طارئ لوزراء الخارجية يحاولون خلاله وضّح تصوّر من شأنه محاصرة الحريق إذا كان إخماده متعذراً في الوقت الحاضر.

ذلك كان شعور المراقب من بعيد وشعور المواطن العربي الذي يعيش في بلده خارج لبنان، والذي يستبد به الحزن بسبب المأساة التي يعيش فيها لبنان وسكانه الصامدون على رغم كل الأحوال. أما شعور اللبنانيين فكان من الصعب وصفه وكان مزيجاً من الحذر والفرح. الحذر من أن يتعذر الإجتماع فلا يحقق النتيجة المرجوة وهي في الحد الأدنى وقف إطلاق النار، والفرح لأن الدول العربية ما زالت مهتمة بأمر لبنان وتعتد الاجتماعات الرسمية من أجل البحث عن حلول لمشكلته شبه

المستعصية.

وبين التشاور لعقد الإجتماع غير العادي لمجلس الجامعة العربية على مستوى وزراء الخارجية وتحديد موعد الاجتماع، كانت سالت دماء الأطفال والنساء وكبار السن من جرّاء القصف السوري والأطراف اللبنانية الحليفة للحكم السوري، ومن جرّاء الرد على هذا القصف من جانب الذين يطالبون بإخراج القوات غير اللبنانية من لبنان بما في ذلك القوات السورية.

وبالإضافة إلى ذلك كانت القذائف سقطت بالألوف على أحياء بعض المناطق اللبنانية من دون إستثناء وأحدثت دماراً لا مثيل له وخسائر من الصعب تحديد حجمها. ومن المؤكد أن منظر القذائف تتساقط حتى على البحر حيث هنالك سفن يمكن أن تنقل جرحى إلى خارج لبنان، بدا لمن شاهده كما لو أنه أمام شاشة من أجل جذب الإنتباه وجعل الفيلم يحقق عوائد مرتفعة لشدة إقبال الناس عليه.

وبين إنتهاء أمر التشاور إلى الإتفاق على تحديد يوم الجمعة 21 نيسان (أبريل) موعداً لعقد الدورة الطارئة لمجلس الجامعة العربية على مستوى وزراء الخارجية والإعلان رسمياً قبل يوم من حلول الموعد عن تأجيل الإجتماع إلى يوم 26 أبريل، كان المزيد من الدم قد سال والمزيد من الأبرياء قد تحوّلوا إلى ضحايا والمزيد من القذائف حصدت الكثير من مظاهر الحياة في هذا البلد الذي يكتوي بنار الحرب البشعة المفروضة عليه منذ أربع عشرة سنة.

ولقد كان وقع نبأ التأجيل من النوع المضحك، بل إن هذا التأجيل بدا كما لو أن الطبيب بدل أن يهرع إلى نجدة المريض قرر الإخلاء أولاً إلى قيلولته، أو أن رجل الإطفاء بدل أن يوجّه خرطوم المياه إلى الحريق المشتعل أمامه والتي تنبعث من بين لهيب النار والدخان أصوات الأنين والإستغاثة قرر أن يتأمل في هذا المنظر "الرومانسي"، أو أن الجراح الذي يقع على عاتقه واجب إجراء العملية الجراحية لأحد المرضى إرتأى أن ينجز بعض المهمات الخاصة أو الزيارات الشخصية أو تلبية دعوة لمناسبة إجتماعية قبل أن يتوجه إلى غرفة العمليات وإجراء العملية الجراحية التي لا تحتمل التأجيل.

هكذا بدا نبأ التأجيل ووقعه على النفس ونحن نستمتع إليه. ولو أن موجبات التأجيل كانت منطقية لكان الأمر مقبولاً.

ولنعرض معاً هذه الأسباب التي وصفها النبأ بأنها "ظروف خاصة تتعلق بإرتباطات بعض الإخوة ووزراء الخارجية".

أول هذه الأسباب أن وزير الخارجية الأردني مروان القاسم يرافق الملك حسين في زيارة رسمية إلى الولايات المتحدة، وكأنما إذا قطع الوزير اليوم الأخير من الزيارة ليحضر الدورة الطارئة لمجلس الجامعة سيتسبب في حدوث أزمة بين بلاده والولايات المتحدة.

وثاني الأسباب أن وزير الخارجية الجزائرية بوعلام بالسايح يقوم بمهمة في عدد من الدول العربية مبعوثاً من الرئيس الجزائري، وكأنما إذا حدث تعديل في التحرك بحيث يحضر الأخ بوعلام الدورة الطارئة لمجلس الجامعة ثم يواصل الجولة سيجد هنالك من الملوك والرؤساء من يلومه.

وثالث هذه الأسباب وآخرها هو أن وزير الخارجية السورية فاروق الشرع سيقوم في اليوم التالي المحدد لإنعقاد الدورة الطارئة لمجلس الجامعة بزيارة إلى الهند وفق إرتباط رسمي سابق، وكأنما سيتضايق المسؤولون الهنود إذ قيل لهم إن رجل الدبلوماسية السورية سيتأخر وصوله يوماً أو يومين بسبب الإجتماع غير العادي لمجلس الجامعة لبحث الوضع المتفجر في لبنان.

تلك هي الأسباب وهي ليست مفاجئة.

أن يكون القاسم مع الملك حسين، هو أمر معروف قبل أن يتم تحديد موعد الإجتماع غير العادي لمجلس الجامعة. وأن يكون الأخ بوعلام في جولة مبعوثاً من الرئيس الجزائري، هو أمر معروف قبل أن يتم تحديد موعد الإجتماع.

وأن يكون الشرع مرتبطاً بزيارة رسمية إلى الهند هو أيضاً أمر معروف قبل أن يتم تحديد موعد الإجتماع.

لقد كان ذلك معروفاً. وعند التشاور تم تحديد يوم 21 أبريل موعداً للإجتماع. ومن هنا فإن تأجيل الإجتماع قبل يوم واحد من حلوله يبدو مدعاة للإستغراب.

وثمة مسألة لافتة للإنتباه وهي أنه عندما يسافر وزراء الخارجية أو يغيب هذا الوزير أو ذاك عن بلده يكون هنالك وزير بالنيابة، ولا نعرف لماذا لا يبدو طبيعياً حضور الوزراء بالنيابة بدل التأجيل، فضلاً عن أنه خلال الزيارة التي قام فيها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز قبل بضعة أيام إلى القاهرة صدرت عن العاهل السعودي تصريحات تفيد أنه بالنسبة إلى المؤتمرات العربية

(وكان يقصد "القمة") سيتم إعتقاد قاعدة الأكثرية وليس الإجماع. والقصد من هذه الإشارة هو القول، انه إذا كان من الممكن للدورة الإستثنائية لمجلس الجامعة أن تتعقد من دون حضور الوزراء الثلاثة وذلك عملاً بالقاعدة التي أوضحها الملك فهد، يصبح من الطبيعي إنعقاد الدورة بمن ينوب عن الوزراء الثلاثة، هذا مع وضّع بعض الخطوط تحت ملاحظة أن الأسباب الموجبة التي أوردها نبأ التأجيل قابلة للأخذ والرد، وهي أسباب تبقى أقل أهمية بكثير من هول المأساة اللبنانية التي تحتاج إلى وقفة شجاعة وتتسم بالنخوة والصدق.

وإلى ذلك إن في تاريخ الزيارات الرسمية العربية وفي تاريخ الجولات التي يقوم بها المبعوثون والممثلون الشخصيون للملوك والرؤساء مناسبات حدث فيها تأجيل لزيارة رسمية، أو قطع لجولة خاصة من نوع وقوع حادث عائلي مفاجئ أو وفاة شخص عزيز أو نتيجة إصابة بأنفلونزا يمكن علاجها ببعض الأسبرين أو المضادات الخفيفة.

إن إنعقاد الدورة الطارئة لمجلس الجامعة العربية كان لن يتسبب في حدوث المعجزة، لكنه على الأقل كان سيعطي الدبلوماسية العربية مصداقية تحتاج إليها خصوصاً بعدما تعرضت مصداقيتها للكثير من النكسات خلال مراحل صعبة من الحرب العراقية - الإيرانية واجهها العمل العربي المشترك عندما كانت تتعقد الإجتماعات من دون أن تحسم. وعندما كانت تتأجل في اللحظات التي كان الإنعقاد من شأنه أن يقلل من حدة النزف أو يرفع قليلاً درجة المعنويات.

وببقى أن نعرض معاً ما الذي يمكن أن يحدث من لحظة إعلان التأجيل إلى اليوم الجديد الذي تم تحديده للإنعقاد.

إن عشرات الأطفال الذين أصابتهم الشظايا يمكن أن يتواصل النزف عندهم فتفيض أرواحهم، أو تحدث مضاعفات للجراح التي أصابت أجسادهم بحيث يتم بتر ساق هذا الطفل أو ذراع تلك الطفلة.. وهكذا.

إن عشرات النساء يمكن أن يسوء وضعهن الصحي وبذلك يحدث إنهيار داخل العائلة.

إن العشرات من الكبار في السن يمكن أن يسقطوا أمام سوء العلاج والتغذية، حيث لا مجال للطبابة والإعتناء بالمسنين لأن المستشفيات وبالطاقة المتواضعة التي تعمل بها ملأى بالذين أصيبوا إصابات خطيرة من جراء

القصف.

إن ألوف القذائف قد تتصب فجأة على رؤوس الناس وبيوتهم ويكبر بذلك حجم المأساة بدل أن ينحسر بعض الشيء.

إن المزيد من الشعور بخيبة الأمل سيحدث لدى اللبنانيين المغلوب على أمرهم. شعور ناشئ عن أن إخوانهم العرب لا يضعون حداً لمأساتهم؟

وهذه الحالات هي على سبيل المثال لا الحصر.

يبقى أيضاً أن التأجيل الذي حدث كان مخيفاً لأنه ترك إنطباعاً بأنه ما دام لبنان بات الحالة الميؤوس منها فماذا سيقدم أو يؤخر عقد إجتماع إستثنائي اليوم بدل الغد أو تأجيله أسبوعاً وأسبوعين وأكثر ما دامت الحرب اللبنانية دخلت عامها الخامس عشر.

هل هذا هو الإنطباع. وهل هذا هو التشخيص؟

أم أن الإجتماع الإستثنائي لم يحدث وتأجل أسبوعاً لأن القرار العربي في شأن لبنان لم يتم التفاهم بعد عليه. وهذا الأمر لم يحدث في إنتظار أن يتم التفاهم الدولي.

وما فائدة عقد إجتماع إستثنائي لمجلس الجامعة إذا كان وزراء الخارجية سيصلون صباحاً ويعقدون جلسة أو إثنين ويسافرون في اليوم التالي من دون توصية حاسمة؟ الفائدة هي أنه سيبعث الأمل في النفس. وسيجد أن بضعة ألوف من اللبنانيين يعيشون تحت القصف وفي ظل أكثر المأساة هولاً في التاريخ العربي الحديث أن الأشقاء إذا كانوا عاجزين فليس معنى ذلك أنهم غير مهتمين.

ويكفيهم... يكفي اللبنانيين ذلك إلى أن يأخذ الله بيدهم أو يجازي الذي، أو الذين، يتلذذون بتعذيبهم على النحو الذي يجري منذ أربعة عشر عاماً.

مجلة "التضامن". لندن - 1 أيار (مايو) 1989

* * *

مصارحة تاتشر بعد مسيرتها

يوم الخميس (4 أيار/مايو 1989) أنهت السيدة مارغريت تاتشر العقد الأول من حياتها السياسية كرئيسة لوزراء بريطانيا.

وعند وصول هذه السيدة وحزبها إلى الحكم إستبشرنا كعرب خيراً لعدة أسباب، لعل أهمها على الإطلاق أن

حزب العمال كان في إستمرار مسانداً لإسرائيل وغير مستعد للحوار الموضوعي مع العرب في شأن القضية الفلسطينية، ولأن وصول حزب المحافظين إلى الحكم من شأنه أن يجعل الأنظمة المحافظة في العالم العربي، وبالذات دول الخليج، تبدو أكثر إطمئناناً من جهة وقادرة على إقامة حوار فعال مع بريطانيا التي هي مفتاح أساسي من مفاتيح الإستقرار في منطقة الشرق الأوسط.

وفي البداية كاد هذا الأمر يصطدم بمسألة أن رئيس بريطانيا هي امرأة وليس هنالك سابقة تعامل للعرب مع سيدة تقود إحدى أهم الدول الخمس الكبرى، فضلاً عن نظرة هذه الأنظمة إلى السياسة تتلخص في "أن الحكم رجل وليس امرأة". لكن سرعان ما توازنت الأمور بعدما أثبتت مارغريت تاتشر أنها امرأة حديدية وقادرة على تحقيق معادلات من شأنها إسقاط التحفظات.

المهم أن مسيرة عشر سنين من العلاقات العربية - البريطانية توضح مسألة أساسية وهي أن بريطانيا إستقادت من العرب أكثر مما إستقادت العرب من بريطانيا. وخلال السنوات العشر تحقّق لبريطانيا من الإزدهار بفضل المال العربي ما جعلها تتفادى مأزق كثيرة على الصعيد الإقتصادي.

وبالمقابل لم تحقّق بريطانيا للعرب شيئاً. بل إن مواقفها في بعض المرات تجاوز خيبة الأمل إلى ما هو أسوأ.

وعلى سبيل المثال لا الحصر أن بريطانيا كانت قادرة على أن تفعل شيئاً من أجل القضية الفلسطينية إلا أن ذلك لم يحدث. وما فعلته كان متواضعاً جداً. وكانت قادرة على أن تفعل شيئاً للحريّن اللتين تزامنتا مع وصول تاتشر، والمحافظين إلى الحكم، وهما الحرب اللبنانية ثم حرب الخليج، لكن الذي حدث هو أن حكومة تاتشر وظّفت الحريّن بما يحقق مصالحها. بل إنها إزاء الحريّن مارست، إذا جاز القول، الإنحياز إلى إستمرار الحريّن. وعندما تنحاز إلى إستمرار الحريّن فهذا معناه أنها حليفة للطرف الذي يريد للحرب أن تستمر بصرف النظر عما إذا كان التحالف مباشراً أو غير مباشر وجاءت مناسبة دورها في تسهيل الإعتداء الأميركي على ليبيا لتؤكد رغبة الإنتقام عندها.

وطوال عشر سنين لم تترك الدول العربية الأكثر إقتداراً وهي المملكة العربية السعودية مناسبة إلا وأبلغت حكومة تاتشر ما هو أقل من التحذير وأكثر من التمني في شأن

بها وزير الدولة وقد صار يدلي بها وزير الخارجية جيفري هاو أو، وهذا هو الأفضل، نسمعها على لسان مارغريت تاتشر نفسها.

مجلة "التضامن". لندن - 8 أيار (مايو) 1989

* * *

مصر تعود مثقلة بالمشاكل

يكاد لا يخلو عدد من صحيفة مصرية إلا وفيه أخبار عن ضبط شبكة تهريب مخدرات أو القبض على بعض المشاهير أو أبناءهم وهم يتعاطون المخدرات في شقة أحدهم.

وبين الحين والآخر نقرأ في هذه الصحف بعض التفاصيل حول المآسي العائلية الناشئة عن المخدرات وبالذات ما يتعلق بغتيات وقعن ضحية الإدمان أو أبناء ارتكبو أبشع الجرائم والسرقات في سبيل شراء المخدرات. ولولا الخوف من إنهيار عائلات بأكملها لكانت الصحف نشرت الأسماء وأفاضت في التفاصيل، ولكنها خيراً تفعل عندما تشير بالحد الأدنى إلى قصص الإدمان والمخدرات في مصر وهي قصص أغرب من الخيال. ولكثرة هذه الأخبار عن المخدرات والمهربين فإن الصحف تنشرها في صفحات داخلية علماً بأن الخبر البسيط بين هذه الأخبار يستحق أن يكون الخبر الرئيسي في الصفحة الأولى لو أن ذلك كان في أي بلد مثل بريطانيا.

وفي خطابه الذي ألقاه لمناسبة عيد العمال يوم الأول من أيار (مايو) 1989 تحدّث الرئيس حسني مبارك عن الإدمان كظاهرة في مصر وقال إنها "أصبحت كارثة تهدد الأسرة المصرية...". وعندما تصل الحال بالرئيس مبارك إلى أن يتحدث في خطاب عيد العمال عن ظاهرة الإدمان والمخدرات فهذا معناه أن علينا أن نتصور مدى خطورة الأمر، خصوصاً أن الرئيس صنفها كارثة ولم تعد مشكلة، كما أن الرئيس أمر بنقل هذه الكارثة من الصفحات الداخلية إلى الصفحات الأولى أوضح أمراً بالغ الأهمية، وهو أن المخدرات وإتساع نطاق الإدمان وتعدد أنواع المخدرات باتت تؤثر على سمعة البلد والحكم. وفي الماضي كانت المخدرات في إستمرار مشكلة

تعديل موقفها والضغط على الولايات المتحدة بدل مسايرة الإدارة الأميركية في مواقفها السلبية. ولقد سمعت تاتشر من الملك فهد ومن وليّ عهده الأمير عبد الله الكثير في هذا الشأن. وسمع مسؤولون آخرون في الحكومة البريطانية كلاماً مماثلاً من الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس الوزراء والأمير سلمان بن عبد العزيز أمير الرياض عندما زار الأميران بريطانيا. كما أن تاتشر في جولاتها العربية سمعت وسمع معها أركان حكومتها الكثير من التمنيات التي كادت تصل إلى درجة المطالب.

ولولا أن وزير الدولة للشؤون الخارجية ديفيد ميللور لم يتخذ ذلك الموقف العادل الذي عبّر عنه بتصريحاته خلال زيارته لبعض مخيمات اللاجئين في الضفة الغربية المحتلة لكنّ نحن كعرب شعرنا أن عهد تاتشر كان سيئاً بالنسبة إلينا، وأن المحافظين ليسوا أقل سوءاً إزاء قضايانا من حزب العمال. وعندما أبعدت تاتشر وزيرها صاحب الموقف العادل والمعتدل وضعنا في جو من خيبات الأمل بها وبالمحافظين.

إن العقد الذي إنقضّى من حُكم تاتشر عبارة عن سنوات ضاعت منا كعرب. وما دامت السيدة التي تقود بريطانيا تخطط على ما يبدو لسنوات أخرى في الحُكم قد تمتد إلى العام ألفين... من يدري، فإن التعامل معها يقتضي وضع النقاط على الحروف بحيث إن على بريطانيا أن تعطي بقدر ما تأخذ لا أن تأخذ ولا تعطي.

وما هو المطلوب منها أن تعطيه هو موقف يزيل المرارة التي في النفوس العربية إزاء سياسة بريطانيا المؤيدة لإسرائيل ضد الشعب الفلسطيني والمؤيدة لإستمرار التوتر في المنطقة العربية من خلال الإبقاء على الحرب اللبنانية وحرب الخليج عالقَتين من دون حل.

ومثل هذا الموقف بات ممكناً بعد التحولات الجذرية في الواقعية التي تتسم بها السياسة العربية.

هل سيحدث ذلك في العقد الثاني من حُكم تاتشر أم أن كل ما نحصل عليه كعرب هو بعض المواقف من نوع الموقف الذي إتخذه وزير الدولة وولدغريف الذي أهدى ياسر عرفات بعض العسل ونسي أن مملكته... بريطانيا العظمى أخذت من أجداد عرفات وطنهم وقدمته على طبق من العذاب والآلام لليهود.

وما زالت رحلة الآلام مستمرة وطويلة. ولن يكون هناك تبدّل إلا إذا قرأنا ذات يوم وسمِعنا التصريحات التي يدلي

وليس سراً أن صفة تعاطي المخدرات ملتصقة بالمصري إلى درجة أن الذين لا يتعاطون المخدرات يذهبون بجريرة الذين يتعاطونها.

ولكن هذه المشكلة بدأت تتفاقم بعد هذه النقلة الصاعقة في الحياة المصرية على يدي الرئيس (الراحل) أنور السادات والمستمرة حتى الآن.

ونعني بها الانتقال من مجتمع إشتراكي مغلق على البضائع الأجنبية ولا تكون فيه الفوارق حادة بين الغني والفقير إلى مجتمع إنفتاحي لا ضوابط فيه.

ولو أن المجتمع الإنفتاحي أوجد حلولاً للمشاكل في مصر لكان الأمر مقبولاً، لكن الإنفتاح لم يحل شيئاً وأوجد طفرة مصطنعة وصلت إلى حد أن المصري بات يواجه حياة لا قدرة له على مشاكلها وتعقيداتها. وبسبب توافر المال من جهة وعدم وجود ضوابط من جهة أخرى، فضلاً عن تحديات الحياة العصرية بدأت ظاهرة المخدرات تنتشر في أوساط العائلة المصرية نفسها. وكان إنتشارها سريعاً نتيجة المشاكل اليومية من السكن إلى المواصلات إلى زيادة الأسعار.

وبالإضافة إلى المخدرات وزيادة الأسعار وزيادة السكن بمعدل مليون سنوياً فإن هنالك ضغوط البنك الدولي الذي يطالب بالإصلاحات. ولكن أي إصلاحات يمكن للحكم المصري أن يحققها أمام إستشراء الظواهر الثلاث: زيادة السكان بشكل لا مثيل له، والإقبال المتزايد على المخدرات بشكل مخيف والإستهلاك بطريقة لا تتناسب على الإطلاق، لا مع دخل الفرد ولا مع إمكانيات الحكومة.

واللافت للإنتباه أن كل هذه الأمور تحدث في وقت قطع الرئيس مبارك ثلاثة أرباع طريق العودة بمصر إلى العرب بعد الزوال التدريجي للإجراءات التي إتخذت في حق النظام المصري نتيجة إنفراده بصلح مع إسرائيل. وبعد أيام سيتم وفقاً لتفاهم مبدئي في هذا الشأن إنجاز الربع المتبقي عندما يشارك الرئيس مبارك بعد عيد الفطر في أعمال القمة العربية الإستثنائية في الدار البيضاء ثم في أعمال القمة العربية العادية في الرياض بعد موسم الحج المقبل الذي نتمنى ألا تشوّش التناقضات السائدة في صفوف الحكم الإيراني أجواءه الطيبة بفضل الرعاية المتواصلة من القيادة السعودية لهذا الموسم الذي يؤدي فيه المسلم فريضة العمر.

ونأتي إلى النقطة الأساسية وهي أن مصر ستعود أخيراً ستعود إلى مكانها الذي أبعدتها منه بضع سنوات

القمة العربية في بغداد عام 1978 وهي إحدى أهم القمم العربية. ولكن هل يكون في إستطاعتها أن تقود بطريقة أو أخرى وهي في الوضع الذي هي عليه، حيث إن البنك الدولي بضغوطه الكثيرة من أمامها والمخدرات وتصاعد الإستهلاك وزيادة السكان من ورائها. وهي في حالها هذه مثل حال بن زياد وجنوده، مع الأخذ في الاعتبار أن طارق بن زياد إستطاع أن يجترح معجزة لا ندري إذا كان الرئيس مبارك قادراً على إجتراف مثلها.

ويبقى أن الكثافة السكانية كانت سلاحاً في يد مصر في الماضي. ولعل كثيرين يتذكرون كيف أن الرئيس السادات كان يردد أن مصر والسودان هما نصف الأمة العربية. أما الآن وفي ضوء الوفاق الدولي وتعطيل الألغام المزروعة في منطقة الشرق الأوسط فإن الكثافة السكانية باتت عبئاً. وبات من الصعب على الحكم المصري أن تكون علاقاته غير طيبة مع الدول العربية المقتدرة مخافة أن ينعكس ذلك على العمالة المصرية في هذه الدول. لأن معنى هذا أن يتدفق على مصر بضعة ملايين وعندها تحدث الكارثة بالفعل.

وهذه الكثافة إضافة إلى المخدرات والإستهلاك الذي لا قدرة للدولة على مواجهة متطلباته ستجعل البلد العربي الأول غارقاً في بحر مشاكل لا حل لها، وستجعل ورقة الإستثمارات العربية التي يتطلع إليها الحكم المصري ورقة غير مجدية، لأنه عندما يلاحظ المستثمر العربي أن رئيس الدولة في مصر نفسه يتحدث بهذه المرارة عن مشاكل المخدرات والكثافة السكانية والإستهلاك والمواصلات فإنه سيتردد. وسينظر إلى مصر مثلاً ينظر إلى السودان ولا يُدرجها في قائمة الأماكن المناسبة للإستثمار.

وتكراراً إن مصر على أهبة أن تعود إلى العرب. وهي على موعد بعد أيام في المحطة الأخيرة لرحلة العودة التي كانت شاقة بالفعل.

ولكن أن تعود شيء. وأن تقود شيء آخر.

والشك في مسألة القيادة بشكل أو آخر يعود إلى الأسباب التي أوردناها. وفي ضوء ما يحدث في الصين والإتحاد السوفياتي والهند ودول أخرى كثيرة يتبين لنا أن الشك في محله.

مجلة "التضامن". لندن - 15 أيار (مايو) 1989

* * *

مفتي المعتدلين

مرة أخرى ينتصر غيلان التطرف والتعصب على حمائم السلام.

ومرة أخرى يوجه دعاة الشر والبغضاء رسالة مكتوبة بالدم خلاصتها أن لا مكان للمعتدلين في لبنان.

ومرة أخرى تسجل الفتنة هدفاً في مرمى الفريق الحريص على لبنان الواحد المتعايش المتوازن.

بهذه الكلمات يمكن تلخيص الحادثة التي أودت يوم الثلاثاء الماضي 16 أيار/ مايو 1989 بحياة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد.

إن الذين فحّخوا سيارة المفتي لا يتطلعون إلى الفعل وإنما إلى رد الفعل، بمعنى أن حياة هذا الشيخ الجليل ليست الأساس بالنسبة إليهم، وإنما يتطلعون إلى رد الفعل الذي يريدونه أكثر سواداً وأكثر دموية. بل إنهم يأملون في أن تتأجج نار الحقد وتسود الهمجية ويتوقف إلى الأبد صوت الإعتدال الذي كان الشيخ حسن خالد من يمثّله.

واللافت للانتباه أن إغتيال الشيخ حسن خالد، المفتي المعتدل أو مفتي المعتدلين أو مفتي الإعتدال، يحدث في الوقت الذي باتت القمة العربية الإستثنائية على أهبة الإنعقاد في الدار البيضاء توطئة لعقد القمة العادية المؤجلة في الرياض. وهذا يعني أن الذين إغتالوا الشيخ حسن خالد، وبالبشاعة التي تم فيها الإغتيال، لا يريدون للقميتين الإنعقاد أو على الأقل عقدهما إنما من دون الخروج بنتائج حاسمة لمصلحة إيجاد حل للمشكلة اللبنانية.

ومن المؤكد أن الشيخ حسن خالد ما كان لينضم إلى قافلة الذين سبقوه من رموز الإعتدال من رشيد كرامي إلى صبحي الصالح لو كان هذا الشيخ الجليل متشدداً، ولكن الرجل أثر البقاء رمزاً للإعتدال وفي إعتقاده الراسخ أن الإعتدال هو الحل.

ونجد أنفسنا نتساءل: من يمكن أن يكون وراء إغتيال مفتي المعتدلين؟ ولا موجب للتكهن كثيراً. إن الذين يريدون للحرب في لبنان أن تستمر هم الذين أنهموا حياة هذا الشيخ الجليل وفي مخططهم الجهنمي أن يكون "الثلاثاء الأحمر" أكثر إستسقاء للدم من أي يوم دموي آخر في تاريخ الأربعة عشر عاماً من الإقتتال البشع في لبنان.

ويبقى أن إغتيال المفتي الشيخ حسن خالد كان إنذاراً

ورسالة. إنذار لكل صوت معتدل بأن ينحاز إلى غربة التعصب التي تشهد أدغالها حرباً في منتهى الهمجية. ورسالة إلى القمة العربية الإستثنائية في الدار البيضاء خلاصتها أن على أهل القرار العربي أن يحزموا الأمر الآن أو في قمة الرياض مخافة أن يصبح الوضع اللبناني كابوساً عليهم بعدما كان حتى لحظة إغتيال المفتي الشيخ حسن خالد مجرد مشكلة يتم التعامل معها بالدبلوماسية والسعي الحميد.

مجلة "التضامن". لندن - 22 أيار (مايو) 1989

* * *

الإستشهاد بجديّة: من عبد المنعم رياض إلى عدنان خير الله

في تاريخ العسكرية العربية رموز مضيئة يستقر إسمها في الوجدان وتتحول صفات أصحابها إلى أمثلة للآخرين. ومن هذه الرموز على سبيل المثال لا الحصر الفريق عبد المنعم رياض الذي إستشهد يوم 9 آذار (مارس) 1969 خلال حرب الإستنزاف على الجبهة المصرية. والفريق أول عدنان خير الله وزير الدفاع العراقي الذي قضى في حادثة سقوط طائرة هليكوبتر كان يستقلها يوم الجمعة 5 أيار (مايو) 1989.

وعند التأمل في شخصية هذين القائدَيْن نجد هنالك أوجه شبه كثيرة.

هما على درجة عالية من الثقافة العسكرية.

وكلاهما على درجة عالية من نكران الذات.

وكلاهما كان يعني الكثير بالنسبة إلى القيادة السياسية.

عبد المنعم رياض كان يعني الكثير بالنسبة إلى جمال

عبد الناصر. وعدنان خير الله يعني الكثير بالنسبة إلى

صدام حسين.

ولو كان القائد السياسي من النوع العادي لجاز

الإفتراض أن المسألة طبيعية. أما عندما يكون هذا القائد

من النوعية غير التقليدية ويعني قائد عسكري بالنسبة إليه

الكثير فهذا مؤشر إلى أنه يعوّل على هذا القائد بسبب

خبرته وإخلاصه وحُسن تفهمه.

ومثلما أن عبد المنعم رياض سطر الكلمة الأخيرة من

جانب الناس على إنسان يعرفون أفعاله وصفاته وليس بسبب معرفة شخصيته.

ولقد كان من السهل لمُس هذا الحزن العفوي في نفوس الناس في مصر ثم لدى أي عربي على عبد المنعم رياض.

وكذلك لمُس هذا الحزن العفوي في نفوس الناس في العراق ثم لدى أي عربي على عدنان خير الله.

وكما أن حزن العرب داخل مصر وخارجها على عبد المنعم رياض كان نوعاً من تقديم واجب العزاء إلى الرئيس عبد الناصر فإن الحزن على عدنان خير الله بالعفوية التي ظهر عليها كان أيضاً نوعاً من تقديم واجب العزاء إلى الرئيس صدام حسين.

ولعلها من المرات القليلة ونكاد نقول النادرة أيضاً أن يكون هذا الحزن بالنعوية التي هو عليها على رغم أن رئيس الدولة يعيش حالة أحزان طوال سنوات.

ويبقى ختاماً لهذه الإنطباعات القول إن النهاية الكريمة هي أكثر ما يحلم به الإنسان. وبالنسبة إلى قائد عسكري إنه ليس هنالك أكرم من رحيله كبطل.

ولقد إستشهد الرجل الأول في الجيش المصري عبد المنعم رياض قبل عشرين سنة وهو داخل خندق فكان الحزن عليه كبيراً وأكبر مما لو كان توفي في ظرف عادي. وبعد عشرين سنة تتكرر بطولية من النوع نفسه ويستشهد عدنان خير الله وهو عائد من مهمة شاقة ويختاره الله سبحانه وتعالى عشية يوم مبارك وبعد أن حقق الجيش الذي أعطاه الكثير إنتصاراً سيستمر موضع الإعتراف.

ويكفي الإثنان مجداً أن الحزن على كل منهما كان عفويّاً وكان صادقاً من القمة إلى القاعدة، الأمر الذي يعني أن الواحد منهما كان رمز قضية عامة ولم يكن مجرد رئيس أركان كما هي حال عبد المنعم رياض أو وزير دفاع ونائب القائد العام كما هي حال عدنان خير الله. قائدان عسكريان متميزان في ظل قيادتين سياسيتين متميزتين وظروف بالغة الصعوبة يستشهدان بكل الجدية ويكون الحزن عليهما صادقاً وعفويّاً. بهذه الكلمات يمكن إختصار سيرة عبد المنعم رياض في ظل زعامة جمال عبد الناصر وعدنان خير الله في ظل زعامة صدام حسين.

مجلة "التضامن". لندن - 22 أيار (مايو) 1989

* * *

تاريخه العسكري وهو في ذروة العطاء أيضاً.

وكلاهما رحل وهو في سن الشباب. عبد المنعم رياض كان في الخمسين، وعدنان خير الله كان في التاسعة والأربعين.

وكلاهما رحل بعدما أعطى الوطن الكثير بمعنى أن العطاء لم يقتصر على الحياة وإنما تضمّن أمثولات ما أحوجنا إليها. الأمثلة التي أعطاهها عبد المنعم رياض هي أن القائد العسكري مكانه الطبيعي مع جنوده يصيبه ما يصيبهم ومثل هذه الأمثلة كانت ضرورية لإزالة الصورة القاتمة التي عقلت في الأذهان بعد الذي جرى خلال حرب 5 يونيو 1967 حيث أن القادة العسكريين غادروا أرض المعركة بالسيارات وتركوا الجنود هائمين في الصحراء. ومن الطبيعي أنه عندما يستشهد عبد المنعم رياض وهو رئيس أركان الجيش المصري داخل خندق بفعل قذيفة مدفع فإن ذلك سيحقق لعبد الناصر الذي كانت شوكة الهزيمة ما زالت تدمي خاصرة زعامته الأكثر إحتياجاً له وهو رُفَع معنويات الناس والتأكيد لهم بأن حرب الإستنزاف ليست مضيعة وقت وأنه جاد بالفعل في إستكمال إعادة بناء القوات المسلحة والثأر من الهزيمة. ولقد تحقق ذلك بالفعل حيث إنه بعدما أذيع نبأ إستشهاد عبد المنعم رياض في الخندق ومع الجنود سادت صفوف المصريين والعرب روح معنوية لا مثيل لها وباتت الثقة بالنفس أكبر.

أما الأمثلة التي أعطاهها رحيل عدنان خير الله فهي أن وقف إطلاق النار لا يعني أن الحرب إنتهت ولا يعني أنه لا موجب للإستمرار في التنقل من خط إلى خط وعلى طول الجبهة الهادئة لتفقد القوات التي تستريح. وفي الوقت نفسه إن وقف إطلاق النار لا يعني الإنتقال بالتفكير وعلى الفور إلى مرحلة ما بعد الحرب.

ومثلما أن الحزن في مصر شمل المسؤول والمواطن العادي على حد سواء على أساس أن عبد المنعم الرياض كان رمز خطوة يتطلع الشعب إليها وهي خطوة الأخذ بثأر الهزيمة، فإن الحزن على عدنان خير الله شمل كذلك المسؤول والمواطن العادي على حد سواء على أساس أن الفريق عدنان كان رمز الجيش الذي حقق بشجاعة وتضحية دامت ثمانية أعوام صموداً وانتصاراً.

ولعلها من المرات القليلة التي يجد المدنيون والعسكريون أنفسهم في حالة حزن واحدة على قائد عسكري وبحيث إن رحيل هذا القائد يُعتبر خسارة على مستوى الوطن. كذلك لعلها من المرات القليلة التي يكون فيها الحزن حقيقياً من

الوفاق محل القضية

لعلها المرة الأولى التي تتعقد فيها قمة عربية بعد ظروف بالغة الأهمية على الصعيدين الإقليمي والدولي. فهي الأولى التي تتعقد بعد وقف إطلاق النار بين العراق وإيران.

وهي الأولى بعد نجاح العراق في عدم تمكين الحُكم الإيراني من فرض شروطه على المنطقة. وهي الأولى بعد الإنجاز العسكري العراقي المهم الذي أحدث تبديلاً جذرياً في موازين القوى.

وهي الأولى بعد تورّع العالم العربي على ثلاث كتل هي: كتلة مجلس التعاون لدول الخليج العربية ومجلس التعاون العربي وإتحاد المغرب العربي. وأغلب الظن أنه لن تكون هنالك كتلة رابعة لأن الدول العربية الباقية خارج الكتل مكانها الطبيعي، عند توافر الظروف الموضوعية، هو مجلس التعاون العربي. وهذه الدول هي: سوريا ولبنان وجيبوتي والصومال واليمن الجنوبي والسودان وفلسطين. ونقول ذلك على أساس أن هذه الدول قريبة عاطفياً من مجلس التعاون الخليجي والعربي وقريبة موضوعياً إلى مجلس التعاون العربي الذي هو بمثابة الوعاء الرحب المهيأ لإستيعابها في حين لا مكان لهذه الدول في مجلس التعاون الخليجي.

والقمة الإستثنائية في الدار البيضاء هي الأولى بعدما أخذت القيادة الفلسطينية على نفسها أن تتحول من ثورة إلى دولة وتعتمد الدبلوماسية التي لا نهاية لمرونتها بدلاً من التمسك بحرفية العمل الثوري.

وهي الأولى بعدما حققت الإنتفاضة داخل الأرض المحتلة صموداً يدعو إلى الإعجاب.

وهي الأولى بعد وصول جورج بوش أول رئيس أميركي له صداقات عميقة مع عدد كبير من القادة العرب منذ أن تسلّم منصب رئاسة المخابرات الأميركية، والذي يتطلع إلى دور تاريخي بعدما حقق سلفه الرئيس رونالد ريغان مجداً كبيراً ودوراً تاريخياً بتحقيقه الوفاق مع الإتحاد السوفياتي.

وهي الأولى بعدما باتت توجهات القيادة السوفياتية أكثر وضوحاً وبات معروفاً إلى درجة التأكيد بأنها لا تريد أن تمارس لعبة صراع النفوذ وفي يديها بعض الأوراق العربية.

وهي الأولى بعد عودة مصر إلى مكانها في الجامعة

العربية على أمل أن تستعيد مكانتها بعد الآن. وهي الأولى بعدما وصلت التحديات الاقتصادية في العالم إلى درجة الخطر.

وإزاء ذلك فإن قمة عربية تتعقد بعد كل هذه الأحداث البالغة الأهمية من المهم أن تكون قمة ناجحة بكل ما في كلمة النجاح من معنى.

فهل أن هذا النجاح سيحدث وبحيث تصبح القمة العربية الإستثنائية في الدار البيضاء حدثاً مهماً وبأهمية الأحداث التي سبقتها وأشرنا إليها؟

وهل أن هذه القمة ستزيل حالة الإحباط التي تسود الصفوف العربية من المحيط إلى الخليج؟

إن الأسلوب الذي تم إعتماده في التحضير للقمة أوحى بأن مرحلة جديدة من العمل العربي المشترك ستبدأ بعد هذه القمة وتدعو إلى التفاؤل، لكن المشكلة هي في ما يُبطن البعض وليس في ما يُظهرون من مواقف.

وإذا أثبتت اللقاءات بين الملوك والرؤساء أن الذين إعتدنا عليهم يفعلون ذلك باتوا أكثر واقعية فهذا يعني أن هؤلاء أقروا، وللمرة الأولى في تاريخ القمم العربية، بأن الوفاق هو القضية بعدما أخذ الفلسطينيون على عاتقهم أمر القضية التي كانت محور الخلافات والصراعات طوال ثلاثين سنة، ونعني بها القضية الفلسطينية التي لم تعد عبئاً على أي طرف عربي.

وتكراراً إن القمم العربية في الماضي كانت قمم القضية الأساسية التي هي القضية الفلسطينية. وبسبب كثرة الإجتهد والتفسير في شأنها كانت الصراعات تحدث وتتزايد يوماً بعد آخر.

أما وقد تحولت هذه القضية إلى حالة سياسية عادية فإن الوفاق العربي يصبح هو البديل الطبيعي لتلك القضية، فضلاً عن أن هذا الوفاق من شأنه أن يفيد الصيغة التي إختارها الفلسطينيون لحالتهم.

ويبقى أن هذا الإجماع الذي تميزت به القمة الإستثنائية في الدار البيضاء قد يكون ناشئاً عن القنوات الجديدة وأن تراث البعض في الإقرار بها لا يعني أن هذه الحقيقة مرفوضة، وهي حقيقة أن الوفاق هو البديل للقضية وأنه لا مجال بعد الآن لمن يُبطنون غير ما يُظهرون.

مجلة "التضامن". لندن - 29 أيار (مايو) 1989

* * *

هل هي خطة لدعم الواقعية العربية؟

ما الذي يجعل قمة عربية تتجح وما الذي يجعل قمة عربية تتعثر؟ وما الذي يجعل قمة عربية تتعقد بالإجماع ويجعل قمة عربية تتعقد بالأكثرية؟ وما الذي يجعل قمة عربية يغيب عنها رجال الصف الأول وينيبون عنهم فيها رجال الصف الثاني وأحياناً رجال الصف الثالث أو الأقل رتبة؟ هذه التساؤلات وغيرها يمكن الإجابة عنها على النحو الآتي:

تتجح القمة العربية إذا تم عُقدُها بالإجماع. أما لماذا تتجح فلأن الملوك والرؤساء لا يشاركون بالإجماع في قمة إلا إذا كانوا متأكدين من أنها ستجح. وتتجح القمة إذا كان الذين سيشاركون فيها لن تترتب عليهم التزامات لا قدرة لهم على الإيفاء بها سواء كانت هذه الالتزامات عبارة عن مواقف سياسية أو واجبات المساندة المالية. وتتجح القمة إذا أمكن التوفيق بين أطراف متخاصمة وفي العادة أن مثل هذا الأمر لا يحدث إلا إذا كانت هذه الأطراف باتت ترى أن الخلاف بينها لم يعد من المجدي إستمراره.

وتتجح القمة إذا كان طرفاً أي خلاف سيطويان صفحة الخلافات بينهما من دون أن يبدو أي طرف بأنه تراجع أو ألحق هزيمة معنوية بالطرف الآخر. وتتجح القمة إذا إستطاعت الأطراف المتخاصمة أن تأخذ بالقاعدة التي تقول إنه في العلاقات بين الدول ليس هنالك ود دائم وليس هنالك خلاف دائم.

وتتجح القمة إذا ضاقت شقة الخلافات. أما إذا حل التفاهم الكامل فإنه يثمر إنجازاً كبيراً وليس فقط مجرد نجاح. وتتجح القمة إذا إقتنع الملوك والرؤساء بأن أحداً لا يريد فرض هيمنة على آخر ولا يريد هذا الطرف أن يأخذ من ذاك أو ليس في خطط هذا الحاكم تهديد ذلك الحاكم لسبب أو آخر.

وتتجح القمة إذا إعتبر الطرف الذي على سياسته الكثير من المآخذ أن هذه السياسة باتت مرفوضة تماماً من جانب الناس، وبالتالي فإن الإستمرار في هذه السياسة من شأنه تعريض مصالح النظام للخطر.

وتتجح القمة إذا ضاقت شقة الخلافات. أما إذا حل التفاهم الكامل محل هذه الخلافات فإن ذلك يكون إنجازاً كبيراً وليس فقط مجرد نجاح.

وتتجح القمة إذا إقتنع الملوك والرؤساء بأن أحداً لا يريد فرض هيمنة على آخر ولا يريد هذا الطرف أن يأخذ من ذاك أو ليس في خطط هذا الحاكم تهديد ذلك الحاكم لسبب أو آخر.

وتتجح القمة إذا إعتبر الطرف الذي على سياسته الكثير من المآخذ أن هذه السياسة باتت مرفوضة تماماً من جانب الناس، وبالتالي فإن الإستمرار في هذه السياسة من شأنه تعريض مصالح النظام للخطر.

وتتجح القمة إذا ضاقت رقعة التحالفات التكتيكية التي تقوم على صراع القوى. أما إذا حدث في الوقت نفسه نشوء صيغة تحالفات من النوع الذي يستهدف التنسيق والتعاون ضمن قاعدة التكافؤ وعدم الطمع (مجلس التعاون العربي على سبيل المثال) فإن الأمر لا يعود مجرد نجاح وإنما أبعد من ذلك بكثير. وقبل قمة الدار البيضاء تمت ولادة مجلسين بدل المجلس الواحد وهما "مجلس التعاون العربي" و"اتحاد المغرب العربي" الأمر الذي يعني أن هاتين الولايتين مهدتا الطريق أمام أي نجاح تحققه قمة الدار البيضاء.

هذا على صعيد كيف تتجح القمة.

أما كيف لا تتجح فلأسباب التي أوردناها إنما معكوسة إضافة إلى بعض الأسباب التي تنفر عن الأسباب الرئيسية.

لقد نجحت القمة الإستثنائية في الدار البيضاء منذ اللحظة التي تأكد فيها أنها ستعقد وتعززت مظاهر النجاح عندما لم يقاطعها أحد. وتأكد أنها ستجح وبنسبة كبرى ما دام شارك فيها الذين يمكن أن يشكل غياب أحد منهم عنها إنتكاسة نسبية لها.

ويبقى أن الملوك والرؤساء العرب قرروا، كل بينه وبين نفسه، أن تتجح القمة لأن الظروف الدولية تحتم ذلك. وإذا كان الوفاق الأميركي - السوفياتي والإجماع الأوروبي على تأييد هذا الوفاق لا يُعتبر ذلك الأمر المثالي الذي يوجب إنجاح مؤتمره فما هو الأمر المثالي إذن؟

وعندما نقول ذلك فإننا لا نُسقط الإفتراض الذي يمكن تلخيصه بالقول إن القمة العربية الإستثنائية نجحت بالشكل الذي نجحت فيه لأن القوى الدولية لم تتدخل لإفشالها. وذلك يحدث للمرة الأولى ربما لأن هذه القوى إطمأنت

بشكل حاسم إلى أن الواقعية العربية تجاه مصير إسرائيل وليس فقط وجودها باتت أمراً لا عودة لأي نظام عنه ولا قدرة لأي نظام على تقويضه.

يبقى أيضاً أن نجاح القمة العربية الإستثنائية بالنسبة التي نجحت فيها تزامن مع ارتفاع كبير في أسعار النفط ومع تحسن أكبر في سعر الدولار الذي هو العملة المعتمدة من جانب الأطراف العربية. ومثل هذا الأمر قد يكون حدث ضمن خطة لدعم الواقعية السياسية العربية وقد يكون حدث مصادفة.

... ولكنها مصادفة خير من ألف ميعاد. أو إنها مصادفة كأنها خطة.

مجلة "التضامن". لندن - 5 حزيران (يونيو) 1989

* * *

الصراع الدنيوي بعد الصراع الديني

منذ أكثر من سبع سنوات والمنطقة العربية تعيش في حالة من التوتر لا مثيل لها ناشئة عن أن الحُكم الإيراني لا يترك مجالاً أمام أي فرصة إنفراج.

ومنذ أكثر من سبع سنوات والقرار الدولي معطل بسبب الحُكم الإيراني، حيث أن هذا الحُكم لا يبدي أي مرونة إزاء أي صيغة تسوية للإستقرار في المنطقة.

ومنذ أكثر من سبع سنوات والوفاق العربي متعثر نتيجة أن الحُكم الإيراني إخترق أسوار هذا الوفاق من خلال التواجد العسكري في لبنان والتحالف الإستراتيجي مع سوريا.

ومنذ أكثر من سبع سنوات والإرادة الإيرانية مشلولة ولا مجال لغير الصراع بين مراكز القوى من دون أن ينجح مركز في التفوق على بقية المراكز.

ومنذ أكثر من سبع سنوات يحدث ذلك نتيجة أن آية الله الخميني وضع صيغة للحُكم والتعامل مع الآخرين لا تسمح بأي مرونة.

ونتيجة لذلك كله فإن الأمور باتت عالقة والحل مؤجلاً. وفي كل مرة تحدث محاولة جدية لإيجاد حل لمشكلة من المشاكل الكثيرة العالقة يكون الخوف مرادفاً للسعي. والخوف هنا بمعنى إصطدام المسعى بالعناد الإيراني وبالذات العناد الذي أفرزته طقوس صيغة الحُكم التي

إبتكرها الإمام الخميني.

هذا ما حدث قبل سبع سنوات وكانت له تعقيداته الكثيرة.

ووصلت الحال بالمنطقة إلى أنه لا مجال أمام أي إنفراج ما دام الإمام الخميني على قيد الحياة وما دام الرجل لا يتخذ قراراً من النوع الذي يحسم. وهكذا وجدت المنطقة نفسها أمام إنتظار وفاة الخميني.

وفي كل مرة كانت تتردد أنباء عن دقة الوضع الصحي للخميني كان يحدث نوع من الترقب للحلول التي يمكن أن تتحقق نتيجة وفاة الرجل.

وها إن الإمام الخميني توفي بعد رحلة شاقة له مع المرض، فهل إن القرار الإيراني المطلوب إتخاذ سيخرج من الأسر الذي وضعته فيه صيغة الحُكم التي إبتكرها الإمام الخميني؟

أو بكلام آخر هل إن الذين سيحكمون بعد الخميني سيقروون أنه لا مجال لغير المرونة ولا سبيل لغير الحوار. لقد دفعت المنطقة العربية الكثير نتيجة غياب الوعي الإيراني. فهل سيعود هذا الوعي وبذلك ينتهي النزف الذي بسببه جفت الشرايين في خطط التنمية التي نحتاج إليها. ونحن من باب التفاؤل نتمنى أن يعود هذا الوعي. وهو يجب أن يعود ما دامت العقبة الأساسية زالت. وإذا عاد الوعي الإيراني فإن الإستقرار المنشود قد يحدث.

ولعلها من المصادفات الغريبة أن لقاء رموز الحل العربي لتحقيق الإستقرار وهم الملك فهد بن عبد العزيز والملك الحسن الثاني والرئيس الشاذلي بن جديد تم في الرباط في الوقت الذي كانت أنباء وفاة الخميني تتردد هنا وهناك وهناك.

ومن المؤكد أن غياب الخميني شكّل معطيات جديدة وإيجابية للقادة الثلاثة الذين إلتقوا. لكن تبقى عودة الوعي الإيراني لدى الذين سيحكمون هي الأساس..

وتبقى حقيقة مهمة وهي أن الصراع الأصعب قد توقّف بوفاة الخميني، ونعني به الصراع الديني حيث لن يكون هنالك من السهل تحقيق خلافة دينية للخميني وهو أمر مخطئ له ونفذه قبل أن يتوفى عندما وضع خليفته آية الله منتظري في جو من عليه الإستقالة.

أما الصراع الصعب فهو الصراع الدنيوي. وهذا الصراع غالباً لا يحدث إذا تحققت عودة الوعي الإيراني.

أما إذا كان ذلك لن يحدث فهذا يعني دخول إيران في حرب أهلية. وبذلك تكون إيران تدفع ثمن تلاعب من جانبها طوال عشر سنين بإستقرار المنطقة بشكل خاص والإستقرار الدولي بشكل عام.

مجلة "التضامن". لندن - 12 حزيران (يونيو) 1989

* * *

مصر المستفيدة دائماً

بعد إذاعة المقررات المعلنة للقمة العربية الإستثنائية التي تم عقدها في الدار البيضاء، ثم تسرب بعض المعلومات حول مقررات سرية لا تخلو من الحدة شهدتها اللقاءات بين الملوك والرؤساء وبالذات تلك اللقاءات الجانبية...

بعد إذاعة هذه المقررات والمعلومات كثر الإجتهااد في شأن الطرف المستفيد من هذه القمة.

هل أن المستفيد هو الرئيس حسني مبارك الذي شارك في القمة التي أعادت القمة رسمياً عضوية بلاده إلى الجامعة العربية؟

أم أن المستفيد هو لبنان الذي تحقق له، وللمرة الأولى في تاريخ مشكلته المستعصية، لجنة من ثلاثة حكام لا يحملون تعسر مهمة يأخذونها على عاتقهم؟

إن المستفيد هو الرئيس صدام حسين الذي حصل من القمة على قرار بتبني طلب العراق في شأن مفهوم السلام الذي يراه في صراعه مع إيران؟

أم أن المستفيد هو الرئيس ياسر عرفات الذي حصل بالحد الأدنى من المكابدة على كل ما يتطلع إليه في المرحلة الراهنة؟

أم أن المستفيد هو الرئيس حافظ الأسد الذي راعي البيان الختامي مشاعره فلم ترد في هذا البيان أي كلمات من تلك التي تميزت بها بعض مناقشات الرؤساء والملوك للدور السوري في لبنان؟

والرد على هذه التساؤلات هو أن مصر هي المستفيدة الأولى من هذه القمة. وهي مستفيدة لأن إستعادة العضوية تمت وفق التعامل الذي حافظ على كبرياء الرئيس المصري، بمعنى أن الرئيس مبارك شارك وكما لو أن مصر لم يسبق لها أن فقدت عضويتها.

والذي يؤكد مسألة إستفادة مصر هي تلك الإحتفالات العفوية التي شهدتها مصر والإستقبال الذي لقيه الرئيس حسني مبارك لدى عودته من الدار البيضاء. لقد كانت الإحتفالات صادقة ومشاعر البهجة العفوية نابعة من نفوس المصريين.

ومثل هذا الأمر يؤكد أن الوضع السابق الذي كانت تعيشه مصر كان ثقيلاً على النفس وكان يسبب الأرق للمواطن العادي. كذلك إن هذا الأمر ينقض تماماً ما كان يرددته البعض من أن مصر لا تحتاج إلى العرب وإنما العرب هم الذين يحتاجون إليها.

والى ذلك إن هذا الإبتهاج من جانب المصريين بالرئيس مبارك الذي إستعادت مصر مكانها في الجامعة العربية على يديه وبسبب حُسن تصريفه للسياسة العامة ينقض بعض المواقف المتشنجة من بعض السياسيين والكتّاب المصريين الذين ردّدوا وراء الرئيس (الراحل) أنور السادات عبارات كثيرة الحدة تجاه العمل العربي المشترك. ثم رددوه مرة أخرى في الولاية الأولى للرئيس مبارك ومن هذه العبارات على سبيل المثال لا الحصر. إن مصر لا يهمها الجامعة العربية، وأنه مبروك للعرب هذه الجامعة، أو أن الجامعة العربية مجرد جثة وعليهم التكفل في أمر دفنها.. وهكذا.

وعندما نتأمل في إبتهاج المصريين، مسؤولين ومواطنين، لأن مصر إستعادت مكانها في الجامعة العربية ويتأكد لنا أن ذلك الكلام كان مجرد تعبير عن الغيظ وليس موثقاً ثابتاً.

ومثل هذا الأمر يؤكد حقيقة ثابتة وهي أن إقرار إسقاط العضوية هو قرار فعّال. وأنه في ضوء المعاناة التي عاشتها مصر بضع سنوات من جزاء قرار العقوبة التي إتخذت في حقها بسبب الصلح الذي أبرمه الرئيس السادات مع إسرائيل فإن الدول الأعضاء ستحسب حساباً كبيراً لهذه العقوبة مخافة أن تتكرر نتيجة ظروف مختلفة.

وصحيح أن الظروف السياسية الراهنة وتفكيك الحلقات البالغة التعقيد في الصراع العربي - الإسرائيلي تجعل من المستبعد الإفتراض بأن العقوبة التي إتخذت في حق مصر قبل عشر سنين يمكن أن تتكرر في حق دولة أخرى، إلا أن الذي يمكن قوله إلى حد المناداة به هو أن الوفاق العربي الذي وضعت القمة الإستثنائية في الدار البيضاء أساساً قوياً له يفرض على الدول الأعضاء الحرص عليه وعدم التقريط به في حال إستكمال بنائه.

الأربع. وإذا كانت المسألة مسألة عدد سكان فإن كل دولة عندها من السكان ما يجعلها لا تشكو من ثغرة في مقومات الدولة وهي الثغرة السكانية.

والى ذلك إن الانسجام الذي بين قادة الدول الأربع قل نظيره بين معظم حكام العالم. وحتى بين حكام دول السوق الأوروبية المشتركة لم تتم لقاءات بالشكل الذي تمت به اللقاءات على مدى السنوات الخمس الماضية بين قادة "مجلس التعاون العربي".

ومثلما هي الحال في دول السوق الأوروبية المشتركة حيث هنالك دول غنية ودول متقدمة ودول أكثر غنى وأكثر تقدماً ودول أكثر غنى وأكثر تقدماً فإن دول "مجلس التعاون العربي" تعيش وضعاً مماثلاً إلا أن ذلك لم يتسبب في حدوث تناقضات أو شعور هذه الدولة بالتفوق على تلك.

وعند التأمل في الظروف التي وُلد فيها "مجلس التعاون العربي" يتأكد لنا أن العلاقة الشخصية تجعل من السهل تجاوز أي إشكالات قد تنشأ مستقبلاً. وفي ضوء هذه الحقيقة يجوز الافتراض أن المجلس سيكون في منأى عن الأزمات على أساس أن الذين في القمة متفاهمون، وما دام الأمر كذلك فإن رجال الصف الثاني يصبح من واجهم التنبه بحيث لا يتسبب تصرف منهم في إزعاج هذا التفاهم.

وصحيح أن طابع هذا المجلس إقتصادي وأن تصريحات كثيرة من مسؤولين في الدول الأربع ركزت على ذلك، إلا أن قمة يعقدها قادة العراق ومصر والأردن واليمن لن تناقش أموراً إقتصادية باستثناء الإستراتيجي من هذه الأمور وإنما ستناقش الوضع العربي العام والوضع الدولي والموقف الموحد الذي يمكن أن يظهر به هذا التجمع في المحافل الدولية.

وهنا نجد أنفسنا نقول إنه عندما يجتمع حكام الدول الصناعية السبع الكبرى فإنهم يناقشون سياسات ومواقف سياسية كبرى من نوع، كيف يسان الوفاق الدولي وكيف يمكن نزع الألغام من حقول العلاقات.

ومثلما أن حكام دول السوق المشتركة يناقشون إنما من دون تجريح ويتفقون حتى على أسلوب الخلاف، فإن قادة "مجلس التعاون العربي" هم أول تجربة تعامل لن يكون فيها خلافات ولن تكون هنالك مشاورات تجري وراء الكواليس ولن تكون هنالك مناورات وممارسة للحذاقة والشطارة. كما أنها ستكون التجربة الأولى من نوعها في

... بل إن التلويح بإسقاط العضوية لكل دولة عضو تقرّب بهذا الوفاق يبدو أمراً منطقياً ويبدو من نوع المطالب التي تلقى تأييداً كاسحاً من الرأي العام العربي الذي يتوق إلى بعض الإستقرار لكثرة ما عاناه في السنوات العشرين الماضية.

ويبقى القول بأن مصر هي المستفيدة من القمة الإستثنائية التي تم عقدها في الدار البيضاء ينسجم مع الأمر الذي بات بمثابة عُرف وهو أن مصر هي المستفيدة دائماً من القمة بدءاً من القمة الأولى التي دعا إليها جمال عبد الناصر في القاهرة عام 1964 وإنهاء بالقمة الإستثنائية في الدار البيضاء بعد ربع قرن.

والإستفادة إما مالية لدعم صمود مصر وتلبية إحتياجاتها العسكرية وإما سياسية لدعم دورها القيادي. بل إن قمة بغداد عام 1979 والتي تم خلالها إسقاط عضوية مصر بسبب الصلح الذي أبرمه الرئيس السادات مع إسرائيل كانت أيضاً من القمم التي إستفادت منها مصر، إذ لولا تلك القمة لما كانت مصر حكومة وشعباً ستكتشف كم أن العزلة صعبة وثقيلة خصوصاً العزلة عن الأشقاء.

مجلة "التضامن". لندن - 19 حزيران (يونيو) 1989

* * *

الإستدراك المدروس لتفادي

الحساسيات والحسد

هذه القمة التي تم عقدها في الإسكندرية يوم الخميس 15 حزيران (يونيو) 1989 بين قادة "مجلس التعاون العربي" الرئيس صدام حسين والرئيس حسني مبارك والملك حسين والرئيس علي عبد الله صالح تذكّرنا بإجتماعات القمة التي يعقدها حكام دول السوق الأوروبية المشتركة وإجتماعات القمة التي تعقدها الدولة الصناعية السبع.

وحديثاً التذكير كثيرة. فإذا كانت المسألة إستراتيجية فإن كل دولة لها موقعها الإستراتيجي المهم. وإذا كانت المسألة مسألة دور سياسي فإن كل دولة لها دورها المتميز. وإذا كانت المسألة مسألة مقومات دولة فإن المقومات متوافرة في شكل أو آخر في كل من الدول

العمل العربي المشترك التي تنتهي فيها القمة عندما تنعقد بين قادة المجلس بالإتفاق سواء كان ذلك في الحد الأقصى أو الحد الأدنى.

وإلى ذلك إنه مثلما أن هنالك المزيد من الإحترام لكل قرار يتم إتخاذه عند إجتماعات القمة الأوروبية من قبل حكام الدول الأعضاء في السوق المشتركة فإن قادة "مجلس التعاون العربي" سيلتزمون بكل قرار يتخذونه، وهذا معناه إنه للمرة الأولى في تاريخ العمل العربي المشترك سيكون هنالك إحترام للقرار الذي يتم إتخاذه وسيكون هنالك إطمئنان إلى أن هذا القرار لن يدخل في غياهب النسيان ومجاهل البيروقراطية العربية. بل لعله من المنطقي الإقتراض أن دخول العراق طرفاً في "مجلس التعاون العربي" سيجعل البيروقراطية المستشرية في بقية دول المجلس وبالذات في مصر تتدنر مع الوقت. وذلك لحرص الرئيس صدام حسين على ألا تكون البيروقراطية عقبة أمام أي قرار يتم إتخاذه. ولعل البعض يتذكر كيف أن مسؤولين كثيرين في العراق فقدوا مواقعهم وباتوا على الهامش لأنهم تركوا البيروقراطية تتقدم على واجب التنفيذ الملزم لقرارات تم إتخاذها.

وتبقى الإشارة ضرورية إلى هذا الإستدراك أي حساسية رسمية أو شعبية والذي تميزت به خطوات المجلس منذ أن تكوّن. وفي هذا الإطار يمكن النظر إلى الرئيس حسني مبارك على أنه كان تاريخياً أول من أعلن أنه سيتم إنشاء "مجلس التعاون العربي"، وأن وُضع خطة العمل كان تاريخياً من حصة الأردن حيث إن رؤساء الحكومات الدول الأربع عقدوا إجتماعهم الأول في عمان ثم إنتقلوا إلى بغداد وبطائرة واحدة.

كذلك إنه من الزاوية التاريخية كانت ولادة "مجلس التعاون العربي" من حصة العراق حيث إلتقى في بغداد القادة الأربعة ورفعوا الأيدي إيداناً بولادة هذا التجمع المتجانس. أما حصة مصر من هذا المجلس فتمثلت بإختيار الأمين العام للمجلس وإنعقاد القمة الأولى في برنامج الإنعقاد الدوري فوق أرضها. على أن تبقى للأردن الأمانة العامة كمقر.

مثل هذا الإستدراك مهم ويعطي كل دولة حقها ويضع في الإعتبار شأنها.

لكن ثمة أسئلة كثيرة: هل إن "مجلس التعاون العربي" سيتطور مع الوقت بحيث يكون هنالك "برلمان عربي" من نوع "البرلمان الأوروبي" يتخذ من بغداد مقراً له؟

والرد على ذلك إن "مجلس التعاون العربي" صيغة كثيرة المرونة ومن أجل ذلك فإن قابلية التطوير فيه قائمة. وهذا أمر مهم. أما الأمر الأهم فهو أن المجلس بدأ دوره في منأى عن الحساسيات من جانب الدول الأعضاء التي يتألف منها. أما حساسية البعض منه فإنها تتحسر يوماً بعد آخر.. وينحسر في الوقت نفسه الحسد.

ومثل هذه المشاعر.. مشاعر الحساسية ومشاعر الحسد واجهها "مجلس التعاون لدول الخليج العربية" في البداية ثم ما لبثت أن بدأت تتحسر، ثم إنحسرت بشكل شبه نهائي بعدما بات لكل مجموعة مجلسها مثل "مجلس التعاون العربي" بين العراق ومصر والأردن واليمن و"إتحاد المغرب العربي" بين المغرب والجزائر وليبيا وتونس وموريتانيا.

وعندما تستقر حال سوريا وتجد الدول الباقية وهي لبنان وفلسطين واليمن الجنوبي والسودان والصومال وجيبوتي إضافة إلى سوريا أنه لا مجال أمامها سوى "مجلس التعاون العربي" فإن الحساسية ستزول بشكل نهائي ويبدأ العالم العربي عهداً من التعامل قاعدته الوفاق... ولا شيء غير الوفاق.

مجلة "التضامن". لندن - 26 حزيران (يونيو) 1989

غورباتشوف يكسب إيران

لكنه قد يخسر العرب

طوال ثلاثين سنة أعطى العالم العربي الإتحاد السوفياتي ما لم يحصل عليه من أحد. كان يحتاج إلى أن يكون طرفاً في القرار السياسي الدولي بالنسبة إلى أمور المنطقة فتحقق له ذلك إلى حد ما.

وكان يحتاج إلى تسويق سلاحه في المنطقة العربية فتحقق له ذلك إلى حد كبير.

وعندما بدأت طفرة النفط في الخليج وبعض الدول العربية صار يحتاج إلى بعض المكاسب ونال الملايين من دولارات النفط التي كانت تصله بطريقة غير مباشرة. وليس مبالغة القول إن الإتحاد السوفياتي نال حصته

من كل برميل نفط أنتجته دول الخليج وبقية الدول العربية النفطية.

وصحيح أنه طوال السبعينات لم يتسلم الدولارات مباشرة من المملكة العربية السعودية، والكويت، والإمارات وقطر.. إلا أن هذه الدول كانت تساعد دول المواجهة، وكانت دول المواجهة تدفع جزءاً من الدولارات في شكل أو آخر للإتحاد السوفياتي.

وعندما بدأت العلاقات الليبية - السوفياتية تتطور وتتمو على الصعيد العسكري بشكل فاق التوقع والتصور فإن بلايين الدولارات التي حصل عليها الإتحاد السوفياتي من ليبيا كانت بمثابة تدعيم له بالعملة الصعبة التي هو في أشد الحاجة إليها. ليس مبالغة القول إن هذه البلايين كانت ستصب في الخزنة الأوروبية التي سيشتري العقيد القذافي السلاح منها لو لم يتوجه نحو الإتحاد السوفياتي في سبيل التسليح.

وإلى ذلك إن الإتحاد السوفياتي كان يحتاج إلى أن يطمئن فيحصل على ذلك من خلال معاهدات الصداقة والتعاون مع بعض الدول العربية. وكان يحتاج أيضاً إلى مياه عذبة لأساطيله فحصل عليها من مصر وسوريا وليبيا.

وعندما بدأ يتطلع إلى موطن قدم في المياه الدافئة فإن بعض دول الخليج حققت له ذلك وتحول الموطن مع الوقت إلى مساحة شاسعة.

وفي بعض المراحل احتاج الإتحاد السوفياتي من أجل أن يحقق مكاسب في معركة الوفاق الدولي إلى أن تكون حصته في الورقة الفلسطينية كبيرة فأعطته منظمة التحرير حصته التي يريدونها وجزءاً من حصته غيره.

وما نوره هنا هو مجرد أمثلة وليس كشف حساب. وبالمقابل فإن الإتحاد السوفياتي لم يقدم للعرب بنسبة ما حصل عليه.

فهو لم يمنع العدوان الإسرائيلي على الفلسطينيين. وهو لم يضغط على سوريا من أجل أن تعيد النظر في طبيعتها دورها في لبنان.

وهو لم يفعل شيئاً يؤكد إستيائه من العدوان الأمريكي على ليبيا وعلى قدرته رذع أي عدوان مماثل. وهو إستفاد من حضوره البحري في الخليج أكثر مما أفاد.

وهو في الصراع العربي - الفارسي عمل على إرضاء الجانبين.

وهو في الساعات الصعبة التي كان من شأن موقف حازم منه ترجيح الكفة لمصلحة العراق تباطأ بحيث إن الحرب طالت ثلاث سنوات على الأقل عن الوقت الذي كان مُقدراً لها أن تنتهي. ولو أن الإتحاد السوفياتي مارس الضغوط كما ينبغي على الأطراف التي تمد إيران بالصواريخ والسلاح وقطع الغيار - وهو قادر على ذلك - لما كان للحكم الإيراني أن يماطل ويبالغ في المماطلة.

وبعد أن وافق آية الله الخميني مرغماً على القرار 598 وبدأ وقف إطلاق النار لم تصدر عن الإتحاد السوفياتي المؤشرات التي تؤكد إرتياعه لهذه الخطوة. بل إن الأخبار التي تسربت من وراء الكواليس عكست إنطباعات بأن الصديق السوفياتي كان يتمنى لهذه الحرب أن تطول بعض الوقت لكي ينتهي من ترتيب أوراق كثيرة له كانت مبعثرة وموضوعة على طاولة الوفاق الدولي.

والإتحاد السوفياتي أيضاً لا يفعل شيئاً حاسماً من شأنه إختصار طريق السعي الفلسطيني من أجل أن تقوم الدولة الفلسطينية بالفعل لا أن تبقى كما هي حالها، أي الإكتفاء بالإعلان لا أكثر.

إن الإتحاد السوفياتي قادر في الأمور التي أوردناها أن يفعل الكثير لكنه لم يفعل سوى مصلحته.

وإذا كانت تلك سياسته أيام كانت المبدئية تلعب دوراً في بناء العلاقات مع الآخرين فإن علينا ألا نتوقع خيراً بعدما بات الإتحاد السوفياتي بقيادة غورباتشوف يعمل مثل تاجر ضاعت عليه فرص الإستفادة من التجارة على طريقة تجار أميركا وأوروبا ويحاول أن يعوّض ما فاتته.

وهذه الحفاوة المفتعلة من جانب الرئيس غورباتشوف بهاشمي رفسنجاني تؤكد مثل هذا الأمر وتنعكس إنطباعاً بأن غورباتشوف على إستعداد للمضي إلى آخر الطريق في سبيل تنشيط تجارته.

وصحيح أن الإتفاق الذي أبرمه رفسنجاني مع غورباتشوف له صفة تقنية، إلا أن تركيبة الحكم الإيراني تؤكد أن هذا الحكم يفتش عن السلاح لكي يعيد بناء نفسه عسكرياً. ومن هنا فإن المظهر التقني للإتفاق هو غطاء لصفقة تسليح قد يكون الجانبان أبرماها أو أنهما في الطريق إلى ذلك.

وهل هذا هو الرد على ما قدمه العرب للإتحاد السوفياتي؟

وعندما يبرم غورباتشوف صفقة مع رفسنجاني هل يتذكر أن الحكم الإيراني ما زال يتباطأ حتى الآن في

تحويل وقف إطلاق النار إلى إتفاق سلام دائم وشامل؟
إن الصفقة التي أبرمها غورباتشوف مع رفسنجاني
مفهومة ومقبولة إذا كانت مشروطة بتعهد من جانب الحُكم
الإيراني. بأنه وبالذات بعد وفاة آية الله الخميني، سيحوّل
وقف إطلاق النار إلى سلام شامل ودائم مع العراق، وبأنه
سيترك لبنان يعيش في سلام ويترك منطقة الخليج
والمنطقة العربية عموماً مطمئنة إلى غدها لا أن تبقى
أسيرة هواجس تصدير الثورة. أما عدا ذلك فإن هذه الصفقة
ستكون على حساب العرب بصرف النظر عما إذا كانت
صفقة تقنية أو صفقة لإعادة بناء القوة العسكرية الإيرانية.
... وليس هذا في أي حال ما نأمل من الصديق
السوفياتي.

مجلة "التضامن". لندن - 3 تموز (يوليو) 1989

* * *

ميشال عفلق.. الذي أسلم

من عادة الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي
الأستاذ ميشال عفلق أن يزور خلال السنة باريس مرتين
أو أكثر. وعندما يصل إلى العاصمة الفرنسية ينتقل إليها
رفاق له كثيرون يأتون للتحية والإطمئنان على صحته.
وقبل أن يجتاز نجله البكر ظروفاً صحية صعبة قبل
سنتين كان الأستاذ ميشال يحب باريس كعاصمة فكر
وإشعاع ويرتاح فيها ثم بدأ يشعر أنها مجرد مدينة للطبابة
ومعالجة الإبن من الأزمة الصحية التي واجهها.

وقبل أيام إلتقى هؤلاء الرفاق والأصدقاء في باريس إنما
ليس في مجلس الأمين العام للحزب الذي حققت له قيادة
الرئيس صدام حسين إنجازاً تاريخياً بالنصر الذي وضع
حداً للهجمة الفارسية على العرب، وإنما في الصالة
الملحقة بالجناح المخصص للأستاذ ميشال في المستشفى
الذي تم نقله إليه للعلاج. وفي هذه الصالة إلتقى رفاق لم
يجتمعوا ببعض منذ فترة وكانوا ينتظرون أولاً بأول ما ينقله
هذا الطبيب أو ذاك عن صحة مؤسس حزب البعث.

ولو أتيح لمريدي الأستاذ ميشال ومعارفه وأصدقائه أن
يزوروه في المستشفى لكانت الرداهات إمتلأت ولكانت
باقات الورد ملأت الصالات والممرات، لكن الظروف
أوجبت إبقاء الرجل بعيداً عن الزوار.

وبين الحين والآخر كان الرئيس صدام حسين يتصل
هاتفياً من بغداد ويستفسر من شقيقه برزان التكريتي،
المستشار السياسي للرئيس والسفير فوق العادة الذي يمثل
العراق لدى المقر الأوروبي للأمم المتحدة في جنيف عن
صحة الأمين العام للحزب. وكان برزان التكريتي وصل
إلى باريس بتكليف من شقيقه الرئيس صدام ليكون إلى
جانب الأستاذ ميشال. كذلك أوفد الرئيس رئيس ديوان
الرئاسة.

وهذا الإهتمام من جانب الرئيس صدام يأتي منسجماً
مع مبدئياته في التعامل مع القائد التاريخي للحزب ومن
حرصه على تكريم الأستاذ ميشال الذي ناضل وبذل وسعى
وتحمل. وبالإضافة إلى الإستفسار الشخصي من جانب
الرئيس صدام فإنه طلب إتخاذ أي خطوة من شأنها تخفيف
الآلام عن الأستاذ ميشال. وفي هذا الإطار حدث إستقدام
أطباء له من الولايات المتحدة إضافة إلى الأطباء
الفرنسيين والأوروبيين، لكن جهود هؤلاء جميعاً تعثرت
وفارق ميشال عفلق الحياة يوم الجمعة 23 - 6 - 1989.
في البداية أصيب الأستاذ ميشال بأزمة صحية حادة
وكان في زيارة تقليدية إلى باريس. وبعد نقله إلى المستشفى
وإجراء الفحوصات الدقيقة له تبين أنه مصاب بتمزق
وإنتفاخ في الجزء السفلي من الشريان الأبهر والذي تطلب
إجراء عملية جراحية تمت بنجاح يوم السبت 10 حزيران
(يونيو) 1989 لكن الذي حدث وخلال فترة الإنعاش التي
تلت العملية الجراحية أن أصيب الأمين العام لحزب البعث
بمضاعفات في الرئتين تطلبت إبقائه تحت العناية المركزة
الفائقة.

ولقد إلتابنتي كصحافي وكاتب عرف الأستاذ ميشال
عفرلق قبل حوالي عشرين سنة في بيروت ثم إزدادت
المعرفة وثوقاً في بغداد، بعض مشاعر الحزن على الأستاذ
ميشال من جهة، وبعض المشاعر التي تجمع بين الغبطة
والأسى. الحزن لأن هذا الزعيم التاريخي ساء وضّعه
الصحي من دون أن يصدر عن الذين يحكمون بإسم
البعث في سوريا ما من شأنه أن يعيد الإعتبار للرجل.
والغبطة لأن الرئيس صدام عوّضه عن كل ما تمناه
وأحاطه بكل مظاهر التكريم والتقدير والرعاية. أما الأسى
فلأنه واجه الظرف الصحي الدقيق بينما السلام الدائم
والشامل بين العراق وإيران لم يتحقق. لكن إطمئنانه إلى
قوة شأن الحُكم في العراق وقيادة الرئيس صدام حسين
والإقتدار العسكري العراقي الذي إنتهت إليه سنوات الحرب

تخفف من نسبة الأسى.

وكصحافي وكاتب عدت إلى أوراق سجلت عليها أجوبة للأستاذ ميشال عن سؤالين أخذت الإجابة منه عنهما أكثر من ثلاث ساعات على جلستين تمت الأولى يوم 27 كانون الأول (ديسمبر) 1979 في بغداد، وتمت الثانية بعد أسبوع. وكانت الجلستان في مكتبه في مبنى القيادة القومية لحزب البعث.

وقد نجد من يسأل: ولماذا عدم نشر كلام الأستاذ ميشال من قبل؟

وردي على ذلك هو أن هذين السؤالين كانا جزءاً من مجموعة أسئلة أعدتها لتكون الإجابة عنها مادة لدراسة أو كتاب عن تجربته.

ثم إندلعت الحرب بخراسة، وإنشغلنا جميعاً بها، كل في إطار دوره أو إمكانياته أو واجباته.

وبقيت هذه الأوراق التي تضمنت إجابته عن السؤالين لتجد طريقهما إلى النشر في هذا العدد من «التضامن». كان السؤال الأول هو:

في التاريخ الإسلامي مواقف وبطولات إستوقفنك وتعني لك الكثير.

بأي نظرة تنظر إلى هذه المواقف والبطولات؟

وبأي نظرة ترى أن على البعثي المعاصر وبعثي المستقبل أن ينظر إلى تلك المواقف والبطولات؟

أما السؤال الثاني فهو:

هل هنالك أمل في أن الوحدة العربية ستتحقق وأن فلسطين ستستعاد؟

وأي فلسطين هي التي على البعثي أن يناضل من أجلها؟

وحول السؤالين أجاب الأستاذ ميشال، وكان ذلك قبل عشر سنين، على النحو الآتي:

لابد إطلعت على كتاباتي القديمة وبالتحديد على «البعث والتراث». في هذه الكتابات القليلة سواء التي ظهرت في بداية تأسيس الحزب أو فيما بعد، شيء عن أثر الإسلام في تكويني الشخصي، أي أنني لم أذكر إلا القليل القليل محتفظاً لنفسني بهذا التاريخ الذاتي الذي ابتدأ مع نشأتي في الوسط الذي عشت فيه. فالإسلام بالنسبة إلي لم يكن، كما هو بالنسبة إلى أي باحث أو قارئ العامل الذاتي العاطفي الكياني العميق الممتزج بالعامل الموضوعي الدراسي المتعلق بالفكر والبحث. لذلك احتلت النظرة إلى الإسلام في فكر البعث مكان المركز والمحور

والأساس.

محاضرة ذكرى الرسول العربي تضم بالفعل خلاصة الخلاصة لهذا الذي قلته الآن، أي لهذا الموقف الذي يمتزج فيه عامل النشأة والعاطفة وظروف الحياة مع الفكر والبحث. فهي ليست محاضرة بالمعنى التقليدي.

فيها آراء ولكن فيها أيضاً بوح عن علاقة صميمية وقديمة. مجرد إشارات ليس فيها إستفاضة ولا توسيع وإنما يمكن أن يرجع إليها لتفسير هذه العلاقة وهذه الرفقة الطويلة.

عام 1977 تحدثت عن شيء من هذه النظرة وأعطيت بعض التوضيحات. وقلت بأن الحزب بدأ بالنسبة لي مع قراءة جديدة للإسلام. هذا معناه أن هنالك قراءة قديمة وإطلاعاً سابقاً. ثم إستدركت وقلت بأن هذه القراءة الجديدة جاءت بعد إطلاعي على الثقافة الحديثة بوجه عام وعلى الماركسية بوجه خاص.

الفهم الجديد للإسلام هو فهم يتضمن تجاوزاً لهذه الثقافة ولثورية الماركسية بوجه خاص.

الفهم الجديد هو النظرة إلى الإسلام كثورة عربية وإنسانية في آن معاً. واقعها عربي أبعادها إنسانية وهي أيضاً تعبير عن إنسانية العروبة.

في الطرف الذي ظهرت فيه هذه النظرة كانت الأجيال العربية المتطلعة إلى الثورة والتقدم والتحرر تعاني الضياع والتمزق والحيرة. التحرر والتقدم كانا في طريق معاكس للقومية ولتاريخ هذه القومية وتراثها وقيمها، بينما كان الحرص على هذا التراث وهذه القيم يمشي في خط معاكس للتحرر والتقدم، وكان هناك إنفصام في الشخصية العربية. هذا الفهم الجديد للإسلام أعاد للنفس العربية الحديثة الثائرة المتطلعة إلى الحرية والتقدم وحدتها.

فالثورة هي التي تقود إلى الإسلام. الفكر الثوري، أو الروح الثورية هي التي تهيء الإنسان العربي الجديد لفهم الإسلام فهماً عميقاً ولإدراك ثورية الإسلام وعندها يحصل لقاء وتغتني الروح الثورية والفكر الثوري العربي بهذا اللقاء. نظرتنا هي الوصول إلى الإسلام من خلال الثورة والنضال وبالتالي تجديد الإسلام وإكتشاف كل ما فيه من جديد وعصري وثوري.

الإنطلاق السلفي كما كان عند نشأة الحزب لم يكن يستقطب العناصر الثورية في المجتمع. العناصر المتحررة أو التواقفة إلى التحرر. كان لابد من وضع الإسلام في صيغة العصر وإمتحان المتبنين لمبادئه وقيمه بشروط

الثورة المعاصرة وعلى طريق النضال الشاق ضد القوى الخارجية والداخلية التي تستعبد الشعب وتستغله وتجزئ الأمة وتتآمر على نهضتها.

منطلق البعث منطلق علمي يحرص على أن يرسم للأمة العربية صورة مستقبل لا تناقض فيها ولا تناحر سواء في علاقة أبنائها بها وبوطنهم ومجتمعهم أو الأمة مع العالم.

صورة للمستقبل تقوم على أسس ثابتة ودافعة إلى التطور في آن معاً. لذلك كان منطلق البعث قومياً وهذا موقف لم يأت بشكل عفوي وإن كان يتجاوب مع عفوية الشعب ولكنه نتيجة الدرس والبحث وإستقراء التاريخ وتجاربه. لذلك إن فهمنا للثورة وفهمنا للإسلام يتجاوز أممية الماركسية وينظر نظرة جديدة إلى الأممية الدينية. نظرة حية تحول دون الإنذفاع الآني السطحي كما ترفض العلاقات الجامدة التقليدية.

الإسلام كان ثورة عربية نادرة وفريدة في صدقها وعمقها وشموليتها، وكان ثورة إنسانية أيضاً. فالعرب في نهضتهم الحديثة وفي ثورتهم على الإستعمار الخارجي وعلى الإستقلال الداخلي والتخلف يستلهمون هذه الثورة ويجدون فيها معيناً ثراً لإخصاب نضالهم ولتصحيح الكثير من الأخطاء والإنزلاقات التي تتعرض لها الثورة المعاصرة. فإستلهم الإسلام يمد ثورتنا العربية بعمق أخلاقي وبُعد إنساني لا نجدهما في أية ثورة أخرى.

ما هي ميزة الفهم الجديد؟

الثورة العربية كانت من بدايتها ومازالت أمام قطبين يتجاذبانها: الشيوعية والحركة الدينية.

البعث أجاب عن الأمر منذ البداية كي لا تؤخذ الثورة العربية بإغراء أحد هذين القطبين.

حول الإغراء الشيوعي أجبنا بأن قوميتنا إنسانية وليست قومية القرن التاسع عشر أو قومية النازي أو قومية التعصب والتوسع، وإننا نفهم الأممية بأنها تعاون حر بين شعوب إشتراكية حرة، وأن الثورة الطبقة لم تبرهن عن جدواها على النطاق الأممي. هي ضمن الأمة صحيحة. إذا الأخذ بالإشتراكية ضمن المفهوم القومي يوفر الثورة على الإستغلال الطبقي لكن تجاوز ذلك إلى النطاق العالمي (الحزب من 40 سنة قال ذلك) سرعان ما يتحول لمصلحة دولة واحدة تقود الثورة العالمية أو تدعي ذلك. معنى هذا هو التحول الى نوع من السيطرة الجديدة.

أما الموقف من الحركة الدينية كحركة أممية فإن دروس التاريخ علمتنا بأن ذلك سرعان ما يفشل ويكون مناسبة للنزاعات والحروب والفوضى.

فالعلاقة بين شعوب تدين بدين واحد تبقى علاقة روحية وثقافية لها ترجمة سياسية بطبيعة الحال بمقدار ما يكون لهذه العوامل الروحية والثقافية المشتركة من فعل حي في مجتمعات هذه البلدان. ولكن هذا شيء والدولة الدينية شيء آخر.

مجلة "التضامن". لندن - 3 تموز (يوليو) 1989

تعددت الوجوه.. والموضوع واحد

مرة أخرى يتكرر التغيير في السودان بصيغة الإنقلاب الذي يقوم به عدد من الضباط.

ومرة أخرى تصل تجربة الحُكم المدني إلى المأزق فينقض العسكريون عليها ويقبلون الطاولة على مَنْ يجلس حولها.

ومرة أخرى يأتي العسكريون إلى الحُكم لينقذوا السودان من المدنيين الذين كانوا أقاموا الدنيا وأقعدوها إحتجاجاً على العسكريين وإعتبروا أن إسقاط الحُكم العسكري هو المخرج وهو الحل لمشكلة السودان.

العسكريون بقيادة الفريق إبراهيم عبود يسقطون الحُكم المدني في السودان عام 1985 بحجة أن المدنيين أساءوا وأفسدوا.

ويبدأ هؤلاء واجب التصحيح ومعالجة فساد المدنيين.

وبعد ست سنوات يقوم المدنيون بتحريك شعبي واسع ضد حُكم العسكريين وتتطلق الهتافات والإتهامات من المدنيين ضد العسكريين. وهي إلى حد ما من نوع الإتهامات التي سبق أن أطلقها عبود وجنرالاته ضد المدنيين. ولمجرد أن يبدأ الحُكم المدني تبدأ عملية رُصد من جانب العسكريين لهذا الحُكم.

وبعد خمس سنوات إنتهى الرصد بإنقضاض العسكريين على المدنيين وتنطق عبر الإذاعة والبلاعات التهم إياها: المدنيون أفسدوا. المحسوبية إستشرت. السياسة الخارجية سيئة. العلاقات مع الجيران غير متوازنة. الإقتصاد منهيار... الخ.

1990-1991 سنة صدام حسين

في أميركا

إذا سارت الأمور بشكل طبيعي فإن العام 1990 - 1991 سيكون عام صدام حسين في أميركا. تلك هي خلاصة تحليل إعتدلت في معلوماته على مصادر وثيقة في لندن ومعلومات أوساط مطلعة في واشنطن. ماذا يعني ذلك؟

وما هي حثيات هذا التوقع؟

يوم 6 حزيران (يونيو) 1989 قام وفد أميركي يضم ممثلين عن أكبر الشركات الأميركية بزيارة إلى العراق ضمن ترتيب أعدته «مجلس العمل الأميركي - العراقي». وقد ترأس الوفد المصرفي الكبير بوب عبود الذي تكاد لا تخلو مطبوعة دولية تعنى بشؤون المال في الولايات المتحدة وأوروبا من الكتابة عنه لأنه استطاع تحقيق إنجازات مهمة في هذا الميدان وبفضلها بات قريباً من دائرة صنع القرار الأميركي.

وبوب عبود من أصل لبناني وهو رئيس «فيرست سيتي تكساس» الذي يجوز إعتباره بنك المجموعة التي تحكم في الولايات المتحدة الآن.

ولقد حدث في السنوات الماضية، وبالذات بعدما أعيدت العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة والعراق، أن زارت بعض الشخصيات السياسية والإقتصادية الأميركية العراق، إلا أنها المرة الأولى التي يقوم فيها وفد بزيارة وتكتسب الزيارة الأهمية التي إكتسبتها.

وعند التأمل في أعضاء الوفد يتبين لنا أن الأمر ليس مجرد رؤساء أو ممثلي شركات قاموا بزيارة وإنما إن القوة الإقتصادية للدولة الأميركية هي التي قامت بالزيارة.

إن الأعضاء هم: جون ريمي نائب رئيس شركة جنرال موتورز للشرق الأوسط وأفريقيا وكرابيت ارمنيان المدير المالي في شركة وستكهاوس، وجون هايز مسؤول عمليات الشرق الأوسط في شركة موبيل سيتي تكساس، وليونارد إنغستروم نائب رئيس شركة أموكو، وجايمس بلاك مستشار قسم الأعمال في شركة بول هايسنتج جانوفسكي ووك (وكان يشغل من قبل منصب وكيل الخارجية الأميركية لشؤون الخليج) وت. لويس أوستن رئيس شركة براون أند روث، ول. جاك هورنر رئيس مجلس إدارة شركته المتخصصة بأعمال النفط، وبول جابر نائب الرئيس

وهذه المرة يتسلم الحُكم الجيش بعدما كانت الجنرالات هم الذين تسلموا في المرة الأولى.

ومثلما حدث في الماضي فإن أهل السياسة من المدنيين بدأوا منذ اللحظة الأولى لقيام الحُكم العسكري النشاط لتقويض الحُكم الجديد على رغم أن الصيغة التي إعتدها الرئيس السابق نميري ورفاقه كانت تستهدف جمع العسكريين والمدنيين تحت مظلة الحُكم الذي يقوده.

وكادت هذه الصيغة تتحقق. وبالذات بعد المصالحة الوطنية بين الرئيس نميري وبين الصادق المهدي خصوصاً بعدما تكاثرت عدد المسؤولين الذين يمثلون الأنصار والختمية في الحُكم الذي يقوده الرئيس نميري، لولا أن الزعامات الأعلى للطائفتين إعتبرت هؤلاء المسؤولين خارجيين أو شبه خارجيين على الطاعة.

وتستمر هذه الزعامات في تحركها المعلن وغير المعلن ضد الحُكم العسكري إلى أن تتمكن من إسقاطه.

ثم تبدأ تجربة جديدة للحُكم أقطابها من المدنيين فقط. وكما حدث في الماضي فإن العسكريين بدأوا منذ اللحظة الأولى يرصدون، وتبدأ، إذا جاز التعبير، فرصة الضباط الذين يطمحون في أن يكون لهم مكان في الحُكم. ثم يحدث الإنقلاب الجديد فجر يوم الجمعة 30 حزيران (يونيو) 1989.

وما قيل في الماضي من مبررات قيل لمناسبة الإنقلاب الأخير الذي قام به العميد عمر حسن محمد البشير. ما يمكن قوله في هذا الشأن هو: تعددت الوجوه والمطلوب واحد.

وهذا الأمر المطلوب هو الإستقرار الذي لن يحققه في أي حال سوى تحالف مبدئي بين الجيش والأحزاب، وهو الذي لم يحدث حتى الآن في تاريخ السودان.

ويبقى أن ظاهرة الإنقلابات العسكرية هي أن الظواهر المألوفة في العالم الثالث، ولكن هل ستستمر ما دامت لن تكون الحل بصيغتها التقليدية؟

وهل أن الإنقلاب الذي قاده العميد عمر حسن محمد البشير سيكون آخر الإنقلابات أم مجرد إنقلاب آخر؟ ما نتمناه هو أن يكون آخر الإنقلابات مع الأخذ في الإعتبار أن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه.

مجلة "التضامن". لندن - 10 تموز (يوليو) 1989

* * *

دولار لهذا الغرض. وإستطاع عبود جمع مبلغ 500 مليون دولار كإسـمـال وتمكّن بذلك من تعويم هذا البنك الذي تبلغ موجوداته ما قيمته 15 بليون دولار.

ولقد عزّز هذا الإنجاز الذي حققه بوب عبود شأن الجمهوريين في تكساس التي تستعيد عافيتها بالتدرج بعدما أتعبتْها الإنتكاسة الناشئة عن الإرتباكات التي سادت أسواق النفط وأحدثت في تكساس الكارثة التي أحدثها في الكويت سوق المناخ.

وعندما نقول إن شأن الجمهوريين تعزز في تكساس فهذا معناه أن شأن الإدارة الأميركية الحالية هو الذي تعزز. فالرئيس بوش من تكساس وجايمس بيكر وزير الخارجية من تكساس ووزير التجارة من تكساس. وهناك عشرات المواقع المهمة في الدولة يشغلها تكسـاسـيون. ويحدث أنه إذا كان الموقع الأول مشغولاً من غير تكسـاسـي فإن النائب أو مدير المكتب أو المدير التنفيذي يكون من تكساس.

ولأن رئيس القرار وحلقاته الكبرى والصغرى والأصغر هي في معظمها من تكساس فإن الرئيس بوش يستطيع إختصار الوقت وتكون لديه القدرة على المواجهة وإعتماد الحزم في أقصى درجاته.

ونعود إلى ما حدث خلال الزيارة.

قبل أن يصل الوفد إلى بغداد كان إنطباع أكثرتهم الساحقة أن العراق بلد متخلف وأن رئيسه رجل حديدي لا يميل إلى الإبتسام ولا يحبذ روح النكتة ولا يناقش، كما أنه من النوع الذي لا يحب الإستماع إلى الآخرين.

وعزّز صورته هذه أن الإعلام الأميركي شوّه صورة العراق وصدّام حسين وتجاهل طوال سنوات الحرب الإنجازات الطيبة التي تحققت والشأن العسكري الذي تنامي. كذلك إن الذي عزّز ذلك هو الرهان بأن صدّام حسين سينهزم أمام الخميني ومن أجل ذلك إتسعت رقعة ظاهرة مراكز الأبحاث التي تعنى بشؤون الإسلام والمذهب الشيعي تمهيداً لإصدار تقارير ودراسات عن الظاهرة الخمينية.

وعندما وصل الوفد إلى بغداد بدأت هذه الإنطباعات تتلاشى شيئاً فشيئاً وبدأت القنوات تتغير وبدأ كثيرون من أعضاء الوفد يستعيدون ما كانوا يسمعون من نزار حمدون أول سفير للعراق في واشنطن بعد إعادة العلاقات. ولقد بذل نزار حمدون الكثير لإقناع مراكز وشخصيات أميركية بأن إنطباعهم عن قيادة صدّام حسين يشوبه بعض

لشؤون الشرق الأوسط في شركة «بانكرز ترانست» وديفيد مارتن رئيس شركة اوسكيدنتال للتقريب، والسنتور تشارلز بيرسي رئيس شركة تشارلز بيرسي ومشاركوه، ووليام فوغن رئيس شركة أم دبليو كيلوغ، وهي من أكبر الشركات لصناعة المصافي، وباتريك ويرد مدير ورئيس العمليات في شركة كالتكس بترولיום التي هي إحدى أهم شركات النفط العالمية، وجايمس وودس رئيس شركة يكر. هيوغسن، وناثانيل وودسون الرئيس العام لشركة وستكهاوس، وعودة أبو رديني نائب الرئيس التنفيذي لمصرف فيرست سيتي تكساس.

وهؤلاء لا يمثّلون كل القوة الإقتصادية الأميركية إلّا أنهم في أي حال يمثّلون أو يترأسون شركات يصل مجموع مبيعاتها السنوية إلى 500 بليون دولار وأحياناً يقفز الرقم إلى أعلى. ولقد قال رئيس الوفد بوب عبود للرئيس صدّام، إنه لو كانت هذه الشركات دولة مستقلة لكانت الدولة الثالثة من حيث القوة المالية والإقتصادية بعد الولايات المتحدة واليابان.

وردّ الرئيس صدّام على هذه المقارنة بملاحظة أدخلت البهجة في نفوس أعضاء الوفد عندما إستقبلهم الرئيس وهي: وهل إنكم ستفصلون؟ إذا أردتم الإنفصال فإن الذي يمكن أن يساعدكم هو القذافي.

وعلى رغم أن هؤلاء يمثّلون كل القوة الإقتصادية الأميركية إلّا أنهم يمثّلون «التكسـاسـية» التي هي إحدى سمات الإدارة الأميركية الحالية. ومن خلال قراءة عناوين الشركات تلك نلاحظ أن معظمها يتخذ من تكساس مقراً له. ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر شركة براون اند روث وشركة إم. دبليو كيلوغ وشركة هانت التي إكتشفت النفط في اليمن والتي يُعتبر رئيسها راي هانت من أقرب الناس إلى الرئيس بوش وكان المسؤول عن حملة جمع المال في معركة إنتخابات الرئاسة التي إنتهت بفوز بوش، وكان للمال الوفير الذي يتم إنفاقه على فعاليات المعركة ونشاطاتها والترويج لها الأثر الكبير.

والى هؤلاء هنالك بوب عبود نفسه الذي ترأس الوفد إلى بغداد والذي يترأس بنك «فيرست سيتي تكساس». وهذا البنك له مكانته في نفوس أهل القرار، ومن أجل ذلك فإنه بعدما واجهت هذا البنك الذي هو أكبر البنوك في تكساس مشاكل مالية، فإن الحكومة وبموافقة من وزير المالية السابق بيكر ومؤسسة الضمان الأميركية للبنوك إختارت بوب عبود عام 1988 لإنقاذ البنك ومنحّته بليون

التشويش. ودعمه في مهمته هذه نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية طارق عزيز.

وزار حمدون لهذا الغرض معظم الولايات وعقد عشرات الاجتماعات مع شخصيات سياسية وإقتصادية وجامعية. وهو إذا كان لم يحالفه التوفيق بالشكل الكافي فإن «مجلس العمل الأميركي - العراقي» تم إنشاؤه بفضل مساعيه، وإن هذا المجلس بتنظيمه زيارة الوفد الكبير والمهم إلى العراق يكون حقق إنجازاً ملحوظاً.

وقبل الاجتماع بالرئيس صدام كانت القنوات بدأت تميل نحو التعديل ثم كان الاجتماع الذي خرج منه أعضاء الوفد مرتاحين .

وفي العادة إنه عندما يلتقي وفد سياسي أو إقتصادي برجل دولة من النوع المهم وللمرة الأولى فإن أعضاء هذا الوفد يتبادلون في ما بينهم بعد العودة إلى الفندق بشكل ثنائي أو موسع الإنطباعات عما خرجوا به من اللقاء .

ولقد التقى هؤلاء في إنطباعاتهم على أمرين: الأول، هو أن صدام حسين صاحب طلعة تدعو إلى الإرتياح والإعجاب. وقد أبدى البعض إعجابهم بطريقة لبسه وكيف أن كل شيء على الأصول من البدلة إلى القميص إلى ربطة العنق، ووصفه أحدهم بأنه مثل أحد الابطال الواسمين في مسلسل «داينستي». كما أن أحدهم، من الذين زاروا عواصم عدة من العالم وقابلوا ملوكاً ورؤساء، نقل إليهم رسائل شفوية أو شارك في إستقبال بعضهم عندما زاروا واشنطن، قال إن الرئيس صدام يملك «كاريزما» لا تتوافر في غيره، ومن المؤكد أن حكماً كثيراً يغبطونه عليها. وأضاف إلى ذلك القول إن هذا الرئيس محظوظ لأنه قوي ووسيم ومنتصر في حرب وشاب وصحته قوية ويحكم بلداً قوي الشأن إقتصادياً وإستراتيجياً، وفي الوقت نفسه أن عقله عقل رجل دولة يستوعب بسرعة ولا تخدعه المظاهر ولا يتخلى عن الحذر.

أما الإنطباع الثاني فهو أن صدام حسين صريح وحازم ويبدو مستعداً لتجاوز كل فجوات الماضي، وأنه محنك وصاحب تجربة، وكثير التنبه للمتغيرات التي تحدث في العالم وخلاق.

ولاحظ أعضاء الوفد أن الرئيس صدام قادر على أن يُشعر كل واحد منهم بالأهمية وقد حدث ذلك عندما طلب من المصور الخاص إنلقاط صورة لكل عضو من أعضاء الوفد معه. ولقد أسر بذلك مشاعر هؤلاء وفي الوقت نفسه جعل صورته موضوعة في أفضل مكان في مكاتب

الشركات ذات الشأن في أميركا. والذي حدث هو أنه تم إرسال الصور إلى أصحابها وهم ما زالوا في الفندق. وبين هؤلاء (الآن ستوغه) المساعد الشخصي للدكتور هنري كيسينجر. وإذا نقل المساعد بدقة الإنطباع الذي خرج به من لقائه بالرئيس صدام حسين إلى كيسينجر فإن صاحب نظرية سياسة «الخطوة خطوة» سيسعى من أجل أن يجتمع بصدام حسين الذي تحداه عندما أفضّل له خطة الصلح العربي - الإسرائيلي وذلك بالإصرار على عقد قمة بغداد وإتخاذ قرار بإسقاط عضوية مصر في الجامعة العربية رداً على الصفقة التي أبرمها الرئيس السادات برعاية كيسنجر مع إسرائيل. ومن هنا فإن كيسينجر يعتبر صدام حسين غريمه لكن الرجلين في الوقت نفسه شغوفان بممارسة التحديات.

وعندما يقول صدام حسين لأعضاء الوفد إنه على إستعداد لتتشيط العلاقات السياسية والإقتصادية بين العراق والولايات المتحدة وفي الوقت نفسه دراسة المشاريع المشتركة التي تهم الجانبين وتعود بالخير عليهما، فهذا يعني أن صانعي القرار الأميركي مطالبون بالتأمل ملياً في القائل وما يمثله كبلد وقضية ورأي عام. كما أن عناصر التنظير الفاعلة في أوساط الرأي العام مثل هنري كيسينجر لا بد ستعيد النظر في بعض التحليلات والإجتهادات وتخرج بأفكار تساعد صانع القرار الأميركي على تحديد ملامح التعامل مع زعامة جديدة في منطقة الشرق الأوسط.

لا بد من وقفة نشير فيها إلى أهمية اللقاءات المباشرة وكم أن خطوط الإتصال التي تعطلت في الماضي تركت للذين يريدون التشويش أن ينشطوا وفي هذا الصدد يمكن القول إن عدداً من أعضاء الوفد الأميركي الذي زار العراق كانوا يرون أن العراق بلد مغلق وأن الحُكم الذي يقوده صدام حسين لا فرصة أمامه... وأموراً أخرى من هذا القبيل. وفي الوقت نفسه كان هنالك البعض المتفائل والذي يرى العكس إنما مع شيء من التحفظ.

وبعد لقاء هؤلاء مع الرئيس صدام وعدد من القياديين في العراق تبدّل المفهوم كثيراً. حتى أن معظمهم لم ينتظر العودة إلى مكتبه في هذه المدينة الأميركية أو تلك ليضع تقييماً وتصورات وإنما فعلوا ذلك خلال توقفهم في العواصم الأوروبية التي توقفوا فيها قبل متابعة السفر إلى نيويورك وواشنطن وهيوستون. وهنالك من كان وهو في الطائرة بين بغداد ولندن يسجل على الورق بعض الأفكار التي يمكن

تنفيذها مستقبلاً بل إن أحدهم أجرى اتصالاً هاتفياً من الفندق الذي حل الوفد فيه في بغداد.

ولقد التقى أعضاء الوفد على أمر لفت نظرهم في أسلوب صدام حسين وهو أنه كان شخصياً يسجل على الورق بعض الملاحظات وهو في نظرهم أسلوب رجل الدولة العملي والكثير الدقة. وقال أحدهم إنه عندما صافح الرئيس صدام مودعاً شعر من طريقة الشد على اليد أنه يصافح رجلاً قوياً. وعبر عن ذلك بعبارة MADE MAN STEEL OF IS THIS، أي أنه رجل من فولاذ أو حديد، وتقال هذه العبارة في معرض الإعجاب.

وتبقى إستكمالاً لهذا الموضوع بعض النقاط والملاحظات التي يمكن تسجيلها على النحو الآتي:

أولاً - إن التبدل في النظرة الأميركية للعراق ولقيادة صدام حسين بدأ يظهر في صحافة المال والأعمال في الولايات المتحدة وبدأ كبار الصحفيين في هذه الصحف والمجلات يُبدون رغبة في لقاء صدام حسين. ومن هذه الصحف على سبيل المثال لا الحصر «وول ستريت جورنال» التي تساعد كتاباتها عادة في ترك الضوء الأخضر يأخذ مكانه على شاشة التعامل مع دول العالم. كما أن لدى عدد من شركات التلفزيون في الولايات المتحدة رغبة في إجراء مقابلات مع الرئيس صدام. وإلى ذلك إنه بعدما كان أعضاء مجلس الشيوخ يتململون عند سماع اسم العراق ولا يرتاحون لسماع أخبار تفوق القوات العراقية في المواجهة مع إيران فإن عدداً من هؤلاء بدأ يردد في مجالسه كلاماً طيباً عن العراق وصدام حسين وهم في ذلك كمن يمهّد الطريق لموقف جديد، أو أنهم يشيرون بشكل ما على العراق كي يوجّه الدعوة إليهم للزيارة والبحث في أمور سياسية وإقتصادية. والمعروف أن معظم أعضاء مجلس الشيوخ لهم مصالح إقتصادية أو تربطهم علاقات بمؤسسات وشركات من مصلحتهم العمل لها لأن هذه المؤسسات والشركات تساهم في حملاتهم الانتخابية. هل إن الرئيس صدام حسين سيوصي بتوجيه هذه الدعوات وبذلك تحدّث لقاءات وتنشط قنوات الإتصال؟ وتجدر الإشارة هنا إلى أنه لمجرد عودة الوفد من بغداد فإن صحيفة «هيوستون كرونكل» كتبت تحليلاً ينطبق عليه القول المأثور «إن الرسالة تُقرأ من عنوانها»، وكان عنوان التحليل الذي كتبه هذه الصحيفة هو «العراق سوق واعدة» وجاء في التحليل: «إن الشركات الأميركية تتطلع نحو سوق العراق الخصبة من أجل فرصة زيادة المبيعات..»

وتضيف «... ولكن كبار رجال أعمال هيوستون الذين زاروا العراق يقولون إن تمويل هذه المبيعات يمثل عقبة يحتاج الأمر إلى تخطيها...».

ونسبت الصحيفة إلى رئيس الوفد بوب عيود قوله: إن تجارة العراق مع الولايات المتحدة قد تتضاعف من 1.15 مليار دولار إلى ثلاثة مليارات في العام 1990، وأنها من المتوقع أن تصل إلى خمسة مليارات في العام 1995، كذلك نسبت إليه قوله، إن العراق يتميز بأنه أحد الأسواق الأسرع نمواً وإن في إستطاعة الولايات المتحدة أن تستثمر فيه. وأهمية ما كتبه صحيفة «هيوستون كرونكل» أنها ذات نفوذ في أوساط الشركات الكبرى فضلاً عن أنها أهم صحيفة في هيوستون (المدينة الرابعة من حيث الكثافة السكانية في الولايات المتحدة)، وأن هيوستون هي بلد الرئيس بوش ووزير الخارجية والتجارة ومدير الأمن القومي.

وما كتبه ومن دون تباطؤ معناه أن الرسالة التي تلقاها أهل القرار الأميركي من الوفد الذي زار العراق وصلت وكانت إيجابية.

ثانياً - خلال اللقاء الذي تم بين الرئيس صدام حسين وأعضاء الوفد الأميركي الزائر تطرّق الحديث إلى مشكلة ديون العراق. ولقد عبر البعض عن إقتراحات من بينها أن يتم حل هذه الديون مرة واحدة لكنهم لم يجدوا تجاوباً من الرئيس صدام إزاء هذه الفكرة. إلا أن معظم المقتدرين في الوفد أقروا أن مشكلة العراق مالية وليست إقتصادية وأن العراق غني ومستقبله يتجه نحو الإزدهار وأن برمجة الديون لأجل طويلة يمكن أن تحل هذه المشكلة فضلاً عن أنها تعزز روابط التعامل.

ثالثاً - وخلال اللقاء شعر أعضاء الوفد الأميركي أن الرئيس صدام حسين يريد بالفعل بناء علاقات متوازنة وراسخة وشعروا أيضاً أن العراقيين عمليون حيث أن كل الإجتماعات كانت تتم في الوقت المحدد لها، وكان هنالك حرص على أن يسجل الجانب العراقي النقاط والملاحظات قبل الرد على أي إستفسار. وقياساً بما رآه البعض منهم خلال زيارات لبعض الدول العربية فإن هذه الصفة لدى قيادة صدام حسين إيجابية ومتميزة إلى حد ما.

وإلى ذلك إن أعضاء الوفد وجدوا أنفسهم معجبين بعبارات للرئيس صدام وردت خلال الحديث ومنها التوضيح بأنه لا ينظر إلى أمور واشكالات حدثت في الماضي، وكذلك إلى ملاحظة حول أنه تأكيداً لرغبة

العراق في التعايش مع إيران ونبذ لإحتمالات الحرب فإنه بدأ على الفور، وفي فترة زمنية سريعة، بناء مدن الجبهة وتحديد البصرة والفاو وأنه لو كان يحسب حساباً للحرب فإنه كان تربيث على الأقل إلى ما بعد تحوّل وقْف إطلاق النار إلى سلام دائم وشامل مع إيران. وفي إحدى الحلقات التي تمت بعد اللقاء ردد عدد من أعضاء الوفد كلاماً خلاصته أنهم يرون أن الرئيس صدام واقعي وناضج سياسياً، وأنه ما دام هو ينظر إلى المرحلة المقبلة فإن الإدارة الأميركية مطالبة بالألا تتظر كثيراً أو الألا تتظر على الإطلاق إلى المرحلة الماضية.

وفي الحلقة نفسها وردت بعض العبارات تتعلق بمستقبل المنطقة من بينها أن صدام حسين مؤهل للمساهمة بجدية وفعالية في إستقرار الخليج.

ولقد حدّث بعد أن بث التلفزيون العراقي لقطات من الإجتماعات التي عقدها الوفد الأميركي مع الرئيس صدام حسين وشاهد هذه اللقطات مسؤولون كثيرون في دول الخليج أن بدأ سفراء الولايات المتحدة في هذه الدول يرصدون رد الفعل لدى أهل القرار السياسي والمالي في دول الخليج. وفي هذه التقارير التي سرعان ما وصلت إلى الإدارة في واشنطن ما يؤكد إهتماماً يحدث للمرة الأولى من جانب أهل القرار أولئك بلقاء أميركي - عراقي كونه يتم في بغداد وقد يتطور في نظر هؤلاء بحيث يأخذ من طريق العلاقات الخليجية - الأميركية التقليدية.

رابعاً - في واحد من التقارير عن زيارة الوفد الأميركي للعراق نوع من التركيز على المكانة العسكرية والسياسية للعراق. المكانة العسكرية في ضوء نتائج الحرب والمكانة السياسية في ضوء قيام «مجلس التعاون العربي» والدور الذي لعبه العراق في هذا المجلس منذ اللحظة الأولى.

ومن المهم التوضيح هنا بأن الجانب الأميركي يسجل ضمناً للرئيس صدام حسين دوره في عودة مصر إلى الجامعة العربية وكيف أن مثل هذا الأمر ما كان ليتم من دون السعي الذي قام به الرئيس صدام حسين شخصياً. ويذهب الجانب الأميركي إلى حد الإقتناع بأن الولايات المتحدة باتت بعد إشراك مصر في «مجلس التعاون العربي» أكثر إطمئناناً عليها خصوصاً بعدما نشأت في السنوات الثلاث التي سبقت وقْف إطلاق النار بين العراق وإيران مخاوف من سقوط مصر في أيدي الجماعات الدينية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه طوال السنوات بين قرار قمة

بغداد عام 1978 بإسقاط عضوية مصر في الجامعة العربية رداً على إتفاقية كامب ديفيد وبين قرار قمة الدار البيضاء عام 1989 بإعادة عضوية مصر كانت الإدارة الأميركية سواء في عهد الرئيس الأسبق جيمي كارتر أو في عهد الرئيس السابق رونالد ريغان تنتشط في كل الإتجاهات من أجل أن تستعيد مصر عضويتها. وفي كل مرة كان يزور واشنطن حاكم عربي فإن الرئيس الأميركي كان يطلب من هذا الحاكم إعادة العلاقات الدبلوماسية مع مصر أو السعي من أجل إعادة هذه العلاقات، وذلك على أساس أن إعادة العلاقات تشكّل خطوة مهمة على صعيد إستعادة مصر لعضويتها في الجامعة العربية. وكان يتم ابلاغ هذه الرغبة إلى الحكومات العربية عن طريق المبعوثين الذين يقومون بجولات في العواصم العربية أو خلال إجتماع وزراء الخارجية العرب مع وزير الخارجية الأميركي في واشنطن أو في نيويورك على هامش الجمعية العمومية للأمم المتحدة، ومن دون أن تشمل العراق هذه التمنيات لأن العلاقات الدبلوماسية مقطوعة بينه وبين أميركا، فإن قيادة الرئيس صدام لإعتبارات موضوعية تخص الأمن القومي العربي وفرضتها ظروف الحرب العراقية - الإيرانية من جهة وميزان القوى العربي من جهة أخرى، عملت على تمهيد الطريق أمام عودة مصر ومن دون أن يكون ذلك إقراراً بصيغة كامب ديفيد. بل قد يجوز القول إن مصر التي عادت إلى مكانها بعد أن إستعادت عضويتها في الجامعة العربية تتظر إلى كامب ديفيد على أنه القيد الذي يفكه تعاون عربي وليست مصر وحدها.

ولكن عودة مصر بالشكل الذي عادت فيه يشكّل إطمئناناً للولايات المتحدة التي تعثر مخططها في التطبيع العربي - الإسرائيلي وفق صيغة كامب ديفيد التي كانت تفتقد إلى شأن عسكري عربي وجاء الإقتدار العسكري العراقي ليسد الثغرة التي جعلت التوازن العسكري يعزز الشأن الإستراتيجي للأمة. ونقول ذلك على أساس أنه في غياب ذلك الإقتدار حدثت صفقة كامب ديفيد. وعندما توضحت معالم الإقتدار ومن خلال الإختبار الميداني على الطبيعة صارت صفقة كامب ديفيد بمثابة القيد الذي تأمل مصر من التعاون العربي المساعدة في فكه.

خامساً - إن الكلام الذي سمعه الرئيس صدام من رئيس الوفد الأميركي بوب عبود كان من النوع الذي يدعو إلى الإرتياح. وهذا الكلام ليس موقفاً شخصياً من عبود لأنه لم يقابل الرئيس صدام بصفة شخصية وإنما قابله

بصفة كونه رئيس وفد يضم 23 شخصاً يمثلون فعاليات تجارية وإقتصادية ومالية أميركية بالغة الأهمية. وعندما لا يعترض أحد من هؤلاء على كلام عبود فهذا معناه أن الرجل كان متحدثاً بإسـم هذه الفعاليات. ومما قاله بوب عبود مخاطباً الرئيس صدام:

- إننا نخص بالشكر السيدين طارق عزيز ونزار حمدون على المساعدة والنصائح التي أسدوها وأدت الى تقوية العلاقات التجارية بين العراق والولايات المتحدة.

- إننا تابعنا كيف حاربتكم على مدى ثماني سنوات في إحدى أطول الحروب في التاريخ ولكن قيادتكم كانت قادرة على المحافظة على إستمرار خطط التنمية ومستويات المعيشة. والدول التي إستطاعت أن تحارب وفي الوقت نفسه توفر تسهيلات الحياة لشعبها، قليلة في العالم.

- إن جهودكم في إعادة بناء البصرة والفاو تجسد سياستكم التي تتشد السلام والإستقرار. ونحن نشارك حكومة العراق في هذين الهدفين وفي تحقيق الإستقرار في منطقة الخليج.

- كما إن جهودكم لإعادة مصر إلى الصف العربي موضع تقدير في الولايات المتحدة. وكذلك جهودكم لتعزيز العلاقات مع الأردن واليمن اللتين تحتفظ بلادنا معهما بعلاقات وثيقة. كما إننا في واشنطن نراقب بإهتمام بالغ خطوات التنسيق بين العراق ومصر والفلسطينيين للتوصل إلى سلام عادل ودائم للصراع العربي - الإسرائيلي، ونرى أن ذلك يتعزز من خلال تقوية العلاقات الأميركية - العراقية إضافة إلى توحيد جهودنا ضد الإرهاب.

- إن هذا التجمع الإقتصادي الأميركي الذي يزوركم يضم 57 شركة ومصرفاً تهتم بصناعة السيارات والنفط والأعمال المصرفية والصناعات الهندسية والبتروكيمياوية والإتصالات وصناعات الغذاء. ولقد بدأ «مجلس العمل الأميركي - العراقي» بشركتَيْن هما «موبيل أويل» و «وستكهاوس» قَبْل أن ينمو بسرعة ويصل العدد إلى 57 شركة هدفها توسيع نطاق التجارة الأميركية - العراقية.

- إن المشاركين في هذا الوفد هم أصدقاء للعراق في الولايات المتحدة ونأمل أن تتوافر لهم الفرصة لتسويق ما لديهم من تكنولوجيا وخدمات ومهارات. وفي الوقت نفسه فإننا كأعضاء في القطاع الخاص الأميركي يجب أن نفعل ما في وسعنا لتقديم شروط تنافسية في الأسعار والجودة والخبرات. كما إننا مصممون على توسيع نطاق تعاوننا مع العراق إقتصادياً.

وفي الماضي كانت بين بلدنا خلافات سياسية ولكن في الإمكان أن نتخطاها عن طريق تحسين التواصل والتفاهم. ومن أجل تحسين العلاقات بين بلدنا فإننا نعمل منذ عام في «مشروع وادي الرافدين» وذلك لتحقيق عرض مجموعة كبيرة من الآثار العراقية وتاريخ الفنون في عدد من المدن الأميركية، فوادي الرافدين هو مهد الحضارة الذي تمتد إليه جذور الحضارة الغربية الحديثة. وتستطيع الشركات الممثلة هنا رعاية المعرض وخلق نوع من التعاون بشأنه بين المثقفين والأساتذة العراقيين والأميركيين. ونحن نأمل في تأييدكم الشخصي في هذا الشأن.

تبقى الإشارة إلى أن بوب عبود كان أول مصرفي أميركي أقام علاقات مع الصين وكان ذلك في العام 1977 بعدما حصل على الضوء الأخضر من الرئيس (الأسبق) جيمي كارتر. وبعد سنتين من هذه الخطوة كانت تتعقد في البيت الأبيض قمة أميركية - صينية.

فهل أننا من باب الإفتراض وعلى أساس أن هنالك سابقة حدثت في هذا الإتجاه، نتوقع أن تتم ذات يوم من عام 1991 قمة في البيت الأبيض بين الرئيس جورج بوش والرئيس صدام حسين؟

إن المنطق وتطورات الأمور وبعض العوامل الموضوعية ترجح ذلك وهذه القمة في حال عقدها هي التي ستجعل إسرائيل تجلس مع منظمة التحرير الفلسطينية.

وقبْل صفقة غورباتشوف - رفسنجاني كان أمر هذه القمة من وجهة النظر الأميركية قابلاً للنقاش، لكنه في ضوء زيارة الوفد الأميركي إلى العراق والأجواء التي أحدثها اللقاء الذي تم مع الرئيس صدام حسين، وفي ضوء صفقة الكرملين بين غورباتشوف ورفسنجاني فإن قمة في البيت الأبيض بين الرئيسين بوش وصدام حسين باتت أمراً وارداً. وبعد الآن إن رصد العلاقة العراقية - الأميركية يحتاج إلى الكثير من التأني وتكراراً إن الوفد الإقتصادي والصناعي والمالي الأميركي الذي زار العراق قد يجعل من العام 1990 - 1991 عام صدام حسين في أميركا.

والأفما معنى تزايد الحديث في الأوساط الأميركية عن العراق على أنه الدولة ذات الشأن في التسعينات التي يمكن الإعتماد عليها، وما معنى أن الأميركي الذي يعود من مهمة إستطلاعية إقتصادية في العراق يجد في الحفلات والمناسبات الإجتماعية أو خلال غداء عمل أو ممارسة رياضة الغولف من يطرح بصيغة المهتم إلى أبعد



بوب عبود رئيس الوفد الإقتصادي الأميركي الذي زار العراق في صورة تذكارية مع الرئيس صدام حسين. وتجدر الإشارة إلى أن بوب عبود هو أميركي من أصل لبناني وهو في التاسعة والخمسين من العمر. وكان جده هاجر من لبنان.

تخرج من جامعة هارفرد التي تخرج منها كيسنجر. وفي العام 1975 أصبح رئيس مجلس إدارة فيريست شيكاغو وكان في الرابعة والأربعين من العمر. وهو أصغر رئيس مجلس إدارة في تاريخ المصارف الأميركية، كما أنه أول شخص غير انجلو ساكسون يصبح رئيس مجلس إدارة أحد المصارف العشرة الأولى في الولايات المتحدة.

عام 1988 إختارته الحكومة الأميركية بسبب خبرته في الشؤون المالية لتعويم مصرف «فيرست سيتي تكساس» بعد إرتباكات وإجهها هذا المصرف نتيجة إنهيار اسعار النفط. ونجح عبود في مهمته بحيث عادت إلى المصرف الذي يعتبر مصرف المجموعة التكساسية التي تحكم الولايات المتحدة الآن من الرئيس جورج بوش (التكساسسي) إلى وزير الخارجية جيمس بيكر (التكساسسي)... إلى العشرات من الذين يصنعون القرار لإدارة الرئيس بوش. وبسبب هذا النجاح فإن تكساس عادت الثانية إقتصادياً وسياسياً بعدما كانت الثالثة قبل ذلك.

وتربط بوب عبود علاقات جيدة بالحزبين الديمقراطي والجمهوري في الولايات المتحدة. وهذا يعود إلى أنه كان من الجناح المحافظ وليس الليبرالي في الحزب الديمقراطي. ومثل هذا الإنتماء يجعله أكثر مرونة في التفاهم مع الجمهوريين. وها هو في ذروة التفاهم مع الجمهوريين الذين أتوا إلى البيت الأبيض من تكساس وعندما تكون الإدارة في معظم مراكز القوى فيها من منطقة واحدة فإن الإنسجام يكون أفضل وكذلك الإستقرار. إستقرار الحُكم وإستقرار الدولة.

الحدود الأسئلة الكثيرة حول شأن العراق وشخصية صدام حسين.

ومثل هذه الأسئلة والإستفسارات تعني أن الرأي العام الأميركي الذي تعجبه شخصية رجل الدولة القوي بات أكثر إستعداداً لكي يقرأ بعد الآن عن صدام حسين. أما إذا هو شاهده في برنامج تلفزيوني فإنه سيفعل ذلك بشغف.

وسيتذكر هذا المواطن عندما سيرى صدام حسين في هذا البرنامج التلفزيوني أو ذاك أنه من حيث الوسامة مثل أحد نجوم مسلسل «داينستي» وأنه من حيث الممارسة مثل بطل المسلسل الذائع الشهرة «بونانزا» الذي يبدو في معظم الحلقات ذلك الإنسان الشجاع الذي يدافع عن أرضه ويحافظ عل القانون من دون أن يكون شرطياً.

وإذا أنصف الإعلام الأميركي في معالجاته وتحدثت عن الشأن الإقتصادي للعراق والموقع الإستراتيجي له، فإن هذا المواطن سيتساءل بينه وبين نفسه بعد أن يقرأ ويشاهد ويسمع: لماذا لا يزورنا هذا الرجل. ولماذا لا تكون بيننا وبينه علاقات متميزة؟

وقد يذهب البعض إلى حد التساؤل: بل لماذا لا يكون صدام حسين هو شرطي المنطقة على أساس أن هنالك فراغاً حقيقياً - من وجهة نظر المواطن الأميركي - لهذا الشرطي بدليل أن سمعة الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط لم تعد سمعة الدولة ذات الشأن، وأن رعايا



صحيفة "هيوستون كرونكل" تكتب للمرة الأولى

وبشكل بارز عن "العراق سوق واعدة"

التعاون يحقق الوحدة، وأن الطريق إلى أي عمل وحدوي يبقى بعيد المنال إذا لم يكن هنالك تعاون وتنسيق في المجالات الاقتصادية والإنتاجية.

وللمرة الأولى منذ أربع عشرة سنة يحل عيد الأضحى وقد لاحت في الأفق بوادر أمل بولادة ميثاق عربي - لبناني يكون بمثابة القاعدة لولادة لبنان الجديد ويحل محل ميثاق 1943 الذي كان ميثاق التراضي الذي يفترق إلى الصلابة في مبدأ التعايش وصيغة المشاركة.

ولنا في السعي الذي يبذله خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز والملك الحسن الثاني والرئيس الشاذلي بن جديد الأمل في أن تثمر مساعيهم حلاً ينتشل لبنان المثلخ بالجراح من محنته.

وقبل أن توكل القمة الإستثنائية في الدار البيضاء إلى القادة الثلاثة مثل هذه المهمة كان اليأس يغمر النفوس وكان العيد سيبدو كالأعياد التي سبقتها مجللاً بالحزن، ثم إرتسمت في الأفق بوادر خير أثلجت الصدور ونأمل في أن تتكلل وفي أقرب فرصة بالنجاح لكي يستعيد لبنان بعض العافية التي إستنزفها أربع عشرة سنة من الفوضى والحرائق والحرب العشوائية الهمجية.

كما أن عيد الأضحى المبارك يحل للمرة الأولى على الأمة وقد تم الإعلان رسمياً عن دولة فلسطين وتمت تسمية رئيسها ولم يبق أمام هذه الدولة إلا السعي السياسي والدبلوماسي من أجل إنتزاع قرار دولي بقيام الدولة الفلسطينية.

ويحل عيد الأضحى للمرة الأولى وقد خلت ساحة النزاع العربي - الفارسي من آية الله الخميني الذي توفي تاركاً النزاع قائماً كإرث لمن بعده إلا إذا وجد هؤلاء أن وفاة الإمام فرصة لهم من أجل أن يحققوا بالحسنى تعايشهم مع الجيران العرب وهو تعايش كان لا يريده آية الله الخميني وإستمر يرفضه حتى اللحظة الأخيرة. ولقد كنا نتمنى لو أن الرجل قال قبل أن يسلم الروح إنه لا يتمسك بموقفه الذي سبق أن أعلنه في شأن إعتبار قبول القرار 598 أنه بمثابة تناول السم، لكنه توفي وموقفه على حاله وكأنما يريد من خلال القول، إنه ما دامت هناك خمينية فإن السلام مع العرب بشخص العراق جرعة سم، هذا مع الأخذ في الإعتبار أن المعنى قد يكون أنه هو تناول تلك الجرعة وإنتهى الأمر. وتلك بمثابة فتوى تحتاج إلى من يصدرها من فقهاء إيران.

وما يحزننا هو أن عيد الأضحى حل وإستمرت إيران

هذه الدولة عرضة للخطف في أي لحظة. ولكن هذا التساؤل يخص سائله، ولا يخص صدام حسين الذي أوضح للوفد الأميركي الذي إلتقى به ما معناه، أنه يتطلع إلى أن تأخذ الولايات المتحدة بحقائق العصر وتقيم مع العراق علاقات بحجم دور الولايات المتحدة وليس بمدى أطماعها وبحجم شأن العراق وإقتداره وليس بمدى إحتياجاته لمواجهة ظروف ما سببته الحرب، لأن ربط النظرة بالإحتياجات معناه ممارسة الضغوط كما حدث لمصر وهو ما لا يريده صدام حسين للعراق.

ومن المؤكد أن معرض مشروع "وادي الرافدين الحضاري" الذي سينتقل بعد واشنطن إلى نيويورك وشيكاغو ولوس أنجلوس وهيوستن سيشكل خطوة أكثر تقدماً على طريق العلاقة العراقية - الأميركية الجديدة.

وبعد هذا المعرض قد تصبح قوافل الأميركيين الذين يزورون العراق كثيرة. قوافل تجارية. وقوافل سياحية. ... ولولا الحرب والنصر لما كان ذلك حدث على الإطلاق.

مجلة "التضامن". لندن - 10 تموز (يوليو) 1989

* * *

إيران... ومفاجأتها غير السارة

أطل عيد الأضحى المبارك علينا هذا العام كما لم يطل من قبل.

فهو جاء بعدما قطعت الأمة شوطاً واضحاً في ميادين شتى.

وجاء بعد خروج العراق معافى من حرب فرضوها عليه بهدف زعزعة البوابة الشرقية للأمة لكن قيادة الرئيس صدام حسين تصدت بكل الشجاعة والحكمة وسعة الصدر للعدوان وإستطاعت أن تخرج من محنة الحرب وقد أجبرت الحُكم الإيراني على القبول بالقرار 598.

وجاء بعدما تزايدت رقعة الوفاق العربي وقام مجلسان جديدان إلى جانب مجلس التعاون لدول الخليج العربية وهما "مجلس التعاون العربي" الذي يضم العراق ومصر والأردن واليمن و"إتحاد دول المغرب العربي" الذي يضم المملكة المغربية والجزائر وليبيا وتونس وموريتانيا. وهذان المجلسان أثبتا بما لا يدع مجالاً للشك بأن

على موقفها غير المنطقي وغير المبرر من موضوع الحج. ولقد كان الأجدر بالحُكم الإيراني أن ينتهز هذه الفرصة الكريمة فيسمح للإيرانيين بالحج وفق العدد المتفق إسلامياً عليه من أجل أن يبقى الموسم آمناً. ونقول ذلك على أساس أن قرار تحديد عدد الحج فرضته ظروف. وما دامت هذه الظروف قائمة ويتمسك بها الحُكم الإيراني فإن العودة عنها هو تعويض سلامة مليون حاج وفدوا إلى مكة والمدينة ومنى من أجل تأدية فريضة العمر، للمخاطر.

ولو أن الحُكم الإيراني فعل ذلك لكان أوضح أنه بالفعل بات يريد السلام أن يسود وللطمانينة أن تعم الديار الإسلامية. ولكن الذي لا يحسم أمر مفاوضات السلام مع العراق هو نفسه الذي يقاطع الحج إلا إذا عاد العالم الإسلامي بأسره عن قرار تحديد العدد.

وما نأمل من أن يحل العيد إلا وقد زالت هذه الغيمة الثقيلة التي تعكر صفو الأمة ونعني بها غمامة العناد الإيراني. ولا فرق إن هي زالت من خلال رفسنجاني أو غيره. فالمهم أن تزول على وجه السرعة، وذلك لأن كل مظاهر الإبتهاج بالعيد ستظل عرضة لمفاجآت تأتي من إيران.

... ولقد عودتنا إيران على أن مفاجأتها دائماً غير سارة إلا إذا كان الحُكم الوريث للخميني ستجد أن عليه تدكّر قول الإمام علي "ما أكثر العبر وأقل الإعتبار".

وإذا تدكّر أقطاب هذا الحُكم قول الإمام علي وتمعنوا به فإنهم لا بد سيجدون أمامهم أكثر من عبرة تجعلهم يعيدون النظر في كل شيء وتجعلهم بالتالي يتركون للسلام أن يأخذ فرصته في المنطقة ويتركون للطمانينة أن تأخذ أيضاً فرصتها فتدخل كل بيت من بيروت إلى البصرة إلى عمان والكويت والمنامة إلى وهران وفاس والقيروان ونواكشوط والخرطوم والإسكندرية والقاهرة ومكة والمدينة والرياح ودمشق وكابل وكراشي وأنقرة... وكل مدينة عربية أو إسلامية تعاني منذ عشر سنين من وطأة الهواجس والعواصف الآتية من الثورة الإيرانية.

مجلة "التضامن". لندن - 17 تموز (يوليو) 1989

* * *

الحل في مصالحة وطنية في السودان

مخافة أن تتعطل البوصلة ويضل الطريق كل الذين

يمثلون مراكز القوى في السودان، فإن مصالحة وطنية تقوم على الثقة تشكّل المدخل الصحيح إلى الحل.

مصالحة مع النفس.

ومصالحة مع الآخرين.

وبعد المصالحة وفاق.

وعدا ذلك لن تكون هنالك حلول على الإطلاق.

لقد أثبتت عشرون سنة من الحُكم أن الرأي الواحد لا يناسب. وحُكم الحزبيين لا يناسب. وإستمرار التمرد غير مناسب في الأصل.

وفي الفترة التي حكم فيها الرئيس جعفر نميري كادت الأمور تسير نحو الأفضل لولا أن المكابرة تغلبت على التفكير الواقعي.

في تلك الفترة وبالذات بعد السنوات الخمس التي أعقبت حُكم نميري كانت هنالك صيغة مطروحة برسم المناقشة وتدعو إلى حُكم وحدة وطنية يتمثل في المؤسسة العسكرية بشخص الرئيس جعفر نميري، والجنوب بشخص جوزف لاغو الذي قاد في الماضي تمرداً في الجنوب وبات بعد ذلك واحداً من نواب رئيس الجمهورية، و"المؤسسة الحزبية"، إذا جازت التسمية، تتمثل بالصادق المهدي على أساس أن في إستطاعته أن يجمع كل أحزاب السودان أو أكثريتها الساحقة حوله وذلك على أساس أنه زعيم شاب ومتقف وتدعمه طائفته وليس ممثل طائفة الأنصار ولا زعيمها.

ولأسباب غير منطقية توقّف الأخذ بهذه الصيغة وتطويرها.

وعندما كنا نسأل الرئيس نميري: ما الذي جعلكم لا تواصلون السعي من أجل تحقيق هذه الفكرة، كان يقول: لأن الصادق المهدي أجهض الفكرة حيث أنه يريد كل شيء ويرفض أن يكون جزءاً من صيغة واقعية.

وعندما كنا نسأل الصادق المهدي: لماذا لم تساعد بحيث تتج الصيغة ويتم تطبيقها على وجه السرعة، كان يقول: المشكلة كانت في أن نميري مستعجل.

والسؤال الآن: هل أن تلك الصيغة ما زالت ممكنة؟

والرد على ذلك: إنها الصيغة المثالية، فالمشكلة السودانية على حالها. وما كان صعباً قبل عشر سنين بات أكثر صعوبة الآن.

ونحن عندما نتأمل في واقع الحال يتبين لنا الآتي: إن المجموعة التي قامت بالإنقلاب لن تستطيع أن تفعل شيئاً لوحدها. بل إننا نأملها عندما نطالبها بما لا

طاقة لها على تقديمه.

لقد طرحت هذه المجموعة الإنقاذ شعاراً للإنقلاب الذي قامت به وأطلقت عليه صفة ثورة.

والشعار جذاب إلى حد كبير إلا أنه فضفاض بالنسبة إلى المجموعة التي نفذت إنقلاب 30 حزيران (يونيو) 1989، لأن هذه المجموعة تبقى عاجزة عن الإنقاذ مهما بلغت الحماسة ومهما كانت النيات طيبة.

إن الإنقاذ مهمة بالغة الصعوبة والتعقيد وما فعلته المجموعة التي نفذت الإنقلاب 30 يونيو هو أنها نقلت السودان الذي وصلت به الحال إلى أن كل شرابينه باتت شبه مسدودة، إلى غرفة العناية الفائقة. ونحن نستعمل بعض التعبيرات الطبية على أساس أن السودان إنتهى إلى حالة شبه ميؤوس منها وإنتهى أيضاً إلى أنه رجل العرب المريض. ونعيد هذا القول على رغم أن الكثير من إخواننا السودانيين عتبا أشد العتب لأننا إستعملنا هذا الوصف في مقال سابق قبل حوالي ثلاثة أشهر. تلك هي الحقيقة.

إن المجموعة التي يقودها عمر حسن أحمد البشير كانت مثل فريق مسؤول عن سيارة إسعاف سارع إلى نقل شخص مصاب وإصابته دقيقة بعض الشيء. وفي مثل هذه الحال فإن سائق سيارة الإسعاف يجب أن يكون ماهراً وحذراً بحيث يوصل المصاب إلى المستشفى سالماً ومن دون أن يقود بالسرعة التي تتسبب في وقوع حوادث وإصابات في الشوارع التي تسلكها السيارة وإلا فما فائدة أن يصاب آخرون من أجل إنقاذ شخص مصاب.

وما يقال بالنسبة إلى السائق الماهر يقال أيضاً بالنسبة إلى بقية أعضاء الفريق سواء ذلك الذي يضع المصاب على النقالة أو ذلك الذي يساعد في وضعه داخل سيارة الإسعاف وكذلك الممرض الذي يستطيع أن يعطي المصاب بعض المنشطات إلى حين وصوله إلى المستشفى أو يخفف من نزف الدم إلى حين تسليم الأمر إلى الأطباء في غرفة العمليات.

إنها مقارنة، ولكنها تخلو من المبالغات.

والقصد من هذه المقارنة هو القول إن الفريق عمر حسن أحمد البشير ورفاقه أنقذوا السودان عندما أنهوا المأزق الذي وصل إليه الحُكم السابق بإسقاط هذا الحُكم. لكنهم عدا ذلك لن يكونوا قادرين لوحدهم على أن يفعلوا شيئاً لأن عصر المعجزات إنتهى وبالذات المعجزة المطلوبة لعلاج أمر السودان.

لقد أوصلوا المصاب إلى المستشفى. وعليهم أن يقرأوا بالحقائق ومنها أن إشراك الآخرين في العلاج أمر ضروري.

والآخرون هم الذين نالهم من الإتهامات الكثير. ولكن أي حل يمكن أن يتحقق في معزل عن الرأي العام السوداني المدني، والرأي العام السوداني العسكري الذي يدين بولاء غير معلن للرئيس السابق نميري؟ وأي حل يمكن أن يتحقق في معزل عن أصحاب الكلمة الأساسية في جنوب السودان؟

وعودة إلى الصيغة التي كانت مطروحة في الماضي إنما مع بعض التعديلات.

ولا يمكن لهذه التعديلات أن تحدث إلا بعد مصالحة وطنية. وأهمية الإنقلاب الذي تم يوم 30 يونيو 1989 أنه ألغى وبشكل شبه حاسم ظاهرة الرأي الأوحى، وظاهرة الزعيم الأقوى، وظاهرة العناد التي إستشرت، كما أنه وضع الأمور في نصابها والرجال كلاً في الحجم الذي يجب أن يكون فيه.

وإلى ذلك إن أهمية هذا الإنقلاب أنه علم الجميع درساً لا مصلحة لأي منهم في أن ينسأه. أما كيف تحدث هذه المصالحة؟

تحدث بمبادرة من الفريق عمر حسن أحمد البشير وليس من أحد غيره، لأنه الآن في الموقع الذي يتيح له القيام بمثل هذه الخطوة، ولأنه في الموقع الذي تتطلع القوى الأخرى إلى أن تتحاور معه.

الرئيس الأسبق نميري يريد مثل هذه المصالحة التي تنهي أمر بقائه بعيداً عن الوطن وتنتهي أيضاً أمر خصومته مع بعض القوى السياسية في السودان.

والسيد الصادق المهدي يريد مثل هذه المصالحة التي تنهي المأزق الذي وضع نفسه فيه عندما أصر على السباحة ضد التيار. بل إنه بعدما تسلم مذكرات القوات المسلحة كان عليه هو أن يتخذ المبادرة التي نطالب الفريق البشير بها.

بل حتى جون قرنق، على رغم شعوره بالقوة، من مصلحته أن تتحقق هذه المصالحة. وهو يريد أن يتحقق لأن قوته كانت تتبع من ضعف الحُكم في الشمال وتؤدي علاقات هذا الحُكم مع معظم الدول العربية، وكذلك من كثرة التردد التي إتسم بها حُكم الأحزاب. أما وأن هذا الحُكم تغير وحل محله حُكم تشير كل الدلائل إلى أنه مؤهل وأنه لا يتردد وأنه موضع إهتمام الدول الكبرى والأشقاء العرب،

فهذا معناه أنه قوي وأن من مصلحة قرنق أن ينظر إليه على هذا الأساس.

إن مبادرة المصالحة لن تقلل من شأن الحُكم الجديد في السودان بل إنها الورقة التي يستطيع أن يؤكد من خلالها أن معاناته كانت في محلها وأن حركة التغيير التي نفذها الفريق البشير ورفاقه كانت مشروعة.. ومطلوبة.

أما الطريق إلى هذه المصالحة فهو إخلاء الذين في سجن كوبر كخطوة أولى، إذ ليس هناك قصاص أكثر قسوة من قصاص إخفاق الأحزاب في أن تصمد وتضع قصاص سقوط حُكم الأحزاب الذي يفترض رمزه الأهم السيد الصادق المهدي أن هذا الحُكم مثل شجرة معمرة من نوع تلك الأشجار التي تظلل كورنيش النيل في الخرطوم التي لن يكون في إستطاعة أي إنقلاب هزّ أغصانها فإذا بعشر دبابات وثلاثمئة جندي يقودهم فتية آمنوا بربهم وبوطنهم يقتلعون هذه الشجرة وليس فقط يهزّون أغصانها. وهناك من يؤكد أن دبابة واحدة فقط إستعملت وهذا تأكيد لهشاشة ذلك الحُكم.

وثمة ملاحظة نسجلها برفق ونأمل من الذين في أياديهم المقادير في السودان الآن أن يتأملوا فيها قليلاً وهي تتعلق بالكيانين التقليديين الراسخين في السودان، كيان الأنصار. وكيان الختمية.

وما أود قوله في هذه الملاحظة إن تعايش هذين الكيانين هو في النهاية لمصلحة السودان، وإذا كان الجيل الثاني من زعامات هذين الكيانين قد أخفق في أن يحقق حلولاً للبلد ويؤكد جدارة في مسألة القيادة، فلماذا لا تكون هناك جسور بين الحُكم الجديد في السودان وبين جيل الأحفاد من الأنصار والختمية.. وبالذات الأنصار لأنهم دائماً هم المشكلة أو هم العقبة.

بل لماذا لن يكون عبد الرحمن نجل الصادق هو الطرف الذي يمثل الأنصار في الحوار مع الحُكم الجديد. وهو يملك ثلاث صفات تؤهله لذلك.

إنه من أبناء المؤسسة العسكرية التي تحكم الآن في السودان، وهو برتبة ملازم أول.

وإنه حفيد الإمام عبد الرحمن الذي كلما ورد إسمه فإن هذا الإسم يرتبط بدور تاريخي ووطني عريق.

وإنه على خُلق قويم ومنضبط وهو ربما إختار الجيش لكي يفك عقدة تاريخية بين آل المهدي والمؤسسة العسكرية في السودان.

وقد تبدو مثل هذه الصيغة مستغربة لكنها من وجهة

نظري كمتابع لأمر السودان ومحب له أعتقد أنها المرحلة الثالثة المطلوبة بعد نقل المصاب إلى غرفة العناية الفائقة. أما المرحلة الثانية فكانت الحكومة التي تم تشكيلها يوم الأحد 9 تموز (يوليو) 1989 وكانت حكومة جراحين ومباضع وكمامات ورغبة صادقة في الإنقاذ.

لعل وعسى يتحقق للسودان الخير خصوصاً أن كل هذه الأمور حدثت في الأيام التي سبقت مناسبة كريمة هي مناسبة الأضحى.

... والسودان طوال نصف قرن رمز للتضحية.

مجلة "التضامن". لندن - 17 تموز (يوليو) 1989

لا مجال للفتو بعد الآن

طوال سنوات إعتدنا على الولايات المتحدة تستعمل الفتو عند التصويت في مجلس الأمن على أي قرار فيه شيء من العدالة والإنصاف للقضية الفلسطينية.

وطوال سنوات إعتدنا على الولايات المتحدة تمتنع عن التصويت وأحياناً تطلب من الدول الصديقة والحليفة لها الإمتناع عن التصويت على أي قرار ليس لأن القضية الفلسطينية تستفيد منه، وإنما لأنه يلحق بعض الأذى المعنوي بإسرائيل.

وطوال سنوات لم تمر مناسبة من دون أن يسعى هذا المسؤول العربي أو ذاك لدى الإدارة الأميركية من أجل أن تعيد النظر بعض الشيء في مواقفها عندما تكون هنالك قضايا تهّم العرب ومعرضة على مجلس الأمن أو الجمعية العمومية للأمم المتحدة. وفي معظم المرات كان الطلب يتعثر نتيجة إصرار الإدارة الأميركية على عدم إتخاذ أي موقف من شأنه أن يتسبب بالإزعاج لإسرائيل.

وكانت الإدارة الأميركية تختار في الأمم المتحدة المندوب الذي يستطيع الوقوف في وجه محاولات إدانة إسرائيل وكشف مواقفها أمام العالم وإصدار قرارات الإدانة لها.

ولعل كثيرين يتذكرون كيف أن من يخرج على هذه الطقوس يدفع الثمن غالباً أمثال أندرو يونغ الذي بادر في غفلة عن الإدارة الأميركية إلى إتخاذ موقف في الأمم المتحدة تبين أنه موقف عاقل ومن شأنه أن يعود بالنفع

على بلاده. وهذا الملف تمثل بلقاء مع مندوب فلسطين لدى الأمم المتحدة زهدي الطرزي رثبه في ذلك الحين مندوب الكويت عبد الله بشاره. وفي حين دفع يونغ الثمن غالباً نتيجة مبادرته الشجاعة فإن مكانة زهدي الطرزي تعززت. أما عبد الله بشاره الذي إنتقل من منصبه في الأمم المتحدة إلى المنصب الأهم وهو الأمين العام لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، فإن ذلك الإنجاز الذي حققه بمثابة إضافة مهمة إلى رصيده حيث أنه أول أمين عام منظمة عربية تعرفه الدبلوماسية الدولية معرفة تتجاوز المفهوم التقليدي للمعرفة.

وطوال سنوات كنا في إستمرار ننتظر ولو كلمة عتاب أو عبارة تُوجهها الإدارة الأميركية إلى إسرائيل وتقلل بها من الإنطباع السائد بأنها مع إسرائيل بكل إعتدائها وليست مع القضية الفلسطينية على رغم أنها قضية عادلة، ولكن لا عبارة النقد صدرت ولا كلمة العتاب وردت في تصريحات المسؤولين الأميركيين كباراً وصغاراً.

وطوال سنوات كنا في إستمرار نحاول جاهدين أن يكون الإعلام الأميركي على شيء من الموضوعية بحيث عندما يكون هنالك عدوان إسرائيلي تعرض هذه المحطة التلفزيونية أو تلك مشاهد عن همجية العدوان، وعندما ترتكب القوات الإسرائيلية مجزرة ضد هذا المخيم أو ذاك تتناول تلك المحطات بالحد الأدنى من التحيز تفاصيل حول هذا العدوان. ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل إن تلك المحطات ومن معها الإذاعات والصحف كانت تقلب الحقائق بحيث إن المعتدى عليه يصبح معتدياً، أو في أحسن الحالات أن المعتدى عليه يستحق هذا الجزاء تنزله به القوات الإسرائيلية المعتدية.

تلك هي السمة البارزة لسياسة الإدارة الأميركية ولوسائل الإعلام الأميركية طوال السنوات الماضية.

ومن أجل ذلك فإنه عندما تبث الإذاعات العالمية التصريح الذي بثته يوم الجمعة 17 حزيران (يونيو) 1989 لوزير الخارجية الأميركية جيمس بيكر وفيه إتهام لإسرائيل بعرقلة جهود السلام في الشرق الأوسط فهذا يجعلنا نتساءل بعض الشيء بإمكانية تبدل في موقف الإدارة الأميركية.

ومع أن ما قاله بيكر صحيح إلا أن الجديد فيه هو أنه يقال في حين أن مثل هذا الأمر لم يكن يحدث في الماضي. وزيادة في التوضيح يمكن القول إن إسرائيل كانت تعتدي في الماضي ولا تلومها الإدارة الأميركية ولو برفق، في حين أن هذه الإدارة باتت لا تتحمل العرقلة الإسرائيلية لجهود

السلام وباتت لا تسكت على ذلك، وإنما تعلنه كموقف وعلى مستوى الرجل الثاني في تلك الإدارة.

وأهمية هذا التطور في الموقف الأميركي أن الولايات المتحدة باتت على أهبة أن تعيد النظر جذرياً في أسلوب الماضي وإلى درجة أنه إذا حدث أن إرتكبت إسرائيل بعد الآن عدواناً من نوع الإعتداءات التي كانت ترتكبها في الماضي فإنه ليس من المستبعد على الإطلاق أن نسمع بأن الولايات المتحدة لم تعد نفسها السابقة من حيث الموقف، أي أنه إذا كان هنالك مشروع قرار يدين إسرائيل فإن المندوب الأميركي ربما لا يستخدم الغيتو ولا يمتنع عن التصويت ولا تطلب بلاده من الدول الصديقة والحليفة أن تتخذ الموقف نفسه.

وصحيح أن مثل هذا الأمر كلف الكثير وأنه لو حدث أن الإدارة الأميركية إتخذت ولو مرة واحدة، مثل هذا الموقف في الماضي لكانت تبدلت حقائق كثيرة، إلا أن حدوثه ولو متأخراً يبقى أفضل من إستمرار الوضع على ما كان عليه في السنوات الماضية.

ويبقى إننا نقول ذلك من دون أن يكون التبدل الجذري حدث في الموقف الأميركي، لكن هنالك بعض المعطيات الموضوعية التي تجعلنا نتوقع حدوث ذلك، وهنالك أيضاً الآمال المعلقة على حدوث مثل هذا الأمر من جانب إدارة الرئيس جورج بوش التي باتت أكثر إطمئناناً إلى أمن إسرائيل وتعمل بالنسبة إلى السنوات المتبقية من القرن العشرين على ألا يكون ذلك على حساب الأمن العربي.

هذا ما يمكن قراءته بين سطور الموقف الأميركي بدءاً من تعليقات وكتابات هنا وهناك وإنهاء، بتصريحات لكبار المسؤولين في إدارة الرئيس بوش ومن بينهم جيمس بيكر الذي إتهم حكومة شامير بعرقلة جهود السلام فأحدث على الفور شرخاً في الموقف الإسرائيلي من الواضح أنه سيتحول إلى إنقسام.

وهذا يرمي على أهل القرار العربي مسؤولية كبرى بحيث إن هذا الوقت هو وقت ممارسة الضغوط على الإدارة الأميركية لكي تواصل هذه دورها الضغط على إسرائيل.

ونكاد نقول: للمرة الأولى يبدأ الضغط الأميركي على إسرائيل وإن كانت البداية ليست ثقيلة بما فيه الكفاية.

مجلة "التضامن". لندن - 24 تموز (يوليو) 1989

* * *

متى يقيم القذافي معرضه؟

في ضوء تجربة معرض "السعودية بين الأمس واليوم" الذي حقق نجاحاً ملحوظاً في كل المدن التي أقيم فيها حتى الآن، فإن نظرة بضعة ألوف يمثلون الرأي العام في هذا البلد أو ذاك تبدلت نحو السعودية.

ومن المؤكد أن البريطاني الذي شاهد المعرض قد تأثر إلى حد كبير بما شاهده، وإن مشاعره وهو في طريقه إلى التجول داخل المعرض تختلف عن مشاعره وهو خارج. إنه على الأقل وجد أمامه شيئاً جديداً. وإنه على الأقل إقتنع بأن الصورة التي زرعها الإعلام المعادي للمملكة العربية السعودية في رأسه كانت بهدف التشويه والتشويش.

ومن المؤكد أن الفرنسي حدث معه الشيء نفسه عندما أقيم المعرض في باريس. وحدث مع الألماني الشيء نفسه. وعندما بدأ المعرض في واشنطن حدث شيء مماثل.

وما دام المعرض سينتقل من عاصمة إلى أخرى في العالم فإن مشاعر الألوف الذين سيزورون المعرض ستعرض على الأقل إلى تعديل طفيف أو ربما تعديل جذري.

هذا بالنسبة إلى الأجانب. أما بالنسبة إلى العرب فإن المعرض مناسبة للتقريب بين الشعوب. فليس كل أبناء مصر زاروا السعودية لكي يطلعوا على معالمها وإنجازاتها. ومن أجل ذلك فإنه عندما يقام المعرض في القاهرة ويزوره المصريون بالألوف فإن ذلك يشكل وسيلة للمزيد من التقارب بين الشعبين المصري والسعودي.

وإلى ذلك إن المعرض حقق على هامش مسألة التقارب، أمراً بالغ الأهمية، وهو أنه ساهم في تعبيد الطريق أمام العلاقات على المستوى السياسي. وعندما نقارن علاقات البلدين قبل المعرض والعلاقات بعد إقامة المعرض يتبين لنا مدى الأثر الذي حققه معرض "السعودية بين الأمس واليوم" الذي أقيم في القاهرة، على هذا الصعيد.

ولأن معرض "السعودية بين الأمس واليوم" حقق هذا النجاح الذي حققه فإننا ننظر إلى معرض "مصر على مر العصور" الذي افتتحه الرئيس حسني مبارك يوم السبت 15 تموز (يوليو) 1989 في باريس النظرة نفسها. ومن المؤكد أن بضعة ألوف من الفرنسيين توجهوا إلى هذا المعرض الذي ضم 26 قطعة أثرية نادرة والذي جرى توقيت إقامته

بحيث يتزامن مع الإحتفالات التي تقام في فرنسا لمناسبة مرور 200 سنة على الثورة الفرنسية والتي وظّفها الرئيس فرنسوا ميتران خير توظيف ودعا عدداً من رؤساء دول العالم للمشاركة فيها من بينهم الرئيس مبارك.

كما أننا ننظر النظرة نفسها إلى معرض "مشروع وادي الرافدين الحضاري" الذي ينظمه "مجلس العمل العراقي - الأمريكي" والذي سيقام في واشنطن ثم ينتقل بعد ذلك إلى نيويورك وشيكاغو ولوس أنجلوس وهيوستن... وربما بعض المدن الأمريكية الأخرى.

ومن المؤكد أن هذا المعرض الذي سيزوره ألوف الأمريكيين سيساعد على إزالة الكثير من التشوهات التي أحدثها الإعلام المعادي طوال سنوات على صورة العراق والعالم، وهي إحدى النتائج التي حققها معرض "السعودية بين الأمس واليوم" حتى الآن والنتائج المتوقعة أن يحققها معرض "مصر على مر العصور".

وهذه المعارض الثلاثة تدفعنا إلى المطالبة بأن تعطي الحكومات العربية ظاهرة المعارض الكثير من الاهتمام بحيث تبقى معارض دائمة وتجوب عواصم دول العالم ومدنه، وذلك لأن هنالك معركة لا بد من أن نكسبها كعرب وهي أن يكون لنا حضور وسط الرأي العام الدولي. هذا على أساس أنه لا يمكن لأي طرف أن يكسب الرأي العام كسباً شاملاً إلى جانبه.

ومثل هذا الأمر يساعد على تطبيع العلاقات بين هذه الدول العربية أو تلك مع الدول الكبرى أو تلك إذا كان التطبيع غير قائم، ويساعد على توثيق العلاقات في حال أن التطبيع قائم. وعندما تكون لهذه الدول العربية أو تلك الأسباب الموجبة للضغط على بعض الدول الكبرى بسبب مواقف متشددة إتخذتها هذه الدول فإن الرأي العام الذي ساعدت المعارض في تكوينه من شأنه أن يساند هذا الضغط إذا كانت المطالبات عادلة ومشروعة.

ويبقى أن فكرة المعارض تقتصر حتى الآن على المملكة العربية السعودية ومصر والعراق لكن ذلك لا يعني أن لا تكون لبعض الدول العربية الأخرى القدرة معارضها المتجولة في العالم كظاهرة حضارية من شأنها أن تستقطب الرأي العام الدولي.

ونحن نشعر أن الجماهيرية الليبية تحتاج أكثر من غيرها إلى معرض يتجول في العالم ويبدد شيئاً فشيئاً هذه الصورة التي زرعها الإعلام المعادي وهي أن ليبيا دولة تؤيد الإرهاب وتشجعه.

هذه كانت حالي مع إنسان شعرتُ شخصياً على رغم إنني لست بعثياً أنه أستاذ وصديق وأب، هذه كانت حالي مع ميشال عفلق الذي فقدناه وهو في أحلى سنوات مرحلة الحكمة.

في بيروت حاولتُ.

وفي بغداد حاولتُ.

وفي كل مرة كنت أجد نفسي أتساءل:

هل من المعقول بالنسبة إلينا كصحافي لا نقدّم السيرة الذاتية لهذا المفكر الذي شغل الدنيا العربية أكثر من أربعين سنة حافلة بالعطاء والمعاناة؟

وعلى رغم أن الأستاذ ميشال كان يتقدم في السن إلا أن صفاء ذهنه ووقار العمر، فضلاً عن الإرتياح الذي يولّده الحديث معه والإستماع إليه كان يشعرني في كل مرة أحاول تسجيل سيرته الذاتية ولا يتحقق ذلك أن أمامنا المتسع من الوقت لأن مؤسس البعث في سن فتية مع أنه كان يقترب من السبعين.

و ذات يوم من عام 1979 أمكنني أن أبدأ. وسجلتُ ساعتين كنت أتمنى لو أن الأستاذ ميشال يواصل ويتكرر اللقاء على مدى أسبوعين وبذلك أنجز الجزء الأكبر من تسجيل هذه السيرة وأتابع المهمة مع رفاقه وأصدقائه.

ولكن الأمور سارت على عكس ما نتمنى، أو لنقل ما أتمنى، لأنني الذي سعيْتُ من أجل تسجيل السيرة الذاتية للأستاذ ميشال.

فقد شددتنا الحرب وبدأنا نرصد التفاصيل الدقيقة لها. وكنا مبهورين بهذه الشجاعة التي يمارسها المقاتل العراقي على طول الجبهات.

وكنا أكثر إنبهاراً بالتألق الذي أظهرته قيادة الرئيس صدام حسين، وبالذات في اللحظات الصعبة التي تتطلب القائد الذي يمزج في قراره بين الشجاعة والحكمة والحزم وعدم التردد. وقلْتُ بيني وبين نفسي: بعد الحرب أوأصل، مدامت صحة الأستاذ ميشال على أحسن حال.

ومن أجل ذلك فإنه عندما بلغني نبأ وفاة هذا المفكر القومي المتميز شعرتُ أنني فقدتُ عملاً كتابياً كنت سأعتر به.

ولم أجد سوى الشريط الذي سجلتُ عليه ساعتين من الحديث مع الأستاذ ميشال عفلق حول الإسلام وفلسطين ونشرتُ خلاصة وافية عنه بعد ثلاثة أيام من رحيله (العدد 325 من «التضامن» الصادر بتاريخ 3 - 7 - 1989). وفي هذا الحديث قال: «إن الاسلام لكل البشر وإن

وفي الماضي ربما كانت هنالك الأسباب الموجبة لدى العقيد القذافي لكيلا يكثرث بمثل هذه الإتهامات، أما وأنه منذ بعض الوقت يواصل عملية إنتقال مدروسة من الثورة إلى الدولة فإن معرضاً يحقق فيه تطبيع العلاقات مع بعض دول العالم يبدو أمراً ضرورياً. وإذا أقيم هذا المعرض لمناسبة الذكرى العشرين لثورة الفاتح من سبتمبر أو كانت الذكرى مناسبة للإعلان عن الفكرة فإن ذلك سيبدو مهماً.

ولدى ليبيا الكثير مما يمكن أن تعرضه على العالم بدءاً من آثار الأجداد وإنهاءً بالنهر الإصطناعي.

وعندما ستقيم ليبيا مثل هذا المعرض فإنها ستجد ألوف أحفاد الذين حاربوا أو قُتلوا على أرض صحراء العلمين يشاركون في المعرض وستجد ألوفاً أخرى يأتون إلى المعرض ويغادرونه بعد أن يتأكدوا بأن ليبيا لها تاريخها وعندها الكثير مما يمكن أن تتباهى به أمام العالم.

وهذه الألوف من شأنها أن تعيد الطريق الذي آن الأوان لكي يسير عليه الرئيس القذافي نحو دول أوجبت ظروف المرحلة الماضية الدخول معها في معارك وتحديات، توجب الظروف الراهنة تحقيق التطبيع.. بل وما هو أكثر من التطبيع.

يبقى أيضاً إن ظاهرة المعارض هي أقل الوسائل كلفة لإجتياز أكثر الطرق صعوبة، فلماذا لا تحظى بكل التشجيع خصوصاً أنها مظهر تراثي وحضاري يبدد الصورة القاتمة عنا لدى ملايين البشر الذين لا يأتون إلينا والذين يمكن أن نصل إليهم عن طريق معارض تضم رموزاً للتراث والآثار وإنجازات مضيئة تحققت في العصر الحديث؟

مجلة "التضامن". لندن - 31 تموز (يوليو) 1989

* * *

ميشال عفلق من زمن فيصل الأول

إلى زمن صدام حسين (1)

حاولنا المستحيل أن نسجل له قصة حياته ولكنه دائماً كان ينهي الحديث لمجرد أن نبذاه. وكان يأسرنا بطريقة إنهاء الحديث حول السيرة الشخصية لأنه كان ينتقل إلى الحديث حول قضية قومية أو مشكلة من عشرات المشاكل العالقة التي يواجهها العمل القومي.

فلسطين ستعود من دون أن نلقي اليهود في البحر...». وتركتُ إلى ذكرى أربعين الأستاذ ميشال بعض الملاحظات التي تتعلق بحياته الشخصية كنت جمعتها من بعض رفاق مؤسس البعث، وهي ملاحظات تعكس جوانب إنسانية مجهولة في حياة (أبو إياد) الذي قال لي نجله إياد ونحن نغادر الضريح بعد زيارة وقراءة لسورة الفاتحة مساء يوم الأربعاء 19 تموز (يوليو) 1989 «كانما حُطِف منا خطفاً...».

المعروف أن الأستاذ ميشال عفلق توفي عن 79 عاماً لكن الحقيقة هي انه من مواليد 1912 ومعنى ذلك انه توفي عن 77 عاماً.

وهذه الواقعة لها أسبابها. فهو عندما نال شهادة البكالوريا كان في السادسة عشرة من العمر وهي سن لا تحيز له السفر في بعثة دراسية إلى فرنسا، ولأنه كان حريصاً على ذلك فإنه اضطر إلى تكبير عمره بحيث وضعوا على جواز سفره أنه من مواليد 1910 بدلاً من 1912 وبذلك أمكنه الالتحاق بجامعة السوربون.

ولقد غادر دمشق إلى باريس عام 1928 وهو في نظر الدولة في الثامنة عشرة من العمر بينما هو في السادسة عشرة.

وما حدث بالنسبة إلى إعلان إسلامه حدث أيضاً بالنسبة إلى العمر.

بالنسبة إلى الأمر الأول إرتأى، ووافق رفاقه من بعده، عدم إشهار ذلك، لأن الصراع العربي - الفارسي كان قد تَجَرَّ حرباً بين العراق وإيران ولا يجوز إعلان ذلك خشية أن يحدث تشويه من جانب الحُكْم الإيراني لهذا الاختيار الناشئ عن قناعات فكرية.

وبالنسبة إلى الأمر الثاني إرتأى الإبقاء على الصيغة المعدلة لسنة الولادة بحيث يكون من مواليد 1910 وليس 1912 وذلك خشية أن يقال عنه أنه يحب تصغير سنّه.

وعندما صار الأطفال (إياد ووزار وزياد وشقيقتهم رزان) في سن الصبا بدأ يروي لهم بين الحين والآخر الكثير عن أيام دراسته في باريس ومن قبل حول طفولته.

ومما سمعته من إياد في هذا الشأن أن والده روى لهم مرة واقعة يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

كان يوسف عفلق والد الأستاذ ميشال وجهاً له حضوره في مجال العمل الوطني لكنه في الوقت نفسه كان يعمل في تجارة الحبوب. ومن هذه تجارته تكون له ديون على الفلاحين والمزارعين المتوسطي الحال.

وبعدما توفي يوسف عفلق بوقت قصير حدث إنهيار عالمي في سوق المال وتأثرت نتيجة لذلك الأحوال المادية عند الجميع، إلى درجة أن الديون باتت مالاً ضائعاً.

وحاولت الزوجة على رغم ذلك تحصيل بعض هذه الديون أو ما يتيسر تحصيله، فإصطحبت ابنها ميشال وكان في حوالى الواحدة والعشرين من العمر وذلك عام 1933 وتوجّهوا إلى إحدى القرى حيث هنالك ديون كثيرة في ذمة الفلاحين والمزارعين. وأخذت الزوجة معها الكمبيالات التي تؤكد الأرقام. وبينما كانت تلح على هؤلاء من أجل تسديد ديونهم كان الفتى ميشال يتأمل الحالة البائسة التي يعيش فيها هؤلاء نتيجة للإنهيار المالي الذي حدث، ثم يمسك فجأة بالكمبيالات ويحرقها أمام الفلاحين ومن دون أن يأخذ رأي والدته.

وفي استمرار كان يتذكر الأسلوب العثماني في التعامل مع الناس ولا ينسى كيف أن جنود ذلك العهد إقتادوا أمامهم والده بينما هو كان في الرابعة من عمره يتأمل المنظر وإلى جانبه والدته التي تحاول تخفيف العذاب عن طفل إقتاد جنود الإحتلال والده في ليلة كئيبة ومظلمة.

ولقد روى الأستاذ ميشال لأبنائه وبعض رفاقه هذه الواقعة في معرض الحديث عن ظروف العمل الوطني في تلك المرحلة القاسية، وكيف أن والده يوسف عفلق كان واحداً من الذين يناضلون ضد الإحتلال، وكذلك في معرض الحديث عن حي الميدان في دمشق الذي كان واحداً من رموز مناطق العمل الوطني في سوريا.

وبالإضافة إلى أن حي الميدان كان الأكثر عراقية في المسألة الوطنية فإن اللقاءات التي كانت تتم في منزل يوسف عفلق وتضم وجوه الحركة الوطنية زمنذاك كانت مناسبة لكي يعرف عفلق الكثير ويتعرف على وجوه كثيرة من بينها سلطان الأطرش.

ومن هنا، فإنه بعدما بات مؤسساً لحزب البعث كانت ماثلة في ذاكرته في استمرار وجوه المناضلين الذين سبقوه وكانت قضيتهم الأساسية هي الإستقلال، وبفضل هذا الإستقلال أمكن ميشال عفلق أن يطرح بعد ذلك شعار الوحدة والحرية والإشتراكية.

ومثل معظم شبان العشرينات فإن المثل الأعلى للنضال والعمل الثوري كان في تلك الفترة الملك فيصل الأول. وفي بداية تأسيس الحزب كان علم الثورة العربية في القلوب وفي صدور البيوت والمكاتب وكانت صورة الملك معلّقة في صدر الدار. وفي تلك الفترة لم تكن

القضية مطروحة على أساس ملكية وجمهورية وأن النظام الجمهوري أفضل أو العكس، وإنما على أساس أن القضية الكبرى هي الإستقلال وليس نظام الحُكم.

وقبل أن يغادر ميشال عفلق دمشق إلى باريس كان قد تنقّف نفسه بشكل جيد من خلال قراءات مكثفة لصفوة كتاب تلك المرحلة ومنهم إسماعيل مظهر وشبل الشميل أما التاريخ العربي والإسلامي فإنه إطلع عليه من خلال قراءة روايات جرجي زيدان التي إستمرت ذائعة الصيت حتى أواخر الخمسينات عندما بدأت الكتابات الفكرية حول العمل القومي، وكذلك بعدما بدأت الأحزاب تتبلور بشكل أكثر وضوحاً من قبل.

وهذه القراءات إضافة إلى الجو الوطني الذي عاشه وهو مازال فتى كان لها الأثر الكبير في تكوين فكره السياسي وتوجهاته. وهذا ما كان يقوله في لحظات إستعادة ذكريات الماضي عندما يجتمع بأبنائه ويجد هؤلاء أنفسهم أمام أب من التاريخ مثقل بالذكريات والمواقف الصعبة.

وكان يقول لهم أيضاً إن خالهم شجعه كثيراً على القراءة وأنه يتمنى عليهم أن يقرأوا كما قرأ، وأن يركزوا في قراءاتهم على المسألة التاريخية وعلى الأدب والتراث والشعر، ولكن الأبناء كانت لهم توجهاتهم العلمية فهذا يميل إلى الطب وذاك يميل إلى الهندسة.. وهكذا.

وما لم يقرأه ميشال عفلق وهو في دمشق تيسّر له أمر قراءته بعدما إستقرت به الحال في باريس. فهو في رحاب جامعة السوربون حيث لا تتكرر فرص الإلتحاق بها بسهولة.

وإستناداً إلى ما رواه إلى الأبناء وبعض الرفاق في سنوات سابقة ومن بين هؤلاء ناصيف عواد، أنه كان يقضي معظم الوقت في مكتبة جامعة السوربون وأنه قرأ الأديان والفلسفات في هذه المكتبة. وكانت الديانة اليهودية من بين هذه القراءات. كذلك قرأ وهو في رحاب السوربون معظم الأعمال لأدباء ومفكري أوروبا وبذلك إتسعت مداركه.

وهو لم يكتفِ بدراسة التاريخ في جامعة السوربون وإنما إلتحق بكلية الحقوق فيها لمدة سنتين ليس بهدف أن يصبح محامياً أمام المحاكم. وبعد ثلاثين سنة يجد نفسه أنه محامي الأمة التي ظلمت وصدرت في حقها أحكام، ومن بينها أنها الأمة الميئوس منها وليس الأمة التي هي خير الأمم.

ونجد أنفسنا هنا نضع أكثر من خط ونحن نشير إلى

ذلك إلى أهمية تربية البيت في ذلك، حيث أن البيت كان وطنياً. وحي الميدان في دمشق منطقة وطنية. وكان المناخ العام زمنذاك وطنياً أيضاً.

ومن هنا إن ميشال عفلق تتشّق الهواء الخالي من أي تلوث. وهذا ما جعله خلال وجوده في السوربون محاطاً بعدد من الطلبة الوافدين من دول المغرب حيث ثورة المغرب العربي على الإستعمار الفرنسي تتدلّع في وقت واحد مع ثورة المشرق العربي على الإستعمار الفرنسي.

وهذا الإلتفاف تبلور بعد ذلك في «الجمعية العربية السورية» وبعدها «جمعية الثقافة العربية».

وقد إلتقى المشرقي مع المغربي في هاتين الجمعيتين وإلى درجة قد تجيز لنا الإفتراض أن ملامح العقيدة البعثية تكونت زمنذاك، وأن التفكير بالقضية الفلسطينية بدأ زمنذاك أيضاً.

مجلة "التضامن". لندن - 31 تموز (يوليو) 1989

ميشال عفلق من زمن فيصل الأول إلى زمن صدام حسين (2)

وحدثت بعض التطورات التي جعلته يعيد النظر في قرار الإقامة هناك، ثم بدأ يواظب على زيارة باريس للبقاء قريباً من نجله إياد الذي كان يخضع للعلاج فيها. ثم بقي الأبناء في فرنسا للدراسة، وكان يتردد عليهم بين الحين والآخر. لكنه كان لا يرى من باريس شيئاً. فهو إما في الشقة وإما يمارس هواية المشي في حدائق فرساي أو في أحد شوارع غابة بولونيا الذي يخلو من السيارات. وحتى قبل سنتين من وفاته كان يمشي ساعتين ولا يتعب. وهذه الهواية كانت في الوقت نفسه رياضة بالنسبة إليه ولسببها حافظ على رشاقة جسم من الصعب تحقيقها عندما يقترب الإنسان من السبعين.

وهواية المشي كان يمارسها الأستاذ ميشال وحيداً، إلاّ إذا توافر الرفاق الذين يرتاح إلى حديثهم أو الذين لم يلتقي بهم منذ زمن طويل. أما الأبناء فكانوا بطبيعة الحال لا يجارونه في هذه الهواية.

وفي أي حال من النادر أن نجد نحن الآباء رغبة لدى

أبنائنا في أن يشاركونا هواية المشي لأنها في نظرهم هواية المسنين بينما هم ما شاء الله مثل الخيول التي تريد أن تبقى منطلقة، علماً بأن أقدامنا حفيت نحن أبناء الجيل الماضي لكثرة ما مشينا جنباً إلى جنب مع الآباء يرحمهم الله ويحسن إليهم.

وعندما تسأل عن هواية الأستاذ ميشال علق عدا هواية المشي التي هي علاج ورياضة يتحفظ رفاقه أو يقولون إن الأستاذ كان لا يعير اهتماماً للهوايات. أما الأبناء فيقولون إنهم لمسوا منذ أن كانوا صغاراً هواية لدى والدهم هي سماع الموسيقى الكلاسيكية. ويتذكر إياد أنه عندما إنتقلت العائلة إلى بيروت وسكنت فيها كان حريصاً على أن يجلبوا له من دمشق مجموعة من الأسطوانات لكبار الموسيقيين الكلاسيكيين، وكان حريصاً جداً على أن يتولى بنفسه تشغيل الأسطوانة بحيث يضعها برفق ثم عندما تنتهي يعيدها برفق إلى مكانها بين المجموعة وبرفق أيضاً يمسح الغبار عنها.

وتسأل الأبناء: وهل عدا إسطوانات الموسيقى الكلاسيكية هنالك هوايات أخرى؟ هل عنده هواية اللبس والمأكول وربطات العنق والسبّحات والشراب والطرب والشعر؟ ويأتي الجواب من بعض الرفاق: إستمر حتى اللحظة الأخيرة يهوى قراءة الشعر والقصة. وهو لا يكتفي بالقراءة وإنما ينتقد أيضاً ويتحفظ إزاء بعض الذين يقرأ لهم. وهو للمناسبة كتب في الثلاثينات قصائد كثيرة وبعض القصص وكان لو إستمر يمكن أن يصبح شاعراً كبيراً لولا أنه أوقف هواية قرّض الشعر وكتابة القصة عندما قرر أن الحزب هو قضيته الأساسية. إلا أنه في الوقت نفسه واطب على متابعة الجديد في الحركات الأدبية الأوروبية.

أما الأبناء فيقولون: كانت السبّحة دائماً في يده لكنه ليس من هواة جمع السبّحات. كان لا يهوى شيئاً. وخلال ست سنوات لم يفصل أكثر من ثلاث بدلات. بدلة شتوية وبدلتان صيفيتان. وفي إستمرار كنا نشدد عليه ونعرض أن نشترى له البدلات الجاهزة المنسجمة مع روح العصر. لكن الأمر لم يكن يهمه على الإطلاق. لا تهمة الموضة. ويفضل أن تكون بدلته كلاسيكية. وفي إحدى المرات قلنا له: مبروك. هل هذه البدلة جديدة. وأجاب عمرها خمس عشرة سنة.

وهكذا دائماً. يفصل التفاصيل على الجاهزة. أما ربطات العنق فهي دائماً ذات ألوان غامقة.

واللافت للإنتباه - والكلام مازال للأبناء - إن ألوان

ربطات العنق التي يرتاح إليها لا تتسجم مع تقاؤه وكان تقاؤه كبيراً.

وهو لا يشرب أبداً لكنه كان يدخن كثيراً، وأوقف السجارة قبل عشر سنين ثم بدأ يدخن السجائر لفترة قصيرة وتوقّف عن التدخين نهائياً.

وكنا نحاول أن نجعل من عيد ميلاده مناسبة نفرح بها لكنه كان يكتفي من ذلك بلقاء لا يستغرق طويلاً بيننا وبينه. نضع له شمعة على قالب الكاتو ولمجرد أن نطفئها ينتهي كل شيء. وفي أي حال إن هذا التقليد متبع منذ ثلاث سنوات. ومن قبل لم نفعل ذلك لأنه لم يشجعنا ولأننا كأبناء كنا مقصرين. وقد يكون إقتنع بالفكرة لشعور منه بأن أجله يقترب ويريد أن نحتفل معه بعيد ميلاده.

ويضيف الأبناء إن الوالد الأستاذ ميشال كان يحب الطبيعة ومن أجل ذلك يرتاح للبنان، وكان دائماً يختار المنزل البعيد عن الناس حيث الهدوء وأشجار الصنوبر وحيث إذا هو تمشّى لا يعرفه أحد ولا يستوقفه أحد.

ويشترك أحد رفاق الأستاذ ميشال وأحد تلامذته في الحديث ليقول: إن نفسه نفس فنان وعقله عقل عبقرى ونطلب المزيد من التوضيح لظاهرة البساطة عنده والتي لخصها وصف أحد رفاقه من الجيل الثاني (برزان التكريتي في مقال كتبه لـ «التضامن») بأن الأستاذ ميشال هو (المتفاني الزاهد) فيأتي الجواب: إن زهده في الحياة هو إستمرار لزهده في الحكم. كما أنه كان لا يرى أن يكون سوى قدوة.

ونطلب من الأبناء أن يقولوا لنا كيف أصبحوا بعثيين ومتى؟

ويجيب هؤلاء: لقد وُلدنا بعثيين، نحن بعثيون بالدم. ونسألهم: والدكم قائد فكري كبير له رفاقه ومريده وتلامذته في العالم العربي، كيف كان يتعامل معكم وبماذا يوصيكم، وهل هو الذي إختار لكم ميادين العلم والتخصص؟

ونسمع أن الأستاذ ميشال لم يضغط على أحد وترك له خياراته. وعلى سبيل المثال إن كبير الأبناء (إياد) كان يحب منذ الصغر فك الأشياء وتركيبها، ولذا قال عنه الوالد: كأن هذا الإبن سيصبح مهندساً. ووجد إياد نفسه يسير في إتجاه التخصص في ميدان الهندسة. وكان نزار الإبن الثاني يضع نظارات طبية على عينيه فصار الأب يقول عنه الدكتور نزار وهكذا وجد نزار نفسه يسير على خطى التخصص في ميدان الطب.

لا ضغط. ثم إن الآباء عادة يحاولون الضغط على

الأبناء لكي يتوارث الأبناء أو أحدهم مهنة الوالد بحيث إذا كان هذا تاجراً يتوجه الأبناء أو أحدهم إلى ميدان التجارة وإذا كان طبيباً يواصل أحد الأبناء مجد الطبابة من بعده أو يرث المستشفى أو العيادة. وإذا كان صاحب مصنع يواصل أحد الأبناء من بعده إدارة هذا المصنع والإبقاء عليه. وبالنسبة إلى الأستاذ ميشال كيف سيضغط، وهل أن قيادة الفكر والعقيدة عمل يتواصل بالوراثة، بمعنى أن الأبناء يرثون الآباء؟

أما أنه كان يوصي الأبناء، وما هي الوصية، فإن الرد على ذلك - كما يقول الأبناء - هو إنه إعتبر مسلكيته وحياته وطريقة تعامله مع رفاقه هي الوصية.

وبالنسبة إلى هذه النقطة يضيف ناصيف عواد أحد رفاق الأستاذ ميشال: كان البعثيون بمثابة أبنائه. يأتون إليه في بيته من دون موعد، وكان لا يفصل بين الأبناء وبين الرفاق البعثيين. وحيث وجدنا في مجلسه ولا نسمع أحاديث إلا عن قضايا متصلة بالبعث. هذه حالنا منذ كنا صغاراً، إلى درجة إننا إعتبرنا أن العالم هو البعث والبعث هو كل شيء في هذه الدنيا.

ويعود أحد رفاق الأستاذ ميشال ويقول: إنه كان يغفر لبعثي ترك الحزب لأنه تعب أو نتيجة قناعة. لكنه كان لا يتحمل سماع إسم من يترك الحزب طمعاً في تكوين ثروات والظهور بمظهر إستعراضي.

ويخطر في البال الإستفسار عن عواصم عربية قريبة إلى قلبه، وقادة وزعماء عرب كان يتحدث عنهم في مجالسه سواء مع الأبناء أو مع زواره من تلامذته ورفاقه. ويأتي الجواب بأنه أحب دمشق لأنه أسس الحزب فيها ولأنها مسقط رأسه، وأحب بغداد لأن البعثيين فهموه وهذا ما كان في إستمرار يتطلع إليه. أما بيروت فكانت لها في نفسه مكانة خاصة. وإستمرت ذكريات زيارته للقدس عام 1948 عالقة في الذهن ربما لأن القدس إنتهى أمرها أسيرة وتعيش أطول وأصعب حالة أسر عاشتها مدينة لها جلالها وتراثها وقديسيها، وربما لأنه عندما زارها كان يقود كتيبة البعث في حرب فلسطين وكانت مناسبة لكي يلتقي في خندق واحد مع كثيرين من بينهم الإخوان المسلمون الذين أتوا من مصر لتأدية واجب الجهاد.

وحتى اللحظة الأخيرة التي سبقت دخوله المستشفى إستمرت القدس مرتبطة في ذهنه بالحرب ضد الصهيونية من أجل تحرير فلسطين.

أما علاقته بالقاهرة وحبها فإنها مرتبطة بعبد الناصر

وبالذات عبد الناصر الذي أعلن تأميم القناة ثم أفصح عن الهوية العربية لمصر قاطعاً بذلك الشكوك والإجتهادات. وهو بعدما تعرّف إلى عبد الناصر بدأ يكثر من اللقاءات معه. وقد يجوز القول إنه على أساس معرفته بعبد الناصر ووضوح توجهات الرئيس المصري رفع الأستاذ ميشال في الملعب البلدي في دمشق عام 1956 شعار الوحدة مع مصر. وعلى هذا الأساس شارك الحزب في الحُكم.

ومع أنه لم يزر كل العواصم العربية إلا أنه كان يراها في وجوه أبناء الدول العربية الذين يلتقي بهم في العواصم التي يزورها وعندما يعرف هؤلاء بمقدمه يأتون للتحية.

ويضيف الإبن إياد إن والده كان يردد أمامهم أن بغداد تمثّل له الأمل، وأنه كان دائماً يردد بصيغة الإستهجان: الشام أم القومية العربية هل من المعقول أن تنتهي بها الحال إلى ما إنتهت إليه.

وأحاول أن اعرف من الإبن إياد ما إذا كان الوالد إستمر يتذكر الأسماء والأحداث مع تقدم السن.

ويجيب إن ذاكرته كانت قوية جداً، حتى انه في السبعينات كان يتذكر أموراً حدثت في الثلاثينات، وذات يوم كان يقول لنا إنه في يوم كذا من العام 1938 إنقبت بفلان وفلان وفلان.. وإننا تحدثنا في الموضوعات الفلانية وكان رأي فلان جيداً لكنني مازلت أستغرب كيف أن فلاناً إستمر لبضع سنوات متمسكاً بموقف لا يبدو لي سليماً... الخ.

وأسأل الإبن إياد:

ويجيب:

إن وضعه الصحي بقي طبيعياً حتى اللحظة الأخيرة. لكن نتيجة تقدمه في السن بات أكثر حساسية تجاه المرض، بحيث أنه يصاب بالبرد بسرعة ويشعر بالسخونة بسرعة. ولكنه لم يشعر مرة بأنه سيموت، ربما لأنه كان مطمئناً إلى صحته ويداري نفسه على صعيد الأكل فيتقذى الأدهان ويمشي كثيراً وهو عندما جاء إلى بغداد كان يمشي بمحاذاة شاطئ دجلة بالقرب من مقر إقامتنا ثم صار يمشي في نادي الصيد وفي باريس يقضي معظم الوقت في ممارسة هذه الرياضة.

ولأننا لم نشاهده يوماً مصاباً بمرض تقليدي فإننا كنا نحمد الله على ذلك. لكن شقيقي نزار الذي يتابع تحصيله العلمي في كلية الطب كان يرى أن الكشف عن الصحة أمر لابد منه، وكان يرى أن نزلة البرد بالنسبة إلى شخص

مسن تكون مزعجة أحياناً. وعندما كان يقول له إننا سنجري لك فحوصات في المستشفى ونعرضك على طبيب إختصاصي كان يتذرع بأكثر من حجة كي لا يحدث ذلك. وإذا قيل له لابد من زيارة الطبيب لك لأن حرارتك مرتفعة كان يقول إنه سيتناول حبة أسبرين وينتهي كل شيء.

ويضيف إياد، إنه لولا أن شقيقه نزار تعمد تضخيم الأمور في الزيارة الأخيرة التي قام بها الأستاذ ميشال لما كان وافق على أن يتوجه إلى المستشفى وتُجرى له الفحوصات.

وفي أعقاب إنتهاء الفحوصات بدا الطبيب مرتاحاً إلى الوضع الصحي للأستاذ ميشال لكن ما لبث أن طلب منه بعد شعوره بالآلام حادة دخول المستشفى وإجراء عملية جراحية.

وأُجريت العملية يوم السبت 24 حزيران (يونيو) 1989 وكانت صعبة جداً بالنسبة إليه. وعندما زارته العائلة لاحظت ذلك، وكانت تحاول أن تعرف من حركة شفثيه ما يريد قوله.

وعندما تحسنت حالته قليلاً إرسمت على شفثيه عبارة: غداً عندما أغادر المستشفى أحكي لكم.

ماذا كان سيحكي؟ هل سيوصيهم؟ هل سيحدثهم عن العذاب الذي تحمّله خلال إجراء العملية الجراحية؟ هل كان هنالك شعور لديه بأنه سيغادر الدنيا ويود أن يقول لهم أمراً ما؟

لا أحد يدري.

فلا العائلة طلبت منه المزيد من التوضيح رفقاً بصحته.

ولا هو استطاع أن يفصح، وإن كان خلال لقاء العائلة التي إستدعيت على عجل إلى المستشفى إتصل الرئيس صدام حسين من بغداد هاتفياً للإطمئنان على صحة الأستاذ ميشال. وعندما قيل له بالإشارة والإيماءة إن الرئيس على الخط ويسأل عنك أشار إلى أن يعطوه السماعة ليتحدث مع الرئيس.

إنه داخل غرفة الإنعاش.

ولا يستطيع الكلام.

وبالكاد يمكن سماع صوته.

... ومع ذلك يريد أن يتحدث مع الرئيس صدام الذي

يستقر عنه من على بعد خمسة آلاف كيلومتر.

ولولا أن مقاومة جسمه من النوع غير العادي لما كان

صمد خمسة أيام ولكنها كانت أياماً صعبة جداً عليه. وإصرار الأستاذ ميشال على أن يتحدث بالهاتف مع الرئيس صدام بينما هو على الحال التي أشرنا إليها تعكس مدى تعلقه بالرئيس صدام ومدى تفاؤله به.

وفي هذا الصدد يقول الإبن إياد، إن المعروف عن والده أنه متفائل حتى في أحلك الظروف، إلا أنه بعد أن يلتقي بالرئيس صدام كان يزداد تفاؤلاً. وفي إستمرار يردد أمامنا أن أمني بالرفيق صدام كبير.

ويضيف أحد رفاق الأستاذ ميشال إلى ذلك قوله: إننا عندما كنا نلتقي بالأستاذ بين الحين والآخر خلال سنوات الحرب كان يقول عن الرئيس صدام: إنه أثنى ما أترك في هذه الدنيا.

يضيف الرفيق نفسه: إن العلاقة بين الأستاذ ميشال والرئيس صدام كانت نادرة، ذلك أن قضية الأستاذ كانت في الدرجة الأولى هي الشعور بالطمأنينة إلى أن هنالك القائد المبذني الشجاع وصاحب العقل النير. وبفضل العلاقة المتبادلة الأصلية القائمة على الفهم عرف كل منهما دور الآخر. ولقد تولدت الثقة بالرئيس صدام من قبل أن يتسلم المسؤولية كاملة في الحزب والدولة.

ومن قبل خمس عشرة سنة كان عدد كبير من الذين يلتقي بهم الأستاذ ميشال يلاحظون كيف أنه يتحدث عن صدام حسين أكثر من الحديث عن بعثي آخر. ثم أثبتت سنوات الحرب معنى ذلك.

وبعدما إستقر المقام بالأستاذ ميشال في بغداد ويات يلتقي صدام حسين النائب ثم صدام حسين الرئيس بدأت ملامح صورة القائد الذي يكمل مسيرة الحزب تتبلور في وجدان الذي أسس الحزب.

نصف قرن من النضال والتشرد وعدم الإستسلام لليأس، وتحمل أقسى أنواع المعاناة، وخيبات الأمل بالبعث، وتعليق الآمال العريضة على البعض الآخر، وصفحات من الفكر والرؤية الثاقبة والتبصر، وإعتماد البساطة في العيش، هكذا الأستاذ ميشال علق أول رجل عقيدة في التاريخ العربي القديم والمخضرم والحديث يتوفى بهدوء ويتقدم الرئيس صدام حسين قائد أول نصر عربي، الذين رفعوا الجمل الذي يضم جثمانه على أكتافهم، ويردد كل من يذكر اسمه: يرحمه الله. لقد كان ظاهرة تاريخية. ولقد أعطاه الله على قدر نياته: تكريم تاريخي وتشجيع تاريخي وتخليد لا يناله سوى الذين لهم إشارة أو عبارات في كتاب التاريخ السياسي والفكري للمنطقة.

والأستاذ ميشال عفلق كان له حضور في كل صفحات هذا الكتاب الذي تعزز خلال سنوات الحرب العراقية - الإيرانية، وليس مجرد إشارات أو عبارات.

مجلة "التضامن". لندن - 7 آب (أغسطس) 1989

* * *

الرجل القوي لإيران الضعيفة

الآن وقد بات لإيران رئيس يقرر فإن أموراً كثيرة عالقة مرشحة لأن تجد حلولاً جذرية وليس أشباه حلول.

وفي الماضي كان الذي يقرر هو الإمام الخميني لكن الإمام لا يقرر. وكان الذين يشغلون مواقع إتخاذ القرار يصدرهم قرارات سرعان ما تتدثر لأن الخميني لم يوافق عليها، فضلاً عن أن صانع القرار هو الأساس وليس من ينفذه. والذين كانوا يدورون في فلك الخميني كانوا ينفذون القرار، بإستثناء هاشمي رفسنجاني الذي كان من الذين يصنعون القرار أحياناً من خلال إبداء الرأي.

ومن أجل ذلك فإن رفسنجاني صمد إلى النهاية في وقت تساقطت خلال ثمانية أعوام رؤوس كثيرة معظم أصحابها من ذوي الشأن في الثورة الإيرانية ومن رجال الدين أو العلمانيين الذين شغلوا مواقع مسؤولة.

وفي العادة إن الذي يرشح نفسه لمنصب رئيس الجمهورية يعرض برنامجه على الناس من أجل إستقطاب التأييد له لكن رفسنجاني فاز في الإنتخابات لشخصه وليس ترحيباً ببرنامجه. بل قد يجوز القول إنه فاز بمنصب رئيس الجمهورية يوم توفي الخميني وأن النتيجة أعلنت يوم السبت 29 تموز (يوليو) 1989.

وطوال الشهرين الماضيين كانت أنظار العالم متوجهة إلى إيران ليس من أجل متابعة معركة الإنتخابات ومعرفة من الذي سيفوز وإنما لمعرفة ما الذي يريده الإيرانيون من الرئيس الجديد المعروف بأنه سيكون رفسنجاني وليس منافسه عباس شيباني وهو نائب عن طهران ووزير صناعة سابق.

بل قد يجوز القول إن هنالك ما يشبه عملية العد العكسي ليوم الإنتخابات وذلك من أجل الإعلان رسمياً عن رئيس الجمهورية ويبدأ التعامل مع الرئيس الإيراني وهو تعامل معطل منذ ثمانية أعوام. ونقول ذلك على

أساس أن دول العالم لم تتمكن من التعامل مع رئيس إيران لأن الرؤساء الثلاثة الذين سبقوا رفسنجاني لم يكونوا يملكون قدرة إتخاذ القرار بمن فيهم الرئيس الأخير علي خامنئي.

إن التعامل طوال هذه السنوات كان يتم مع هالة هي آية الله الخميني ومع مراكز قوى. ومثلما أن الهالة إستمرت بعيدة لا ترى أحداً ولا تجتمع بأحد فإن مراكز القوى كانت دائماً تحجب حقيقة الأمور ودور السلطة وإتخاذ القرار.

وطوال هذه السنوات أيضاً كان التعامل يتم مع خطبة الجمعة أكثر مما يتم مع وزراء مسؤولين. بل كثيراً ما حدث أن خطبة جمعة يلقيها رفسنجاني كانت تنسف محادثات يجريها هذا الوزير أو ذاك في دولة من دول العالم.

لقد إنتهى الأمر بفوز رفسنجاني الذي ستبدأ معه مرحلة رئيس الجمهورية الذي يملك سلطة إتخاذ القرار في إيران. وعندما يتزامن مع الإنتخاب الموافقة على إلغاء منصب رئيس الوزراء أي حصر السلطة التنفيذية برئيس الجمهورية فإن هذا معناه أن سلطة رفسنجاني ستكون قوية. ومثل هذا الحصر سيكون فعالاً إذا وظف رفسنجاني هذا الجمع بين الرئاستين وهو حالة مألوفة جداً في معظم دول العالم الثالث.

وسيكون مؤسفاً جداً إذا كان رفسنجاني بعد هذه السلطة الواسعة التي يملكها لا يحسم الأمور الكثيرة العالقة وفي مقدمتها المفاوضات المباشرة التي تم النص بموجب قرار مجلس الأمن 598 على إجرائها مع العراق لكنها حتى الآن لم تتم والرهائن الذين تحولوا إلى موضوع صفقات تعقدها إيران مع هذه الدولة أو تلك.

وبعد اليوم لن يكون منطقياً أن يبدأ رفسنجاني عهده من دون إبداء حُسن النية والشرع في حسم القضايا العالقة. فهو ليس مثل الآخرين الذين سبقوه حيث كانت أي رغبة بقرار يجدون من المناسب إتخاذه تصطدم بالخوف من مراكز القوى غير المنظورة، ومن عدم موافقة مركز القوة المنظور الذي هو آية الله الخميني والذي بات معروفاً أن تردده في الموافقة على أي قرار يعني رفضاً مطلقاً له لأنه كان شغوفاً بإبقاء القضايا عالقة. وهذا شأن بعض الذين يرون أن شخصهم أهم من مصير الوطن.

وفي إنتظار أن يبدأ رفسنجاني الحُسم وتبدأ برئاسته مرحلة إيران الدولة المتوازنة التي تستطيع أن تتفاهم مع الجميع وفي منأى عن العدوانية وأساليب خطف الرهائن

598 الذي يحتاج من الرئيس رفسنجاني إلى تعامل شجاع وموضوعي معه بحيث يتحقق السلام الشامل والدائم مع العراق.

وهذا السلام هو مفتاح إستمرار المنطقة.

مجلة "التضامن". لندن - 7 آب (أغسطس) 1989

* * *

المطلوب من العرب

والمطلوب من قمة بلغراد

بعد أيام تتعقد في بلغراد قمة عدم الإنحياز. ويلتقي في مطلع سبتمبر 1989 في العاصمة اليوغوسلافية عشرات الحكام المتقنين بالهموم والمشاكل.

وتشاء المصادفة أن الدولة المضيفة مهمومة أكثر من غيرها وأكثر من أي وقت مضى، ومثقلة بالمشاكل إلى حد أن تكاليف إستضافة المؤتمر البالغة خمسة ملايين دولار شكّلت عبئاً عليها.

وفي الماضي كانت مشاكل دول عدم الإنحياز أكبر من الآن لكن وجود الزعامات التاريخية أمثال تيتو وعبد الناصر ونهرو كان عاملاً مهماً في إمتصاص بعض هذه المشاكل. ولعل كثيرين يتذكرون كيف أنه عندما كان يقترب موعد إنعقاد قمة لدول عدم الإنحياز كانت الدول الكبرى تراقب هذه القمة بإهتمام.

وصحيح أن المشاكل كانت لا تجد حلاً جذرية إلا أن الدول الكبرى كانت تعمل على تسهيل منح القروض لبعض دول كتلة عدم الإنحياز ليس خوفاً من هذه الدولة أو تلك وإنما تحاشياً لقدرة زعامات تلك المرحلة على تعبئة الرأي العام ضد الدول الكبرى.

ومثلما أن زعامات تلك المرحلة رحلت زعامة بعد أخرى فإن زعامات الدول الكبرى هي الأخرى رحلت وبالتالي فلا موجب لحدوث أي تناقض.

وزيادة في التوضيح يمكن القول إنه مثلما إن نهرو وتيتو وعبد الناصر وآخرين من القادة المرموقين في كتلة عدم الإنحياز رحلوا فإن خروتشوف وكينيدي وبريجنيف ونيكسون وآخرين من قادة الدول الكبرى رحلوا أيضاً. وبالتالي فلا ضرورة لوجود التناقض.

والطائرات، نأمل أن يعبر عن حُسن النية التي تؤكد أنه يريد أن يقود بلده كما يقود الحكام العاديون بلادهم. وهذا يكون بإستيراد الثورة التي سبق أن جرت محاولات تصديرها إلى خارج إيران ووفق عمليات تصدير الثورة بعد الآن، وإطلاق مبادرات تؤكد الرغبة في التعايش مع الآخرين. وليس هنالك ما يخيفه ويمنعه من أن يفعل ذلك ما دام هو الرئيس المطلق الذي ينتظر الإيرانيون منه طي صفحة الحرب.

... وهؤلاء إنتخبوه على هذا الأساس. وهو كرجل دين له تجربة واسعة مع العمل السياسي يعرف ذلك ويعرف أن الإيرانيين يريدون "مرشد الدولة" الذي يرحم البلد والنفوس. يفعل ذلك أم لا؟

منذ إعلان فوز رفسنجاني بدأ العد العكسي للحظة يعلن فيها الرجل القوي لإيران الضعيفة أنه قرر بالفعل أن يفتح وبإسم الإيرانيين صفحة جديدة مع العالم الذي ضاق ذرعاً بالعناد الإيراني.

وهناك حقائق موضوعية كثيرة تؤكد أن العد العكسي لن يطول. فالرجل في الرابعة والخمسين. وهي السن التي تجعل من يتسلم الحُكم يبذل جهده لكي يحافظ عليه. وبالنسبة إلى حجة الإسلام هاشمي رفسنجاني يكفيه أن يطوي صفحة الحرب ويبدأ حل القضايا العالقة وإذا فعل ذلك يحكم سعيداً. ويحكم طويلاً.

لا حجج بعد الآن أمام حجة الإسلام رفسنجاني. والإيرانيون قبل الآخرين ينتظرون لمعرفة ما إذا كان سيضع ما وعد به موضع التنفيذ. وللتذكير فإنه قبل أيام من الإنتخاب أعلن أنه إذا فاز سيحترم مبدأ "لا شرق ولا غرب" في السياسة الخارجية لإيران وإن بلاده لن تتدخل في شؤون الغير.

لكن الذي كان يدعو إلى الحيرة هو قوله بأنه إذا فاز سيعمل من أجل السلام مع العراق لكن على إيران أيضاً أن تتأهب للدفاع عن نفسها...

ومثل هذا القول كان سيبدو مطمئناً بشقه الأول. لكن الشق الثاني يدعو إلى الحيرة لأن رفسنجاني يتحدث عن ضرورة التأهب للدفاع عن النفس.

وقد يجوز اعتبار هذا الكلام مجرد مادة للإستهلاك الداخلي لا أكثر نتيجة أنه ليس هنالك من يهاجم إيران لكي تدافع عن نفسها وأنها كانت دائماً التي تهاجم وتعتدي وتتدخل وتحتل. وإستمرت الحال هكذا إلى أن حرر العراق أرضه وفرض بالقوة على الحُكم الإيراني القبول بالقرار

والرد على ذلك هو أن كتلة عدم الإنحياز كانت في الدرجة الأولى قضية زعامات متميزة في وجه دول كبرى بصرف النظر عن يحكم هذه الدولة أو تلك، وأن الهالة التاريخية لنهرو ونييتو وعبد الناصر تساوي كثيراً. بل إن الكفة على الصعيد المعنوي كانت تتساوى أحياناً بين العالم الأول والعالم الثاني والعالم الثالث وهذا الأخير هو الذي تنتمي دول كتلة عدم الإنحياز إليه.

ومن هنا نصل إلى أن كتلة عدم الإنحياز تواجه الآن أزمة زعامة. وفي ضوء القمتين السابقتين للكتلة يتبين أن وضع عدم الإنحياز بات باهتاً. وباتت هذه الكتلة أكثر ترهلاً بل إن قدرة الغير على إخراجها باتت أكثر يسراً من قبل.

وقد يقال إن السنوات المتبقية من القرن العشرين لن تكون سنوات صراع دولي في ضوء الوفاق الذي حدث بين القوتين العظميين والذي يترسخ يوماً بعد آخر، وبالتالي فلا خوف بعد الآن من مخاطر على دول عدم الإنحياز تلحق بها من الدول الكبرى.

ومثل هذا الافتراض وارد إلا أنه ليس الافتراض الوحيد. وقد يجوز القول إن الوفاق بين الدولتين العظميين لا يعني أنهما لن تتدخل في شؤون الدول الأخرى التي هي دول عدم الإنحياز. وهذا التدخل السهل في ظل الوضع الحالي ربما يكون سهلاً في ظل زعامة قادرة على أن تقود عالم عدم الإنحياز إلى بر الأمان.

والفرصة الآن متاحة أمام الجيل الثاني. فهل إن قمة بلغراد ستشهد ولادة هذه الزعامة التي نشير إليها؟ إن هذه القمة من النوع الاستثنائي في ظل الظروف الراهنة التي تعيشها حركة عدم الإنحياز. والقول بأنها إستثنائية معناه أنها مطالبة بأن تكون غير تقليدية.

وعلى عاتق الجيل الثاني من زعامات الحركة يقع واجب تحويل القمة من مجرد لقاء تقليدي إلى مناسبة تؤكد فيها الحركة أنها جديرة بأن تكون مؤثرة في القرار السياسي الدولي مثلما كانت الحال أيام نهرو ونييتو وعبد الناصر وغيرهم.

على عاتق صدام حسين وراجيف غاندي وبنازير بوتو وكارلوس منعم ومعمر القذافي وغيرهم يقع هذا الواجب، فما الذي سيفعله هؤلاء؟

وتبقى مسألة في غاية الأهمية وهي أن غياب الزعامة ذات الشأن والإقتدار والهالة التاريخية أوجدت حالة تسيب داخل الحركة نفسها، حيث إن بعض دول الحركة صارت تتدخل في شؤون البعض الآخر، كما أن دولاً أخرى داخل الحركة إنتهزت ظروفها وأزمات ثنائية فإتخذت مواقف من نوع المواقف التي

يمكن أن تتخذها الدول الكبرى.

وبعيداً عن التسميات يمكن القول إنه خلال الحرب العراقية - الإيرانية مارست بعض الدول التي تنتمي إلى كتلة عدم الإنحياز أدواراً تتسم بالإنتهازية كانت في معظمها لمصلحة الحُكم الإيراني الذي وضع مخططاً قسرياً بتطويل الحرب. ولو كانت لحركة عدم الإنحياز زعامة قوية لكانت هذه الزعامة أوقفت هذه الأدوار ووضعت القائمين بها أمام أحد خيارين: إما

التخلي عن العضوية أو الإلتزام بشرف التعامل. كما أن هنالك مسألة ثانية تتعلق بالبلد الذي سيستضيف القمة المقبلة. وفي هذا الصدد يجوز القول إن الأسباب التي حالت في الماضي دون انعقاد قمة عدم الإنحياز في بغداد قد زالت بحلول السلام بعد موافقة الطرفين العراقي والإيراني على قرار مجلس الأمن. والمنطق يفرض انعقاد الدورة المقبلة في بغداد خصوصاً أن العراق يحتفظ بحقه في إستضافة هذه القمة.

وإذا كان العراق لن يطالب بذلك فهذا لا يعني أن قمة بلغراد غير مطالبة بأن تكون منسجمة مع نفسها وقرار انعقاد القمة اللاحقة في بغداد.

ومثل هذا الانعقاد يحقق لحركة عدم الإنحياز بعض ما تحتاج إليه، لعدة أسباب، أهمها أن الرئيس صدام حسين يقود بلداً مقتدراً وأنه الرئيس الذي بات في ضوء نتائج الحرب أقوى شأنًا وأكثر حكمة وواقعية، يؤمن بأن حركة عدم الإنحياز مطلوبة كإستراتيجية ومظلة واقية وليست كخطوة تكتيكية.

ولأنه يؤمن بذلك فإن قدرته على تطوير الحركة يمكن أن تحقق ما يبدو أنه مستحيل. وبذلك يستأنف عالم عدم الإنحياز وهج الستينات وفعالية تلك الحقبة البالغة الأهمية والمؤثرة... ولو في الإطار المعنوي.

... وما هو مطلوب من العرب وأصدقائهم كحد أدنى هو دعم هذا الاتجاه.

مجلة "التضامن". لندن - 14 آب (أغسطس) 1989

لمرة الأولى الهيبة العربية وجهاً لوجه أمام الغز السوري

عندما إختارت القمة العربية الإستثنائية التي تم عقدها

في الدار البيضاء من 23 الى 26 أيار (مايو) 1989 لجنة ثلاثية من الملك فهد بن عبد العزيز والملك الحسن الثاني والرئيس الشاذلي بن جديد لكي تأخذ على عاتقها أمر إيجاد حل للأزمة اللبنانية حدث إرتياح لا مثيل له في النفس العربية وساد الاعتقاد بأن هذه الخطوة، إضافة إلى الخطوة الأخرى التي تتمثل بمشاركة الرئيس حسني مبارك في القمة، تشكّلان ملامح إنفراج في العلاقات العربية.

والذي عزز هذا الاعتقاد هو أن مصالحات كثيرة تمت خلال هذه القمة، فضلاً عن أنه تم عقد القمة بالإجماع وشارك الذين كان غيابهم عادة يترك إنطباعاتاً بأن القرار العربي ليس قرار إجماع. وأبرز هؤلاء الرئيس حافظ الأسد والعقيد معمر القذافي، هذا مع الأخذ في الاعتبار أن حضور الرئيسين تم في اللحظة الأخيرة وبعد مشاورات شاقة وراء الكواليس في أكثر من عاصمة عربية.

ومن الطبيعي أن تحدث حالة الإرتياح التي حدثت لأن الأزمة اللبنانية هي حقل الألغام الذي يهدد الوفاق العربي، أو أن هذه الأزمة هي اللغم الأكثر خطراً بين الألغام المزروعة على طريق الوفاق العربي، وأن تعطيل هذا اللغم يفتح الباب واسعاً أمام إلغاء فاعلية بقية الألغام.

وليس مبالغة القول إن البورصة العربية النفسية سجلت حركة نشيطة لمجرد أن تم الإعلان عن اللجنة الثلاثية. فقد إرتفعت المعنويات وبدأ كثيرون يخططون لمرحلة ما بعد الحل في لبنان. فمن لبناني راغب بالعودة، إلى عرب أضناهم الشوق إلى بيروت والجال اللبنانية، إلى شركات أجنبية قاست الكثير في الخارج عندما إضطرتها الظروف الصعبة في لبنان إلى المغادرة وتعتقد أن لبنان هو المكان المناسب لها، إلى أعداد كبيرة من الأجانب الذين تربطهم بلبنان أحلى الذكريات، إلى شركات إستثمار وأصحاب رؤوس أموال يرون في النظام المصرفي اللبناني أفضل مكان للإستثمار، إلى شركات طيران عربية ودولية يستبد بها الحنين إلى الأجواء اللبنانية..

لقد حدث ذلك وحدث ما هو أكثر. وخلال ساعات كانت هنالك أحلام لا حصر لها.

باختصار كان هنالك إحساس بأن الله سبحانه وتعالى سيعوّض الصابرين صبرهم وسيكون هنالك حل على أيدي القادة الثلاثة الذين يملكون من الصفات ما يجيز الإستبشار خيراً بسعيهم. ولعل خبرة القادة الثلاثة والعلاقة التي تربطهم ببعضهم البعض هي إحدى الصفات المهمة. لكن تبقى الصفة الأهم والتي تتمثل في أن الدول الكبرى

تعطي أهمية إستثنائية للقادة الثلاثة. ومن يتعاطى في شأن الأزمة اللبنانية لابد أن تكون جسوره قوية مع الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي وأوروبا. وليس هنالك ما يشير إلى أن جسور القادة الثلاثة ليست قوية.

والى ذلك إن العلاقة بين كل من القادة الثلاثة والقضية الفلسطينية هي من النوع الجيد، وهذا أيضاً في حد ذاته مهم لأنه لا يمكن الفصل بين القضية الفلسطينية والأزمة اللبنانية عند السعي لإيجاد الحلول، أو أن القادة الثلاثة قد يجدون وهم يسعون من أجل حل في لبنان التذكير بالقضية الفلسطينية أو التسريع في إيجاد حلول عادلة تكون بمثابة رد فعل على تيار المرونة الفلسطينية الذي يتزايد شأنه يوماً بعد آخر من دون أن تتأثر مصداقية المواطن الفلسطيني بالقيادة التي تواصل إنتهاج المسلك المرن.

وعندما تقرّر تشكيل اللجنة الثلاثية حدث إرتياح أيضاً داخل مؤسسة القمة العربية، ذلك أن هنالك كثيرين يتألمون لما يحدث للبنان ولا قدرة لهم على أن يفعلوا شيئاً. وعندما تم تشكيل اللجنة فإن هؤلاء شعروا بما يجوز إعتباره راحة الضمير.

ولقد كان الإختيار مدروساً حيث روعي أن تضم اللجنة القادة الذين لهم مكانة في نفوس أطراف الأزمة اللبنانية. ومن حُسن الحظ أيضاً أن التشكيل راعى أمراً أساسياً وهو أن الملك فهد بن عبد العزيز هو رمز المشرق في هذه اللجنة وأن الرئيس بن جديد هو الجناح المغربي. أما الملك الحسن فهو الذي يمكن أن يشكل عنصر المواجهة إذا تطلّب الأمر. ذلك أن سعي اللجنة الثلاثية بعضه بروتوكولي يهتم بأدق تفاصيل اللياقات وبعضه، وفي بعض اللحظات الصعبة، إقتحامي حتى إذا وصل الإقتحام إلى حد إعتقاد الصراحة التي تصل إلى درجة المواجهة.

والى ذلك إن مقدمات تشكيل اللجنة كانت حافلة بالمناقشات والمشاورات الثنائية والثلاثية وبعود كثيرة الوضوح ولا لبس فيها. وكل هذه الأمور في حوزة الملك الحسن الثاني الذي إستضاف القمة والذي قد تتطلب التطورات منه وضع النقاط على الحروف وهو تعبير يمكن أن يكون صيغة مخففة لعبارة «كشف الحقائق والمواقف». ومن المؤكد أن اللجنة ما كانت لتتشكل ويتم الإعلان عنها لو أن القادة الثلاثة لم يكونوا مطمئنين إلى النجاح. ولو كان هنالك شعور بأن اللجنة قد تتعثر لما كانت تشكلت أصلاً.

الملك فهد بن عبد العزيز ما كان سيوافق على قيام

اللجنة لو أنه ليس مطمئناً بما فيه الكفاية إلى النجاح. ونحن نقول ذلك على أساس أن خادم الحرمين الشريفين الذي لا يعقد القمة العربية العادية تحسباً للنتائج وخشية فشل هذه القمة، لا يمكن أن يوافق على اللجنة الثلاثية لو كانت احتمالات الفشل واردة.

والرئيس الشاذلي بن جديد ما كان ليوافق على اللجنة الثلاثية لو لم تكن لديه المعطيات التي تؤكد بأن العلاقة مع سوريا من جهة وتوازن العلاقة مع الأطراف اللبنانية من جهة أخرى إضافة إلى العلاقة الطيبة مع أهل الحُكم في إيران تشكّل عناصر نجاح للجنة الثلاثية، بمعنى أن أياً من أطراف الأزمة لا مصلحة له في عدم التجاوب مع وجهات النظر الجزائرية.

والملك الحسن الثاني ما كان ليوافق على اللجنة الثلاثية لولا المعطيات التي لديه ولولا حرصه على أن القمة الإستثنائية في الدار البيضاء هي قمته بكل معنى الكلمة وأنه يريد تتويج هذه القمة بحل الأزمة التي لا حل لها ونعني بذلك الأزمة اللبنانية.

وللتدليل على ذلك فإن القادة الثلاثة بدأوا العمل على الفور وتلك ميزة جديدة في المساعي الحميدة التي يقوم بها مسؤولون عرب. وبعد إجتماعين في المغرب ثم في الجزائر إنطلقت اللجنة وفي أيادي أقطابها الورقة الأهم وهي أن الحُكم السوري لا يمكن أن يرد طلباً للملك فهد بن عبد العزيز ولا يمكن أن يرد طلباً للرئيس الشاذلي بن جديد وليس من مصلحته في مرحلة الوفاق العربي بملاحمة الجديدة أن يبدو غير متجانس مع الملك الحسن الثاني. وكانت الإنطلاقة مشجعة.

ولم يحدث في تاريخ الدبلوماسية العربية أن بدا وزراء خارجية السعودية والجزائر والمغرب بالانسجام الذي ظهر عليهم. ولقد تصرّف هؤلاء على أساس أن النجاح حليفهم للأسباب التي أوردناها، وأن مهمتهم لن تكون شائكة وأنهم بعد جولتين من الإتصالات سينقلون البشرى إلى القادة الثلاثة ويبدأ الوفاق العربي مسيرة هدفها الإلتحام بالإستقرار.

والذي ساعد على ذلك أن مبعوث الجامعة العربية الأخضر الإبراهيمي تحوّل إلى مبعوث للجنة الثلاثية، وإلى درجة أن الجامعة العربية بدت ولمدة شهر أنها مؤلفة من المملكة العربية السعودية والمغرب والجزائر.

والأخضر صاحب تجربة عريقة في العمل الدبلوماسي والسياسي. وكونه جزائرياً فإنه يستطيع أن يعرف تماماً ما

الذي يريده الرئيس الشاذلي من أطراف الأزمة اللبنانية وبالذات الطرف السوري، وما الذي يحب أن يسمعه من هذه الأطراف.

ومثّل هذا الأمر مهم لأنه لو كان مبعوث الجامعة العربية شخصاً آخر ليس من إحدى الدول الأعضاء لكان بدا أن هذا المبعوث يتصرف بما من شأنه أن يتسبب للجنة بإرتباكات. لكن من حُسن المصادفات أنه جزائري وأن رئيسه عضو في لجنة الحكماء.

ما الذي كان في أيادي اللجنة الثلاثية من أوراق؟ والرد على ذلك هو أن هنالك ورقة الضغط برفق وورقة الإقتدار وورقة إعادة الإعتبار إلى الهيبة العربية، أو فلنقل عدم تعريض هذه الهيبة بعد الإنجاز الذي تم التوصل إليه في قمة الدار البيضاء إلى الخذلان والخطر.

أما ورقة الضغط برفق فإنها تستند إلى أن كل أطراف الأزمة اللبنانية محتاجون وأن الضغط في هذه الحال فعّال. وأما ورقة الإقتدار، فلأن الذي يحتاج إلى الضغط يجب أن يكون على درجة عالية من الإقتدار المالي أو السياسي. وتبقى ورقة إعادة الإعتبار إلى الهيبة العربية. ولقد قرأ القادة الثلاثة في عيون الملوك والرؤساء في الجلسة قبل الختامية للقمة الإستثنائية في الدار البيضاء ما يشبه السؤال والطلب.

أما السؤال فهو: متى ستبدؤون؟

وأما الطلب فهو: هل ستعيدون الإعتبار إلى الهيبة العربية التي حدّث الكثير من التلاعب بها من جانب البعض؟

لكن الذي حدّث بعد الجولة الثانية من الإتصالات التي قام بها وزراء خارجية الدول الثلاث ترك إنطباعاً بأن الكلام الذي قيل في شكل أو آخر في الدار البيضاء حدّث تتصل تدريجي منه في دمشق.

والتنصل نوعان. إفتعال التصعيد في لبنان. والتعامل مع اللجنة ببطء وكأنما هذه اللجنة ليست رمز القرار العربي، وكأنما القمة الإستثنائية في الدار البيضاء كانت مجرد قمة لياقات وليست قمة الحسم المطلوب للأزمة اللبنانية التي تكاد تفجّر الوضع العربي.

وأنقل في هذه المناسبة عبارة سمعتها من مسؤول عربي كبير وهي: «إن القمة الإستثنائية في الدار البيضاء تبدو وكأنها هي القمة التي تم عقدها فقط لتشكيل اللجنة الثلاثية» بمعنى أن هدف القمة هو تشكيل اللجنة.

ومن هذا المسؤول سمعتُ أن الملك فهد بن عبد العزيز

قال للرئيس حافظ الأسد ما معناه: كفى، عليكم بالإنسحاب من لبنان.

ومن مسؤول آخر سمعت أن الرئيس حافظ الأسد بعدما بلغه أن هنالك سعيًا لتشكيل لجنة تحل محل اللجنة التي تشكّلت برئاسة وزير خارجية الكويت الشيخ صباح الأحمد الصباح وإنتهت مثخنة الجراح لكثرة السهام السورية المباشرة وغير المباشرة التي وُجّهت إليها، هو الذي ألح على الملك فهد من أجل أن يشارك في اللجنة، وأن الملك إزاء هذا الإصرار إعتبر أن الحُكم السوري في ضوء مساعي الوفاق العربي المستجد يريد بالفعل أن ينفذ اليمين من الأمانة اللبنانية، وأنه ليس هنالك أفضل من هذه اللجنة للتوصل إلى الحل عن طريقها وذلك لما للحُكم السوري من علاقة طيّبة مع كل من المملكة العربية السعودية والجزائر.

وعلى هامش الزيارة التي قام بها رئيس دولة الإمارات الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان إلى بريطانيا قبل أيام ترددت في أوساط دبلوماسية وسياسية عربية وبريطانية معلومات تؤكد ذلك.

وعندما قام الشيخ زايد بزيارته سمعت شخصية عربية دبلوماسية مرموقة منه في معرض تشخيصه للوضع العربي الراهن وجهة نظر خلاصتها: «إننا عندما اخترنا الملك فهد للجنة الثلاثية فلتقنتا به وهو أهل لهذه الثقة. إننا كلنا معه وندعمه وننتظر حلاً لهذه الأزمة ونجاحاً للمهمة التي كُلّفت القمة بها الأخوة الملك فهد بن عبد العزيز والملك الحسن الثاني والرئيس الشاذلي بن جديد».

وقول الشيخ زايد يعني أحد احتمالين.

الأول هو أنه يريد القول بأن دول الخليج هي مع اللجنة إلى أن تتجح وأن إخفاقها هو إخفاق لرغبة دول الخليج. الثاني هو أنه يريد القول بأن وجود الملك فهد في اللجنة معناه أنها ستجح في نهاية المطاف وأنه إذا تطلّب الأمر مساندة خليجية للجنة فإن دولة الإمارات جاهزة.

والى ذلك إن كلام الشيخ زايد معناه أن فشل اللجنة الثلاثية غير وارد، ومعناه أيضاً أن تأجيل الزيارة التي كان سيقوم بها الملك فهد بن عبد العزيز إلى واشنطن هو بهدف إنجاز المرحلة الأخيرة من المهمة التي تقوم بها اللجنة الثلاثية، وأن خادم الحرمين الشريفين يرى أن يقوم بالزيارة الأولى للولايات المتحدة في عهد بوش وقد وضع المشكلة اللبنانية على طريق الحل بمساعدة الملك الحسن الثاني والرئيس بن جديد ودغم عربي له صفة الإجماع،

فضلاً عن أن الجزء الثاني من الزيارة سيكون خاصاً حيث إستقر الرأي على إجراء عملية جراحية في ركبة الملك تليها فترة نقاهة. ولا يريد الملك أن يكون ذلك على حساب المشكلة اللبنانية.

كان هذا هو الإنطباع الظاهر على السطح. لكن الأمور في الواقع كانت عكس ذلك حيث أن التصعيد مستمر في لبنان وليس هنالك ما يشير إلى الرغبة في تسهيل مهمة اللجنة.

وقد لفت الأخضر الإبراهيمي نظر المسؤولين في سوريا بما له من مونة عليهم إلى أن أعضاء اللجنة الثلاثية - وهم هنا وزراء خارجية السعودية والمغرب والجزائر - ليسوا ممتتين من الدعم السوري لمهمتهم.

وهو لم يقل «الموقف السوري» وإنما «الدعم السوري» وذلك على أساس أن هذه المخاطبة الدبلوماسية قد يفهمها السوريون وبالتالي يتفهمون بعض الشيء ما هي الآثار الناشئة عن التعثر.

ولم يكف الوزراء الثلاثة سي الأخضر بذلك وإنما بادر وهدفه تسريع المهمة. والتسريع في نظره هو وقف إطلاق النار وإطلاق تصريحات تعبّر عن حُسن النية والرغبة المؤكدة في إيجاد حلول.

كما أنه بادر وفي تقديره أن للجزائر مكانة في نفس الحُكم السوري ولذا فإن كلامه قد يُفهم على أنه رغبة جزائرية.

واقترض الإبراهيمي أن الحُكم السوري تلقى الرسالة بتفهم. لكن ذلك لم يحدث.

وبدأت الأمور تتعقد بعض الشيء. وفي الوقت الذي كان هنالك ما يشبه العد العكسي لدى الناس لإعلان الأنباء السارة كان لدى بعض مراكز القرار العربي معلومات مفادها أن وزراء خارجية السعودية والمغرب والجزائر وصلوا إلى طريق مسدود وأنهم في صدد إعداد بيان عن مهمتهم يضعون فيه النقاط على الحروف.

وكان الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات أول من لاحظ التعثر قبل أيام من صدور بيان وزراء الخارجية الثلاثة. فقد كان الرئيس عرفات في زيارة إلى المغرب وقرأ في قسّمات وجه العاهل المغربي قبل أن يسمع عنه، الضيق الكبير في نفس الملك لأن الرئيس الأسد لم يساعد في إنجاح مهمة اللجنة.

وفي الوقت نفسه كان هنالك البعض الذي قابل الرئيس الشاذلي في الفترة نفسها وقرأ في قسّمات وجهه قبل أن

يسمع منه ضيقاً مماثلاً لضيق العاهل المغربي.

وبات واضحاً في ضوء ذلك أن اللجنة الثلاثية قد تعثرت. وجاء بيان وزراء الخارجية يوم الثلاثاء الأول من آب (أغسطس) 1989 ليؤكد ذلك.

وكان البيان مطالعة كثيرة الوضوح مع أنها اعتمدت في معرض تحديد المسؤولية أسلوب القراءة بين السطور. لكن على رغم هذا الثاني أوضح البيان أن الطرف السوري هو المسؤول عن التعثر. ويمكن تلمس ذلك من خلال إشارة البيان إلى أن اللجنة «وضعت خطة عمل ترى أنها تتسم بالعدالة والعقلانية لمعالجة الأزمة اللبنانية من كل جوانبها الداخلية والخارجية» ومن خلال عبارة وردت في البيان وهي «طبقاً لمنظور سوريا فإن مسألة بسط السيادة اللبنانية يجب ألا تُحسم مسبقاً وفق فترة زمنية محددة وإنما يجب أن يترك هذا الأمر إلى ما بعد قيام حكومة الوفاق الوطني. ومن الواضح أن التوجه السوري في هذه المسألة لا يتفق مع المفهوم الذي طرحته اللجنة والذي يقوم على أنه إذا ما أُريد لموضوع الإصلاحات السياسية الذي تدعو إليه أطراف متعددة في لبنان أن يسير قدماً فلا بد أيضاً إستجابة لمطالب أطراف لبنانية أخرى من معالجة مسألة بسط سيادة الدولة اللبنانية على النحو الصريح والواضح الذي إعتمدته اللجنة في وثيقتها المقترحة. أما في ما يخص مستقبل العلاقات السورية - اللبنانية فقد إعتبرت سوريا أن مقترح اللجنة لا ينسجم مع منظورها إلى ما يجب أن تكون عليه هذه العلاقات من النواحي الإستراتيجية والأمنية والإقتصادية وغيرها...».

وعلمياً إن اللجنة الثلاثية لم تتهم الحُكم السوري بأنه الذي يعرقل لكنها في الوقت نفسه إتهمتها. وإذا كانت اللغة الدبلوماسية أوجبت تخفيف الإتهام فلأن وزراء الخارجية الثلاثة أخذوا في الإعتبار أن أمام الحُكم السوري فرصة ثلاثة أشهر لكي يعيد النظر في موقفه وأن البيان الذي صدر هو بمثابة تلويح بإمكانية إصدار البيان الأقوى والحاسم لاحقاً.

وتجدر الإشارة إلى أن المهلة المحددة للجنة الثلاثية لإنجاز مهمتها تنتهي في تشرين الثاني (نوفمبر) لكن ذلك لا يعني أن تنتهي في الشهر الأخير أو الأسبوع الأخير أو اليوم الأخير أو الساعة الأخيرة. فاللجنة لجنة حكماء ولجنة لا يجوز لها أن تظهر أمام الرأي العام العربي بغير الصورة التي يجب أن تكون عليها. ثم إن هذه اللجنة تمثل الإجماع العربي الذي كان في القمة الإستثنائية في الدار

البيضاء من 23 إلى 26 أيار (مايو) 1989 أكثر إصراراً من أي وقت مضى على ضرورة إنجاز الحل العربي للأزمة اللبنانية، ومن أجل ذلك جاء إختيار الحكماء الثلاثة الملك فهد بن عبد العزيز والملك الحسن الثاني والرئيس الشاذلي بن جديد، وإلى ذلك إن هؤلاء القادة ليسوا وسطاء وإنما هم رمز الحل والربط ودورهم ليس إقناع هذا الطرف أو ذاك وإنما وضّح خطة والطلب من الأطراف المعنية الموافقة عليها وبذلك يتحقق الحل. وهم وضّعوا الخطة التي وصفها بيان وزراء خارجية الدول الثلاث بأنها «تتسم بالعدالة والعقلانية».

وإلى ذلك إن الحكماء الثلاثة هم رمز الهيبة العربية ولا يجوز حرصاً على مصداقية المواطن العربي بالقرار العربي أن تهتز هذه الهيبة في شكل أو آخر.

ونجد أنفسنا هنا ونحن نتحدث عن هيبة القرار العربي نتذكر محاولة إستهانة بهذه الهيبة حدثت قبل إحدى عشرة سنة.

كان ذلك يوم السبت 4 تشرين الثاني (نوفمبر) 1978 عندما إختارت القمة العربية المنعقدة في بغداد وفداً يتوجه إلى القاهرة لتسليم الرئيس (الراحل) أنور السادات رسالة من القمة العربية تحمل توقيع رئيسها (الراحل) أحمد حسن البكر.

وكان الوفد يضم رئيس وزراء لبنان (زمنداك) الدكتور سليم الحص وطارق عزيز (عضو مجلس قيادة الثورة في العراق) والراحل أحمد اسكندر احمد (وزير الإعلام السوري زمنداك) وأحمد خليفة السويدي الذي كان يشغل منصب وزير خارجية دولة الإمارات.

ومثلما أن اللجنة الثلاثية لحل الأزمة اللبنانية وضعت «خطة عمل عادلة وعقلانية» ورفضها الحُكم السوري فإن لجنة قمة بغداد التي توجهت إلى القاهرة عام 1978 نقلت إلى الرئيس السادات إقتراحات عادلة وعقلانية أيضاً. وللتذكير فإن الرسالة التي حملت توقيع رئيس القمة أشارت إلى الضرر الذي تلحقه بالعمل القومي إتفاقيات كامب ديفيد وناشدته العودة عنها. وتضمنت الفقرة الأخيرة من الرسالة الآتي «إن الامة العربية ومن خلال ما قرره ملوك ورؤساء وأمراء الدول العربية على إستعداد لأن تقدّم لمصر كل ما يجعلها قادرة عل مواصلة النضال إلى جانب أشقائها العرب وكل ما يحمي كرامة الشعب المصري وقد تضمّن المشروع المقدم إلى إجتماع القمة ما يؤكد هذا الإلتزام...».

وفي القاهرة عومل الوفد بالكثير من الإستهانة، وهناك الرئيس الحص وطارق عزيز وأحمد خليفة السويدي أحياء يُرزقون ويستطيع الواحد منهم على رغم مضي إحدى عشرة سنة عل هذه المهمة أن يتحدث بالكثير من المرارة عن تلك الإستهانة من جانب الحُكم المصري بالهيئة العربية ممثلة بالملوك والرؤساء والأمراء المشاركين في قمة بغداد. واللافت للإنتباه أن أحد هؤلاء وهو الرئيس الحص الذي لمس حجم الإستهانة بالهيئة العربية من قبل مصر عام 1978 إعترض على الدعوة لعقد قمة عربية تناقش الآثار المترتبة عل فشل اللجنة الثلاثية مع أنه لم يشارك إضطراباً في قمة الدار البيضاء، وليس واضحاً ما إذا كان في إستطاعته أن يشارك في القمة اللاحقة إلا إذا كان إعتراضه على الدعوة إلى القمة نابعاً من مشاعر المرارة إزاء عدم قدرته على المشاركة في مؤتمر لابد يؤمن في قرارة نفسه بأن الحل هو فقط في هذا المؤتمر وما تليه من مؤتمرات.

وثمة ما يجوز قوله الآن وهو أن الإستهانة بوفد قمة بغداد هو الذي أنجحها، الأمر الذي يعني أن إستهانة الحُكم السوري بالخطة العربية التي وضعتها اللجنة الثلاثية ولم يسجل أي طرف عربي إعتراضاً عليها، الأمر الذي يعني أنها موضع التأييد الكامل، ستجعل القمة العربية المقبلة تتعقد وتتجح وتتخذ من القرارات ما يؤكد أن العرب في كفة وسوريا وحدها في كفة إزاء موضوع سيادة دولة عربية ومصيرها.

وهذه القمة ربما لا تتعقد إذا حدثت قراءة ثانية من جانب الرئيس الأسد للموقف وتبعت القراءة نظرة إلى هذا الموقف تتسجم مع النظرة العربية الشاملة أو تكون جزءاً منها.

أما إذا لم يحدث ذلك وفي فترة زمنية لا تتجاوز الثلاثة أشهر فإن الهيئة العربية ستجد نفسها للمرة الأولى وجهاً لوجه أمام اللغز السوري. وعندها ستكون المصارحة هي الأساس.

ويبقى إستكمالاً لهذا الموضوع الذي يمكن أن تُكتب فيه عشرات الصفحات سؤال:

لمصلحة من إفشال لجنة لم نصق أنفسنا عندما سمعنا أنها تشكلت وحمنا الله عندما بدأت مهمتها وأصابنا شيء من الذعر عندما أصدر وزراء خارجية السعودية والمغرب والجزائر البيان الذي أذاعه يوم الأول من آب (أغسطس) الجاري وفيه ما يكفي من الوضوح إلى أن الحُكم السوري

يوصد الأبواب أمام الحل العربي العادل والعقلاني؟ وقد تكون الإجابة العربية غير متيسرة الآن لدواعي تقادي قطع الخط الرفيع الذي يربط اللجنة الثلاثية بسوريا. لكن ضرورات الهيئة العربية تُحتم أن تكون هنالك إجابة. ويبقى أن النتيجة التي توصلت إليها اللجنة الثلاثية أنصفت المهمة التي قام بها من قبل نائب رئيس وزراء الكويت ووزير الخارجية الشيخ صباح الأحمد الذي سعى بصدق وعمل حتى اللحظة الأخيرة لكنه كان يصطدم بما إصطدم به بعد ذلك زملاؤه الأمير سعود الفيصل وعبد اللطيف الفيلالي وبوعلام بسايح ومعهم الأخضر الإبراهيمي وهو أن الحل مستحيل ما دامت المعادلة على حالها.

وخلاصة هذه المعادلة أن اللجنة الثلاثية (ومن قبلها اللجنة التي ترأسها الشيخ صباح الاحمد) تريد حل مشكلة لبنان بينما الحُكم السوري يريد كل لبنان.

وبينما اللجنة تعلن بوضوح أنها تريد تحقيق ما تراه فإن الحُكم السوري لا يعلن أنه يريد كل لبنان، لكنه يمارس ذلك. ولو كانت المسألة مسألة خصوصية في العلاقة بينها من لبنان ومسألة تنسيق أمني وسياسي لما كان الأمر شاقاً. ففي خلال ثلاثة أشهر بات هنالك ما هو أكثر من الخصوصية وفي كل المجالات بين دول «مجلس التعاون العربي» و «إتحاد المغرب العربي» ومن قبلهما «مجلس التعاون لدول الخليج العربية» ومن دون أن تتأثر سيادة وكرامة أي دولة من الدول المشاركة في هذه المجالس.

لكن الحُكم السوري يريد كل لبنان.

وهو عندما تقرر في الدار البيضاء تشكيل اللجنة الثلاثية لم يكن يتوقع حدوث ذلك.

وبعدما تم الإتفاق على اللجنة أيدھا وطالب وألح في الطلب بأن يكون الملك فهد بن عبد العزيز فيها.

لكن بعدما بدأت اللجنة سعيها المشكور بدأ التصعيد لتقويضها معتمداً على ماذا؟

لا ندري.

ولكن ما هو متوقع حدوثه أحد الإحتمالات الثلاثة:

أ أن يعيد الحُكم السوري النظر في موقفه ويعتبر الحل الذي طرحته اللجنة الثلاثية هو المثالي الذي ليس هنالك أفضل منه لأن كل الدول العربية في هذه الحال شريكة في المصير اللبناني وفي علاج مشاكله وفي إمتصاص المرارة الناشئة عن سنوات الحرب، فضلاً عن أن هذا الحل يمكن أن يكون مثل الحل الذي تقرر على هامش قمة الخرطوم عام 1967 للتورط المصري في اليمن.

يحدث أن كانت الأكثرية الساحقة لدول العالم العربي في جانب ومن الجانب الآخر دولة واحدة فقط. والدولة هنا هي سوريا.

وحتى عندما قرر الرئيس (الراحل) أنور السادات أن ينفرد بصلح مع إسرائيل تحت رعاية الولايات المتحدة فإن العالم العربي لم يشهد الحالة التي نشير إليها. ذلك أنه عند اتخاذ قرار العقوبة في حق نظام الرئيس السادات كان هنالك من إختار البقاء إلى جانبه. كما أن عدداً من الذين وافقوا على مبدأ العقوبة ثم على نوعيتها إستمروا ضمناً تاركين في نفوسهم الكثير من الود لمصر. وترك البعض هامشاً من الإستعداد لمساندة الحُكم المصري في حال إتخذ قراراً بإعادة النظر في التوجه الذي إختاره إزاء الصراع العربي - الإسرائيلي.

وإلى ذلك إنه عند إتخاذ قرار العقوبة حدث نوع من الفرز بين الموقف الذي إتخذه النظام المصري وبين المصريين كمواطنين بصرف النظر عن إبتهاج هؤلاء غير المدروس والسابق لأوانه بالخطوات التي إتخذها رئيسهم. وبسبب هذا الفرز إستمرت الأبواب العربية مفتوحة أمام المصريين الباحثين عن فرص عمل لم توفرها لهم الوعود التي أشاعها الرئيس السادات وأبرزت وسائل الإعلام المصرية محاسنها من دون أن يكون هنالك بعض التبصر أو بعض التحفظ الذي يُبقي مجالاً للتراجع.

لقد إستمرت الأزمة المشار إليها مقتصرة على الرئيس السادات من جهة وعلى أكثرية العرب من جهة أخرى، إلا أنها لم تشمل كل الدول العربية كما هي حال الأزمة الراهنة بين الأكثرية الساحقة من الدول العربية في طرف والحُكم السوري في طرف آخر.

وقبل أن تُصدر اللجنة الثلاثية العربية بشخص وزير خارجية كل من المملكة العربية السعودية والمغرب والجزائر تقريرها كان الأمر مجرد تباين في وجهات النظر وكان من السهل إحتواء هذا التباين. لكن بعد صدور ذلك التقرير يوم 31 تموز (يوليو) 1989 باتت المسألة أزمة كان من الممكن إحتواء نقاط التفجر فيها لولا أن الحُكم السوري قام، إذا جاز القول بـ "قصف" التقرير العربي الذي يتسم بالحكمة، بعبارات جارحة من بينها وصف هذا التقرير بأنه ليس موضوعياً وليس نزيهاً كما الإستنتاجات فيه غير صائبة.

وإذا كان التقرير الثلاثي إكتفى ببعض الإشارات على أمل أن ينبّه الحُكم السوري ويسهّل عملية وضْع الحل

ونقول ذلك على أساس أن الطرف المطلوب منه تغيير موقفه هو الحُكم السوري لأن اللجنة الثلاثية حددت وبشكل حاسم أن خُطتها التي وضعتها «تتسم بالعدالة والعقلانية»، وهذا يعني أنها لا يمكن أن تعود وتضع خطة جديدة، وأن الخطة هي برسم التنفيذ وليست قابلة للنقاش كما يريد الحُكم السوري. أما الإحتمال الثاني فهو أن تتعقد القمة العربية بعد إنقضاء المهلة التي تم تحديدها للجنة الثلاثية وتصل إلى صيغة مثل القمة التي عقدها عبد الناصر في القاهرة عام 1970 وحقق فيها الوفاق الأردني - الفلسطيني. أو تتخذ - في حال رفض سوريا المشاركة - قراراً بتشكيل قوة عربية فضلاً عن بعض القرارات ذات الطابع السياسي والتي تتمشى مع ميثاق الجامعة العربية.

وإما لا سمح الله يحدث ما هو أعظم وتكون الدول العربية طرفاً فيه.

ولعلنا من هنا كنا نتمنى لو أن الملك فهد بن عبد العزيز كان مسانداً للجنة وليس عضواً فيها. ذلك أنه عندما تتعثر لجنة لا يكون الملك فهد عضواً فيها يبقى لدينا الأمل بأنه عندما سيتدخل فإن الحل يصبح ممكناً والحال يصبح أفضل، لكن عندما يحدث التعثر ويكون الملك فهد عضواً في هذه اللجنة فهذا يعني أن الأحوال لن تكون على ما يرام. وكنا نتمنى لو أن الملك حسين كان هو الركن الثالث في هذه اللجنة.

وكان بحرصه وخبرته وتجربته المبررة عام 1970، وبالعلاقة الوثيقة التي تربطه بأطراف الأزمة. والأهم من ذلك كله بمساندة الملك فهد له في السراء والضراء.

مجلة "النضام". لندن - 14 آب (أغسطس) 1989

* * *

أول أزمة من نوعها في تاريخ العلاقات العربية

لم تعد الأزمة التي تعصف بلبنان منذ أربع عشرة سنة أزمة لبنانية - لبنانية ولا هي أزمة لبنانية - سورية وإنما باتت أزمة سورية - عربية.

ومثل هذا الأمر يحدث للمرة الأولى في تاريخ العلاقات العربية - العربية، ذلك أنه طوال الأربعين سنة الماضية لم

السوري من لبنان على طريقة إخراج الحُكم المصري عام 1967 من اليمن.

وإما أن الحُكم السوري يعتبر أن لبنان شأن داخلي وأنه ليس من حق العرب أن يتدخلوا في الشؤون الداخلية السورية. والذي يعزز هذا الإحتمال هي التصريحات التي سبقت تقرير اللجنة الثلاثية ثم التصريحات التي تبعت صدور هذا التقرير وبالذات تصريح اللواء حكمت الشهابي الذي يتحدث عن لبنان وكما لو أنه شأن داخلي سوري.

وإذا تطور الإحتمال الثاني إلى أمر واقع تصبح الأزمة عبارة عن أزمة عربية - سورية في البداية ثم ما هو أعظم بعد ذلك.

وقانا الله من شر ما هو أعظم.

مجلة "التضامن". لندن - 21 آب (أغسطس) 1989

* * *

الحوار المستحيل بين الشرعية والتمرد

منذ أن إختار العقيد جون قرنق لحركة التمرد التي قام بها في السودان تسمية "الجيش الشعبي لتحرير السودان" كان واضحاً أن أي نظام يحكم السودان لن يقبل بالتفاوض معه إذا كان هذا النظام سينظر إلى التسمية بما يمثلته معنى كلماتها.

وهذه التسمية تعني أن السودان الذي هو شبه قارة يحتاج إلى التحرير لأنه مرتَهَن لهذا الطرف أو ذاك. ومن المؤكد أن التسمية تثير حساسية أي فريق يحكم السودان سواء كان هذا الفريق الذي يحكم عسكرياً أو كان من المدنيين.

ولو أن العقيد جون قرنق كان ماركسياً وإختار هذه التسمية لحركة التمرد على الشرعية التي قام بها لكان من الجائز فهم ذلك. لكن قرنق يميني ومتطرف في توجهه هذا، كما أن معظم مستشاريه وأهمهم على الإطلاق الدكتور منصور خالد من جماعة اليمين. وهو لو لم يكن يمينياً لما كان إستطاع أن يجد من يصغي إليه ويساندته في الولايات المتحدة ومعظم الدول الأوروبية.

وفي الفترة التي تلت حُكم الرئيس جعفر نميري لم يحدث قبول بالعقيد جون قرنق ليس لأن تلك الفترة إنتقالية، وليس لأن قرنق يطالب بإلغاء القوانين الإسلامية، وإنما

للأزمة اللبنانية، ومع ذلك رد الحُكم السوري بشخص وزير الخارجية فاروق الشرع بالقول، إن التقرير يفقد إلى الموضوعية والنزاهة وإلى الصواب، فماذا كانت نوعية الرد لو أن وزراء خارجية المملكة العربية السعودية والمغرب والجزائر، الذين ضغطوا على مشاعرهم كثيراً من أجل أن يقولوا في التقرير الحد الأدنى من التشخيص الذي يسهل مهمة قادة اللجنة، أوردوا حقيقة الوضع من خلال الإستنتاجات التي توصلوا إليها؟ وهذه الإستنتاجات قوية لخلوها من التباين، بمعنى أنها من المرات القليلة في تاريخ المهمات السياسية العربية التي تكون فيها الإستنتاجات، التي تسبق وضع تقرير، متجانسة بنسبة مئة في المئة. إن تقرير اللجنة الثلاثية أشار إلى الحد الأدنى، وأبقى على الخيط الرفيع في الأصل سليماً.

وحرص أن يكون بمثابة رسالة يقرأها الحُكم السوري بالكثير من التأنى ويتصرف بما يبقي العلاقات العربية بعيدة عن مخاطر التفجر.

لكن الذي حدث هو أن القراءة لم تكن متأنية. وسواء كان ذلك عن قصد، أو أن الأمور سارت في هذا الإتجاه، فإن الحُكم السوري تصرف بما جعل الموقف كثير التعقيد. فنحن الآن أمام وضع جديد لم يحدث من قبل.

نحن أمام أزمة من طرفين.

العالم العربي بكل دوله من جهة والحُكم السوري من جهة أخرى.

وفي الماضي كان الحُكم السوري يمارس المناورة ويحقق أغراضه وذلك على أساس الإطمئنان إلى أن ثلث الدول العربية على الأقل معه أو أنها ليست ضده.

أما بعد تقرير اللجنة الثلاثية والرد الخشن على هذا القرار فإن الوضع تغير أو على الأقل يفترض أنه تغير.

وما يمارسه الحُكم السوري في لبنان منذ صدور ذلك التقرير يعني أحد إحتمالين:

إما أن هذا الحُكم إعتبر ذلك الرد إيذاناً بعزلة عربية سيحاول تخفيف وطأتها بممارسة الورقة الأخيرة لديه وهي إجتياح كل بقعة يمارس عليها العماد ميشال عون سلطته الشرعية. ومن أجل ذلك قد يحدث هذا، علماً بأن شرعية العماد ميشال عون هي في شخصه وفي بقائه حياً وليس في حجم المناطق التي تقع تحت سيطرته. وبعد هذا الإجتياح يكون الحُكم السوري في الموقع الأقوى عندما تتعقد القمة العربية وتتخذ ما تتخذه من قرارات. وهذه القرارات لن تكون أكثر من قرار واحد يقضي بإخراج الحُكم

لأنه في نظر الفريق أول سوار الذهب وبمفهومه للأصول والإنضباطية داخل الجيش مجرد ضابط أعلن العصيان على المؤسسة العسكرية وإختار التمرد على الشرعية مستقطباً لهذا الغرض أعداداً من العسكريين الجنوبيين. وإستمر رمزا الفترة الإنتقالية الفريق أول سوار الذهب ورئيس الوزراء الدكتور الجزولي دفع الله ينظران إلى جون قرنق على أنه يقود تمرداً وأنه يمثل حركة عصيان على الشرعية. ومن أجل ذلك تعثرت إمكانية إجراء حوار مع قرنق.

وبعدما تسلم الحزبان الكبيران في السودان (الأمة والإتحادي) الحُكم إفترض أقطاب الحزبين، وبالذات الصادق المهدي وعثمان الميرغني، أن جون قرنق يجب أن يرحب بالعهد الجديد ويتخلّى عن التسمية الإستفزازية (في نظرهما) للحركة التي يقودها وهي "الجيش الشعبي لتحرير السودان" وإفترضا أيضاً أن التحرير الذي ينادي به قد تحقّق (من وجهة نظرهما) ما دام تم إسقاط حُكم الرئيس جعفر نميري. ولم يتوقع رمزا حُكم الحزبين أن يكون رد فعل قرنق على هذا الحُكم هو المزيد من التصعيد الذي وصل إلى حد إطلاق النار على الطائرات المدنية وإحتلال بعض المدن ورفع شعار إلغاء القوانين الإسلامية الذي كان حدّث بعض التآني في مسألة الإصرار على طرحه نتيجة نصائح بعض المستشارين. وإستمر الإثنان على مدى سنتين ينظران إلى جون قرنق على أنه يقود تمرداً وأنه يمثل حركة عصيان على الشرعية. ومن أجل ذلك تعثرت في البداية إمكانية إجراء حوار معه. ثم عندما أنجز محمد عثمان الميرغني خطوة متقدمة في إتجاه الحوار بين الحكومة وحركة قرنق، إعتبر الصادق المهدي أن مجرد الحوار مع قرنق، بصفة كونه زعيم "الجيش الشعبي لتحرير السودان" فيه إنتقاص من الهيبة والسيادة والشرعية. ومن أجل ذلك، ولأسباب أخرى، تعثّر الحوار وذلك لإستحالة الحديث بين ضابط مسيحي ورئيس وزراء له هالة دينية حول قوانين إسلامية يطالب هذا الضابط بإلغائها، من دون أن يعني ذلك أنه ليس هنالك ضباط وسياسيون مسلمون يطالبون - على الأقل ضمناً - بإلغاء هذه القوانين أو تعديلها. من أجل ذلك أيضاً بقي جون قرنق مجرد ضابط في الجيش برتبة عقيد يقود حركة التمرد.

وبعد سقوط حكم الحزبين وقيام حُكم جديد تقوده مجموعة من الضباط الذين إختاروا لحركة التغيير التي قاموا بها تسمية "ثورة الإنقاذ" من جهة وحركة قرنق من

جهة أخرى، أن ينجزا ما كان مستحيلاً تحقيقه في الماضي، أي الجلوس معاً إلى طاولة المفاوضات وبدء الحوار الذي يمكن أن يستمر على أساس أنه بين عسكريين يفهمون لغة واحدة كما كانت الحال في السابق.

لكن مثل هذا الأمر لم يحدث لعدة أسباب أهمها أن الذين تسلموا الحُكم قاسوا الكثير من قرنق وتصدوا له بضعة أشهر وسقط من زملائهم كثيرون ضحية العمليات التي قامت بها قوات قرنق فضلاً عن أنهم جاءوا إلى الحُكم على أنقاض إخفاق حُكم الحزبين في التعامل الحازم مع قرنق.

والى ذلك إن الذي جعل ضباط الإنقاذ يرون عدم التآور مع قرنق هو نظرهم له بأنه يقود تمرداً وأن تسمية حركته "الجيش الشعبي لتحرير السودان" لا تخلو من الإستفزاز. وهذه النظرة سببها أنهم صاروا حكماً. والحاكم لا يرى في الذين يعملون ضمن حركات التغيير سوى أنهم متربدون على الشرعية.

من هنا نصل إلى أنه ما دام الذين يحكمون في السودان يعتبرون جون قرنق مجرد ضابط متمرد وخارج على طاعة الولاء للشرعية والإنضباط، فإن هذا يعني أن المشكلة ستستمر وسيكون هنالك المزيد من الإستنزاف.

وعندما تصل الحال بالعقيد قرنق إلى أن يطالب يوم 15 آب/ أغسطس الجاري في حديث إذاعي يحل المجلس العسكري الذي يرأسه الفريق عمر حسن البشير كشرط لإحلال السلام في جنوب السودان فهذا معناه أن قرنق يشكو من النظرة إليه على أنه مجرد تمرد. وهو بهذه المطالبة قطع الخيط الرفيع بين الحُكم في السودان والحركة التي يقوم بها ووضع "ثورة الإنقاذ" أمام خيارين أحلاهما مر: إما مواجهة قرنق والرد على التصعيد في لهجة التخاطب والشروط التعجيزية بعمليات عسكرية تضعه في موقع الطرف الضعيف، وهذا أمر قد يطول ويتحول إلى حالة إستنزاف، وإما التآور معه على رغم مطالبته بحل المجلس العسكري أي الشرعية التي تحكم السودان بقيادة الفريق عمر حسن البشير وهي مطالبة تشبه إلى حد كبير مطالبة الحُكم السوري وجماعته السياسية في لبنان بإسقاط حُكم العماد ميشال عون كشرط لإحلال السلام في لبنان.

ومن السودان إلى لبنان يبدو السلام حالة مستعصية. وسيستمر على هذه الحال ما دام الذين يتدخلون في شؤون البلدين يضغفون على الإرادة الوطنية إلى حد تعطيلها. وما دام التفكير بإنفصال يغلب على الواقعية.

ويا ليت الجميع يتأملون في أحوال العالم.
ويا ليتهم يراقبون العبر وما أكثرها. ويعتبرون.

مجلة "التضامن". لندن - 28 آب (أغسطس) 1989

* * *

الأخ معمر يدخل نادي الحكام المعمرين

مع بداية أيلول (سبتمبر) 1989 يدخل العقيد معمر القذافي نادي الحكام المعمرين.

وتشاء المصادفة إن العقيد القذافي الذي شاع لقبه بـ "الأخ معمر" ينهي العام العشرين له في الحكم ويبدأ العام الواحد والعشرين في الوقت الذي يتزايد الحديث بين الناس عن بدء العد العكسي لدخول القرن العشرين وولادة القرن الواحد والعشرين.

وطوال عشرين سنة والأخ معمر هو أحد قلائل شغلوا الدنيا العربية والدولية إلى درجة أنه بات جزءاً من مفردات السياسة الدولية.

والذين يعمرّون في الحكم هم إما الملوك وإما الذين يميلون بطبعهم إلى الحكم الهادئ البعيد عن التحديات. والعقيد القذافي ليس من الملوك ولا هو ذلك الحاكم الذي يؤثر الهدوء على أسلوب التحديات. ومع ذلك فإنه يحكم منذ عشرين سنة. ويخطط لما ستكون عليه الدولة في العقد المقبل.

وعند التأمل في الواقع العربي والقادة الذين يحكمون نجد أن العقيد القذافي هو الثاني بين المعمرين. أما الأول فهو الملك حسين. هذا مع الأخذ في الاعتبار أن الإثني عشر من النوع الذي واجه من جانب الدول الكبرى أقصى الإختبارات والتحديات. ولقد إستطاع الأول أن يصون عرشه ستاً وثلاثين سنة وأمكن الثاني أن يصون برنامج التغيير الثوري غير المطروق الذي حمله بين يديه كوثيقة وكعهد طوال عشرين سنة وصلت فيها التحديات والمشاكسات إلى الذروة وإلى حد أن الولايات المتحدة نفذت للمرة الأولى في تاريخ تعاملها مع المنطقة العربية أول اعتداء إستهدف العقيد القذافي الذي إستطاع أن يصمد في وجه الذين نفذوا أغرب محاولة إغتيال في التاريخ. وهل هنالك أكثر غرابية من قيام دول كبرى، أو الدولة الكبرى الأولى في العالم، ونعني بها الولايات المتحدة بتنفيذ

محاولة لإغتيال العقيد القذافي من خلال قصف مقر سكنه بواسطة أحدث المقاتلات التي أنتجتها المصانع الحربية الأميركية؟

وعندما نقول إن العقيد القذافي صمد فعلى أساس أن الذي أصدر أوامر تنفيذ عملية الإغتيال بات حاكماً متقاعداً ونعني به الرئيس الأميركي السابق ريغان، بينما العقيد القذافي يواصل دوره المحلي والإقليمي وهو في سن فتية وفي كامل الحيوية. وفي العادة إن الذين يحكمون يتأملون، بعد نهاية سنة من الحكم وبداية سنة جديدة، في ما تم إنجازه في السنة التي إنقضت وفي ما يجب عمله في السنة التالية. لكن فترة التأمل بالنسبة إلى العقيد القذافي ستكون متميزة. ذلك أنه سيتأمل في عشرين سنة. ومثل هذا التأمل مهم لأنه يحدث في زمن يشكّل التأمل العلامة البارزة في طبيعة التجارب السياسية والأيدولوجيات في العالم. ومن المؤكد أن العقيد القذافي سيتأمل وقد بات رمز أسلوب في الحكم يمكن تصنيفه على أنه يقع في الوسط بين أسلوب كاسترو أحد المعمرين بين الحكام الثوريين وأسلوب عبد الناصر الذي كان يمكن أن يعمر هو الآخر لولا أنه رحل وهو في بداية العمر الثاني.

ويبقى أن العقيد القذافي يبدأ سنته الواحدة والعشرين في الحكم في الوقت الذي تتعقد قمة جديدة لدول عدم الإنحياز في بلغراد وهذا يلقي عليه كعضو عريق في هذا التجمع، الذي يشكو بعض الضمور، واجباً كبيراً. كما أنه يبدأ السنة الواحدة والعشرين في وقت يواصل الجانبان السوري والإيراني الإستهانة بسيادة لبنان. وهذان الجانبان اللذان لا يكتراثان بأي نصيحة أو أي تحفظ قد يتهيبان بعض الشيء نصيحة تأتي من صديقهما العقيد القذافي أو تحفظاً بيديه حول إنتهاكهما لسيادة بلد تعتبر مياه بحره جزءاً من مياه البحر الذي تمتد عليه بضعة ألوف من كيلومترات الشواطئ الليبية، فضلاً عن أن هناك روابط فينيقية تربط بين البلدين من صور إلى صبراته.

ونحن نقول ذلك على أساس أن القضية الأولى لثورة الفاتح من سبتمبر عام 1969 كانت قضية السيادة المنتهكة من وجود قوات أجنبية أميركية وبريطانية على الأرض الليبية، وعلى أساس أن المواجهة الكبرى مع الولايات المتحدة كانت أيضاً بسبب قضية سيادة ليبيا على خليج سرت.

وعندما تكون تلك هي قضية العقيد القذافي فمن الطبيعي أن يكون مع الذين يعيشون ظروف إنتهاك

للسيادة، مثل لبنان الذي يعاني منذ سنوات لأن الطرفين الصديقين للعقيد القذافي وهما الحُكم السوري والحُكم الإيراني يتعاملان مع لبنان بالطريقة التي كانت بريطانيا والولايات المتحدة تتعامل بها مع ليبيا حتى عشية ثورة الفاتح من سبتمبر 1969 التي تدخل عامها الواحد والعشرين وهي أكثر إقتراباً من مشارف ليبيا الدولة.

مجلة "التضامن". لندن - 4 أيلول (سبتمبر) 1989

* * *

الموقف العربي الواحد الذي لا تريده أميركا

في السنوات التي سبقت 1952، وهو عام حدثت ثورة 23 يوليو في مصر، كان هنالك تجمُّع دولي يحمل تسمية "هيئة المنتفعين من قناة السويس".

وهذه الهيئة لم تكن مستفيدة وحسب وإنما كانت تتحكم بمصير العالم من خلال عدة أسلحة بينها سلاح قناة السويس.

وفي ذلك الزمن لم يكن هنالك نفط في المنطقة ولم تكن عمليات التنقيب عنه بدأت. ومن أجل ذلك فإن قناة السويس كانت بالنسبة إلى الغرب عموماً وأوروباً بوجه خاص بأهمية النفط العربي وبالذات في سنوات الستينات والسبعينات.

وللتدليل على أهمية "سلاح قناة السويس" نشير إلى أنه لمجرد أن إتخذ جمال عبد الناصر قراره الشهير الذي قضى بتأميم قناة السويس فإن "هيئة المنتفعين من قناة السويس" والتي هي عبارة عن بعض الدول الأوروبية التي تنزعها أو تتقدمها بريطانيا، نفذت عدواناً على مصر قامت به قوات بريطانية وفرنسية بمعاونة إسرائيل.

وعندما فشل العدوان الثلاثي ازدادت تلك الدول شراسة وإستمرت تتربص بعبد الناصر إلى أن إنقضت إسرائيل عليه مستفيدة من حالة تسليُّب داخل الجيش ناشئة عن التورط في اليمن ومبالغة في شعور بالثقة بالنفس كان ما زال يغمر شخصية عبد الناصر.

وما نغنيه بالتربص هو حرب 5 يونيو 1967 التي كانت تستهدف ظواهر عدة لعل أبرزها على الإطلاق هي

ملاحم الموقف العربي الموحد على قضية. وفي تلك الفترة كانت هذه القضية الوطنية التي أحدثها قرار تأميم قناة الذي إتخذه عبد الناصر.

وبعد توافر ملاحم الموقف العربي الموحد في قمة الخرطوم التي تم عقدها بعد تلك الهزيمة وإتخاذ الملك فيصل موقفاً توحيدياً مشرفاً إستمر التربص إلى أن دفع الملك فيصل حياته ثمناً لسعيه في سبيل موقف عربي موحد أشاع الثقة والطمأنينة في النفوس العربية من المحيط إلى الخليج.

وفي قمة بغداد التي عقدت عام 1978 حقق أسلوب صدام حسين وكان زمناً نائباً للرئيس، ما كان من الصعب تحقيقه وهو إتخاذ موقف شبه موحد من نظام الرئيس أنور السادات الذي خرج على إرادة الأمة وأبرم صلحاً مع إسرائيل.

وتم الرد على هذا الإنجاز على مرحلتين، تمثلت الأولى بعدوان إسرائيلي إستهدف مفاعل تموز النووي وتمثلت الثانية بفرض حرب على العراق من جانب إيران شجعته الأطراف التي لا تتحمل الموقف العربي الواحد، والتقى حول هذا الموقف كل الذين يصعب جمعهم من الأمريكي الرأسمالي إلى السوفيياتي الشيوعي إلى بقية الدول التي تدور في هذا الفلك أو ذاك.

وعندما أمكن العرب بعد أربع عشرة سنة من الحرب في لبنان الإتفاق في القمة العربية الأخيرة في الدار البيضاء على موقف واحد تجاه موضوع لبنان فإن "هيئة المنتفعين من حرب لبنان"، وهي إمتداد لـ "هيئة المنتفعين من قناة السويس"، وجدت أن المستحيل بات ممكناً، وما دام حدث ذلك فإنه لا بد من توظيف الموقفين السوري والإيراني بما يحول دون وصول اللجنة الثلاثية إلى الهدف الذي تألفت من أجله.

ولم تجد هذه الأطراف صعوبة في الأمر لأن الطرفين السوري والإيراني ينتميان إلى هذه الهيئة. وقد أكد هذان الطرفان إنتماءهما عندما أصر الأول (أي الحُكم السوري) على الإصلاح السياسي والدستوري في لبنان متجاوزاً بذلك المطالب الواقعية التي تريدها الأكثرية اللبنانية الساحقة، وأبدى الثاني (أي الحُكم الإيراني) حرصاً يتسم بالمبالغة على عروبة لبنان. ولقد عبّر وزير الخارجية علي أكبر ولايتي عن هذا الحرص بالفارسية. وتولى مترجم فك أحرف العبارات للأطراف اللبنانية التي تسبح في الفلك السوري والفلك الإيراني.

رعايا ورهائن

كان الإستقلال هو القضية الأساسية التي مهّدت لولادة فكرة عدم الإنحياز. الإستقلال في الرأي. والإستقلال في إتخاذ القرار.

ولقد نجحت المعركة التي خاضها في هذا الشأن الجيل الأول لقادة هذه الحركة.

ومع أن هذه المعركة لم تكن سهلة إلا أن قادة الحركة، وبالأذات نهرو وتيتو وعبد الناصر، ثابروا وتحملوا.

ولو أن هؤلاء لم يثابروا لما كان للحركة أن تنمو ثم تصبح على الشأن الذي أصبحت عليه بعد ذلك.

وبما أن الدول الكبرى لم تغفر لهؤلاء القادة تلك المبادرة التي ساهمت في نشوء التجمع الثالث فإنها بدأت تنتهز الفرص التي تستطيع من خلالها إلقاء ظلال على تيار حركة عدم الإنحياز وكل ذلك بهدف إجبار هذه الدول على أن تصرّف النظر عن فكرة الحياد لأنها فكرة لا يرتاح لها أي من المعسكرين.

وقد يجوز القول إنه بسبب تعامل المعسكر الذي تقوده الولايات المتحدة والمعسكر الذي يقوده الإتحاد السوفياتي مع الدول التي إختارت لنفسها طريق الحياد باتت فكرة عدم الإنحياز تتعرض إلى التشويش الذي تتعرض له إذاعة لا تريد حكومتها أن يسمعها المواطنون.

ثم تزايد التشويش بحيث أصبح ضغوطاً لا تطاق. ولعل الضغوط التي مارسها دول المعسكر الذي تقوده الولايات المتحدة هي التي جعلت بعض دول الحياد تطرق الباب السوفياتي. وجعلت دولاً أخرى تتنازل مع بعض حقوق السيادة لمصلحة المعسكر الآخر.

ولولا هذه الضغوط لما كانت دولة مثل باكستان - أو تركيا - تركت للولايات المتحدة أن تمارس في البلدين سياسة على حساب السيادة. وعندما نشير إلى باكستان وتركيا فإننا نفعل ذلك على سبيل المثال لا الحصر، لأن هنالك دولاً أخرى كثيرة في العالم الثالث أصابها ما أصاب تركيا وباكستان.

كذلك إنه لولا هذه الضغوط لما كانت دولة مثل مصر ودولة مثل العراق إضطرتا إلى توقيع معاهدة مع الإتحاد السوفياتي من أجل الإبقاء على العلاقات تسير

هذا بإختصار هو الذي يجعل الثلاثية تصل إلى حقائق بالغة المرارة فتتخذ الموقف الذي إتخذته وهو يتضمن تشخيص المشكلة اللبنانية وإتهام الحُكم السوري بأنه السبب في عدم إنهاء المحنة اللبنانية.

لقد باتت المعادلة كثيرة الوضوح وهي أن الولايات المتحدة التي لا تريد للموقف العربي الواحد أن يبصر النور، أو إذا هو أبصر النور، أن تتعثّر خطاه في منتصف الطريق، وجدت في اللجنة الثلاثية ما من شأنه أن يشكّل مع الوقت "مؤسسة لحل المشاكل العربية" فقررت المساهمة مباشرة أو من وراء الستار بتقويض مهمتها. وهي تفعل ذلك لأنها تنزع "هيئة المنتفعين من حرب لبنان".

والرد على ذلك هو أنها ما دامت لا تسعى من أجل إنهاء ذلك الوضع المأساوي فهذا معناه أنها تتصرف بعقلية المستفيد وليس بطريقة العاجز.

ويبقى إستكمالاً لتوضيح هذه المعادلة، القول إن أي طرف يحول دون إنهاء الحرب اللبنانية هو عضو فعّال في "هيئة المنتفعين من الحرب اللبنانية" وأنه بذلك يكون مع الولايات المتحدة قلباً وقالباً. أو فلنقل إن من يقف ضد صيغة الحل الذي إبتكرته اللجنة الثلاثية العربية إنما يفعل ذلك من أجل أن تقف الولايات المتحدة معه أو على أمل أن تتخذ الولايات المتحدة هذه الخطوة.

ولو أن زيارة الملك فهد بن عبد العزيز إلى واشنطن لم تتأجل للمرة الثانية لكان لقاء خادم الحرمين الشريفين مع الرئيس الأميركي جورج بوش سيتم في وقت باتت الحاجة ضرورية أكثر من أي وقت مضى لمصارحة عربية - أميركية.. أو فلنقل لمصارحة الجانب العربي لرئيس الإدارة الأميركية وليس العكس، خصوصاً أن الزيارة لو تمت فإنها كانت ستتم بينما الملك فهد بن عبد العزيز يمثل الموقف العربي الواحد.. أو فلنقل شبه الموحد نتيجة خروج الحُكم السوري على إرادة الأمة.

ولذا فإن الأمة تفاعلت بنتائج ستسفر عنها الزيارة التي من سوء حظ لبنان أنها تأجلت. إلا إذا تبين قريباً أن التأجيل كان لمصلحة السعي لإنهاء المحنة اللبنانية.

مجلة "التضامن". لندن - 11 أيلول (سبتمبر) 1989

* * *

ضمن سياسة بنود ومبادئ عامة.

وليس هنا مجال سرد أنواع الضغوط التي بعضها علني ومعظمها من النوع الذي لا يتم الإعلان عنه، ولكن ما نريد قوله، هو أن هذه الضغوط لن تتوقف وستأخذ في كل مرة شكلاً جديداً.

وأحدث أنواع الضغوط هو الضغط الناشئ عن الديون. وهذه الديون تراكمت منذ أن بدأت التحفظات على ولادة حركة عدم الإنحياز ولم تجد لها حلاً. وهذه الديون في معظمها ناشئ عن صراعات ساخنة وباردة كانت تثيرها الدول الكبرى وتجعل من دول العالم الثالث ساحات لإختبار هذه الصراعات.

وعندما نتأمل في أحوال دول العالم الثالث وكيف أن الديون التي تتراكم على بعض دوله باتت أرقاماً خيالية لجاز لنا الإقتراض بأن سلاح الديون هو الذي سيتم إستعماله كسلاح ضغط على هذه الدول في حقبة التسعينات.

أما الطرف الذي سيمارس هذا الضغط فإنه الدولة الغنية وليس الدولة القوية، بمعنى أن الإتحاد السوفياتي خرج من حلبة الدول التي يمكن أن تشكل نقطة جذب كما كانت الحال في الستينات وذلك بسبب ظروفه المادية الكثيرة الصعوبة والتي تضطره إلى التراجع التدريجي عن العقيدة الماركسية في سبيل مواجهة مشاكل الفقر.

وزيادة في التوضيح يجوز القول إن حركة عدم الإنحياز ستجد نفسها أمام واقع جديد وهو أن الإنحياز بمفهومه التقليدي القديم سيتغير ويحل محله الإنحياز بمفهوم جديد تغلب فيه المصلحة الإقتصادية على المصلحة السياسية.

ولن يكون قوياً في دول العالم الثالث إلا من يتميز إقتصاده بأنه قوي بصرف النظر عن الديون التي تثقل كاهله. فالدولة والتي يكون إقتصادها قوياً لا تؤثر عليها الديون في حين أن الدول التي لا تملك الإقتصاد القوي لا تستمر قوية إذا كانت فقط تملك الكثير من المال.

يبقى أن هذه الانطباعات يخرج بها المرء عندما يتأمل في نتائج أعمال الدورة الأخيرة لقمة عدم الإنحياز في بلغراد وهي القمة التي طغت فيها قضية الديون، التي تثقل كاهل معظم دول العالم الثالث، على قضايا ذات أهمية كبرى على الصعيد السياسي والعسكري. ولكن الرئيس حسني مبارك عندما طرح مسألة الديون

التي تئن تحت وطأتها أكثرية الدول الأعضاء في حركة عدم الإنحياز فعلى أساس أنه مثلما أن شعار المرحلة الماضية كان لا صوت يعلو على صوت المعركة فإن شعار المرحلة المقبلة يجب أن يكون، إضطراراً لا إختياراً، لا قضية تتقدم على قضية الديون، لأن عدم حل هذه القضية معناه أن حركة عدم الإنحياز يمكن أن تتحول إلى حركة دول مفلسة. ومن كان مفلساً كيف يستطيع أن يسجل رأياً في قضايا ذات أهمية دولية.

ولكن صرخة الرئيس مبارك لا تعني أن معسكر الأغنياء في العالم سيحل مشاكل ديون العالم الثالث. ولكن من مصلحة هؤلاء الأغنياء أن يبدأوا مع الدول المثقلة بالديون سياسة جديدة تقضي بإسقاط نصف هذه الديون وجدولة الديون الباقية بفائدة بسيطة لأن الفوائد العالية معناها أن هذه الديون لن تنتهي.

والقول بأن من مصلحة الدول الصناعية أن تفعل ذلك يستند إلى حقائق موضوعية لعل أهمها على الإطلاق هو أن الديون يمكن أن توجد مجتمعات يصل بها اليأس إلى حد التطرف ويقودها التطرف إلى إعتدال السياسة التي طبقها الثورة الإيرانية في إيران وفي لبنان وهي سياسة الرهائن التي تأكد أنها تؤدي بالفعل.

ومن دون إيجاد حلول لمشكلة الديون قد يتحول بعض رعايا الدول الصناعية السبع إلى رهائن في عدد من الدول المثقلة بالديون.

ودعونا نتساءل:

كيف ستحل الدول النامية مشكلة ديون تصل إلى 1320 مليار دولار؟

لعل القمة المقبلة للدول الصناعية السبع في العالم تعتبر هذه المسألة جزءاً من جدول أعمالها مخافة أن يؤدي التجاهل إلى إضطراب دولي لا مثيل له يتحول فيه مواطنو هذه الدول إلى رهائن عندما يغادرون دولهم في مهمات داخل الدول المثقلة بالديون من بنغلادش إلى مصر مروراً بتسعين دولة على الأقل موزعة على ثلاث قارات. وبذلك يتم تسديد الديون على طريقة مقايضة الرهائن.

وإذا حدث ذلك تكون الدول الصناعية الكبرى، وبالذات الولايات المتحدة، تدفع ثمن خطأ إقترفته عندما إعتبرت حركة عدم الإنحياز عند ولادتها في الخمسينات تجمعاً يجب ضربه بدلاً من إعتباره تياراً قد يفيد في الأيام الصعبة. ولو أن هذا التجمع لقي رعاية الولايات

المتحدة ومن معها وحولها لكان الإستقرار أفضل في العالم.

ولكن هل إن الإستقرار هو القضية المطلوبة بالنسبة إلى الولايات المتحدة وبقية الدول المهمة والأهم التي تدور في فلكها؟

والرد على ذلك هو نعم ولا في الوقت نفسه.

مجلة "التضامن". لندن - 18 أيلول (سبتمبر) 1989

* * *

مسلسل الثأر المتبادل بين تاتشر والقذافي

بين بريطانيا وحُكم العقيد معمر القذافي جرح عميق ناشئ عن حادثة وقعت ذات يوم قبل بضع سنوات بالقرب من مبنى السفارة الليبية في لندن وذهبت ضحيته شرطية بريطانية أصرت الحكومة البريطانية على أن أحدهم أطلق على الشرطية الرصاص من إحدى نوافذ مبنى السفارة. وعلى الطريقة القبلية والعشائرية ردت حكومة السيدة مارغريت تاتشر على الحادثة، أي بمعنى آخر إنها أخذت بثأر الشرطية.

وبدلاً من أن يكون الثأر منطقياً فإن الذي حدث هو أن الحكومة البريطانية تولت تأمين تسهيلات لطائرات أميركية أمر الرئيس السابق رونالد ريغان بأن تشن هجوماً على ليبيا وتلك مقر العقيد القذافي إنتقاماً لعمليات ضدها نفذها القذافي على حد إدعاء الرئيس الأميركي.

وعندما فعلت حكومة تاتشر ذلك فليس فقط مسايرة للرئيس ريغان وإنما على أساس أن الطائرات الأميركية التي ستدك مقر العقيد القذافي ستنتقم لبريطانيا أيضاً بسبب مؤازرة الحُكم الليبي للجيش الجمهوري الإيرلندي، وتزويد الثوريين الإيرلنديين الذين يقومون بتفجيرات وإغتيالات داخل بريطانيا، بالسلاح والمال.

ومن هنا القول إن الثأر البريطاني لم يكن منطقياً لأن الجرح الذي لم يندمل عاد إلى النزف من جديد. وعملاً بقاعدة الثأر فإنه بات للعقيد القذافي بعد التسهيلات البريطانية الممنوحة للطائرات الأميركية التي اعتدت على مقر الرئيس الليبي، الكثير في عنق حكومة تاتشر.

ولكن التوجه الجديد للحُكم الليبي وإضفاء المزيد من

المرونة مع حلول الذكرى العشرين لتسلم العقيد القذافي الحُكم على أسلوب التعامل مع الدول الأخرى وبالذات الدول التي كان الحُكم الليبي يشاكسها ويستفزها، فرضاً واقعاً جديداً يجوز إعتباره بداية مصالحة تستهدف التعايش. وفي سياق هذا الواقع كانت المبادرة الليبية بالمشاركة في مؤتمر إتحاد البرلمانين الدولي الذي يضم 126 برلماناً، والذي تم عقده قبل أيام في لندن.

وبدلاً من أن تتلقف حكومة مارغريت تاتشر المبادرة وترى فيها المناسبة الجيدة لوقف عملية تبادل الثأر فإنها تصرفت بما يعكس روحاً غير طيبة. ولكن من حُسن الحظ أنه تم تدارك الأمر في اللحظة الأخيرة مما يعني أن طبيعة العلاقات البريطانية - الليبية مرشحة للتحسن في الفترة المقبلة.

وما حدث هو أن الحكومة البريطانية تباطأت في منح التأشيرة للوفد الليبي الذي يمثل ليبيا في المؤتمر البرلماني الدولي. وبدلاً من أن يشارك الوفد الليبي في المؤتمر منذ الجلسة الافتتاحية فإنه وصل متأخراً وعندما كانت الاجتماعات بدأت.

ولقد تصرفت الحكومة البريطانية على النحو المشار إليه بالطريقة التي تصرفت الولايات المتحدة عندما رفضت منح ياسر عرفات تأشيرة دخول إلى نيويورك لحضور أعمال الجمعية العمومية للأمم المتحدة.

وفي الحالتين إن الموقفين البريطاني والأميركي مستغربين لأن إنعقاد المؤتمر البرلماني في لندن لا يعني أنه ينعقد على أرض بريطانيا وإنما على أرض دولية. كذلك الحال بالنسبة إلى الجمعية العمومية التي لا يعني إنعقادها في المقر الخاص بالأمم المتحدة أنها تنعقد على أرض أميركية وإنما على أرض دولية. وهذه الصفة تزول بإنهاء كل من الاجتماعين. ونقول ذلك مستأنسين بالقاعدة التي تؤكد على أن أرض أي سفارة في أي بلد هي أرض تابعة للبلد الذي تمثله السفارة وليس للبلد المقامة فيه السفارة. كما إننا عندما نقول ذلك نأخذ في الاعتبار أن الحكومة البريطانية تباطأت في منح التأشيرة للوفد الليبي لكنها في النهاية منحتها في حين أن الحكومة الأميركية إستمريت على موقفها في رفض منح التأشيرة لعرفات.

ولكن التباطؤ ثم منح التأشيرة علامة مشجعة على أن مسلسل الثأر المتبادل بين تاتشر والعقيد القذافي وصل إلى نهايته، وأن العلاقات بين البلدين قد تشهد في المدى القريب تطبيعاً من النوع التطبيع الذي حدث بين مصر

وليبييا. وللمناسبة نقول بصيغة التساؤل: وهل كان هناك مَنْ يتوقع بهذه السرعة أن يتم التطبيع المصري - الليبي لكي نستبعد حدوث التطبيع البريطاني - الليبي قريباً؟ وتبقى الإشارة إلى أن مشاركة ليبيا في المؤتمر البرلماني الدولي وموافقة 105 وفود على قبول عضويتها مقابل إمتناع وتحفظ 21 هي أيضاً مؤشر إلى إقرار هذه البرلمانات بحق ليبيا في أن تختار الصيغة المناسبة لها للعمل البرلماني وهي صيغة "مؤتمر الشعب العام". ومثل هذا الإقرار يقابله إقرار من جانب ليبيا بظاهرة المجالس النيابية وبحق أي دولة في أن يكون لها مجلس نواب من دون أن تنطبق عليه الأحكام التي حواها الكتاب الأخضر ومنها أن المجالس النيابية تتجمل لا تمثّل. وهكذا تتواصل الإستدارة نحو المرونة في الحُكم الليبي بعد سنوات من التحولات والإختبارات التي كانت دروساً من المؤكد أن الإستفادة منها ستكون كبيرة في السنوات المتبقية من القرن العشرين.

مجلة "التضامن". لندن - 25 أيلول (سبتمبر) 1989

* * *

حقائق الحل العربي

من المبكر الجزم بأن الحل الذي توصلت إليه اللجنة الثلاثية العربية سيأخذ طريقه إلى التنفيذ بالدقة والسرعة المطلوبتين، لكن من المؤكد أن هذا الحل هو الحل الذي لا حل غيره.

وأهمية الحل الذي توصل إليه الملك فهد بن عبد العزيز والملك الحسن الثاني والرئيس الشاذلي بن جديد أنه الحل الذي يندرج تحت صفة لا غالب ولا مغلوب. كما أنه الحل الذي ينسجم مع التوجه الجديد نحو إيجاد حلول للمشاكل العالقة وهو توجّه الواقعية التي تتغلب فيها الحكمة على الإنشغال بحساب الريح والخسارة.

ومثل كل الحلول التي يتم التوصل إليها عند بحث الأزمات المستعصية والكثيرة التعقيد والتشابك فإن الحل العربي يحتاج إلى رعاية كي يأخذ طريقه إلى التنفيذ. ومن لحظة الخطوة الأولى على طريق التنفيذ وحتى الخطوة المتقدمة ستحدث الإنكاسات الكثيرة لكن ذلك لا يعني أن

الحل لن يوضع موضع التنفيذ.

وقوة هذا الحل هي في أنه الحل العربي - الدولي. بل لعلها المرة الأولى التي يكون فيها حل عربي يحظى بهذا التأييد الدولي. ولو كان الحل دولياً لما كان إستطاع إستقطاب تأييد الأطراف العربية بمختلف توجهاتها.

وقبل هذا الحل كانت هناك مساجلات بين الذين ينادون بتعريب الحل وبين الذين يرون أن التدويل هو الأكثر جدوى. ولم يتوقع أحد أن تنتهي الأمور إلى هذا المزج بين التعريب والتدويل. ومن هنا قد يجوز القول إن الحل العربي للأزمة اللبنانية محروس دولياً. كما أنه قد يجوز القول إن الإرادة الدولية لصيغة الحل في لبنان مقبولة عربياً.

ومثل هذا الأمر يوفر على الحل مخاطر التخريب الدولية وهو ما يحتاجه الحل لكي يولد ثم لكي يصمد ثم لكي يوضع موضع التنفيذ.

ويبقى أن الحل العربي للمسألة اللبنانية ما كان ليتم لولا حدوث المفاجآت الآتية:

الأولى هي أن الحُكم السوري إقتنع بعد أربع عشرة سنة بأن لبنان مسألة عربية - دولية وليس شأنًا داخلياً سورياً. وقيل هذا الحل كان الحُكم السوري يتعامل مع لبنان على هذا الأساس، ومن أجل ذلك فإن الذين يسعون إلى إيجاد حلول كانوا يتعنّون ومن هؤلاء سعي اللجنة السداسية برئاسة وزير خارجية الكويت الشيخ صباح الأحمد.

وبعد هذا الإقتناع فإن الحُكم السوري يتطلع إلى أن يكون تعامله مع لبنان مثل تعامل مصر مع السودان. وللتذكير فإن الحاكم المصري يعتبر ضمناً أحياناً، وفي العلن بعض الأحيان، أن السودان إمتداد سياسي لمصر وفي إستطاعته تمثيل السودان عند إتخاذ أي قرار، كما أنه يرى أن التعامل مع السودان يجب أن يتم من خلال مصر وليس مباشرة.

المفاجأة الثانية هي أن العماد ميشال عون تخلى عن الإستراتيجية وإختار التكتيك، أو بمعنى آخر إنه تصرف على الطريقة التي تعامل بها ياسر عرفات مع القضية الفلسطينية. وعند التأمل نجد أن عرفات إنتقل من موقع الثائر إلى موقع المحاور من دون أن يكون الإنتقال نهائياً، بمعنى أن عرفات الرئيس أبقي بعض الخيوط التي تعيده إلى عرفات الذي يعبئ الجماهير الفلسطينية ضد الحلول الواقعية التي يرتضيها مرحلياً. كما أنه عند التأمل نجد أن العماد ميشال عون الذي إستقطب جماهير عريضة حوله

صراع على الحل العربي بين الطائف وطهران

باستثناء المرضى أو الذين لديهم أسباب شخصية فإنه ليس من حق أحد من النواب اللبنانيين التغيب عن إجتماع الطائف.

ليس من حقهم ذلك لأن هذا الإجتماع هو من أجل المواطن اللبناني الذي يكتوي منذ أربع عشرة سنة بنار حرب مزقت أوصاله.

وليس من حقهم لأن التغيب عن الإجتماع يثير في النفس الحيرة عن السبب.

فإذا كان التغيب ناشئاً عن إعتقاد بأنه لن تصدر عن الإجتماع نتائج حاسمة فهذا يوجب عليهم المشاركة وذلك من أجل جعل النتائج حاسمة بعض الشيء.

وإذا كان التغيب هو إنسجام مع مبدأ التغيب عن الإجتماعات خارج لبنان من إجتماع لوزان إلى إجتماع الكويت، فإن الإجتماع في الطائف حالة مختلفة تماماً.

وإذا كان سبب التغيب هو الإحتجاج على بعض النقاط أو التحفظ على البعض الآخر فهذا أيضاً يوجب المشاركة لكي يقال هذا الإحتجاج ويتم تسجيل ذلك التحفظ أمام الجميع.

ومع الأخذ في الإعتبار أن معظم ما يتخذه كبير الغائبين العميد ريمون إده من مواقف يستند إلى المنطق وتتبع من ضمير حي، إلا أن غيابه عن إجتماع الطائف أمر لا يقره عليه أحد. ذلك أن المنطق يفرض عليه أن يكون بين الذين حضروا لأن صحته جيدة ولأنه قادر على السفر من دون أي مشقة.

وإلى ذلك إن آراءه في مسألة السيادة والإنسحاب السوري والحقوق والواجبات والإصلاح والدستور والإحتلال الإسرائيلي وأمور أخرى كثيرة.. إنما هي آراء توجب عليه مناقشتها في إجتماعات رسمية يشترك فيها النواب اللبنانيون وليس من خلال التصريحات وأحاديث صحافية.

وصحيح إن الحل العربي للمسألة اللبنانية يثير الكثير من الجدل وأنه ليس الحل المثالي الذي يحقق لكل طرف ما يريده، إلا أنه في أي حال الصيغة المثالية على صعيد الواقعية. ويدرك الذين غابوا عن إجتماع الطائف، كما

لأنه يرفع شعار التحرير إنتقل إلى موقع يأخذ بالواقعية مع المحافظة على خيط رفيع يعود من خلاله إلى الخط المتشدد. ونقول ذلك مع الأخذ في الإعتبار أن الظروف الموضوعية التي يعيشها عرفات وقضيته هي غير الظروف التي يعيشها العماد ميشال عون وما يطرحه من أفكار، بمعنى أن قوة العماد عون في تشدده وأنه إذا أسقط هذا التشدد مرة لا يعود في إستطاعته العودة إليه مرة أخرى.

والمفاجأة الثالثة هي أن قادة اللجنة الثلاثية تحلوا بالصبر وطول البال بعدما كان هنالك إفتراض بأنهم سيقفون ذرعاً ولن يصبروا إلى ما لا نهاية. والذي جعل هؤلاء يصبرون هو التأييد الدولي المؤثر للمهمة التي يقومون بها ذلك أنه بعد التعثر الأول للجنة أبدت الدول الكبرى أسفها وكان ذلك تأييداً لمعاودة السعي. وعندما إستأنفت اللجنة مهمتها ووضعت الصيغة التي توصلت إليها تزايد التأييد الدولي لها. ولولا هذا الصبر لما كان حدث كل ذلك.

يبقى أيضاً أن الحل العربي هو من النوع الذي يُرضي الحُكم السوري من دون أن يزعج الطرف اللبناني الذي يمثله العماد ميشال عون، ومن دون أن يدفع بهذا الطرف الدولي أو ذاك إلى وضع فيتو عليه، ومن أجل ذلك فلا موجب لعدم تنفيذه بصرف النظر عما إذا كان التنفيذ سريعاً أم بطيئاً.

تلك هي حقائق الحل العربي للمسألة اللبنانية التي عندما باتت تفرق الأمن العربي فإن قادة اللجنة الثلاثية الملك فهد بن عبد العزيز والملك الحسن الثاني والرئيس الشاذلي بن جديد إرتأوا الحزم وطالبوا بالضمانات المكتوبة وإتفقوا على أن الحل العربي هو خشبة الخلاص.

... وهذا ما فهمناه من وزير الخارجية السعودية الأمير سعود الفيصل ومن الأخضر الإبراهيمي عندما إلتقينا بهم في جدة يوم السبت 16 أيلول (سبتمبر) 1989.

... وفي ذلك اليوم ألقى الحل العربي. وهو يواصل رحلته المملأ بالمخاطر والآمال والتمنيات.

مجلة "التضامن". لندن - 2 تشرين الأول (أكتوبر) 1989

* * *

ويبقى أن قوة الحل العربي هي في صبر الذين يسهرون عليه. والمثل الشعبي يقول مَنْ صَبَرَ ظَفَرَ وَمَنْ لَجَّ كَفَّرَ.

مجلة "التضامن". لندن - 9 تشرين الأول (أكتوبر) 1989

* * *

لا خوف على الخطة العربية ولا خوف منها

هنالك قرارات ووجهات نظر تكتسب صفة الموقف الذي لا عودة منه.

وقد يحدث أن هذه القرارات أو وجهات النظر تصطدم برفض من جانب هذا الطرف أو معارضة من ذاك لكن ذلك لا يعني أن إعادة النظر في شأنها واردة.

وقد يحدث أيضاً شيء من التباطؤ من جانب بعض الأطراف في إعلان الموافقة إلا أن ذلك لا يعني أنه سيتم صَرْفُ النظر عن هذه القرارات لأن الأطراف المعنية أو بعضها لم يوافق على هذه القرارات، ولا يعني أن وجهات النظر ستصبح مجرد وثائق أو كلمات مكتوبة على الورق لأن هذا الطرف أو ذلك من أطراف الأزمة التي تدور حولها وجهات النظر كانت على جانب من التباطؤ أو اللامبالاة.

وقد تكون هناك قرارات ووجهات نظر كثيرة من النوع الذي نشير إليه، إلا أن الحاضر في ذهننا هو القرار 242 في شأن أزمة الشرق الأوسط والصراع العربي - الإسرائيلي، والقرار 598 المتعلق بالحرب العراقية - الإيرانية.

وللتذكير يمكن القول إنه عند صدور القرار 242 كان رد الفعل متفاوتاً. فهناك مَنْ رَحَّبَ وهناك مَنْ عارض وهناك مَنْ تحَقَّظَ وهناك مَنْ تَوَعَّدَ بإفشال هذا القرار وهناك مَنْ استبدت به الحيرة فجلس ينتظر لحظة الحسم. ولكن هذه المواقف لم تتغير شيئاً من الأمر حيث أن القرار استمر على الصيغة التي تم وضعه فيها من دون أي تعديل، واستمر القرار على حاله من دون أن تؤثر على بنوده العواصف والحروب والدماء التي سالت بغزارة في أكثر من منطقة.

يدرك الذين شاركوا، أن الزمن الدولي الراهن هو زمن الحلول الواقعية وليس الحلول المثالية.

والى ذلك إن الحل العربي للمسألة اللبنانية لم يكن بالأمر السهل وإذا استطاع الأخضر الإبراهيمي أن ينوب عن وزراء خارجية المملكة العربية السعودية والمغرب والجزائر في أن يروي ذات يوم مسيرة العذاب التي واجهها قبل أن تتمكن اللجنة الثلاثية من التوصل إلى الحل الذي توصلت إليه، فإن المواطن العربي سيجد نفسه أمام مسيرة عذاب لا مثيل لها في تاريخ العمل السياسي العربي.

ولو أن إجتماع النواب اللبنانيين تم خارج المملكة العربية السعودية لكان التغيب ربما مبرراً لأسباب أمنية أو على أساس أن الإجتماع لن يتجاوز الشكليات. وما دام كذلك فلا جدوى منه. لكن إنعقاد الإجتماع في السعودية معناه أن الضمانة الأمنية موجودة كما أن الملك فهد بن عبد العزيز ما كان ليأخذ المسألة اللبنانية على عاتقه لو كان الأمر سيبقى في إطار الشكليات.

إن غياب ريمون إدو والرئيس كامل الأسعد عن إجتماع الطائف وهما في صحة جيدة يبدو أمراً غير مفهوم، أو فلنقل إنه غير مقنع، إلا أنه يبقى أكثر إخلاصاً من موقف بعض زعماء الحرب اللبنانية الذين هم من دعاة الحل السوري - بالذات وليد جنبلاط ونبية بري - الذين إختاروا التوجه إلى طهران عن طريق دمشق في الوقت الذي كان اللبنانيون يحاولون في الطائف الإتفاق على الحد الأدنى. وفي الوقت الذي كانت وسائل الإعلام الإيرانية تتهجم على المملكة العربية السعودية التي إحتضنت أول محاولة عربية جدية وواقعية للمسألة اللبنانية.

وصحيح أن مثل هذه الخطوة مزعجة وقد تعني أن الصراع سيكون على أشده بين الحل العربي من جهة والحلول الأخرى من جهة ثانية إلا أن الحل العربي هو الذي سيفوز في النهاية، شرط أن يكون هنالك إطمئنان إلى تقيّد الحُكم السوري بالضمانات التي أعطتها للجنة الثلاثية. ونقول ذلك على أساس أنه عندما تكون رموز الشرعية مجتمعة في المملكة العربية السعودية فهذا يوجب على رموز الحل السوري في لبنان، وبالذات وليد جنبلاط ونبية بري، أن ينتظروا مع الآخرين ولادة الحل العربي وليس الإنتقال إلى طهران عبر دمشق للتشويش أو بهدف إجهاض المسعى الشرعي.

أو أن الطرف الذي يتجاوب بإخلاص مع اللجنة العربية
حقوق المكاسب التي يريدها.
إن الأمر مختلف تماماً عن هذا التصور. وما يمكن
قوله هو أن المكاسب محسوبة بدقة طال وقت تبني الخطة
العربية أم قُصر.

إن الأمر مختلف تماماً عن هذا التصور التي تؤمن
بحكم الحذاقة في التحليل أو القدرة على توفير المعلومات،
بأن خطة اللجنة الثلاثية العربية هي مثل القرار 242
والقرار 598، تستطيع أن تريح نفسها وأن تتصرف بما لا
يجعلها تخسر كل شيء.

أما الأطراف المعاندة غير الحاذقة والتي تتوافر لها
الإشاعات أكثر من المعلومات، فإنها ستتعب وتسبب
بعض الصداخ لغيرها ولن تكسب شيئاً.

وتكراراً ان اللجنة الثلاثية تقررت لتحل المسألة اللبنانية،
واللجنة وضعت الخطة كأساس للحل. وقد يحدث بعض
التباطؤ إلا أننا إستناداً إلى سابقة القرار 242 وسابقة القرار
598 نجد أنفسنا مطمئنين إلى أن ما أصاب القرارين
سيصيب الخطة، لأنها واقعية ومتوازنة ولأنها خطة تحظى
بموافقة أهل القرار الدولي.

ولأنها كذلك فلا خوف منها ولا خوف عليها من
الإنتهاز.. ولا مجال لأي فيتو يضعه هذا الطرف أو ذاك
عليها.

مجلة "التضامن". لندن - 16 تشرين الأول (أكتوبر) 1989

* * *

مرونة ياسر عرفات وتشدد ميشال عون

منذ اللحظة التي بدأ فيها ممثلو السلطة التشريعية في
لبنان مداولاتهم في الطائف، بدأت تصدر من بيروت
بجناحيها الغربي والشرقي مواقف لا تدعو إلى الإرتياح
لأنها تتسم بالتشدد بينما الهدف من لقاء الطائف هو
إعطاء المرونة فرصتها لكي تساعد على تحقيق صيغة
حل متوازنة للمسألة اللبنانية.

ولقد كان لافتاً للانتباه أن الطرفين اللذين يتبادلان
الإنتهامات وجدا نقطة تجمعهما إلتقيا حولها إلا أنها مع
الأسف كانت نقطة سلبية.

وهذه النقطة هي الهجوم على فكرة لقاء الطائف والحل

ولقد صمد هذا القرار لسبب أساسي وهو أن أهل القرار
الدولي إتفقوا عليه. وعندما يتفق هؤلاء على شيء فهذا
معناه أنه يجب أن يتحقق من دون أن تؤثر على ذلك
الخلافات العادية أو الصراعات الحادة بين الدول الكبرى
التي هي أهل القرار.

وعندما إتفق أهل القرار الدولي على القرار 242 لم
يشغلهم على الإطلاق أن هذا الطرف سيوافق وأن ذلك
الطرف سيرفض، ولم يشغلهم ذلك على أساس أنهم يعرفون
أن الموافقة ستكون شاملة وأن الذي يرفض اليوم سيوافق
غداً أو في وقت لاحق على أي حال.

ومرت سنوات قبل أن يحدث قبول نسبي ثم قبول شبه
إجماعي بالقرار 242. وعندما نتأمل في خريطة الصراع
العربي - الإسرائيلي نجد أن كل الخطوات تتخذ من القرار
242 وأنه إذا كان لا يحدث تقدّم سريع في تنفيذ الحلقات
المعقدة في هذا الصراع فإن الإتفاق الذي تم بين أهل القرار
الدولي قضى بهذا التمهّل.

وما يقال في شأن القرار 242 يقال أيضاً في شأن
القرار 598 الذي جاء نتيجة إجماع دولي إزاء موضوع
الحرب العراقية - الإيرانية.

وعلى رغم أن الطرف الإيراني رفض ثم تريت ثم تمهّل
ثم تباطأ فإن كل ذلك لا يعني أن الحُكم الإيراني سيبقى
على موقفه وأنه برفضه القرار سيُجبر العالم على أن يعيد
النظر فيه.

والدليل على ذلك هو أن الحُكم الإيراني وجد نفسه أنه
لا بد له من الموافقة على القرار 598 بصرف النظر عن
التوقيت الذي إختاره لإعلان الموافقة.

وفي تاريخ القرارات الدولية التي تصدر عن مجلس
الأمن قرارات كثيرة بعضها منسي وبعضها الآخر وُلد لكنه
لم يصمد. إلا أن القرار 242 والقرار 598 صمدا لأنهما
جاءا نتيجة إجماع دولي.

وبالنسبة إلى المسألة اللبنانية يجوز الإفتراض بأن
خطة اللجنة الثلاثية العربية هي مثل القرار 242 والقرار
598 أي أن ما قررت هذه اللجنة لا عودة عنه حتى إذا
حدث تباطؤ أو حدثت إنتكاسات.

وصحيح أن هذه الخطة ليست قراراً دولياً إلا أن التأييد
الذي حظيت به اللجنة الثلاثية العربية تجعل مقارنة الخطة
بالقرارين 242 و 598 أمراً طبيعياً.

وخلاصة القول إن التباطؤ لا يعني أن في إستطاعة
هذا الطرف أن يحقق من تصلّبه مكاسب أكثر أو أفضل،

الذي ابتكرته اللجنة الثلاثية للمسألة اللبنانية.

لقد كان لافتاً للإنتباه أن وليد جنبلاط يتحفظ على لقاء الطائف ونبيه بري يتحفظ والشيخ محمد حسين فضل الله يتحفظ، وفي الوقت نفسه العماد عون يتحفظ.

وقد يجوز إعتبار تحفُّظ كل من وليد جنبلاط ونبيه بري ومحمد حسين فضل الله وآخرين ينتمون إلى التوجه السوري - الإيراني أمراً طبيعياً على أساس أن أي حل يدخل في نطاق الشرعية والحلول الوسط سيكون على حساب الزعامة التي لكل منهم في السنوات التي إختلست فيها الشرعية وباتت كلمة اللاشرعية هي الأقوى، لكن التحفظ الذي لا يبدو طبيعياً هو تحفُّظ العماد ميشال عون الذي لم يترك مناسبة، منذ أن بدأت إجتماعات الطائف، إلا وسجّل فيها تحفظاته.

وباستثناء التركيز على مسألة التحرير التي طرحها منذ البداية العماد عون فإن المحيطين بالجنرال أو المرشحين له لا يوضحون السبب الحقيقي للتحفظ والذي هو، أن شأن الجنرال سيصبح مثل شأن نبيه بري ووليد جنبلاط والشيخ محمد حسين فضل الله في حال التوصل إلى صيغة الحل الوسط للمسألة اللبنانية.

وهنا نجد أنفسنا أمام وقفة لا بد منها إزاء هذه التحفظات التي تصدر بالذات عن العماد ميشال عون. وقفة نطرح فيها، بينما لقاء الطائف كان حتى كتابة هذه الأسطر (يوم الإثنين 16 أكتوبر/تشرين الأول 1989) لا يزال على شيء من عدم التقدم، التساؤل الآتي: هل يعتقد العماد ميشال عون أن المرونة أمر ينقص من قدر أي صاحب قضية؟

والرد على هذا التساؤل هو أن المرونة تصبح صفة محمودة عندما يكون صاحب القضية مبدئياً ومؤمناً بقضيته.

وفي هذا الصدد نجد أنفسنا نشير إلى ياسر عرفات الذي هو نموذج لصاحب القضية الذي لا يترك رياح المواقف الدولية تتلاعب بشراع سفينته وإنما يتكيف مع واقع الحال ومع مستجدات كثيرة تطرأ على الساحة الدولية بحيث يختار المرونة في اللحظة المناسبة.

ولولا إختيار عرفات للمرونة لما كان لقيادته للعمل الفلسطيني تحقيق هذه المكاسب في الجولات الدبلوماسية التي هي بأهمية الجولات التي تشهدها ساحات وخطوط المواجهة.

لقد طرح ياسر عرفات قبل أربع وعشرين سنة تصورات وأفكاراً تعبوية للقضية الفلسطينية. لكن عندما حانت ساعة الحقيقة بدأ ينادي بالحل الوسط بعدما كان يرفع شعار ثورة حتى النصر. وبدأ يرتضي الدولة التي تغتدق إلى الأرض بعدما كان يصبر على الدولة الديمقراطية.

وليس هنالك - باستثناء بعض الذين تتحكم بهم مشاعر العداوة الشخصية أو الغيرة - من يستطيع التشكيك بياسر عرفات، كما أنه ليس في قدرة أحد - عدا الذين أشرنا إليهم - المزايدة على أن حبهم لفلسطين أكثر صدقاً من ياسر عرفات.

لقد مارس عرفات التشدد عندما كان هذا التشدد مطلوباً. ونادى بالحل الذي ينبع من فوهة البندقية، ثم في لحظة حاسمة من لحظات مواجهة الحقيقة إعتبر أن رئاسة دولة فلسطين، التي لم تولد بعد، هو مكسب سياسي جيد للقضية.

وهذا ما نريد قوله للعماد عون.

نريد القول إن المطالبة بالتحرير كانت عند طرحها أمراً مفيداً ومطلوباً.

ونضيف إلى ذلك أن التشدد الذي إنتهجه ميشال عون أفرز وضعاً مأساوياً إلا أن هذا الوضع ساعد على ولادة الحل العربي المتمثل باللجنة الثلاثية.

ولكن المطالبة بالتحرير لم تعد مبررة بعدما أخذت اللجنة الثلاثية العربية على عاتقها أمر إيجاد حل للمسألة اللبنانية.

بل قد يجوز القول إنه حتى لحظة لقاء البرلمانين اللبنانيين في الطائف كانت المطالبة بالتحرير أمراً منسجماً مع واقع الحال، لكن هذا الشعار يجب أن يصبح جزءاً من الماضي بعد لقاء الطائف.

يصبح كذلك وتحل محله مرونة متناهية ومن دون أن يعني هذا الإختيار أن العماد عون مُني بهزيمة أو أنه تراجع عن مبدأ.

وتكراراً إنه لو كان الأمر كذلك لما كان زعيم مثل ياسر عرفات حقق بالمرونة مكاسب ما كان ليحققها لو أنه إستمر على الرفض والتشدد والتحفظ.

وما حدّث لعرفات نتمنى أن يكون أمثولة. أو أن الذي حدّث لعرفات هو عبرة وأن العماد عون مطالب بأن يعتبر. فهل يعتبر العماد؟

وهل يلحق به الآخرون من وليد جنبلاط إلى نبيه بري

إلى الشيخ محمد حسين فضل الله.. إلى بقية المتشددین الذين يجب أن يتأكدوا بأن المرونة فضيلة وأنها بالنسبة إلى المسألة اللبنانية واجب وطني.

مجلة "التضامن". لندن - 23 تشرين الأول (أكتوبر) 1989

* * *

مجرد مقارنة أم تحضير لحالة جديدة؟

المعروف عن الرئيس صدام حسين حرصه على المواقف المضيئة في التاريخ العربي القديم، وشغفه في إستحضار تلك المواقف عند ممارسة الواجب والدور في الحاضر.

والمعروف عن الرئيس صدام أنه لا يترك مناسبة إلا ويمزج بين نفحات الدين الإسلامي وتراثية الإنتماء القومي عندما تكون هنالك مخاطبة تاريخية.

ولعل الرئيس صدام كان يدرك أبعاد هذه الممارسة وتلك النظرة في المزج بين نفحات الإسلام وتراثية الإنتماء القومي، لأنه بفضل ذلك إستطاع أن يحافظ خلال عشرين سنة على العراق متماسكاً على صعيد الإنتماء القومي وأكثر تماسكاً على صعيد التدين. ومن أجل ذلك فإن موجة التدين المتمزجة تكسرت في كل المحاولات التي حدثت على أيدي غلاة التزمت. كما أن المحاولات الأخرى التي تستهدف تغليب المشاعر الإقليمية على المشاعر القومية تكسرت هي الأخرى.

ولا يغيب عن بال الذين يتابعون التفاصيل الدقيقة للرئيس صدام في قيادته للعراق وفي ممارسته للدور القومي حرصه على إبلاغ الحالمين بالإقليمية بأن العراق قوي بعروبه وأنه عندما يحارب فإنما يحارب نيابة عن أمته العربية، وعندما يبني فإنه يبني من أجل الأمة المتطورة.

كذلك لا يغيب عن بال المتابعين أيضاً كيف أن الرئيس صدام كان ينبّه رفاقه، الذين أبعدتهم أجواء علمانية البعث عن بعض طقوس الدين الإسلامي، إلى أن العقيدة البعثية قوية بالعرب وأكثر قوة بالدين الإسلامي.

وفي معظم الأحيان كان التنبيه يأخذ شكل لفت إنتباه لكن بعد الواقع الكثير التعقيد الذي أحدثه الإعصار الديني الذي عصف بإيران وبدأ ينطلق منها إلى الخارج بات لا بد

من بعض العناية بمسألة الدين تخفف قليلاً من غلواء العلمانية وتحد من إندفاع ذلك الإعصار.

وفي سنوات الحرب حدثت بعض المؤشرات في شأن إهتمام الرئيس صدام بالمسألة الدينية. وللهواة الأولى بدا أن هذا الإهتمام ناشىء عن قساوة الحرب التي تجعل الإنسان وبالذات إذا كان هو القائد يمارس واجب الشكر لله سبحانه وتعالى بعد تجاوز أي محنة أو إمتحان صعب أو يُكثر من التأمل في إطار الأجواء الدينية.

ومن هنا يمكن تفسير قيام الرئيس صدام بتأدية العمرة مرتين وحرصه على أن تأخذ الإحتفالات بعيد المولد وبشهر الصوم وبعيدي رمضان والأضحى وبمناسبة عاشوراء وأيامها الحزينة، بعدها الرسمي وعمقها في النفس وفي الوجدان.

وقبل عيد المولد النبوي الذي صادفت ذكره الجديدة يوم الخميس 12 ربيع الأول 1410 هـ و12 تشرين الأول (أكتوبر) 1989، كان الرئيس صدام يحتفل بهذه المناسبة كيوم متميز أو اليوم الأكثر تميزاً في حياة الأمة، عن طريق الإكثار من التأمل. لكنه بالنسبة إلى الذكرى الجديدة التي حلت يوم الخميس (12 ربيع الأول و12 تشرين الأول...) إحتفل بطريقة تحدث للمرة الأولى، حيث أنه وجّه رسالة من النوع الذي تجعل الذي إستمع إليها يقرأها مكتوبة وتجعل الذي يقرأها للمرة الأولى يقرأها مرة ثانية وثالثة.

وهذا ما حدث بالنسبة إلى كاتب مثلي يتابع بالحد الأقصى من الدقة حركة الرئيس صدام. فبعدما قرأت رسالة الرئيس أعدت القراءة ثانية. فهي المرة الأولى التي يقول فيها الرئيس صدام كلاماً يعكس إنطباعاتاً بأنه ليس مجرد مقارنة بين ظروف تاريخية بقدر ما أن هذا الكلام هو تحضير أو تمهيد لحالة جديدة.

وأكثر من ذلك، وجدت نفسي وأنا أعيد قراءة الرسالة مرة ثانية أن صدام حسين الذي عرفناه صاحب نظرة أو نظرات في الماضي لمسألة الإسلام ودور الدين هو على أهبة أن يكون صاحب نظرية تمزج بين الدين والدنيا وتشكّل ما يجوز إعتباره الرد الحضاري على موجة التزمت الديني التي تزداد إنتشاراً وتهدد إستقرار أوضاع وحكومات في العالم العربي من بينها مصر والسودان وتونس والجزائر الآن.. والبقية على الطريق.

وقبل قراءة رسالة الرئيس صدام بنصها قد يكون من المناسب التأمل قليلاً في بعض العبارات ووضع خط أو

أكثر من خط تحتها. وهذه العبارات هي:

- «في مثل هذا اليوم وقبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة كانت الأمة العربية تتمخض عن ولادة تعيد لها مسؤوليتها تجاه نفسها وتجاه الإنسانية من موقع قيادي خاص، وكانت الإنسانية حين كانت الأمة في مرحلة مخاض لتلد وليدها بإسم الله في إنتظار هذا الوليد بعد ترقّب. وبعد أن حان وقت الولادة، وُلد محمد بن عبدالله في الثاني عشر من ربيع الأول».

- «... ومع هزة الولادة وتدافع أمواج معانيها إنشق ايوان كسرى. ومن الولادة وإنشق ايوان كسرى بان غرض الولادة، وتبدأ بداية جديدة في مسيرة الإنسانية».

- «بعد أربعين سنة من الولادة تلطف الله سبحانه وتعالى بإختار محمدا العربي رسولا فإهتزت بإختياره الذي أبلغ عن طريق الملك الصالح جبريل كل مواطن السوء في أرجاء الارض، توطئة لتداعبها على التوالي بإنتشار نور الإسلام...».

- «لقد إنشق ايوان كسرى في الأرض تعبيراً عن سقوط ثقل الرسالة على رمز الظلم والفساد في الأرض...».

- «إن الإنسانية كلها بحاجة الآن إلى النموذج الذي يقدمه العرب لها متفاعلين مع المعاني المعنوية والروحية لتراثهم من ناحية، ومع تطلّع الإنسانية إلى الإنقاذ وممارسة الدور المتوازن في الحياة، من ناحية أخرى».

تلك هي العبارات التي توجب وضّح أكثر من خط تحتها.

وهذه العبارات إضافة إلى رأي الرئيس صدام في فشل التجربة الشيوعية ومساوئ تجربة الغرب وهو رأي تضمنته رسالته ويقول بهذا الوضوح للمرة الأولى تؤكد أن الرئيس صدام لا يسجل مجرد نظرة وإنما يبدو كمن يتهيأ لطرح نظرية.

ويبقى أن الرئيس صدام الذي تكررت المواجهة العربية الفارسية على يديه بدأ المواجهة مع إيران في العمر الذي بدأت فيه المواجهة الأولى مع ولادة الرسول الكريم.

وللتذكير فإن هذه المواجهة بدأت مع الشاه وكان صدام حسين الذي قادها إلى لحظة معاهدة الجزائر في الأربعين من العمر ثم عندما أكمل المواجهة مع الخميني كان في الثالثة والأربعين.

يبقى أيضاً أن رسالة الرئيس صدام لم تكن مرتجلة ولا هي عبارة عن خطاب أمام حشد جماهيري تفرض أجواء الحشد والتهافتات على زعيم مثل صدام حسين التجاوب مع

هذه الجماهير بكلام تغلب فيه الحماسة على أي شيء آخر.

إن هذه الرسالة مكتوبة. ومن الجائز الافتراض أن الرئيس صدام الذي تأمل في أفكارها كثيراً قبل الكتابة تأمل أكثر في كلماتها بعد أن صاغها.

وهي رسالة ستأخذ حجمها الكبير من المناقشة همساً أكثر من المناقشة العلنية وذلك لأن البعض قد يسيء التفسير فلا يعتبر أن الرئيس صدام عقد هذه المقارنة المتعلقة بإنشقاق إيوان كسرى إنسجاماً مع شغفه بإستحضار الماضي والحلقات المضئية فيه عند الحديث عن أمور الحاضر أو عن أمور في الحاضر، وإنما سنجد من يعتبر أن الرئيس صدام يشبه نفسه بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام في هذه الرسالة التي ما كانت مثل هذه المقارنة لتحذث لو أن الحرب لم تكن بين العراق وإيران، ولو أن صدام حسين لم يكن في الأربعين من عمره عندما وجد نفسه يأخذ على عاتقه وهو شريك في الحكم مسؤولية الشق الأول من هذه الحرب التي لم تنته لمصلحة العراق ثم مسؤولية الشق الثاني الذي إستغرق ثمانية أعوام إنتهت لمصلحة العراق.

وتكراراً إن الرسالة التي وجهها الرئيس صدام حسين لمناسبة ذكرى المولد قد تبدو مجرد مقارنة موضوعية لكنها في الوقت نفسه تبدو مشروع نظرية جديدة تحل محل نظرة أو نظرات.

ومن المؤكد أن الرئيس صدام لن ينتظر مناسبة عيد المولد المقبلة ليضيف إلى ما قاله في الرسالة الكثير مما يجعل الأمر أكثر وضوحاً ويجعل مساحة الحيرة في نفس الذين قرأوا الرسالة وسمعوها أو سيقرونها... أقل.

نص رسالة الرئيس صدام حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

في مثل هذا اليوم، وقبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة، كانت الأمة العربية تتمخض عن ولادة تعيد لها مسؤوليتها تجاه نفسها وتجاه الإنسانية من موقع قيادي خاص. وكانت الإنسانية، حين كانت الأمة في مرحلة مخاض لتلد وليدها بإسم الله، في إنتظار هذا الوليد بعد ترقّب. وبعد أن حان وقت الولادة، وُلد محمد بن عبد الله في الثاني عشر من ربيع الأول.

ومع هزة الولادة وتدافع أمواج معانيها، إنشق إيوان كسرى. ومن الولادة وإنشقاق إيوان كسرى، بان غرض الولادة، وتبدأ بداية جديدة في مسيرة الإنسانية.

بعد أربعين سنة من الولادة، تلطف الله سبحانه وتعالى، بإختار محمداً العربي رسولاً، فاهتزت بإختياره، الذي أبلغ عن طريق الملك الصالح جبريل، كل مواطن السوء في أرجاء الأرض، توطئة لتداعيها على التوالي بإنتشار نور الإسلام، وإنتفاضة أهل الأرض، بقيادة العرب، على المساويء التي نالت من إنسانيتهم، وأبعدتهم عن التوازن الصحيح في مسعاهم وعلاقاتهم ورؤيتهم إلى ما هو روحي وما هو مادي، في النظرة والتصرف.

لقد إنشق إيوان كسرى في الأرض تعبيراً عن سقوط ثقل الرسالة على رمز الظلم والفساد في الأرض، وعن دور المعاني التي يطلقها رب السماوات والأرض، في أحكام الصلة وإقامة التوازن بين ما هو مادي وما هو روحي، مع أرجحية خاصة لما هو روحي على ما هو مادي لأغراض القيادة، وأغراض أخرى حددها الله سبحانه.

و في الولادة، وإضفاء دور النبوة، وتبليغ الرسالة إلى الإنسانية، مما كلف الله به محمداً، صلى الله عليه وسلم، جدد الله ثقته بالعرب مرة أخرى كملاك قيادي، بلا منازع، للإنسانية على الطريق القويم، بعد أن بارك أرضهم بالولادة. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [صدق الله العظيم].

لقد أعلن الله بالولادة، التي تباركت فيما بعد بالنبوة، أن المطلوب هو أن تبدأ الإنسانية مساراً جديداً، وأعلن في هذا أن الإنسانية، بعد أن كانت من قبل قد إرتقت إلى مرحلة جديدة بولادة سيدنا المسيح، وبالنبوة التي باركه الله فيها، مطلوب منها أن ترتقي إلى مرحلة جديدة، وأن تتوج بحالة ليس لها منافس من بعد، وأن العرب، بعد أن قادوا مرحلة إبلاغ رسالة رب السماوات والأرض في زمن سيدنا عيسى عليه السلام، وبعد ذلك، لم ينته دورهم في إبلاغ ما يريده الله إلى الأرض عن طريق رسول جديد، ولم ينته دورهم كملاك للجهد والنضال، وكمثال ونموذج يسهل مهمة الإنسانية في الإهتمام إلى ما هو حق، ومن كل هذا تتضح العبر والدروس.

قال سبحانه ﴿والله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ [صدق الله العظيم].

وفي هذه المناسبة يصعب، بل ويستحيل على من هو من أمثالنا، أن يحيط بكل معاني العلاقة سواء داخل الإنسانية، مما أرادها الله، أو التي تخص العلاقة بين الإنسانية وربها، وعند ذلك لابد من الإختيار إلى ما يمكن الإهتمام إليه بصعوبة أقل، وتقديم ما يقتضي التذكير به،

عل ما عداه. ولم يعلمنا الله، سبحانه وتعالى، بدور كهذا لأية أمة، غير أمة العرب، وبتواصل لم ينقطع عبر كل الأنبياء والرسل بلا إستثناء.

إن العرب هم الأمة التي إختار لها الله دوراً قيادياً مستمراً لتمتثل إلى إرادته، ولتبلغ رسالته، إلى الإنسانية في الأرض. وأن إنتهاء دور الرسل في إبلاغ رسالات رب السماوات والأرض، وعدم ظهور الأنبياء لم يئنه دور الأمة في قيادة الإنسانية بالنموذج والتبشير بالمعاني التي أرادها الله، وإن هذا يفترض أن نتذكر دورنا ولا ننساه، ويفترض أيضاً أن نتذكر الأمم الأخرى أن ملاك القيادة في الأرض قد إختاره الله على التوالي ووضعه في العرب، وأنها، إذا ما أرادت فعلاً أن لا تنقطع عن معاني الرسالات، وأن تعاون في أن تتواصل الإنسانية مع هذا العمق التراثي والروحي لا تنقطع عن معانيها الشريفة، يجب أن لا تنسى هذا، وأن لا يتجاوز عليه كائن من كان، وأن لا ينسى العرب هذا أيضاً، وأن لا يتجاوزوا على الإنسانية أيضاً عندما يتخلون عن دورهم في قيادتها.

ولكي لا يتجاوز العرب على أنفسهم، عليهم أن لا ينقطعوا عن إظهار النموذج الصالح، وممارسة دورهم على هذا الأساس. ولا ينفع في ممارسة الدور والمسؤولية مجرد التبشير اللفظي بعبارات أو جمل مكررة، ولا حتى الإعلان والتذكير بأيات من الذكر الحكيم، ونصوص من السنة النبوية المطهرة.

إن مجرد الكلام عن هذا، فحسب، يزيد على العرب أوزار تقاعسهم عن دورهم، ويزيد على الإنسانية أوزاراً فوق ثقل الأوزار التي تنوء بها جزاء فعلها.

وإن البداية الصحيحة، تصوراً وتصرفاً، هي في إعادة التوازن بين ما هو مادي وما هو روحي ومعنوي، مع أرجحية خاصة للإعتبارات الروحية والمعنوية كما قلنا من قبل، وإن الإنسانية كلها بحاجة إلى ذلك النموذج، الذي جسده الإنسان العربي في العقل والعمل، في المراحل المشرقة لمسيرة الإنسانية، بقيادة الأمة العربية، والتي أعقبت يوم شروق الرسالة السماوية. وحذار من أن نحرك الماضي تحريكاً جامداً منقولاً إلى الحاضر، أو أن نترجع إليه ظناً منا بأننا في هذا إنما نمثل إلى معانيه وقيمه، لأننا، إن فعلنا هذا، سوف نشوه معاني كل الرسالات السماوية، ولن نؤكد أي معنى من معانيها، وسوف نؤكد العجز حيث التوثب المطلوب والإبداع صفة القيادة والنهضة، ونضيف إلى الأشجار اليابسة أشجاراً يابسة

أخرى.

الأول فيها.

لقد دخلت الشيوعية مدخل المحاكمة للنفس، بعد أن حاكمتها الإنسانية وأصدرت حكمها عليها قولاً وفعلاً، وسيؤول حالها إلى ما يؤول إليه، وعندها لن تكون تجارب وتصورات الشيوعية هي هاجس الإنسانية وشاغلها الشاغل، بالأسبقية المعروفة التي شغلتها وشغلت الشعوب في الغرب وخارجه عن الكثير من مساوئ الغرب ورؤية مخاطر الاختلال في موازينه الفكرية والعملية.

وستعود الإنسانية، ومنها ما ستقضي إليه تجربة العالم الشيوعي، تركز على مساوئ الغرب وستكون مساوئ الغرب هي الشائشة الأكثر بشاعة أمام المشاهد، من دون أن يحجب سوءها الدعاية ضد الشيوعية، أو الإنشغال بالشيوعية، وسيتفرغ التيار الإنساني الجارف إليها، وسيصطدم بجرفها ليحطم كل معاني السوء فيه، بعد أن تكون المقارنة بين الشيوعية المادية والرأسمالية المادية قد إنزاحت عن الطريق وحل محلها نمط من المقارنة من نوع جديد، تكون فيه النتائج ضد الرأسمالية البغيضة، وإفرازاتها من الإضطهاد والإستعباد والإستغلال والطبقية.

ومن كل هذا، تتبين المعاني المطلوب إستذكارها من العرب والإنسانية، ويتبين حجم ونوع المسؤولية التي تنتظر العرب، أو هم في إنتظارها والسعي إليها، ويتبين مستقبل العرب الزاهر والمكانة القومية والإنسانية، التي تنتظرهم حيث يتدحرج الطاغوت على مستوى الكون كله، وإن مما يسهل تدحرج الطاغوت وتحطمه، هو أن يحقق العرب نموذجهم الإنساني والقومي، طبقاً لمقتضيات روح العصر ورسالتهم التي خصهم بها الله، سبحانه وتعالى، في الأرض. وإن من أهم مستلزمات أن يحقق العرب نموذجاً صالحاً تستلهمه الإنسانية، هو أن يحققوا وحدتهم، وقيموا أركان العدل والعدالة الإجتماعية في مجتمعاتهم، ويهيئوا السبل والأسباب التي تنطلق فيها طاقات الإنسان الفكرية والعملية إلى مداها الأرحب.

ومن كل هذا يتبين، أيضاً، عمق المعاني، وروح الإستتفار الدائم، التي غرسها في أمة العرب، ميلاد الرسول العظيم محمد بن عبدالله، والله أكبر. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مجلة "التضامن". لندن - 23 تشرين الأول (أكتوبر) 1989

* * *

إن المطلوب هو أن نتمثل معاني الرسالة السماوية التي نقلها جبريل الأمين إلى محمد بن عبد الله الرسول، وأن نعيد إلى أمة العرب دورها القيادي المؤثر، كملاك جهادي قيادي إختاره الله، نظراً لقدرته على الفعل والقيادة، ونظراً لإستعداده للعطاء والتضحية والإيثار، وقبل كل هذا، ومع كل هذا، لأن العرب قد وهبهم الله، وهياً لهم، قدرة فهم رسالته ومعانيها.

إن الإنسانية كلها بحاجة الآن إلى النموذج الذي يقدمه العرب لها، متفاعلين مع المعاني المعنوية والروحية لتراثهم من ناحية، ومع تطالعهم، وتطلع الإنسانية إلى الإنقاذ، وممارسة الدور المتوازن في الحياة، من ناحية أخرى.

إن الإنسانية، إن كان في شرق المعمورة أو غربها، تضع نفسها الآن على طريق هاوية سحيقة، وأزمة حقيقية، هي بأمس الحاجة إلى أن تعيد الأمة العربية المخاض، ليس بدور رسالي مباشر هذه المرة، لأن محمداً هو آخر الأنبياء والرسول، وإنما بدور يستلهم معنى الرسالة تجاه الأمة والإنسانية.

لقد إهتزت الإنسانية وتصدعت، وهي في طريقها إلى كارثة حقيقية، إن لم يعمل العرب على تبصيرها بالمعاني التي أراد الله بها إيوان كسرى أن ينشق في الأرض، وهو ركن مادي فيها، ذلك لأن التوازن، آنذاك، قد إختل في علاقة المادي بالمعنوي والروحي لصالح المادي من الأمور حتى غرق الإنسان فيه. وكان إيوان كسرى من أبرز شواخصها آنذاك، وإن الأزمة الإنسانية الآن، هي بهذا الإختلال بين ما هو مادي وما هو روحي ومعنوي، وذلك الميل الذي أصبح واضحاً لصالح ما هو مادي على حساب ما هو روحي ومعنوي.

ويخطئ من يتصور أن الأزمة في الدول الشيوعية هي محض أزمة أفرزتها المقارنة بين الإنتاج والإنتاجية في الغرب كماً ونوعاً، والإنتاج والإنتاجية في الدول الشيوعية على أساس قياسي معروف. إنها أعمق من ذلك وهي موجودة في الغرب أساساً، بل إن الغرب قد عممها على العالم، وإن أخذت ونحت في العالم منحى ومساراً غير المنحى والمسار الذي سارت عليه في الغرب، وإذا كانت الظواهر، التي نراها اليوم في التجربة الشيوعية، ترسم أزمته والإختلال الحاصل في قطب مسيرتها بين ما هو مادي وما هو معنوي، وهذا يؤشر على مأزقها، فليس الغرب بعيداً عن يوم، أو أيام مماثلة، أو أشد منها، نظراً لأنه صاحب الوزر

السعودية التي ليست وسيطة

للمرة الأولى يحدث مثل هذا الأمر.

للمرة الأولى يحدث أن وزير خارجية المملكة العربية السعودية يقوم على مدى شهرين بما يشبه التفرغ لمسألة واحدة هي المسألة اللبنانية.

ولو كانت المملكة دولة عادية لا تشكل السياسة الخارجية عندها همًا، بل إنه من الهموم الكبرى لكان مثل هذا التفرغ طبيعياً على أساس أن وزير الخارجية ليس عنده ما يشغله، وما دام الأمر كذلك فلماذا لا يتعاطى، وعلى أقل درجات التمهّل، في شأن المسألة اللبنانية.

لكن المملكة العربية السعودية لديها من المشاغل والهموم على صعيد السياسة الخارجية الكثير ومن أجل ذلك فإنه عندما يتعامل وزير الخارجية السعودية مع المسألة اللبنانية بما يشبه التفرغ فهذا مؤشر على مدى حرص بلاده على إيجاد حل لهذه المسألة.

وعند التأمل في ما يقوم به الأمير سعود الفيصل يتأكد لنا أمر التفرغ أو شبه التفرغ، فهو بين مكتبه في جدة وقصر المؤتمرات الذي كان الحوار البرلماني اللبناني فيه. وهو عندما يتطلب الأمر زيارة قصيرة إلى دمشق فإنه يتوجه على الفور.

وهو بين التحرك وذاك يبدو في مكتبه كما أنه في غرفة العمليات تتابع بكل الدقة المعركة الفريدة من نوعها، وهي معركة حوار البرلمانيين اللبنانيين من أجل الاتفاق على كلمة سواء بينهم.

ومن المؤكد أن هذه المتابعة لا تقتصر على ذلك وإنما تمتد حدود المتابعة إلى ما هو أبعد بكثير.

والذي يجعل الأمير سعود يفعل ذلك وبهذه الهمة هو أنه يعرف مدى حرص عمه الملك وأركان الحكم في المملكة على إيجاد حل للمسألة اللبنانية، إضافة إلى أن الأمير سعود من النوع الذي ينطبق عليه الحديث الشريف "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه".

وإذا كان كُتِبَ لإجتماعات الطائف أن تثمر النتيجة الطيبة التي توصلت إليها فإن الفضل في ذلك ليس فقط لعدالة بنود الحل العربي، وإنما بسبب سعة الصدر التي أظهرتها المملكة.

وما هو معروف عن المملكة العربية السعودية هو أنها طويلة البال. لكن طول البال إزاء المسألة اللبنانية فاق

الحد بكثير.

ولولا قلق المملكة لما كان لطول البال هذا أن يصل إلى ما وصل إليه.

فالمملكة قلقة على مصير لبنان.

والمملكة قلقة من إهتزاز المعادلة حيث أنها لا تريد أن يكون هنالك غالبون ومغلوبون.

والمملكة قلقة حتى على أعمار بعض النواب المشاركين في إجتماعات الطائف خصوصاً أن عدداً كبيراً منهم بلغ من العمر السن المتقدمة. وعند التأمل في بعض الصور عن اللقاءات والإجتماعات يتبين لنا أن منظر البعض هو مثل منظر أعضاء المكتب السياسي للحزب الحاكم في الدول الاشتراكية.

ولقد إعتدنا في المؤتمرات العربية والإسلامية ومؤتمرات عدم الإنحياز على رصد تصرفات الدولة المضيفة وكيف أن بعض هذه الدول يهتمها في الدرجة الأولى أن يصل الملوك والرؤساء بسلام وينهوا مؤتمراتهم بسلام، وأن لحظة الإرتياح الحقيقية التي تشعر بها هذه الدولة هي عندما ينفّض الشمل ويعود كل وفد إلى بلده من دون حدوث منغصات صحية وأمنية.

وإذا كان الوجود الأمني للنواب اللبنانيين في الطائف لا يحتاج إلى قلق أمني فإن ذلك لا يعني أنه ليس هنالك قلق من جانب المملكة على الوضع الصحي لبعض المشاركين في المؤتمر.

وتبقى بعد إنتهاء إجتماعات الطائف بالنتائج الطيبة التي توصلت إليها، الإشارة إلى أن العالم الذي صار في النهاية يضيق حتى من سماع أخبار الحرب والفوضى السائدة في لبنان تجاوزت الحد، قد يحدث له الشعور نفسه بحيث يضيق من كثرة التحفظات على النتائج بعدما كان يضيق من طول مناقشات الطائف.

وتأكيداً لهذا الإحتمال فإن الإقبال على تتبّع أخبار لقاءات الطائف كان ملحوظاً في الأسبوع الأول ثم بدأ ينحسر مع نهاية الأسبوع الثاني. وبات هناك إحساس بالملل مع دخول المحادثات أسبوعها الثالث إلى أن إختزلت الجهود غير المعروفة تفاصيلها حواجز الجمود وأمكن بالتالي تحقيق نتائج واقعية.

وكان من حق الذين بدأ ينتابهم الضجر أن يضجروا لأن هذا اللقاء هو للإتفاق إما على الحد الأقصى وهذه أمنية وإما على الحد الأدنى وهذا مطلب.

وما دام الأمر كذلك فلماذا هذا التمييع وهذا الهدر

لوقت.

وقد يكون هذا التمهّل في التوصل إلى موقف موحّد، سببه أن المملكة العربية السعودية ليست وسيطاً وفي الوقت نفسه لا تريد أن تتحاز لطرف. كذلك قد يكون السبب هو أن البرلمانين اللبنانيين لم يستوعبوا تماماً طبيعة الدور السعودي.

وما دامت المملكة ليست وسيطاً ولا تريد أن تتحاز فليس أمامها إلاّ المزيد من سعة الصدر وليس أمام الأمير سعود سوى المزيد من التفرغ.

وهذا ما حدّث بالفعل وكان لافتاً للإنتباه.

بل، وهذا ما يجب أن يحدث بعد الآن لأن النتيجة التي تم التوصل إليها هي مثل طفل تبين بعد ولادته أنه بحاجة إلى تمضية بعض الوقت في الحاضنة قبل أن يخرج إلى الهواء الطلق.

ومن المؤكد أن النتيجة ستتطور إلى إتفاق قد يتعرض إلى بعض النكسات، لكنه في النهاية سيصمد شرط أن يحدث المزيد من تفرّغ الأمير سعود والمزيد من سعة صدر المملكة. فهي كانت تتحمل واجب تحقيق الإتفاق ولقد قامت بالواجب ومن كان هذا دوره يصبح من الطبيعي أن يسهر على إنجاز حقيقته.

مجلة "التضامن". لندن - 30 تشرين الأول (أكتوبر) 1989

* * *

المعادلة الصعبة بين لقمة العيش وحرية التعبير

عندما نتأمل في ما حدّث في العالم بجناحيه الرأسمالي والشيوعي نجد أن القضية الأساسية للمواطن هي الطمأنينة المعيشية والطمأنينة الأمنية.

ولم يحدث في الثلاثين سنة الماضية أن وصلت المسألة المعيشية إلى الحد الذي وصلت إليه ونحن في مرحلة بدء العد العكسي لإنهاء قرن وولادة قرن جديد.

لقد مرت سنوات كانت الأزمات الاقتصادية فيها خانقة إلاّ أنها لم تصل إلى حد أنها باتت القضية الأساسية بالنسبة إلى المواطن، أو إذا جاز التعبير باتت تتساوى مع القضية الوطنية.

وليس واضحاً ما إذا كان هذا الخوف من الإختناقات الاقتصادية التي تحدّث في هذا البلد أو ذاك ناشئاً عن مرارة الحرمان أو نتيجة الشعور بأن العالم على أبواب النهاية.

وهي مقولة تستند إلى أن العام 2000 هو نهاية وليس بداية، وأنه ما دام كذلك فإن الإنسان لا يتحمل أن يحتاج إلى مقومات العيش ولا يجدها.

وقبل أن تتخلى الحكومة الشيوعية في بولندا عن الحُكم وتُسلمه إلى النقابات المعارضة التي كانت تتادي بالديمقراطية وتتظاهر في سبيل الديمقراطية كان الإعتقاد السائد لدى البعض ولدى أهل بولندا في الدرجة الأولى أنه لمجرد أن تسود الديمقراطية فإن كل مشاكل البلاد يمكن أن تجد لها حلاً. ثم تسلمت المعارضة البولندية الحُكم وإذا بالمشكلة الاقتصادية تزداد تفاقمًا ولا تجد لها حلاً.

وقبل أيام بدأ يحدث في تشيكوسلوفاكيا تملل مماثل يمكن أن يتطور بحيث تتكرر الحالة البولندية وينهزم الحُكم الشيوعي أمام الذين يعارضون ويقومون بالتظاهرات. وإذا حدّث ذلك وتسلمت المعارضة الحُكم، كما جرى في بولندا، فإن الحكام الجدد سيواجهون واقعاً مماثلاً وهو أنه ليس بالديمقراطية تتأمن الإحتياجات للناس وتمتلئ البطون الخاوية.

وشمة تجربة حدثت في العالم العربي ونعني بذلك ما جرى في السودان حيث أن المنادين بالديمقراطية ثاروا ضد الحُكم وفي إعتقادهم أنهم سيعمرون طويلاً في الحُكم لكنهم أخفقوا لأن الإختناقات الاقتصادية كانت حادة إلى درجة أن الديمقراطية لا تحل منها شيئاً.

وفي الإتحاد السوفياتي إكتشف غورباتشوف أنه عاجز عن أن يحل المشكلة الاقتصادية ففتح الباب أمام بعض الممارسات الديمقراطية. ولقد إبتهج الناس ثم إكتشفوا أن حرية التظاهر والإشتباك مع رجال الأمن وإطلاق الشعارات الصريحة لا تحل شيئاً من الهموم المعيشية فبدأوا يترجعون إلى درجة أن القضية الأساسية باتت بالنسبة إلى سكان جمهوريات الإتحاد السوفياتي هي لقمة العيش وليس حرية التعبير.

وفي بعض دول العالم الثالث هنالك في الوقت نفسه معارضون وضباط يقومون بإنقلابات، فقط لأنهم قد يجدون وهم في الحُكم بعض المتطلبات المعيشية لهم ولجماعاتهم، وأنهم يرفعون الشعارات البراقة حول الديمقراطية وحرية الرأي والإستقلال الوطني وتحرير الإرادة

وغيرها من الشعارات.. بغرض التموه عن حقيقة دوافع ما قاموا به.

وإذا كنا سنتحدث حول هذه الظاهرة تفصيلاً فإننا سنجد أنفسنا نشير إلى الأكثرية الساحقة من دول العالم الإشتراكي ودول العالم الثالث. ولكننا هنا نشير إلى بعض النماذج والحالات.

وما يقال في شأن هذه الدول يقال بشكل ما بالنسبة إلى الدول الرأسمالية أو فنقل إلى بعضها.

وما هو مائل أمامنا الآن وبحدة يتعلق ببريطانيا التي كانت ذات يوم أمبراطورية لا تغيب عنها الشمس إلى دولة يتشوق أهلها وسكانها إلى رؤية الشمس تسطع في السماء بدلاً من الضباب والأمطار، وتتساقط فيها الثلوج في بعض أيام السنة.

فقبل أيام حدثت في البلد الذي هو مضرب المثل بالديمقراطية تظاهرات قام بها الذين بدأت الإختناقات الإقتصادية تفرع أبوابهم نتيجة السياسة المالية للحكومة. ولقد تطورت الأمور إلى درجة باتت فيها حكومة السيدة مارغريت تاتشر تواجه إمتحان الإستقرار، بل وبات حزب المحافظين مهدداً بالسقوط.

وأهمية ما حدث في بريطانيا، ويمكن أن يتكرر في أي بلد رأسمالي، هو أن القضية المعيشية لا تعوّضها الديمقراطية وأن المعدة الخاوية تحتاج إلى أرغفة وليس إلى حرية وديمقراطية.

وزيادة في التوضيح يمكن القول إن المواطن في بريطانيا إكتشف في لحظة من لحظات التأمل أن ما يطلبه هو حكومة تبعد عنه شبح الإختناقات وليس فقط مجرد حكومة تتيح لمن يريد أن يصرح أو يكتب بأن هنالك أزمة إقتصادية خانقة.

وما حدث في بريطانيا وبدأ يهز حكومتها بالطريقة التي يهز فيها الإعصار شجرة معمرة ويهدد بإقتلاع جذورها، هو أن السياسة التي إعتمدتها الحكومة البريطانية في السنين العشر الماضية تقوم على قاعدة ظالمة أتاحت للبعض أن يكون غنياً إلى درجة الإكتناز وتركزت الأكثرية الساحقة من الناس وهم أصحاب الوظائف على مختلف درجاتهم تحت مظلة إزدهار مخادع حيث إن شركات الإقراض تيسر لهم الحصول على القروض التي يشترطون بها البيوت والسيارات من دون أن يأخذوا في الإعتبار أنهم عرضة لكي يفقدوا ما إشتروه في لحظة يقرر فيها وزير الخزانة رفع سعر الفائدة لمواجهة التضخم.

ومن باب المقارنة يجوز القول إن مطالبة أهل بريطانيا وسكانها، وهي الدولة العريقة بالديمقراطية بحلول سريعة لمواجهة الإختناقات الإقتصادية التي قد تنتهي إلى إفلاسات، تشبه إلى حد ما مطالبة السكان في بعض دول العالم الثالث ودول المعسكر الشيوعي بالديمقراطية.

وما نلاحظه هو أنه لا حصول الذين ينعمون بالديمقراطية على حلول لمشكلتهم الإقتصادية سهلة، ولا حصول التواقين إلى الديمقراطية سيخفف عنهم وطأة المعيشة التي تتزايد حدة يوماً بعد يوم في كل دول العالم. ويبدو أنه لا بد من صيغة جديدة، أو فنقل نظرية جديدة تحاول التوفيق بين تأمين الطمأنينة المعيشية مع الطمأنينة الأمنية من دون أن يكون ذلك على حساب تطلع المواطن إلى الديمقراطية.

وهذه فرصة لمن في إستطاعته أن يبتكر حلاً عملياً وواقعية.

وأجد نفسي بالنسبة إلى الدول العربية ودول العالم الثالث أسجل خلاصة تحليل في هذا الشأن سمعته من أحد الذين يساهمون عملياً في صناعة القرار في بلادهم وبتوا يساهمون إستشارة في هذا القرار.

وخلاصة هذا التحليل هو أن الحاكم الذي يحقق للمواطن خمسين في المئة من الإحتياجات المعيشية وأربعين في المئة من الحوافز التي يمارس فيها المواطن الحق في ممارسة العمل التجاري المحروس بضوابط مرنة، لا يحتاج لكي يكون موضع إلتفاف الناس حوله بكل حماسة إلى أكثر من عشرة في المئة من الديمقراطية وحرية التعبير.

وعندما نقارن بين ما يحدث في الدول الرأسمالية والإشتراكية وفي أحدث التطورات التي تشهدها بريطانيا الرأسمالية وتشيكوسلوفاكيا الشيوعية تتأكد صوابية التحليل القائم على التبسيط.

مجلة "التضامن". لندن - 6 تشرين الثاني (نوفمبر) 1989

* * *

كي لا تقع الواقعة ويتلبن السودان

كلما تزايدت إحتتمالات السلام في لبنان يزداد فرحنا من جهة لأن المسألة وجدت أخيراً لها حلاً متواضعاً، وتتأبنا

زعماء الميليشيات توظيف أنفسهم وطوائفهم في خدمة المخطط الجهنمي.

كذلك إن الرد هو ألا يسمح السودانيون لأنفسهم بأن يحرقوا بأيديهم وطنهم، وهذا ما حدث في لبنان عندما وصل الحد ببعض الزعامات ومن كل الطوائف إلى إحراق وطن. وفي بعض المراحل مارست هذه الزعامات العمل السياسي على الطريقة التي تجعل الوطن هو الذي يدفع في استمرار الثمن.

ولقد بدت هذه الزعامات مثل من يمسك صفيحة بنزين يصبها داخل منزله ولا يترك ركناً من أركان المنزل إلا ويرشه بالبنزين ثم يمسك بعد ذلك بعلبة الكبريت ويشعل النار بمن فيه من الأبرياء.

وعندما نورد هذا المثل فإننا لا نبالغ لأن الذي حدث هو أن بعض الزعامات اللبنانية إرتضت لأنفسها أن تحرق منزلها بيدها. والبيت الصغير الذي يضم العائلة هو مثل البيت الكبير الذي هو الوطن.

ومن الطبيعي أن تكون هنالك قوى شريرة تسعى من أجل تخريب الأوطان وبالذات تلك التي تتوافر فيها صيغة التعايش على أحسن حال. ولكن هذه القوى لا تستطيع إجبار أحد على أن يترك منزله الصغير أو وطنه الكبير إذا كان مالك هذا البيت حريصاً على هذا المنزل وحريصاً على الوطن ولا يبيع ضميره لتنفيذ مخططات قوى الشر مهما كان الثمن.

إن في دول العالم تناقضات ومشاكل كثيرة، بل حتى في الدول العريقة، مثل سويسرا وبلجيكا، هنالك مشاكل عالقة بعضها يتعلق بالمسألة القومية وبعضها الآخر يتعلق بالمسألة الطائفية. ولكن هل نجحت أي قوة في إقناع السويسري أو البلجيكي في أن يدمر وطنه ويبيع ضميره ويسحب السلاح في وجه أخيه؟

والى ذلك إن سنوات التدمير في لبنان إنتهت إلى لا شيء. وإذا فإن المخطط الجهنمي هو التدمير والإنقسام ثم ترك الوطن وقد تقطعت أوصاله.

وعند التأمل في النتائج التي إنتهى إليها الحل في لبنان نجدها عادية ولا تتساوى مع الدمار الذي لحق بالبلد أو مع أنهار الدم التي سالت والأرواح التي فاضت على مذبح من المكيدة والخديعة. وعندما تهدأ الحال قريباً ويخرج المعاقون ضحايا الحرب إلى الشوارع سيبتين لنا حجم الفتنة الكبرى التي وقع ضحيتها اللبنانيون فأضاعوا كل شيء ولم يبق لهم سوى بقايا وطن سيكون من الصعب إعادة ترميمه ما دامت

المخاوف من أن يهاجر العنف من لبنان إلى السودان. ونقول ذلك على أساس أن الذين أضرمو النار في لبنان قبل خمس عشرة سنة لديهم من الوقود الكثير لإستعماله عند إشعال الحريق في السودان.

وما نسمعه من أخبار وتعليقات وإجتهدات يشير مع الأسف، إلى أن أعين اللاعبين بالأمم تحقق منذ بضع سنوات بالسودان، وهي أعين من يرصد الفرصة المناسبة للإنتفاض على هذا البلد الذي عانى الكثير من جرأ التلاعب بمصيره.

وما نسمعه أيضاً يجعلنا نفترض أن هنالك المزيد من السلاح الذي يتدفق إلى المخابئ في بعض مناطق السودان وذلك إستعداداً للحظة التي يحدث فيها إطلاق رصاصة البدء بصراع الخير في وجه الشر على بلد نعتز دائماً بسماحته.

وما نسمعه أيضاً يجعلنا نتساءل: ما الحكمة من الإبقاء على رموز القوى السودانية موزعة على السجون في الخرطوم وبعض المناطق النائية عن العاصمة المثثة؟

ويا إخواننا في السودان، إن المتربصين بالسودان كثيرون، وأكثر مما تظنون.

ويا إخواننا في السودان، إن المخاطر على السودان كبيرة وأكبر مما تتوقعون.

ويا إخواننا في السودان، إن لحظة شجاعة تبقى أفضل من أي شيء آخر.

وإذا كنتم لا تعتقدون ذلك فاسألوا الأشقاء اللبنانيين الذين تجرّعوا العذاب وكأنه السم.

إن أربعة عشر عاماً عاشها اللبنانيون وكأنهم في جحيم يجب أن تكون درساً وعبرة للإخوة في السودان.

ولو أن ما جرى في لبنان كان سرّاً من أسرار هذا الكون لبات من حق الإخوة في السودان ألا يتعظوا أو يعتبروا. ولكن الذي جرى كان مذبحة في الهواء الطلق تولت الأعمار الإصطناعية بثها وتعميمها على كل تلفزيونات العالم.

ولا بد أن الإخوة في السودان شاهدوا.

ولا ريب أن مطالبتهم بأن يعتبروا إنما هي مطالبة طبيعية.

وقد نجد من يتساءل:

وما الذي في إستطاعة السودانيين أن يفعلوه إذا كان هنالك مخطط للبنة بلدهم؟

والرد على ذلك هو ألا يحولوا الفتنة إلى تجارة، وهذا ما حدث في لبنان عندما إرتضى بعض رموز الحرب مع

حدّث مع الرئيس جمال عبد الناصر، أو دار دولاب قضيتهم قليلاً أو هبّت رياح عاصفة على شراع سفينتهم فبات هذا الشراع عرضة للتمزق مثلما حدّث مع العماد ميشال عون.

وشطر بيت الشعر الذي نشير إليه هو: أدبت قِسطك للعلی قَنَم.

وبالنسبة إلى عبد الناصر كان النوم إستراحة أبدية حيث إن روح الزعيم فاضت بعدما أمكنه تحقيق هدف كان في حينه بالغ الأهمية. ولولا تلك القمة التي عقدها عبد الناصر في القاهرة على رغم أنه مريض لما كان ربما لقادة الثورة الفلسطينية أن يكونوا على الحال التي هم عليها الآن، ولما كان ربما لياسر عرفات أن يواصل تحركه ويحقق نقلة سياسية في العمل الثوري تطورت إلى حد إعلان الدولة الفلسطينية وإختيار عرفات رئيساً لها وهي خطوة بمثابة رسالة إلى العالم خلاصتها أن كل شيء جاهز ولا يبقى سوى تحديد رقعة أرض الدولة ورسم حدودها وهو ما يتم السعي من أجله منذ فترة والذي سيستمر طويلاً على ما يبدو.

لقد أدى عبد الناصر قسطه للعلی. وفاضت روحه بعدما عوّض الهزيمة التي حدثت في 5 يونيو 1967، وكانت بالغة المرارة، بإعادة بناء القوات المسلحة على الصعيد المحلي وفتح باب المرونة في الحلول المطروحة على الصراع العربي - الإسرائيلي من خلال القبول بمبادرة روجرز، وكان ذلك على الصعيد الدولي. أما على الصعيد القومي فإن مبدأ التعويض تمثّل بالقمة المصغرة التي عقدها في القاهرة في الأسبوع الأخير من أيلول (سبتمبر) 1970 وإنتهت إلى تثبيت وجود وإستمرارية القيادة السياسية والعسكرية للعمل الفلسطيني وهي القيادة المستمرة حتى الآن بعد وفاة عبد الناصر بحوالى عشرين سنة.

أما بالنسبة إلى العماد ميشال عون فإن الرجل أدى قسطه على أكمل وجه، فلولا لما كانت الأمور ستتطور في لبنان إلى ما تطورت إليه. ولولا الأجواء التي أحدثها في أوساط الجيل الجديد داخل لبنان لما كان ربما أمكن أن يحدث التحرك الذي حدث عربياً ودولياً وإنتهى إلى إنتخاب النائب رينيه معوض رئيساً للجمهورية.

ومن هنا فإن العماد ميشال عون طرف في كل هذه التطورات التي جرت على هامش التحرك. بل قد يجوز القول إن الورقة التي رجّحت كفة إنتخاب رئيس للجمهورية هي تلك الورقة التي وضعها في صندوق الإقتراع من دون

القوى التي خططت للتدمير قادرة على التخطيط للتشيل. وتكراراً إنه مخافة أن يصيب السودان ما أصاب لبنان نتمنى على الذين يحكمون في السودان وعلى الذين يعارضون في السودان. ونتمنى على البعيدين من السودانيين والمغتربين منهم. ونتمنى على الذين إختاروا اليمين أو اليسار أو العقيدة الإسلامية طريقاً لهم. إننا نتمنى على كل هؤلاء أن يخافوا الله وأن يشكروا ويحمدوا كي لا تقع الواقعة وتصبح حال السودانيين مثل حال اللبنانيين طوال خمسة عشر عاماً غرباء داخل الوطن مشتتين في الخارج، يضيق العالم بهم بعدما كانوا موضع إرتياح الجميع. وكلمة أخرى وربما لا تكون أخيرة وهي أن السودانيين الآن هم موضع تقدير في الدول التي يعملون فيها ويرحب الآخرون بهم ويوكلون إليهم الأعمال وهم على ثقة بهم. أما إذا وقعت الواقعة فإن الدول العربية ستضيق ذرعاً بهم وستصبح حالهم مثل حال اللبنانيين.

وليسألوا أي لبناني عن المعاناة التي يواجهها لأنه يحمل جواز سفر غير مَرْضِي عنه.

وليسألوه أيضاً ماذا فعلت به الحرب.. عفواً، ماذا فعلت به أنانية الزعامات السياسية والطائفية وطمع الذين يصلون إلى السُلطة وعدم التفهم والواقعية، مدنيين كان هؤلاء أو عسكريين، أو مزيجاً كانوا من المدنيين والعسكريين. ويا إخواننا السودانيين. إن العِبر كثيرة. وما هو مطلوب ليس أكثر من الإعتبار، إضافة إلى عدم إشعال الحريق في الوطن كما حدّث في لبنان.

وقد يبدو هذا الكلام أنه نوع من الموعظة ولكنه ليس كذلك. إنه الخوف المشروع على وطن قد يتمزق على أنقاض المناقشات التي تدور بين السودانيين من الخرطوم إلى جوبا. وهي مناقشات قد تكون من النوع الذي يسلي إلا أنه في أي حال لا يصون الوطن ولن يرد الأذى عنه. والأذى يقترب وكأنما بدأ العد العكسي لساعة الغضب.

مجلة "التضامن". لندن - 13 تشرين الثاني (نوفمبر) 1989

* * *

أصول اللعبة والتلاعب

هناك بيت من الشعر العربي من شأن كلماته أن تتصف الذين هم في موقع القيادة إذا أصابهم مرض مثلما

أن يضعها.

إن العماد ميشال عون صاحب قضية عادلة لكن الجو العام ليس مهيباً بما فيه الكفاية للتجاوب مع طروحات صاحب القضية. بل قد يجوز القول إن تقبل اللبنانيين الآن نتيجة عذاب أربع عشرة سنة من الحرب والإذلال لأفكار القضية التي يطرحها العماد ميشال عون هي مثل تقبل العرب عموماً لفكرة الوحدة العربية ومثل تقبل الرأي العام الفلسطيني لفكرة تحرير كامل التراب.. وهكذا. والقصد من هذا الكلام هو القول بأن المؤامرة التي بدأت مع صفقة كامب ديفيد إستهذفت في جملة ما إستهذفته تفرغ الرأي العام العربي من التطلعات القومية والمستقبلية وتواصلت هذه المؤامرة من خلال الحرب التي أشعلوها في لبنان ثم من خلال الحرب التي فرضوها على العراق.

ومع الأسف الشديد إن لبنان لم يكن صلب العود لكي يواجه المؤامرة كما حدث مع العراق. إننا نكتب هذه الكلمات (يوم الأربعاء 1989/11/8) بينما الأمور في لبنان تتطور بشكل لا مثيل له. ومن أجل ذلك فإننا لا نجد ما نقوله سوى التمنيات.

نتمنى أن تصمد صيغة الحل العربي التي إنتهت بإنتخاب النائب رينيه معوض رئيساً للجمهورية من دون أن تتواصل داخل النفق المناقشات العقيمة.

ونتمنى أن نتوقف عن طرح السؤال المؤلم وهو: هل إن النهاية تستحق كل هذا العذاب وكل أنهار الدم التي سالت. ونتمنى أن يؤدي الرئيس رينيه معوض دورة ست سنوات كاملة فلا يحدث له، لا سمح الله، ما حدث للشيخ بشير الجميل عندما جرى إغتياله فمات رئيساً منتخباً من دون أن يتسلم الحكم يوماً واحداً.

ونتمنى أن يأخذ العماد ميشال عون في الاعتبار بعض الحقائق الموضوعية مخافة أن تنتهي به الحال إلى أن يصبح مثل العقيد جون قرنق في السودان الذي ينادي بالتحريض ويخوض معارك فيها الكثير من الكر والفر مع جيش الشرعية في السودان ولا يتورع عن إسقاط الطائرات المدنية.

وعندما نتمنى على العماد ميشال عون ذلك فلأننا نعرف أن بين يديه وعلى الطاولة أمامه أوراقاً كثيرة. ولكن اللاعب الحاذق هو الذي يعيد ترتيب الأوراق وليس الذي يقلب الطاولة بما فيها من أوراق خشية أن يدفع حياته ثمناً لذلك، وفي هذه الحال يصبح مجرد ذكرى شخص مأسوف عليه بدل أن يستمر رمز سعي من أجل قضية يؤمن بها،

ومثل هذا السعي يمكن أن يتحقق من خلال قيادة تيار معارض خصوصاً أن القاعدة الشعبية لهذا التيار موجودة وإن كانت نقطة الضعف فيها مقتصرة على أبناء طائفة واحدة أو فلنقل أبناء مذهب واحد.

وهذه القاعدة يمكن أن تصبح قوية إذا كان العمل سيتم في إطار اللعبة البرلمانية أو على طريقة العميد ريمون إده، لأنه ليس هناك إستعداد لسماع صوت طلبة مدس لكثرة ما إنهمر على الناس من صواريخ.

يفعل ذلك العماد ميشال عون أم أنه كعسكري يفضل المبدئية حتى إذا كانت النتيجة مفعجة؟

نتمنى أن يأخذ بالواقعية لكي يبقى في منأى عن الخطر خصوصاً أنه هدف لأكثر من جهة، ولكي يبقى ينادي بالسيادة التي يمكن أن تتحقق من خلال الشرعية وعلى يدي رئيس يدين بعض الشيء للشهابية التي يمكن أن تحقق للبنان بعض الإستقرار إذا كانت على طريقة الطيب الذكر العماد فؤاد شهاب وليس على طريقة تلميذه المرحوم الرئيس إلياس سركيس الذي تتشابه ظروف إنتخابه مع ظروف إنتخاب النائب رينيه معوض.

وتبقى أمنية أخيرة برسم الرئيس المنتخب يمكن أن يراها على قسما كل لبناني وهي: عوّض يا معوض.

وفي إستطاعة الرئيس أن يعوّض إذا هو إعتبر أن قوته ليست في الشرعية فقط وإنما في المزج لاحقاً بين رومانسية أفكار العماد ميشال عون ومأساة الواقع اللبناني. وبذلك يبدأ الرئيس معوض تأدية قسطه للعلی. وعلى الله الإتكال.

مجلة "التضامن". لندن - 20 تشرين الثاني (نوفمبر) 1989

* * *

صداع... لا تصدّع

في الأسبوعين الماضيين تعرضت العلاقة المصرية - العراقية الفريدة من نوعها المتميزة عن أي علاقة بين دولتين عربيتين إلى محاولة تصدّع من قبل أوساط مصرية إستطاع الرئيس صدام حسين بفضل الأسلوب غير المطروق الذي يعالج به الأزمات، تحويلها إلى مجرد حالة صداع.

ومن المؤكد أن الأوساط التي فعلت كل ما في وسعها من أجل إحداث التصدّع لم تفعل ذلك حباً بالمواطنين

المصريين الذين يكدحون في الغربية من أجل لقمة العيش، ولا هي فعلت ذلك للدفاع عن حقوقهم، ولو أن هدفها كان في هذا الاتجاه لكانت من أجل إثبات حُسن النية تعاملت مع الكلام الذي قاله الرئيس صدام حسين أمام عدد من المصريين العاملين في العراق عندما إستقبلهم في القصر الجمهوري، التعامل الذي يجعل النفوس تهدأ بعدما اضطربت نتيجة كلام إتسم بالتهويل. ويجعل الشائعات تتحصر عند الحد الأدنى الذي لا يؤدي المشاعر.

وعند التأمل في أسلوب تعامُل تلك الأوساط ومطبوعاتها مع كلام الرئيس صدام نجد أنه خلا من الإهتمام الملحوظ مع أنه بالنسبة إلى المواطن المصري العادي كلام في منتهى الأهمية ويوجب على أي مطبوعة تحرص على مواطنيها أن تبرزه في صدر الصفحات الأولى وبأحرف كبيرة، وليس فقط نشره بشيء من باب العُلم بالشيء كما حدث.

ولو أن الصحافة المصرية صدرت يوم الجمعة 17 تشرين الثاني (نوفمبر) بمانشيتات تقول: (صدام حسين يستقبل عدداً من المصريين العاملين في العراق. الرئيس يقول: مَنْ يكره مصر ويزعج أبناءها يكره صدام حسين. إذا قال عراقي لمصري أخرج من البصرة فعلى المصري أن يقول له أخرج أنت لأن البصرة بصرتي).. إن هذه الصحف لو صدرت بالمانشيتات المشار إليها لكان أمكن القول إن هذه الوسائل الإعلامية ساندت مهمة الرئيس صدام بل وساندت مهمة الرئيس حسني مبارك أيضاً. وهذه المهمة هي محاولة إحتواء محاولة التصدع التي إستهدفت العلاقات الكثيرة التميز بين العراق ومصر. ولكن هذه الصحف كانت مشغولة مع الأسف مع فوز المنتخب المصري على منتخب الجزائر وتأهله لخوض مباريات كأس العالم. هذا مع الأخذ في الإعتبار أن هذا الإنجاز الرياضي الذي حققته مصر يستحق الإهتمام إنما ليس أكثر من إبراز كلام للرئيس صدام حسين كفيل بنشر الطمأنينة في النفوس والتأكيد للمصريين بأن الذي إستطاع أن يدير أشرس المعارك في الحرب المفروضة على العراق ويخرج معافى منتصراً قادر على أن يعالج أزمة ناشئة عن مشاجرات، ومن المؤكد أن الرئيس صدام سيوقع العقوبة بمن كان المتسبب بها، وعن تباطؤ في التحويلات وهو أمر لا يخفى على أحد. ومحاولة التصدع التي إستهدفت العلاقة الكثيرة التميز بين مصر والعراق مرتبطة في شكل أو آخر بمشاعر ثأرية من جهة وبمحاولات للضغط من

جهة أخرى.

فالذين أزعجهم إنتصار العراق في الحرب المفروضة عليه من إيران يريدون الثأر لهذا الإنتصار العربي.

والذين أزعجهم سعي الرئيس صدام طوال تسع سنوات لإبعاد مصر عن مخطط كامب ديفيد يريدون الثأر منه لأنه نجح بفضل هذا السعي في أسقاط الحظر العربي على مصر.

والذين أزعجهم السعي لكي تستأنف مصر فاعليتها السياسية ومن خلال صيغة "مجلس التعاون العربي" يريدون الثأر من الرئيس صدام لأنه بذل جهداً خارقاً في هذا السبيل.

والذين أزعجهم أن العراق إستمر يبني طوال سنوات الحرب وأمكنه أن يستفيد من مرحلة وقف إطلاق النار لإعادة بناء ما دمرته الحرب، وليس لتحريك قواعد صواريخ من هذا الخط إلى ذاك يريدون الثأر من الرئيس صدام حسين لأنه جاد في عملية البناء وإلا فما معنى أن تتم إعادة بناء الفاو في 114 يوماً؟

هذا عن الثأر. أما عن الضغوط فالأسباب الموجبة كثيرة لعل أهمها على الإطلاق الضغط في سبيل تحييد الدور العراقي في لبنان، علماً بأن هذا الدور هو لمساندة الإتجاه الداعي إلى بسط السيادة. وعُلماً بأنه لولا هذا الدور لما كان للحل العربي في الأصل أن يتم.

تلك هي الحقيقة ولكن ذلك لا يعني أن إخواننا العراقيين بريئون تماماً من جملة تجاوزات حدثت وإستهدفت مصريين يقيمون في العراق.

ومن المؤكد أن هذه التجاوزات ما كانت لتحدث لولا المزاج الناشئ عن ظروف الحرب، ولولا أن إخواننا المصريين لا يأخذون في الإعتبار مدى حرص القيادة في العراق على السلوك العام. وأغلب الظن أن ذلك ناشئ عن إطمئنانهم إلى أن الرئيس صدام نفسه معهم وأنه نصيرهم ويرد أي أذى يمكن أن يلحق بهم. لكن الرئيس صدام معهم بقدر ما هم على الصورة التي يريدونها فيهم ويجب أن يراهم عليها وهي صورة المواطن الذي يتحلى بصفات حميدة.

ويبقى أن محاولة التصدع التي إستطاع الرئيس صدام حسين أن يقضي عليها منذ اللحظة الأولى باللقاء الذي عقده بعدد من المصريين في القصر الجمهوري ويحولها إلى مجرد حالة صداع، كانت ضرورية لكي نعرف كيف سيواجه الرئيسان صدام حسين وحسني مبارك أمراً يستهدف التشويش على علاقة نموذجية بين قائدَيْن

وشعبيين..

ولقد كانت المواجهة إنتكاسة للتيار الذي لا يترك مناسبة إلا وينسج ويخلق في سبيل إبعاد مصر عن العرب والعروبة.

مجلة "التضامن". لندن - 27 تشرين الثاني (نوفمبر) 1989

* * *

إهتمام يدعو إلى الحيرة

اللافت للإنتباه هو هذا الإهتمام المفاجئ من جانب الدول الكبرى بأمر الوضع في لبنان.

واللافت للإنتباه أن الدولتين الكبيرتين الأكثر إهتماماً هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي.

ولم يحدث أن إلتقت الدولتان من قبل على موقف يتعلق بلبنان مثل إلتقائهما على الموقف الذي بدأت ملامحه تتضح منذ أن تبلورت معالم الحل العربي في أعقاب القمة العربية الأخيرة في الدار البيضاء.

فها هو السفير السوفياتي في لبنان ينشط من أجل إنجاح الحل العربي ويذهب إلى القاعدة الجوية التي تم إنتخاب رينيه معوض فيها رئيساً للجمهورية.

وها هو السفير الأميركي يستعجل العودة إلى لبنان ويقدم أوراق إعتماده إلى الرئيس معوض في أغرب طريق تقديم أوراق إعتماده حيث إنها لم تتم في قصر الرئاسة ولا حتى في العاصمة. وها هو أيضاً يقول للرئيس معوض كلاماً بالنيابة عن الرئيس جورج بوش من النوع الذي لم نألف سماعه من قبل.

وها هو السفير السوفياتي ينشط بعد إغتيال الرئيس معوض من أجل التعجيل في إنتخاب رئيس بديل، وينشط في الإتجاه نفسه السفير الأميركي. وينقل الإثنان عن المسؤولين في دولتيهما كلاماً يستهدف إسقاط التحفظات والإسراع في إنتخاب الرئيس.

وما فعلته الدولتان عبر مختلف القنوات ليس معروفاً. ونحن هنا نشير فقط إلى التحركات المعلنة وإلى بعض التصريحات التي أدلى بها هذا السفير أو ذاك وإلى برقية وردت من هنا وبيان أدلى به متحدث رسمي هناك.

وللوهلة الأولى يبدو هذا الإهتمام لافتاً للإنتباه ويبعث الطمأنينة في النفوس. وهل هنالك ما هو أهم لأي بلد أو

شعب من حرص الدولتين الكبيرتين في العالم على بذل المساعي من أجل الوفاق.

والرد على ذلك هو أنه لم يحدث أن تمنى اللبناني طوال أربعة عشر عاماً أن يهتم العالم به ولم يحلم بلحظة تكون فيها الدولتان الكبيرتان حريصتين على إيجاد حل للمشكلة التي تعصف بلبنان طوال هذه السنوات المريعة والدموية.

ولكن ما لم يكن يحدث حدث، فالدولتان الكبيرتان أبدتا إهتماماً، والدولتان الكبيرتان عبرتا عن الإبتهاج عندما تم إنتخاب رينيه معوض، وعبرتتا عن الإبتهاج نفسه عندما تم إنتخاب الياس الهراوي رئيساً في ظروف مماثلة للظروف التي أقسم فيها ليندون جونسون اليمين وهو داخل الطائرة خلفاً للرئيس جون كينيدي الذي تم إغتياله في ولاية تكساس.

ونقول إنهما إبتهجتا بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى.

وبقدر ما إن هذا الإهتمام المفاجئ يدعو إلى الإرتياح لأن آلام هذا الوطن وشعبه قد تتحسر بعض الشيء من جهة، ولأن الإهتمام بإيجاد الحل سيعقبه إهتمام بإعادة البناء من جهة أخرى.. بالفكر نفسه إن هذا الإهتمام يدعو إلى الريبة ويثير الشكوك.

ونخشى أن تكون الدولتان الكبيرتان تصرفتا مع المسألة اللبنانية تصرفاً من يريد أن يخلد إلى قيلولة في فندق فخم يقع في شارع مزدحم ولا يريد من الذين في هذا الشارع أن يعكروا عليه بمشاجراتهم وصراخهم قيلولته على أن ينظر في أمر مشاكلهم بعد أن يكون قد إستيقظ وإرتاح. والقيلولة التي نعنيها هي القمة الأولى بين الرئيسين بوش وغورباتشوف اللذين لا يريدان من أحد تعكير صفو لقائهما.

وتبقى ثلاثة تساؤلات نطرحها على النحو الآتي:

هل أن هذا الإهتمام من جانب الدولتين الكبيرتين بالمسألة اللبنانية في إطار الصيغة التي تم التوصل إليها ووقفت الدولتان معها سببه أن الدولتين تريدان لبنان بالشكل الذي إنتهى إليه، وأنهما عندما أبديا بعض التباطؤ في الماضي كان لبنان الذي يريدانه لم تتبلور معالمه بعد؟ وهل أن هذا الإهتمام يتعلق في شكل أو آخر بميزان القوى في المنطقة العربية الذي يعتبران أنه خارج مفهوم الحل العربي سيكون مقلقاً لهما؟

وهل أن الحل العربي كان منسجماً مع الإرادة الدولية

وبات بالتالي، بعدما بدأ تطبيق الحل، مفروضاً على الدولتين الكبيرتين أن تكونا ممثلتين للحل العربي وداعميتين له بالشكل الذي حدّث فيه الدعم؟

تساؤلات من الصعب الإجابة عنها لكثرة التشابكات والتعقيدات.

لكن الذي يمكن قوله هو أن الإهتمام الذي أبدته الدولتان الكبيرتان يدعو إلى الحيرة، ونخشى أن يكون الثمن الذي سيسدده العرب مقابل هذا الإهتمام أكبر من قدرتهم على تحمّله.

وما يمكن قوله أيضاً حتى كتابة هذه الأسطر يوم الأحد 26 تشرين الثاني/نوفمبر 1989 هو أن الإهتمام لا يعني بالضرورة أن الإستقرار سيسود. وما يحدث من تطورات غير سارة منذ إغتيال الرئيس رينيه معوض يؤكد ذلك.

... ومن دون الإستقرار لن يصمد أي حل. وسنجد حالة أفغانستان تتكرر في لبنان إنما بصيغة توافق بين الدولتين الكبيرتين وليس كما حدّث في الماضي عندما تصدت الولايات المتحدة ومن معها للإتحاد السوفياتي بسبب تدخّله في أفغانستان. وفي حينه كان التدخل بحجة التخوف على أمنه.

وها هو الحُكم السوري يبدي الأسباب نفسها في معرض تبرير تعامله مع المسألة اللبنانية، ويجد في الدولتين الكبيرتين قبولاً بمنطقه، وهذا ما تؤكد ممارسات الرئيسين بوش وغورباتشوف وما سعى الرئيس حافظ الأسد من أجله أربعة عشر عاماً.

مجلة "التضامن". لندن - 4 كانون الأول (ديسمبر) 1989

* * *

بعد لقاء بوش وغورباتشوف

يبقى لقاء صدام ورفسنجاني

دشن الرئيسان جورج بوش وميخائيل غورباتشوف تقليداً جديداً وهو "اللقاء غير الرسمي" الذي يمكن أن يتحول إلى لقاء تاريخي.

وما حدّث بالتسلسل هو أن الزعيم السوفياتي اقترح بشكل مباغت الاقتراح المتعلق بـ "لقاء البحر" بينه وبين

الرئيس الأميركي، لكن الإدارة الأميركية التي تختلف طريقتها في إتخاذ القرار عن الطريقة السوفياتية إرتأت بعد التشاور أن يتم اللقاء شرط أن يكون "غير رسمي".

وهذا التهيب من جانب الإدارة الأميركية ناشئ عن التطورات التي تشهدها دول المعسكر الإشتراكي من جهة، وخشية أن يكون غورباتشوف يخطط من وراء هذه القمة إلى أمر ربما لا تكون للمعسكر الرأسمالي القدرة على إستيعابه أو مواجهته قبل إستكمال تقويم هذه التطورات.

وإذا جاز الإفتراض فإن الجانب الأميركي بإشتراطه "اللقاء غير الرسمي" أكد من جهة ترحيب الرئيس بوش بلقاء الرئيس غورباتشوف وترك من جهة أخرى الباب مفتوحاً أمام عدم الإلتزام بأي مواقف يمكن أن يطرحها غورباتشوف وتتولى الوسائل الإعلامية التلميح لها في شكل أو آخر، وذلك على أساس أن اللقاء لم يكن رسمياً وبالتالي فإن ما يتم بحثه لا يكون رسمياً وإن كان في الواقع أكثر من رسمي لأن اللقاء لا يتم بين صديقين وإنما بين رئيسين يصطحب كل منهما معه الحقيبة التي - إذا تطلّب الأمر - يفتحها ويضغط على الزر الخاص فتحدث حرب مدمرة بينهما وهو أمر ما زال وارداً ومن دون أن تلغيه إتفاقات الوفاق التي تم التوصل إليها بين الدولتين اللتين تتقاسمان النفوذ في العالم أو على الأقل ثلاثة أرباع العالم.

وإستطاع الرئيس غورباتشوف إسقاط التهيب والمخاوف الأميركية منذ اللحظات الأولى إلى درجة أن "اللقاء غير الرسمي"، وهو ما أراده الطرف الأميركي، تحول إلى لقاء رسمي وودي كما أشارت التصريحات والبيانات الصحافية عن اللقاء الذي كان لقاء المفاجآت من فكرة الإنعقاد إلى مكان الإنعقاد إلى تحوّل اللقاء إلى أكثر جلسات العمل جدية في تاريخ الوفاق الأميركي - السوفياتي، بدليل أن المحادثات شملت كل شيء بما في ذلك القضايا التي كان الكثيرون يستبعدون تطرّق الرئيسين إليها وأبرزها على الإطلاق أزمة الشرق الأوسط والمسألة اللبنانية.

المهم أن اللقاء تمّ وإنتهى كأفضل ما تكون عليه الإجتماعات بين كبار أهل القرار. وإذا كان من السابق لأوانه تلمّس النتائج العملية للقاء وبالذات في ما يخصنا كعرب فإن فكرة "اللقاء غير الرسمي" تستحق وقفة نقول فيها أن أطراف أي أزمة أو خلاف في دول العالم في حاجة إلى إعتماد هذه الفكرة كأسلوب تعامل مع الأزمات. ونقول ذلك على أساس أنه عندما يتم الأخذ بهذا الأسلوب

فمعنى ذلك أن في إستطاعة أي حكام أطراف في أزمة أو خلاف أن يجتمعوا في "لقاء غير رسمي" وأن يناقش هذا الحاكم مع ذلك ما يريد مناقشته ومن دون أن يلزم نفسه بشيء ما دام اللقاء غير رسمي، وأن ينفي أي معلومات تداخ في شأن هذا اللقاء إذا وجد أن إذاعتها تسبب له بعض الحرج.

كما أن من إيجابيات فكرة "اللقاء غير الرسمي" أن هذا الطرف أو ذلك يستطيع إذا كان راغباً للقاء، ولكن هناك بعض الضغوط والمزايدات تحول دون ذلك، أن يشارك في اللقاء على أساس أنه ما دام غير رسمي فإن حجة الضاغطين والمزايدين تصبح غير فعالة. وعلى هذا الطرف أن يحول اللقاء إلى إنتصار سياسي بفضل براعته في المناقشة والقدرة على جعل الطرف الثاني في اللقاء مرتاحاً وغير متشدد في بعض الأمور.

ومن محاسن اللقاء غير الرسمي أنها تجعل أطراف أي أزمة أو خلاف يخففون بعض الشيء من وطأة الخلاف أو حدة الأزمة إذا هم إلتقوا. ولكن لهذا التقليد سلبيات خصوصاً إذ تكرر بين طرفين لأنه قد يترك إنطباعاً بأن الخلاف ما دام لم ينته من المرة الأولى فمعنى ذلك أنه سيستمر ولن تغيد معه كثرة اللقاءات غير الرسمية. وهذا مع الأخذ في الإعتبار أن الظروف لا تسمح للقاء غير الرسمي أن يتكرر بين طرفي أزمة واحدة.

وصحيح أن اللقاء المفترض أنه غير رسمي الذي تم بين الرئيسين بوش وغورباتشوف حدث بينما لقاءات القمة الرسمية بين البلدين تتعقد بشكل دوري، إلا أن الفكرة في حد ذاتها، أي فكرة "اللقاء غير الرسمي" تبدو جيدة لمن هم أطراف أزمات من النوع المستعصي ولا يتبادلون التمثيل الدبلوماسي. ولنا أن نتصور كيف كانت ستبدو الحال لو أن الرئيس صدام حسين وهاشمي رفسنجاني إجتمعوا في "لقاء غير رسمي" وهو أمر نتمنى حدوثه. ومن المؤكد أن الذي سيبادر إلى طرح فكرة هذا اللقاء سيحظى بالكثير من التقدير. ونحن نقول ذلك على أساس أن "اللقاء غير رسمي" يبقى أفضل من اللقاء الرسمي الذي يتم حتى الآن على مستوى وزيرى الخارجية تحت رعاية الأمم المتحدة، وهو أفضل لأنه في اللقاء غير الرسمي يمكن أن يناقش الطرفان ما يريدانه ويتحدثان وجهاً لوجه ويتصافحان، كما تفرض أجواء مثل هكذا لقاء، في حين أنه في الإجتماعات الكثيرة التي تمت خلال حوالى سنة تحت رعاية الأمم المتحدة لم يتحدث أحد مع الآخر وجهاً لوجه ولا حتى

تصافحا على رغم أن اللقاء رسمي.

وتكراراً إننا نتمنى أن تسود ظاهرة فكرة "اللقاء غير الرسمي" فهي فكرة منطقية، بمعنى أن اللقاء غير الرسمي يمكن أن يتحول إلى أفضل إجتماع وهذا ما حدث بين الرئيسين بوش وغورباتشوف. ويمكن أيضاً أن يفتح المزيد من النوافذ المغلقة. ويمكن أيضاً وأيضاً أن يكون لقاء مصارحة لا بد منها تسبق لقاء وضع الملفات على طاولة البحث.

والأهم من هذا كله أنه اللقاء الذي لا يلزم أحداً ما دام غير رسمي.

وبالنسبة إلى ما نتمناه لطرفي الأزمة الأكثر صعوبة، ونعني بها الأزمة بين العراق وإيران، فإننا على ثقة في ضوء مواقف صريحة وإجراءات عملية للقيادة العراقية بأن صدام حسين قادر على أن يحول اللقاء الرسمي بينه وبين الرئيس رفسنجاني إلى لقاء يحقق أفضل النتائج للطرفين.

ولكن هل يمكن لمثل هذا اللقاء أن يتم؟

قبل لقاء مالطا بين الرئيسين بوش وغورباتشوف كنا نتمنى ذلك مع شيء من التحفظ. وبعد النجاح الذي حققه لقاء البحر بين الرئيسين السوفياتي والأميركي نجد أنفسنا أكثر ثقة بأن إجتماعاً مماثلاً بين الرئيسين صدام حسين وهاشمي رفسنجاني يمكن أن يحقق نجاحاً مماثلاً. ولا يحتاج الرئيسان صدام ورفسنجاني إلى مالطا لأن مياه الخليج أكثر قرباً.

ومن المهم أن يأخذ الرئيس الإيراني في الإعتبار أن الرئيسين غورباتشوف وبوش أعلنوا في المؤتمر الصحافي المشترك "أن العالم خرج من مرحلة الحرب الباردة ودخل مرحلة جديدة نحو السلام الدائم".

ونقول إن المهم أن يأخذ الرئيس الإيراني في الإعتبار ذلك، لأن الرئيس صدام حسين أدرك مبكراً هذه الحقيقة ويعمل في هذا الإتجاه منذ أن حزم أمره وتوكل على الله وحرر الأرض.

مجلة "التضامن". لندن - 11 كانون الأول (ديسمبر) 1989

قمر النهوض العربي

في الوقت الذي كان الرئيس صدام حسين يقترح لقاء

قمة بينه وبين الرئيس الإيراني تأكيداً منه للرغبة في أن يسود السلام الدائم والشامل بين العراق وإيران، كان الصاروخ الذي إنطلق من قاعدة الأنبار في طريقه إلى الفضاء يؤكد أمراً بالغ الأهمية وهو أن النهوض حالة متواصلة.

وقبل هذه المنظومة الناقلة للأقمار الصناعية التي إختار لها الرئيس صدام حسين إسماً تصوفياً وهو "العابد" كانت الأوساط العادية لا تتمنى للعرب الخير تتسلى بأخبار العراق وبطريقة ذات أهداف شريرة واضحة. وكانت هذه الأوساط تعتمد التركيز على أي إشاعة فتحوّلها إلى عناوين بارزة في صفحات صحف ووسائل إعلامية تحرك بفعل مؤسسات هدفها تهشيم أي سمعة طيبة للعرب.

وعندما تكون هنالك حقائق موضوعية لمصلحة العرب كانت هذه الأوساط بما تملكه من وسائل إعلامية أو بالتأثير الذي لديها على هذه الوسائل، تتجاهل تلك الحقائق أو أنها تعرضها بصيغة مشوهة.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، إنه من غير المعقول أن يحقق العراق إنتصاراً عسكرياً على إيران فتتعامل هذه الوسائل مع الحدث الكبير بما لا يعطي الحدث أهميته التي يستحقها. كذلك إنه من غير المعقول أن يقوم العراق بتطوير، يدعو إلى الإعجاب، ما لديه من أسلحة فلا تتعامل تلك الوسائل مع هذه الكفاءة في المجال التقني بما تستحقه هذه الكفاءة من تقدير.

وطوال أربع سنوات وهذه الوسائل لا تغير من خطتها. بل ونكاد نقول من مخططها.

بدل الإهتمام بالقدرة القتالية يكون التركيز على أهمية العناد الإيراني.

وبدل الإهتمام بالتطوير المستمر من جانب العراق للأسلحة التي يملكها وتحويل بعضها إلى سلاح إستراتيجي يكون التركيز وبشكل إستفزازي على السلاح الكيميائي في محاولة يائسة لإيهام الرأي العام بأن العرب ما زالوا غير مقاتلين وأنهم إذا حققوا بعض التفوق فإن ذلك تحقق بالسلاح الكيميائي.

والذي يدعو إلى الإعتراف هو أن العقول التي تعمل على التطوير كانت غير مكترثة بكل هذه الأمور وينحصر همها وإهتمامها بعملية التطوير التي تعمل في سبيل إنجازها.

المهم أن النجاح حالف العراق وإستطاع مع أواخر أيام العقد التاسع من القرن العشرين أن يحقق إنجازاً علمياً بالغ

الأهمية. وهو إنجاز سيستطوع سنة بعد سنة بحيث لن تقتضي السنين العشر الأخيرة إلا ويكون الشأن الفضائي للعراق بات كبيراً جداً.

وثمة نقطة مهمة وهي أن الإنجازات العلمية التي حدثت في السنوات الماضية كانت حكرراً على أصحاب هذه الإنجازات، بمعنى أن الإنجاز العلمي هو لمصلحة الولايات المتحدة، والإنجاز العلمي السوفياتي لمصلحة الإتحاد السوفياتي، والإنجاز العلمي الفرنسي لمصلحة فرنسا.. وهكذا.

أما طبيعة الحُكم في العراق فإنها تجعل الإنجاز الكبير الذي تحقّق والمتمثل بالمنظومة الصاروخية الناقلة للأقمار الصناعية والتي تحمل إسم "العابد" ليس حكرراً على العراق وحده وإنما هو إنجاز عربي ومن أجل الأمة فإننا نستند إلى ما تُرده قيادة الرئيس صدام حسين في إستمرار وهو أن العراق يحارب نيابة عن الأمة وأن النصر الذي يحققه العراق هو نصر للأمة وأن أي تقدّم يحققه العراق هو برسم كل عربي.

والذي يجعل الرئيس صدام يعلن ذلك هو النظرة القومية التي تتسم بها كل خطوة يخطوها.

وإذا كان من الطبيعي أن تستقبل الأوساط التي لا تريد الخير للعراق نبأ الإنجاز العراقي الكبير بعدم الإرتياح وتستعد لإستنباط الوسائل التي تلقي ظلالاً على هذا الإنجاز، فإن ما هو غير طبيعي هو هذا التريث الذي يدعو إلى الحيرة من جانب بعض الرسميين العرب في التعبير عن فرحتهم بما حققه العراق نيابة عنهم. وحتى كتابة هذه الأسطر يوم الثلاثاء 12 كانون الأول/ ديسمبر 1989 لم نسمع أن الإتصالات الهاتفية بالرئيس صدام لم تتوقف ولا البرقيات أيضاً. وكلها للإشادة بالإنجاز العلمي الكبير.

وهذا الإنجاز الكبير ليس مثل تلك الزيارة التي قام بها الرئيس (الرحل) أنور السادات إلى القدس لكي يكون هناك إنزعاج عربي من الخطوة الساداتية المباغطة، وإنما هو إنجاز علمي شريف يستحق الإشادة والترحيب والتعبير عن هذه الإشادة أو الترحيب بغير الأساليب الشكلية.

ونحن نقول ذلك على أساس أن هذا الإنجاز هو رد حاسم على إسرائيل التي أطلقت قبل أربعة عشر شهراً قمراً إصطناعياً يجمع المعلومات عن كل ما بحوزة العرب من سلاح دفاعي. ومن المؤكد أن وجود قمر عربي سيلغي دور التفوق الإسرائيلي الجوي وهذا يجب أن ينشر الفرح

والإطمئنان في النفوس.

ويبقى أمران:

الأول هو أن الإنجاز العراقي حَدَثَ مع حلول بدء السنة الثالثة للانتفاضة، الأمر الذي يعني أنها ستصبح أكثر قوة في ظل القمر العربي.

أما الأمر الثاني فهو أنه بهذا الإنجاز يبدأ العراق تسجيل الخطوة الأكثر أهمية على صعيد التوازن الإستراتيجي بين العرب وإسرائيل.

مبروك للرئيس صدام حسين وللأمة هذا الإنجاز الجديد على طريق الإنجازات المتواصلة.

وفي إنتظار الإنجاز الأهم... في المستقبل القريب.

مجلة "التضامن". لندن - 18 كانون الأول (ديسمبر) 1989

* * *

عام جبر خاطر العربي... المكسور

من حق المواطن العربي أن يبتهج وتملاً الفرحة قلبه لأن الله سبحانه وتعالى عوضنا في العام 1989 ما كنا نفقده في السنوات الكثيرة المرارة السابقة.

فها هي الإنتفاضة في الأراضي المحتلة تدخل في العام 1989 سنتها الثالثة وهي على حيويتها وتألقها وإيمان الفتية التي يقومون بها.

وها هي مصر عادت إلى مكانها وكانت الحلقة الأصعب هي عودة العلاقات المصرية - الليبية لكن هذه الحلقة لم تعد عسيرة بفضل الوفاق الذي يترسخ يوماً بعد آخر بين الرئيسين حسني مبارك ومعمر القذافي.

وها هو الحل العربي للبنان الذي يتم إنجازه في الربع الأخير من العام 1989 ويصمد على رغم المحاولات لإجهاض هذا الحل.

وها هو القرار 598 الذي يستهدف إيجاد حل دائم وشامل للحرب العراقية - الإيرانية يصمد هو الآخر طوال العام 1989 على رغم العناد الإيراني وتشجيع بعض الأطراف الدولية والعربية والمسلمة لهذا العناد نتيجة مشاعر الضيق من النصر العسكري الذي حققه العراق.

وها هو "مجلس التعاون العربي" بين مصر والعراق والأردن والجمهورية العربية اليمنية يقوم، ويقوم في العام 1989 أيضاً بإتحاد دول المغرب العربي بين المملكة

المغربية والجزائر والجمهورية الليبية وتونس وموريتانيا.

وها هي سحابة ثقيلة بعض الشيء تظلل سماء العلاقات المصرية - العراقية في العام 1989 ويتبين من خلال السحب معالجتها أن القيادتين في كل من مصر والعراق تصرفتا بمسؤولية عالية لمواجهة الأزمة الأولى في التاريخ الطري العود لمجلس التعاون العربي.

وها هو الحُكم السوري يبدأ مرحلة جديدة من العلاقات الطيبة مع الحُكم المصري، وتنفيذ المعلومات بأن ما حَدَثَ بين الرئيسين مبارك والقذافي سيحدث بين الرئيسين مبارك وحافظ الأسد.

وها هي في الأيام الأخيرة من العام 1989 تتعقد القمة العاشرة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية وفي مسقط المؤهلة لإستضافة لقاء عراقي - إيراني على مستوى القمة، ويناقش قادة مجلس التعاون الخليجي مستقبل المنطقة في ظل السلام بعدما كانوا يناقشون أوضاع المنطقة في ظل الحرب وإحتمالات السلام، وهذا يحدث للمرة الأولى.

تلك هي بعض معالم العام 1989 على الصعيد العربي. وقبل كل حَدَث من الأحداث التي أوردناها لم نكن نتوقع أن يأتي يوم ويقع فيه هذا الحدَث.

لم نكن نتوقع إستمرار الإنتفاضة لكثرة التآمر عليها وقلة الإنفاق العربي عليها وشراسة الإحتلال الإسرائيلي في التعامل مع فتيتها. ولكن الإنتفاضة صمدت والحمد لله.

ولم نكن نتوقع أن نرى الرئيسين مبارك والقذافي يتصافحان ويتعانقان ويتبادلان الإشادة ويتفقان على مشاريع حيوية. ولكن ذلك حَدَثَ والحمد لله. فبعد اللقاء البروتوكولي على الحدود حَدَثَ لقاء يعكس دفء العلاقات في سرت وسيعقبه لقاء مماثل سيتم عُده في سيناء. وعلى هامش اللقاءات تنشر الصحافة وتذيع وسائل الإعلام كلاماً إيجابياً وتنشط الجهات المسؤولة من أجل تسيير قطار بين بنغازي والسلوم وهو من الإنجازات الحضارية والعملية التي تربط مصالح البلدين والشعبين ربطاً لا تؤثر فيه العواصف السياسية.

ولم نكن نتوقع بعد أربع عشر سنة أن تتفق الدول العربية على حل للمسألة اللبنانية وبدت الدنيا قاتمة في عيوننا. ثم إذا بالشرعية اللبنانية تلتقي في الطائف ويتم التوصل إلى إتفاق تغلب فيه الواقعية على الأحلام.

ولم نكن نتوقع أن تذوب الحساسيات دفعة واحدة ويقوم تجمّع وحدوي في المشرق يضم مصر والعراق والأردن

ذلك بادرة خير طيبة.

مجلة "التضامن". لندن - 25 كانون الأول (ديسمبر) 1989

* * *

واليمين الشمالي وتجمّع وحدوي في المغرب يضم دوله الخمس. ولكن ذلك حدث في العام 1989 وبالحد الأدنى من الحساسيات والتحفّظات. وهما التجمعان يعملان وينجزان خطوات ملحوظة على صعيد التنسيق وتبادل المصالح. إننا لم نكن نتوقع حدوث ذلك لكن ما لم نتوقعه حدث والحمد لله.

لقد حدثت هذه الخطوات وغيرها كثير مما كنا لا نتوقع حدوثه. وبدأت الأمة نتيجة ذلك وكأنما أراد الله تعويضها مرارة السنوات الأربعين الماضية.

أو أن الذي حدث في العام 1989، هو إذا جاز التعبير، كان مثل المطر الذي ينهمر بعد صلاة إستسقاء على أرض تكاد تربتها تتشقق من الجفاف.

وقياساً بما كنا عليه فإننا الآن في أحسن حال. وسيظل العام 1989 في إستمرار هو الحد الفاصل بين السنوات الصعبة والعهد العربي الجديد الذي تتقدم فيه الواقعية على الأحلام ومصالح الشعوب على السياسات والتناحر.

وصحيح أن ما حدث من خطوات في العام 1989 ليس مكتملاً لكي يسود الإطمئنان في النفوس، إلا أن البداية صحيحة بصرف النظر عن أن هذه الخطوات حدثت نتيجة الظروف الضاغطة وأهمها الظروف الإقتصادية والمالية.

ومع أن من شأن الغلاء السائد في دول العالم العربي. والذي يثقل كاهل المواطن فضلاً عن الديون التي تثقل كاهل بعض الأنظمة، أن تجعل العهد العربي الجديد في التسعينات عهداً بطيء النمو، إلا أن المزيد من اليقظة من شأنها أن تخفف من وطأة الضغوط والديون، خصوصاً أن الشعور بالخوف من العدوان الإسرائيلي وغيره على العرب قد إنحسر وسيزداد إنحساراً نتيجة دخول الأمة بشخص العراق مرحلة متطورة وذلك في أعقاب إطلاق المنظومة الصاروخية (العابد) القادرة على أن تحمل قمراً صناعياً إلى الفضاء يلغي تفوق إسرائيل من جهة ويجعل الأطراف التي تستهين بالكفاءة العربية تضع حداً لهذا الشعور الخاطئ.

وتكراراً إن العام 1989 من إستمرار الإنتفاضة إلى نجاح العراق في إطلاق المنظومة الصاروخية (العابد) مروراً بخطوات كثيرة تستهدف التعاون وتحقيق الإنفراج، هو عام جبر خاطر العربي... المكسور.

ومن أجل ذلك فإن من حق العربي أن يبتهج. وحتى إذا كان لا يعبر عن هذا الإبتهاج مكتفياً بالشعور به فإن

المقالات من 8 يناير 1990 إلى 28 يناير 1991





متى يعود الشيوعيون العرب إلى ساحة العمل القومي؟

على مدى ثلاثين سنة كانت العقيدة الشيوعية تسبب الأرق للجميع.

دول الغرب الرأسمالية تعيش هاجس قدرة العقيدة على إختراق النظام الرأسمالي من خلال الثغرات الكثيرة في هذا النظام.

ودول العالم الثالث قلقة في إستمرار من أن تتمكن هذه العقيدة من إستقطاب جماعات مدنية وعسكرية تستطيع تغيير أنظمة الحُكم تماماً كما حدث في كوبا.

والدول الإسلامية تخشى أن ينجح محاربو هذه العقيدة وأنصارها في الوصول إلى الحُكم كما حدث في اليمن الجنوبي وكما كاد يحدث في السودان عندما قاد الرائد هاشم العطا محاولة إنقلابية لمصلحة الشيوعيين في السودان.

ولم تحدث مطاردات بالدقة التي حدثت فيها المطاردات للشيوعيين، كما أن هؤلاء كانوا في إستمرار يشكّلون الأكثرية بين ضيوف السجون في العالم الثالث.

ولقد تأثرت العلاقات العربية - السوفياتية كثيراً بسبب الشيوعيين وذلك لأن الإتحاد السوفياتي كان يمزج صفة الدولة الكبرى بصفة (راعي) الحركة الشيوعية في العالم، بمعنى أنه كان يعتبر نفسه مسؤولاً عما يجري للشيوعيين في دول العالم.

وزيادة في التوضيح فإن العلاقات السوفياتية مع هذه الدول العربية أو تلك كانت تبدو جيدة إذا كانت التي بين تلك الدولة والشيوعيين فيها جيدة. أما إذا كانت غير ذلك فإن الإتحاد السوفياتي يمارس، في شكل أو آخر، دور راعي الشيوعيين في العالم ويبدأ ممارسة أوراق الضغط التي في يديه وأهمها قطع الغيار والذخيرة. ولم يسلم من ذلك سوى الدول المقتدرة التي كانت تسدد إلتزاماتها إلى الإتحاد السوفياتي بالعملة الصعبة. أما الدول التي تعيش ظروفاً مالية وإقتصادية صعبة فإنها كانت تتحمل على مضض.

وقد يجوز الافتراض بأنه لولا "عقدة الشيوعيين المحليين" لما كان الإتحاد السوفياتي أن يقرر إعتماد صيغة المعاهدة في تعامله مع الدول الصديقة.

وعند التأمل في التطورات الأخيرة يتبين لنا أن هذا

التعامل من جانب الإتحاد السوفياتي لم يكن بعيد النظر، فضلاً عن أن الرعاية التي إختارها الإتحاد السوفياتي للشيوعيين جعلتهم يبدون كما لو أنهم مجرد طابور خامس مع أنهم ليسوا كذلك في منطلقاتهم.

والآن بعدما حدثت التطورات في دول الكتلة الشيوعية وبينما يتواصل إنهييار جبل الجليد الشيوعي فإن الشيوعيين في العالم الثالث وفي الدول العربية والإسلامية بوجه خاص مطالبون بتحديد موقف ومطالبون أيضاً بوقفه مع النفس يسجلون فيها نقداً ذاتياً.

وهم لو كانوا دولة لكان حدث لها ما يحدث الآن للدول التي تعتمد النهج الماركسي، لكنهم أفراد وخلايا وتجمعات ولم نسمع إلى الآن موقفاً واضحاً من قادتهم في شأن ما يحدث في دول الكتلة الشرقية.

ونقول ذلك على أساس أن هذا الذي حدث ويتواصل حدوثه ليس تغييراً حكومياً وإنما هو إعادة نظر في العقيدة. ولا نعتقد أنه سيكون بعد الآن مجال لفرصة عمل سياسي أمام الشيوعيين العرب سواء بشكل فردي من خلال ما إصطلح على تسميته بـ "الجبهة الوطنية". كذلك إنه سيكون مثيراً للإستغراب إذا كان هنالك من يعلن أنه شيوعي أو يؤسس حزباً جديداً على هذا الأساس.

وإذا كان من الصعب على بعض الشيوعيين العرب الذين وصلوا إلى مراتب قيادية أن يتخلوا فجأة عن العقيدة، فإن من السهل على المثقفين أن يعتبروا بأن نقطة النهاية لهم ليس تحقيق حلم الدولة الشيوعية الذي هو من جليد وليس من صخر.

وإزاء ذلك يصبح لا بد من إستدارة يعود فيها الشيوعيون العرب إلى ساحة العمل القومي وهي الساحة السياسية المناسبة لهم. وفي إستطاعة محسن إبراهيم، الذي إبتكر صيغة جديدة للنشاط الشيوعي في الميدان السياسي وهي صيغة "منظمة العمل الشيوعي"، أن يبتكر تنظيرات مناسبة للعودة إلى ساحة العمل القومي، خصوصاً أن محسن إبراهيم توجه يساراً وهو القومي العريق بعد أزمة واجهها العمل القومي ونشأت عن هزيمة 1967. وبعد عشرين سنة يستطيع العمل القومي أن يسترد عافيته وبالتالي فإن العودة إلى ساحته باتت هي الصيغة المناسبة وهي المخرج للشيوعيين العرب الواعين.

ويبقى أننا عندما نقول بأن العمل القومي هو الصيغة المناسبة لتأهيل الشيوعيين العرب فعلى أساس أن البديل الآخر، وهو البديل الديني، ليس حلاً خصوصاً وفق النهج

الإيراني. وأغلب الظن أن الذي حدّث في الإتحاد السوفياتي بالنسبة إلى العقيدة الشيوعية ثم إنتقل من شيوعي إلى آخر سيحدّث في إيران بالنسبة إلى الحُكم بإسم الدين حيث لا بد سيصل عاجلاً أم آجلاً إلى دفة الحُكم من ينفذ "بيروسترويك" تعيد إيران إلى وعيها.

وإذا حدّث ذلك فإن كل الحالمين بالحُكم الديني في العالم العربي والدول الإسلامية سيتريثون ويكبحون جماح أحلامهم وذلك خشية أن تواجههم الحالة التي أصابت الشيوعيين العرب عندما فاجأهم التطورات التي حدّثت في الإتحاد السوفياتي وبقية الدول الشيوعية ووجدوا أنفسهم أمام أمر يحتاج من كل منهم إلى وقفة شجاعة وصريحة مع النفس.

وسواء طال زمن إتخاذ هذه الوقفة أم قصُر فإنه لا بد من إتخاذها.

مجلة "التضامن". لندن - 8 كانون الثاني (يناير) 1990

مبادرة لمصلحة إيران قبل العراق

بلهجة الواثق من نفسه والحريص على أن يسود الإستقرار في المنطقة والمتهم بعمق للتطورات التي يشهدها العالم، يختار الرئيس صدام حسين مناسبة الذكرى التاسعة والستين لتأسيس الجيش العراقي لي طرح مبادرة موضوعية وواقعية لتحقيق الوفاق العراقي - الإيراني. وإستناداً إلى واقع الحال فإن الرئيس صدام ليس مضطراً إلى طرح هذه المبادرة.

فهو في وضع جيد حيث الشأن العسكري أقوى من قبل، وحيث الوضع النفسي أكثر مدعاة للطمأنينة من الماضي.

وهو حرر الأراضي التي كانت تحتلها إيران وبدلاً من أن تكون مسألة الإحتلال تضغط على القرار العراقي فإن هنالك قوات عراقية تسيطر لفترة مؤقتة على مساحات من الأرض الإيرانية.

وهو ينعم بوهج الإنجاز العلمي الكبير المتمثل بالمنظومة الصاروخية (العابد) والذي وضع العراق في المرتبة التاسعة بين دول العالم التي ترتاد الفضاء.

هذا هو واقع الحال. ولكن الرئيس صدام عندما يطرح المبادرة فلأنه يتابع بالكثير من التأني والتبصر والتطورات التي تحدّث في العالم ويرى أن حقبة التسعينات تتطلب

من الجميع نظرة جديدة.

ويطرح المبادرة لأنه يرى أن الحُكم الإيراني يريد ضمناً التفاوض من أجل وضع صيغة حل للعلاقات المستقرة، لكن المشكلة في الولادة العسيرة للموافقة. وهو يستند في رؤيته هذه إلى الظروف التي تمت فيها من قبل موافقة الحُكم الإيراني على القرار 598 الذي يقضي بوقف النار. ومن هنا فإن المبادرة التي أطلقها الرئيس صدام في الذكرى التاسعة والستين لتأسيس الجيش هي محاولة لتسهيل الولادة العسيرة، إضافة إلى أنها تتسجم مع المنهج العام للرئيس صدام في التعامل مع الصراع الذي أرادته إيران مع العراق ومنطقة الخليج والأمة العربية بشكل عام.

والى ذلك إن الرئيس صدام يطرح المبادرة لأنه على أهبة تنفيذ ما خطّط له في شأن الدستور والتعددية والإنتقال بالعراق من دولة الحزب الواحد إلى دولة المؤسسات، ومن الدولة ذات الإقتصاد الإشتراكي إلى دولة يأخذ فيها القطاع الخاص مده ضمن ضوابط بحيث لا تتحول المرونة الإقتصادية إلى إنفتاح على الطريقة المصرية.

وعندما يكون الرئيس صدام على أهبة تنفيذ برنامجه الكبير المشار إليه فمن الطبيعي أن يجعل التنفيذ يتم في أجواء من الإرتياح، ومن شأن عدم بدء المفاوضات المباشرة بين العراق وإيران من أجل الحل الشامل والدائم تعزيز صفو عملية التنفيذ.

ويبقى أن أهم ما في المبادرة الجديدة التي طرحها الرئيس صدام أنها تضمنت من المرونة ما يكفي لتنشيط مسعى يقوم به الأمين العام للأمم المتحدة ديكيوار من أجل إقناع الحُكم الإيراني بأن أسلوب تعاطيه السلبي مع موضوع المفاوضات المباشرة مع العراق بات أمراً يزعج الرأي العام الدولي. وتضمنت المبادرة أيضاً من رحابة الصدر والنيات الحسنة ما يكفي لقيام بعض الأطراف الإسلامية بجهود مكثفة لدى الحُكم الإيراني من أجل إقناعه بأن عدم التعاطي برصانة مع موضوع المفاوضات المباشرة مع العراق بات أمراً غير مستحب على الإطلاق، وأن هذه المعاندة تشكّل إستهانة بالإرادة الإسلامية على أساس أن الدول غير الإسلامية ستري أن عجز الدول الإسلامية عن إقناع الحُكم الإيراني بالتفاوض والتعايش مع العراق يجعلها غير مؤثرة بالنسبة إلى التطورات الدولية.

ومن جانبه فإن الرئيس صدام حسين إدراكاً منه لهذا الأمر قال في الخطاب الذي ألقاه يوم 5 كانون الثاني/يناير 1990 عشية ذكرى تأسيس الجيش، إنه يأمل أن

يسعى كل من جانبه وحسب إقتداره ومسؤوليته إلى ما يجعل حكام إيران يقبلون بالمبادرة.

فهل نتوقع مسعى من الأمين العام للأمم المتحدة؟ وهل نتوقع جهوداً في الإطار نفسه من الدول الإسلامية؟

أم أن الحُكم الإيراني سيوفر على الجميع مشقة السعي ويعتبر أن مبادرة الرئيس صدام مدخل معقول لتفاوض لا مجال للإستمرار في رفضه وتعايش لا بد منه؟

وسواء فعل الحُكم الإيراني ذلك أم واصل العناد فإن المبادرة التي أطلقها الرئيس صدام حسين لن تكون الأخيرة وسيظل يواصل محاصرة الحُكم الإيراني بمبادرات السلام.

... وهي مبادرات لمصلحة إيران قبل أن تكون لمصلحة العراق. ألم يحاصر الرئيس صدام الحُكم الإيراني من قبل بالدعوات المستمرة إلى وقف إطلاق النار وكان قبول هذا الحُكم بالقرار 598 لمصلحته وإن جاءت الموافقة متأخرة؟

لعل وعسى يفاجئ الحُكم الإيراني العالم بالموقف المطلوب وهو الرد على مبادرة الرئيس صدام حسين بإعلان الموافقة. وبذلك ينطلق قطار السلام في المنطقة.

مجلة "التضامن". لندن - 15 كانون الثاني (يناير) 1990

* * *

هل ينجح غورباتشوف

حيث فشلت دول العالم الثالث

عندما صدر عن موسكو رسمياً أن الإتحاد السوفياتي في صدد القيام بمسعى لتحقيق لقاء مباشر بين العراق وإيران شعرنا بمرارة من جهة وإرتياح من جهة أخرى.

سبب الشعور بالمرارة هو أن الإتحاد السوفياتي تحرّك من أجل تحقيق لقاء مباشر بين دولتين إسلاميتين بينما العالم الإسلامي في ما يشبه الإسترخاء الكامل أمام هذه المسألة.

وسبب الشعور بالإرتياح أن المبادرة السوفياتية هي أول محاولة جدية دولية لتحريك مسألة التفاوض المباشر بين العراق وإيران وهي مسألة متعثرة.

وزيادة في التوضيح يمكن القول إن الدول الإسلامية لم

تتصرف كما هو مؤمل منها إزاء العناد الإيراني في رفض المفاوضات المباشرة مع العراق.

وعندما نقول ذلك لا نقصد أن المطلوب من هذه الدول "إعلان الحرب" على إيران وإنما الضغط عليها في شكل أو آخر من أجل إقناعها بضرورة التفاوض مع العراق. وهذا الضغط هو في حده الأقصى إعتبار عدم التفاوض خروجاً على إرادة الأمة الإسلامية وبالتالي التعامل وفق هذا الإعتبار، وهو في حده الأدنى الإعلان رسمياً على صفحات وسائل الإعلام الرسمية من خلال التصريحات والبيانات المشتركة ما يتضمن التوضيح بأن الموقف الإيراني سلبى.

وحتى الآن فإن الذي يصدر في وسائل الإعلام في الدول الإسلامية من مواقف رسمية لا يتجاوز التمنيات الطيبة بأن تتم المفاوضات المباشرة بين العراق وإيران، في حين أن الجميع يدركون بأن العراق هو الذي يطالب بالمفاوضات المباشرة بينما الحُكم الإيراني يرفضها، وأن العراق هو الذي يطرح المبادرات من أجل السلام بينما الحُكم الإيراني هو الذي لا يتجاوب.

وإذا جاز القول فإن تعثر الدور الإسلامي هو في مخاطبة الحُكم الإيراني، ولو أن كل دولة إسلامية قالت إنها مع الطرف الذي يقبل بالمفاوضات المباشرة وضد الطرف الذي يرفضها لكان الوضع أفضل بكثير.

كما أن تعثر الدور الإسلامي هو في توازن تبين أنه لن يفيد. وعندما تقول الدول الإسلامية في وسائل إعلامها ومن خلال التصريحات الرسمية إنها تتمنى للمفاوضات أن تتم وتدعو إلى حل الأزمة بين العراق وإيران عن طريق المفاوضات المباشرة فهذا معناه أن الدولتين تتخذان موقفاً واحداً في حين أن هنالك دولة واحدة تتخذ الموقف السلبي وهي إيران التي ترفض تنفيذ ما تم التفاهم في شأنه وهو المفاوضات المباشرة.

والسؤال الآن: هل أن الرئيس غورباتشوف سيفعل ما لم تفعله الدول الإسلامية؟ بمعنى هل أنه سيستفيد من الأخطاء التي تميز بها تعامل الدول الإسلامية مع الحُكم الإيراني؟

من المؤكد أنه إذا كان لن يفعل ذلك لن يحقق أي نتيجة وسيواجه نظاماً عنيداً يقول لا لكل مسعى حميد. أما إذا كان سيضع الطرف الإيراني أمام الأمر الواقع فإنه سينجح حيث أخفقت الدول الإسلامية.

وأغلب الظن أن الإتحاد السوفياتي الذي تكفيه مشاكله

والعاصفة العاتية التي تهز وحدة جمهورياته وأسس عقيدته ما كان ليعرض القيام بمسعى لتحقيق التفاوض المباشر بين العراق وإيران، لو لم يكن متأكداً من أنه سينجح أو أنه لو لم يكن رافضاً سلفاً أن تحاول إيران التعامل معه بالطريقة التي تعامل بها الأمين العام للأمم المتحدة.

لقد عرض الإتحاد السوفياتي الفكرة في الوقت المناسب. وهو بدأ عملية التنفيذ على مستوى وزير الخارجية شيفاردنازه.

ولا نعتقد أن رجل الدبلوماسية السوفياتية الذي نفذ لزعيم العصر غورباتشوف معركة الوفاق مع الولايات المتحدة ومعركة إعادة البناء وإعادة النظر في الداخل، سيقبل بأن يدير على طريقة ديكيوار جلسة محادثات تضم وزير خارجية العراق طارق عزيز ووزير خارجية إيران علي أكبر ولايتي.

وهو لن يقبل لأنه لو إرتضى ذلك فهذا معناه أن الإتحاد السوفياتي بات دولة عادية تربطها حدود وأعماق مع إيران والعراق وليس دولة عظمى.

ومن المؤكد أن الرئيس صدام حسين إذا كان إقترح المبادرة تسهلاً للمسعى السوفياتي، ما كان ليفعل ذلك لو لم يكن متأكداً من أن الإتحاد السوفياتي لا يتحمل فشل مسعى يقوم به.

وعندما نقول ذلك لا نسقط من الحساب أن أمر إعلان الرئيس العراقي عن المبادرة قبل يومين من الإعلان في موسكو عن المسعى السوفياتي كان مجرد مصادفة وتوارد خواطر بين زعيمين صادقين من أجل السلام والإستقرار في المنطقة وهما غورباتشوف وصدام حسين.

مجلة "التضامن". لندن - 22 كانون الثاني (يناير) 1990

* * *

قبل أن تحارب إيران العرب بأبناء أذربيجان

في السنة الأولى للحرب اللبنانية كان القول السائد هو: لمجرد أن يتفهم الفلسطينيون التركيبة اللبنانية ويوقفوا التدخل في الشؤون المحلية للبنان، فإن الأمور ستنتهي على خير ويخرج لبنان من أزيمته.

ولم يحدث شيء من ذلك. وفي السنة الثانية للحرب كان القول السائد هو: لمجرد أن تنتقل القيادة الفلسطينية من بيروت إلى عاصمة أخرى فإن الأمور ستنتهي على خير ويستعيد لبنان عافيته. ولم يحدث شيء من ذلك.

وبعدما غادرت القيادة الفلسطينية لبنان وأخلت المخيمات من المسلحين وبدأ أسلوب الحصار لهذه المخيمات يأخذ مداه صار القول السائد هو: لمجرد أن يتم ترتيب بعض الإجراءات فإن أمور لبنان ستتحسن وسيخرج البلد من محنته.

ولم يحدث شيء من ذلك. وبعدما مرت أربع سنوات والحال على ما هي عليه بات القول السائد هو: لمجرد أن تنتهي الحرب بين العراق وإيران فإن الوضع اللبناني سيتحسن.

ولم يحدث شيء من ذلك لأن الحرب طالت. ثم بدأت الأقوال تسود بطريقة غريبة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: لمجرد أن تتفق الولايات المتحدة مع الإتحاد السوفياتي يتحسن وضع لبنان. ولمجرد أن يتم انتخاب رئيس جديد للولايات المتحدة فإن ذلك لا بد سينعكس على أزمة لبنان. ولقد عقد الرئيسان ريغان وغورباتشوف قمتين وأنجزا الكثير على طريق الوفاق لكن أزمة لبنان بقيت على حالها.

وتسلم بوش للرئاسة خلفاً للرئيس ريغان ولم ينعكس أثر ذلك على أزمة لبنان لأن هذه الأزمة إستمرت على حالها. ثم صار يقال إنه لمجرد أن يتم وقف إطلاق النار بين العراق وإيران فإن الحال ستكون أفضل في لبنان. وتوقف إطلاق النار المشار إليه من دون أن تتحسن الأحوال في لبنان.

وبعد ذلك بدأ يقال بأنه لمجرد أن تستعيد مصر عضويتها في الجامعة العربية ويتم إستكمال عملية إعادة العلاقات الدبلوماسية معها فإن الأمور ستتحسن ولمصلحة لبنان. ولقد إستعادت مصر العضوية وأعادت كل الدول العربية بما في ذلك سوريا العلاقات معها وبقيت الأزمة اللبنانية على حالها.

وعلى هامش هذه الأقوال قليلة أمور أخرى كثيرة ما لبثت أن تبددت لمجرد أن إنقضى النواب اللبنانيون في الطائف وإنتهوا إلى وثيقة تشكّل بما حوته من بنود "الحل العربي للمسألة اللبنانية". وهذه الوثيقة هي الترجمة العملية لما أرادت القمة العربية الإستثنائية التي جرى عقدها في

وليس هنالك وضّح في العالم العربي يشبه الوضع اللبناني. وأغلب الظن أنه لن يكون.

مجلة "التضامن". لندن - 29 كانون الثاني (يناير) 1990

* * *

صائب سلام: جحيم التعريب

ولا جنة التغريب

أنا من الذين يغبطون الرئيس صائب سلام عل هذه الحيوية وتلك الذاكرة وهذا الإصرار على المتابعة على رغم أنه في الخامسة والثمانين أطال الله عمره.

ومنذ أن استقر الرئيس سلام في جنيف وإتخذ من «تراس»، مبنى يطل على مدينة المال والساعات والعاصمة الأوروبية للأمم المتحدة، مقراً له بدلاً لدارته العامة في المصيطبة، ونحن كلما تعقدت الأزمة في لبنان نتصل به طالبين التوضيح والإستفسار فيرد بإصرار رجل الدولة صاحب التجربة العريقة في السياسة المحلية والسياسة العربية أنه قلق على العرب في حال إستمرار هذه الأزمة أكثر من قلقه على لبنان.

كذلك إنه منذ أن إستقر به المقام في جنيف وهو لا يترك مناسبة لتذكير العرب والعالم بالمأساة اللبنانية إلاّ ويتولى التذكير من خلال رسالة مفتوحة أو برقية تقطر حزناً على وطن تتداعى أساساته أمام سمع العالم وبصره. وفي هذه الرسائل أو البرقيات وكذلك في بعض النداءات كان يحذّر من التفتيت إلى درجة أنه يستعمل الكلمة عدة مرات في الرسالة الواحدة أو النداء الواحد.

ولعل كثيرين يتذكرون كيف أن الرئيس سلام وجّه من جنيف يوم 4 تشرين الأول (أكتوبر) 1988 نداء إلى الملوك والرؤساء ناشدهم فيه، بلهجة المحذر من الكارثة، عقّد قمة عربية «والتوافق على تعريب القضية اللبنانية تعريباً صحيحاً يتقبله جميع اللبنانيين من مسلمين ومسيحيين ثم تعملون للتوصل إلى إنتخابات شرعية لرئاسة الجمهورية...».

كما أن كثيرين يتذكرون كيف أن الرئيس سلام نبّه في رسالة مفتوحة إلى الملوك والرؤساء العرب الذين عقّوا في 22 أيار (مايو) 1989 قمة إستثنائية في الدار البيضاء من أن يصبح لبنان «ميداناً فسيحاً للفوضى وأرضاً خصبة

الدار البيضاء وأوكلت إلى لجنة ثلاثية أمر إيجاد ما تراه مناسباً لحل المسألة اللبنانية. واللجنة مؤلفة من المملكة العربية السعودية والمغرب والجزائر وممثل الأمين العام للجامعة العربية.

ولقد كانت المفاجأة الكبرى عندما تبين أن وثيقة الطائف التي كانت الأمل المنشود أعادت لبنان إلى الحل التي كان عليها عشية التوصل إلى هذه الوثيقة. وها هو الوضع الراهن خير دليل على ذلك حيث هنالك رئيس الجمهورية (الياس الهراوي) جاء بإرادة "الحل العربي" لا يستطيع ممارسة واجبه من القصر الجمهوري لأن العماد ميشال عون يمارس من هذا القصر "دوره التحريري". وماذا بعد؟

هل تكون هنالك مبادرة جديدة بحيث تتعقد قمة عربية يدعى إليها وفد لبنان الذي يترأسه الرئيس الهراوي ويضم في عضويته العماد ميشال عون ويكون ذلك بمثابة مصالحة بين الأمر الواقع العربي والأمر الواقع اللبناني من جهة وبمثابة حسم لبعض الإشكالات التي لا بد من حسمها.. أم أن الأمر سيبقى على ما هو عليه؟

إذا لم يحدث ذلك فإننا نخشى أن نجد أنفسنا أمام أزمة لبنان تتواصل وأمام أقوال تسود من بينها أنه لمجرد أن تستقر الأحوال في أذربيجان فإن لبنان سيجد من يهتم بأمره، وأنه لمجرد أن تقوم الدولة الفلسطينية بشكل عملي، وليس بمجرد إعلان رغبة كما فعل ياسر عرفات، فإن الظروف ستكون ملائمة جداً لإيجاد الحل المنشود للمسألة اللبنانية.

ولا ندري كيف ستستقر الأحوال في أذربيجان ما دامت إيران وضعت نفسها طرفاً في مواجهة مع نظام الرئيس غورباتشوف، وما دامت هنالك قوى متطرفة داخل النظام الإيراني تجد في التطورات التي تحدث هناك فرصة لها من أجل إستعادة شأنها وجعل الوضع أكثر تعقيداً، بمعنى أن نصحو في المنطقة العربية ذات يوم على مقاتلين من أذربيجان ينتشرون في لبنان أو على الحدود مع العراق ويكون دور هؤلاء مثل دور الفالاشا بالنسبة إلى إسرائيل.

كذلك لا ندري متى ستقوم الدولة الفلسطينية بالشكل العملي ما دام رئيس وزراء إسرائيل يعلن أنه سيتم في أرض هذه الدولة توطين يهود روسيا.

وهنا يجب التذكير بأن المسألة اللبنانية أنجزت سنتها الخامسة عشر وهي على ما هي عليه.. بل وأسوأ.

لشراذم متفرقة تقيم فيه دويلات تبعية تقوم في قلب العالم العربي تدعمها وتستخدمها قوى خارجية لتكون حرباً على العرب والأمن القومي العربي. وسينطلق عندئذ الشر بكل آثامه من أرض لبنان الضائع ليصيب كل بلد عربي في الصميم...».

وعندما يقول الرئيس سلام لزواره في مقره السويسري، أن الحل العربي يضمن معظم ما كان ينادي به في الرسائل المفتوحة والنداءات ومن أجل ذلك فإنه يؤيد هذا الحل، فإنه بذلك يحاول أن يخفف من وطأة الحيرة التي تبدو على وجوه البعض من موقفه الذي يخدم في نهاية الأمر التطلعات السورية.

وهذه المسألة بالذات كانت محور مناقشة طويلة مع دولة الرئيس إلى غداء في منزله في جنيف شاركته فيه. ولم أشأ أن تضيع الفرصة مني فسجلت على الورق الكثير من الملاحظات وبعض الأقوال التي وردت على لسان أحد آخر كبار الشأن اللبناني الذي ندعو له بالعمر الطويل.

وفي بداية هذه المناقشة قلت للرئيس سلام: هل بعد كل هذه الغربة القسرية الناشئة عن رفضك لأسلوب تعامل الحُكم السوري مع المسألة اللبنانية تتحول إلى أكثر السياسيين اللبنانيين حماسة في تبني ميثاق الطائف الذي تساوى ترحيب الحُكم السوري به وتأبيده له مع ترحيبك وتأبيدك؟

ووضعتُ أمام الرئيس سلام بعض ما يقوله الناس عنه فضلاً عن بعض النقاط التي تستحق من جانبه التوضيح. وأترك للرئيس سلام الكلام من دون أن يخطر في البال أنه يتحسس من هكذا مساءلة ومن هكذا إستفسار. ومما قاله:

- لقد ذهبْتُ وذهب الزملاء النواب إلى القليعات بدافع الموقف الوطني. وكان إختيار الزميل رينيه معوض وإنتخابنا له رئيساً للجمهورية موقفاً وطنياً.

- لقد سمعنا أصواتاً كثيرة تنتقد. لكننا لم نسمع من يضع تصوراً واضحاً.

- لقد تهدم لبنان بنياناً وبنية جغرافية وإنسانية. وبدا أننا في الطريق إلى التفتت الذي هو أكثر فظاعة من التقسيم. ولقد لمسنا للمرة الأولى وعلى الطبيعة ما كان يقوله المسؤولون السياسيون في إسرائيل وكذلك علماء السياسة فيها. كان هؤلاء يرددون في إستمرار إنه «يجب العمل على تفتت البلاد العربية من حولنا». وكاد لبنان يصل قبل

خطوة اللجنة الثلاثية ولقاء الطائف إلى التفتت. ولو حدث أن تفتت لبنان لكانت دول عربية كثيرة، أو فلنقل الدول العربية، تفتتت من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب. ففي كل بلد عربي هنالك بذور لمن يعمل للتفتت. بعض هذه البذور مذهبي وبعضها عنصري.

وعندما أقول ذلك فإنني أقول عن سابق وعي وبكل تأكيد.

- لقد كان الأمر المهم في الدرجة الأولى ليس أي لبنان نريد، وإنما هو إنقاذ لبنان. وعندما يكون هذا هو الهدف يصبح علينا عدم تقويت الفرصة لمجرد أن تلوح في الأفق. وبعد الإنقاذ نقرر أي نظام هو الأفضل. وبعد الإنقاذ نبحث بلبنان الموحد أو لبنان المستقل أو لبنان الذي تفرض عليه علاقة الجوار مع سوريا أن يختار صيغة العلاقة المتميزة أو الأكثر تميزاً مع هذا الجار.

- إنني لا أؤمن بكثرة الكلام. ومن أجل ذلك فإنني عندما شئت الظروف أن أكون خارج لبنان وجدتُ أن عليّ عدم الإكثار من الكلام والإدلاء بالتصريحات. وإلى ذلك إن كثرة الكلام من الخارج لا تتفق وكرامة إنسان مثلي لم يقصر يوماً في الإدلاء برأيه الصريح يوم كان في بلده. إن الأحاديث الصحافية هي للتعبير عن مواقف. ومنذ أصبحت خارج بلدي وجدتُ أن للصمت دويّاً أكثر.

ولكن ذلك لم يجعلني أوقفُ السعي من أجل أي خطوة مناسبة تساعد على تخفيف وطأة المحنة عن الوطن وأبنائه. وفي هذا الإطار كانت النداءات بين الحين والآخر. وفي هذا الإطار كانت الرسائل المفتوحة في المناسبات المهمة.

- الذين يعترضون على وثيقة الطائف عليهم أن يقولوا ما هو الطريق الآخر، وهل هنالك حل أفضل. لقد حصلت المسألة اللبنانية على دعم عربي لم تحصل عليه من قبل، ولقيت إهتماماً كانت في إستمرار تتطلع إليه ثم تجسّد ذلك في صيغة عملية لقيت تأييداً دولياً. ومثل هذه الفرصة التي لا تعوّض، ألا يجب أن نستفيد منها؟ ثم هل من المتيسر دائماً أن تتعقد قمة عربية بكامل أعضائها وتتخذ بالإجماع موقفاً لمصلحة لبنان وعندما يبدأ تنفيذ ما تم الإتفاق عليه ينبري من يعترض ويثير العواصف في وجه الحل العربي المقبول دولياً؟

- لقد تغيّر الموقف الدولي عندما وجد أن العرب تضامنوا في قمتهم الخاصة بلبنان في الدار البيضاء. وتضامنهم هذا كان من أجل لبنان وليس عليه.

يبقى لقاء بوش - صدام

عندما توجه الرئيس علي عبدالله صالح إلى واشنطن في أول زيارة رسمية يقوم بها رئيس يمني إلى الولايات المتحدة ساد الاعتقاد بأن هذه الزيارة ستكون ناجحة بسبب مواصفات يتميز بها الرئيس الزائر.

فهو أحد أركان "مجلس التعاون العربي" المرشح لأن يكون قوة بالغة الأهمية على الصعيدين السياسي والعسكري ومنسجمة مع القوى الأخرى البالغة الأهمية على الصعيد المالي وهي "مجلس التعاون لدول الخليج العربية".

وهو حاكم دولة لها مكانتها في منطقة البحر الأحمر ولها كلمتها بالنسبة إلى مناطق إستراتيجية مثل باب المندب.

وهو صاحب تجربة في الحُكم فريدة من نوعها حيث أنه ابن المؤسسة العسكرية الثوري التبرية الذي إستطاع أن يحقق بالواقعية وبُعد النظر إنسجاماً بين القوى في مجتمع لا تزال للقبليّة فيه جذورها العميقة.

وهو من الحكام الثوريين القلائل في العالم الثالث الذي أوجد في بلده مناخاً رحباً للحرية وممارسة الديمقراطية، وبذلك أمكنه تحييد القوى الدولية التي تحرك بين الحين والآخر مسألة حقوق الإنسان.

وهو بالنسبة إلى العالم العربي الحاكم الثوري الوحيد الذي له خطوط إتصال وثيقة مع الجميع بمن في ذلك الذي بينهم مشاكل وثارَات مثل العراق وسوريا. أما بالنسبة إلى الولايات المتحدة فإن الرئيس علي عبدالله صالح هو الحاكم الثوري الوحيد الذي تربطه العلاقة الوثيقة بأصدقاء الولايات المتحدة وفي الوقت نفسه بالذين لا تستقر الحال بينهم وبينها أمثال العقيد معمر القذافي.

وزيادة في التوضيح يمكن القول إن الإدارة الأميركية إذا كانت راغبة في بحث أمور تتعلق بليبيا فإن الرئيس علي عبد الله صالح هو الطرف المناسب للبحث.

وإذا كانت راغبة في توسيع دائرة الحوار مع القيادة الفلسطينية فإن الرئيس علي عبد الله صالح هو كذلك الطرف المناسب، ذلك أنه فضلاً عن العلاقة الوثيقة التي تربطه بالقيادة الفلسطينية فإن علاقات بلاده بالقيادة الفلسطينية الآخرين لا يشوبها أي توتر، فضلاً عن أن الجمهورية اليمنية تستضيف جزءاً أساسياً من القوة العسكرية الفلسطينية.

- لقد توجهتُ إلى القليعات لانني كنتُ متأكداً بأنني إذا لم أتوجه إلى هناك وأشارك في إنتخاب رئيس للجمهورية فإن كثيرين كانوا لن يذهبوا. ولقد إنتخبنا رئيساً من شأنه أن يفتح الباب أمام تنفيذ وثيقة الطائف بحرفيتها.

- إن للعرب تأثيراً على سوريا. كما أن سوريا تتأثر بالعرب. وأنا من خلال هذه الرؤية الواقعية أبدو متفائلاً. ذلك أن الحل العربي يحقق ما نصبو إليه بما في ذلك إخراج السوريين شرط أن نتمسك به ونتعاون على تنفيذه.

- أحياناً لا تكون الحلول في مستوى الطموحات، لكن ليس معنى ذلك أن الحل الذي لا يصل إلى مستوى الطموح هو حل مرفوض.

- إنني لا أؤمن بالعناد. وفي نداءاتي لم أكن عنيداً وذلك لأنني رجل أحافظ على مبادئ وعلى عقيدتي وعلى أخلاقياتي. كما أنني أحافظ على مصلحة بلدي من دون التفريط بالمبادئ والعقيدة والأخلاقيات وأعتبر أن على من يتحمل مسؤولية شعبية ويعمل في الحقل العام أن يكون عقلانياً وعملياً.

وهكذا أنا في إستمرار. وإذا كان الجسد يشيخ فإن الإيمان بالمبادئ والعقيدة والأخلاقيات لا يشيخ.

- إن ضمير الواحد منا يوجب عليه إنقاذ الوطن من المأساة التي يعيشها. ومادامت وثيقة الطائف كفيلة من خلال كامل بنودها بالمحافظة على وجود لبنان وكيانه وأمنه وإستقراره فلماذا لا نتمسك بها. وفي إعتقادي إن أي لبناني لا بد أنه يؤيد الوثيقة إذا لم يكن صاحب نية سيئة.

وبالنسبة إلى موقعي أقول إن تاريخي أو السن التي وصلتُ إليها يؤكدان إنني عندما أتمسك بوثيقة الطائف وأسعى إلى وضعها موضع التنفيذ والقبول اللبناني الشامل فإنما أعمل ذلك لا لمنفعة خاصة وإنما لإيماني ببلدي وعروبتني. أليس مهماً بالنسبة إلى صائب سلام وهو في الخامسة والثمانين والخارج حديثاً من وعكة صحية دقيقة أن يسافر من أجل إنتخاب رئيس الحل العربي للبنان بينما الأطباء يحذرون من مخاطر السفر. ولكنني سافرتُ متكللاً على الله الذي يمنحني العافية وندعوه إلى أن يمنح وطننا الطمأنينة ويبعد عنه شر مخاطر التفتت الذي يبدو أنه مازال ماثلاً في الأفق.

مجلة "التضامن". لندن - 29 كانون الثاني (يناير) 1990

* * *

رفاق صدام حسين في "مجلس التعاون العربي" قادة الأردن ومصر واليمن.

ولأكثر من إعتبار موضوعي فإن مثل هذا اللقاء يمكن أن يتم على هامش الدورة المقبلة للجمعية العمومية في أيلول/ سبتمبر 1990 في نيويورك، وهي دورة يمكن أن يلقي الرئيس صدام فيها خطاباً وتكون بمثابة تنويع لمسعى السلام الدولي لحرب الخليج ثم يعقب ذلك لقاء الرئيسين. ومن غير الطبيعي أن يكون الرئيس صدام ينادي في استمرار بالدور الفعال للأمم المتحدة في شأن الحل الكامل والشامل بين العراق وإيران ولا يزور الأمم المتحدة في نيويورك ويلقي خطاباً من فوق منبرها كما فعل زعماء كثيرون، ويعزز بهذا الخطاب شأن دعوته لدور الأمم المتحدة في عملية السلام.

وبعد الحل الدولي لحرب الخليج يصبح الحل الدولي للمسألة الفلسطينية أكثر يسراً من أي وقت مضى.

مجلة "التضامن". لندن - 5 شباط (فبراير) 1990

* * *

العرب والفلسطينيون: ضحايا إعادة النظر

من كان يتوقع أن تكون أقصى الضربات التي تصيب القضية الفلسطينية هي تلك الضربة التي تأتي من الصديق الذي لولا العرب لما كان وصل إلى المنطقة، ولكان نفوذه بقي على الحدود مع تركيا والحدود مع إيران.

إننا لم نكن نتوقع أن يأتي يوم يكون فيه الإتحاد السوفياتي هو الذي يقدم لإسرائيل طوق النجاة في لحظة الغرق.

ونحن لم نتوقع ذلك على أساس أن العلاقة العربية - السوفياتية على مدى ربع قرن كانت على درجة عالية من الود والصداقة. بل ويجوز القول إن العرب بذلوا الكثير من التضحيات في سبيل هذه العلاقة.

وصحيح أن السوفيات لم يتخذوا إلى جانب العرب، وبالذات الشعب الفلسطيني، الموقف الذي إتخذته الولايات المتحدة إلى جانب إسرائيل، إلا أن مساندتهم المعنوية في المحافل الدولية كانت تشكل بالنسبة إلينا عنصراً بالغ الأهمية في معركة الصمود. وآخر حلقات هذا الصمود كانت الإنتفاضة التي تشكّل الهجرة الجديدة ضربة موجعة

وإلى ذلك إن الرئيس علي عبد الله صالح موضع إرتياح الإدارة الأميركية الحالية وذلك بسبب الصلة التي تربط الرئيس جورج بوش والمجموعة التكسسية الحاكمة برئيس الشركة التي إكتشفت النفط في اليمن وهي شركة أميركية (رئيسها مستر هانت).

وما أوردناه من مواصفات في شخصية علي عبد الله صالح لا تعني أن الرئيس اليمني لا يسجل أمام الإدارة الأميركية رأياً صريحاً في بعض المسائل القومية وفي السياسة الإقتصادية التي تمارسها الولايات المتحدة مع الأصدقاء. وأغلب الظن أنه سجل ما يريد تسجيله، أو أنه ترك إلى لقاء آخر مثل هذا الأمر وذلك على أساس أن هذا اللقاء هو لقاء تدشين مرحلة جديدة من العلاقات. ولأنها كذلك فمن الضروري تحاشي ما من شأنه أن يشيع أجواء الحذر.

ويبقى أن زيارة الرئيس علي عبدالله صالح إلى واشنطن تمت قبل أيام من القمة التي سيعقدها في عمان قادة "مجلس التعاون العربي" وهي قمة أمامها الكثير من الموضوعات الشائكة وعليها في الوقت نفسه أن تحدد موقفاً في شأن قضايا كثيرة عربية ودولية.

وقبل أن تتعقد هذه القمة سيكون قادتها إطلعوا من الرئيس علي عبدالله صالح، وفي إطار عملية التنسيق المثالية بينهم، على ما أجراه من محادثات في واشنطن وعلى ما سمعه من الرئيس جورج بوش وكبار المسؤولين الأميركيين، ذلك أنه كان، إذا جاز التعبير، مندوب "مجلس التعاون العربي" إلى البيت الأبيض وليس فقط رئيس اليمن.

وصحيح أن إثنين من أعضاء المجلس الأربعة تربطهما علاقة طيبة بالرئيس بوش وهما الملك حسين والرئيس حسني مبارك، وأن علاقة جديدة بدأت بين الرئيس الأميركي والرئيس علي عبدالله صالح، إلا أن علاقة الولايات المتحدة بالمجلس لن تتوضح إلا بعد أن يلتقي الرئيس بوش والرئيس صدام حسين خصوصاً أن الرئيس العراقي هو مبتكر صيغة "مجلس التعاون العربي" الذي قد يصبح القوة العربية الأكثر أهمية في حال إنضمام الآخرين وبالذات سوريا ولبنان والسودان ودولة فلسطين إليه.

وهكذا فإننا بعد زيارة الرئيس علي عبد الله صالح إلى واشنطن، وهي زيارة يرتاح لها في الدرجة الأولى الملك حسين والرئيس مبارك، نجد أنفسنا في إنتظار لقاء يتم بين الرئيسين جورج بوش وصدام حسين، وهو لقاء سيرتاح له

لها.

لقد جاءت هذه الهجرة في الوقت الذي أوصلت الإنتفاضة قوات الاحتلال إلى مشارف المأزق.

وجاءت في الوقت الذي تزايد القبول الدولي للنهج المرن الذي تنتهجه القيادة الفلسطينية.

وجاءت في الوقت الذي كانت الدبلوماسية الفلسطينية، التي أخذت بعض الحمل عن البندقية الفلسطينية، تخوض معركتها الشاقة مستندة إلى أن الإتحاد السوفياتي هو خير الأصدقاء وأكثرهم فعالية، وأنه بموقفه الثابت من موضوع العلاقات الدبلوماسية وإصراره على عدم إعادة العلاقات مع إسرائيل ما دامت تحتل الأراضي العربية يعزز شأن هذه المعركة.

وجاءت في الوقت الذي بدأت الولايات المتحدة تتباطأ في موضوع الحوار الذي بدأته مع منظمة التحرير الفلسطينية، وكان مثل هذا الأمر يحتاج إلى بعض الضغوط على الإدارة الأميركية لكي تتخلى عن التباطؤ. والضغط يكون بالمزيد من توثيق العلاقة السوفياتية - الفلسطينية.

وجاءت في الوقت الذي كثر الرهان في شأن التحرك الفلسطيني السياسي وإصرار القيادة الفلسطينية على أن الخيار السياسي يجب أن يأخذ فرصته وأنه الطريق الصحيح الذي سيوصل الدولة الفلسطينية إلى الضفة الغربية وغزة. وعندما يسبق اليهود السوفيات هذا الموكب ويتوزع الذين سيأتون من المدن الفلسطينية على مدن الضفة والقطاع، فهذا معناه أن موكب الدولة الفلسطينية لن يتحرك في الوقت الراهن، أو إنه إذا تحرك فسيكون تحركه مثقلاً بالقيود الدولية. هذا إلا إذا كان سيحدث تحرك عسكري يستهدف المهاجرين الجدد الذين أتوا من الإتحاد السوفياتي ويتكسر بمجيئهم الاحتلال.

وقد نجد هنالك مبررات كثيرة يسوقها المسؤولون السوفيات عن سماحهم لليهود بالهجرة إلى إسرائيل، مثل أن مناخ الحرية والديمقراطية السائد في الإتحاد السوفياتي يحتم السماح لهؤلاء بالإنقال إلى مدن الضفة وقطاع غزة التي يتطلع الفلسطينيون إلى أن تكون البقعة التي تقام عليها دولتهم. ولكن أي حرية وأي ديمقراطية هذه التي ستكون على حساب شعب وقضية.

وثمة نقطة بالغة الأهمية وهي أن اليهود الذين سيتم توطينهم في الضفة الغربية وقطاع غزة لن يكونوا من النوع المتعاطف مع القضية الفلسطينية، بل قد يجوز القول إنهم

سيكونون أكثر تطرفاً من المتطرفين، أو في أحسن حالات على أقصى يمين الحزب الشيوعي الإسرائيلي المتفهم نسبياً لمحنة الشعب الفلسطيني، لأنهم في الأصل معبأون على هذا الأساس، ولأنهم لكثرة ما عانوه في الإتحاد السوفياتي من وطأة الحُكم الكثير القساوة سيمارسون حريتهم على حساب أبناء مدن الضفة والقطاع الصامدين.

لقد ألحق الإتحاد السوفياتي بنا الأذى في اللحظة التي كنا في أشد الحاجة إلى وقفة منه معنا.

ونحن لو كنا نعرف أن قيادة غورباتشوف تُحْضِر لنا في العام 1990 هذه المفاجأة غير السارة على الإطلاق، ونعني بها تهجير اليهود السوفيات لتتولى إسرائيل توطينهم في الضفة الغربية وقطاع غزة، لكان من الضروري على بعض قياداتنا أن تعيد هي النظر قبل أن تبدأ قيادة غورباتشوف إعادة النظر.

ولكان علينا ألا نبتهج على الإطلاق بريح التغيير التي هبت من الإتحاد السوفياتي لأنها رياح تؤذي العرب في المقام الأول.

... وهذا ما تؤكدته التطورات لحظة بلحظة.

مجلة "التضامن". لندن - 12 شباط (فبراير) 1990

* * *

مانديلا وعرفات: الحل والمأزق

في اليوم التاريخي وهو الأحد 11 شباط/ فبراير 1990 الذي تتم فيه عملية الإفراج عن أحد أبرز زعماء العصر نيلسون مانديلا يحذر الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات بأنه سيستقيل من موقعه القيادي إذا فشلت عملية السلام.

الأول إنتصرت قضيته بعد مرحلة نضال شاقة كانت مزيجاً من أسلوب المهاتما غاندي وأسلوب تشي غيفارا. والثاني تتعثر قضيته على رغم أنه مارس كل ما تتطلبه القضية من توضيحات وما زال يخوض نضالاً متمتج فيه الحكمة بالثورية.

الأول يقود قضيته منذ سبعة وعشرين عاماً من السجن ويتمكن من تحريك الرأي العام الدولي لمصلحة هذه القضية.

والثاني سجين الطائفة والإجتماعات واللقاءات ويقود النضال الفلسطيني في الداخل ومن الخارج ويخوض في

أنه في حال حدوث ذلك سيكون هنالك الندم وليس أي شيء آخر.

وتبقى الإشارة إلى أنه إذا كانت هذه حال السود في جنوب أفريقيا مع نظام إستولى منهم على حقهم في أن يكونوا كأغلبية هم الذين يحكمون أو يكونوا شركاء متساوين مع البيض في الحُكم، فكيف هي حال الفلسطينيين مع الحُكم الإسرائيلي الذي إغتصب الوطن وإستولى على الأرض ولا يريد حتى الموافقة على الصيغة المتواضعة التي إفتداها ياسر عرفات بحكمته؟

إن العنف الذي سيحدث سيصعب تصوّره. وسيصعب أيضاً على المترددين الآن وفي طبيعتهم الولايات المتحدة وقف الإندفاع المجنون لهذا العنف.

مجلة "التضامن". لندن - 19 شباط (فبراير) 1990

* * *

إنتفاضة... ثقافية

على رغم المشاكل الإجتماعية والإقتصادية المتفاقمة، فإن الدول المصرية تتذكر رمزاً حضارياً مضيئاً هو مكتبة الإسكندرية وتقرر إحياء هذا الرمز. ومكتبة الإسكندرية أنشئت قبل الميلاد بثلاثة قرون وإستمرت بما تحويه من الكتب والمخطوطات، معظمها من الأدب اليوناني، مرجعاً لطلاب الثقافة في ذلك الزمن إلى أن أئت على هذا الكنز الفكري سنة 48 قبل الميلاد نيران الأسطول الروماني.

ويشبه إحياء مكتبة الإسكندرية محاولة مماثلة تمت في الستينات في بيروت عندما أحييت لجنة من بعض الشخصيات الشأن التاريخي لقلعة بعلبك وبدأت تستقدم إليها الفرق الموسيقية العالمية. وسرعان ما تحطمت هذه المحاولة بفعل همجية الحرب التي بدأت عام 1975 ولا يبدو أنها ستنتهي في المدى القريب.

والكلفة التقديرية لمشروع إعادة بناء مكتبة الإسكندرية هو 160 مليون دولار قدمت مصر من أصلها مبلغ 60 مليوناً قيمة الأرض تاركة لأصدقاء مصر والثقافة أن يتبرعوا بالمبلغ الباقي. وفي يوم الإفتتاح (الإثنين 12 شباط/ فبراير 1990) ثم في اليوم التالي وصلت التبرعات إلى 64 مليون دولار من أصلها 20 مليوناً تبرّع بها الشيخ

الخارج معركة التوازنات العربية والفلسطينية.

ومثلما أن نيلسون مانديلا نجح في أن يبقى على المشاعر النضالية تتأجج في نفوس جيلين من أبناء بلاده، فإن ياسر عرفات إستطاع بعد سنوات نضال صعب أن يُبقي على القضية الفلسطينية حية في النفس وفي الوجدان فلا يصاب الفلسطيني بالوهن ولا ينتاب الضجر صفوف العرب والأجانب الذين يتعاطفون مع هذه القضية.

وثمة جامع مشترك في شخصية هذين المناضلين، وهو أنه مثلما أن الإفراج عن مانديلا يشكّل حلاً، فإن إستقالة عرفات تشكّل مأزقاً.

الحل لدول العالم.

والمأزق لهذه الدول أيضاً.

وبشيء من التبسيط يمكن القول، إنه لو حدث أن إستمر مانديلا في السجن، أو توفي وهو في السجن، لكانت ستتشب حرب طاحنة بين البيض والسود في جنوب أفريقيا وكان العنف سيستهدف البيض، فضلاً عن أن مصداقية العالم كانت ستتهتر ما دامت هذه الدول مصرة على إعتبار الأقلية تحكم الأكثرية في جنوب أفريقيا أمراً مشروعاً. ولو حدث ذلك لكانت هنالك دول مطالبة بالدفاع عن البيض في جنوب أفريقيا، وهذا قد يقود إلى أن تصبح جنوب أفريقيا "قيتام البيض". وهذا ما نقصده بالمأزق.

وعندما لا يعود مثل هذا الأمر وارداً لمجرد أن تم الإفراج عن سجين العصر نيلسون مانديلا يصبح بالتالي واضحاً القول إن الإفراج كان حلاً ولمصلحة الدول الكبرى ودول أوروبا خشية أن تجد نفسها هذه تتورط في مأزق ليس سهلاً الخروج منه.

وما يقال بالنسبة إلى مانديلا يقال أيضاً بالنسبة إلى ياسر عرفات الذي يشكّل ما يشبه قوة الطوارئ الدولية بين دول العالم التي لا تحسم الأمر، وبالذات الولايات المتحدة، وبين الجماهير الفلسطينية في الداخل والخارج. فإذا استقال ياسر عرفات فهذا معناه أن إنفجاراً لا مثيل له سيحدث وسيكون أشبه بإنفجار جنوب أفريقيا، والذي لم يحدث لأنه تم الإفراج عن مانديلا والذي إمتص الإفراج عنه جبلاً من الغضب الأسود نتيجة عناد الحكام البيض، وهو عناد يشبه عناد الذين يحكمون في إسرائيل.

والقول إن ياسر عرفات يقوم بدور القوة التي تفصل بين دول العالم وبالذات الولايات المتحدة وبين الجماهير الفلسطينية ليس مبالغاً فيه. لكن في الوقت نفسه لا يعني أنه من أجل التأكيد يجب إنتظار حدوث الإستقالة، ذلك

لعل وعسى أيضاً نعيش مع التسعينات مرحلة إعادة بناء مكتبات ومنازل ثقافية في كل العالم العربي والإسلامي.

ويبقى أننا نسجل عميق الشكر للسيدة سوزان مبارك أنها بادرت واجتهدت وثابرت وإستطاعت أن تحقق في أسوان وبعيداً عن أجواء التطبيع المصري - الإسرائيلي المتعثر قمة عربية - دولية هي الأولى من نوعها في تاريخ المنطقة التي تحتاج إلى لحظات تأمل في الماضي الثقافي والحضاري، لعل وعسى تُحقق هذه اللحظات الإنتفاضة الثقافية التي من شأنها أن تساعد على جعل الجراح تلتئم.

وما أكثر هذه الجراح وأشد إيلامها على النفس العربية قبل الجسد العربي.

مجلة "التضامن". لندن - 26 شباط (فبراير) 1990

* * *

لبنان... أو "البؤس"

أكثر ما يلفت الإنتباه في الجولة الجديدة من الحرب اللبنانية والتي دارت رحى معاركها بين قوات قسّم من الجيش اللبناني يقودها العماد ميشال عون وتنظيم "القوات اللبنانية" بقيادة الدكتور سمير جعجع، خمسة أمور يمكن تسجيلها على النحو الآتي:

أولاً - الشراسة التي إتسمت بها المواجهة، وهذا يعني أحد احتمالين: الأول هو أن الطرفين مارسا هذه الشراسة على أساس أنها يمكن أن تحقق الحسم ويحل السلام محل الوضع الذي يكتوي الجميع بناره. أما الإحتمال الثاني فهو أن ممارسة المواجهة بالشراسة التي تمت فيها تتسجم مع المناخ الذي أورثته سنوات الحرب، بمعنى أن كل من حمل السلاح بات شرساً بصرف النظر عما إذا كان هذا الشخص ينتمي إلى هذا الجزء من الجيش أو إلى ذاك التنظيم.

ثانياً - إضطراب العشرات من سكان المنطقة الشرقية إلى اللجوء للمنطقة الغربية حيث أحيطوا بالطمأنينة والأمان. ومثل هذا اللجوء الذي كان من الصعب حدوثه في ظروف عادية كان بمثابة إختبار بأن التعايش ما زال ممكناً بين هذا الطرف وذاك أو تحديداً بين مسلمي لبنان ومسيحييه، وأنه إذا كان أبناء بعض أحياء المنطقة الشرقية إتجهوا إلى

زايد بن سلطان رئيس دولة الإمارات و20 مليوناً تبرّع بها الملك فهد بن عبد العزيز و21 مليوناً تبرّع بها الرئيس صدام حسين وثلاثة ملايين دولار تبرّع بها الأمير تركي بن عبد العزيز الذي كان أحد ضيوف حلقة الإفتتاح التي تمت في أسوان. أما الضيوف الآخرون فهم الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران ورئيس دولة الإمارات الشيخ زايد بن سلطان والملكة نور زوجة الملك حسين والملكة صوفيا زوجة ملك إسبانيا والأميرة كارولين ابنة أمير موناكو وفردريك مايور مدير عام منظمة الأونيسكو.. وآخرون.

وربما لا تعني هذه الخطوة الثقافية والحضارية شيئاً بالنسبة إلى ألوف، بل ملايين، المصريين الذين تطحنهم ظروف الحياة الصعبة، ويعانون من مشاكل المواصلات والسكن، والذين لا يدرون ما هي مكتبة الإسكندرية وما هي أهميتها. إلا أنها بالنسبة إلى سمعة مصر دولياً تبدو مهمة جداً لأنها تعطي إنطباعاً بأن العرب شعب حريص على الإهتمام بتراته الحضاري بصرف النظر عما إذا كان هذا التراث عربي الأصل أم أنه يعود إلى شعوب أخرى سبقتهم في إستيطان الأرض.

والحديث عن مكتبة الإسكندرية وبادرة السعي لإحيائها التي قامت بها زوجة الرئيس حسني مبارك السيدة سوزان يعيد إلى الأذهان الحديث عن المكتبة الأخرى التي تعرضت لمحنة بعد محنة المكتبة الأولى، وهي المكتبة التي كانت في المدرسة المستنصرية في بغداد التي إستباحها المغول بقيادة هولاكو عام 1258 ودمروا من جملة ما دمروه في المدينة مكتبتها التي كانت زمنذاك أهم مكتبة في العالم وكانت تحوي ألوف الكتب المترجمة من اللغات اللاتينية والفارسية إضافة إلى الكتب التي وضعها العلماء العرب بمؤازرة الخليفة المأمون وتشجيعه حيث كان يزن كل كتاب يتم تأليفه بثقله ذهباً.

ومثلما أن كُتبت مكتبة الإسكندرية أضاءت سماء المدينة بلون حروفها عندما أحرقتها نار الأسطول الروماني فإن كُتبت مكتبة المستنصرية التي رماها جنود المغول في نهر دجلة حولت مياه النهر إلى مزيج من ألوان الحبر على أنواعها فبدت زرقاء وحمراء وسوداء وخضراء وهذا يؤكد همجية هولاكو في سفك هذه الكتب.

ولعل وعسى نسمع ذات يوم بمشروع مماثل وعلى مستوى العالم العربي والإسلامي لإحياء المكتبة التي إعتبر هولاكو بهمجية قواته التي إستباحت بغداد أنه سيقضي على منارة ثقافية عربية.

السياسة كل شيء أو يراها أنها تأخذ من طريق الأخلاق فإنه لا يستهجن المبادرة الفلسطينية. بل إن عليه ألا يستهجن إذا سمع ذات يوم، ونتيجة تطور الصراع بأعداد كبيرة من المسيحيين تتوجه إلى مخيمات الفلسطينيين ومستوصفاتهم طالبة الحماية والمأكل والعلاج منها إذا كانت هذه المخيمات، ونتيجة ظروف موضوعية، قادرة على تأمين هذه المتطلبات.

رابعاً - بعد الجولة الجديدة بين العماد ميشال عون وما يمثله والدكتور سمير جعجع وما يمثله تكون كل الأطراف الأساسية التي لجأت إلى صيغة الميليشيا في لبنان قد قاتلت بعضها البعض، أو فلنقل إنها اختبرت قوتها في هذه المباراة التي لا أثر للفروسية وأخلاق الفرسان فيها على الإطلاق.

وللتذكير فإن آخر حلقات المباراة كانت - وربما ستجدد في أي لحظة - بين مقاتلي "حركة أمل" ومقاتلي "حزب الله". كما أنه للتذكير أيضاً تجدر الإشارة إلى أن أكثر الذين سجلوا صولات وجولات كثيرة على ساحة المباراة بين الأخوة كانوا الفلسطينيين بحيث لم يبق تنظيم لم يبارز التنظيم الآخر أو التنظيمات الأخرى وبحيث سقطت من الصفوف عناصر كثيرة ليس هنالك سبب مقنع لتصفيتها.

وهكذا نجد أن الذين يقومون بالوساطة بين العماد ميشال عون والدكتور سمير جعجع يحتاجون إلى من يتوسط بينهم وبين رفاق لهم يناصبونهم العداء.

خامساً - إن الجولة الجديدة وليست الأخيرة بين العماد ميشال عون والدكتور سمير جعجع جعلت العرب على مختلف مشاربهم يضيقون ذرعاً بالعناد اللبناني، وكيف أن الأطراف اللبنانية استمرت ظاهرة الإقتتال بحيث إنه لم يبق طرف لم يقاتل الطرف الآخر.

هذا ما يخرج المرء في ضوء الفصل الجديد من هذه الرواية التي فاقت في مأسيتها أي رواية أخرى. وإذا كان الجميع يضربون المثل برواية "البؤساء" لفكتور هيغو الروائي الفرنسي الخالد ويرون أنها رمز الحزن، فإن هذا الذي جرى وما يزال يجري في لبنان يجعله مادة لرواية إسمها "البؤس". ذلك أن "البؤساء" نموذج حالة أما "البؤس" فإن الحالة كاملة.

مجلة "التضامن". لندن - 5 آذار (مارس) 1990

* * *

المنطقة الغربية فوجدوا فيها الملاذ والمأكل والمستشفى على رغم ما حدث في سنوات الحرب الأربع عشرة وبالذات السنوات الست الأولى، فهذا يعني أن اللقاء يمكن أن يحدث ويستأنف الجميع مسيرة التعايش. وفي حال حدوث ذلك فإن الرهان على حالة تعايش الطوائف، وهو ما بذلت إسرائيل كل السبل لإثبات استحالتها، يكون قد سقط ويكون ذلك أعلى رهان إنما لقضية تستحق.

والقول بأنه أعلى رهان يستند إلى ألوف القتلى والجرحى، فضلاً عن الخراب والتدمير الذي لحق بالمنازل والمؤسسات والمستشفيات التي وصلت بها الحال إلى حد إغلاق الباب أمام الذين يتم نقلهم إليها وهم ينزفون من جرأ القصف العشوائي المتبادل.

ثالثاً - دخول الجانب الفلسطيني بشخص الشرعية التي تمثّلها قيادة الرئيس ياسر عرفات طرفاً في الصراع بين العماد ميشال عون والدكتور سمير جعجع. وكان الدور الفلسطيني دور الوسيط، وهو أمر ما كان ليتوقع أحد حدوثه قياساً بما جرى للفلسطينيين ومخيماتهم قبل سنوات وعلى أيدي بعض الذين يخوضون معارك بين بعضهم الآن.

وقيام الجانب الفلسطيني بدور الوسيط يعني أنه قادر بهذه المهمة وقادر أيضاً على أن يحقق خطوات جيدة في هذا الشأن.

والى ذلك إن هذه الوساطة من شأنها أن تزيل مرارة متأصلة في النفوس. وعندما يجد الفلسطيني نفسه على إستعداد لتوحيد صف من كانوا في الماضي يرون أن مشكلة لبنان هي في الوجود الفلسطيني، ثم عندما يجد الماروني اللبناني نفسه قد وجد الطمأنينة بفضل مسعى فلسطيني، فهذا كفيلاً بأن يزيل المرارة العالقة في النفوس.

وفي الوقت نفسه إن الشرعية الفلسطينية عندما تدخل طرفاً في الصراع حول الزعامة المارونية في جزء من لبنان فعلى أساس أن هذه الشرعية، وفي ضوء ما يتوافر لها من معطيات للموقف، تعتبر أن هذا الصراع من شأنه أن يأخذ من إهتمام الرأي العام الدولي بالانتفاضة التي تشكّل سندا رئيسياً لهذه الشرعية، ولكيلا يحدث ذلك فإنها توسّط لإنهاء الصراع أو على الأقل فض الإشتباك.

ولقد أكد هذا الدور للشرعية الفلسطينية وجود علاقة بين القيادة الفلسطينية وكل من العماد ميشال عون والدكتور سمير جعجع. وهذه العلاقة قد يستتكرها من ينظر إلى الأمر بمشاعر رومانسية، أما الذي يرى أنه يجوز في

الإنفصال... الحل والإنفصال... الكارثة

لا بد هنالك كثيرون يتذكرون، وبالمزيد من التفصيل، الوضع الذي ساد في المنطقة العربية بعد إنفصال سوريا عن مصر، أو تحديداً القُطر السوري عن الجمهورية العربية المتحدة التي كانت تضم القُطرين المصري والسوري.

لقد كان ذلك الإنفصال ضربة قاسية للتيار القومي والوحدوي الذي وصل، قبل أن يحدث الإنفصال ببضعة أسابيع، إلى حد أننا بنتنا شعر بأننا على أهبة أن نصبح القوة الأكثر شأنًا، وبأن الدولة العربية الكبرى من المحيط إلى الخليج لم تعد مستحيلة التحقيق.

وبعد هذا الإنفصال كثرت المناقشة وتعددت الأسباب التي أنهت ذلك الحلم الجميل. ومع أن أحداً لم يعترف صراحة بأن غياب الديمقراطية كان السبب الرئيسي في حدوث الإنفصال، إلا أن هذا الأمر واقعي ومنطقي. وعلى الأقل إن وجود الديمقراطية كان من شأنه أن يساعد الحريصين على الوحدة مواجهة خطوة الإنفصال لا أن يتسمروا في مقاعدهم ينتظرون أن يبعث الرئيس عبد الناصر بقوات تنقذ الوحدة ثم بعد أن يفعل ذلك يعود في اللحظة الأخيرة عن قراره.

ولقد كان الإنفصال ضربة مؤذية لزعامة عبد الناصر. ومنذ ذلك الوقت والتيار القومي يتعرض لحالة جزر، وهذا أتاح الفرصة أمام التيار الديني الذي وجد في سقوط تجربة الوحدة المصرية - السورية تربة صالحة لنمو التوجهات الدينية. ولولا الأسلوب الذي أدار به الرئيس صدام حسين المواجهة مع الحُكم الإيراني لكانت حالة التيار القومي في وضع سيء.

ومنذ حدوث الإنفصال وحتى زمننا هذا ونحن لا نستطيع إسقاط ذكر الإنفصال من أي حديث أو مناقشة. وفي هذه المناقشات نرمي على الإنفصال سبب مشكلتنا أو مشاكلنا الراهنة.

وفي الوقت الذي ما زلنا نرى أن الإنفصال كان ضربة أصابت القضية في الصميم ومؤامرة ضد الشرعية وضد الحلم العربي الكبير وهو حلم الوحدة تُطالعنا التطورات، التي يبدو أنها لن تهدأ والتي تحدث في الإتحاد السوفياتي، بأنباء مفادها أن الرئيس غورباتشوف أعطى الضوء الأخضر من أجل اعتبار الإنفصال حالة مشروعة.

وخلاصة هذه الأنباء أن البرلمان السوفياتي يناقش مشروع قانون يحدد الخطوات القانونية لإنفصال الجمهوريات عن

الإتحاد الفيدرالي السوفياتي، وبحيث أن هذا القانون يسمح لأي من الجمهوريات الخمس عشرة إجراء إستفتاء على الإنفصال يدعو إليه أمام برلمان هذه الجمهورية أو بناء على طلب ثلث تعداد سكانها على ألا يتم تنفيذ عملية الإنفصال إلا بعد موافقة البرلمان السوفياتي المركزي على نتيجة هذا الإستفتاء وبعد مرور خمس سنوات على إجرائه.

وللوهلة الأولى يبدو أن الرئيس غورباتشوف متساهل في أمر الإنفصال لكن بعد التأمل في الصيغة من شأنه إعطاء فكرة بأن الزعيم السوفياتي يجيز الإنفصال بالطريقة التي يجيز فيها الدين الإسلامي العودة عن الطلاق. فهو من جهة يجيز، ويعتد الأمر من جهة ثانية. وعندما لا يبدأ التنفيذ إلا بعد موافقة البرلمان المركزي وبعد مرور خمس سنوات، فهذا معناه أن هنالك فرصة أمام التراجع عن الخطوة الإنفصالية. وهو علاج ذكي لأنه يحقق للناس الرغبة في أن يستقلوا ويعطيهم فرصة أن يجربوا الإنفصال. كما أنه يتيح لهم مجال العودة إذا وجدوا أن لا قيمة لهم إذا انفصلوا تماماً مثلما أنه لا قدرة للبنان على العيش إذا حدث تقسيم.

إن الإنفصال بالصيغة التي يقننها غورباتشوف يبدو حلاً. أما الإنفصال الذي واجهه عبد الناصر بخروج سوريا من الجمهورية العربية المتحدة فكان كارثة.

ونجد أنفسنا هنا نتساءل:

ماذا لو كان عبد الناصر، بعد الذي بلغه عن التملل في الشارع السوري، دعا إلى إستفتاء محوره الوحدة أو الإنفصال بدل أن يغض النظر عما يحدث وما وصله في شأنه من معلومات؟

ماذا لو أجرى ذلك الإستفتاء وتعامل مع تلك الحالة بالأسلوب الذي يتعامل به غورباتشوف بعد أكثر من ربع قرن؟

من المؤكد أن الظروف هي السبب. ومثلما أن ما يطرحه غورباتشوف الآن ما كان ليتجرأ في الستينات أحد على طرحه، فإن الوحدة بين مصر وسوريا لم تعش إلى زمننا هذا ولم يعش أيضاً جمال عبد الناصر لكي يحول الإنفصال إلى حالة مشروعة يصدر بموجبها قانون يجيزها شأنها شأن أي شراكة بين إثنين أو أكثر.

وهكذا لكل مرحلة ظروفها ومفاهيمها ورجالها.

مجلة "التضامن". لندن - 12 آذار (مارس) 1990

* * *

إنتفاضة حتى النصر

يصاب متابعو هذه النشاطات على شاشات التلفزيون بالملل.

ومع أن إسرائيل تقتل في كل مرة يتصاعد فيها شأن الإنتفاضة معارك تشهيرية وتستغل لهذا الغرض تأثيرها على معظم وسائل الإعلام في الولايات المتحدة وأوروبا، إلا أن الإنتفاضة ما تلبث أن تخترق الأسوار الإعلامية المعادية وتقرض نفسها على الساحة الدولية. وما الحملة التشهيرية من جانب الوسائل الأميركية والبريطانية ضد العراق منذ بضعة أشهر سوى الدليل القاطع على أساليب إسرائيل في مواجهة الإنتفاضة وتحويل الأنظار عنها من خلال إنشغال الرأي العام الدولي مرة بسلطان رشدي المرتد الذي لولا الضجيج الإيراني - البريطاني - الأمريكي - لما كان لأحد أن يهتم بكتابات غير المفهومة أصلاً، ومرة بالجاسوس بازوفت، ذلك الإيراني التائه الذي جندته الأجهزة البريطانية والإسرائيلية فلكي الجزء الذي تنص عليه القوانين العراقية.

وتكراراً إن الهزة الحكومية داخل إسرائيل كانت ثمرة من ثمار الإنتفاضة، فتحية لأبنائها الذين لا نريدهم أن يصابوا بالملل، ولا نتمنى لبعض الأنظمة أن يصيبها هي الآخر الملل. ... وإنتفاضة حتى النصر.

مجلة "التضامن". لندن - 26 آذار (مارس) 1990

هل تستعد إسرائيل لعدوان في رمضان؟

من بين الأنباء التي تميز بها الأسبوع الماضي نبأ من إسرائيل وآخر من لبنان.

وتحت هذين النبأين يجد المرء نفسه يضع خطأ بل خطوطاً لكثرة ما تحفل به كلمات النبأين من علامات إستفهام وتعجب.

النبأ الأول يفيد أن حاييم هيرتزوغ رئيس دولة إسرائيل دعا شيمون بيريز الذي بدأ يسعى لتشكيل حكومة تخلف حكومة إسحاق شامير، إلى أن "يشكل حكومة حرب لمواجهة الإنتفاضة وزيادة إستيعاب المهاجرين الجدد ومحاربة البطالة بين الإسرائيليين".

هكذا بالحرف الواحد يحدد هيرتزوغ مهمة حكومة

بالإضافة إلى الإهتمام الإعلامي الدولي بها والذي فرضته على وسائل الإعلام في دول العالم شرقاً وغرباً بفضل المثابرة والقدرة المذهلة على التحمل، فإن الإنتفاضة الفلسطينية حققت الأسبوع الماضي أول إنجاز سياسي كبير وعلى الأرض عندما ألحقت بإسحاق شامير رئيس الحكومة الإسرائيلية هزيمة تُعتبر، قياساً بالظروف الراهنة دولياً وفي المنطقة، ساحقة إلى حد كبير.

ولولا مثابرة أبناء الإنتفاضة وإصرارهم على إسقاط الرهان الإسرائيلي عليهم والذي خلاصته أن هؤلاء لا بد سيصيبهم الضرر وبالتالي لا يعود الواحد منهم يلتقط الحجارة من الأرض ويرمي بها الجنود الإسرائيليين، لما كان لحكومة شامير أن تسقط ويتزايد الكلام في أسباب سقوطها مع تركيز أن عناد شامير ورفضه الموافقة على صيغة الحوار، الكثيرة المرونة التي إرتضاها الفلسطينيون، هو السبب الأهم.

وقد تستطيع المناورات إعادة شامير إلى الواجهة أو تبقيه في الخط المتشدد والذي يعارض الحوار، لكن هذا لا يعني أن الإنتفاضة لم تحقق كسباً كبيراً من المهم جداً تنشيطه وتعزيز خطوطه الأمامية والخلفية.

وعندما نقول بالتنشيط والتعزيز فهذا لا يعني تأمين المال لأبناء الإنتفاضة فقط وإنما الخروج من دائرة اللامبالاة التي أصابت بعض الأنظمة العربية فجعلتها تتعامل مع الإنتفاضة على أساس أنها طالت وأنها لم تثمر بعد.

وهذا الاعتقاد بات في غير محله لأن الإنتفاضة عندما تطول وتتواصل فهذا معناه أنها ما زالت على حيويتها وهذا هو المطلوب. بل إن الإستمرارية هي العنصر القوي فيها. كما أن الاعتقاد بأن الإنتفاضة لم تثمر بات هو الآخر في غير محله. وعندما تلحق الهزيمة بإسحاق شامير ويكون عناده ورفضه الصيغة المرنة من أجل حوار مع الفلسطينيين فهذا تأكيد بأن الإنتفاضة أثمرت وأن الموقف سيكون وفيراً. وإذا حدث أن دخلت إسرائيل في مأزق وتعثرت إمكانية تشكيل الحكومة أو أن الحكومة تشكلت إلا أن بقاءها لن يستمر، فهذا سيعني أننا على مشارف إنجازات أكبر وأكبر تحققها الإنتفاضة التي بات نشاط أبنائها مادة أساسية في معظم تلفزيونات العالم من دون أن

الحرب التي دعا بيريز إلى أن يؤلفها.

وعندما يوجه هيرتزوغ هذه الدعوة يبدو كما لو أنه يعتقد بأن حكومة شامير كانت حكومة سلام.

ومثل هذا الاعتقاد مستغرب لأن إسرائيل ما زالت حتى الآن تتعامل بمنطق الحرب مع الدول العربية.

أليس التعامل مع الإنتفاضة هو تعامل حكومة حرب؟
أليس رفض أي خطوة قد تقود إلى الحل هو رفض الطرف الذي لا يؤمن إلا بالحرب؟

أليس التعامل مع لبنان هو تعامل حكومة حرب؟
أليس هذا التطويق للبحر الأحمر من خلال التحالف مع حُكم منغستو في أثيوبيا هو تعامل حكومة حرب؟
إن الدلائل تؤكد أن حكومة إسحاق شامير لم تكن حكومة سلام لكي تتم دعوة بيريز إلى تشكيل حكومة حرب؟

وفي أي حال إنها دعوة تستحق من الحكومات العربية وقفة وبعض التأمل لأنها من جهة حكومات سلام مائة في المائة من دون أن تضع في الاعتبار إمكانية الحرب التي يمكن أن تفرضها إسرائيل في أي لحظة، ولأنها من جهة أخرى قد تكتشف أن كلام هيرتزوغ كان بمثابة كشف عما يمكن أن تفعله إسرائيل وليس تحذيراً. أو أن هذا الكلام كان بمثابة رنين الإنذار المبكر إنما من جانب إسرائيل.
ونأتي إلى النبأ الآخر وهو الذي يتمثل في إعلان البطريك الماروني نصرالله صفير عن إستعداده لقيادة إنتفاضة شعبية لإنهاء الوضع الحالي في المنطقة الشرقية من بيروت.

وقد أعلن غبطة البطريك ذلك يوم الأحد 25 آذار/مارس 1990 وفي وقت وصلت الحال بالطرفين اللذين يخوضان الحرب في المنطقة الشرقية، وهما العماد ميشال عون والدكتور سمير جعجع، إلى حد أنهما يتعاملان مع الناس وكما لو أنهم جمهور يتفرج على مباراة في كرة المضرب بين لاعبين يستعملان الصواريخ محل الكرة ويزداد حماسهما كلما سالت دماء وكثر عويل الأطفال والكبار في السن، وكما لو أن هذا هو التصفيق والتهافتات التي تشجع لاعبي كرة المضرب على أن يبرهنوا براعتهم في هذه اللعبة.

ونسأل غبطة البطريك: إذا كنت قادراً على إعلان إنتفاضة شعبية فماذا تنتظر؟

وهل يجب الكشف عن هذه الخطوة أم تنفيذها على الفور؟

لقد مات الناس بالمئات وسقط الجرحى بالألوف، وباتت البيوت التي أصيبت أو دُمرت أكثر من البيوت التي ما زالت قائمة. أما الهائمون على وجوههم أو الواقفون في طوابير يستجدون تأشيرة للهرب فإنهم أكثر أهل الأرض شقاء.

كل هذا والإنتفاضة الشعبية مجرد نية وليست مشروعاً للتنفيذ الفوري؟

لقد سقطت أقنعة كثيرة وباتت الإنتفاضة أمراً ممكناً بعدما كانت في الماضي أمراً غير ممكن.

وإذا كان في إستطاعة بطريك الطائفة المارونية إعلان الإنتفاضة فإن من واجبه أن يعلنها.. إلا إذا كان غبطة البطريك يتردد خشية أن تكون الإنتفاضة من دون منتفضين أي مثل تظاهرة من دون متظاهرين.

يبقى أن النبأين على ما تحويه كلماتهما من علامات إستفهام وتعجب قد يكونان بمثابة نقطة تحوّل في المنطقة. وإذا تبين أن تصريح هيرتزوغ كان تمهيداً لحرب تفرضها إسرائيل على العرب.

وإذا تبين أن إعلان البطريك غير ممكن أن يتحول إلى فعل ملموس.

ومن المهم بالنسبة إلى النبأ الأول ألا يغيب عن البال أننا نعيش أجواء الشهر المبارك رمضان وأن إسرائيل لا تنسى ما حدث لها في رمضان 1973 عندما عبرت القوات المصرية قناة السويس وحررت بالقوة، وبالمفاوضات بعد ذلك، ما أخذ منها عام 1967 بالقوة.

ومن يدري قد تكون إسرائيل تخطط لعدوان في هذه الأيام الفضيلة على العرب والمسلمين.

مجلة "التضامن". لندن - 2 نيسان (أبريل) 1990

* * *

رسالة سلام لا دعوة إلى حرب

يوم 2 نيسان (أبريل) ألقى الرئيس صدام حسين خطاباً في تجمع طلابي أورد فيه القسم الآتي: "والله. والله. والله إن الدماء الطاهرة التي سالت في جامعة المستنصرية لن تذهب سدى".

وكانت مناسبة الخطاب الحادثة البشعة التي وقعت قبل يوم في جامعة المستنصرية عندما رمى شاب إيراني

الأصل عراقي بالتجنس إسمه سمير مير غلام قنبلة في باحة الجامعة المستنصرية، حيث كانت تتعقد ندوة إقتصادية، فأصيب عدد كبير من الطلبة والطالبات بجروح كما أصيب عضو القيادة طارق عزيز.

وبعد هذا القسَم تسارعت التطورات مع إيران ثم بدأت الحرب التي إستمرت ثمانية أعوام قدّم العراق فيها ألوف الشهداء لكن الثمن الذي دفعته إيران كان كبيراً جداً.

ثم ها هو التاريخ على أهبة أن يعيد نفسه وبدلاً من سمير مير غلام تختار إسرائيل الإيراني الثائه فرزاد رياضي بازوفت ليقوم بمهمة أشبه ما تكون بالمهمة التي قام بها العراقي الحائر سمير مير غلام.

وتشاء المصادفة أن الرئيس صدام يعود بعد عشر سنين ويلقي يوم 2 نيسان 1990 خطاباً في مناسبة تكريم بعض القادة يورّد فيه القسم الآتي: "والله إننا سنجعل النار تأكل نصف إسرائيل إذا حاولت القيام بأي شيء على العراق".

وخطاب الرئيس صدام ليس دعوة إلى الحرب وإنما هو - إذا أرادت بعض الأطراف الدولية - رسالة سلام يوجهها الرئيس صدام في أحد أيام شهر فضيل على الأمتين العربية والإسلامية، وهو يرى أن قدره هو الجهاد في سبيل هاتين الأمتين.

وعندما نقول إنه رسالة سلام أكثر منه دعوة إلى الحرب فعلى أساس أنه إذا كانت هذه الأطراف الدولية، وفي مقدمتها الولايات المتحدة، غير قادرة على المضي في أن تضغط على إسرائيل وذلك بسبب تفوق الإسرائيليين نتيجة إمتلاكهم القنبلة الذرية فإن في إستطاعة هذه الأطراف أن تضغط الآن وأن تتجاوب ما دامت صارت هنالك دولة عربية واحدة قادرة على أن تتحدى إسرائيل.

وإلى ذلك إن خطاب الرئيس صدام هو أول إختيار حقيقي للنيات الأميركية، بمعنى أنه إذا كانت الإدارة الأميركية صادقة في نيات السعي الذي تقوم به من أجل إيجاد حل للقضية الفلسطينية فعليها أن تسارع وتبذل الجهد الذي يحقق الحل، كما أن على أعضاء مجلس الشيوخ، الذين إندفعوا بمواقفتهم على إعتبار القدس عاصمة لإسرائيل، أن يتراجعوا عن قرار من المؤكد أنه سيكون بعد إنذار صدام حسين يوم 2 نيسان 1990 عرضة لإعادة النظر.

واللافت في خطاب الرئيس صدام هو هذا التنبيه لكل ما من شأنه قلب الحقائق. ومع الأخذ في الإعتبار بأن

الإعلام الأجنبي الذي تدعمه الصهيونية ويتعاطف هو مع إسرائيل سيركز على مسألة إمتلاك العراق للسلاح الكيماوي، إلا أن هذا التركيز سيصطدم بحقيقة أساسية وهي أن إنذار صدام حسين واضح وهو "إن النار ستأكل نصف إسرائيل إذا حاولت القيام بأي شيء على العراق".

ومن الإيجابيات الكثيرة للإنذار الذي وجهه الرئيس صدام أنه سيُقوي من عزيمة أهل الإنتفاضة فلا ييأس هؤلاء ويواصلون معركتهم ضد الإحتلال الإسرائيلي، كما أنه يأتي رداً عملياً على هجرة اليهود السوفيات. وقد يتردد هؤلاء بعد الآن في الهجرة ما دامت هنالك نار عراقية يمكن أن تحرقهم، كما أن الذين هاجروا سيندمون ولا شك لأنهم أتوا ولو كانوا على علم بتلك النار القابلة للإحراق لما كانوا أتوا. أما هذا الإنذاف من جانب بعض الدول نحو التطبيع مع إسرائيل من دون أن تكون أبدت بعض المرونة إزاء الفلسطينيين فإنه على الأرجح لن يستمر وسيكون هنالك بعد الآن تريث لدى كثيرين.

كذلك إن من إيجابيات الإنذار أنه يُقلق الولايات المتحدة ويُربك الصف الإسرائيلي ويحقق للمرة الأولى في تاريخ الصراع العربي - الإسرائيلي التوازن الإستراتيجي الذي بسبب فقدانه تبعثرت القضية وتكاد تضيع فلسطين نهائياً.

وإلى ذلك إن خطاب الرئيس صدام هو أول إتهام بهذا الوضوح يوجهه الرئيس العراقي إلى الولايات المتحدة بأنها كانت قادرة على أن تُنهي الحرب العراقية - الإيرانية إلا أنها فعلت العكس. وهذا الإتهام هو رد على الإنطباع السائد بأن الحرب هي السبب في الوضع المالي المرتبك في المنطقة العربية. وعندما يحمل الرئيس صدام الولايات المتحدة مسؤولية توظيف الحرب للتلاعب بالمنطقة وبالنفط فإنه بذلك كمن يقول إن على الأطراف العربية المعنية أن تحاسب الولايات المتحدة على ذلك.

إلى ذلك أيضاً إن الخطاب يتضمن نداءً عقلانياً غير مباشر إلى الحُكم الإيراني خلاصته أن على هذا الحُكم أن يأخذ في الاعتبار بأن العراق وإيران ضحيتان، وعلى هذا الأساس فعليهما أن يكونا في موقف واحد أو شبه موحد ضد الولايات المتحدة. ومثل هذه المشاعر تزعج الولايات المتحدة في الحرب التي إستغرقت ثمانية أعوام وإستنزفت جبلاً من البشر والمال والآلات. ومن الطبيعي أن يتسبب خطاب الرئيس صدام في وقفة تأمل لدى قطاعات عريضة من الشعب الإيراني وربما لدى بعض أهل القرار فيهم.

ويبقى أن الخطاب بالإنذار الذي تضمنه جاء في وقت ليست هنالك حكومة في إسرائيل وجاء بعد يومين من مشاركة الرئيس صدام للرئيس عرفات إحتفالاً عراقياً بـ "يوم الأرض". وفي هذا الإحتفال الذي أقيم يوم الخميس 29 مارس/آذار 1990 وشارك فيه الرئيس صدام بشكل مفاجئ وحضر وهو يرتدي الزي العسكري ألقى الرئيس العراقي كلمة قال فيها: "مثمنا قلنا للعراقيين وللعرب عندما كانت المنازل في أشدها على البوابة الشرقية بأننا نرى النصر وكأننا نمسك به فإنني أقول الآن بإطمئنان كامل وليس إدعاءً وكأنني أمسك بيد أبو عمار على النصر في فلسطين".

يبقى أيضاً أن الخطاب بالإنذار الذي تضمنه أوجد حالة من صحوه عربية سببها أن الرئيس صدام إكتسب مصداقية من جهة ويات من جهة أخرى قوياً. وهو قوي إلى درجة أنها المرة الأولى في تاريخ الصراع العربي - الإسرائيلي يسمع العالم وتسمع إسرائيل إنذاراً عربياً يمكن إعتباره رسالة سلام لمن يريد السلام ودعوة إلى المنازل لمن يريد أن يقتنع بأن الرئيس صدام وضع العراق في موضع الدولة القادرة على أن تلبى الطموح العربي الكبير. وأهم ما في الأمر أن المسألة تتم وفق الأصول ومع تحسب كامل للمحاذير، وفي غياب السند التقليدي الذي هو الإتحاد السوفياتي الذي صار همه تصدير اليهود إلى فلسطين المحتلة بعدما كان المؤمل منه أن يكون الحليف الأقوى والأكثر عناداً.

وتكراراً إن إنذار 2 نيسان 1980 كان جدياً ووفى الرئيس صدام باليمين التي أطلقها.

كيف ستكون الحال في ضوء إنذار 2 نيسان 1990؟

إن الأمة من المحيط إلى الخليج تتأمل.. وتصلي.

مجلة "التضامن". لندن - 9 نيسان (أبريل) 1990

"التضامن" تبدأ سنتها الثامنة

تتقدم "التضامن" من قرائها مسؤولين ومواطنين بالتهنئة لمناسبة شهر الصوم الذي يحل للمرة الأولى بعدما قطعت مساعي تحقيق التضامن العربي خطوات كثيرة ولم تبق إلا الخطوة المتقدمة ويسود التضامن ربوع الأمة، وهو ما

تواصل السعي من أجله ومنذ أن تم إنشاؤها في لندن قبل ثمانية أعوام هذه المجلة التي إخترنا لها نهجاً وتأكيذاً والتزاماً إسم "التضامن".

وتخص "التضامن" بالتهنئة الفتيّة الذين يواصلون مسيرة الإنتفاضة في غزة والضفة الغربية المحتلة، والأسرى الذين يرزحون تحت نير العناد الإيراني الذي يرفض كل النداءات النابعة من الضمير والمبادرات المستتدة إلى النيات الطيبة.

وهي إذ تخص هؤلاء بالتهنئة فإنها تتمنى لفتية الإنتفاضة المزيد من الحماسة لكي تبقى الشعلة تضيء الطريق وتتمنى للأسرى المزيد من الصبر.

ولعل وعسى لا يحل شهر الصوم المقبل إلا وتكون العودتان قد تحققتا. عودة الفلسطينيين إلى ديارهم ودولتهم بفضل الفتية الذين جعلوا صوت الحجر أعلى من صوت الباطل الإسرائيلي والمؤيد له. وعودة الأسرى العراقيين إلى أهلهم وبلدهم وعودة الأسرى الإيرانيين إلى أهلهم وبلدهم وبدء علاقة بين العراق وإيران تقوم على العدالة وفوق مبادئ وأسس سلام دائم وشامل.

ومن محاسن الصدف أن ذكرى سنة جديدة من عُمر "التضامن" هي الذكرى الثامنة تحل في أيام رمضان، وهذه المصادفة تحدث للمرة الأولى فإنها تبعث فينا مشاعر تقاولية طيبة تجعلنا نتوقع أن تكون سنتنا الجديدة سنة خير وإزدهار بفضل قارئ عزيز ومساندين نذكرهم دائماً بالخير.

لقد كانت السنوات التي إنقضت من عُمر "التضامن" شاقّة بكل المقاييس وذلك لأن الظروف التي تزامنت مع إستمرار الحرب في لبنان من جهة والحرب العراقية - الإيرانية من جهة أخرى كانت بالغة الصعوبة والتعقيد. ونقول ذلك على أساس أن كل مستلزمات الإصدار كانت في تصاعد وكل موارد الدخل كانت تنحسر لإعتبارات موضوعية إضافة إلى أن الطوق الإعلاني على "التضامن" إستطاع أن يحجب عنها مداخل كان يمكن أن تخفف عنا وطأة التكاليف الباهظة. ولكن السعي الدؤوب إستمر في الإتجاهين، إتجاه المحافظة على المستوى العقلاني والرصين لهذه المجلة، وإتجاه شرح واقع الحال للشركات في أوروبا والولايات المتحدة واليابان.

والآن لا نستطيع القول بأن هذا السعي حقق نتائجه المطلوبة لكن الذي يمكن قوله هو أن الصورة إختلفت تماماً. وها هي "التضامن" مع بدء سنة جديدة تقف واثقة من نفسها بعدما خاب ظن الذين راهنوا على عدم

تنتهي الحرب في لبنان عندما يحدث فيه ما فعله الخميني وغورباتشوف وعرفات

عندما وصل الحُكم الإيراني في أعقاب ثمانية أعوام من المعاندة ودفع المزيد من أرواح الناس نحو محرقة الحرب إلى قناعة بأن الانتصار على العراق مستحيل فإنه أعلن موافقته على القرار 598.

وبصرف النظر عن التخرّج الذي تمت به الموافقة وتشبيهه الراحل آية الله الخميني القبول بالقرار بأنه كمن يتجرع السم فإن الخطوة كانت لافتة للإنتباه. وعندما يتحول حُكم أمضى ثمانية أعوام في حرب رفع خلالها شعار تصدير الثورة وعاش في حُلم إسقاط النظام في العراق وإقامة نظام يتحالف معه ويحقق من خلاله حُلم وضع اليد بالكامل على منطقة الخليج العربي، إلى طرف يوافق على القرار 598، فهذا معناه إقرار بفشل برنامجه.

ولكن الموافقة التي تُبقي على الحُكم هي أفضل من الإستمرار في الحرب إلى حين سقوط هذا الحُكم وإعلان إفلاس إيران.

وعندما تسلّم غورباتشوف الحُكم في الإتحاد السوفياتي وجد نفسه أمام مشكلة لا حل لها، حيث أن العقيدة الماركسية أخفقت في إيجاد حلول للناس. وإزاء هذا الواقع المرير عليه، إما أن يحكم البلد ويترك مسألة إيجاد الحلول للزمن ولغيره من الحكام، أو يتخذ القرار الصعب، والذي لا بد من إتخاذه وهو إعادة النظر في كل شيء. وإختار القرار الصعب الذي كان في ظاهره ضربة للعقيدة الماركسية، وكان في جوهره محاولة شجاعة تبعد عن الدولة السوفياتية خطر الإفلاس.

وعندما إكتشفت القيادة الفلسطينية بأنه لا بد من بعض المرونة فإنها أجرت تعديلاً جذرياً في نظرية التحرير بحيث لم يعد الحل ينبع من فوهة البندقية فقط وإنما أيضاً من خلال جلسات الكواليس الدولية والعربية.

ومناسبة الحديث حول ما فعله الحُكم الإيراني وما فعله غورباتشوف وما فعلته القيادة الفلسطينية هو أن الحرب اللبنانية التي دخلت يوم 13 نيسان (أبريل) الجاري سنتها السادسة عشرة أكدت أنه لا مجال لغير القرارات الصعبة لمواجهة أوضاع لا يمكن حلها بالمواقف الرومانسية وغير الواقعية. ولقد كانت الحرب التي فرضتها إيران على العراق تحت شعار وهدف تصدير الثورة موقفاً غير واقعي. كما

إستمرارها، وبقيت تواصل الصدور وتحترم نفسها وتحظى بإحترام أهل القرار العربي والقراء الذين لا يبخلون عليها بالوقفة الطيبة، ولا هي من جانبها تتردد لحظة في تقديم الخدمة الصحافية الجيدة التي يبحثون عنها.

ولقد سعيينا من أجل أن تكون سنتنا الجديدة حافلة بالمادة التي تضفي على "التضامن" المزيد من الحيوية. وفي هذا الإتجاه كانت الزوايا والمسلسلات والمسابقات التي بدأنا ننشر بعضها وسنوالي نشر البقية في أعداد مقبلة.

يبقى أن ما نحرص عليه هو أننا في كل خطوة تطوير نخطوها يهتما ألا تتأثر "التضامن" كمجلة جدية في زمن تتحسر فيه الجدية، ومن أجل ذلك نعتذر من قراء وموزعين بيدون الرغبة علينا في نشر موضوعات خفيفة وجعل الغلاف دائماً في أغلب الأحيان غير سياسي، بمعنى أن يكون صورة لممثلة أو لوجه نسائي جميل. ونحن مع إحترامنا لوجهة النظر هذه نرى أن الجدية مطلوبة من دون أن يعني ذلك أنه عندما يكون الوجه الجميل محور موضوع رئيسي وجدّي لا ننشر صورة فتاة أو ممثلة. وحتى الآن لا يحدث ذلك إلا نادراً.

يبقى أيضاً أن سنتنا التي إنقضت حفلت بأعمال جيدة وتحليلات موفقة وحفلت أيضاً بإجتهادات قد تكون العاطفة تغلبت فيها على المنطق وأوجبت الظروف بعض المسaire التي جاءت على حساب الموضوعية. وهذا الأمر وغيره من الأمور تحتاج من الصحافي دائماً إلى عملية النقد الذاتي. ونحن نؤمن بأن النقد الذاتي ضروري لمن يمشي الكمال. ونحن في "التضامن" نتطلع إلى ذلك.

لقد أردنا لـ "التضامن" أن تكون "مجلة العرب من المحيط إلى الخليج" وعيوننا ساهرة دائماً من أجل هذا الشعار.

وعندما أنشأنا "التضامن" سمعنا كثيرين يقولون: أي تضامن هذا. ونحمد الله أن بعض هؤلاء يقولون لنا الآن إن ما دعوتهم إليه قبل ثمانية أعوام بات قضية العرب الأولى الآن، أي أننا كنا عاقلين.

... وكنا إلى حد ما بعيدي النظر.

مجلة "التضامن". لندن - 16 نيسان (أبريل) 1990

* * *

عرفات في القيادة الفلسطينية فإن الحرب ستنتهي في لبنان، وبحيث تكون السنة السادسة عشرة هي السنة الأخيرة، تماماً مثلما كانت السنة الثامنة هي السنة الأخيرة في العناد الإيراني وإن كان العناد إكتسب بعد ذلك طابعاً جديدة، ومثلما كانت مبادرة كل من غورباتشوف وعرفات هي الخطوة الأولى على طريق الواقعية البعيدة عن النظرة الرومانسية لتحرير الانسان والأوطان.

مجلة "التضامن". لندن - 16 نيسان (أبريل) 1990

* * *

كأن اللقاء بين بوش وصدّام حسين

يوم الخميس 12 نيسان/ أبريل إستقبل الرئيس صدّام حسين وفداً أميركياً يضم خمسة من أعضاء مجلس الشيوخ يترأسهم السيناتور روبرت دول. أما الآخرون فهم السيناتور سمسون والسيناتور مكلور والسيناتور متبرت والسيناتور ميتزن بوم.

وكان الوفد يقوم بجولة في بعض الدول العربية ثم إستقر الرأي في أعقاب زيارة قام بها الرئيس حسني مبارك إلى بغداد وإقتراح تقدّم به إلى البيت الأبيض أن تشمل جولة الوفد العراق. وهذا ما حدث.

وجدث نفسي في نهاية قراءة النص الرسمي لمحضر اللقاء أضع خطأً وأحياناً خطوطاً تحت عبارات كثيرة.

أولاً - إن اللقاء يتم بعد عشرة أيام من التحذير الذي أطلقه الرئيس صدّام حسين وأقسم فيه اليمين بأنه سيحرق نصف إسرائيل إذا هي إعتدت على العراق. وعندما يتم اللقاء على وجه السرعة هذا، فذلك يعني أن الإدارة الأميركية أخذت التحذير على محمل الجد وأن السفيرة الأميركية لدى العراق أوضحت في تقريرها التقليدي ما قد يكون إستعصى على الإدارة الأميركية إستيعابه من التحذير. هذا مع الأخذ في الإعتبار أن التحذير ليس غامضاً إلى درجة الحاجة إلى عملية فك رموز.

ثانياً - إن اللقاء تم في الموصل وليس في بغداد، أي في منتصف الطريق بين العاصمة ومنطقة الشمال حيث هنالك دائماً محاولات من جانب أوساط في الإدارة الأميركية لإستعمال المسألة الكردية كورقة ضغط على الحُكم العراقي. وإلى ذلك إن الموصل مدينة تنتمي إلى

أن الإستمرار في التمسك بحرفية العقيدة الماركسية على رغم عشرات السنين من التعثر كان موقفاً غير واقعي. وإذا كان الخميني نفسه تراجع عن إصراره على تصدير الثورة وأقر بفشل برنامجه فهل يعود مقبولاً أن تستمر بعض الزعامات اللبنانية التي تدين بالولاء لأطراف غير لبنانية، من بينها إيران وسوريا، ومع الأسف إسرائيل، في موقفها الذي يؤخر تثبيت الحل في لبنان؟

وإلى ذلك إنه إذا كان غورباتشوف أعاد النظر في منطلقات العقيدة الماركسية فهل يعود مقبولاً أن لا يساعد الحُكم السوري الأطراف اللبنانية على أن تخطو نحو تثبيت الحل الذي يُنهي الحرب؟

إلى ذلك أيضاً انه إذا كانت القيادة الفلسطينية نفسها أجرت تعديلاً جذرياً في نظرية التحرير فهل يعود مقبولاً أن يستمر العماد ميشال عون في موقفه الذي تغلّب عليه الرومانسية؟

إن إعادة النظر هي الحل. ولو حاولنا الآن أن نتصور الوضع في إيران لو أن الخميني لم يوافق على القرار 598، ولو أن القيادة الفلسطينية لم تقرر إجراء تعديل جذري في نظرية التحرير، ولو أن غورباتشوف لم يتراجع عن التمسك بحرفية العقيدة الماركسية، فما الذي سنجده؟ كانت إيران ستبدو غارقة في الهزيمة ولا قدرة لها حتى على التحرك الدبلوماسي.

وكانت القيادة الفلسطينية تطرّق الأبواب فلا يفتح لها أحد هذه الأبواب وكان الأصدقاء سيواصلون الإنصراف عنها إلى الإهتمام بمشاكلهم.

وكانت ستتوالى الأنباء من الإتحاد السوفياتي عن المشاكل الإجتماعية والإقتصادية إلى درجة أن الدولة العظمى لا تعود كذلك على الإطلاق.

وفي غياب إعادة النظر فإن هذا ما يحدث للبنان. وأغلب الظن أنه قد يأتي يوم لا تعود وسائل الإعلام الدولية، ومن بعدها العربية، تأتي على ذكر لبنان إلا إذا كان هنالك مسعى للإفراج عن رهينة أجنبية مخطوفة.

فهل نتوقع من الأطراف اللبنانية أن تعيد النظر وأن تكون الإعادة بنسبة ما يفيد تثبيت الحل؟

والذي نقصده بالأطراف اللبنانية أولئك الذين مازالوا بسبب ولاءاتهم الخارجية يضعون مصلحة وطنهم في الدرجة الثانية.

وإذا أعاد هؤلاء النظر وفعلوا ما فعله من قبل الخميني في إيران وغورباتشوف في الإتحاد السوفياتي وياسر

حضارة عمرها حوالى أربعة آلاف سنة أي حوالى عشرين ضعف عمر الولايات المتحدة.

ويبدو اللقاء بين الرئيس العراقي وأعضاء الوفد وكما لو أنه بين الرئيسين جورج بوش وصدّام حسين، أو فلنقل إنه "بروفة" لقاء بين الرئيسين أو في إفتراض بدهي أنه تمهيد الأرض أمام لقاء سيحدث عاجلاً أم آجلاً بين الرئيسين.

وفي هذا الكلام نستند إلى قول السناتور دول للرئيس صدّام حسين في بداية اللقاء أنه وأعضاء الوفد تحدثوا هاتفياً مع الرئيس بوش في واشنطن قبل حوالى إثنتي عشرة ساعة من زيارة الوفد للعراق وأنه كان مرتاحاً للزيارة. كذلك إننا نستند في هذا الكلام إلى أن السيناتور دول هو زعيم الجمهوريين في مجلس الشيوخ وهو منصب يعلّق الرئيس بوش عليه الكثير بالنسبة إلى لعبة القرار عندما يكون الكونغرس محور القرار ومصدر الخطر عليه. كما أن السناتور دول كان منافساً للرئيس بوش فضلاً عن أن زوجته تشغل الآن منصباً وزارياً إدارياً في إدارة الرئيس بوش.

ثالثاً - من إيجابيات اللقاء أن الوفد الأميركي يتأرّسه شخص سياسي مرموق في بلده فقد ذراعه اليمنى في الحرب قبل أربعين سنة، أي أنه يعرف ما الذي تعنيه الحرب. وعندما يقول السناتور دول أن ذراعه المفقودة تذكّره يومياً بواجب العمل من أجل السلام ويقول هذا الكلام أمام الرئيس صدّام الذي واجه أشرس حرب فرضتها إيران عليه وذهب ضحيتها ألوف الشهداء والضحايا، فهذا معناه أن هنالك جامعاً مشتركاً هو نبذ الحرب.

ومن إيجابيات اللقاء أيضاً أن الوفد ضم في عضويته كل الإتجاهات داخل مجلس الشيوخ من الجمهوري إلى الديمقراطي ومن الليبرالي إلى المحافظ إلى المتعصب لإسرائيل، وضم على وجه التحديد السناتور هوارد ميتزن يوم الذي على رغم سماع كلام من الرئيس العراقي لا يرتاح إليه لأسباب إنتخابية قال مخاطباً الرئيس صدّام: "أدركتُ وأنا جالس هنا أستمع إليكم حوالى ساعة أنكم رجل قوي ورجل ذكي وتريد السلام، وأعتقد أنكم يمكن أن تكونوا قوة مؤثرة جداً للسلام في الشرق الأوسط".

والسيناتور ميتزن يوم من أقرب المقربين لإسرائيل. أما الكلام الذي قاله الرئيس صدّام فهو "إن العرب يسمعون يومياً عملية تحقير لهم من الغرب ويومياً يسمعون إهانة لهم. لماذا؟ هل سيطر عليكم الإتجاه الصهيوني إلى هذا الحد الذي سلب إنسانيتكم؟ إذا كان الأمر هكذا فنحن نجد

بلا غرور، وإنما تعبيراً عن المسؤولية، أنه أصبح على العرب واجب إضافي ليس فقط أن يتحرروا من داخلهم وإنما أن يحرروا بعض الزوايا المظلمة في العالم من إبتزاز اللوبي الصهيوني. وعند ذلك لا نساعد فقط في تحرير أنفسنا وإنما في تحرير آخرين من ثقل الضغط الصهيوني الذي يحصل عليهم في الغرب...".

كذلك إنه عندما يُنهي الرئيس صدّام المقابلة بالقول "لا تتسوا أن الذي يمثل القضية الفلسطينية لدينا كعرب هم الفلسطينيون ويأسر عرفات على رأسهم" و"صار واضحاً أن أي جهة تتصدى بإسم الفلسطينيين للقضية الفلسطينية وهي غير مكلفة لن تتوصل إلى حل سلمي.. فمن الطبيعي أن ينقل السناتور ميتزن بوم أبعاد هذا التصور إلى المسؤولين الإسرائيليين ويوصيهم بالكثير من التفهم وعدم تقويت الفرصة، خصوصاً أن الرئيس صدّام قال في لقاءه مع الوفد الأميركي: "لو كان أحد في إسرائيل حكيماً لفعل المستحيل الآن من أجل أن يتحقق السلام وليس بعد عشر سنين". ولا بد أن هذه العبارة ستستمر لبعض الوقت مثل الجرس الذي يُحدث قرعه صوتاً قوياً.

رابعاً - من الواضح أن الوفد يحمل توجهات من أجل بناء علاقة متوازنة مع العراق تتطور بحيث تصبح جيدة. ومن هذا المنطلق جاء قول السناتور دول إن إدارة الرئيس بوش ليست سبب الحملة على العراق في وسائل الإعلام الأميركية وأنه بإستثناء إذاعة صوت أميركا فإن أي وسيلة إعلام صحافية أو تلفزيونية لا تُعتبر رسمية، وأن أحد معلّقي إذاعة صوت أميركا قال كلاماً عن العراق فتم طرده لأن الكلام الذي قاله لا يمثّل رأي الحكومة.

واللافت للإنتباه أن السيناتور دول حرص بعدما سمع كل الكلام الحازم من الرئيس صدّام وبالذات كلامه عن العقوبات، على القول إن الرئيس بوش أكد له عندما إتصل به هاتفياً، وكان ذلك قبل 12 ساعة من اللقاء بالرئيس صدّام، أن الحكومة الأميركية تريد علاقات أفضل مع العراق. وأضافت السفارة التي شاركت في اللقاء إلى ذلك القول إنها تؤكد بأن سياسة حكومة بلاده هي إقامة علاقات أفضل مع العراق.

ولا بد أن كلام الرئيس صدّام في موضوع العقوبات إستوقف كلجهة وكمضمون الوفد الأميركي. ومما قاله في هذا الشأن: "قلتم إن بعض أعضاء الكونغرس قد يطرح عقوبات على العراق ولكن هلاً سألتكم أنفسكم بماذا تعاقبون العراق؟ أنتم لم تسلحوا العراق ولم تُصرفوا له مساعدات

اقتصادية ومالية. وبدلاً من ذلك تطاردون العراقيين على أبسط الحلقات التقنية عندما يشترونها من السوق الأميركية. كما أنكم لم تأتوا بنا إلى الحُكم ولا أنتم الذين تحموننا...".

أما لماذا تريد إدارة الرئيس بوش بناء علاقات جيدة مع العراق، فهذا ما عبّر عنه السناتور دول أمام الرئيس صدام وبكل الوضوح عندما قال: "إننا نعرف أهمية العراق. أنتم البلد الثاني في الإحتياط النفطي وأنتم ثاني أكبر بلد في المنطقة. وتاريخكم مديد ونحن نفهم أهمية العراق...".

وفي هذا الإطار تجدر الإشارة إلى أن أحد أعضاء الوفد وهو السناتور آلان سمسون قال للرئيس صدام: أنا أستمع عندما ألتقي بالناس الصريحين الواضحين وهذا طبعنا نحن الكابوي. نحن قادة في مجلس الشيوخ وهذا ما دفعنا لأن نتصل هاتفياً ليلة أمس بالرئيس بوش ونقول له إن مجيئنا إلى العراق سيكلفنا كثيراً من الشعبية وسيهاجمنا الكثير على هذا المجيء إلى العراق. كما أن السناتور متزن بوم بشكل خاص أبدى شجاعة حقيقية في أنه جاء في هذه الظروف. ولكن الرئيس بوش قال: "أنا أريدكم أن تذهبوا وهناك الكثير من الأمور التي ينبغي أن تُطرح ونشارك فيها مع العراقيين...".

وعندما يقول الرئيس بوش هذا الكلام فمعنى ذلك أنه يريد بالفعل بناء العلاقة الجيدة وخصوصاً أن كلامه هذا كان بحضور مستشاره لشؤون الأمن القومي سكو كروفت، الأمر الذي يعني أن لهذه الرغبة دوافع أمنية خاصة بمنطقة الخليج.

خامساً - لقد نجح الرئيس صدام في أسلوب المخاطبة الذي إعتده وقال للوفد ما يمكن أن يقوله للرئيس بوش إذا جمعهم لقاء. ومثل هذا الأسلوب يسمعه مسؤولون أميركيون للمرة الأولى - هذا إذا جاز القول - من مسؤولين عرب، حيث أن الأميركيين إعتادوا على أن يسمعو من أطراف صديقة يلتقون بها الكلام الذي يدعو إلى التفهم وينصح به حرصاً على المصالح المشتركة، أما الأطراف غير الصديقة فإنهم لا يلتقون بها أصلاً.

وما قاله الرئيس صدام يتسم بالحزم والصرامة والثقة بالنفس، فهو قال إن العلاقة بين الدول يجب أن تتم بعيداً عن قياس الكبير والصغير لأن الإنسانية تحتاج إلى الكبير والصغير. وهو قال، إنه مثلاً تقلق الولايات المتحدة من أخبار تصلها عن العراق وتنتقد سياسات تنتهجها.

وإلى ذلك كرر أمام الوفد وبعيداً عن المجاملات ما

قاله في شأن الرد على إسرائيل بالكيماوي المزدوج إذا هي إعتدت على العراق، وأضاف إلى ذلك القول إنه خشية أن تقوم إسرائيل بهجوم ذري على العراق وتكون القيادة مجتمعة في ذلك الوقت فإنه أبلغ سلفاً آمري القواعد الجوية وآمري تشكيلات الصواريخ بأن يرسلوا إلى إسرائيل كل ما يمكنهم من الكيماوي المزدوج.

وأمام الوفد أيضاً وفي رد ثان على ما طالب به الرئيس بوش في شأن سحب الرئيس صدام للإنذار الذي أطلقه يوم 2 نيسان/ أبريل قال الرئيس العراقي: "نحن لا نعتذر عن تصريحنا الذي أطلقناه. فهو واضح وعادل ودفاعي وهو حق".

تبقى الإشارة إلى أن الرئيس صدام أشاع في لقائه مع الوفد الأميركي نوعاً من الإرتياح لأنه إعتد الصراحة وأظهر رغبة حقيقية في تحقيق أجواء من الانفتاح. وهو لم يترك لأعضاء الوفد مشقة التفسير عن طريق الإجتهد انه أكد الإصرار على ضرب إسرائيل بالمزدوج إذا هي إعتدت لكنه في الوقت نفسه قال، إن إسرائيل قد تُحجم عن الضرب عندما تعرف بأنها ستُضرب. وهو إلى ذلك أشار على الولايات المتحدة ودول الغرب عموماً على أنه لمصلحة السلام وليس في إتجاه الحرب.

واللقاء خطوة بالغة الأهمية بشرط تطويرها وبالذات بعد أن يضع السناتور دول بإسم زملائه أعضاء الوفد تصوراتهم أمام الرئيس بوش وأقطاب الإدارة الأميركية.

وإذا جاز القول فإن اللقاء سيساعد، إلى حد ما على تخفيف حدة الجفوة التي نشأت بين الولايات المتحدة والعراق في أعقاب الإنذار الذي وجهه الرئيس صدام يوم 2 نيسان 1990. وقد يفتح الباب أمام تفهم أكثر واقعية في حال تعرف أهل السياسة في العراق والولايات المتحدة على بعضهم كما أشار الرئيس صدام في اللقاء. وأهل السياسة ليسوا المسؤولين فقط في البلدين وإنما أيضاً رجال الأعمال والعاملين في حقل الدراسات الإستراتيجية العسكرية والسياسية.

وعلى رغم أن أجواء العلاقات الأميركية - العراقية ملبدة بالغيوم إلا أن زيارة الوفد هي أول حوار أميركي - عربي في العمق يحدث ومن شأن الوضوح والصرامة التي تميز بهما أن يكون بمثابة نقطة تحوّل سغينا إليها كعرب بالتمنيات فلم نحصل عليها إلا بعد التوضيحات وبعد إنذار 2 نيسان الذي سيبقى وسيلة ضغط فعالة من أجل السلام والحل العادل.

وعلى حد التعبير الشائع فإن الكرة الآن في الملعب الأميركي.

مجلة "التضامن". لندن - 30 نيسان (أبريل) 1990

* * *

لم يعدل عُمر... كيف سيحكم عُمر؟

يوم الثلاثاء 24 نيسان/ أبريل 1990 تم في الخرطوم تنفيذ حُكم الإعدام بثمانية وعشرين ضابطاً بتهمة الإشتراك في محاولة إنقلابية كانت تستهدف تغيير نظام الحُكم.

ولقد قبل هذا الإجراء بالدهشة فضلاً عن أن إعدام هذا العدد الكبير من الضباط وفي اليوم الأخير من شهر الصوم يحرك في النفوس مشاعر وجدانية.

أما لماذا الدهشة؟ فلأنه لم يحدث في تاريخ الحُكم العسكري في السودان أن كان رد الفعل على تحرك إنقلابي بمثل ما جاء عليه رد فعل الفريق عمر البشير. وحتى في السنة الثانية لحُكم الرئيس (الأسبق) جعفر نميري عندما تمت إعدامات كثيرة لعسكريين ومدنيين كان رد الفعل أقل بروداً. ولو أن أولئك الضباط ورفاقهم من زعماء الحزب الشيوعي السوداني الذين قرروا التفرد بالحُكم بعدما وجدوا أن كل مقاليد الأمور بين أياديهم لم يقتروا تلك الغلطة البشعة وهي تصفية بعض الضباط داخل القصر الجمهوري وكذلك التعامل بالكثير من السوء مع رئيس الجمهورية الذين إعتقلوه في القصر أيضاً لربما كان الرئيس الأسبق نميري يتردد في تنفيذ الإعدامات، وذلك لأن الدم يستسقي الدم، وهو أمر لا قدرة له على محاصرته، فضلاً عن أنه يشكّل في إستمرار نقطة مظلمة وظالمة في تاريخ الإنسان.

وعلى رغم أن تصرّف الفريق البشير يبدو طبيعياً عملاً بالقوانين العسكرية، إلا أن الفريق لم يعدل وبالتالي فإننا لا ندري كيف سيحكم؟

وهو لم يعدل لأننا إذا إعتبرنا رغبة عدد من الضباط في القيام بعملية تغيير أمراً مخالفاً للقوانين العسكرية التي توجب على أبناء المؤسسة العسكرية الانضباط والتفاني في خدمة الشرعية، ويستحق الإعدام من يخالف... فهذا معناه أن المجموعة التي تحكم الآن في السودان عبارة عن ضباط خالفوا القوانين ولم يتمسكوا بالمسلكية الانضباطية

عندما إنقضوا على شرعية الحُكم الذي كان يقوده مجلس رئاسة بقيادة أحمد الميرغني ومجلس وزراء بقيادة الصادق المهدي.

ومنذ أن تسلّم الفريق عمر البشير ورفاقه الحُكم وهم يسجلون المواقف الحازمة وبالذات ضد تجار العملة الذين جرى إعدام بعضهم. لكن لم نتصور أن يصل الحزم إلى حد إعدام هذا العدد الكبير من الضباط، وهو تصرّف قد يعني أن الحُكم إختار نهائياً أسلوب القبضة الحديدية وأنه لن يتخلى إطلاقاً عن هذا الأسلوب.

وقد يحقق هذا الأسلوب لمن يعتمد حكماً أطول، إلا أن من سوء الحظ الذين يحكمون في السودان أنهم إختاروا أسلوباً في زمن ينفذ العالم يديه من هذا الأسلوب وتتجه الأنظمة نحو الحوار والمرونة، وتقادي أي نقطة دم.

والى ذلك، إنه على رغم أن المسألة بين أهل المؤسسة الواحدة، وهي المؤسسة العسكرية، وأنها مسألة داخلية، إلا أن ذلك لا يعني أنها لم تشكّل بعض الحرج للحكمين المصري والليبي اللذين هما شريكا الحُكم السوداني في تكتل ما زال طري العود.

ويبقى أن الأسلوب الذي إعتده الفريق عمر البشير قد يحجب عنه المغامرين وذلك خشية أن يصيب الواحد منهم ما أصاب رفاقهم الذين إنكشف أمرهم وتم إعدامهم، إلا أن ذلك لم يستمر طويلاً وسيبقى هنالك مغامرون يحاولون الإستيلاء على السُلطة، ما دامت هنالك مشاكل مستعصية الحل في السودان.

يبقى أيضاً أن الخشية إزاء السودان مشروعة بعد الآن أكثر من قبل. الخشية من أن يتحول الحزم إلى شعار يساء تطبيقه بحيث تختلط الأوراق وتتم تصفيات كثيرة يكون الدافع إليها هو الرغبة في تحقيق الإستقرار، لكن النتيجة تكون المزيد من الفوضى.

والخشية من أن يتم الإقدام على قرارات تتجاوز بكثير القوانين الإسلامية التي كانت من الماضي السبب - أو فلنقل الحجة - في ما واجهه السودان بعد ذلك وما زال يواجهه. والخشية من أن تمارس الجبهة الإسلامية من أجل وضع اليد على السُلطة ما من شأنه أن يقود إلى مواجهة من نوع المواجهة التي حدثت قبل عشرين سنة بين حُكم الرئيس الأسبق نميري والشيوعيين.

والخشية من أن يحدث فصل للجنوب بدل أن ينفصل الجنوب.

خشية مشروعة لا يبدها سوى الحل الوسط الذي

يتطلب بعض نكران الذات والكثير من التواضع والتخفيف من الإعتداد بالنفس والكثير الكثير من التضحية. التضحية بالمكاسب الشخصية وليس التضحية بالوحدة الوطنية، وهذا ما برع بعض إخواننا السودانيين فيه عندما ينتقلون إلى الحُكم.

وتكراراً إن عُمَرَ السوداني... أي الفريق عمر البشير، لم يعدل ولذا لا ندري كيف سيحكم، ثم كيف سينام قريير العين، ثم كيف سيصمد. وهل حقاً سيردع النفوس الأمارة بالحُكم بحيث لا تغامر. هذا مع الأخذ في الاعتبار أننا لا ندري ماذا في الحُكم السوداني من المشوّقات لكي تتكرر المحاولات الانقلابية ويكون هنالك في إستمرار من يرغب في الوصول إلى الحُكم سيراً على الأقدام مع إخواننا المدنيين وعلى ظُهر دبابة كما يفعل إخواننا العسكريون. كان الله في عون السودان.

مجلة "التضامن". لندن - 7 أيار (مايو) 1990

* * *

فلسطين تستضيف قمة القمم في بغداد

لم يحدث في تاريخ القمم العربية أن حدث مدى تحضير لـ قمة مثل التحضير للقمة الإستثنائية الخاصة التي قام بالتحضير لها الرئيس ياسر عرفات وقطع في سبيل ذلك ألوف الكيلومترات.

وصحيح أن هنالك موجبات كثيرة لعقد القمة حتى إن هناك حاجة إلى قمة في حالة إنعقاد دائم من دون أن يعني ذلك أن يكون هنالك مؤتمر لا تنتهي جلساته، إلا أن هذه القمة بالذات صعبة لأنه لا يجوز أن تنعقد إلا بالإجماع، ولا يجوز أن تتخذ قرارات يعترض عليها البعض أو يتحفظ عليها البعض الآخر.

والى ذلك إنها قمة مطالبة بحلول كاملة وليس بأنصاف الحلول. وعندما تكون كذلك فإن جمع الشمل صعب وتوحيد المواقف الذي إعتده الرئيس ياسر عرفات كان من الحداثة بحيث إن العقبات كانت حتى كتابة هذه الأسطر يوم 1990/5/2 على أهبة أن تُذلل وتنعقد القمة التي ستكون لأكثر من سبب قمة القمم العربية.

أما لماذا هي قمة القمم، فلأن ظروف الإنعقاد مهمة ولأن الداعي إلى الإنعقاد فلسطين ولأن مكان الإنعقاد بغداد

ولأنها عندما تنعقد فهذا معناه أن الواقعية العربية في التعامل باتت سيدة الموقف.

ولا بد من التوقف قليلاً عند ظاهرة التريث التي إعتدها البعض في مسألة الموافقة على الدعوة إلى عقد القمة. ولقد بدا أن الدول التي تريثت إنما لا تريد للقمة أن تنعقد، علماً بأنه ليست هنالك قمة إستثنائية لم تنعقد لأن البعض قاطعها أو ضغط في سبيل عدم عقدها.

وقبل القمة الجديدة كان هنالك نوعان من القمم. القمة العادية والقمة الإستثنائية. أما النوع الثالث فهو القمة الإستثنائية والعاجلة التي تنتسب إليه قمة بغداد.

وهنا لا بد من وقفة نشير فيها إلى أن القمم الإستثنائية باتت خمس قمم بما في ذلك القمة الجديدة في غضون ست سنوات ونصف السنة، أي بمعدل قمة كل سنة وربع السنة. ومثل هذا الأمر يحدث منذ القمة العادية الثانية عشرة التي عُقدت في مدينة فاس عام 1986 وتقرر فيها إنعقاد القمة الثالثة عشرة في الرياض ولم تنعقد لأن المملكة إشتربت أن يكون الحضور بالإجماع ومن دون خلافات وهو ما ظهر أنه مستحيل.

وعندما تكون القمم العادية بين قمة 1964 التي عُقدت في القاهرة، وقمة 1986، التي عُقدت في فاس، 12 قمة خلال 22 سنة وتكون القمم الطارئة بين قمة 1985 والقمة الجديدة في بغداد عام 1990 خمس قمم خلال ست سنوات ونصف السنة. فهذا معناه أن القمم الإستثنائية باتت ضرورية وحيوية وإلى درجة أنها صارت عادية. لكن مع ذلك تبقى القمة العادية الثالثة عشرة الموعودة ضرورية لتكريس التقليد الطيب وهو الإنعقاد الدوري للقمة العربية في وقت محدد وعلى الطريقة التي يعقد بها قادة دول أوروبا الغربية على سبيل المثال مؤتمراتهم.

وإذا كانت قمة الخرطوم عام 1967 وقمة بغداد 1978 هما أبرز قمتين في تاريخ القمم العادية، فإن القمم الإستثنائية كانت بالقرارات التي إتخذتها إستثنائية بالفعل وبالغة الأهمية من قمة الدار البيضاء في آب/ أغسطس 1985 إلى قمة عمان تشرين الثاني/ نوفمبر 1987 إلى قمة الجزائر في حزيران/ يونيو 1988 إلى قمة الدار البيضاء في أيار/ مايو 1989، لكن التطبيق مع الأسف لم يكن في مستوى القرارات التي إتخذت. وتبقى إستكمالاً للحديث عن القمة الإستثنائية الجديدة التي نحن في إنتظار إنعقادها بضع ملاحظات يمكن تسجيلها على النحو الآتي:

أولاً - إن العراق لم يوجّه الدعوة إلى القمة هذه وإنما

طرح الفكرة في البداية والرئيس ياسر عرفات. ثم جاءت الدعوة من الملك حسين والرئيس عرفات مجتمعين وهما اللذان إقترحا عقدها في بغداد. وعلى طريقة إعلان الدولة الفلسطينية من دون أن تكون أرض الدولة توافرت فإن الرئيس عرفات إقترح بغداد لتكون عاصمة هذه القمة. ومن هذه الزاوية فإن فلسطين هي التي تستضيف القمة العربية الإستثنائية الخامسة في بغداد. ولو كانت القدس محررة لكان المكان الطبيعي للإنعقاد هو القدس.

ثانياً - إن كل المؤشرات تؤكد بأن هذه القمة بالغة الأهمية لأنها تتعدّد بالأسلوب الصحيح ولأن النيات التي أوجبت طرح فكرة الإنعقاد طيبة.

ثالثاً - حتى كتابة هذه الأسطر كان هنالك بعض الأخذ والرد في موضوع المشاركة السورية. لكن الأمر المؤكد كان هو أن القمة ستعقد حتى إذا لم تشارك سوريا. وفي الوقت نفسه كانت هنالك ثلاثة إفتراضات، الأول أن الرئيس الأسد لن يحضر بسهولة وتشارك سوريا على الطريقة التي شاركت فيها في قمة الخرطوم عام 1967 عندما تمثلت بوزير الخارجية عامذاك الدكتور إبراهيم ماخوس. والثاني أن سوريا تشارك رمزياً ولا تترك للمؤتمر فرصة النجاح. أما الإفتراض الثالث فهو أن تتعدّد القمة من دون مشاركة الرئيس الأسد ثم يقرر الملوك والرؤساء تأليف وفد يسافر إلى دمشق بإسم القمة ويعود مرافقاً للرئيس الأسد، أي إلى حد ما على الطريقة التي قررت فيها قمة بغداد عام 1978 إرسال وفد إلى القاهرة لإبلاغ الرئيس المصري فكرة العرض الذي توصّل إليه المجتمعون في بغداد، لكن الرئيس السادات رفض حتى إستقبال الوفد ودفعت مصر نتيجة ذلك ثمناً كبيراً. هذا مع فارق الظروف والمواقف.

وفي هذا الإطار أبدت القيادة العراقية أمام الأمين العام للجامعة العربية الشاذلي القليبي إستعداد العراق لممارسة دوره ضمن الأصول ما دام البلد المضيف فقط وما دام على حد قول نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية طارق عزيز ليس الداعي إلى القمة. ومن باب الإجتهد فإن القيادة العراقية تقصد من ذلك أنها لن تدخر وسعاً في ممارسة المرونة إلى أبعد الحدود.

... بعد اللقاء الذي عقده الأمين العام الشاذلي القليبي بالرئيس صدام حسين أتيح لي أن أقابله. وفي العادة إن الشاذلي لم يفقد تفاؤله ولا حماسه للقمة كمناسبة للحوار والقرار. لكنني لاحظت أنه أكثر تفاؤلاً وأكثر حماسة إزاء

القمة الجديدة. وعندما طلبتُ منه أن يعقد مقارنة بين مشاعره إزاء قمة بغداد المرتقبة والقمة التي سبقت تسلّمه منصب الأمين العام وكذلك القمة التي تلت تسلّم المنصب أجاب بالآتي: "من دون مبالغة ستكون قمة بغداد المقبلة شبه نبراس تلقي أضواء على السنوات المقبلة، وهي التي ستخطط للأمن القومي الذي يحتاج إلى تخطيط في كل المجالات".

وأضاف: "إن الأمن القومي ليس العناد العسكري وإنما تخطيط إقتصادي تكنولوجي علمي يحقق المناعة للأمن القومي. ولا بد من العودة إلى التخطيط الشمولي من أجل الأمن القومي، ولا بد أيضاً من تضافر جهود حسب ما خططت القمة الإقتصادية الأولى في عمان عام 1980 والتي منها يبدأ الأمن القومي. إن العمل العربي المشترك يحتاج إلى فرصة يتم بموجبها تحييد الخلافات العربية، أو فنقل إقصاء الخلافات، وبالأذات الخلافات المزمنة إذا إستعصى علينا فض هذه الخلافات. وأقول ذلك على أساس أن هذه الخلافات هي التي تعطل الجهود وبذلك يضعف شأن العمل العربي المشترك".

وينتهي الأمين العام إلى القول: "لا بد من تعامل جديد حضاري وعقلاني مع خلافتنا الثنائية وذلك من أجل النهوض بخطة شاملة. فالأمن القومي يحتاج إلى هذه الخطة لأنه يمثّل قدرة الأمة في الدفاع عن نفسها. والخطة تنطلق من إحياء ما قرّره القمة الإقتصادية الأولى في عمان عام 1980 لكن لا بد قبل كل شيء من السيطرة على الخلافات...".

رابعاً - في الماضي كان هناك شيء من عدم الإكتراث بالقمة العربية عدا قمة الخرطوم ثم قمة بغداد. وكان المواطن العربي يعبر عن ذلك بعدم الإنفعال. وكانت القمة تتعقد وتتفض والمواطن العربي على حاله لا يهتم ولا ينتفض حماسة وهذا عائد إلى الشعور بأن هنالك شيئاً من عدم الثقة بالقرار العربي. أما بالنسبة إلى القمة المرتقبة فإن هنالك حالة ترقّب من جانب المواطن لها، وهنالك حالة إهتمام غير مألوفة. بل وهنالك تمنيات بأن تكون قمة كثيرة الفعالية، وثمة شعور لدى الرأي العام العربي بأنها ستكون كذلك. ومن أجل هذا فإن المواطن العربي يعتبر التشويش على هذه القمة وكأنما هو إستهانة به وخدمة للذين لا يريدون للأمة أن تنهض.

خامساً - ثمة مسألة لافتة للإنتباه وتشكّل أحد العوامل الرئيسية في عدم ترحيب الحُكم السوري كموقف تقليدي

بالقمة العربية. وهذه المسألة هي أنه منذ قمة أنشاص 1946 وحتى قمة بغداد المرتقبة لم تتعقد قمة واحدة في دمشق، هذا مع الأخذ في الاعتبار أن عدم إنتظام قاعدة القمم الدورية هو السبب في ذلك. ولو كانت القاعدة لم تتعرض لخلل يتحمل الحُكم السوري الجزء الأكبر من مسؤوليته لكانت نالت دمشق حصتها من إنعقاد القمة فيها. وقد يكون المناسب التوضيح بأنه تم حتى الآن عقْد 19 مؤتمر قمة من أصلها 15 قمة عادية وأربع قمم إستثنائية.

وقد نالت المملكة المغربية الحصة الأكبر من هذه القمم حيث عُقدت فيها 4 قمم عادية وقيمتان إستثنائيتان. وقد توزعت القمم الست على المدن الرئيسية في المملكة المغربية وهي الدار البيضاء (13-17 أيلول/ سبتمبر 1965) والرباط (29 تشرين الثاني/ نوفمبر 1974) وفاس (25 تشرين الثاني/ نوفمبر 1981) وفاس، مرة أخرى (6-9 أيلول/ سبتمبر 1982) والدار البيضاء (7-9 آب/ أغسطس/ 1985) والدار البيضاء (23-26 أيار/ مايو 1989).

بعد المملكة العربية المغربية تأتي مصر حيث عُقدت فيها أربع قمم هي القمة العربية التي تم عقدها في أنشاص (28-29 أيار/ مايو 1946) ودشن فيها الملوك والرؤساء تقليد الإجتماع على مستوى القمة، ثم القمة التي تُعتبر رسمياً الأولى، وهذه تم عقدها في القاهرة (13-17 كانون الثاني/ يناير 1964) تليها القمة الثانية وقد جرى عقدها في الإسكندرية (5-11 أيلول/ سبتمبر 1964) ثم قمة مصغرة عُقدت في القاهرة (21-27 أيلول/ سبتمبر 1970) ثم القمة العربية الثامنة وتم عقدها في القاهرة (25-26 تشرين الأول/ أكتوبر 1976). وبعد مصر تأتي الجزائر حيث عُقدت فيها قمتان، الأولى عادية (26 تشرين الثاني/ نوفمبر 1973)، والثانية إستثنائية (7-9 حزيران/ يونيو 1988). ويأتي الأردن في المرتبة نفسها حيث عُقدت فيه قمتان، الأولى عادية (21-22 تشرين الثاني/ نوفمبر 1980) والثانية إستثنائية (8-11 نوفمبر/ تشرين الثاني 1987).

وبعد ذلك تتساوى أربع عواصم عُقدت في كل منها قمتها وهي بيروت (13-14 تشرين الثاني/ نوفمبر 1956) والخرطوم (29 آب/ أغسطس - أيلول/ سبتمبر 1967) وتونس (20-22 تشرين الثاني/ نوفمبر 1979). وثمة قمة سداسية عُقدت في الرياض من أجل لبنان

(16-18 تشرين الأول/ أكتوبر 1979).

سادساً - من المفارقات اللافتة للإنتباه أن قمة بغداد المرتقبة تتعقد في الفترة نفسها التي عُقدت فيها القمة العربية الأولى في أنشاص والقمة الإستثنائية في الدار البيضاء التي وضعت صيغة الحل المتقدم للأزمة اللبنانية. أما فترة إنعقاد القمم الثلاث فهي الأسبوع الأخير من شهر أيار.

يبقى أن كلاماً كثيراً يمكن أن يقال في شأن القمة المرتقبة. ولكن يبقى الإستنتاج الذي يتمسك به مسؤول عربي كبير وهو أنه إذا نجحت القمة فإن عصر النهوض العربي سيبدأ، أما إذا تعثرت فإن هنالك بعض الآمال المعلقة على القمة التي تليها والتي هي القمة العادية المؤجل إنعقادها في الرياض.

أما إذا فشلت القمة فإن ما يشبه الفوضى الشاملة، وإلى حد الإقتتال أحياناً، ستسود المنطقة العربية.

وفي هذا الشأن هنالك مطالعات ولوائح إتهام ونقاط على الحروف جاهزة لكي يقولها هذا الطرف أو ذاك.

وتكراراً إننا لسنا على موعد مع قمة عربية عادية. إننا على موعد مع قمة القمم.

هل سيكون القادة في مستوى الأمل المعلق عليهم من الشعوب؟

لعلها أهم لحظة إختبار.

لعله الإمتحان الأصعب والأخير. أو فلنقل إنه ما قبل الأخير. وما قبل الطوفان.

مجلة "التضامن". لندن - 14 أيار (مايو) 1990

اليمن الموحد.. اليمن الأسعد

في إستمرار كان اليمن موضع إستغراب. بلد واحد يحمل إسماً واحداً لكنه مقسوم بلدين. وهي أول قسمة في العالم العربي تعتمد على التصنيف الجغرافي: جنوب وشمال.

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل إن محاولات كثيرة بُذلت من أجل أن يحدث على حدود الجزيرة العربية وضفاف باب المندب نموذج يشبه النموذج السائد في بعض مناطق العالم بحيث يكون اليمن الشمالي واليمن

الجنوبي مثل كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية ومثل فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية.

ولكن هذه المحاولات تعثرت وإستمرت المشاعر الحدودية عميقة لدى أبناء البلد الواحد. وحدث ذلك على رغم أن الماركسية، التي جرى تطبيقها في اليمن الجنوبي بأسلوب تجاوز بكثير من حيث القساوة تطبيقه في الإتحاد السوفياتي نفسه، حاولت على مدى خمس عشرة عاماً قطع أي جذور وحدوية.

ومثلما أن الخيار الماركسي الذي جرى إعتماده في اليمن الجنوبي كان زرع بذرة في تربة غير مناسبة فإن بقاء: "الشمال شمال والجنوب جنوب لا يلتقيان..." كان مسألة تدعو إلى الحيرة. ثم جاء النظامان في كل من صنعاء وعدن أنهيا هذه الحيرة بالتوجه نحو الوحدة بالتدرج وبإعتماد أسلوب يشبه، إذا جاز التعبير، أسلوب إزالة الألغام الذي يسبق مرور موكب مهيب.

وقد يجوز القول إن الخيار الماركسي في الجنوب هو الذي جعل الخطوة الوحدوية لا تتحقق منذ زمن طويل، وأن ما توصل إليه النظامان الشمالي والجنوبي في التسعينات كان من الممكن التوصل إليه قبل سنوات. ولكن التوقف عند هذا الأمر لا يفيد في شيء، وأن الأهم من هذا كله هو حماية الخطوة الوحدوية خصوصاً أن متطلبات الحماية قائمة وهو ما كانت تفقر إليه تلك الخطوة التي تمت في أواخر الخمسينات بين مصر وسوريا.

ولعل من المناسب هنا عقد مقارنة بين مصر وسوريا.

- إن الوحدة بين اليمن الشمالي واليمن الجنوبي هي وحدة بين أرض واحدة وليست بين بلدين ليس هنالك بينهما إمتداد بري وإنما الإتصال الوحيد هو عن طريق البحر وعن طريق الجو.

- إن الوحدة بين اليمن الشمالي واليمن الجنوبي هي وحدة بين نظامين لا فارق في الأهمية بينهما كما كانت الحال بين النظام المصري والنظام السوري. وللتذكير فإنه كانت لنظام عبد الناصر داخل سوريا شعبية أكثر بكثير من تلك الشعبية التي كانت للنظام الذي يترأسه (الراحل) شكري القوتلي.

- إن المصريين فهموا الوحدة على أنها وضع اليد على سوريا وهذا ساعد على تقويض التجربة بينما لا يرى أبناء اليمن ذلك ولا يعتقد الشمالي أن تجربة الوحدة فرصة لوضع اليد على الجنوب.. وبالعكس.

- إن الاشتراكية التي كانت أحد الأسباب الرئيسية في

تقويض التجربة المصرية - السورية ليست موضع نقاش ولن تكون سبباً للخلاف وذلك لأن الطرفين غير متمسكين بها. لا الطرف اليمني الشمالي المعتدل إشتراكياً متمسك ولا الطرف اليمني الجنوبي مستمر على تطرفه السابق.

- إن دولة الوحدة التي ستضم الشمال والجنوب لا تقوم على الأساس التي قامت عليه الوحدة المصرية - السورية، بمعنى أنها لن تكون الدولة الأقوى في العالم العربي بما يسبب بعض الحساسيات للآخرين. وما دامت هذه هي الحال فإن الحذر منها والخطر عليها قليلان.

والى ذلك إن دولة الوحدة اليمنية لها في الدول الشقيقة من يمتنى لها الخير وليس لها قوى تعتبر نفسها حليفة لها كما كانت الحال إزاء الوحدة بين مصر وسوريا حيث كانت لدولة الوحدة المصرية - السورية قوى فاعلة وسط الرأي العام. وهذا الأمر كان يسبب بعض الإنزعاج للأنظمة، وهو إنزعاج لا وجود له بالنسبة إلى دولة الوحدة اليمنية.

- إن طرفي الوحدة اليمنية يعيشان ظروفاً متشابهة إلى حد ما على صعيد التنمية، وهذا يعني أنه لن يكون هنالك طرف غني جداً وطرف فقير جداً، كلاهما في منتصف الطريق وكلاهما يحتاج إلى التنمية من الغير.

- من محاسن الصدف أن دولة الوحدة اليمنية تقوم بعدما أقام الرئيس علي عبدالله صالح جسوراً مع الولايات المتحدة وبعدها لم يعد الإتحاد السوفياتي الدولة الكبرى التي يركن إليها الإشتراكيون العرب كما كانت الحال في السابق. وهذا يشكّل إلى حد ما صمام أمان لدولة الوحدة، بمعنى أنها ستعطى فرصة لكي تعيش لم تتأمن لدولة الوحدة المصرية - السورية التي قامت من دون ترحيب، ونكاد نقول عدم رضى كل من الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي. وبعد قيامها بدأت الدولتان الكبريان تنصبان المكامن لها كميناً بعد كمين إلى أن سقطت في شباك الكمين الأكثر خطورة ونعني به كمين "الإقليمية السورية" الذي نجح بعض الضباط في تحويله إلى قضية كبرى تعطي الإنفصال المشروعية وتؤكد سلبيات التجربة الوحدوية.

بعد أيام يعلن اليمنان أنهما لم يعودا دولتان لكل منهما كيانه ودستوره وعلمه ومزاجه، وإنما باتا دولة واحدة. ما

نتمناه هو أن يحيط الجانبان الدولة الموحدة بكل الرعاية لكي يكون اليمن الموحد هو اليمن السعيد بالفعل، بل ويكون اليمن الأسعد.

وعندما نتمنى ونكثر من التمني فلأن تجربة الوحدة الأولى، ونقصد بها الوحدة المصرية - السورية، إنتهت كابوساً بعدما كانت بدأت حلماً جميلاً.

ومنذ فشل تجربة الوحدة الأولى فقد المواطن العربي حماسه لموضوع الوحدة، ولعل إخواننا في شمال اليمن وجنوبه يعيدون إليه من خلال تجربتهم المتأنية حماسه أو بعض الحماسة والإيمان بجذوى الوحدة وحتميتها.

مجلة "التضامن". لندن - 21 أيار (مايو) 1990

* * *

رامبو الإسرائيلي.. ورامبو الفلسطيني

يوم الأحد 1990/5/20 فاجأ شاب إسرائيلي يرتدي بزة عمال فلسطينيين قدموا من غزة إلى مستوطنة إسرائيلية قرب تل أبيب وأطلق عليهم النار فقتل سبعة منهم وتوفي الثامن لاحقاً متأثراً بجروحه.

وفي محاولة منها لتقليل بشاعة الحادث وصفت مصادر الشرطة الإسرائيلية الشاب بأنه "مختل عقلياً". وقال رئيس الوزراء إسحاق شامير "إنه عمل مجنون" وتعهد بإتخاذ كل الخطوات الضرورية لضمان عدم تكرار مثل هذه الهجمات ضد العمال العرب.

بعد الحادث سادت موجة غضب عدة مناطق في قطاع غزة والضفة الغربية المحتلة وسقط نتيجة لذلك عشرات الجرحى من الفلسطينيين. وفي عمان أطلق فلسطيني النار على "باص" يقل سياحاً فرنسيين فأصاب تسعة منهم بجراح. كذلك سارت تظاهرات في العاصمة الأردنية كانت وجهتها السفارة الأميركية.

وكان الاعتقاد السائد حتى كتابة هذه الأسطر يوم 1990/5/21 أن موجة الغضب ستزداد إتساعاً وأن رد الفعل سيتخذ يوماً بعد يوم أشكالا جديدة وستكون هناك دماء كثيرة.

هذا ما تناقلته وكالات الأنباء. وحول هذا التطور الجديد في الصراع العربي - الفلسطيني يمكن تسجيل الملاحظات الثلاث الآتية:

أولاً - إن العملية التي قام بها الشاب الإسرائيلي بمفرده هي نموذج مصغر لما درجت القوات الإسرائيلية على القيام به ضد الفلسطينيين وضد كل ما هو عربي منذ العام 1948. بل قد يجوز القول بأن ما قام به الشاب الإسرائيلي هو "ميني عدوان" بالمقارنة مع حالات العدوان التي لا حصر والتي نفذها الجيش الإسرائيلي ضد دول ومواقع عربية.

وتقول مصادر الشرطة الإسرائيلية إن الشاب مختل عقلياً. فهل أن شارون على سبيل المثال كان سليم العقل والتصرف عندما نفذ أشنع حالات العدوان ضد فلسطينيين، وهل أن الذي حدث لبيروت ما زال يحدث في جنوب لبنان هو تصرفات عاقلة؟

ومن الطبيعي أن يكون الشبان الإسرائيليون على دين حكوماتهم. وعندما يرى هذا الشاب أن حكومته لا تفكر إلا بالعدوان وكيف يجب أن تعتدي على الفلسطينيين والعرب، فمن الطبيعي أن يعتبر أن ذلك هو المثل الأعلى الذي عليه العمل من أجل تحقيقه، فضلاً عن أن التربية العامة في إسرائيل تقوم على نظرية أن الإعتداء على الفلسطينيين فضيلة وواجب مقدس.

ثانياً - إنه من المعيب علينا كعرب أن نسمع بأنه في عصر الإنتفاضة ما زال هنالك مواطنون يتوجهون إلى المستوطنات الإسرائيلية للعمل فيها. إذ كيف تكون هنالك إنتفاضة وفي الوقت نفسه هنالك عمال يخدمون اليهود ويحرقون لهم مستوطناتهم ويبنون لهم ويجنون محاصيل الأرض والبساتين؟

إنتفاضة وعمال عرب يعملون في المستوطنات!؟

هذا لا ينسجم مع ذاك. بل إن عربياً يعمل في المستوطنة الإسرائيلية معناه أنه بذلك يوفر الوقت والحيوية للإسرائيلي كي يلاحق الفتية الذين يرمون جنود الإحتلال بالحجارة.

لكن في الوقت نفسه لا بد من نظرة موضوعية للأمر والإقرار بأن هؤلاء العمال يعملون في المستوطنات نتيجة حاجتهم إلى المال. فلماذا لا يتم توفير المال العربي الذي لا يجعل هؤلاء يضطرون إلى التوجه نحو المستوطنات الإسرائيلية والعمل في خدمة الإسرائيليين.. لماذا؟

وبدلاً من أن يعمل هؤلاء في مستوطنات إسرائيلية يتم إبتكار بعض الأعمال لهم، وبذلك لا نعود نسمع بأن العمال العرب يعملون في المستوطنات الإسرائيلية بينما

الهراوي الخارج عن رغبة الحل العربي

يعرف الرئيس اللبناني الياس الهراوي أنه لولا اللجنة الثلاثية العربية المؤلفة من المملكة العربية السعودية والمملكة المغربية والجزائر لما كان في الإمكان إنتخابه رئيساً للجمهورية، ولما كان كذلك في الإمكان إنتخاب سلفه الرئيس الراحل رينيه معوض. الذي قضى إعتيلاً قبل أن يتسلم مقاليد الحكم.

ويعرف الرئيس اللبناني الياس الهراوي أنه من دون الخيمة العربية لن تكون هناك حلول للمسألة اللبنانية على الإطلاق.

ولأنه يعرف ذلك فإن من أبسط الأمور هو أن يشارك في القمة العربية الإستثنائية التي تم عقدها في بغداد وأن يكون قريباً من الدول الثلاث التي إستتبقت الحل لبلاده. لكن الرئيس الهراوي تصرّف عكس ما كنا نتمنى، بل وما كنا نتوقع أن يقوم به، بدل أن يعتبر القمة الإستثنائية تجمعاً يجب أن يبذل كل ما في وسعه من أجل أن يشارك فيه فإنه أعلن أنه سيقاطعه. وبدل أن يعتبر القمة فرصة لا تعوّض من أجل بحث أكثر عمقاً في المسألة اللبنانية فإنه تجاهل هذه الفرصة ولم يستفد منها.

ولقد جاء في الأنباء أن الرئيس حافظ الأسد إشتراط لحضور القمة وفي الساعات القليلة التي سبقت الإنعقاد أن يتم إعلان الوحدة الفورية بين العراق وسوريا، فهل أن هذا شرط من شروط الرئيس الهراوي؟

إن العذر الوحيد المقبول لتغيّب الهراوي عن أي مؤتمر عربي هو العذر الناشئ عن شعور بأن هذا المؤتمر يبحث في المسألة اللبنانية. عدا ذلك فإن التغيّب هو بمثابة الخطيئة التي تُرتكب بحق بلد يعيش محنة دخلت سننتها السادسة عشرة وليس هنالك من ينتشله من محنته هذه سوى الأشقاء العرب، وإذا جاز القول فإن كل المشاركين في القمة الإستثنائية التي جرى عقدها في بغداد هم أكثر حرصاً من الحكم السوري نفسه على أن تزول المحنة ويستعيد البلد إستقلاله وعافيته. وهذه المشاعر لدى هؤلاء ناشئة عن أنهم لا مصلحة لهم في إستمرار لبنان يتخبط في مشاكله، أو فلنقل إنهم لا يستفيدون من الحكم السوري من عدم إنهاء المأساة اللبنانية.

وعدم مشاركة الرئيس الهراوي كانت الإختبار الأول لتأكيد عدم إمتلاكه أي نسبة من الإستقلالية في إتخاذ

الإنتماضة تتواصل وتتصاعد. بل إن تأمين المال لهم سيجعلهم "جنوداً" في الإنتماضة وتتحول الحجارة القليلة إلى حجارة كثيرة.

ونقول ذلك مع الأخذ في الإعتبار أن العدوان الإسرائيلي سيتواصل ضد العرب حتى إذا إتخذت الحكومة الإسرائيلية - كما يقول رئيسها شامير - كل الخطوات الضرورية لضمان عدم تكرار مثل هذه الهجمات ضد العمال العرب. ونلاحظ أن شامير لا يريد أن تتكرر الحادثة ضد العمال العرب فقط لأنهم يخدمون دولته، أما بالنسبة إلى غير العمال فإن العدوان عليهم مباح وتتخذ الحكومة الإسرائيلية كل الخطوات الضرورية للإعتداء..

ثالثاً - نحن نفهم أن يسود الغضب كل بيت في مدن الضفة الغربية المحتلة وفي غزة وكذلك في كل مدن فلسطين. لكن الذي لا نفهمه على الإطلاق هو أن يُقدم شاب فلسطيني في عمان على إطلاق النار على "باص" يقل سياحاً فرنسيين. إن هذا العمل ليس شجاعاً والتبرير عن الغضب بعمليات سهلة من هذا النوع لا يخدم القضية على الإطلاق. بل إن الشاب الفلسطيني الذي أطلق النار على "الباص" في عمان أساء، من دون أن يدري، إلى الشهداء الذين قتلهم "رامبو الإسرائيلي"، أما كيف أساء فلأن وسائل الإعلام الأجنبية بدل أن تركز على ما فعله "رامبو الإسرائيلي" راحت تتحدث عن "رامبو الفلسطيني" وما فعله بالسياح الفرنسيين...

وأيّن؟

في عمان العاصمة التي علينا كعرب واجب حمايتها وليس إقتناص السياح الفرنسيين وغير الفرنسيين فيها. ومتى يحدث ذلك؟

قبل إنعقاد قمة بغداد التي نتمنى لها كعرب أن تحقق أفضل النتائج وتضع إستراتيجية تحمي الأمن القومي وتضع حداً لأعمال "رامبو الإسرائيلي" سواء كان "رامبو" هو الشاب الذي أطلق النار على العمال العرب أو شامير الذي يتّراس حكومة إسرائيل.

وبالغضب لن نؤذي إسرائيل في شيء. نؤذيها بالتعقل والمساعدة على وضع إستراتيجية فاعلة. لعل وعسى نتفهم ونتعظ.

مجلة "التضامن". لندن - 28 أيار (مايو) 1990

* * *

القرار . وكانت أيضاً تأكيداً لواقع يريد الحُكم السوري تثبيتته وهو مثل الواقع الذي كانت عليه العلاقة المصرية – السودانية. وعلى مدى عشرين سنة كانت مصر تتعامل مع السودان على أنه إمتداد لها. وأن على مَنْ يريد أن يتصل بالسودان أن يسأل مصر، بمعنى أن يتم الإتصال من خلال الحُكم المصري. كما أن دول العالم إعتادت على ذلك وراحت تنظر إلى السودان من خلال مصر وتتعامل معه على هذا الأساس.

وبدلاً من أن تنتبه مصر إلى ذلك وتعيد النظر في موقفها هذا وتلغي هذا الإنطباع السائد عنها فإنها بالغت في نظرتها تلك. وكان يبدو ذلك واضحاً في المؤتمرات العربية والدولية حيث كان هذا الحاكم أو ذاك يبحث مع الحاكم المصري أموراً تتعلق بشؤون السودان وكما لو أن حاكم مصر والسودان تماماً مثلما هي حال سوريا ولبنان منذ خمس عشرة سنة.

ومن المؤكد لو أعادت مصر النظر في هذا الموقف لما كانت وصلت المشاعر السودانية السلبية إلى حد أن السودانيين، أو على وجه الدقة، القسم الكبير منهم، رأوا مع أواخر حُكم الرئيس (الراحل أنور السادات) أنه لا بد من تحقيق الإستقلال عن مصر وكأنما الشقيقة الكبرى لهم دولة تستعمرهم. وكل ذلك نتيجة الوصاية التي لم تكن شيئاً يُذكر أمام الوصاية السورية على الحُكم اللبناني.

وحتى لو كان الرئيس الهراوي كبادرة دعم منه للموقف السوري أعلن أنه لن يشارك في القمة إلا إذا شارك فيها الرئيس حافظ الأسد فإن من واجب الحُكم السوري أن يدفع بالإتجاه الآخر، أي يشكر الرئيس اللبناني على مشاعره ويقول له إنه ممتن لموقفه إلا أنه يرى أن يشارك في القمة ويحاول الحصول من الأشقاء على المزيد من الدعم لقضيته وبذلك يؤكد أن الرئيس اللبناني يتخذ الموقف الذي يريده. لكن عدم تعامل الحُكم السوري مع هذا الأمر بالشكل الذي نشير إليه معناه أنه لا يريد له هذه الإستقلالية على الإطلاق وأنه يريده جرماً يدور على مدى الأربع والعشرين ساعة في فلكه.

وهذا التصرف من جانب الرئيس الهراوي يوضح أيضاً لماذا حرص الحُكم السوري على أن يتم إنتخاب الرئيس الهراوي ومن قبل الرئيس الأسفوف عليه ربنية معوض تحت المظلة السورية وفي أقرب نقطة إلى مرمى البندقية السورية الخفيفة وليس مرمى المدفعية. كما أن هذا التصرف يوضح إصرار الحُكم السوري على التعامل من

جانب الرئيس اللبناني مع الحُكم السوري بطريقة توحى أن هذا الرئيس هو تحت وصاية ذلك الحُكم.

ويبقى أن أكثر ما يحز في النفس هو أن الرئيس الهراوي لم يأخذ في الإعتبار أن القمة العربية الإستثنائية التي جرى عقدها في بغداد كان يمكن أن تحقق لقضية بلده مكسباً لن يتحقق في أي مؤتمر آخر وذلك لعدة أسباب، من بينها أنها تتعقد في عاصمة بلد يرى ما تراه الأكرثية اللبنانية الساحقة والصامتة وهو أن لا قيامة للبنان إلا بعد أن يصبح سيد نفسه ولا عافية له إلا بعد توافر الإستقرار. لكن على رغم ذلك فإن لبنان كان حاضراً في القمة بغياب رئيسه، أو أن التغيب كان سبباً من أسباب الإهتمام.

وتتعدد أيضاً في بلد معقودة عليه الآمال أكثر من أي وقت مضى من أجل وضع نهايات سعيدة لحالات مأساوية عالقة بدءاً من تتويج النضال الفلسطيني ومعاناة الفلسطينيين بتسريع ولادة الدولة الفلسطينية وإنهاءً بتسريع عودة الدولة اللبنانية إلى سابق إستقلالها وتوازنها مروراً بالأمن القومي وضرورة تسجيجه بالقوة واليقظة.

وفي الأصل إن القمة الإستثنائية عُقدت في بغداد على هذا الأساس وحقت من النجاحات ما يؤكد أهمية إنعقادها. ومن هنا إن عدم مشاركة الرئيس الهراوي في القمة هو إنصياح لإرادة الحُكم السوري وخروج على الرغبة العربية الشاملة وبالذات على صيغة الحل العربي الذي قاده إلى بر الأمان اللجنة الثلاثية التي شاركت دولها في القمة الإستثنائية في بغداد، وكانت من المؤكد تتطلع إلى أن يكون رئيس لبنان بين الحاضرين.

مجلة "التضامن". لندن – 4 حزيران (يونيو) 1990

* * *

قمة بغداد: النتيجة المهمة والنتيجة الأهم

هنالك نتيجتان أساسيتان للقمة العربية الإستثنائية التي عُقدت في بغداد يومي 28 و 29 مايو/ أيار 1990. واحدة مهمة وأخرى أهم.

أما النتيجة المهمة فهي أن القمة شغلت بال المسؤولين في الدول الكبرى قبل أن تتعقد ثم بعد إنتهاء أعمالها وإذاعة قراراتها وتوصياتها. والدليل على ذلك هو أن مواقف

صدرت عن هذه الدول قبل الإنعقاد ومواقف صدرت بعد الإنعقاد.

ومثل هذا الأمر لم يكن يحدث في الماضي، ولم يحدث أيضاً أن هذه الدول أو تلك سجلت مواقف علنية لمؤتمر قمة عربي يجري التحضير لعقده، وإنما الذي كان يحدث هو أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بصفة كونهما رمزي كتلتي الغرب والشرق كانتا تُجريان بعض الاتصالات وراء الكواليس وذلك من أجل موقف شخصي. الإتصال الأميركي كان من أجل تشويه سمعة الاتحاد السوفياتي في المنطقة، والإتصال السوفياتي من أجل الحيلولة دون حدوث المزيد من الثغرات على أيدي الولايات المتحدة وحلفائها.

ومن أجل ذلك فإن تسجيل الموقف العلني يعني الكثير. يعني أن الدولتين الكبيرتين ومن معهما متفتحتان على الحد الأدنى ولم تعودا متناقضتين إزاء قضايانا العربية، ويعني أيضاً أن هنالك نظرة جدية لنا لم تكن بالوضوح الذي ظهرت عليه.

ومن المؤكد أن هذا الإهتمام من جانب الدولتين الكبيرتين ما كان ليحدث، وما كان ليأخذ شكل الموقف، لو أن الأجواء التي سبقت إنعقاد قمة بغداد لم تكن متميزة عن الأجواء التي سبقت القمم العربية السابقة. كما أنه ما كان ليأخذ شكل الموقف لو أن القمة لم تتعقد بالإصرار والحزم وتصرف الملوك والرؤساء داخلها وكما لو أنهم يبدؤون حقبة جديدة من التعامل غير مألوفة في ما بينهم من قبل. حقبة تتطلب اعتماد المرونة إلى أبعد الحدود وبناء الذات عسكرياً واقتصادياً.

وأغلب الظن أن القادة العرب سيأخذون من المواقف بعد الآن ما يؤكد هذه الحقيقة الموضوعية وغيرها من حقائق حقبة التسعينات.

وإذا كانت تلك هي النتيجة المهمة للقمة العربية الإستثنائية فإن النتيجة الأهم هي إنهاء ظاهرة القمم الإستثنائية ما دامت قد بدأت تتحول إلى تقليد وبعدها باتت هذه القمم تتساوى تقريباً من حيث العدد مع القمم العادية.

وخيراً فعل خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز عندما كان هو المبادر إلى طرح الاقتراح البعيد النظر الذي يقضي بعقد القمة العربية دورياً خلال تشرين الثاني/نوفمبر من كل عام وفي مقر الجامعة العربية في القاهرة.

ولو أن هذا الاقتراح جاء من غير الملك فهد لربما كان سيأخذ من النقاش الكثير، لكن مبادرة الملك بالذات قطعت الطريق على أي مناقشات وأي تحفظات ما دام صاحب الاقتراح هو الملك فهد الذي يرى أن مقر الجامعة العربية يستوعب كل المواقف وكل الآراء.

والى ذلك إن مبادرة خادم الحرمين الشريفين تعزز شأن مؤسسة الجامعة العربية. وثمة فرق كبير بين أن تكون الجامعة مقراً يعقد الملوك والرؤساء العرب قمة في رحابه وبين أن يكون الأمين العام للجامعة مجرد جهاز تنظيم لإنعقاد القمة. وعندما تكون القمة دورية ولا خلاف على المكان فإن الأمين العام لن يستنزف الساعات الطويلة من التنقل لتقريب مواقف لن تكون متباعدة بعدما إستقر الأمر على أن يكون مقر الجامعة هو المكان لإنعقاد القمة سنوياً.

وانعقاد القمة في مقر الجامعة في القاهرة يعيد الأذهان إلى تلك القمة التي عقدها الملوك والرؤساء العرب عام 1964 وبدأوا بها تقليد إجتماعات القمة. وما زال ماثلاً في الذاكرة منظر الملوك والرؤساء الذين ساروا في الشوارع المحيطة بمبنى الأمانة العامة المطل على النيل وكيف ترك منظرهم إنطباعاً بأن الوفاق العربي هو الطريق وهو الحل. ويا ليتهم في تلك القمة أقروا الفكرة التي تقدّم بها كإقتراح بعد ستة وعشرين عاماً الملك فهد بن عبد العزيز، إذ ربما كان من شأن هكذا إقتراح أن يجعل الرئيس (الراحل) أنور السادات لا يفرط فيه. وعندما يكون ملوك العرب ورؤساؤهم يتواجدون سنوياً في القاهرة شيء وعندما تكون القاهرة مجرد مكان للجامعة العربية شيء آخر. والتفريط بمعنى أن الملوك والرؤساء الذين سيلتقون في القاهرة سيقولون لا لتوجه الرئيس السادات نحو "كامب ديفيد" والصالح المنفرد مع إسرائيل، وأن الرئيس المصري لن يقف ضدهم أو ربما لن يفكر أصلاً في ذلك التوجه.

ويبقى أن الذين سيخسرون من جرّاء تكريس مبدأ إنعقاد القمة دورياً في مقر الجامعة هم الذين لم يساعدوا أصلاً في إنجاح إجتماعات القمة المتنقلة الدوري منها والإستثنائي.. إلا إذا كان هؤلاء يرون أن إنعقاد القمة في بلدهم أو عدمه واحد. ولا نعتقد أن هذه النظرة في محلها.

مجلة "التضامن". لندن - 11 حزيران (يونيو) 1990

كأنه "فيتو" أميركي على السلام

لمجرد أن حدثت عملية فدائية نفّذها بعض الشباب الفلسطينيين بادرت إدارة الرئيس جورج بوش إلى التهديد بوقف الحوار الذي تجريه مع منظمة التحرير الفلسطينية. ومع أن هذا الحوار بطيء في الأصل ومتأخر عشرين سنة على الأقل فإن الإدارة الأميركية بدت في خطوتها هذه وكما لو أنها ليست جادة أصلاً في هذا الحوار وأنها كانت في إنتظار أي عملية من نوع العملية التي تمت لكي تهدد بوقف الحوار.

وعندما يحدث ذلك فهذا يعني أن الإدارة الأميركية بادرت في الأصل إلى الحوار من دون أن تكون مؤمنة به ولا متحمسة له. وأي حوار لا يستند إلى إيمان أطرافه به وتتوافر له الحماسة لدى هذه الأطراف لا يمكن أن يتم.

ولو أن الإدارة الأميركية كانت مؤمنة بالحوار ومتحمسة له لكانت بدل التهديد بوقف الحوار عمدت إلى توظيف العملية الفدائية في اتجاه الضغط على إسرائيل لتعديل موقفها بعض الشيء خصوصاً أن التصلب الإسرائيلي هو الذي يجعل الحوار لا يتقدم. لكن إدارة الرئيس بوش فعلت العكس وبسبب ذلك إستطاع التطرف الإسرائيلي الذي هو عدو الحوار أن يوظف الخطوة الأميركية لمصلحته.

وإذا جاز القول، فإن إسحاق شامير أعلن عن تأليف حكومة في أعقاب تهديد الإدارة الأميركية بوقف الحوار مع منظمة التحرير، وبذلك وضع هذه الإدارة أمام موقف صعب لأنه أوحى بأن هذه الإدارة باتت معه وأن الحكومة الإسرائيلية الجديدة هي أقرب ما تكون إلى الموقف الذي إتخذته إدارة الرئيس بوش ما دامت تلك الإدارة هدّدت بوقف الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية.

وصحيح أن الحكومة التي أعلن شامير عن تأليفها ليست نقية وأنها مهددة بالسقوط، إلا أن هذه الحكومة ما كان لها أن تتألف في الأصل لو كان الموقف الأميركي على غير ما ظهر عليه بعد التهديد بوقف الحوار مع المنظمة، فضلاً عن أنها حكومة من شأنها أن تجعل الحرب أقرب مما نتصور. وهذه المرة لن تكون حرباً من النوع الذي ألقناه وإنما ستكون قصيرة بكل معنى الكلمة.

والى ذلك إن العملية الفلسطينية لم تستهدف مؤسسة أميركية لكي تهدد الإدارة الأميركية بوقف الحوار وإنما إستهدفت إسرائيل. وفي مثل هذه الحال فإن التهديد بوقف

الحوار لا يبدو منطقياً على الإطلاق خصوصاً أن الإدارة الأميركية في المقابل لا تهدد بشيء وتتفرج عليها وهي تعتدي هنا وهناك ملحقة الضرر الفادح بسمعة أميركا في أوساط الرأي العام العربي.

إلى ذلك أيضاً إن الحوار عندما يبدأ بين طرفين فإنه يتعثر مرة ويجتاز بعض العقبات أحياناً، لكن هذا لا يعني أنه يمكن أن يتوقف.

وخلاصة الأمر أن الحوار الذي بدأ بين الولايات المتحدة ومنظمة التحرير هو الحد الأدنى الذي فعلته الإدارة الأميركية أو أنه القليل الذي يجب على الإدارة الأميركية أن تفعله.

وعندما نقول ذلك فعلى أساس أن للعرب في عنق هذه الإدارة الكثير.

ومنذ عشرين سنة بعدما ولدت قيادة للفلسطينيين كان لا بد للحوار بين الإدارة الأميركية وتلك القيادة أن يبدأ لكن ذلك لم يحدث ودفع العرب الثمن الفادح نتيجة لذلك.

وبعدما إختارت القيادة الفلسطينية المرونة نهجاً شبه ثابت لها كان لا بد للحوار بين الإدارة الأميركية وتلك القيادة أن يحدث لكن ذلك لم يحدث ودفع العرب ثمناً أكثر فداحة نتيجة لذلك.

وهكذا فإن العرب يدفعون الثمن نتيجة لعدم حدوث الحوار الأميركي - الفلسطيني حيث إنهم لا يستطيعون من جهة الضغط على القيادة الفلسطينية بأكثر مما ضغطوا وفي الوقت نفسه لا يجدون من المصلحة في شيء مساندة التطرف الفلسطيني خشية أن تعود الحال إلى ما كانت في السبعينات. والحل؟

إنه في يد أميركا التي تبدو إدارتها وكما لو أنها جاهزة فقط لكي تهدد في حال حدوث عملية فدائية فلسطينية بوقف الحوار مع منظمة التحرير وليست مستعدة على الإطلاق للإعتراف بأن تأخير هذا الحوار عشرين سنة هو السبب في هذه العملية وفي أي أعمال عنف تحدث في المنطقة.

ولكن في الوقت نفسه إن تهديد الإدارة الأميركية بوقف الحوار يعكس نقطة إيجابية وهي أن هذه الإدارة تكتفي بالتهديد من دون أن تتفّذ على الفور، أي بمعنى آخر إنها لا تريد لمحاولة الحوار المتواضعة أن تتهاوى وتتلاشى. كما أنه يعطي فكرة واضحة للطرف الفلسطيني عن أسلوب التعامل الذي تقضله الإدارة الأميركية، هو أسلوب لا

يختلف إثنان على أن من الصعب على أحد تحمُّله وتقبُّله خصوصاً إذا كان سيتكرر.

ويبقى أن تهديد الإدارة الأميركية بوقف الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية يبدو كأنه الفيتو الأميركي على السلام في المنطقة، ويبدو أيضاً كأنه تهديد بوقف العلاقة بين هذه الإدارة والدول العربية. ولو سئلت أي دولة عن رأيها في الخطوة الأميركية لقلت ضمناً ما معناه، إنه عندما تهدد الدولة الكبرى بوقف الحوار مع منظمة التحرير فهل تريد منا أن نتفهم هذه الخطوة وأن نقبل بها، وهل يغيب عن بال الإدارة الأميركية أن هذه الخطوة هي تهديد أولي للعلاقة الأميركية - العربية التي ليست في وضع صحي على الإطلاق، أو فلنقل إنها ليست في الوضع الذي يُفترض أن تكون عليه.

يبقى أيضاً أن ما هو أخطر من العملية الفدائية هو أن التطرف الإسرائيلي يأخذ فرصته مرة جديدة ويمثِّل ذلك بإصرار شامير على تأليف حكومة تبدو في منطلقاتها أنها أول رد على الأجواء التي أحدثتها القمة العربية الإستثنائية التي جرى عقدها في بغداد. وهذه الحكومة قد تذهب بعيداً في تطرفها إلى الحد الذي تبدو فيه تلك القمة أنها إختارت الإعتدال أكثر مما ينبغي.

ومرة أخرى أن تهديد الإدارة الأميركية بوقف الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية يبدو كأنه الفيتو تضعه الولايات المتحدة على فرصة السلام في المنطقة. ويبدو أيضاً بمثابة تهديد بوقف العلاقة بين هذه الإدارة والدول العربية. وإذا كانت هذه الدول لم تعبر صراحة عن مشاعرهما فإن ذلك لا يعني أن الخطوة الأميركية مقبولة أو أنها يمكن أن تحظى بالرضى العربي.

أما لماذا هذه المشاعر فلأن الدول العربية هي التي دفعت بمنظمة التحرير إلى الباب الأميركي. وقبل أن تفتح الإدارة الأميركية الباب من دون أن تقول للواقف عنده أن يدخل كانت أوحى لكل الدول العربية ذات الصلة الوثيقة بها أن تضغط على منظمة التحرير لكي تطرق الباب الأميركي.

ولقد فعلت الدول العربية ما عليها..

وتجاوبت منظمة التحرير..

وعندما جاء دور أميركا بدأت تتصرف وكما لو أنها تسرعت في حوار علماً أنها تأخرت في بدئه حوالي عشرين سنة، وكانت كما لو أنها على موعد مع العملية الفدائية التي بسببها هددت بوقف الحوار.

وتحت مظلة هذا الدور سارع شامير خلسة إلى تأليف حكومة منسجمة مع الخطوة الأميركية غير الودية على الإطلاق للعرب الذين بالغوا في دفع منظمة التحرير الفلسطينية إلى طرُق الباب الأميركي. حكومة قد تكلف الإدارة الأميركية دفع ثمن باهظ إذا هي إختارت الحرب كما هو متوقع.

مجلة "التضامن". لندن - 18 حزيران (يونيو) 1990

رَبِّ ضارة نافعة: إسرائيل إختبرت ومصر نجحت في الإختبار

عندما كانت تتصلب إسرائيل وتساندها الولايات المتحدة في هذا التصلب، فإنها كانت تستند إلى الواقع الذي أحدثه الرئيس (الراحل) أنور السادات وهو أن مصر خرجت نهائياً من الساحة كدولة عربية، وأنه إزاء ذلك ففي إستطاعة إسرائيل أن تفعل ما تريد. تعتدي على لبنان إذا هي أرادت. تعتدي على العراق إذا هي قررت، وتعتدي في سوريا إذا أزرت هذه العراق. تشن عدواناً على اليمن. على ليبيا. تجتاح الأردن. تفعل هذا كله ما دامت الثغرة التي أحدثها السادات قائمة.

وقبل أن تستعيد مصر مكانها في الجامعة العربية وتنتهي القطيعة بينها وبين بعض الأشقاء كان ربما لهذا الإعتقاد من جانب إسرائيل ومن ورائها الولايات المتحدة أن يؤخذ في الإعتبار، لكن بعد إستعادة العضوية وإنهاء القطيعة، وبعد الخطوة الأهم وهي عودة الجامعة العربية إلى القاهرة وتكريس التقليد الذي قضى بعقد القمة العربية سنوياً وفي شهر تشرين الثاني (نوفمبر) من العام، فإن الإعتقاد المشار إليه تضاعف ولم يعد من المنطقي أخذه في الإعتبار.

لكن كان لابد من التأكد. وجاء التصريح الذي أدلى به المتحدث رسمي مصري يوم الثلاثاء 12 حزيران (يونيو) 1990 ليؤكد ذلك.

وهذا التصريح جاء رداً على تصريحات منسوبة لمساعد رئيس أركان الجيش الإسرائيلي بثتها الإذاعة الإسرائيلية يوم 5 حزيران (يونيو) إقترح فيها سياسة

إسرائيلية أكثر تشدداً، وطالب بفرض المزيد من العقوبات على الفلسطينيين في الأراضي المحتلة بهدف ردعهم، و«أن ينصرف الجيش الإسرائيلي عن معالجته لأحداث الإنتفاضة لكي يتفرغ للإستعداد للحرب المقبلة في المنطقة التي لا مفر منها». وطالب بأن يتم تشكيل قوة عسكرية خاصة لمعالجة أحداث الإنتفاضة والقضاء عليها، وأعرب عن إعتقاده بأن العراق سيشن حرباً على إسرائيل لو حصل على مساعدات عسكرية من دول عربية أخرى، وأن سوريا ستسارع إلى دعم العراق وأن دولاً عربية أخرى ستشارك في هذه الحرب. ولم يستبعد مصر أيضاً.

وأنهى مساعد رئيس الأركان الإسرائيلي تصريحاته بالقول: «إن إسرائيل يجب أن تحشد قواتها على الحدود الجنوبية والعودة إلى إحتلال سيناء في حال تجدد المعارك في الجبهة الجنوبية. وهذه المرة لا أعتقد أننا سننقذ عند ضفاف السويس».

أما ما قاله المتحدث المصري الرسمي فهو «رفض التهديد الإسرائيلي وإستكاره وتحميل إسرائيل مسؤولية تصعيد التوتر وإشعال الموقف في المنطقة ودعوة المجتمع الدولي إلى التصدي بكل قوة وصراحة لمثل هذه الإتجاهات المخربة التي تستخف بمستقبل الشعوب».

وفي الرد المصري عبارة حازمة يمكن وضع الكثير من الخطوط تحتها وهي «إننا نرفض منطق التهديد ودق طبول الحرب ونرى أن مثل هذه التصريحات تدعو إلى التساؤل عما إذا كانت تكشف عن إستراتيجية مستترة لا تزيحها القنوات الإسرائيلية الأخرى وتدور حول إسرائيلية الإعداد للعدوان والمغامرة بشن الحرب في المنطقة وهو أمر لا يمكن أن نأخذه بإستخفاف أو ننتهون إزاءه بل إننا نواجهه بكل جدية وحزم».

وهكذا فإنه بقدر ما أن التصريح الذي أدلى به المسؤول العسكري الإسرائيلي كان يدعو إلى القلق فإنه في الوقت نفسه من النوع الذي ينطبق عليه القول الشائع «رب ضارة نافعة».

أما لماذا هو نافع، فلأن الانسان العربي السعيد بعودة مصر إلى مكانها المتقدم في الصف وبالقرار الذي قضى بعودة الجامعة العربية إلى القاهرة وعقد مؤتمرات القمة بشكل دوري في رحاب مقرها التاريخي المطل على النيل، كان دائماً يخشى أن يكون هنالك إقتناع من جانب مصر بأن إسرائيل صادقة في مسألة السلام، وخشيته مشروعة، لأن إسرائيل نفّذت، قبل أن تستعيد مصر عضويتها في

الجامعة وتنتهي المقاطعة العربية لها، أكثر من عدوان على دول عربية ولم تتخذ مصر الموقف الذي يتسم بالحزم ويجعل إسرائيل تشعر بأن مصر للعرب وللقضية العادلة وليست رهينة صفقة كامب ديفيد التي تبين أنها من أجل السلام بالمفهوم الإسرائيلي وليس بالمفهوم العادل.

وبصدور التصريح المصري المشار إليه إنحسرت الخشية إلى حد كبير، وهذا يعني أنه سيكون هنالك المزيد من الإنحسار وإلى درجة أن تتوقف التصريحات الإسرائيلية من نوع تصريح مساعد رئيس الأركان الذي تعمدت إسرائيل بثه يوم 5 حزيران (يونيو)، وهذا في حد ذاته توقيت مدروس لأنه يثير في نفوس المصريين بوجه خاص والعرب عموماً شجوناً ومرارة وآلاماً نفسية ووجدانية كثيرة الجدة بل ومبرحة.

وثمة نقطة لافتة للإنتباه وهي أن رد الفعل المصري أثبت أمراً بالغ الأهمية وهو أن نظرة إسرائيل إلى مصر، التي عادت وإستعادت، لم تعد كما كانت من قبل، وأنه في ضوء ذلك وجد المسؤولون الإسرائيليون أن من الأفضل لهم أن يتصلوا من تصريحات مساعد رئيس الأركان الإسرائيلي، وهذا ما حدث حيث أن المتحدث بإسم الجيش الإسرائيلي نفى التصريحات المنسوبة إلى مساعد رئيس الأركان والتي أوجبت صدور التصريح المصري.

وهذا النفي لا يعني أن المسؤول العسكري الإسرائيلي لم يدل به دليل أن النفي صدر بعد أسبوع على التصريحات المشار إليها، وأنه صدر في أعقاب صدور التصريح المصري وفي محاولة لتهئية مشاعر كما أن النفي لا يعني أن إسرائيل، سواء أدلى مساعد رئيس الأركان بالتصريحات التي أدلى بها أو لم يدل، لا تعمل على المخطط الذي يستهدف ضرب الإنتفاضة ومواجهة القدرة العسكرية العربية التي حدثت في العراق بعدوان عليه. وهذا معناه أن إعتقاد القيادة المصرية الذي عبّر عنه التصريح بالإشارة إلى «الإستراتيجية الإسرائيلية المستترة» إنما هو إعتقاد في محله.

... ويستهدف أيضاً مصر التي عادت إلى مكانها في الجامعة والتي لابد ستستعيد مكانتها بعودة الجامعة العربية إليها والإختيار العربي الذي صدر بالإجماع لمقر الجامعة كي يكون المكان الذي تتعقد فيه القمة العربية سنوياً.

وصدور التصريح الرسمي رداً على التصريحات الإسرائيلية، فضلاً عن الإتصالات التي أجراها الرئيس حسني مبارك على الفور مع الإدارة الأميركية، خطوة على

طريق إستعادة المكانة وتأكيد بأن مصر التي كانت تطمئن إسرائيل إلى رد فعلها الذي يتسم بالإستكانة باتت في صيغة الماضي، وإن التصريح الرسمي المصري رداً على التصريحات التي أُذيعت منسوبة لمساعد رئيس الأركان الإسرائيلي هو الحد الأدنى.

ويبقى أنه إذا كانت التصريحات الإسرائيلية هي فقط لإستكشاف حقيقة موقف مصر فإن التصريح الرسمي المصري يؤكد أن قيادة الرئيس مبارك نجحت والحمد لله في الإختبار.

مجلة "التضامن". لندن - 25 حزيران (يونيو) 1990

* * *

قراران متشابهان...

واحد أميركي وآخر عربي

تعرف الإدارة الأميركية تمام المعرفة أن الدول العربية، ومن أجل الدقة نقول أكثرية هذه الدول، لا تؤيد العملية الفدائية التي نفذتها مجموعة تنتمي إلى "أبو العباس".

بل إن الإدارة الأميركية تدرك تمام الإدراك أنه حتى الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات لا يؤيد تلك العملية، أو من أجل الدقة أيضاً نقول، إنه لا يحبذها، ولا يحبذ العملية مع الرئيس ياسر عرفات معظم قادة العمل الفلسطيني الذين يلتفون حول قيادة عرفات.

وعدم التأييد والتحبذ هذا ليس إعتراضاً بقدر ما هو تحفظ ناشئ عن أن المعركة الدبلوماسية التي تخوضها منظمة التحرير الفلسطينية من أجل تحقيق الحد الأدنى تتطلب التركيز على الوسائل السياسية وترك أعمال العنف جانباً وتحت إشعار آخر.

إن الإدارة الأميركية تعرف كل ذلك ومن أجل هذا فإنها عندما تطلب من الرئيس ياسر عرفات إدانة العملية التي نفذتها مجموعة تابعة لصديقه ورفيق نضاله أبو العباس فإنها تكون تتعمد إحراج الرئيس الفلسطيني، وأبما إحراج، في حين أن ما تطالب به كان سيبدو طبيعياً لو أن موقف الرئيس عرفات عبارة عن طلاس وألغاز يصعب فكها.

وصحيح أن الرئيس عرفات خسر من القرار الأميركي بتعليق المفاوضات على رغم أنه قرار مرن نسبياً، إلا أن

الإدارة الأميركية خسرت أكثر. والقول بأن القرار مرن نسبياً على أساس أن إدارة الرئيس بوش لم تقطع المفاوضات وإنما علقتها، وهي فعلت بذلك ما يجوز إعتباره حالة إحتجاج أو سحب سفير باللغة الدبلوماسية، أو أنها بالتعليق أبقّت، كما نقول في التشبيه العربي، على شعرة معاوية.

وثمة تساؤل: هل إن القرار الأميركي إتخذ عن قناعة أو نتيجة ضغوط؟

والرد على ذلك هو أنه ليس نتيجة القناعة ولا بسبب الضغوط، وإنما جاء القرار وسط ظروف تعرف كيف تستفيد منها إسرائيل. فهناك إنتخابات نيابية في الولايات المتحدة بعد بضعة أسابيع. وهناك أيضاً إنتخابات جزئية لعضوية مجلس الشيوخ. وسط هذه الظروف تحدثت المزايدات من قبل المرشحين. وتعرف إسرائيل كيف تضع الشروط وتبتز المرشحين للحصول على أكثر الطلبات. ومثل هذا الأمر لم يحدث فجأة وإنما خطط له شامير سلفاً، بمعنى أنه ترك هذه الورقة الإنتخابية إلى خاتمة المطاف وقد إستعملها بالحذاقة التي يتقنها اليهودي الشاطر.

كذلك ثمة تساؤل آخر: ألم يكن في إستطاعة الإدارة الأميركية إعتداد خطوة أقل ضرراً؟

والرد على ذلك أن في إستطاعتها ولكنها لم تفعل. في إستطاعتها، على سبيل المثال لا الحصر، أن تتخذ موقفاً يكون أكثر من التنبيه وأقل من تعليق المفاوضات. وزيادة في التوضيح يمكن القول إنه كان في إستطاعتها أن تُصدر بياناً سواء في واشنطن أو من خلال السفارة في تونس يتضمن ما معناه، أن العملية الفدائية التي نفذتها المجموعة التي يقودها أبو العباس من شأنها أن تسبب إنتكاسة للحوار الدائر بين الولايات المتحدة ومنظمة التحرير، كما أنه في حال تكررت هذه العملية سينقطع الحوار وتضيع فرصة طيبة على مساعي السلام. ومثل هذا الكلام كان سيبدو أنه بمثابة إنذار، وكان سيلقي على كاهل الرئيس عرفات مسؤولية كبرى وكانت هذه بدورها ستجعله يضغط من أجل ألا ينفذ هذه العملية أبو العباس وغيره، وبالذات أبو العباس.

ولكن مع بالغ الأسف تعاملت الإدارة مع المسألة وكأنها العملية إستهدفت أشخاصاً أميركيين تم إحتجازهم كرهائن. وبسبب تعاملها هذا تكون خسرت أكثر بكثير مما خسر الرئيس عرفات. خسرت الإنطباع الذي نشأ عن

مجرد "أمر غير مستحب" وليس "مكروهاً" ربما للإفساح في المجال أمام تراجع الإدارة الأميركية. وفي تواصل الانتفاضة ستنشط إسرائيل من أجل أن يبقى الحوار الأميركي - الفلسطيني معلقاً حيث إن مثل هذه الحالة تتيح لها أن تحوّل المواجهة مع رماة الحجارة، وهي مواجهة لا رصاص فيها، إلى عدوان ينهي الأمل المعقود على الذين حرّكت حجارتهم البحيرة الراكدة، والذين زرعوا الآمال في النفوس القاتمة.

مجلة "التضامن". لندن - 2 تموز (يوليو) 1990

* * *

من أجل أن يكون النفط... سلاحاً فعالاً

عندما يسمع المواطن العربي بأن حقولاً جديدة للنفط تم اكتشافها فإنه يشعر بالإطمئنان أكثر من قبل. فهو إذا كان من دولة نفطية فإن الاكتشاف يعني أن المشاكل الاقتصادية والمالية الطارئة على أهبة أن تزول. وإذا كان هذا المواطن من دولة عربية سياحية فإن الاكتشاف يعني أن إقبالاً ملحوظاً على السياحة من جانب الأشقاء الخليجيين سيحدث مستقبلاً. أما إذا كان هذا المواطن من الدول الواقعة في حزام الفقر العربي فإن الاكتشاف يعني أن بعض المطالب المؤجل تنفيذه من جانب الحكومة ربما تتحقق لأن الحكومة ستطرق أبواب الأشقاء النفطيين وتعود بعود طيبة من شأن الإيفاء بها فك الضيق أو بعضه. هذا يحدث إذا سمع المواطن أن حقولاً جديدة للنفط تم اكتشافها. أما إذا هو سمع بأن أسعار النفط ارتفعت فإنه سيكون أسعد حالاً، لأن معنى ذلك أن الانتعاش سيحل محل الركود وهذا يؤدي إلى الإزدهار. ومعناه أيضاً أن بالإمكان وضع برنامج للعيش الهني ولتطوير الحالة الاجتماعية في العائلة الواحدة.

وما ينطبق على المواطن العربي النفطي ينطبق على المواطن العربي غير النفطي المتوسط الحال وكذلك المواطن العربي التي شاءت الظروف أن يتواجد في حزام الفقر.

وليس هنا مجال تعداد الفوائد التي تتجم عن الجانب السار من أخبار النفط فهي كثيرة حيث هنالك تأمين

تصريحات لمسؤولين في إدارة الرئيس بوش بينهم وزير خارجيته جيمس بيكر إستقبلها الرأي العام العربي ببعض الإرتياح لأن فيها رائحة إنصاف. وخسرت المصادقية التي كاد المواطن العربي يشعر بتوافرها لدى تلك الإدارة. وخسرت ما هو أهم بكثير، وهو أنها جعلت رؤوس الحُكم في إسرائيل تكبر فيزداد أصحاب هذه الرؤوس تصلباً وعناداً بينما المطلوب المزيد من المرونة من ذلك الحُكم تتساوى مع المرونة العربية النسبية.

وإلى ذلك إن الإدارة الأميركية بقرار تعليق الحوار تسببت ببعض الحرج لأصدقائها في العالم العربي، إلا إذا كانت بهذا القرار ترد أيضاً على هؤلاء الأصدقاء الذين كانوا ضمن الإجماع عند مناقشة الموقف الأميركي وإتخاذ قرارات وتوصيات ضد هذا الموقف هي غير تلك التي تم إدراجها في البيان الختامي.

ويبقى أن الذي يأمله المرء هو أن تكون الخطوة الأميركية مجرد سحابة ثقيلة وتزول.

أما ما كان المرء يأمله فهو لو أن الدعوة إلى عقد الإجماع الطارئ لوزراء الخارجية العرب في تونس لمناقشة القرار الأميركي أتت من طرف غير المنظمة بل وتحديداً من سوريا لأنها بذلك تكون إقتربت من السرب العربي التي لم تغرد فيه عندما إنعقدت القمة العربية الإستثنائية في بغداد. ولو أن الدعوة جاءت منها أو من أي دولة عربية وليس من دولة فلسطين لكان وقعها أكثر تأثيراً على أهل القرار الأميركي.

وبالنسبة إلى إخواننا قادة العمل الفلسطيني فإن ما يمكن قوله في ظل المعركة السياسية إن أي عملية فدائية لا تكون مبررة على الإطلاق إلا في حال أنها ألحقت الأذى البالغ في مواقع عسكرية إسرائيلية. ولا تكون مبررة أيضاً إلا إذا هي جعلت إسرائيل تميل قليلاً نحو الاعتدال وتميل الولايات المتحدة كثيراً نحو إعتداد أسلوب الضغط الكثير القساوة على إسرائيل. وبذلك تندفع خطوات الحوار الأميركي - الفلسطيني إلى الأمام.

يبقى أيضاً أن الحديث الآن يجب أن يتجاوز الذي يحدث إلى ما هو مفروض أن يحدث مستقبلاً. ومنذ الآن علينا أن نعمل من أجل إسقاط قرار تعليق الحوار الأميركي مع المنظمة الذي لا نتمنى أن يطول على طريقة القرار العربي بإسقاط عضوية مصر في الجامعة العربية. والذي يعزز هذا التمني أن معظم ردود الفعل العربية على قرار تعليق الحوار كانت متأنية، بمعنى أنها إعتبرت القرار

إحتياجات بناء الدولة القوية والدولة المتطورة والدولة الواعدة.

لكننا هنا في مجال الحديث عن مفاجآت النفط وكيف أن هذه المفاجآت باتت مثل الزلزال الذي يحدث أحياناً فيدمر ما هو قائم أو يزعزع الأسس في أقل تقدير.

وعندما يقول ذلك وزير النفط العراقي قبل أيام إن بلاده تخسر مليار دولار سنوياً في حال عدم التزام الدول الأعضاء أو بعضها بسقف الإنتاج المتفق عليه، فعلينا أن نتصور حجم الخسائر إذا تزامن أمر عدم الالتزام مع ضربة أخرى تتعلق بإنخفاض الأسعار.

وشمة مسألة لافتة للانتباه وهي أن الاضطراب في السوق النفطي بدأ لمجرد أن قررت الدول المنتجة الإستفادة من ثروة النفط إلى أقصى حد. وهو بدأ في سياق حرب نفسية جرى فيها التركيز على أن عمر النفط العربي قصير، والقصد من ذلك هو جعل الدول النفطية تستخرج النفط بكميات وفيرة ما دام العمل سيكون قصيراً.

ومن المؤكد أن الحرب النفسية التي نشير إليها لن تتوقف، وستكون هنالك جبهات كثيرة يتم فتحها بهدف إجهاد أي محاولة جادة لتوظيف ثروة النفط في أي دولة من الدول المنتجة المنضوية تحت لواء منظمة "أوبك".

وإلى ذلك إنه لم يحدث أن كانت الأنظار موجهة نحو الدول العربية النفطية كما هي موجهة منذ بضعة أشهر، وذلك لأن مرحلة النهوض الوطني والقومي التي بدأت لن تبلغ غايتها إلا بثروة النفط وتوظيف هذه الثروة في سبيل إستكمال المرحلة المشار إليها.

بل قد يجوز الافتراض أن بعض الدول اعتادت مساندة إسرائيل في العمليات العدوانية ضد هذا الهدف العربي أو ذاك، والتي لم يعد في وسعها ولا في وسع إسرائيل أن تفعل ذلك، قد تلجأ إلى فتح ثغرات في جبهة النفط لأنها الأكثر يسراً بالنسبة إليها. وعندما تكون هنالك دولة مثل العراق تخسر في حال عدم التزام الدول الأعضاء أو بعضها بسقف الإنتاج مليار دولار سنوياً لتبين لنا كيف أن مثل هذه الخسارة يمكن أن تتضاعف وربما أكثر إذا ازداد عدد غير الملزمين بسقف الإنتاج وتزامن مع ذلك إنخفاض حاد في الأسعار. وفي مثل هذه الحالة تصبح الخسارة بحجم عدوان من نوع العدوان الذي بات من الصعب تنفيذه.

من هنا فإن الأمن القومي لدى منظمة الأوبك سيكون مهدداً إذا لم تعقد الدول المنتسبة إلى هذه المنظمة اجتماعاً

على مستوى القمة تتم فيه مناقشة الأمور بكل الصراحة المطلوبة وينتهي بوضع ميثاق يتم الالتزام به التزاماً دقيقاً ومسؤولاً. وتبقى الإشارة إلى أننا في هذه المجلة كنا في أعقاب قبول الحُكم الإيراني بالقرار 598 قد دعونا في 1988/8/1 إلى عقد قمة لدول الأوبك توضع الحل المضمون للسلام بين العراق وإيران.

وإذا كانت الدعوة في حينه بدت ضرورية فقط من أجل إنهاء الحرب بين العراق وإيران، فإنها في ضوء التطورات الراهنة في المنطقة وأبرزها الأمن القومي المهدد تبقى أكثر من ضرورية خصوصاً بعدما إبتعد الحُكم الإيراني قليلاً عن التشدد وبات على أهبة أن يمارس المرونة التي لا بد منها.

يبقى أيضاً أن مثل هذه القمة تشكل أرضية طيبة للقاء الرئيسين صدام حسين وهاشمي رفسنجاني الذي يتم التحضير لإنجازه، هذا إذا لم تكن هنالك معوقات تعترض عقد هذا اللقاء. كما أن هذه القمة ستفضي إلى نتائج بالغة الأهمية وستكون قمة ناجحة مئة في المئة إذا تم عقد اللقاء قبل إنعقادها، ناجحة على صعيد جعل النفط سلاحاً بيد أصحابه وليس موجهاً ضد صدورهم.

مجلة "التضامن". لندن - 9 تموز (يوليو) 1990

غورباتشوف يأكل الحصرم...

والفنلنديون يضرسون

في الوقت الذي تنتشط الدولة في إسرائيل من أجل توطین المهاجرين من اليهود السوفيات نجد أنفسنا كعرب مذهولين من موقف إتخذته فنلندا في شأن مسألة المهاجرين هؤلاء.

ونجد أيضاً أنفسنا نتساءل: ما الذي يجعل دولة مثل فنلندا تزج نفسها في مسألة ليست لمصلحتها على الإطلاق وتقوم بدور عدائي للعرب من دون إستثناء؟

لقد وافقت فنلندا على أن تكون أراضيها نقطة عبور لأولئك المهاجرين. وفي ضوء ذلك فإن طائرات العال الإسرائيلية ستقوم بأربع رحلات أسبوعياً تنطلق من تل أبيب إلى فنلندا وتنقل المهاجرين اليهود الآتين من الإتحاد

السوفياتي. ومن المتوقع أن يصل عدد الذين سيتم نقلهم مع نهاية العام 1990 إلى 165 ألف يهودي.

وحدها من دون بقية الدول الأوروبية تفعل فنلندا ذلك وتضحي بسمعة طيبة لدى العرب عموماً. فالعرب لا يعرفون عن هذه الدولة سوى أنها الدولة الأوروبية العاقلة. والعرب يذكرون بالخير للرئيس الراحل كيكونين الذي لم يسجل في زمن الصراع الدولي موقفاً يمكن أن يسبب إزعاجاً للعرب. والدبلوماسية العربية تذكر بالخير أيضاً وزير الخارجية السابق بافو فارنن الذي تحرك ضمن قاعدة التوازن وأدرك دقة العلاقة الفنلندية - العربية.

وفي مرحلة من مراحل كانت فنلندا في نظر العرب الدولة التي يمكن أن تكون ساحة حوار فلسطيني - يهودي ينتهي إلى صيغة حل عاقل يساند الشرق والغرب.

لكن الذي حدث فجأة هو أن فنلندا إختارت أن تكون بدل ذلك شوكة في الخاصرة العربية فتوافق على أن تكون المحطة التي يتجمع فيها اليهود، وهذا أمر لم تفعله الدول الأوروبية الأقوى شأنًا بكثير من فنلندا، كما لم تفعله دول ذات توجه مشابه للتوجه الفنلندي وذات ظروف مشابهة إلى حد ما لظروف فنلندا مثل النمسا واليونان.

ولو كان للصهيونية تأثير على القرار الفنلندي وكانت هنالك جالية يهودية كبرى تتحكم بصانعي هذا القرار لكان من الممكن فهم دوافع الخطوة التي إتخذتها الحكومة الفنلندية. لكن اليهود غير مؤثرين على الإطلاق في فنلندا، بل إن هنالك بعض اليهود من أصل فنلندي يقيمون في دول أوروبية لهم شأن إقتصادي غير متوافر ليهود فنلندا. ولم يحدث أن وصل يهودي فنلندي إلى أكثر من منصب سفير ونعني به ماكس جاكسون الذي شغل منصب سفير فنلندا لدى الأمم المتحدة وهو أصلاً كاتب.

ويحтар المرء في تفسير الخطوة التي إتخذتها الحكومة الفنلندية.

هل إنها مسألة ناتجة عن مشاعر إنسانية وليس في تاريخ الدول، وبالذات التي تعتمد سياسة متوازنة، ما يشير إلى أن هذه الدول تضحي بطمأنينة شعوبها من أجل عمل إنساني.

وهل إنها نتيجة لعبة صراع داخلية وليس في فنلندا ما يشير إلى أن الصراعات وصلت إلى الحد الذي يمكن للحكومة الإقدام على خطوة هي في النهاية بمثابة لغم بين يدي أي من فقاء الصراع أكثر منها ورقة يربح من يضعها على الطاولة؟

وهل إنها نتيجة حسابات قائمة على الأرقام والعوائد المجزئة وذلك على أساس أن الرئيس الفنلندي كوفستو هو رجل إقتصاد أولاً وثانياً ثم رجل سياسة بعد ذلك؟

وهل إنها نتيجة أُلغاز لا يُقدّر على حلها سوى رئيس الحكومة هاري هولكري ووزير الخارجية باسيوي؟

إنها بالتأكيد نتيجة أمر أساسي قد يكون مزيجاً من الأمور التي أوردناها، وقد يكون هذا الأمر هو فقط بسبب ضغط هائل مارسه الزعيم السوفياتي غورباتشوف على المسؤولين الفنلنديين بحيث إنه جعل فنلندا بمثابة المشجب الذي يعلّق عليه أخطاء قرار إتخذه بالموافقة على هجرة اليهود من الإتحاد السوفياتي، أو بوصف آخر، بمثابة فلتر يخفف من ضيق العرب الشديد من الإتحاد السوفياتي مثلما يخفف الفلتر على المدخّن كمية النيكوتين. ولكن ماذا سيخفف الفلتر على المدخّن ما دامت الكمية في الأصل كثيرة الضرر، وماذا ستخفف الخطوة الفنلندية ما دام القرار السوفياتي أصلاً في شأن الهجرة هو بمثابة كارثة لحقت بالقضية الفلسطينية وبالعلاقات العربية - السوفياتية التاريخية.

وعندما نفترض وجود العنصر السوفياتي في الخطوة الفنلندية التي تقضي بجعل منطقة لبيرانتا، التي تبعد حوالي ثلاثمئة كيلومتر عن العاصمة هلسنكي وتبعد حوالي ثلاثين كيلومتراً عن المناطق المحاذية للحدود مع الإتحاد السوفياتي، نقطة تجمع للمهاجرين اليهود السوفيات، فعلى أساس أن الوطأة السوفياتية ما زالت شديدة على فنلندا. وخيراً فعل المسؤولون الفنلنديون عندما إستصلحوا مطاراً قديماً في المنطقة لكي تحط فيه طائرات أسطول "العال" الإسرائيلية التي ستنتقل عشرات الألوف من المهاجرين هؤلاء إلى تل أبيب لأنهم بذلك أبقوا على مطار هلسنكي بعيداً عن المخاطر والمشاكل.

والقول بأن الإتحاد السوفياتي هو وراء الخطوة الفنلندية يعود إلى أنه كان دائماً صاحب تأثير على القرار الفنلندي. وفي الماضي أيام حكم "قياصرة" الماركسية كان التأثير كبيراً. وبات هنالك إعتقاد بعد وصول غورباتشوف إلى الحُكم، ثم بعدما بدأ يعيد النظر في التوجه الماركسي، بأن التأثير السوفياتي على فنلندا سينحسر بحيث تملك هذه الدولة حرية إتخاذ القرار الذي يناسبها، لكن ذلك لم يحدث مع الأسف وبقيت فنلندا هي الدولة التي للإتحاد السوفياتي التأثير الكبير عليها، وإن كان هذا التأثير مستتراً. بل إن تأثير الإتحاد السوفياتي وفي ظل قيادة غورباتشوف على

فنلندا يشبهه في بعض جوانبه تأثير الحُكم السوري على لبنان.

وقد يكون إعتقاد فنلندا على النفط يأتيها من الإتحاد السوفياتي هو السبب، خصوصاً أن ديوناً كثيرة على فنلندا نشأت نتيجة عدم تسديد ثمن كميات النفط، كذلك قد يكون السبب مخاوفها التقليدية من أن لا يصيبها الذي أصاب أفغانستان ومن قبلها دولاً كثيرة في أوروبا.

وثمة من يتساءل: ولماذا لا تكون الإدارة الأميركية هي الجهة التي ضغطت على فنلندا. والرد على ذلك هو أنه عندما يكون في استطاعة هذه الإدارة الضغط على غورباتشوف نفسه، فلماذا لا تطلب منه شخصياً أن يضغط بدل أن تضغط وهي تترك في نفس المواطن الفنلندي شعوراً غير طيب على الإطلاق إزاء الولايات المتحدة لأنها ورطته في أمر لا يريده ومن شأنه أن يقض مضاجعه ويشكك في حياده.

يبقى أننا عندما نكتب ذلك نتمنى على الحكومة في فنلندا أن تأخذ في الإعتبار أن الخطوة التي أقدمت عليها ليست ودية على الإطلاق ولن يخفف من خطورتها أن تقول الحكومة إن إسرائيل تعهدت لها بأن المهاجرين لن يستوطنوا في الأراضي المحتلة.

وقبل أن يصدر التي هذا التعهد قال المسؤولون السوفييات كلاماً مماثلاً ولم يصدق أحد. وإذا كنا كعرب لم نستقبل كلام الحكومة السوفياتية بمصادقية، فكيف نستقبل كلام الحكومة الفنلندية؟

ثم إن إسرائيل التي لا تحترم قرارات الأمم المتحدة وترفض كل مشاريع السلام، كيف ستحترم التقيد بأن لا يتم توطين المهاجرين اليهود السوفييات في الأراضي المحتلة. وبعد أن يصل هؤلاء إلى تل أبيب، هل ستكون هناك رقابة سوفياتية أو فنلندية على توطين هؤلاء، وهل سيتولى الطرفان إعادة حوالي مليون مهاجر إلى حيث أتوا؟

وعندما نقول إن هذه الخطوة غير ودية، ما هو المطلوب من فنلندا؟

إن تجميد عملية التسفير مسألة ضرورية جداً، وضروري أيضاً التشاور في شأنها مع الرئيس ياسر عرفات في الدرجة الأولى ومع أطراف عربية أخرى تربطها بفنلندا أواصر الصداقة، مثل الملك حسين الذي قام بزيارة إليها، ومثل المغرب الذي يستفيد من عوائد السياحة الفنلندية ومصر التي تستفيد من بعض التسهيلات الاقتصادية الفنلندية، علماً بأن هذه التسهيلات لا تتجاوز

المئة مليون مارك فنلندي سنوياً أي ما يساوي 25 مليون دولار.

ولكن التشاور مع الرئيس ياسر عرفات هو الأهم خصوصاً أن الرئيس الفلسطيني يذكر بالخير الزيارة التي سبق أن قام بها إلى فنلندا وعومل خلالها وكأنه رئيس دولة كبرى.

والتشاور مهم جداً لأن هناك عناصر كثيرة داخل الصف الفلسطيني ترى أن كل مهاجر سيأتي إلى فلسطين معناه أن عائلة عربية سيتم طردها من أرضها. كما أن هنالك الاتجاه العربي التي تمت بلورة ملامحه في القمة العربية الإستثنائية التي جرى عقدها قبل شهرين في بغداد، والذي يرى أن مسألة المهاجرين اليهود الآتين من الإتحاد السوفياتي سيكون بمثابة سهم حاد يتم توجيهه إلى الأمن القومي بل وإلى المصير العربي.

وتكراراً إن الرئيس غورباتشوف أكل الحصرم عندما جعل من فنلندا الحلقة الأكثر ضعفاً أمام الدب الروسي وجعل الفنلنديين يضرسون.

وما زال أمام الحكومة الفنلندية أن تؤكد حُسن النية وبحيث لا يعود من السهل التمييز بين الشر والخير.

هذا بالنسبة إلى فنلندا، أما بالنسبة إلى الأخوة الفلسطينيين فإن المرء يجد نفسه يتمنى عليهم الأخذ في الإعتبار أن فنلندا دولة تفهمت ظروف قضايانا وأهملناها كثيراً في الماضي فلم تشملها الإستثمارات العربية، وكان ذلك من الأخطاء الفادحة. كذلك يجد المرء نفسه يتمنى للأخوة الفلسطينيين الكثير من التعقل وترك الطرف الإسرائيلي يرتكب الحماقات بدلاً من عمل غير محسوب يقدم عليه أحدهم فلا يعود الرأي العام الفنلندي متحفظاً على حكومته لأنها وافقت على أن تكون طرفاً في عملية غير نظيفة فضلاً عن أنها قد تكون خطيرة وتحمل في طياتها الأذى البالغ للمواطنين الفنلنديين الذين لا يريدون للتوازن أن يتأثر ولا لظاهرة العنف أن تطرق أبواب بلادهم. وعندما نرى أن الفنلنديين ينتابهم القلق من عمليات إستعراضية تجري في الإتحاد السوفياتي وتستهدف الطائرات الروسية على الخطوط الداخلية، نتساءل: كيف سيكون حالهم إذا إستفاقوا ذات يوم على أعمال أكثر حدة وأكثر أذى؟

إنهم لن يكونوا ممتنين ولا راضين على الإطلاق؟

ووحدها حكومتهم هي حتى إشعار آخر، السبب.

ومثلاً أن حكومتهم هي وحدها السبب، فإنها وحدها

القادرة على أن تحاصر حريقاً لن يكون من السهل إطفائه إذا هو إندلع، خصوصاً إذا لم يعد الرئيس عرفات من زيارة سيقوم بها قريباً إلى موسكو وهو ممتن.

وعلى رغم كل المفاجآت والتطورات التي تحدثت في الإتحاد السوفياتي فإن الرئيس غورباتشوف ما زال قادراً على أن يجعل زواره، وبالذات رموز القضايا العالقة مثل القضية الفلسطينية، ممتنين.

مجلة "التضامن". لندن - 16 تموز (يوليو) 1990

* * *

الطبخ على نار هادئة: من أميركا

والصين إلى العراق وإيران

لم يعد اللقاء العراقي - الإيراني بعيداً. وفي أي لحظة يمكن أن تبث وسائل الإعلام الدولية النبأ الذي ينتظره العالم وهو أن الرئيسين صدام حسين وهاشمي رفسنجاني إلتقيا وتصافحا وتحادثا في صيغة وفاق قابل للتطور ومن شأنه أن يساعد على إزالة بعض الندوب الناشئة عن جروح الحرب وما أكثرها.

وقبل أن تصدر المؤشرات التي توحى بأن اللقاء سيتم كان هنالك إعتقاد لدى البعض بأن مثل هذا اللقاء لن يتم. ومن هنا أهمية أسلوب التهيئة الذي تم إعتماده لتذليل العقبات وتقريب المسافات التي تفصل بين نقطة اللقاء.

وهذا الأسلوب هو حسب التعبير التقليدي (الطبخ على نار هادئة). ولقد نجح الذي أخذ على عاتقه الأمر في إنجاز الكثير وبدا أسلوبه هذا مثل الأسلوب الذي تم إعتماده لتحقيق الوفاق الأميركي - الصيني. وعندما نتذكر ردود الفعل الصينية، قبل أن تتحقق الخطوة الأولى عن طريق ذلك الوفاق، يتضح لنا أن الرفض والعناد كانا يتحكمان بعقلية أهل الحُكم الصيني، وهما العاملان نفسهما، اللذان يتحكمان بعقلية الحُكم الإيراني. كذلك إنه كان يتحكم بعقلية أهل القرار في الصين الإعتقاد الراسخ، نتيجة إيديولوجية غير واقعية، بأن الولايات المتحدة لا تخيف أحداً وأنها مجرد نمر من ورق. وهذا الإعتقاد كان سائداً تجاه الحُكم العراقي لدى عدد كبير من آيات الله الذين يمسكون بزمام الحُكم في إيران، وإن كان هذا

الإعتقاد بدأ يهتز في ضوء النتائج الفعلية للحرب لمصلحة العراق.

ومثلما أن الصين أضاعت بسبب هذا الإعتقاد، وكذلك بسبب الرفض والعناد، سنوات كان في إستطاعتها تحقيق إستفادة كبرى منها، فإن الحُكم الإيراني أضاع الشيء نفسه.

وقد يظن البعض أن الطبخ على نار هادئة مسألة بسيطة ولكنها ليست كذلك على الإطلاق. فهي تحتاج إلى طول البال وتحتاج إلى الحذقة في التعامل وبالذات في مسألة المخاطبة. والأهم من هذا كله أنها تتطلب بعض التضحية.

ومن المؤكد أن الطبخ على نار هادئة مضمون النتائج لأنه يتيح المجال أمام بعض التعديلات وبحيث يكون كل طرف مرتاحاً ومطمئناً وواقفاً من كل الخطوات.

واللافت للإنتباه أن هنالك ما يشبه الصمت إزاء موضوع اللقاء العراقي - الإيراني المرتقب. كما أن التصريحات قليلة في هذا الشأن. وهذا صحيح. إلا أن طائرات عراقية تنقل المساعدات الطبية إلى إيران مساهمة في إنقاذ جرحى الزلازل إنما هو أمر أكثر بلاغة من أي تصريح. كما أن جرس الرئيس صدام على أن يرفق عبارة "السيد رئيس الجمهورية" بإسم الرئيس رفسنجاني عند الإشارة إليه في حديث صحفي هو تأكيد على الرغبة في إزالة الحواجز النفسية. ولا يحتاج العراق إلى الرد على المساعدة الطبية بالمثل. إلا أن هبوط طائرات إيرانية تنقل الأسرى العراقيين من شأنه أن يعزز مسألة إزالة الحواجز النفسية. وهنا الفرق بين القائد القادر على أن يبادر والحاكم الذي يكتر من الحسابات والتحفظات.

وقبل أن تقلّ برقية المواساة التي بعث بها الرئيس صدام إلى الرئيس رفسنجاني، لمناسبة كارثة الزلازل، ويُتبع ذلك بإرسال طائرات تنقل المساعدات الطبية، من جفاف الموقف بين البلدين كانت هنالك خشية بأن يتواصل الجفاف إلى ما لا نهاية. وجاءت مبادرة الرئيس حسين لتشجيع الآمال في النفوس. ثم جاء رد الرئيس رفسنجاني على المبادرة ضمن قاعدة الرد على التحية بمثلها، وتمثل ذلك بإيعاز إلى وزير خارجيته لكي يتبدل أسلوب التفاوض. ومن هنا كانت المصافحة بالأيدي في جنيف بعدما كان الجانبان يتحاشيان قبل ذلك حتى لقاء العيون بالمصادفة.

وتكراراً إننا نجد أنفسنا ونحن نتابع ما تم إنجازه بين

العراق وإيران، بعدما بدأ أسلوب الطبخ على نار هادئة بعيداً عن الأضواء، نتذكر الأسلوب المماثل الذي تم إعتماده في المرحلة التي سبقت الوفاق الأميركي - الصيني.

والأهم من هذا كله أنه لا مجال للخشية بعد الآن من عدم حدوث الانفراج بين العراق وإيران.

إن هذا الانفراج سيحدث. هنالك وفاق سيتطور نحو الأحسن. ومن حق البعض أن يخافوا لو أن ذلك تم بسرعة، لكن ما دام الأمر يتم برفق فهذا مدعاة للطمأنينة. ذلك أن الأسلوب الذي تم إعتماده كان يستند إلى قاعدة الطبخ على نار هادئة.

ومن أصول هذه القاعدة أن تأخذ الأمور وقتها من أجل أن تكون النتيجة إتفاقاً له مذاقه الذي يذهب مثلاً، ويحقق إستقراراً وإزدهاراً كبيرين.

وما بين الولايات المتحدة والصين دليل على ذلك، أو على بعضه.

مجلة "النضامن". لندن - 23 تموز (يوليو) 1990

* * *

كي لا يستمر خوف الكويت

ولا تتزايد حاجة العراق

ما حدث بين العراق والكويت ليس الخلاف الأول الذي يحدث بين دولتين عربييتين. كما أنه لن يكون الخلاف الأخير.

وهذا الخلاف ليس الخلاف الوحيد الذي أفرزته الحرب العراقية - الإيرانية. فقبل هذه الحرب كانت هنالك خلافات عربية - عربية كثيرة. وخلال سنوات الحرب كانت هنالك أيضاً خلافات عربية - عربية. وإستناداً إلى هذه الحقيقة البديهية فإن الخلافات موجودة في إستمرار لكن الذي يستجد هو أنها تتفجر أو تطفو على السطح.

ومن الطبيعي أنه كلما حدث إنجاز عربي مهم تتسارع محاولات ضربه من جانب القوى التي لا تتحمل أن يكون هنالك تفاهم بين الدول العربية مثل ذلك التفاهم الذي ظهر في القمة العربية الإستثنائية التي جرى عقدها في بغداد.

وقبل أن يحدث الخلاف العراقي - الكويتي حدث الخلاف

العراقي - المصري وقيل في شأن هذا الخلاف، عبر وسائل الإعلام، كلام في منتهى القساوة، لكن أمكن تجاوز ذلك بفضل الواقعية وبفضل توافر عوامل الثقة.

وبالنسبة إلى الخلاف العراقي - الكويتي فإن علاجه ليس بذلك الأمر المستعصي إذا كانت النظرة الواقعية للأمور هي السائدة لدى الطرفين.

وهذا يحتاج إلى وقفة يمكن القول فيها إنه ليس من مصلحة العراق أن تكون الكويت خائفة وليس من مصلحة الكويت أن يكون العراق محتاجاً إلى المال وإلى منفذ على البحر.

وبالنسبة إلى المسألة المالية يجد المرء نفسه يتساءل: هل أن إستمرار الدينار العراقي على السعر المتدني الذي هو عليه والتشاؤم بأن الدينار الكويتي يساوي عشرة دنانير عراقية، هو أمر لا تجب معالجته على الفور ولا يستدعي تضافر جهود الأشقاء المقترنين؟

والرد على ذلك هو أن المعالجة الضرورية ليس بمنطق أهل الخبرة المالية والإستثمارية وإنما بمنطق أهل القرار الذين ينظرون بعيداً. وفي إستطاعة بعض الدوائع أن تجعل المعادلة تتبدل وبذلك لا يعود الحُكم في العراق مهتماً ومهموماً بتأمين متطلبات الحد الأدنى التي تكون أحياناً أدوية للأطفال أو حليباً لهم أو تسديداً لفوائد قروض.

أما بالنسبة إلى مسألة المنفذ على البحر فإن تجاوز هاجس السيادة ممكن، والتعامل مع المسألة بمثل التعامل مع خط الأنابيب الذي ينقل نفطاً للعراق يصب في هذا الشاطئ العربي أو ذاك ممكن أيضاً.

ومثلما أن الوجود في المنفذ البحري حالة إستراتيجية فإن النفط في تلك الأنابيب حالة إستراتيجية أيضاً. وكما أن ذلك الأمر مقبول فإن أمر المنفذ البحري ليس مستعصياً.

وقبل أن يأخذ العراق على عاتقه أمر التصدي لإسرائيل كان ربما للمنفذ البحري أن يكون مسألة خاضعة للنقاش ومن الممكن التريث فيها وتأجيلها. لكن بعدما تبلور الدور العراقي في أعقاب إنذار 2 نيسان/ أبريل 1990 بات المنفذ أمراً ملحاً. وحسب هذه المسألة ممكن ما دام هنالك تسليم لفظي

وواقعي بأن العراق حارب بإسم العرب وكان سيُفهم الحاسم في الحرب التي سالت فيها دماء عزيزة. وعندما يكون العراق حارب نيابة عن الأمة ومن أجلها ودفاعاً عن عروبة الخليج فإن تعامل اللياقات لا يكفي للتعبير عن المساندة.

ويبقى أن بداية الخلاف العراقي - الكويتي كانت مدعاة للطمأنينة على أساس أنه تم وُضع الأمر بين يدي الجامعة

مبارك بين صديقين فاجأه خلافهما ومصر في دور غابت عنه عشرين سنة

لمجرد أن طُويت الورقة الأخيرة من أوراق العلاقات العربية العالقة مع مصر بزيارة الرئيس السوري حافظ الأسد إلى الإسكندرية وعقده محادثات في العمق مع الرئيس حسني مبارك، بدأت مصر دوراً عربياً كانت غائبة عنه منذ عشرين سنة.

ونقول ذلك على أساس أن آخر عملية توفيق مصرية بين طرفين عربيين كانت حدثت في أيلول/سبتمبر 1970 وتمثلت بالجهد الذي بذله الرئيس جمال عبد الناصر والذي بدأ بإتصالات مكثفة قامت بها الحلقات الأدنى ثم إنتهى بالقمة الشهيرة التي تم عقدها في فندق هيلتون بالقاهرة وشارك فيها طرفا النزاع وهما المقاومة الفلسطينية والملك حسين.

ومنذ ذلك التاريخ لم تقم مصر بأي عملية توفيق لأنها إنشغلت في ترتيب أمورها الداخلية بعد وفاة عبد الناصر في اليوم الأخير لتلك القمة، ثم جاءت إجتهاادات السلام التي إفترض الرئيس أنور السادات أنها ستخلص مصر من مشاكلها وستجعل الراية معقودة لها. ثم تبين أن هذه الإجتهاادات ليست دقيقة لأن الذي حدث هو العكس حيث أن المشاكل الكثيرة إستمرت على حالها كما أن الراية تبعاً لذلك لم تتعد لمصر.

ولقد حدث ما هو أدهى وأمر حيث أن مصر، التي كانت المقصد للباحثين عن صيغة من إبتكارها للتوفيق، بدأت تسعى من أجل أن تزيل المقاطعة التي إتخذتها الدول العربية بأكثريتها الساحقة رداً على معاهدة كامب ديفيد التي أبرمها الرئيس السادات مع إسرائيل برعاية الولايات المتحدة. وفي هذا السبيل خاض الرئيس حسني مبارك معركة سياسية لا مثيل لها وتحمل الكثير، إلا أن الرئيس المصري مضى إلى النهاية وإستطاع أن يفك حلقات المقاطعة حلقة بعد حلقة إلى أن كانت الحلقة الأخيرة التي تمثلت بزيارة الرئيس الأسد إلى مصر وعقد محادثات في أجواء بدا فيها الرئيس السوري وكأنما سيعلم الوحدة مع مصر ويزيل آثار المشاعر المستأصلة في نفوس المصريين من تجربة الانفصال التي أنزلت مصر من القمة إلى السفح.

وربما لا يعرف كثيرون أن الرئيس مبارك هو أول حاكم

العربية، وهذا معناه أن شأن هذه المنظمة سيزداد، وأن العرب أدركوا بقضاياهم وأكثر حرصاً على حل مشاكلهم. لكن إقحام الأمم المتحدة في الأمر أحدث إنطباعاً بأن الكويت أكثر خوفاً وأكثر قلقاً وهو ما يمكن معالجته بالواقعية التي لا بد منها.

يبقى أيضاً أن الخلاف العراقي - الكويتي إذا كان لن يتم حله بالواقعية وعلى أساس الإحتكام إلى الوجدان فإنه لن يجد حلاً على الإطلاق. وثمة نقطة أساسية وهي أن العالم العربي تَوَزَع في أكثرية دوله على ثلاثة تجمعات أساسها الواقعية وهي مجلس التعاون الخليجي ومجلس التعاون العربي والإتحاد المغربي. والعلاقات التي تربط كلاً من العراق والكويت بكل دول هذه التجمعات عميقة وعضوية. وعندما سارع معظم هؤلاء للتوفيق بين العراق والكويت على أساس طبيعة تلك العلاقات. وعلى سبيل المثال لا الحصر إن العراق ومصر والأردن واليمن تنتسب إلى مجلس التعاون العربي لكن العلاقة التي بين مصر والكويت تساوي في عمقها العلاقة بين مصر والعراق. كذلك إن الكويت تنتمي إلى مجلس التعاون الخليجي لكن العلاقة التي بين المملكة العربية السعودية والعراق بالغة الأهمية. ومثلما أن علاقات طيبة تربط دول الإتحاد المغاربي بالكويت فإن بين هذه الدول والعراق علاقات وثيقة جداً.. وهكذا.

وما دام القاسم المشترك للتجمعات الثلاثة هو الواقعية فإن ما يمكن توقُّعه هو المسعى المتعدد القنوات الذي يقوم على النظرة الواقعية.

وللمرة الأولى في تاريخ العلاقات العربية سيكون هنالك إختبار للإخلاص في السعي من أجل ألا يتحول خلاف، ما زال من الممكن معالجته، إلى وضْع عالق يضاف إلى الأوضاع العالقة التي لا يبدو أن حلها متيسر.

وللمرة الأولى في تاريخ هذه العلاقات أيضاً يجوز القول إن هذه الأزمة التي بدأت بتصعيد ولم تنترج نحو التصعيد، قد يكون الهدف الأبعد لها هو حلها بشكل نهائي على أساس أن العراق مقبل على مرحلة جديدة قوامها دستور مرن وتعددية متدرجة وإنتخابات رئاسية، وإن الرئيس صدام حسين لا يريد أن يعكر صفاء هذه المرحلة أي موضوع عالق مثل موضوع الحدود، حتى إذا تطلَّب الأمر وضْعه بين أيدي محكمة العدل الدولية.

مجلة "التضامن". لندن - 30 تموز (يوليو) 1990

* * *

عربي يزور كل الدول العربية من دون إستثناء. ولعل من محاسن القطيعة أن حاكم الدولة العربية الأولى لم يترك عاصمة عربية إلا وزارها وليس هنالك من فعل ذلك سوى الرئيس ياسر عرفات يليه الملك حسين، هذا مع الأخذ في الاعتبار أن زيارات الرئيس مبارك تمت في فترة زمنية قصيرة.

وقد يكون الرئيس مبارك توقع حدوث خلافات كثيرة إلا أنه أغلب الظن لم يتوقع أن يحدث الخلاف بين طرفين تربطهما بمصر علاقة متميزة.

فالعراق شريك مصر في مجلس التعاون العربي فضلاً عن أن الرئيس صدام حسين تصدّر، وفي اللحظات الصعبة، عملية إعادة العلاقات من جانب الصف الثوري مع مصر وإستكمال ذلك بإستعادة مصر عضويتها في الجامعة العربية ثم بعودة الجامعة إلى القاهرة، وكل ذلك من خلال عدة عوامل لعل إنتساب مصر إلى مجلس التعاون العربي هو أحد أهم هذه العوامل.

وما بين الكويت ومصر يتجاوز بكثير العلاقات التقليدية. وبدا ذلك واضحاً منذ أن دشّن الرئيس حسني مبارك عودة الحضور الفعال لمصر في الدول الإسلامية بمشاركته في مؤتمر القمة الإسلامية الذي جرى عقده في الكويت وتعامل المسؤولين الكويتيون مع الرئيس مبارك وكأنما ذاك المؤتمر هو مؤتمر إنطلاق مصر العربية في الأجواء الإسلامية بعدما كان قرار المقاطعة العربية بمثابة القيد الكثير الوطأة عليها. بل إن هنالك بعض المؤشرات بأن لمصر مسؤولية أمنية ملقاة على عاتقها إزاء الكويت.

وعندما تكون هذه حالة العلاقة التي تربط بين مصر وكل من العراق والكويت يصبح من الطبيعي تصور حجم مفاجأة الرئيس مبارك عندما بلغه نبأ التوتر في العلاقة العراقية - الكويتية، ويصبح من الطبيعي أن يبادر إلى القيام بمسعى للتوفيق، سواء طلب منه أحد الطرفين ذلك أم لم يطلب. أما إذا لا قدر الله لم يتوصل الطرفان إلى الحل الوفاقي وحدث تطور دراماتيكي فإن هول المفاجأة سيكون أمراً لا ندري كيف سيعالجه الرئيس مبارك. ومن هنا فإن سرعة تحركه ومتابعته الدؤوبة للخلاف العراقي - الكويتي ثم التوصل إلى صيغة توفيقية متوازنة كانت بمثابة محاولة مبكرة منه لإبعاد ذلك الخلاف عن خطر الانفجار الكبير.

وصحيح أن الرئيس مبارك إكتسب خلال خمس سنوات خبرة في مسألة الخلافات العربية والتعامل مع أمزجة

أطرافها، حيث ليس هنالك مزاج يشبه المزاج الآخر، إلا أن الخلاف العراقي - الكويتي مسألة مختلفة تماماً وهو الأول من نوعه في تاريخ الخلافات.

وقبل أن يسمع العالم العربي ودول العالم المهمة بمنطقة الخليج، وتعتبر نفسها معنية في شكل أو آخر بالخلاف العراقي - الكويتي، بأن الرئيس مبارك أخذ على عاتقه القيام بالمسعى التوفيق، كان التوقع بأن يتولى هذه المهمة الرئيس ياسر عرفات، لكن ذلك لم يحدث وبقي الرئيس الفلسطيني بذلك جاهزاً لدور يعزز به مهمة الرئيس مبارك.

ولقد حدث نوع من الإطمئنان لتولي الرئيس مبارك هذه المهمة الوفاقية وذلك لأنه الأدرى بما تفعله الحرب للدولة التي تخوضها بعد تجربتين بالغتي المرارة عاشتها مصر في أعقاب حرب 1967 ثم حرب 1973، ولأنه أيضاً الأدرى بالعبء الذي تلقاه الديون وندرة العملة الصعبة وتدني قيمة العملة المحلية على رئيس الدولة، وهي أمور حملت الرئيس صدام حسين، لمجرد أن حدث سوء تفهم لخطورة زيادة الإنتاج وتدني الأسعار، أن يطرح على بساط البحث أموراً كانت حبيسة الصدور ومن شأن عدم حسنها حصول تطورات دراماتيكية لا يعود في حال حدوثها من السهل على أي طرف يقوم بمسعى للتوفيق أن ينجح في مسعاه حتى إذا كان هذا الطرف هو الرئيس حسني مبارك.

ويبقى أننا نكتب هذه الكلمات يوم السبت (1990/7/28) أي اليوم الذي كان متفقاً على أن ينعقد فيه لقاء جده بين وليّ عهد الكويت رئيس الوزراء الشيخ سعد العبد الله ونائب رئيس مجلس قيادة الثورة في العراق عزت إبراهيم على أن يعقب هذا اللقاء إجتماع مشترك في بغداد. لكن لقاء جده لم يتم في اليوم المحدد وحدث نوع من التعثر أعقبه إنفراج وإنعقاد لقاء جده. ومنذ ذلك اليوم وحتى صدور هذا العدد كانت التطورات تتلاحق وكانت التمنيات تتواصل بأن تكون المرونة بمفهوم موحّد هي القاسم المشترك لخلاف هو الأهم في تاريخ الخلافات العربية والذي يسبق ثلاث قمم بالغة الأهمية ستعقد خلال الأشهر الأربعة المقبلة وهي قمة دول مجلس التعاون العربي ثم القمة العربية في القاهرة ثم القمة الخليجية بعد ذلك. أما المفهوم الموحّد للمرونة فهو عدم إعتبار المسائرة تراجعاً، وهذا نقوله للإخوة في العراق، وعدم إعتبار التجاوب تنازلاً عن السيادة، وهذا نقوله للإخوة في الكويت.

وفي هذه القمم سيكون الخلاف العراقي - الكويتي أو

ذيلوله هو المادة الأولى والأهم في جدول الأعمال إلا إذا حدث تطوير للدور الذي يقوم به الرئيس مبارك بحيث تتجاوز الأزمة العراقية - الكويتية نقطة الخطر ولا يعود الرئيس مبارك منذ أن بدأت الأزمة العراقية - الكويتية قلبه لحظة على الكويت ولحظة على العراق وذلك للظروف الموضوعية التي أوردناها.

مجلة "التضامن". لندن - 6 آب (أغسطس) 1990

* * *

الزلزال الثاني في الخليج

بضع لحظات من التفهم والواقعية كان يمكن أن تحول دون حدوث هذا الذي حدث بين العراق والكويت. والتفهم ليس فقط لم يحدث وإنما حل محله ما يجوز إعتبره التمسك بأمور لم تعد جزءاً من قاموس التعامل السياسي بعد التطورات التي شهدها العالم في الأشهر القليلة الماضية.

كذلك فإن الواقعية ليس فقط لم يتم إعتمادها وإنما حل محلها ما يجوز إعتبره التمسك بطقوس تقليدية في مجال العمل السياسي. وإستناداً إلى التطورات التي شهدها العالم في الأشهر القليلة الماضية فإن هذه الطقوس باتت صفحة من تاريخ تم طيها وإنتهى الأمر.

وعند التأمل في هذا الذي حدث بين العراق والكويت ثم العودة إلى التصريحات والمسااعي الحميدة التي سبقت لحظة إنفجار الموقف يتبين لنا أن قراءة متأنية لما بين سطور تلك التصريحات كانت كافية للتأكد من أن عنصر الوقت بالغ الأهمية، وإن ما طرحه العراق كان من المسائل التي لا تتحمل الكثير من الأخذ والرد لأسباب موضوعية. كما أنها لا تتحمل العمل وفق الأسلوب السياسي التقليدي وهو العودة إلى الحكومة للمزيد من المناقشة أو طلب التأجيل في إنتظار توافر بعض الوثائق والملفات.

وعند التأمل أيضاً يتبين لنا كم أن فرصاً كثيرة ضاعت، وكيف أن التعامل مع تلك المسااعي التي حدثت وإستهدفت إحتواء الخلاف بالكثير من التفهم والواقعية كان من شأنه أن يوفر على الأمة الكثير من الجراح والنزف. ونقول ذلك مع الأخذ في الإعتبار أن ما بين العراق والكويت ليس بذلك الأمر المستعصي شرط عدم إعتبار التفهم والمرونة والمنهج

الواقعي في التعامل من الأمور التي تنتقص من السيادة. ولقد توقّعنا إزاء هذه الهجمة الدولية على التعاطي مع الخلاف العراقي - الكويتي أن تحدث مبادرة إسلامية لكن مثل هذا الأمر لم يحدث لسبب لا يدري به أحد. كذلك توقّعنا أن تتنادى المجالس العربية الثلاثة ومجلس التعاون العربي والإتحاد المغاربي إلى القيام بمبادرة مشتركة ليس بين العراق والكويت وإنما لدى دول العالم التي إنتفضت من أجل حالة إستجدت لا يهتمها فيها سوى النفط والإستثمارات والأرصدة والعودة إلى المنطقة من أوسع باب لوضع اليد عليها. ولو حدثت هذه المبادرة وقال وفد مشترك من هذه المجالس إن ما حدث بين العراق والكويت يمكن حله في إطار العلاقة العربية لكان هذا الضجيج الدولي توقّف عند حده. هذا مع الأخذ في الإعتبار أنه عندما يكون الخلاف بين دولتين واحدة (أي الكويت) سلاحها تيسير أمور النفط وتوظيف جزء من عوائده في الولايات المتحدة واليابان والدول الأوروبية، وأخرى (أي العراق) خارجة من حرب إستقادات الكثير من تجربة سنواتها المرة وي طرح قائدها نهجاً جديداً لما يجب أن يكون عليه التعامل الدولي مع العرب، فمن الطبيعي أن تقف هذه الدول ضد الدولة التي لا تريحها، هذا فضلاً عن أن الرئيس صدام حسين يتصدى للواقع الجديد الذي أفرزه الوفاق الدولي وأقول نجم الإتحاد السوفياتي كدولة كبرى واحدة تتفرد بحكم العالم هي الولايات المتحدة.

وإلى ذلك إن الرئيس صدام حسين منذ أن وجّه الإنذار الأخير يوم 2 نيسان/ أبريل 1990 والذي أعلن فيه أن العراق يمتلك السلاح الإستراتيجي (الكيميائي المزدوج) وهو موضع إنشغال بال الدولة الأولى ثم الدولة الحليفة لها. وزاد إنشغال البال عندما عطل أي محاولة عدوان إسرائيلية على بلد عربي، ثم عندما وضع بصيغة الهدف أمر إستعادة فلسطين. وفي هذا الصدد من المهم الإشارة إلى أن الولايات المتحدة ودول العالم التي تقف على يمينها وعلى يسارها لم تتخذ مثل هذا الموقف الذي إتخذته منذ أيام في أعقاب بداية التدخل العسكري العراقي في الكويت، عندما قامت إسرائيل بأبشع عملية غزو للبنان، ربما لأن لبنان لا يمتلك نفطاً ولا يملك أرسدة وتوظيفات في الولايات المتحدة والدول الأوروبية. بل قد يجوز القول إنها وجدت في غزوه من جانب لبنان ما يشفي الغليل وذلك لأن لبنان كان هو في حد ذاته المكان المناسب الذي يجذب الإستثمارات العربية التي لا تريد الولايات المتحدة والدول الأوروبية أن تكون في غير مصارفها وفي غير أراضيها عموماً.

الوسط. وهذه المسألة هي أن الصفة الرسمية للحكومة التي تم الإعلان عنها في الكويت هي "مؤقتة" وأنها لم تطرح أهدافاً ثورية باستثناء كلمة "حرة" التي ترد كثيراً في مطارحات المعارضة الكويتية والتي ردها أقطاب هذه المعارضة كثيراً في الدواوين خلال فترة المواجهة التي سبقت التوصل إلى صيغة "المجلس الوطني" من خلال إنتخابات قاطعها نصف الكويتيين. وخلو بيانات وتصريحات الذين يتولون زمام الأمور في الكويت من شأنه أن يبعث على بعض الإطمئنان في النفس الخليجية، فضلاً عن أنه يترك الباب مفتوحاً أمام صيغة حل وسط له صفة الإتحاد الوطني والشمولي خصوصاً أن هناك قبولاً بالشيخ سعد العبدالله الذي يمكن أن يكون رمز مرحلة مقبلة تتحمل المشاركة وتكون الواقعية أساسها.

إن القول بأن الذي حدث بين الكويت والعراق هو الزلزال الثاني في الخليج يفرض على القادة العرب مسؤولية جسيمة، خصوصاً أن الحال وصلت بالرئيس الأميركي جورج بوش إلى أن ينتقد مواقف بعض القادة وكأنما هو الراعي وهم الرعية. وما فعله الرئيس صدام حسين هو إعتراض أو بداية الإعتراض على هذا المفهوم غير المقبول.

ولم يحدث من قبل ولا حتى في أيام الزلزال الأول أن إتخذ الغرب هذا الموقف الذي يقوده الرئيس بوش. ولم يحدث أيضاً أن تعاملت وسائل الإعلام الأجنبية بالطريقة التي تتعامل بها مع الزلزال الثاني.

ومن المؤكد أن هذا الموقف وذلك التعامل لم يكونا من أجل المصلحة العربية وإنما لأن خروج الرئيس صدام حسين من المواجهة الجديدة معافى وبنسبة خروجه معافى من أشرس حرب في التاريخ الحديث معناه أن العرب سيكونون، وللمرة الأولى، شركاء في صناعة القرارات الكبرى بما يخص المنطقة من المحيط إلى الخليج.

مجلة "التضامن". لندن - 13 آب (أغسطس) 1990

فرصة ربما لم تتكرر

في الوقت الذي كانت فيه حلقات تأييد الرأي العام العربي للنهج الذي يعتمده الرئيس صدام حسين في تعاطيه مع التطورات الراهنة تتزايد، وكانت المخاوف من انفجار

ويبقى أن التعمق في أمر هذا الذي حدث بين العراق والكويت يؤكد بأن مسؤولية ذلك دولية وعربية. وهذا الذي حدث لا يعود إلى سبب واحد وإنما هو مجموعة أسباب نشأت عن تراكمات لعل أهمها على الإطلاق هو الظلم التاريخي اللاحق بالعرب ثم عدم الإستيعاب الموضوعي للحرب العراقية - الإيرانية فضلاً عن تقاطع كثير الحدة في المفاهيم لمسألة الثروة وهل هي لتوظيفها من أجل إزالة الظلم التاريخي أم لمضاعفة الأرقام والعوائد في رقعة مزدهرة محاطة بجزائر من نار من الحرمان وتلال من التراكمات التي تتحمل سببها في الدرجة الأولى القوى التي يطلب البعض تدخلها، من دون أن يأخذوا في الإعتبار أن هذه القوى لا يمكن أن تكون سوى الخصم وليس النصير على الإطلاق. وأياً كانت الظروف فإن طلب النجدة من هذه القوى ليس حلاً وليس مقنعاً. فالأميركان هم أبناء العم سام وليسوا من عشائر الخليج وليسوا هم "بنو قحطان" أو "بنو عدنان" وعلى سبيل المثال لا الحصر إنه في أقصى الظروف التي واجهها العراق في حربه مع إيران لم يطلب النجدة من الأجانب وإنما بقي حتى اللحظة الأخيرة يرى أن الإتكال على أبناء العمومة هو الإتكال الصحيح لعدة أسباب، من بينها أن ما يمكن أن يبعثه أبناء العمومة والجلدة الواحدة مع بعضهم لا يجوز بحثه مع الأجنبي. فضلاً عن أن العربي هو الأكثر دراية من الأجنبي بمشاعر العربي وبواجباته نحوه.

يبقى أيضاً أن هذا الذي حدث بين العراق والكويت هو، إذا جاز التوصيف الزلزال الثاني في الخليج بعد الزلزال الأول الذي حدث عندما قامت الثورة في إيران. وفي إطار الواقعية التي لا بد منها هناك ضرورة للتبصر في أمر التعامل مع واقع جديد في الكويت وذلك خشية أن تكون الإستهانة بهذا الواقع سبباً في حدوث تطورات درامية، خصوصاً أن رموز هذا الواقع هم مجموعة ضباط من النوع التي إرتبطت رتبهم بحركات التغيير في العالم العربي بدءاً من ضباط الثورة المصرية... ثورة 23 يوليو 1952 مروراً بضباط الثورة في العراق وضباط ثورة 25 مايو 1969 في السودان وضباط الفاتح من سبتمبر... وهكذا.

والخشية من حدوث التطورات الدرامية سببها أن هؤلاء الضباط لوّحوا بورقة الأجانب الموجودين في الكويت، وقالوا ما معناه، إنهم لن يكونوا في مأمن إذا تعرضت الكويت التي يحكمونها وتعرض العراق الدولة التي تدعمهم للأذى.

وثمة مسألة لافتة للإنتباه وهي بمثابة نقطة يكون الإستفادة منها وتوظيفها لمصلحة صيغة من صيغ الحلول

يحدث في منطقة الخليج تتكاثر، فاجأ الرئيس صدام العالم بمبادرة من نوع المبادرات التي أطلقها خلال بعض سنوات الحرب العراقية - الإيرانية.

وأهمية هذه المبادرة أنها تشكّل فرصة لمن يريد بالفعل أن يعبر عن حُسن النية.

فرصة للولايات المتحدة ولدول أجنبية أخرى كثيرة لكي تسحب هذه الأساطيل التي تكاثرت والقوات التي ترمي بها في المنطقة ولكي تؤكد - وبالذات الولايات المتحدة - أنها بالفعل لا تريد وضع اليد على مناطق الخليج تحت ستار حماية الأصدقاء من خطر لا وجود له.

وفرصة للحكم السوري لكي يترك لبنان وتتسحب القوات السورية التي يعطل وجودها ولادة القرار الوطني والمستقل. وفرصة لإسرائيل لكي تتسحب من الأراضي العربية المحتلة ومن الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس، ولكي تؤكد بإنسحابها هذا أنها تريد للدولة الفلسطينية أن تقوم وللاستقرار أن يسود.

وفرصة لمؤسسة القمة العربية لكي تعيد النظر في قرار اعتقدت أنه الحل فإذا به غطاء شفاف لحقيقة بالغة المرارة وهي الوجود العسكري الأميركي في المنطقة.

وفرصة لترتيب الأمور العراقية - الكويتية بحيث لا تعود النظرة إلى ما حدث يوم 2 آب/ أغسطس 1990 وللأيام التي تلتها على أنه فقط إحتلال وإنتهاك لسيادة وطن.

وفرصة لترتيب الأمور العراقية - الإيرانية بحيث يتحقق بين البلدين تعايش مثالي لا تهزه رياح عاصفة تهب فجأة.

ولقد أكد الرئيس صدام حسين بطرح هذه المبادرة أنه يريد للسلام العادل أن يسود في المنطقة ويريد أن تأخذ الواقعية مسارها الطبيعي. وهو لو كان يسعى إلى عكس ذلك لكان وضع الوقود على النار بدل أن هنالك الكثير من الماء لإطفاء النار إذا هي اشتعلت. والمبادرة هي الماء الذي نعينه.

وبدلاً من الإنشغال في التتظير والإكثار من الجدل العقيم الذي لا يفيد، فإن الخطوة الواجب إتخاذها على الفور هي التجاوب مع هذه المبادرة ومناقشتها وعدم التعامل من جانب بعض الأطراف العربية معها بطريقة ملتوية. ونقول ذلك على أساس أن الرئيس صدام لم يطرح هذه المبادرة لتحريك مشاعر الرأي العام العربي وإنما عبر بطرحه لها عما يدور في خاطر كل مواطن عربي من

المحيط إلى الخليج. وهذا المواطن يريد لكل القضايا العالقة أن تجد حلاً لها ودفعة واحدة.

وقد يكون مفهوماً أن تعلن إسرائيل رفضها لهذه المبادرة لكن ما ليس مفهوماً هو أن تتخذ الولايات المتحدة موقفاً مماثلاً بينما قواتها تتمدد على أراضي الخليج. كذلك ليس مفهوماً تعامل بعض الأنظمة العربية مع المبادرة بأسلوب لا يوحي بالجدية والإعتقاد بأن الرؤية التي تم التوصل إليها في القمة العربية الطارئة في القاهرة إنما هي الرؤية المثالية، علماً بأن تلك القمة لم تضع الحل بقدر ما أنها تسببت في تعميق الجراح.

وقد نجد من يتساءل: وهل إن طرح هذه المبادرة يستوجب الإجراءات التي تم إتخاذها في الكويت مع ما نتج عن هذه الإجراءات من ظروف بالغة القساوة بالنسبة إلى الناس.

والرد على ذلك هو أنه مع كل التقدير لهذه الظروف فإن ما تطرحه مبادرة (12 آب 1990) لا فائدة من طرحه خارج هذه الظروف. ولو أن طرح المبادرة حدث قبل الإجراءات التي تم إتخاذها في الكويت لما كانت لقيت أي إهتمام. كما لو أنه حدث ذلك قبل الإقتحام العسكري الأميركي لمنطقة الخليج وتوظيف مجلس الأمن لإصدار عقوبات وقرارات تأديبية لكان الإهتمام على شيء من التواضع. لكن طرح المبادرة حدث في الوقت المناسب، بل وفي الوقت الذي بات فيه ممكناً، وللمرة الأولى، مخاطبة العالم بلغة المنطق المستند إلى قوة وليس بلغة الطرف الذي يستهين العالم بحقوقه ومطالبه لأنه ضعيف ولا سند له.

وطرح المبادرة يأتي في وقت بات هنالك ضرورة قصوى للاستفادة من أي فرصة قد تساعد على تخفيف شبح المواجهة العسكرية. بل إنه ليس مبالغة القول إن مبادرة الرئيس صدام حسين تستحق في حد ذاتها قمة عربية طارئة تتبناها، ويشكّل هذا التنبؤ أداة ضغط على الإدارة الأميركية بحيث لا ترفضها لمجرد أن أذيعت وكأنما الجواب هو الرفض ما دام الإقتراح يحقق الإنفراج ويقود إلى السلام في المنطقة ووضع اليد عليها.

والى ذلك إن المبادرة تشكّل ضمناً دعماً للأمم المتحدة وذلك على أساس أنه إذا كان الطرف الذي قامت القوى الأجنبية والأطراف العربية المتعاونة مع هذه القوى والمتجانسة في التفكير معها هو الذي يدعو إلى تطبيق حرفي وشامل للقرارات التي تصدر عن مجلس الأمن، فهذا

نجد من الضروري ملاحظة أن قرارات قمة بغداد عام 1978 كانت على المدى القصير ضد مصر وعلى المدى البعيد لمصلحتها، بينما موقف الرئيس مبارك في القمة العربية الطارئة في القاهرة هو ضد مصر قبل أن يكون ضد العراق.

ويبقى أن مبادرة الرئيس صدام ستفرز المواقف كما لم يتم فرز لها من قبل، وستُحفز الوجدان العربي إلى درجة أن الذي لن يقف وراءها سيؤرقه ضميره، وقد يتطور الأمر أمام ضرورة أن يتم السعي لإنشاء مجلس تعاون عربي - إسلامي يضم القلة المؤمنة والخيرة والتي تواجه هذه الهجمة الشرسة التي يشارك فيها سافرون ومقنعون. ... وكم من قلة غلبت كثرة بصدق الإيمان والنيات وصلابة المعتقد والحس الوطني والإخلاص للأمة.

مجلة "التضامن". لندن - 20 آب (أغسطس) 1990

* * *

الطلب الوحيد الذي نفذته أميركا خلال ثلاثين سنة

بصرف النظر عما إذا كانت الولايات المتحدة تلقت طلباً عربياً للتدخل فأرسلت القوات أو أنها تدخلت من دون طلب، أو أنها طلبت أن يتم الطلب منها رسمياً لكي ترسل القوات وأن التلبية كانت فورية.. بصرف النظر عن ذلك كله فإن إعتبار هذا الموقف من جانب الولايات المتحدة هو موقف صديق وقت الضيق غير مقنع على الإطلاق.

فالولايات المتحدة ليست على الإطلاق هي ذلك الصديق. وهي لو كانت كذلك بالفعل لكانت على الأقل أثبتت طوال ثلاثين سنة على الأقل أنها دولة صديقة وذلك من خلال التجاوب مع مطلب عربي واحد.

وعند العودة إلى وثائق هذه السنوات يتبين لنا كم مرة طلبنا من الولايات المتحدة أن تقف مع العرب ولكنها لم تفعل ذلك. ويكاد لا يمر يوم إلا وهناك تصريح لمسؤول عربي يتمنى على الإدارة الأميركية أن تتفهم المشاعر العربية وتضع حداً للعريضة الإسرائيلية في المنطقة.

ولقد وصلت مساهماتنا للولايات المتحدة إلى حد أننا إرتضينا بالقليل القليل. وإنحسرت طلباتنا في ما يتعلق

معناه أن هذا الطرف هو الآخر مع هذه القرارات إنما شرط أن تكون القرارات المعني بها وتلك المرتبطة بقضايا أخرى. وعدم تفهم الولايات المتحدة وغيرها لهذه المسألة والإصرار على تطبيق قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن على طرف ورفض التطبيق على طرف آخر معناه أنه قد نصل إلى يوم ليس بالبعيد يضطر فيه الطرف الذي يتعرض لهذه الضغوط من جانب الولايات المتحدة وغيرها إلى الانسحاب من الأمم المتحدة، وبذلك فإن القرارات التي تصدر عن هذه المنظمة بحقه لا يعود معنياً بها على الإطلاق ما دام لم يعد عضواً في المنظمة. وفي مثل هذه الحال فإن العضو لن يخسر شيئاً، بل إن انسحابه من المنظمة يجعلها منظمة تقتقد إلى عنصر الإجماع ولا تعود متحدة. وإذا كان العضو صاحب قضية كبرى ودولة لها شأنها الكبير وهي أيضاً الدولة الرابعة في العالم من حيث القوة العسكرية، فإن انسحابه سيشكل ضربة قاصمة إلى المنظمة فضلاً عن أن هذا الانسحاب سيفتح المجال أمام المزيد من الانسحابات وسيكون هنالك كثيرون يطالبون إزاء هذه الحال، وما دامت الولايات المتحدة هي السبب، بنقل مقر المنظمة من نيويورك إلى دولة محايدة وهي دولة تعرضت في الماضي لما يشبه الخنق في المهدي.

والى ذلك إن سوء حظ مبادرة الرئيس صدام حسين أنها جاءت في وقت ليس هنالك المؤسسات العربية والإسلامية القوية التي تتبناها وتدعمها. ولو أن مجلس التعاون العربي لم يشهد النداعي الذي حدث نتيجة إنحياز مفاجئ من جانب الرئيس حسني مبارك إلى الولايات المتحدة ودول الخليج، لكان أمكن لهذا المجلس أن يكون المؤسسة التي تبذل كل إمكاناتها من أجل أن تشق المبادرة طريقها وتتحول إلى موضوع يحظى دولياً بكل الإهتمام. لكن إنحياز الرئيس مبارك بطريقة انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة جعل هذه المبادرة لا تأخذ فرصتها. وقد يجوز القول إن الرئيس مبارك بالموقف الذي إتخذه في القمة الطارئة في القاهرة كان بالتنسيق مع إدارة الرئيس بوش يثار لإدارة كارتر وللرئيس (الراحل) أنور السادات من القمة العربية الطارئة التي جرى عقدها في بغداد من 2 إلى 5 تشرين الثاني/ نوفمبر 1978، وهي القمة التي تقرر فيها إسقاط عضوية مصر من دون أن يأخذ الرئيس مبارك في الإعتبار أنه لولا صيغة مجلس التعاون العربي والجهد الإستثنائي الذي بذله الرئيس صدام حسين لما كان لقرار إستعادة مصر لعضويتها أن يتم. وعندما نشير إلى ذلك

بالقضية الفلسطينية إلى حد أنها باتت دون الحد الأدنى بكثير.

وفي كل مرة كانت ترفض الولايات المتحدة مطالبنا وتمنياتنا كنا نرد على ذلك بتقليل المطالب وحذف ما يمكن أن يسبب بعض المتاعب الانتخابية للرئيس الأميركي وحزبه.

كذلك إنه في كل مرة كانت الإدارة الأميركية ترد بالرفض أو بعدم التجاوب مع أي مطلب أو تمنيات عربية، في شأن القضية الفلسطينية كان يحدث نوع من الضغط على القيادة الفلسطينية من أجل ألا تتشدد ومن أجل أن تعبر عن عدم التشدد بإبداء المزيد من المرونة. ولم تقصر القيادة الفلسطينية في هذا الشأن إطلاقاً.

وليس الآن مجال تعداد المناسبات التي أظهرت فيها القيادة الفلسطينية المرونة المطلوبة بل والمرونة التي لا تفصلها عن مرحلة رفع اليدين سوى خطوات بسيطة. وتكفي الإشارة إلى إعلان القاهرة الشهير الذي سجله الرئيس ياسر عرفات والقاضي بالتخلي عن ممارسة العنف وذلك لتسهيل مهمة السعي أمام الرئيس حسني مبارك. ثم إعلان جنيف الشهير ومن قبل الرئيس عرفات أيضاً لتسهيل مهمة أمام الحوار الأميركي - الفلسطيني ولتسهيل ولادة قرار الولايات المتحدة الذي يقضي بالإعتراف رسمياً بمنظمة التحرير الفلسطينية.

ولقد كان من شأن الحوار أن يستمر ويقود إلى الإعتراف الرسمي، وكان من شأن ذلك لو حدث أن يضع العالم العربي في أجواء من الطمأنينة. ولقد طالب الجميع بذلك من دون إستثناء ولم يبق مسؤول عربي زار واشنطن أو إنلقى خارجها بمسؤول أميركي إلا وطلب وبصيغة التمني أن تعود إدارة الرئيس بوش عن القرار الذي إتخذته في شأن تعليق الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية، وكانت المملكة العربية السعودية ومصر والمملكة الأردنية الهاشمية والجزائر والمغرب وتونس في مقدمة الذين طلبوا من الرئيس بوش خلال زيارات ولقاءات على مستوى القمة وما دون القمة بقليل أن يعيد النظر في قرارات التعليق. وهم فعلوا ذلك وتمنوا كثيراً على أساس أنهم يريدون للسلام أن يسود في المنطقة وللاستقرار أن يتحقق وللازدهار أن ينتشر.

وليس مبالغة القول إن ما طلبوه كان بالإجماع حيث إنه لم تبق دولة عربية واحدة إلا وطلبت ذلك مباشرة أو بطريقة غير مباشرة.

من أجل ذلك فإننا عندما نتأمل في هذا الوجود العسكري الهائل للولايات المتحدة في الخليج نتأكد لنا حقيقة أساسية وهي أن المسألة ليست مسألة طرف عربي طلب وطرف لبي الطلب، إذ ليس من تقاليد الولايات المتحدة أن تتجاوب مع الطلبات والمطالب والتمنيات العربية حتى إذا كانت في صيغة الحد الأدنى كما أوردنا في الأسطر السابقة.

وإنما الذي حدث هو أن الولايات المتحدة وجهت الدعوة إلى نفسها لكي تفرض أمراً واقعاً من الأفضل حتى في حالة الخصومة الدائرة بين بعض الأقطاب العرب التتبع له، خصوصاً وأن الولايات المتحدة عندما ترسل ثلث جيشها إلى منطقة الخليج فإنها لا تفعل ذلك من أجل نجدة صديق وإنما من أجل ما هو أعظم بكثير.

مجلة "التضامن". لندن - 27 آب (أغسطس) 1990

* * *

التعامل مع الأزمات بين أسلوب الأجداد وأسلوب الأحفاد

كنا نتمنى لو أن الحكومات العربية إزاء التطورات المأساوية التي عاشها العالم العربي بشكل عام ومنطقة الخليج بشكل خاص تنبعت إلى المسألة الكلامية فلا تترك الأمور بالشكل الذي إنتهت إليه.

كنا نتمنى لو أن الحكومة إختارت متحدثاً رسمياً واحداً يُصدر يومياً بياناً أو تعليقاً على التطورات، تماماً مثل النشرة الطبية التي يتم إصدارها عن شخصية مرموقة ترقد في المستشفى. وعندما نقول ذلك فعلى أساس أن الوضع العربي يعيش بالفعل ومنذ حوالى الشهر بالذات في غرفة العناية الفائقة.

هذا ما كنا نتمناه بالفعل.

كنا نتمنى أن يكون هنالك متحدث رسمي مصري ومتحدث رسمي عراقي ومتحدث رسمي سعودي ومتحدث رسمي فلسطيني ومتحدث رسمي أردني.. وهكذا.

وهذا المتحدث يورد يومياً خلاصة الموقف المتعلق به ويكون هنالك التزام بذلك.

ولو أن ذلك حدث وقرأنا يومياً لهذا المتحدث الرسمي

أو ذاك الكلام المسؤول والمتوازن لما كان لهذه الأجواء أن تكون على هذه الحدة التي هي عليها.

لقد إختلطت الأمور كما لم تختلط من قبل. وتحول بعض الموظفين الدبلوماسيين وبعض الصحفيين وبعض الذين لهم ثارات إلى أصوات لا تهدأ يقولون كلاماً غير مسؤول وغير متزن ومن شأنه أن يزيد النار اشتعالاً. وكان هذا الكلام أيضاً يعبئ الرأي العام الذي يعاني في الأصل من ويل التطورات المأساوية التي عاشتها المنطقة طوال الأسابيع الخمسة الماضية.

ولسنا هنا في معرض إعادة نشر بعض الأقوال والكتابات والرسوم الساخرة. ولكننا نتساءل: كيف يجوز نشر كل هذا الذي جرى نشره؟ وكيف لم يأخذ رئيس أو رأس هذه الدولة أو تلك على عاتقه أمر وضع الأمور في الإطار الصحيح؟

وأغلب الظن أنه لو حدث ذلك لكانت نفوس الناس أكثر إطمئناناً مما أصبحت عليه بعد هذا السيل الجارف من الكتابات والرسوم الساخرة والتصريحات.

وقد يقال إنه عملاً بحرية الرأي تم ذلك. وإلى جانب التحفظ على هذا التبرير يمكن القول إن حرية الرأي هنا ليست ضرورية لأنه في الحالات التي يتهدد فيها الوطن والمصير يتم إتخاذ الكثير من الإجراءات على حساب حرية الرأي. هذا إذا إعتبرنا أن الأسلوب الذي إعتمده البعض في الكتابات والتصريحات هو مجرد تعبير عن الرأي. ولكن هذه الكتابات والتصريحات لم تكن كذلك على الإطلاق.

وصحيح أننا في العالم العربي إعتدنا في الثلاثين سنة الماضية على حملات إعلامية يتم إستعمال فيها كلام بشع، إلا أن الحال لم تصل إلى الحد الذي وصلت فيه هذه الأيام حيث إن كلام الأجانب عن العرب كان أخف وطأة من كلام بعض العرب عن بعضهم.

وهذا الأسلوب في التعامل أحدث في الماضي صدمات في نفس المواطن العربي. وهو يُحدث الصدمات نفسها في المرحلة الراهنة. فما يكاد هذا المواطن يطمئن إلى أن العلاقة طيّبة بين هذا الحاكم وذاك أو بينه وبين أولئك حتى يفاجأ بكلام جديد غير الذي كان يقرأه أو يسمعه قبل فترة ليست طويلة.

وعند التأمل في العلاقات العربية نجد أنها بشكل عام مرت في هذا التآرجح. ومن المؤكد بعد الذي حدث أن يصاب المواطن العربي بما يشبه الدهشة فلا يعود يتفاعل

حتى مع القضايا ذات الطابع المصري.

ويبقى إستكمالاً لهذه المسألة القول إن الذين كانوا يكتبون ويصرحون في الماضي كانوا يقولون ما من شأنه أن يصل إلى حدود ما يطرحه رئيس دولة أو رأسها، لكننا في المرحلة الراهنة نجد أن هذا الكاتب أو ذاك الدبلوماسي يسجل مواقف أو ينشر كتابات أو يدلي بتصريحات فيها نوع من المزايدة على ما يقوله رئيس أو رأس الدولة. ومن المؤكد أن هؤلاء في ما يكتبون أو يصرحون به يساهمون في إتساع حجم التشويش على القرارات الكبرى التي لا بد من إتخاذها في المرحلة التي تصل فيها التكتيكات إلى نهاية الطريق.

يبقى أيضاً أن هذه الأسطر التي أوردناها أملتتها تصريحات وكتابات عربية لم تكن في المستوى المطلوب وكانت بمثابة محاولات لإشعال نار الأزمة، بدل أن تكون عبارة عن سعي لتطويق الأزمة وعدم تركها تتفجر.

وفي أيام الأجداد حيث لم تكن هنالك وسائل إعلامية كانت مثل هذه الأمور لا تحدث. وكان رجال الدولة يأخذون على عاتقهم الأمر ولذا كان التعامل مع الأزمات أكثر رقياً وأكثر مسؤولية مما هي عليه الحال مع الأحفاد بعد أكثر من أربعة عشر قرناً.

مجلة "التضامن". لندن - 3 أيلول (سبتمبر) 1990

* * *

ورطة وأكثر من كمين

ليس هنالك خدمة يَقِمُّها أي حاكم لشعبه أهم وأثنى من إبعاد خطر الحرب.

ولو وجَّهنا إلى عدد من المواطنين رجالاً ونساء كباراً وصغاراً أغنياء وفقراء وعسكريين يمثِّلون القارات الخمس بضعة أسئلة حول موضوعات متنوعة لإكتشفنا أن الإجابة واحدة حول السؤال الذي يتعلق بتحديد أهم خدمة يؤديها الحاكم.

إن الأبيض والأصفر والأسود سيقول كلاماً شبه موحد في هذا الشأن. بل إن أي مواطن في قارات العالم الخمس سيغفر للحاكم أموراً كثيرة إذا كان سيُبعد عنه خطر الحرب، أو فلنقل إنه سيَتحمل الكثير من التقاعس في طلب الإحتياجات شرط أن يبتعد شبح الحرب لكثرة ما في

هذه الحرب من ويلات.

وبالنسبة إلى دول العالم الثالث الذي ننتسب إليه فإنه قبل إنتشار رقعة الذين يملكون أجهزة التلفزيون في منازلهم أو حتى يشاهدوا البرامج في الجهاز الموضوع في المقاهي أو النوادي، كان لا يشعر بفضاعة الحرب أحد بإستثناء الذي يقع مباشرة تحت مرمى القصف أو يسقط لهذه العائلة أو تلك أحد أفرادها في معركة أو نتيجة شظية من صاروخ.

ولقد واجهنا في المنطقة العربية الكثير من جرّاء الحروب التي فرضها الغير علينا وبأساليب متعددة بدءاً من حرب 1948 وصولاً إلى الحرب العراقية - الإيرانية مروراً بالعدوان الثلاثي ثم حرب 1967 التي تلتها حرب 1973، فضلاً عن حرب مرّة دارت في اليمن وحرب بالغة المرارة في السودان وحرب أكثر مرارة في لبنان وما زالت لا تنتهي وجاءت بعد مواجهة كثيرة التعقيد في الأردن. وكذلك واجهنا إعتداءات لا حصر لها من إسرائيل وكلها من النوع البشع الذي سالت بسببه دماء غزيرة.

والقصد هنا من هذا القول هو أن الرئيس بوش يريد جرّ المنطقة إلى حرب لا تريدها، أو أنه وضمن سياسة فرض الحروب علينا من حرب 1948 إلى الحرب العراقية - الإيرانية، يسعى من أجل أن يفرض وبالقوة الحرب علينا.

وإزاء ذلك نجد أنفسنا نتساءل: هل أن الولايات المتحدة تحتاج إلى حرب أم أن الرئيس بوش وجد نفسه مشدوداً إلى هذه الحرب نتيجة عوامل فرضتها ظروف إستثنائ الولايات المتحدة بزعامة العالم؟

والرد على ذلك هو أن الولايات المتحدة لا حاجة لها في الحرب إلا إذا كان الغرض هو إختيار القدرة على التعامل مع الدول الأخرى في ظل الواقع الجديد وهو التفرد بزعامة العالم. ومن هنا فإن الإتحاد السوفياتي بإعطاء الولايات المتحدة هذه الإضافة من الشأن يكون تسبب للولايات المتحدة بالإحراج بل وبالضرر.

ونقول ذلك على أساس أن تقاسم الزعامة كان صمام أمان، في حين أن التفرد بالزعامة يقود إلى مخاطر المغامرة من نوع المغامرة التي يندفع الرئيس بوش في إتجاهها.

وإلى ذلك إن الرئيس بوش ربما لا يكون رأى أن

تتطور الأمور إلى مشارف المواجهة ولا أن يزج في منطقة الخليج بهذه الأعداد الهائلة من القوات والآليات، ولكن بعض الذين حوله من مراكز القوى التي تمثل خط صفقة "كامب ديفيد" دفعوا بالأمر نحو هذا التصعيد الذي يفتقد إلى التعقل تماماً مثلما دفع هؤلاء بالرئيس حسني مبارك إلى الإنحياز بدل أن يبقى وسيطاً للتوفيق بين أطراف الأزمة. إلى ذلك أيضاً قد يتبين لنا ذات يوم أن إسرائيل التي لم تعد تتحمل أن تكون هنالك دولة عربية بالقوة التي وصل إليها العراق نصبت من خلال المعلومات التي تعتمد على التضليل فخاً لكي يقع فيه الرئيس بوش وكذلك الرئيس مبارك. والوقوع هنا بمعنى نقل الأزمة التي كان من السهل حلها في الإطار العربي من المواجهة إلى الحوار. وما تريده إسرائيل من وراء ذلك هو أن تقوم الولايات المتحدة بالنيابة عنها لمرة واحدة بدور المعتدي بعدما كانت إسرائيل طوال ثلاثين سنة تتوب عن الولايات المتحدة بإعتداءات هدفها إلحاق الأذى بأي خط إستقلالي، وربما أن إسرائيل خشيت بعد الوفاق الدولي حدوث وفاق أميركي - عربي على حسابها فبادرت إلى التضليل والتقويض.

ويبقى إحتمال آخر وهو أن تكون كل من بريطانيا وفرنسا نصبتا هما أيضاً، وكل منهما بطريقتها الخاصة، كميناً للدور الأميركي وذلك على أمل أن تتورط الولايات المتحدة وتنهار سمعتها. وفي هذه الحال تستعيد الدولتان شأنهما التاريخي في المنطقة العربية ما دامت الولايات المتحدة تعثرت وبات بينها وبين العرب جدار عال من الكراهية. ومثل هذا الإحتمال ليس بالمستبعد لأن هاتين الدولتين لا تتحلمان ضمناً تفرد الولايات المتحدة بزعامة العالم ولن يكون لهما، خصوصاً في غياب الشأن السوفياتي، دور إلا إذا أخفقت الولايات المتحدة في دور تقوم به وتزايدت كراهية العرب والمسلمين لها كما هو حاصل منذ اللحظة الأولى التي بدأت القوات الأميركية تتدفق إلى أرض لا يعنيتها منها سوى ما يجري تحتها من نفط، أي بمعنى آخر إنه لولا هذا النفط لما كانت الولايات المتحدة أرسلت بندقية واحدة ولا جندياً يحمل هذه البندقية.

لعل وعسى يحدث نوع من التنبه العربي لهذه الحقيقة.

ولعل وعسى لا نقع فريسة اللعبة الكبرى التي يتم

نصب كمين آخر وهو أن يحارب العربي شقيقه العربي ويكون الدور الأميركي هو قتل العربي الذي لا يقتل شقيقه.

ويبقى أنه ما دامت الرصاصة الأولى لم تنطلق فإن هنالك إمكانية بإعادة النظر في الوضع الشاذ الذي حدث، وذلك عملاً بالقاعدة التي ترى أنه ليس هنالك خدمة يقدمها أي حاكم لشعبه أثمن من إبعاد خطر الحرب، ومن تفشيل مؤامرات القوى الإستعمارية القديمة التي تحلم بعودة إلى المنطقة ولو على الأشلاء والركام.

مجلة "التضامن". لندن - 10 أيلول (سبتمبر) 1990

* * *

قمة هلسنكي: العملاق والمارد

بعد القمة العربية - السوفياتية الأولى التي جرى عقدها في جنيف من 19 إلى 21 تشرين الثاني / نوفمبر 1985 كان أقصى ما نتمناه كعرب هو ألا ينسى الرئيسان ريغان وغورباتشوف عندما سيعقدان قمتهما الثانية الوضع في المنطقة العربية فيسألهما في وقف الحرب العراقية - الإيرانية ويتفقان على صيغة حل للأزمة في لبنان وصيغة حل أخرى تتسجم مع المنهج المرن للقيادة الفلسطينية.

ولكن الذي حدث هو التجاهل التام بحيث أن القمة الثانية التي عقدها الرئيس ريغان وغورباتشوف في ريكيافيك عاصمة أيسلندا يومي 11 و12 تشرين الأول/أكتوبر 1986 لم تتطرق على الإطلاق إلى القضايا المشار إليها. وكان ذلك بمثابة خيبة أمل لنا كعرب لأن المحنة الناشئة عن استمرار الحرب اللبنانية والمحنة الناشئة عن عدم إيجاد صيغة حل للقضية الفلسطينية كانت بمثابة إستنزاف لا مثيل له، وكذلك إلى ذلك بمثابة إزهاق للأرواح وتبديد للطاقات والثروات وإحباط المعنويات.

وإفترضنا أن الرئيسين الأميركي والسوفياتي بعدما أنجزا الإتفاق المتقدم في شأن إزالة الصواريخ النووية المتوسطة المدى خلال القمة الثالثة التي عقدها في واشنطن من 8 إلى 10 ديسمبر/كانون الأول 1987 سيضعان على الطاولة أمامهما القضايا التي تعيننا كعرب والتي أشرنا إليها ولكنهما تعاملتا مع هذه القضايا بالتجاهل.

كل ذلك كان يحدث ونحن على قارعة التاريخ ننتظر

ويكون إنتظارنا مجبولاً بالدم، وتكون ثرواتنا تنوب في جحيم الحروب المفروضة علينا.

ولقد كان واضحاً أن القوتين العظميتين لا تريدان الإهتمام بقضايانا ربما لتقدير من كليهما، بأنه ما دام لا خوف من هذه القضايا فلماذا لا يتواصل التأجيل ويعالج الطرفان كل القضايا التي تخصهما.

وهذا ما حدث بالفعل.

ففي الوقت الذي كان الرئيس ريغان يزور ضريح لينين في الساحة الحمراء على هامش القمة التي عقدها مع الرئيس غورباتشوف في موسكو من 29 أيار/مايو إلى 2 حزيران/يونيو 1988 كانت الدماء تغلي في عروقنا نتيجة هذا التجاهل من جانب الدولتين العظميين.

وبعد القمة الأولى التي عقدها في مالطا يومي 2 و3 كانون الأول/كانون الأول 1990 الرئيس غورباتشوف مع جورج بوش، الذي بات رئيساً للولايات المتحدة خلفاً للرئيس ريغان، بات واضحاً لدينا أكثر كعرب على هامش جدول الأعمال وأن مرحلة جديدة بين الدولتين العظميين بدأت وستطول ولن يكون هنالك إهتمام بقضايانا.

وجاءت القمة التالية بين الرئيس بوش وغورباتشوف في واشنطن من 30 أيار/مايو إلى 3 حزيران/يونيو 1990 تؤكد أن الدولتين العظميين إتفقتا علينا، أو فنلند إن الرئيسين إتفقا ألا يختلفا على أمر نكون نحن كعرب طرفاً فيه.

وأغلب الظن أن الإدارة الأميركية إخرقت هذا الواقع وتسلمت منه لتقوم بالدور البشع الذي قامت به وتمثل بإرسال ثلث جيشها إلى منطقة الخليج بحجة أن دول صديقة لها مهددة. وهي حجة يغلب فيها الإفتعال على الحقيقة.

وعندما يقرر الرئيسان بوش وغورباتشوف عقد قمة بينهما فهذا معناه أن الدولتين العظميين لم تكونا على حق عندما كانتا في الماضي تعتبران أن قضايا العرب ليست من النوع المستعجل ولا هي أيضاً من النوع الذي يثير القلق في النفوس.

أما لماذا ليستا على حق فلأن الأزمة الراهنة في الخليج أثبتت أنها قادرة على أن تقلب الطاولة التي عقدا حولها ثمانية إجتماعات على مستوى القمة، وقادرة على أن تقلبها بما تحويه من خطط وأوراق وإتفاقات تم التوصل إليها.

والأهم من هذا كله أن هذه الأزمة تؤكد حقيقة أساسية، وهي أن عدم تعاطي الدولتين خلال سنوات القمم من 1985 إلى 1990 مع القضايا التي تهمنا كعرب، وبالإهتمام العالي وعدم الإستهانة، كان خطأ فادحاً ارتكبناه، وأن القمة التاسعة

يوم الأحد 9 أيلول/ سبتمبر 1990 قد تكون بهدف تصحيح الخطأ لتدارك أمور جسيمة يمكن أن تحدث.

ويبقى أنه عندما نقرأ ما صرح به وزير الخارجية السوفياتية شيفاردنازه يوم الثلاثاء 14 سبتمبر/ أيلول والذي دعا فيه إلى مؤتمر دولي عن الشرق الأوسط نتذكر على الفور مبادرة 12 أغسطس/ آب 1990 التي طرحها الرئيس صدام حسين كصيغة حل للأمر العالقة. يبقى أيضاً أنه إستناداً إلى تجربتنا مع القمم الأميركية - السوفياتية السابقة فإننا يجب ألا نتفعل كثيراً من القمة التاسعة التي إختارت الدولتان العظميان هلسنكي عاصمة إحدى دول الحياد في العالم لعقدتها.

لكننا إستناداً إلى واقع حال الأزمة نفترض أن الرئيسين بوش وغورباتشوف سيخاطب كل منهما الآخر ولو صمتاً قائلاً: أي وفاق هذا الذي حققناه وأي إتفاقات هذه التي التي أنجزناها ما دام في إستطاعة قيادة تاريخية من نوع قيادة صدام حسين التذكير بأسلوب غير مطروق بالقضايا العربية العالقة.

والأسلوب غير المطروق ليس الإنتظار على الأبواب لعل الرئيسين يمنحان العرب بعض الإهتمام، وإنما وضعها أمام لحظة حاسمة يتخذان فيها قرارات واقعية إن لم نقل عادلة، أو تتطور الأمور التي قد تنتهي بإهتزاز قاعدة القوة بحيث لا يعود الإتحاد السوفياتي الدولة العظمى ولا تعود الولايات المتحدة الدولة الأعظم، ولا تعود الأنظار. كما كانت الحال في الماضي فتتجه إلى لقاء العملاقين ما دامت الأزمة التي يديرها بروج عالية من المسؤولية والحق القومي والإنساني للرئيس صدام ليست بتلك البساطة كما كانت تتصور لقاءات القمة الأميركية - السوفياتية. أي أنه إذا كان رئيسا الدولتين العظميين عملاقين فإن هذه الأزمة أقرب ما تكون مارداً.

مجلة "النضامن". لندن - 17 أيلول (سبتمبر) 1990

العرب بين بوش الرئيس

وبوش الـ "سي. أي. إيه"

إفترضنا نحن العرب عندما تسلم جورج بوش منصب رئاسة الولايات المتحدة، أن العلاقات العربية - الأميركية

التي تنتقل من إرتباك إلى آخر، ستشهد في سنوات حكمه الإستقرار الذي تفتقد إليه والإزدهار الذي ينشأ عن الإستقرار.

ولقد إفترضنا ذلك على أساس أن المرونة التي مارسها العرب تكفي لإثبات حُسن نية والرغبة في بناء علاقة جيدة. وإفترضنا ذلك أيضاً على أساس أن شعوراً بالملل بدأ يصيب المواطن الأميركي نتيجة الإنحياز الكامل من جانب حكومته نحو إسرائيل من دون أن تنشأ نتيجة ذلك أي إستفادة في الحقل العام.

وإفترضنا ذلك أيضاً وأيضاً على أساس أنها المرة الأولى خلال الثلاثين سنة الماضية التي يصل فيها إلى قمة السُلطة في الولايات المتحدة الشخص الذي عمل في ميدانين يؤهله كل منهما لمعرفة العالم العربي والإحاطة بهموم العرب وإهتماماتهم. وعندما يحدث ذلك ويصل إلى منصب رئيس الولايات المتحدة الشخص الذي سبق أن عمل في الميدانين، فإن احتمالات التوتر في العلاقات العربية - الأميركية تتضاءل أمام احتمالات الإستقرار والتحسين صعوداً إلى مرتبة الإزدهار.

لقد عمل الرئيس بوش في الماضي في الأمم المتحدة. وعمل أيضاً كمدير الـ "سي. أي. إيه". في الميدان الأول يمكنه أن يعرف العرب من خلال شكواهم ومن خلال معاناتهم، ومن خلال الضائقة الإقتصادية التي تهدد أكثريتهم الفقيرة المحتاجة، ومن خلال قرارات مجلس الأمن التي يستحوذ العرب على أكثريتها.

وفي الميدان الثاني يمكنه أن يعرف العرب من خلال التآمر عليهم والتجسس المباشر وغير المباشر على قياداتهم وزعاماتهم، ومن خلال التدخل في صلب قرارات معظمهم.

وصحيح أن هنالك رؤساء كثيرين كانوا مطلعين على شؤون العرب وشجونهم، إلا أن الفرق كبير أن يطّلع هؤلاء على خلاصة تقارير يتم رفعها إليهم وبين معايشة ميدانية لهذه الشؤون والشجون، كما حصل مع الرئيس بوش الذي كان في منصبه في الأمم المتحدة ومنصبه الأكثر حساسية كرئيس لـ "سي. أي. إيه". يتيحان له معرفة الكثير.

وإذا جاز القول فإن الذين سبقوا الرئيس بوش كانوا إزاء القضايا التي تهم العرب من النوع الذي يلم بالأشياء بينما الرئيس بوش من العارفين والخبراء.

ولأنه كذلك فإننا إفترضنا أن أموراً كثيرة سيتم تصحيحها، كما سيتم تعديل بعض المفاهيم الخاطئة، وهو

المقايضة المطلوبة بعد القمة الخامسة

مع أن المواجهة لم تقع إلا أن وسائل الإعلام الدولية بدأت تُكثر من نشر الموضوعات التي توضح حجم الضرر الذي لحق بعشرات الشركات والمؤسسات في العالم بسبب الأزمة القائمة في منطقة الخليج.

فهذا موضوع حول شركات ستعلن إفلاسها إذا استمرت الحالة على ما هي عليه.

وهذا موضوع يوضح مدى الكوارث التي تحدث على هامش الهبوط الذي يصيب هذه البورصة أو تلك.

وهذا موضوع يتحدث عن حجم الخسائر التي سيتحملها المزارعون في الولايات المتحدة وأستراليا.

وهذا موضوع يتناول بالتفصيل حجم الضرر الذي سيلحق بالإزدهار الذي ينعم به الإقتصاد الياباني.

وهذا موضوع حول إعادة النظر في خطط كثيرة تم وضعها لحقبة التسعينات وكيف أن إعادة النظر التي لا بد منها ستؤثر في شكل أو آخر في عملية التطوير وعلى التنمية بشكل عام.

وهذا موضوع يتحدث بالأرقام عن حجم البطالة في دول لم تواجه مشكلة البطالة من قبل، وكذلك على دول يشكّل إرتفاع عدد العاطلين عن العمل فيها كابوساً للذين يحكمون.

وهذا موضوع يعرض مدى القلق الذي يعيشه ألاف المواطنين وبالذات في أوروبا من جرّاء أزمة نفط محتملة تتزامن مع حلول شتاء تشير كل الدلائل إلى أنه سيكون بالغ القساوة.

وهذا موضوع يعكس هموم ألاف آخرين من جرّاء المشاكل التي ستحدث قريباً بسبب إرتفاع أسعار النفط.

وكيف أن هذا الإرتفاع سيؤثر على حياة المواطن الذي يشكو في الأصل من خلل في ميزانيته.

وهذا موضوع يتحدث عن سلسلة مصارف في أوروبا بدأت تتعرض لإهتزازات من شأنها أن تؤثر على مصيرها وذلك نتيجة الأزمة الراهنة في منطقة الخليج.

وهذا موضوع عن مؤسسات صناعية بدأت تخطط لإعادة النظر في نوعية الإنتاج بعدما إرتبكت أسواقها الرئيسية في منطقة الخليج من جرّاء الأزمة الراهنة.

إن الذي يسمع إذاعات العالم ويطلع على الصحف ويشاهد محطات التلفزيون يكتشف أن الهاجس الرئيسي

شيء جيد وتحتاج إليه علاقات مشتركة حافلة بالتعثر. ولكن ما الذي حدث؟

منذ اللحظة الأولى بدأ الارتباك وبدأ التعثر الذي إعتدنا عليه مع السابقين من الذين وصلوا إلى البيت الأبيض. وبدا أن تتقدم العلاقات نحو الأفضل إذا بالرئيس بوش لا ينسى جزءاً من ماضيه السياسي ويمارس، وهو في البيت الأبيض، منصبه كرئيس للولايات المتحدة بعقلية مدير الـ "سي. آي. إيه". وعندما نتأمل في الأشهر التي إنقضت من عهده نجد أنه يمارس المنصب الأول، وبالذات مع العرب، وفي ما يخص شؤونهم، بعقلية مدير الـ "سي. آي. إيه" وقاعدة الحكم تقول إن لكل منصب الأصول والتقاليد التي لا يجوز التلاعب بها.

ومسألة التواجد العسكري في منطقة الخليج قد تكون مقبولة كفكرة يرفعها من يشغل منصب مدير المخابرات إلى الرئيس، لكن من المؤكد أنها مستغربة عندما يكون الرئيس هو صاحبها أو أنها كانت موضع ترحيبه على الفور لمجرد أن طرحها بعض الجيوب ضمن مخطط يدعو إلى الريبة.

ونعود إلى ما بدأناه، وهو إننا إفترضنا مع وصول بوش إلى المنصب الأول في الولايات المتحدة، أن الرجل أدرى بحكم ماضيه بأمور المنطقة وبقضايا العرب وبالذات ما يتعلق بضيقهم من الولايات المتحدة، ومن أجل ذلك لا بد أن تكون هنالك رؤية جديدة تجعل الصراط مستقيماً بعض الشيء.

لكنه لم يفعل ذلك. وأساء التصرف مرتين. مرة عندما قرر أن يتعامل مع بعض العرب وكأنه ما زال مديراً الـ "سي. آي. إيه"، ومع بعضهم الآخر بصفة كونه رئيس الولايات المتحدة.

وهو في الحالتين لم ينجح ولا يبدو أنه سينجح. ... ومن أجل ذلك فإن ما إفترضناه إنتهى إلى نكسة في ضوء إقحام الرئيس بوش نفسه وبلاده وبعض دول العالم في أمور، من المؤكد أن العرب أدرى منه بها، بصفة كونه رئيساً لـ "سي. آي. إيه" أو رئيساً للولايات المتحدة. وهو بالصفين معاً يحكم ويتدخل.. ويتعثر.

مجلة "التضامن". لندن - 24 أيلول (سبتمبر) 1990

وإذا كُتِبَ لهذه القمة أن تتعقد فإن الحرب أو كارثة الكوارث لن تحصل. وإذا كان ذلك مهماً فإن الأهم هو أن يحدث نوع من المقايضة بيننا وبين العالم، بحيث يكون هنالك إنصاف لنا وتكون هنالك حلول لقضايانا العالقة. ومثل هذه المقايضة كانت مستحيلة من قبل الأزمة.

ومن أجل ذلك رب ضارة نافعة، ورب أزمة خانقة هي الحل وهي النهاية لحالات متراكمة من الحقوق الضائعة.

مجلة "التضامن". لندن - 1 تشرين الأول (أكتوبر) 1990

* * *

حول مسألة الإستعداد للتحالف مع الشيطان

شاعت خلال الأزمة الراهنة في العلاقات العربية والناشئة عن دخول القوات العراقية إلى الكويت عبارة "مستعد للتحالف مع الشيطان من أجل بلادي".

وفي كل مرة كنا نسمع هذه العبارة يتزايد إستغرابنا لذلك. فالذين يرددونها هم أصدقاء الولايات المتحدة والذين باتوا حلفاء لها.. وعندما يقولون ذلك فإنهم يعنون أن الشيطان الذين إضطروا إلى التعاون معه هو أميركا. وفي تسميتهم هذه يلتقون مع الإمام الراحل آية الله الخميني الذي كان أول من أطلق هذه الصفة على الولايات المتحدة، ومن بعده صارت وسائل الإعلام الإيرانية تقول في كل مرة تكون هنالك إشارة إلى الولايات المتحدة أنها "الشيطان الأكبر"، ولكن الإمام الخميني أطلق التسمية وترك الباب موصداً أمام تعامل مع "الشيطان الأكبر" في حين أن بعض المسؤولين العرب الذين يقولون إنهم "مستعدون للتعاون حتى مع الشيطان من أجل بلادهم" أطلقوا هذا الشعار وقواتهم في الخليج جنباً إلى جنب مع القوات الأميركية أو "قوات الشيطان".

واللافت للإنتباه أن هؤلاء المسؤولين يرددون عبارة "مستعد للتعاون مع الشيطان من أجل بلادي" من دون أن يأخذوا في الإعتبار أنهم مسلمون وأن الشيطان هو عدو الله وعدو المسلم، وأن الله سبحانه وتعالى أوضح الأمر ما فيه الكفاية في كتابه العزيز.

كذلك إنه من اللافت للإنتباه أن أحد أبرز الذين ردوا

لدى المواطن في الدول الكبرى والمتقدمة قاتم جداً، وأن وسائل الإعلام الدولية عندما تهتم بهذه الموضوعات وتكتب عنها فإنها تفعل ذلك لشعور منها بأن المواطن يطلب إجابات عن أسئلة كثيرة طرحتها في الآفاق تطورات الأزمة الراهنة في منطقة الخليج.

وإذا كان هذا المواطن يثير كل هذه الهواجس والأزمة ما زالت في البداية، أو فلنقل إنها في منتصف الطريق، فكيف هي الحال إذاً في حال إنفجار الأزمة حرباً طاحنة؟ والجواب عن ذلك أن هذا المواطن عندما يبدي هذه المخاوف والهواجس الآن بينما الأزمة ما زالت ممكنة التطويق فعلى أساس أنه خائف مما يمكن أن يحدث. وهو على يقين بأن خوفه في محله لأن الإنفجار يعني حدوث كارثة لا مثيل لها، ونحن في زمن تؤكد كل الشواهد بأن لا قدرة للإنسان على مواجهة الكوارث التي لا مثيل لها، فكيف إذاً حاله إذا كانت الكارثة التي يمكن حدوثها هي كارثة الكوارث.

وهذا الشعور السائد له بعض الجدوى لأنه قد يتطور بحيث يتحول إلى وسيلة ضغط على الذين يبالغون في تشددهم، وبالذات على الرئيس جورج بوش الذي يمارس كل ما من شأنه أن يقود إلى الحل العسكري.

أما كيف يتحول ذلك إلى وسيلة ضغط فعلى أساس أنه عندما تتزايد وطأة هذه الظروف على المواطن فإن المطالبة من جانب المواطنين بإبعاد شبح الحرب ستكون هي الأمر الأساسي، وسيكون محل تجاوب الحاكم مع شعبه هو المساهمة بالفعل في إبعاد الشبح.

وثمة نقطة جديرة بالإهتمام وهي أن هذه الأزمة تؤكد لحظة بعد أخرى كم أن منطقتنا مؤثرة على الإستقرار في العالم، وكم أنها السبب في هذا الإزدهار الذي ينعم به المواطن في الدول المتقدمة.

وتؤكد الأزمة أيضاً حقيقة من المهم أخذها في الإعتبار وتوظيفها هي أنه ما دام لنا هذا الشأن فمن الطبيعي أن تكون الأزمة هي المناسبة المثالية للحصول على كل حقوقنا المعتدى عليها ولإيجاد حلول لقضايانا العالقة وهي كثيرة.

وهذا الأمر لن يتم إلا إذا تساوى السعي للحل العربي مع السعي للحل الدولي. وحتى الآن تبدو كفة السعي للحل الدولي هي الراجحة، وستبقى كذلك إلى أن تتجح الإتصالات التي تستهدف عقد قمة خماسية تأخذ على عاتقها أمر رسم ملامح الحل العربي.

هذه العبارة ونعني به الرئيس حسني مبارك لم يجد من يقول له من بين العلماء ورجال الدين الذين تزخر بهم مصر ويعتز بهم الأزهر أن هذه العبارة من النوع التي لا يجوز على مسلم عادي أو مسلم في القمة أن يذكره مهما كانت ظروف القول ومناسبته. وهو، أي المسلم، لا يجوز أن يقول ذلك لأن الإستجداد بالشیطان يتعارض مع آيات كثيرة وردت في القرآن الكريم ومع عبارات كثيرة أيضاً وردت في أحاديث الرسول وتلك المنسوبة إلى الصحابة وفقهاء الدين الإسلامي بشتى المذاهب.

ونحن لا ندخل في جدل فقهي ولكن عندما يكون الله سبحانه وتعالى يُحذر بدءاً من لحظة قراءة السورة الأولى في الكتاب العزيز، أي سورة الفاتحة، من الشيطان ثم نسمع بعض السفراء والمسؤولين العرب ثم الرئيس حسني مبارك قبل أيام أنهم "مستعدون للتعاون مع الشيطان من أجل بلادهم" فإننا نتساءل: كيف يغيب عن بال من يقرأ القرآن بدءاً من سورة الفاتحة أنه لا بد أن يبدأ بالقول "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم...!!؟".

وكيف يغيب عن بال هؤلاء أن أي مقرئ في المساجد أو الإذاعات أو محطات التلفزيون يبدأ التلاوة بالقول: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم...!!".

وكيف يغيب عن البال أيضاً ما ورد في سور وآيات كثيرة عن الشيطان ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [الحجر].
- ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ [الحج].
- ﴿... وَإِنِّي أَعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران].
- ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل].
- ﴿... وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ [النساء].

وبصرف النظر عن المسألة الدينية فإن هذه العبارة في حد ذاتها ليست محببة ولن يجعلها قريبة إلى القلب والوجدان أن أول من قالها كان ذلك السياسي البريطاني الشهير ونستون تشرشل.

وهي من العبارات التي ربما يمكن أن تقال في مجلس مغلق تعبيراً عن حالة ضيق، أو تبريراً لوضع اليد في يد جهة يشكّل التعاون معها ما من شأنه أن يثير الإستهجان. اما أن تكون عبارة تأخذ طريقها إلى النشر وتنتقلها الإذاعة

والتلفزيون ويكون هنالك نوع من التمسك بها والإصرار على قولها فإن ذلك لا يثير الإستغراب فقط وإنما يدعو إلى الأسف.

وفي الإطار نفسه يمكن القول إن مثل هذه العبارة لو وردت في لقاء وجرى تعميمها على الصحف والإذاعة والتلفزيون لنشرها وبثها، لبات من الواجب الإستدراك والإلتصال الفوري لشطب العبارة قبل أن يتم نشرها وبثها. ويبقى أن ما نأمل هو أن لا نسمع هذه العبارة تتكرر بعد الآن.. وللحيثيات التي أوردناها نأمل ذلك. وفي لغتنا العربية، نثراً وشعراً، أبيات وعبارات وأقوال مأثورة يمكن أن تفي ببعض الغرض من دون أن تثير الإستغراب والإستهجان لأنه كيف يجوز للعقل أن يتحمل سماع قائد أو مسؤول مسلم وعربي يقول إنه مستعد للتعاون والتحالف مع الشيطان الرجيم ضد شقيقه المسلم والعربي؟

يبقى أيضاً أن هذه العبارة ليست الوحيدة التي نأمل إسقاطها من قاموس التعامل السائد منذ بعض الوقت. فقد حفلت هذه الأيام، الأكثر صعوبة في التاريخ العربي الحديث، بعبارات كنا نتمنى ألا تقال، أما وقد قيلت فإننا نتمنى ألا تتكرر. وإذا كان في الإمكان إستبدالها بعبارات ودودة فإن في ذلك الخير والبركة.

ومنذ أن بدأت الأزمة الراهنة، وإتخاذ الرئيس حسني مبارك الموقف المتعارض مع الموقف العراقي من جهة والمقاطع مع الموقفين الأردني واليميني، والتكهنات تتكاثر في شأن مصير "مجلس التعاون العربي".

ثم تحولت التكهنات إلى حالة إنتظار للحظة التي يتم فيها إعلان نهاية هذا المجلس خصوصاً بعدما وصلت الحملات الإعلامية، وبالذات بين مصر والعراق، إلى حد يفوق الوصف ويفوق القدرة على التحمل.

ثم فاجأ الرئيس مبارك يوم الخميس 27 أيلول/ سبتمبر 1990 رفاقه في مجلس التعاون الرئيس صدام حسين والرئيس علي عبد الله صالح بموقف، ربما كانوا لا يتوقعونه، أو على الأقل لا يتمنون صدوره عنه.

وفي كلمة ألقاها الرئيس مبارك أمام قوات مصرية مسافرة إلى المملكة العربية السعودية هاجم الرئيس المصري بعنف "مجلس التعاون العربي" ووصفه بأنه "مجلس التآمر العربي".

وبدت هذه العبارة وكأنها هي إستقالة يقمّمها الرئيس مبارك من عضوية مصر في "مجلس التعاون العربي". وهذا الموقف من الرئيس مبارك ينسجم مع ممارسات

كثيرة قام بها مسؤولون مصريون ورافقت المرحلة التي سبقت ولادة المجلس ثم المرحلة التي تلت الإعلان عنه. وكانت هذه الممارسات تعكس عدم حماسة مصر للمجلس، وكيف أنها فقط أرادت من أجل تنشيط عملية إعادة النظر العربية في قرار إسقاط العضوية من الجامعة. وكذلك تنشيط العلاقات الدبلوماسية المقطوعة بين مصر وبعض الدول العربية.

والآن ما الذي يمكن أن يحدث؟

إن الرئيس مبارك يُعتبر أن "مجلس التعاون العربي" هو مجلس تأمري.

وإزاء ذلك فإما أن يتبع إتهامه هذا بتقديم مذكرة يعلن فيها انسحاب مصر من المجلس.

أو يكتفي بأنه سجل هذا الإتهام وينتظر إلى حين تهدأ الخلافات التي تعصف بالصف العربي ويستأنف بعدها العمل في المجلس.

أو يواصل الرئيس صدام حسين والملك حسين والرئيس علي عبد الله صالح مسيرة المجلس بدولهم الثلاث وتترك باب الإنتساب أمام دول أخرى، وبالذات السودان الذي لم ينتسب إلى أي مجلس تعاوني.

وربما يحدث أمر تفرضه المتغيرات الجديدة في المنطقة ونعني به "مجلس التعاون العربي - الإسلامي" بحيث تكون إيران وغيرها من الدول الإسلامية أعضاء في هذا المجلس الذي يمكن أن يحقق، للمرة الأولى، وفاقاً مفقوداً بين المسلمين العرب والمسلمين غير العرب.

وبكلام آخر، هل نتوقع، ضمن ما نعيشه منذ أيام من مفاجآت أن يحدث وتحت مظلة المواجهة الإسلامية تعريب لإيران وتعجيم للعرب. وهنالك الحديث النبوي الشريف: "لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى".

مجلة "التضامن". لندن - 8 تشرين الأول (أكتوبر) 1990

دعاة الحل السلمي أجانب

والمعترضون عرب

ثمة مسألة لافطة للإنتباه وهي أنه في كل مرة يحدث إنفراج نسبي في الأزمة الراهنة في منطقة الخليج تنطلق

أصوات من النوع الذي يصعب فهم مقاصد أصحابه. وقبل أن يطرح الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران مبادرته السلمية من على منبر الأمم المتحدة كانت لهجة الحل العسكري هي اللهجة السائدة، ثم جاءت المبادرة الفرنسية المتوازنة لتجعل لهجة الحل العسكري تتراجع قليلاً أمام لهجة الحل السياسي. ثم تكاثرت ردود الفعل الترحيبية بالمبادرة فباتت لهجة الحل العسكري متساوية مع لهجة الحل السياسي.

وهذا التساوي أصاب بعض الأطراف بالهلع، في حين أن المنطق يفرض عليهم أن يفرحوا وذلك لسبب بسيط، وهو أن تساوي اللهجتين يعطي فرصة لإنحسار شبح الانفجار، ولأن ذلك يشيع في النفوس طمأنينة، ما أحوج الجميع إليها.

لكن أولئك الذين أصابهم ما يشبه الهلع لا ينظرون إلى الأمر على ما يبدو، من هذه الزاوية، وإنما يرون أن تساوي اللهجتين سيحقق للحل السياسي فرصة وهم لا يريدون ذلك، لأنهم يتطلعون إلى مكاسب لا يمكن في نظرهم أن تتحقق في ظل الانفراج، وإنما في أتون الحرب وبالذات إذا إنتشرت الإضطرابات وتحولت المواجهة بين القوات الأميركية ومن معها من أجانب وعرب من جهة وبين القوات العراقية من جهة أخرى إلى حروب أهلية تشمل العالم العربي من المحيط إلى الخليج.

واللافت للإنتباه أن الذين يصيبهم الهلع من توافر الفرص للحل السياسي لا يخفون ضيقهم وإنما يسجلون التصريحات التي يعبرون فيها عن هذا الضيق. وبما أن العالم بأكثرية الساحقة تصيبه السكينة عندما تتوافر فرص الحل السياسي، فإن أصوات الهلعين تُسمع بوضوح عندما تنطلق بشكل صيحات، ويبدو هؤلاء الذين يصيحون وكما لو أنهم ذئاب جريحة تائهة في الغابة والصحارى في ليل حالك السواد وعاصف.

ويحتار المرء من هؤلاء الذين يغضبون لأن أمام احتمالات الحل السياسي فرصة، ويطلقون التصريحات التي يمكن أن تقوّض الآمال بتحقيق الإنفراجات، لأن معنى ذلك أن فرصة الانفجار قليلة جداً.

يحتار المرء ويتساءل:

هل أن من المنطق في شيء النفخ في النار بدل إطفائها أو على الأقل بدل تركها تنطفئ وتتحول إلى رماد؟ وهل من المنطق في شيء الإنزعاج لأن دولة بحجم فرنسا وأهمية رئيسها تطرح مبادرة هدفها تحقيق الحل

السياسي، الذي يوفر على منطقتنا في الدرجة الأولى وعلى العالم كارثة وفواجع لا مثيل لها؟ وعندما نقول ذلك فعلى أساس أننا في الأيام التي تلت إعلان الرئيس ميتران عن مبادرته وتشجيع الرئيس بوش لهذه المبادرة، بدأنا نلاحظ إتساع حملة التشويش العربية على هذا الإتجاه. وقد تتطور الأمور بحيث إن هذه الحملة تتحول إلى هجوم يتضمن ألفاظاً كثيرة القساوة ضد أي جهة دولية تحاول تعطيل الألغام المزروعة أمام الحل السياسي.

ومثل هذا الأمر مؤسف جداً؟

والى ذلك إنه يفقد إلى بُعد النظر.

وما هو مطلوب منا في هذه المرحلة البالغة الخطورة هو رصد أي موقف دولي يمكن أن يتيح المجال أمام إمكانية تحقيق الحل السياسي، بمعنى أنه عندما يدلي هذا المسؤول الدولي أو ذلك بتصريح من شأنه أن يساعد على تحقيق الحل السياسي، فإن على أهل القرار في منطقة الخليج تسجيل مشاعر التقدير له وذلك من أجل تشجيعه على المضي قدماً في الإتجاه الذي يستبعد الحرب. أما عندما يكون المسؤول هو رئيس فرنسا، إحدى الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن، وتكون الخطوة المطلوبة من أهل القرار في منطقة الخليج هي الإذلاء بالتصريحات التي ترحب بالخطوة، هذا مع الأخذ في الاعتبار أن هؤلاء لم يندقدوا المبادرة أو يهاجموا صاحبها، إلا أنهم بالتصريحات التي أطلقوها ظهروا على أنهم صقور ولا يريدون للحمام أن ترفرف وفي مناقيدها أغصان الزيتون.

ومع أن هذه التصريحات لا يجب أن تنتهي مسؤولاً، مثل الرئيس الفرنسي وغيره، عن مواصلة سعيه إلا أننا نخشى أن تتسبب كثرة التصريحات التي يدلي بها المسؤولون العرب بحدوث حالة فتور في نفس الرئيس الفرنسي فلا يواصل السعي أو على الأقل يتباطأ ما دامت الأطراف السياسية في الأزمة تعتمد إلى تصعيد الأمور وتتصرف بما يوحي بأنها مع الحل العسكري بصرف النظر عن الفواجع التي ستتشأ عن هذا الحل. ونقول ذلك مع إقتناعنا الكامل بأن الرئيس ميتران عندما طرح مبادرته كان يتصرف ضمن "سيناريو الكبار" وإنه لم يفعل ذلك خدمة لهذا الطرف العربي أو ذاك وإنما تمهيداً لدور تاريخي يريد أن يتوج به حياته السياسية. والأزمة الراهنة في منطقة الخليج هي الفرصة المناسبة للدور التاريخي.

ويبقى أن الذين يناهضون الحل السياسي ويتصدون له بأساليب شتى، بعضها معلن، وبعضها الآخر غير معلن، إنما يفعلون ذلك من أجل تعزيز منطقهم وتحقيق طموحاتهم بصرف النظر عما إذا كان هذا المنطق سليماً أو خاطئاً، وبصرف النظر عما إذا كان من الجائز تحقيق الطموحات على الركام، وهو ما سينشأ بطبيعة الحال إذا حدث الحل العسكري... لا سمح الله.

مجلة "التضامن". لندن - 22 تشرين الأول (أكتوبر) 1990

* * *

نهاية فصل من المسرحية الحزينة

يوم السبت 13 تشرين الأول / أكتوبر تم إسدال الستار على فصل جديد من الميلودراما اللبنانية حيث أن القوات السورية وجهت ضربة قاصمة للواء ميشال عون الذي غادر القصر الجمهوري وطلب من قواته الإستسلام لجيش الشرعية اللبنانية التي طلبت المساعدة من سوريا، ثم توجه إلى السفارة الفرنسية، التي إعتبرته لاجئاً سياسياً وتعهدت له بذلك مقابل أن يستسلم من دون إراقة نقطة دم واحدة، وقد وفى بما تعهد به، وعليها أن تفي بما تعهدت هي به. وما يمكن قوله في هذا الشأن هو أن اللواء ميشال عون الذي إلتف البعض حوله على أساس أنه «غيفارا» مارس ما يمكن أن يمارسه أي ضابط من الضباط السوريين الذين سجلوا أسماءهم في لائحة الضباط المغمارين الذين يجربون حظهم في الحكم من خلال إنقلاب يقومون به. كما أنه لم يختلف كثيراً عن الضباط في العالم الثالث الذين تأثروا، في شكل أو آخر، بزملائهم السوريين الذين يُعتبرون رواداً في مجال شغف الضباط في الإنتقال من الثكنات إلى السرايات.

وعلى رغم خيبة أمل مريدي اللواء ميشال عون ببطلهم، إلا أن الرجل خيراً فعل بالنهاية التي أرادها خاتمة للفصل الذي أداه من الميلودراما اللبنانية. لقد أرادوه بطلاً حتى اللحظة الأخيرة وهو إختار أن يبقى ذلك البطل حتى اللحظة ما قبل الأخيرة. وفي هذه اللحظة القصيرة جداً تصرف اللواء ميشال عون بعقلية السياسي الذي يخطط لمرحلة جديدة يوظف فيها الرصيد الذي حققه في السنتين الأخيرتين من أجل الظهور بمظهر جديد معتمداً في ذلك

أيضاً على أنه في السن الفتية بالمقارنة مع رجال السياسة الذين يتخذون خطأ مشابهاً، ومن هؤلاء عل سبيل المثال لا الحصر العميد ريمون اده.

وعندما نقول إنه خيراً فعل ما فعله بالنهاية التي أرادها، فعلى أساس انه لو صمد تحت القصف إلى حد الموت أو أطلق الرصاص على نفسه مفضلاً أن يموت من أجل القضية التي يؤمن بها، فإن نهايته هذه كانت ستتحول إلى حالة حزن وجدانية في نفوس مريديه الذين سيُلقون فيه المراثي من دون أن يساعد ذلك على حل المسألة اللبنانية الكثيرة التعقيد، في حين أن النهاية التي أرادها لنفسه ستجعله شاهداً على أمور كثيرة وقد تحسم الأمر الأهم، وهو أن مشكلة لبنان ليست في اللواء ميشال عون وأنه يجب التعمق في سبب أغوار المشكلة وتحديد العلاج الشافي لها.

إن مشكلة لبنان هي الرفض في أن يكون له جيش. وهؤلاء الذين يرفضون يعرفون تماماً أنه في اللحظة التي سيستعيد فيها لبنان جيشه فإن هذا الجيش سيحقق الوحدة الوطنية، وهذه الوحدة ستحقق الإستقلال الثاني. وعندما يصير بعض السياسيين اللبنانيين على محاكمة اللواء ميشال عون ورفاقه فمن أجل ألا تقوم للجيش قائمة خشية أن ينتهي ذلك إلى ولادة الدولة القوية. ومن المؤكد أنه عندما يتم وضع اللواء ميشال عون في قفص الاتهام وحوله رفاقه من الضباط الذين آزره وساندوا المهمة التي أخذها على عاتقه فإن هذا معناه محاكمة للمؤسسة العسكرية. وهذه المحاكمة هي في واقع الحال ضغط على الجيش اللبناني من أجل أن يبقى الجيش على حاله لا تقوم له قائمة.

ويبقى سؤال: من الذي يستفيد من هذه الحالة؟

والجواب واضح. إن «مؤسسة» الميليشيات هي التي ستستفيد. وهذه المؤسسة التي لها جذور ضاربة في كل لبنان تعرف أنها ستتفاهر في حال إستعداد الجيش اللبناني عافيته ووحدته وتماسكه.

وهي ستتفاهر بالفعل لسبب بسيط وهو أنها قامت على أنقاض الجيش الذي تم ضربه في بداية الحرب اللبنانية. ولو لم يحدث ذلك لما كان لهذه الميليشيات أن تبصر النور وتعيش ست عشرة سنة وكأنها مؤسسات ليس هنالك رغبة في إنهائها لدى الطرف الذي لا يريد للبنان أن يستقر.

وما دام الطرف الذي يدعم الميليشيات لا يريد للبنان

الإستقرار فإنه يجب ألا يفرج البعض لأن حقبة ميشال عون إنتهت بإستسلامه ولجؤه إلى سفارة فرنسا التي إعتبرته لاجئاً سياسياً، ويجب ألا يحزن المريدون لأن الجنرال إنتهى على طريقة المغامرين وليس على طريقة أصحاب القضايا المقدسة.

إن ما حدث هو نهاية فصل وليس نهاية المسرحية الحزينة. ونحن على أبواب فصول أخرى تسبق الفصل الأخير.

مجلة "التضامن". لندن - 29 تشرين الأول (أكتوبر) 1990

* * *

الحل بالمعروف

عندما أطلق الرئيس فرنسوا ميتران مبادرته الشهيرة من على منبر الأمم المتحدة، فإنه أراد منها في الدرجة الأولى وقف هذا الإندفاع في اتجاه اعتماد الحل العسكري للأزمة في منطقة الخليج.

وقد طرح الرئيس الفرنسي مبادرته التي تضمنت إمكانية البحث في كل الأمور لمجرد أن يسجل الرئيس صدام النية في الإنسحاب من الكويت، في وقت كانت الجسور الجوية بين الولايات المتحدة وحلفائها تتشط بشكل لا مثيل له وتنتقل إلى منطقة الخليج القوات والمعدات، وفي وقت كانت مياه الخليج إمتلأت بحاملات الطائرات.

كذلك طرح الرئيس ميتران مبادرته في وقت كانت هيسستيريا القوة هي السائدة، وكان كبار المسؤولين في الولايات المتحدة والدول الحليفة لها يطلقون التصريحات التي لا تفيد في شيء سوى أنها تشحن النفوس في اتجاه الحرب.

ومن أجل ذلك فإن طرح المبادرة الفرنسية كان، إذا جاز التعبير، بمثابة رفع الغطاء قليلاً عن القدر المضغوطة التي يغلي فيها الماء وبذلك لا يحدث إنفجار نتيجة الغليان.

وعند المقارنة بين ما كان عليه الحال في العالم قبل أن يطرح الرئيس الفرنسي مبادرته، وما صارت عليه بعد طرد المبادرة يتبين لنا مدى أهمية ما فعله الرئيس الفرنسي.

لقد أوجد في النفوس الأمل بأن الحل العسكري ليس حلاً، ووضع على الطاولة الحل السياسي كبديل ممكن

التحقيق. وجعل الرئيس ميتران بفضل مبادرته وسائل الإعلام الدولية تتحدث عن الحل السياسي بعدما كانت هذه لا تتحدث سوى عن الحل العسكري على مدى أربع وعشرين ساعة في الأربع والعشرين ساعة.

وبفضل المبادرة أوضح الرئيس ميتران مسألة أساسية، وهي أن المرونة لا تعني إنهمازاً، وأن أي إنتصار لا يمكن أن يتحقق من دون مرونة.

وهو بالمبادرة التي طرحها شجع مئات الشخصيات في العالم من الذين يقودون الرأي العام بأن يصمدوا في عدم التراجع أمام الإرهاب الفكري الذي تمارسه الأطراف التي لا يهتمها سوى أن تشتعل الحرب وتآكل الأخضر واليابس. وبعدما طرّح هذه المبادرة بات صوت الذين يقولون بالحل السياسي أقوى من ذي قبل، وباتت وسائل الإعلام الدولية تهتم بهذا الصوت، بعدما كانت هذه الوسائل تتجاهله أو تتعامل مع أصحابه بشيء من الإستهانة.

وبعد المبادرة التي طرحها الرئيس ميتران بدأ التأمل لدى الناس يأخذ مداه. وبدأ المواطن في الولايات المتحدة والدول الأوروبية يجد نفسه يتساءل: من أجل أي قضية سيخوض الرئيس بوش حرباً ويجبر الحلفاء معه من أجنب وعرب على خوضها؟

وبعد التأمل والتساؤل توضحت معالم إتجاه يرفض الحرب إلى درجة أن بضعة ألوف تظاهروا في الولايات المتحدة وفي فرنسا. وهؤلاء تظاهروا والحرب لم تبدأ، فكيف هي الحال لو أنها بدأت.

والذي جعل المبادرة التي طرحها الرئيس ميتران تكتسب الأهمية القصوى، أو ما قبل الدرجة القصوى بقليل نتيجة محاصرة الصقور في الإدارة الأميركية لها، هو أن الرئيس الفرنسي طرحها بعد تشدد حيث إنه شارك في كل الخطوات التي إتخذت على أكثر من صعيد للضغط على العراق. وهو فعل ذلك على رغم الخصوصية التي تتسم بها العلاقات المتميزة بين العراق وفرنسا.

ولو أن الرئيس ميتران طرح المبادرة كبديل للموقف المتشدد الذي إضطر إلى عدم إتخاذه لما كان لها أن تلقى الإهتمام الذي لقيته. لكن الرئيس ميتران إتخذ الموقف المتشدد عندما إعتبر أن التشدد مطلوب. وعندما وجد أن المرونة أمر مطلوب أيضاً فإنه مارس المرونة. وبذلك لم تتأثر المصادقية التي للرئيس الفرنسي.

وخلاصة الأمر أن الرئيس ميتران طرح المبادرة عندما وجد أن الإنفجار قد يكون وشيكاً إذا لم تتم بلورة خط آخر

يعمل من أجل الحل السياسي ويسير في موازاة الخط الذي ينشأ فقط في إتجاه الحل العسكري.

وعلى الرغم من أن المبادرة لم تكن موضع ترحيب كثيرين إلا أنها كانت مهمة وضرورية. فإلقدّر المضغوظة تغلي والإنفجار ربما كان سيحدث في أي لحظة. وما هي فائدة المبادرة والسعي الحميد إذا هما حدثا بعد الإنفجار؟

بعد مبادرة الرئيس ميتران بدأ يحدث نوع من التشقق في الجدار الصلب لدعاة الحل العسكري، وتزايدت الثغرات مع الإتجاه الجديد الذي تتقاسم قيادته فرنسا والإتحاد السوفياتي، مع الأخذ في الإعتبار أن الرئيس الفرنسي أخذ على عاتقه، شخصياً، أمر القيام بالمسعى السلمي، في حين أن الرئيس غورباتشوف، وفي مسابقة منه لكل من الرئيس بوش والسيدة مارغريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا، أوكل الأمر إلى المستشارين. وفي هذا الإطار جاءت مهمة بريماكوف. وصحيح أن الرئيس غورباتشوف أبقي وزير الخارجية شيفاردنادزة بعيداً عن الأمر وذلك إرضاء للولايات المتحدة، وبحيث يقال إن المسألة محصورة في إطار المستشارين، إلا أن الرئيس السوفياتي خيراً فعل وذلك لأن الإنطباع السائد عن شيفاردنادزة هو أنه لا يمكن أن يكون على الإطلاق من حيث المشاعر مع أي نتائج لمصلحة التقاليد التي أرسنها الدبلوماسية السوفياتية أيام غروميكو في سجل علاقات التعامل مع العرب، فضلاً عن أن رئيس الدبلوماسية لعهد غورباتشوف منصرف كلياً كوقت وكمشاعر إلى الولايات المتحدة، بل إنه جيء به لهذا الغرض فقط. وإلى ذلك إن الرئيس غورباتشوف خيراً فعل بإسناد المهمة إلى بريماكوف وليس إلى شيفاردنادزة لأن الأول يعرف المنطقة العربية جيداً ويعرف الرئيس صدام حسين منذ أكثر من ربع قرن، بينما الثاني يبدو في هذه الناحية من المستشرقين.

وعلى رغم أن الرئيس غورباتشوف أبقي شخصه ووزير خارجيته بعيداً عن المسعى الجديد، وأن الرئيس ميتران إختار العمل بصمت في سبيل مبادرته ولم يعد، منذ أن طرحها، يشير إليها من قريب أو من بعيد كي لا يتم إجهاضها ولا تتم إستشارة الطرف الأمريكي والطرف البريطاني، وكلاهما متشدد إلى أبعد الحدود.. على رغم ذلك فإن التآمر على هذا المسعى لم يتوقف. وكان في كل مرة يتخذ شكلاً جديداً. وكل حلقات التآمر تصب في نقطة واحدة وهي أنه إذا كان لا بد للحل العسكري أن يتم فبقية الولايات المتحدة ووفق ما تريده. وإذا كان للحل السياسي

أن يتم فليس من خلال مباغته الولايات المتحدة وفرض الأمر الواقع عليها. وهذه المسألة بالذات هي ما فهمته إدارة الرئيس بوش من المسعى الفرنسي الذي تطور إلى مسعى فرنسي - سوفياتي، والمرشح أن يتطور إلى مسعى أكثر شمولاً في ضوء الأجواء التي أحدثتها التصريحات التي أدلى بها يوم الأحد 21 تشرين الأول/أكتوبر 1990 الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس الوزراء وزير الدفاع والطيران في المملكة العربية السعودية.

وفي هذه التصريحات التي تعاملت معها وسائل الإعلام الدولية، من صحف ومحطات إذاعة وتلفزيون، بأهمية تفوق بكثير أهمية الذين سمعوها من الأمير سلطان (وهم عدد محدود من الزملاء العرب) قال المسؤول السعودي الكبير: "إن الحل الذي يخالف تحقيق إنسحاب عراقي غير مشروط من دولة الكويت وإعادة الشرعية الكويتية إلى أراضيها هو حل غير مقبول ومرفوض من جانب دول الخليج وبالذات الأكثرية العربية والعالمية. وإذا كانت للعراق الشقيق حقوق فكلنا نرى أن أي عربي له حق تجاه أخيه العربي يجب أن يأخذه ولكن ليس عن طريق إستخدام القوة. فهذا أمر غير مطلوب. إن المملكة العربية السعودية من دعاة إعطاء الحقوق لأصحابها ومن دعاة الأمن القومي العربي، بما فيه التنازلات الأخوية من العربي للعربي سواء كانت حقاً ثابتاً أو مشبوهاً. وليست هناك إساءة إلى أي دولة عربية تعطي شقيقتها العربية أرضاً أو مالا أو مدخلاً على بحر..".

والذي حدث هو أنه لمجرد أن سمع مراسلو الصحف والإذاعات والوكالات ومحطات التلفزيون العالمية بتصريحات الأمير سلطان تعاملوا معها على أنها حدث من الأهمية بمكان، ثم تعاملت الوسائل التي يعمل فيها هؤلاء مع التصريحات تعاملها مع نبأ بالغ الأهمية من شأنه أن يصبح نقطة تحول في الموقف. ومن أجل ذلك كانت التصريحات هي النبأ الرئيسي في نشرات الأخبار. ومن أجل ذلك أيضاً حدث إهتزاز في أسواق الأوراق المالية في العالم وفي أسعار النفط. ومع أن هذا الإهتزاز وما يحويه من مفاجآت ليس بالأمر الجديد منذ 2 آب/أغسطس 1990 إلا أنها المرة الأولى التي تهتز فيها الأسواق الإهتزاز الذي يدعو إلى الإرتياح. وذلك على أساس أن تصريحات الأمير سلطان تركت إنطباعاً بأنه لا ضرورة على الإطلاق للحل العسكري ما دامت المملكة العربية السعودية ترى ما عبّر عنه الأمير سلطان في

تصريحاته حول الحقوق والتنازلات الأخوية.

ومثلما أن الرئيس ميتران عندما أطلق مبادرته بدا كمن يرفع الغطاء قليلاً ويرفق عن القدر المضغوطة التي يغلي فيها الماء كي لا يحدث الانفجار، فإن الأمير سلطان بن عبد العزيز بالتصريحات التي أدلى بها أحدث عملية تعطيل للتعبير الذي كثر الكلام في شأنه وبأنه سيتم في موعد يراوح بين منتصف تشرين الثاني/نوفمبر والأسبوع الأول من كانون الأول/ديسمبر 1990.

وبصرف النظر عن التوضيح الرسمي السعودي الذي تلا عملية نشر التصريحات وردود الفعل عليها وتحليل مضمونها، فإن هذه التصريحات أكدت حقيقة أساسية مشابهة للحقيقة التي أكدتها مبادرة الرئيس ميتران، وهي أن إدارة الرئيس بوش تفضل أسلوب الإخضاع حتى إذا تطلّب الأمر إشعال الحرب، في حين أن الخط الأخير الذي عبّر عنه الرئيس ميتران بمبادرته والإتحاد السوفياتي بمساعاه من خلال بريماكوف والمملكة العربية السعودية بالتصريحات التي أدلى بها الأمير سلطان بن عبد العزيز، يفضل أسلوب الإقتناع حتى إذا تطلّب الأمر إعتقاد المرونة إلى درجة إعادة النظر في التشدد أو ما سماه الأمير سلطان بـ "التنازلات الأخوية".

وأهمية التصريحات التي أدلى بها الأمير سلطان أنها أكدت بأن التوافق الأميركي - السعودي ليس بالصورة التي إنطبعت في أذهان البعض، بل قد يجوز القول إن هنالك ما يشبه التقاطع وإلا فما معنى أن يعتبر الرئيس بوش شخصياً تصريحات الأمير سلطان وكأنما هي ضربة موجهة له فيدلي بتصريحات رداً عليها تتسم بالحدة والتي يرفض فيها التسليم بأن الأمير سلطان بن عبد العزيز يمكن أن يدلي بالتصريحات التي أدلى بها ويرفض أيضاً ما ورد فيها جملة وتفصيلاً.

وقد تكون الورطة التي أوقع الرئيس بوش نفسه فيها هي السبب. كذلك قد تكون الأزمة الكثيرة التعقيد بسبب الميزانية وشبح الضرائب، والتي قد تفقده شأنه وربما زعامته ومستقبله وكذلك فرصة تجديد الولاية، هي السبب في هذه الحدة. ولكن هذه الحدة أكدت أمراً أساسياً وهي أن الولايات المتحدة تريد من الأصدقاء والحلفاء تبني الحل الأمريكي - البريطاني أو "حل بوش - تاتشر" لأزمة الخليج وليس الحل المنطقي أو "الحل بالمعروف" لهذه الأزمة. والفرق كبير بين حل يقوم على مشاعر شخصية وحل يريد للمنطقة أن تستقر وهو ما يمكن قراءته بين سطور

قمة غورباتشوف

إعتدنا منذ قمة أنشاص (28-29 أيار/ مايو 1946) وهي القمة العربية الأولى التي دشن فيها القادة العرب تقليد إجتماع الملوك والرؤساء للبحث في قضاياهم وخلافاتهم، أن تكون المبادرة عربية، بمعنى أن يقترح أحد القادة العرب عقد إجتماع قمة فتبدأ ردود الفعل حيث تسارع بعض الدول إلى إعلان الموافقة وتتباطأ بعض الدول لسبب أو آخر في إعلان الموافقة لكنها في النهاية تشارك وإن كان يحدث أحياناً أن تتم المشاركة على مستوى أقل من هذا الملك أو السلطان أو الرئيس.

وإعتدنا أيضاً على أن الأطراف التي تدعو إلى مؤتمر القمة كانت تنظر إلى القمة على أنها خشبة الخلاص من أزمة أو الجسر المتين الذي تعبر عليه الأمة لمواجهة وضع بالغ الخطورة.

وإعتدنا أيضاً على أن مؤتمرات القمة كانت في إستمرار لتسجيل حالة إحتجاج أو تسجيل موقف ضد السياسة الأميركية في المنطقة.

وإعتدنا أيضاً على أن الدول الكبرى لا تتعامل بإهتمام مع مؤتمرات القمة العربية، كما أن وسائل الإعلام العالمية تهتم في حدود ضيقة جداً بما يتخذه القادة العرب عندما يجتمعون.

وإعتدنا أيضاً على أن القادة العرب يترثون في عقد قمة إنتظاراً لما يمكن أن تسفر عنه قمة دولية. وإعتدنا أيضاً على أن الرأي العام العالمي لا يكثرث بإجتماعات القمة العربية ربما لأنها لم تكن من الفعالية بحيث يكون الإهتمام أساسياً والقلق وارداً من قرارات يتم إتخاذها.

هذا ما إعتدنا عليه طوال أكثر من أربعين سنة، ثم جاءت الأزمة الراهنة في الخليج ليحدث بعض التبدل في المسار العام.

وها هو الرئيس السوفياتي غورباتشوف هو الذي يطالب بعقد قمة عربية. وهو لم يوجه الدعوة من موسكو وإنما بعد إجتماعات بالغة الأهمية في باريس مع الرئيس فرنسوا ميتران وفي ضوء الجولات المكوكية التي يقوم بها مبعوثه الشخصي بريماكوف في المنطقة العربية ولدى بعض الأطراف الدولية المعنية بأزمة الخليج وهي، جولات تعيد إلى أذهاننا جولات المكوك الأميركي هنري كيسينجر

تصريحات الأمير سلطان بن عبد العزيز.

واللافت للإنتباه أن تصريحات المسؤول السعودي الكبير جاءت بعد لحظة إمتحان للعلاقة الأميركية - الإسرائيلية في أعقاب مجزرة الأقصى وفي أعقاب كلام يتردد في الأوساط الصهيونية بأنه سيتم إزالة الأقصى نفسه لكي يتم بناء الهيكل على أنقاضه. ولعل الإسرائيليين يتطلعون إلى أن يتم ذلك خلال وجود القوات الأميركية والأجنبية في منطقة الخليج وبحيث ينتهي الأمر إلى أن الولايات المتحدة تأخذ النفط وإسرائيل تهدم الأقصى.

ويبقى أنه عندما يصدر توضيح من الأمير سلطان للتصريحات وتتلوها توضيحات من الملك فهد شخصياً، فإن هذا لا يعني أن ما قاله الأمير سلطان ليس هو ما يجول في خاطر أهل القرار السعودي.

ومن هنا فإن التوضيحات ليست أكثر من مجرد إجراء وقائي لا بد منه إزاء الصديق الأميركي الذي يتسم أفعه بالضيق عندما يفترض أن أهل القرار السعودي لا ينظرون إلى المسألة بالواقعية التي تشكل تصريحات الأمير سلطان القليل من الكثير الذي يمكن أن يقال في شأنها.

يبقى أيضاً أن هذه التصريحات تشكل بنوداً كثيرة الوضوح للحل العربي، وأن هذا الحل هو الذي لا بد منه. ومن هنا فإن تصريحات الأمير سلطان إكسبت هذا الحل بعض الحيوية وباتت فرصة نجاحه أمام الحل العسكري أقوى من ذي قبل. وخصوصاً بعدما إنتفض الرئيس بوش لمجرد أن سمع بأن أحد رجال القرار السعودي أطلق كلاماً يخلو من عبارة "من دون قيد ولا شرط" ومن شأنه أن يوجّد الموقف بين الأشقاء العرب ويزيل الحيرة التي تحجب الرؤية وتشرح الصدور الملأى بالآهات والأحزان.

.. ومن يدري. قد يكون الرئيس بوش إنتفض ولم يخف مشاعره عن الناس، لأن الأمير سلطان أدلى بتصريحاته التي يمكن أن تقود إلى "حل بالمعروف" للأزمة في المنطقة، وفي وقت كان العد العكسي لتنفيذ الحل العسكري قد بدأ وأراد الرئيس بوش مبالغاً حتى لأصحاب العلاقة الذين باغتوا قبيل أن يباغتهم.

.. وتلك أصول اللعبة. وبالذات في أيام الخطر ومحاولات إشعال الحروب.

مجلة "التضامن". لندن - 5 تشرين الثاني (نوفمبر) 1990

* * *

والمكوك الأميركي الآخر فيليب حبيب.

ولقد دعا غورباتشوف إلى القمة العربية لإيجاد حل عربي متوازن لأزمة الخليج يوم الإثنين 19 تشرين الأول / أكتوبر 1990، وفي وقت كانت صيحات التشدد تنطلق من المسؤولين في واشنطن ولندن والقاهرة، وفي وقت كانت الإدارة الأميركية تجبر مجلس الأمن على إتخاذ المزيد من قرارات العقوبات ضد العراق. وهو في هذا التصرف أظهر أهمية التعقل في معالجة أول أزمة في التاريخ تتم على أرض تجري من تحتها أنهار النفط، ويتم فوقها تكديس أحداث وأخطر أنواع الذخيرة والأسلحة. ولنا أن نتصور ما الذي يمكن حدوثه في حال غاب التعقل وتحول الصراع الحالي إلى حرب.

ومن المهم أن نأخذ في الاعتبار أن دعوة غورباتشوف إلى قمة تناقش الأزمة في منطقة الخليج هي العملية الدبلوماسية الأولى من نوعها في العهد الغورباتشوفي. ومن قبل كان من المستحيل قيام الإتحاد السوفياتي بمهمة من نوع المهمة التي أوكل فيها الرئيس غورباتشوف إلى الرئيس بريماكوف القيام بها. ونقول ذلك على أساس أن الدور القديم للإتحاد السوفياتي قبل عهد غورباتشوف كان إمداد الأصدقاء والحلفاء بالسلح من أجل مواجهة السياسة الأميركية، والوقوف معهم في مجلس الأمن عند التصويت على قرارات ليست لمصلحتهم. ولو أن الأزمة الراهنة حدثت في العهد السوفياتي القديم، أي عهد ما قبل غورباتشوف، لما كان هنالك مبعوث سوفيائي - بريماكوف أو غيره - ينتقل في بعض العواصم العربية والدولية ويتنقل من لقاء يعقده مع الملك فهد بن عبد العزيز إلى لقاءات أخرى كثيرة مع بعض القادة، وإنما كان هنالك موفدون يرمون المعاهدات وصفقات السلاح، وكانت هنالك تعليمات مشددة وواضحة للمندوب السوفياتي لدى الأمم المتحدة وهي إستعمال الفيتو عند التصويت على أي قرار لا يرتاح إليه الأصدقاء العرب.

وإلى ذلك إن غورباتشوف عندما يدعو إلى مؤتمر عربي فعلى أساس إيمانه بأن الحوار هو الحل وأن التنازلات ليست بذلك الأمر المسيء ما دامت هي الطريق الأكثر سلامة نحو الحوار المجدي، وهذه خلاصة رؤية الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس الوزراء ووزير الدفاع والطيران السعودي التي لخصها بتعبير قد يجد في إستمرار مكاناً له في قاموس التعامل السياسي، ونعني به تعبير "التنازلات الأخوية". وقد يتبين لنا ذات يوم

أن الرئيس السوفياتي إستند إلى روحية هذا التعبير وإلى ما سمعه من بريماكوف مبعوثه الشخصي عندما بدأ صياغة دعوته إلى عقد مؤتمر عربي. وللرئيس السوفياتي تجربة عريقة مع الأميركيين في شأن الحوار والتنازلات تطورت من لقاء يعتمد على التشدد وعلى أسلوب عدم المرونة بعيداً عن أي قيود أو شروط إلى لقاءات يخطط فيها الجانبان الأميركي والسوفياتي كيف يزيلان الصواريخ هنا والقوات هناك والقواعد هنالك بل كيف يعاد النظر في أنظمة وتقاليده ومفاهيم.

كما أن غورباتشوف عندما يمارس هذا الأسلوب يأخذ في الاعتبار أن التنازلات التي أفتى بها وصلت إلى حد توحيد ألمانيا، وهو أمر ما كان ليحدث على الإطلاق لولا السعي الذي قام به.

ويبقى أن المؤتمر الذي دعا غورباتشوف إلى عقده ليس خدمة يؤديها إلى العرب بقدر ما أنه خدمة لكل المتورطين، عرباً وأجانب وأولهم الرئيس بوش الذي بات من حق الجميع عليه أن يقلل من إستفزازاته للمشاعر العربية، وأن يسمي كبادرة حسن نية مبعوثاً له يتحرك جنباً إلى جنب مع المبعوث السوفياتي بريماكوف في المنطقة ويحول إنهاء فرصة الحل العسكري إلى إنتصار، ذلك أنه إذا كان الرئيس بوش يبحث عن إنتصار فإن قطع الطريق على إشتعال الحرب هو الإنتصار، وبعد ذلك على طريقة الحوار الذي حققه الوفاق الأميركي - السوفياتي يحدث الوفاق في منطقة الخليج ويبقى النفط في مأمن لخير العرب ولمصالح العالم.

يبقى أيضاً إن أهمية الدعوة التي وجهها غورباتشوف أنها موقف سوفيائي يشكّل الحد الأدنى الذي لا عودة عنه، وأن أي قمة عربية تتعقد بعد الدعوة التي وجهها الزعيم السوفياتي سيكون الفضل الأول في عقدها له، وذلك لأن الدعوة لها من طرف عربي أياً كان الطرف كانت ستعثر وربما لن تتعقد، أو أنه يتقرر إنعقادها إنما بعد فوات الأوان.

وعلى هذا الأساس فإن تاريخ القمم العربية منذ العام 1946 وحتى الآن سيشتمل الإشارة إلى قمة.. غورباتشوف.

مجلة "التضامن". لندن - 12 تشرين الثاني (نوفمبر) 1990

* * *

ديبلوماسية السابقين

من الظواهر اللافتة في أزمة الخليج ظاهرة "ديبلوماسية السابقين" حيث إن عدداً من الشخصيات الدولية الذين سبق لهم أن شغلوا مناصب على مستوى القمة في بلادهم قاموا بزيارات إلى بغداد واجتمعوا بالمسؤولين هناك، ثم قابلوا الرئيس صدام حسين.

وسيتبين ذات يوم أن هؤلاء السابقين قدّموا إلى شعوبهم وإلى شعوب العالم خدمة كبرى وهم خارج السلطة لم يقدموها أولئك الذين يجلسون في القمة ويمارسون السلطة بكل الصلاحية الممنوحة للمناصب التي يشغلونها.

وأبرز هؤلاء الذين قاموا بزيارات إلى بغداد وحققت زياراتهم نتائج طيبة على الصعيد الإنساني وصعيد المصلحة العامة، وليس على الصعيد الشخصي والمصالح الانتخابية السياسية، رئيس وزراء بريطانيا الأسبق إدوارد هيث ورئيس وزراء اليابان السابق ناكاسوني ومستشار ألمانيا الأسبق فيلي برانت.

ومع تقديرنا لكل بادرة طيبة صدرت عن هؤلاء وغيرهم وإستهدفت تعطيل إمكانية حدوث الحرب، أو على الأقل تأجيلها أطول وقت ممكن، إلا أن السعي الذي بذله هؤلاء يحملنا على التأمل في تعامل زعماء العالم مع القضايا العربية عندما يكون هؤلاء في الحكم وتعاملهم مع قضايانا ومع أي أمور تهمنا أو لها علاقة بنا من قريب أو بعيد بعد أن يغادروا الحكم ويتحولوا إلى سابقين ينتظرون فرصتهم المناسبة للعودة مرة أخرى إلى الحكم أو يقبعون في مكاتبهم ومنازلهم تحت مظلة الرصيد السياسي الكبير الذي تحقّق لهم عندما كانوا في الحكم.

عندما يكون هؤلاء في الحكم فإنهم أعداء لقضايانا ما دمنا لا نتصرف وفق الخط الذي يحدّدونه. أما إذا نحن تصرّفنا وفق هذا فإن التعامل معنا لا يستند إلى الإحترام وإنما يكون مبنياً على التعالي.

ولنأخذ على سبيل المثال لا الحصر القضية الأساسية التي يلتقي العرب حولها وإن اختلفت المفاهيم أو تناقضت، ونعني بها القضية الفلسطينية. وما يمكن قوله في هذا الشأن هو أن من كان وهو في الحكم لا يتحمل سماع اسم هذه القضية ويرفض حتى الحد الأدنى من التجاوب مع المطالب الإنسانية يتحول إلى متفهم لهذه القضية وإنساني إلى أبعد الحدود بعد أن يصبح خارج الحكم، أي من

السابقين. وعندما نتذكر ما فعله الرئيس الأسبق جيمي كارتر بالقضية الفلسطينية وبالقضية العربية عموماً عندما أغوى مصر السادات وأغراها فإنفردت بذلك الحل الذي نعيش حتى الآن نتائج تداعياته، ثم نرى ما فعله بعد ذلك.. تتأكد لنا غرابة المشاعر التي تتبدل فجأة فقط لأن الذي في الحكم لم يعد في الحكم.

والى ذلك إن كارتر الذي كان في الحكم ولا يتحمل أن يتخذ خطوة إنصاف واحدة للقضية الفلسطينية هو نفسه، كشخص، كارتر الذي لم يعد في الحكم وبات واحداً من كبار السابقين. وهو نفسه الذي صار يتطلع إلى التعاطي بالشأن الفلسطيني إلى حد الإجتماع بياسر عرفات. وهكذا فإن عرفات الذي كان في نظر كارتر الرئيس رمزاً للإرهاب لا يجوز اللقاء به والإعتراف بالمنظمة التي يترأسها ومنحه التأشيرة لزيارة نيويورك بات في نظر كارتر الرئيس السابق شخصاً طيباً من شأن اللقاء به أن يكون مفيداً. بل إن الرئيس الأمريكي الأسبق وجد في التقرب من ياسر عرفات ما من شأنه أن يحقق له بعض الحيوية السياسية.

وما يقال عن كارتر يقال عن كثيرين آخرين يتكرون وهم في الحكم للقضية الفلسطينية ولأي قضايا تهمنا كعرب، ثم عندما لا يعودون في الحكم تتبدل النظرة لديهم وتحدث الإستدارة. تلك هي الحال التي ألفناها مع السابقين. ولكن ضمن مبدأ القاعدة والإستثناء يجوز إعتبار موقف السابقين الذين تعاطوا مع الأزمة الراهنة في الخليج من إدوارد هيث إلى فيلي برانت إلى ناكاسوني، بأنه موقف مخلص إلى حد كبير، وذلك على أساس أن أي سياسي في العالم يسعى من أجل ألا تتدلع الحرب يكون نموذجاً لرجل الدولة المخلص. أما الذين لا يسعون فإنهم مقصرون في تأدية واجب يفرضه عليهم الوجدان.

ويبقى أنه مثلما أننا كنا وما زلنا نتمنى من الذين في الحكم أن يشملوا في تحركاتهم شخصياً أو من خلال مبعوثيهم العراق، فإننا كنا نتمنى من السابقين الذين زاروا بغداد لو أنهم شملوا بزياراتهم كلاً من مصر والسعودية وذلك كي لا يتكرس إنطباع بأن الذين في الحكم هم مع الحرب، وإن السابقين فقط هم ضد الحرب، وأن الذين في الحكم يقومون بزيارات إلى جبهات المواجهة المقبلة في حين أن السابقين هم فقط الذين يمكن أن يزوروا العراق.

ويبقى أن أبسط قواعد الديمقراطية هي الحوار. وعندما لا يزور الذين هم في الحكم العراق فهذا يعني أنهم ليسوا ديمقراطيين بما فيه الكفاية. ولولا الزيارات التي قام بها

السابقون لكان بدا أنه ليس هنالك خيار سوى الخيار العسكري. ولكن "ديبلوماسية السابقين" فتحت بعض النوافذ أمام الخيار السياسي وهو الخيار الذي سيعطّل إمكانية حدوث الحرب.

.. ومن هنا القول في بداية هذا الكلام إن السابقين قدّموا لشعوبهم خدمة كبرى، أو بكلام آخر إن الذين في الحُكم أكلوا الحصرم وإن السابقين جعلوا الناس لا يضرسون.

وبعد الآن ستصبح "ديبلوماسية السابقين" مدرسة يُحتذى بها. وبها يمكن ضَرْب الأمثلة عن ضيق أفق بعض الذين في الحُكم وبُعد نظر الذين باتوا خارج الحُكم.

مجلة "التضامن". لندن - 19 تشرين الثاني (نوفمبر) 1990

* * *

قمة تلغي قرارات قمة أمر ممكن..

ولقد حدث

إفترضنا بعدما وجّه الملك الحسن الثاني الدعوة - بصيغة الإقتراح العاجل جداً - إلى عقد مؤتمر قمة أن التجاوب مع هذه الدعوة سيكون سريعاً، وأن بعض الأطراف العربية ستبذل ما في وسعها من أجل أن تتعقد هذه القمة التي من شأن أي نسبة نجاح لها أن تشكّل إنهاء حالة "اللاحل واللاعدوان" التي مضى على نشوئها في المنطقة ثلاثة أشهر.

وإفترضنا بعدما أطلق العاهل المغربي الإقتراح أن كل الأطراف الدولية والعربية المعنية بشكل مباشر أو غير مباشر بالأزمة التي نشأت نتيجة الدخول العسكري العراقي إلى الكويت سترحب بالمسعى الذي يقوم به الحسن الثاني وتبدي من المرونة ما من شأنه أن يجعل هذه القمة تتعقد وإذا هي إنعقدت أن تنجح.

ولقد إفترضنا ذلك على رغم أن صيغة الإقتراح المغربي وظروفه كانت لافتة للإنتباه. فالملك الحسن الثاني طلب إنعقاد القمة خلال أسبوع. والملك الحسن لم يوفد المبعوثين إلى العواصم العربية ذات الشأن الكبير في الأزمة الراهنة وإنما وجّه الدعوة وبصيغة الإقتراح من دون هذا التمهيد. ولو أن الملك الحسن الثاني فعل العكس، أي أنه أجرى

المشاورات قبل أن يقترح ولم يحدد مهلة الأسبوع للإنعقاد، لكان ربما ساعد أكثر على وضع الإقتراح موضع التنفيذ. ومن هنا قد يجوز التساؤل: لماذا لم يفعل الملك الحسن الثاني ذلك؟

هل لأنه أدري بما يمكن تسميته "مرض المشاورات" الذي يشكّل مضيقاً للوقت؟

أو هل لأنه يرى أن التطورات لا تتحمل سفر المبعوثين ودعوة هؤلاء ثم تنسيق المواقف بعد ذلك وما أكثرها؟

أو هل لأنه عندما إقترح مهلة الأسبوع لم يكن يعني أن هذه القمة ستتعقد مع حلول آخر يوم من المهلة التي حددها، وإنما لأنه بحكم تجربته العريقة في مسألة القمم العربية يعرف أن هنالك من سيتريث إذا لم يكن هنالك إستعجال، وأن هنالك من سيناور لهدر الوقت، وأن هنالك من سيقول بينه وبين نفسه أنه ما دام ليس هنالك إستعجال فلماذا إذاً التجاوب بسرعة؟

والى ذلك إن الملك الحسن الثاني أطلق الدعوة - الإقتراح وحدد مهلة الأسبوع ربما على أساس أن زملاءه الملوك والرؤساء سيفضلون قمة تتعقد قبل أن يقوم الرئيس جورج بوش بزيارة إلى كل من مصر والسعودية، وذلك كي لا يقال في حال إنعقاد القمة بعد ذلك أن نتائجها جاءت منسجمة مع الزيارة، وربما لأن الرئيس الأميركي لم يشمل المغرب بهذه الزيارة. لكن التجاوب العربي لم يكن مشجعاً فلم تتعقد القمة قبل الزيارة المقررة للرئيس الأميركي.

واللافت للإنتباه ليس عدم التجاوب مع الإقتراح المغربي إلى حد إنعقاد القمة الإستثنائية لأن ذلك من الأمور المعهودة في سياسة التعامل بين الأقطاب العرب، وإنما الذي يلفت الإنتباه هو أن الرئيس حسني مبارك يزداد تشدداً ورفضاً لأي مسعى توفيقي حتى إذا جاء هذا المسعى من الصديق التقليدي لمصر الملك الحسن الثاني، بدليل أنه عوض أن يقوم بالترويج للحل السلمي بدأ، لمجرد أن أطلق العاهل المغربي اقتراحه بشأن عقد القمة، جولة إستهدفت التسويق لفكرة الحل العسكري الذي ما زال الرئيس مبارك هو الطرف العربي الوحيد الذي يبدي الحماسة له، وهذا ما تعكسه بعض تصريحات الرئيس مبارك ومعظم الكتابات والتعليقات الصحافية والإذاعية والتلفزيونية في مصر. وقد يكون السبب الذي جعل الرئيس مبارك يواصل هذا التشدد هو ما طالب به مسؤولون عراقيون في شأن إلغاء قرارات قمة القاهرة كشرط من شروط العراق للمشاركة في القمة المقترحة.

الكومبيوتر. ونتيجة ذلك فقد ظهر هؤلاء وكأنهم رد فعل أكثر منهم الفعل.

ولأن الأمر جرى على هذا النحو فإن آثار المباغثة الأميركية ظهرت في تصريحات البعض، وفي ردود الفعل حيث طغت الإجهادات والتفسيرات على الموقف الحازم والواضح من الخطوة الأميركية المفاجئة.

ومن الخطأ أن نفترض بأن مجرد الرغبة في السلام هي التي دفعت بالرئيس بوش إلى الخطوة التي تقضي بإيفاد وزير الخارجية الأميركية جيمس بيكر إلى بغداد للقاء الرئيس صدام حسين ودعوة وزير الخارجية العراقية طارق عزيز إلى واشنطن للإجتماع بالرئيس بوش. ذلك أن هنالك عوامل ضاغطة جداً قد تكون السبب، في الدرجة الأولى، في الإقدام على هذه الخطوة، وتأتي الرغبة في السلام كمادة أخيرة في لائحة الأسباب الموجبة.

ولا نجافي الحقيقة إذا نحن إفترضنا بأن شبح الإنهيار الإقتصادي، الذي بدأ الحديث يتكاثر في شأنه في دول أوروبا يطرح فكرة الحوار التي تتعش الأسواق ببعض الشيء فلا يحدث الإنهيار. ومن يدري فقد يكون هنالك تقرير وضعه أمام الرئيس بوش خبراء المال والإقتصاد في إدارته وبعدما تأمل في خطورة الوضع الناشئ عن إستمرار هذه التعبئة في إتجاه العمل العسكري وعدم تفهم دواعي أزمة الخليج إختار الموقف الجديد مستنداً في ذلك إلى أن يتخذ من موقع الأقوى ما دام إنتزع من مجلس الأمن القرار 678 الذي يذكّرنا إلى حد كبير بالقرار 242 من حيث تعدد أوجه التفسير له، بمعنى أن في إستطاعة كل طرف أن يفسره بطريقته.

والى ذلك فإن إقترب مناسبة عيد الميلاد ورأس السنة الجديدة، وهي مناسبة تعني الكثير بالنسبة إلى المواطن الأميركي والمواطن الأوروبي، من دون أن تلوح في الأفق بوادر الحل، هو أيضاً سبب من الأسباب التي تجعل الرئيس بوش يطرح فكرة الحوار مع العراق، والتي من شأنها أن تجعل الأعصاب المشدودة في أميركا تسترخي قليلاً وبحيث لا يعود المواطن الأميركي يقول بينه وبين نفسه: ألا يكفي ما فعله بنا الرئيس في عيد الشكر حيث غطت سماء حياتنا هموم أخطار الحرب، حتى نواجه هوماً مماثلة لمناسبة عيد الميلاد ورأس السنة؟

وهذا على صعيد المواطن العادي، أما الذين لهم أبناء، أو الأبناء الذين لهم آباء، أو الزوجات اللواتي لهن أزواج يعيشون على رمال الخليج المهددة بأن تكون ساحة

وعملياً إن هذا المطلب الذي يستغربه البعض، وأولهم الرئيس مبارك، لا يبدو مستحيلاً خصوصاً إذا نحن أخذنا في الإعتبار أن آخر قمة جرى عقدها في المغرب كانت عملياً من أجل إلغاء ما تم إتخاذه من مقررات في قمة بغداد 1978 وقضت بإسقاط عضوية مصر من الجامعة العربية رداً على الصلح المنفرد الذي أبرمه الرئيس (الراحل) أنور السادات مع إسرائيل. ولولا تلك القمة والقرارات الجريئة التي إتخذتها، ثم القرارات التي تلتها في قمة بغداد بعد ذلك، لما كان لمصر أن تستعيد عضويتها ويتم طي صفحة المقاطعة التي عانت منها طوال عشر سنين، ولما كان للرئيس مبارك أن يعقد في القاهرة القمة التي قضت بإبراك العراق وإعطاء الوجود الأجنبي في منطقة الخليج شرعية ما كان ليحصل عليها لولا الغطاء الذي حققته القمة الأولى للرئيس مبارك. وإذا فإن في إستطاعة قمة أن تلغي قرارات إتخذتها قمة سابقة.

في أي حال يبقى أن الإقتراح المغربي هو الإقتراح الذي لا بديل عنه سواء تعثرت الخطوات وتضاربت المواقف، وسواء طال أمد الإنعقاد أم قصّر.

أما لماذا لا بديل عنه فلأن عدم إنعقاد مؤتمر القمة العربي معناه أنه لا حل سوى الحل الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة ويواصل الرئيس مبارك مع الأسف تسويقه فقط لأنه يرفض الإقرار بأن قمة القاهرة كان يمكن أن تعوّض الأمة كل هذه المخاطر لو أن تعامله معها كان متجرباً وبعيداً عن أي طموحات.

مجلة "التضامن". لندن - 26 تشرين الثاني (نوفمبر) 1990

* * *

هل تنتهي الحرب الباردة بين العراق وأميركا؟

أكثر ما يلفت النظر في الخطوة التي أقدم عليها الرئيس جورج بوش (30 تشرين الثاني/ نوفمبر 1990) والتي تبدو كما لو أنها مقدمة لـ "بيروستروكا" أميركية يريد من خلالها الرئيس الأميركي إعادة النظر فالتصحيح، أنها فاجأت حلفاء الولايات المتحدة وأصدقاءها وشركاءها في لعبة الهيمنة الأولى للولايات المتحدة في عصر

الحرب.. أما هؤلاء فإنهم كانوا سيتحولون إلى ما يشبه النقطة الأكثر احتمالاً للتفجر لو أن الرئيس بوش لم يتخذ الخطوة التي إتخذها قبل أيام من حلول المناسبتين فجعل المواطن أقل تأزماً وأكثر تفاؤلاً بالإنفراج الكامل.

وعملياً إن ما أقدم عليه الرئيس بوش يوم الجمعة 30 تشرين الثاني/نوفمبر 1990، ليس مبادرة بالتحديد التقليدي والعلمي لهذه الكلمة، وإنما هو تجاوب متأخر مع إقتراح سبق للرئيس صدام حسين أن رده في أكثر من مناسبة وفي معظم الأحاديث التي أجرتها معه محطات التلفزيون والصحف الأجنبية.

وفي هذه الأحاديث وفي الرسائل التي كان يوجهها ولها صفة المبادرات شدد الرئيس صدام على أهمية الحوار، لكن الإدارة الأميركية كانت نتيجة القراءة غير المتأنية للتطورات ولشخصية الرئيس صدام وأسلوبه في إتخاذ القرار لا تتجاوب وتترك، بتصرفها هذا، الأزمة تتفاقم وتزداد تعقيداً. ولو أن الحوار الأميركي - العراقي بدأ مع بداية الأزمة قبل أربعة أشهر لكان من المؤكد سيبدو الوضع على ما غير ما إنتهى إليه من تأزم وصل إلى حد أن العالم بدا على شفير أن يعيش وطأة الحرب العالمية الثالثة. وهنا تجدر الإشارة إلى هذه الدقة في الإنضباط التي إتسمت بها الحال في مناطق التواجد العسكري، ذلك أنه على رغم التحشيد الهائل للقوات والمعدات فإن أيّاً من الجانبين لم يخرج من إنضباطه وبالتالي لم تنطلق رصاصة يمكن أن تشعل الحرب.

وسنذكر التاريخ عندما سيكون هنالك مستقبلاً متسع لكتابة تفاصيل ودقائق هذه المرحلة، أنه لم يحدث أن أريق نقطة دم واحدة نتيجة هذه التحشيدات، وعلى رغم التعبئة التي مارسها الطرفان.

ويبقى أنه لمجرد أن ينتقل الحوار من إقتراح صعب التنفيذ إلى مسألة ممكنة، فإن ذلك يشكّل خطوة نحو الإنفراج. إذ يكفي أن الجانبين الأميركي والعراقي سيتمكنان من معرفة بعضهما أكثر، وأنهما سيناقشان ويتصارحان وجهاً لوجه وليس عبر وسطاء، خصوصاً أن تجربة الوسطاء لا تشجع أحياناً على أن تكون أسلوب تعامل، وبالذات إذا كان الطرفان من نوعية الرئيس بوش والرئيس صدام حسين. وتحضرنا في هذا الوقت القناة المشتركة التي توصل إليها الجانبان العراقي والأميركي عندما زار وفد من الكونغرس بغداد قبل بضعة أشهر وأجرى أعضاؤه جولة حوار معمقة مع الرئيس صدام. وخلاصة هذه القناة أنه

من المهم أن يتبادل المسؤولون العراقيون والأميركيان الزيارات ويتناقشوا لكي يعرفوا بعضهم بعضاً أكثر. يبقى أيضاً أن فرصة الحوار يجب ألا تتعثر لسبب رئيسي وهو أن وزير الخارجية العراقية طارق عزيز يستطيع أن يحاور الرئيس بوش مطمئناً إلى دعم الرئيس صدام حسين له، وهذا سيجعل الرئيس الأميركي يعرف من الوزير العراقي أكثر مما يمكن أن يعرفه من وزيره جيمس بيكر عندما يزور بغداد للقاء الرئيس صدام حسين.

لكن الأهم في هذه المرحلة هو أن ينتهي التحرك على مستوى وزير الخارجية إلى لقاء على مستوى الرئيسين. بذلك يصبح من الممكن أن تنتهي الحرب الباردة الأميركية - العراقية. وعندما يحدث ذلك لا تعود الحرب أو الحروب الساخنة في منطقة الشرق الأوسط واردة، وبالذات إذا استطاع لقاء قمة الرئيسين الأميركي والعراقي أن يزيل إلى حد ما آثار الجرح العميق الذي أحدثته إتفاقية "كامب ديفيد" في الجسم العربي.

إن كلاماً كثيراً يمكن أن يقال في الخطوة التي إتخذها بوش والتي تشبه في بعض دوافعها ومضامينها ومنطلقاتها الخطوة التي سبق للإمام (الراحل) آية الله الخميني أن إتخذها عندما أعلن فجأة قبوله بالقرار 598.

ومثلما أن الإمام الخميني كان يمكن أن يوفر على شعبه وعلى المنطقة الكثير لو أنه تجاوب مع مبادرات كثيرة طرحها الرئيس صدام، فإن الرئيس بوش كان هو الآخر يمكن أن يوفر على العالم الكثير جداً لو أنه وافق من قبل على فكرة الحوار مع العراق التي أعلنها يوم الجمعة 30 نوفمبر 1990. والذي يطمئن هو أن موافقة الإمام الخميني جاءت بعدما سالت دماء كثيرة بينما موافقة الرئيس بوش تأتي قبل الحرب التي ستسيل فيها الدماء أكثر.

لعل وعسى تتقضي الأمور على خير.. ويكذب المراهنون والمنجمون وتجار الحروب المنتظرون.

مجلة "التضامن". لندن - 10 كانون الأول (ديسمبر) 1990

* * *

السلح القوي أو الحوار العادل

عودتنا الولايات المتحدة والدول الأوروبية وبعض دول العالم الثالث التي تبدو، إذا جاز التعبير، مرشحة للإنتساب

إلى الدول المتقدمة، على أنه عندما يأتي إنتاج موسم من المواسم وفيراً جداً وقد يؤثر ذلك على الأسعار، فإن هذه الدول تتلف كميات كبرى من هذا الإنتاج.

كثيراً ما كنا نصاب بالدهشة عندما نسمع أن دولة ما أحرقت ملايين الأطنان من القمح خشية أن تتأثر الأسعار في السوق العالمية بينما هنالك شعوب بالملايين لا تجد الرغيف الجيد وملايين مماثلة لا تعثر على هذا الرغيف على الإطلاق.

وكثيراً ما كنا نصاب بالفزع عندما نسمع أن دولة أخرى أتلقت تلالاً من الزبدة كي لا يتأثر سعرها في السوق العالمية بينما هنالك ملايين في العالم بعضهم يحلم بقطعة زبدة، وهنالك من لم يذوق طعم الزبدة، إذ كيف سيستزوقها وهو لا قدرة له للحصول عليها.

وكثيراً ما كنا نصاب برعشة الخوف عندما نسمع أن أطناناً من الحليب سُكبت على الأرض كي لا يتأثر سعر الحليب بينما هنالك ملايين الأطفال يتضورون جوعاً لأن الحليب غير متيسر، أو لأن صدور الأمهات جفت بسبب سوء التغذية، أو - وهذا حدث قبل بضعة أسابيع - لأن إدارة الرئيس جورج بوش فرضت عقوبات إقتصادية على العراق، فحرمت بها ألوف الأطفال العراقيين وغيرهم من الذين تعيش عائلاتهم في العراق من الحليب.

وكثيراً ما كنا نجزع لأن أطناناً من القهوة أتلقت أو أطناناً مماثلة من السكر أحرقت من أجل أن لا تتأثر أسعار هاتين السلعتين بينما هنالك حسرة على ملعة سكر، وتشوُّق إلى رائحة البن عند تحميصه أو عند طخنه. وما أوردناه من أمثلة هو القليل القليل من الكثير الكثير الذي يمكن الإشارة إليه.

وقبل أيام أدخلت الولايات المتحدة ودول أوروبا إلى قاعدة إتلاف السلع والمحاصيل سلعة جديدة قضى الإتفاق بتدمير نسبة منها ليس من أجل المحافظة على الأسعار وإنما من أجل تخفيض نسبة الأسلحة كما قضت بذلك المعاهدة التي توصَّل إليها "مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي" الذي عقد إجتماعه في باريس يوم 20 تشرين الثاني/نوفمبر 1990، وشارك فيه قادة 22 دولة أعضاء في حلفي الأطلسي ووارسو. وبموجب هذه المعاهدة يتم تدمير عشرات الألوف من الدبابات وقطع المدفعية والسيارات المدرعة. كما أن المعاهدة تنص على أمور أخرى تتدرج كلها تحت بند تقليص السلاح التقليدي، وبحيث تخطو هذه الدول خطوة بعد أخرى نحو النظام العالمي الجديد الذين

يقولون عنه للترويج أو للتحديد، بأنه النظام الذي تسقط فيه المخاوف وتسود فيه الحقوق والديمقراطية ويتعطل فيه الصراع.

ومن المؤكد أن سماع أنباء عن تدمير دبابات ومدرعات ومعدات عسكرية بموجب إتفاق وليس نتيجة حرب، إنما هي أنباء تُدخل البهجة إلى النفوس وتعوضنا الأنباء التي أشرنا إليها في مطلع هذا الكلام، والمتعلقة بإتلاف محاصيل وِسلع كي لا تتراجع أسعارها في أسواق العالم. لكننا في الوقت نفسه نخشى أن نكون كعرب ضحية مثل هذه الأجواء الدولية. خصوصاً إذا بدأت الدول التي وقَّعت المعاهدة تطالب الدول الأخرى بأن تحذو حذوها، بمعنى أن يقال بأن السلام يكون بتدمير السلاح وليس باستعادة الحقوق المغتصبة أو المسلوقة.

وزيادة في التوضيح يمكن القول بأن الدول التي وقَّعت معاهدة "مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي" ما كان لها أن توقع لو أنه كانت لها قضايا وطنية عالقة، ولكن التوقيع حدث بينما كل دولة لا تعاني وطأة القضايا العالقة.

وبالمقارنة مع الأحوال العربية فإن القضايا العالقة كثيرة وأهمها قضية القضايا وهي فلسطين، وما دامت هذه القضية عالقة، بالشكل الذي هي عليه الآن، فإن من الإستهتار بمكان سماع أي دعوات إلى تدمير السلاح مثل الدعوة التي صدرت عن المؤتمر الأوروبي والذي إبتهج له بعض العرب في مجالسهم من دون أن يستوقف هؤلاء أن المعاهدة التي إنتهى إليها المؤتمر ما كانت لتصدُر على الإطلاق لو أن داخل القارة الأوروبية حالة عالقة مثل حالة إسرائيل التي يمثِّل وجودها، بالشكل العدواني الذي هي عليه، ذروة التحدي بالنسبة إلينا كعرب.

ويبقى القول إن الدول التي شاركت في "مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي" وبتشجيع ملحوظ من الولايات المتحدة إستهدفت من هذا المؤتمر إنهاء الحرب الباردة.

واللافت للإنتباه أن هذه الدول، أو على وجه الدقة أكثريتها الساحقة، تشارك في الوقت نفسه في الهجمة الأميركية وفي توجيه إدارة الرئيس بوش نحو حرب ساخنة في منطقة الخليج. ومثل هذا الأمر يعكس مدى التناقض في النيات.. إلّا إذا كانت المسألة مدروسة بعناية وهدفها أن يكون إتفاق إنهاء الحرب الباردة هو مجرد جهاز تبريد للحرب الساخنة. وجهاز تبريد ليس بمعنى أن تصبح الحرب الساخنة باردة، وإنما أن يكون هنالك المزيد من القدرة على تحمُّل الحرب الساخنة التي إذا هي بدأت - لا

وقفة إلى جانب قضاياهم وإنما وقوف مع بعضهم في وجه البعض الآخر.

وفي الماضي كنا كعرب نشقى من أجل أن يعتدل قليلاً الموقف الأميركي، وبذلنا جهوداً في سبيل إقناع الإدارة الأميركية لكي تخفف من غلواء مناصرتها لإسرائيل. ولم يخطر في بال أحد أنه مع نهاية العام الأول من حقبة التسعينات ستكون الولايات المتحدة في موقف من الصعب تفهمه، حيث إنها تقود مخططاً يستهدف العرب كقضية بحجة المحافظة على التوازن في المنطقة. ولم يخطر في بال أحد أيضاً أن تتطرف الدولة التي طالبتها بأن تعتدل وتصبح هذه الدولة العقل المدبر وأداة التنفيذ الرئيسية في الوقت نفسه لمخطط يستهدف المصير العربي.

لقد كان العام 1990 هو عام خيبة الأمل من جانب الأكثرية العربية الساحقة. فهي بدل أن تضغط على إسرائيل، كما تتمنى الأكثرية الساحقة هذه، إذ بها تحشد القوات في منطقة الخليج وتستعد لشن عدوان على العراق الذي أراد من موقع الإقتدار العسكري أن تتوقف الإستهانة بالعرب عند حد. وهي بدل أن تتوقف عن تقديم المساعدات المالية إلى إسرائيل، كجزء من عملية الضغط المطلوبة، إذ بها تستنزف الثروة العربية في اتجاه لا جدوى منه على الإطلاق. وهي بدل أن تحرم إسرائيل من السلاح المتطور الذي تهدد به العرب إذا بها تواجه بنفسها التطور العسكري العراقي الذي نما بشكل خلال عشر سنين.

والأهم من هذا كله إننا كعرب كنا طوال ربع القرن الماضي منقسمين في النظرة إلى الولايات المتحدة وحول أسلوب التعامل معها. وكانت وجهة نظر الذين يميلون إلى وجوب بناء العلاقة الجيدة معها هي المرجحة على أساس أن هذه الدولة تبقى هي الأفضل، لأنها صحيح تساند إسرائيل إلا أن المساندة مؤقتة وأنها تنتظر الفرصة المناسبة للتخلي عن هذه المساندة. وهي الأفضل في رأي أولئك أيضاً لأنها دولة لا تحبذ الهيمنة بالشكل الذي تمارسه دول أخرى. ثم جاءت تطورات أزمة الخليج لتبين أن الولايات المتحدة لن تتخلي عن مساندة إسرائيل وستوظف أي فرصة مناسبة من أجل تعزيز هذه المساندة. وجاءت التطورات لتؤكد أمراً بالغ الأهمية وهو أن الولايات المتحدة ليست فقط تحبذ الهيمنة وإنما تتطلع إلى أن تمارس دوراً إستراتيجياً بكل معنى الكلمة، وأنها

سمح الله - ستكون طويلة وصعبة ومدمرة. أما كيف يكون ذلك ممكناً وعنصراً من عناصر المساعدة، فعلى أساس أن الدول التي إتفقت في مؤتمر باريس لن تتشغل بينها بمسائل يمكن أن تؤثر على مخططات مرسومة ومعدة سلفاً للحرب الساخنة في منطقة الخليج كمرحلة أولى، ثم في منطقة الشرق الأوسط عموماً كمرحلة لاحقة، إذا كُتب للرصاصة الأولى أن تنطلق في منطقة الخليج إيذاناً ببداية الحرب.

وهذا في حد ذاته من العناصر البالغة الأهمية. وتكراراً إننا كعرب مطالبون بالحد الأقصى من عدم الإبتهاج بمعاودة إنهاء الحرب الباردة التي تم التوصل إليها في مؤتمر باريس. على أن نبتهج كثيراً لمجرد أن تنتهي القضايا العالقة التي لا يزيلها سوى السلاح القوي أو الحوار العادل.

مجلة "التضامن". لندن - 17 كانون الأول (ديسمبر) 1990

هل يكون العام 1991 بداية التعامل المتوازن أم بداية حرب أهلية دولية

لم يحدث أن واجه الإنسان العربي من المحيط إلى الخليج عاماً جديداً يطل عليه كمثّل مواجهته للعام 1991.

وبدلاً من أن يتأهب الإنسان العربي لإستقبال العام الجديد بالتمنيات والدعاء إلى الله بأن يعوّض الأمة ما فاتها فإنه يجد نفسه أمام حالة جديدة هي حالة المصير.

وفي هذه الحالة هنالك صورة من وجهين: وجه قائم رسمته هذه التهديدات الدولية التي تترعّمها الولايات المتحدة، والتي تريد أن تتجح في إختبار الهيمنة فلا تُمنى بهزيمة تُخرجها أمام الجميع. والفرق كبير بين الإخراج يصيب دولة مثل الولايات المتحدة تتطلع إلى الإنفراد بزعامة العالم وفرض الشروط عليه وبين إخراج يصيب دولة عادية.

ووجه مشرق رسمه هذا الإصرار العربي على أن يكون للعرب كلمة في مسألة إستعادة الحقوق وفي مسألة الإحترام بحيث لا تتواصل الإستهانة بهم ولا يكون هنالك

"عصر الإستعمار الأميركي" وبالتالي بداية حرب أهلية أميركية - عربية إسلامية وقانا الله جميعاً شر جحيمها.

مجلة "التضامن". لندن - 7 كانون الثاني (يناير) 1991

تبقى مبادرة صدام حسين... المطلوب والحل

بدل أن يُجهد الرئيس بوش نفسه في البحث عن أطول الطرق للوصول إلى السلام، فإن هناك أكثر من طريق أقل طولاً ويستطيع، إذا هو سلك إحداها، أن يوفر على العالم هذا العذاب الذي يعيشه منذ بضعة أسابيع والناشئ عن هواجس من أن تتشب الحرب فجأة ولا يعود في الإمكان تدارك الخطر الذي يهدد الجميع.

ومنذ أن بدأت أزمة الخليج لم يسجل الرئيس بوش خطوة واحدة تؤكد رغبته في السلام ويسود الانفراج في المنطقة. وهو إما منهمك بإرسال المزيد من القوات إلى منطقة الخليج أو بإعداد التصريحات والإدلاء بالأحاديث الصحافية والتلفزيونية التي يهدد فيها ويتوعد وأحياناً يمزج التهديد بعبارات لا تليق برئيس دولة عادي أن تنسب إليه ولا يجوز على الإطلاق أن يرددها رئيس الدولة العظمى.. الولايات المتحدة.

ومنذ أن بدأت أزمة الخليج لم يطرح الرئيس بوش سوى الأفكار التي لا تأخذ في الاعتبار الجذور العميقة للقضايا العالقة في المنطقة العربية، ومن أجل ذلك فإن الأزمة تراوح مكانها، وأبرز هذه القضايا، القضية الفلسطينية التي هي في النهاية السبب في كل أزمة شهدتها المنطقة العربية منذ الأربعينات وحتى أزمة الخليج الراهنة. ولو كانت نيات إدارة الرئيس بوش حسنة لكان إعتبر فكرة الربط بين أزمة الخليج والقضية الفلسطينية فرصة جاءت في الوقت المناسب لكي تحاول الولايات المتحدة إنهاء إنحيازها المطلق وغير المحدود إلى إسرائيل والمساهمة في إيجاد حل للقضية الفلسطينية.

وإذا كان مثل هذا الموقف يبدو طبيعياً من جانب الرئيس بوش بمعنى أنه منسجم مع النهج التقليدي للسياسة الأميركية، فإنه غير طبيعي على الإطلاق ويشير الإستهجان والإستغراب عندما يصدر عن بعض الدول العربية التي عارضت فكرة الربط منذ أن طرحها الرئيس

تفضل أن تقوم بنفسها بدور شرطي المنطقة العربية. وإلاّ فما معنى أن تفعل بالعرب ما فعلته وتنتشر هذه القوات وتستعد لشن المزيد من الإعتداءات عليهم.

ويبقى القول إن الولايات المتحدة تسعى، من دون أن تدري، إلى حرب أهلية أميركية - عربية إسلامية. وما دامت إدارة الرئيس ستؤدي إلى هذه الحرب، فهذا معناه أنها ستعجل في حدوث هذه الحرب وبحيث تكون السنوات المقبلة من حقبة التسعينات هي حرب أهلية أميركية - عربية إسلامية بكل ما يحيط بهذه الحرب من أسباب موضوعية.

يبقى أيضاً أنه معروف عن الأميركيين شغفهم بالدراسات التسويقية والإستفتاءات والتي على أساس النسبة المئوية من هذا الإستفتاء أو تلك الدراسة يتم إتخاذ القرار العادي والقرار المصيري. وما دام الأمر كذلك فلماذا لا تكلف إدارة الرئيس بوش المؤسسات التي تعنى بالدراسات والإستفتاءات القيام بمهمة ميدانية فتسأل أي عربي في المنطقة العربية من المحيط إلى الخليج، وتسأل أي مسلم في ديار الله الواسعة عن رأي هؤلاء في ما قامت به الولايات المتحدة عندما حشدت هذه الألوف المؤلفة من القوات والآليات على أراضي العرب وفوق مياههم بحجة مسألة يستطيع القادة العرب، بمعزل عن أي مؤثرات، أن يجدوا الحلول لها.

وهم إذا سألوا سيأتيهم الجواب بأنه ليس من حق الولايات المتحدة أن تفعل ما فعلته.

أما إذا هم تعمقوا في مضمون الإجابة فسيرون أن الأكثرية العربية والمسلمة تنظر إلى الأمر من زاوية عفوية وفحواها أن إدارة الرئيس بوش تدخلت في أمر لا يعينها وأنها فعلت ذلك على أساس الرغبة في أن تقوم في التسعينات بدور ممقوت.

ومن هنا سننظر نرى أن التسعينات هي "عصر الإستعمار الأميركي" الذي يستهدفنا كأمة تريد أن تنهض وتستعيد الحق الضائع... إلاّ إذا أثبتت إدارة الرئيس بوش العكس وقالت إنها تحبذ حواراً بين العرب وإتفاقاً بين العرب.

ونسئغب لماذا لا تفعل ذلك ما دام العرب، من دون إستثناء، يُجمعون على التعامل معها وأن الخلاف هو فقط حول الأسلوب والتفاصيل.

لعل وعسى يكون العام 1991 هو عام التعامل الذي يحترم الأسلوب ولا يستهين بالتفاصيل، وليس عام بداية

صدّام في مبادرة 12 آب 1990. علماً بأن كلاً من الذين عارضوا يمتنى في قرارة نفسه لو أنه كان صاحب هذه المبادرة والقادر على أن يتمسك بها ويبقيها تتفاعل يوماً بعد آخر في أوساط الرأي العام العربي لعل وعسى تجد لها حيزاً في إهتمامات الرأي العام الدولي.

ومسألة خلق وضع يؤدي إلى المطالبة بالربط مسألة جدية بالإهتمام. ولقد تأخرت كثيراً وكان من الواجب في الماضي طرحها بصيغة أخرى كأن يقرر حكام دولة النفط والأرصدة العرب أن هذا السلاح البالغ الأهمية الذي في أيديهم يجب إستعماله وأنهم إرتأوا الإعلان بأنهم سيتوقفون عن تصدير النفط، وعن إنتاجه، إلى أن تقرر الولايات المتحدة والدول المؤيدة لإسرائيل إيجاد حل للقضية الفلسطينية. ومن المؤكد أنه لو حدّث ذلك قبل سنوات لكانت دولة النفط ستوجد الصف العربي والإسلامي حولها ولكانت ستبدو أمام العالم على أنها قوة ضغط هائلة.

وقد نجد من يقول إنها لو فعلت ذلك لكانت الولايات المتحدة ستتدخل عسكرياً ضد هذا القرار. والرد على ذلك هو أن التدخل الأميركي سيحدّث لأي سبب بدليل أن هذا التدخل حدّث وبشكل لا مثيل له لمجرد دخول القوات العراقية إلى الكويت يوم 2 آب/ أغسطس 1990.

إن صيغة الربط بين أزمة الخليج والقضية الفلسطينية فرصة تاريخية وربما لا تتكرر على الإطلاق. ولأنها كذلك فإن مساندتها كانت ستشكل مدخلاً إلى الإستقرار خصوصاً وأن حل أزمة الخليج لا يعني على الإطلاق أن المنطقة العربية ستصبح من دون أزمات وسنشعر بالإستقرار. وفي أحسن الأحوال، إن الذي سيحدّث، إذا أمكن إيجاد حل لأزمة الخليج هو أن المنطقة ستعود إلى ما كانت عليه قبل سنة وهو وضع لا يستحق الأسف عليه خصوصاً بعدما وصلت الحال مع الإدارة الأميركية إلى حد رفضت إستئناف الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية، وهو حوار كان يدور في الأصل ببطء شديد وبخجل أشد، وعلى مستوى سفير. وعندما قررت إدارة الرئيس بوش قطعه، لسبب غير مقنع على الإطلاق، فإن الأطراف العربية التي تأخذ على مبادرة الرئيس صدّام أنها غير واقعية وبالتالي ليست مقبولة، لم تستطع إنقاذ تلك الإدارة بأن تعيد النظر في قرارها وتواصل الحوار مع المنظمة التي عبّرت عن النيات الحسنة بما فيه الكفاية. والحوار مع المنظمة هو أحد الطرق القصيرة التي يمكن أن توصل إلى مشارف حلول للقضية الفلسطينية

لكن الرئيس بوش لم يسلكها. وهو عندما لا يفعل ذلك فعلى أساس أنه لا يسعى من أجل حلول وإنما يبحث عن أزمات من النوع الذي تجعل الأمور تزداد تعقيداً. ولو أنه كان طالب حلول لكان بالنسبة إلى أزمة الخليج إختصر هذه المعاناة بإعتماد خطوات إيجابية كأن يقول لوزير خارجيته، ومن دون التعقيدات الكثيرة، أن يزور بغداد عندما زار المنطقة قبل شهرين ويجتمع بروح ودية مع الرئيس صدّام حسين وكأن يستقبل في واشنطن وزير خارجية العراق ويتحدث معه بروح ودية. كذلك كان بدل أن يعبئ دول العالم ضد حكم الرئيس صدّام وجّه دعوة إلى حكام العالم لعقد قمة في المقر الأوروبي في جنيف يشارك فيها الجميع ويتم خلالها التوقيع على "وثيقة لسلام العالم" يتم التقيد بها من الجميع وتكون هي بالفعل دستور النظام العالمي الجديد. قمة يلتقي فيها الأصدقاء والأعداء وأصحاب القضايا العالقة. قمة تحسم ما قبلها وتضع الأساس للمرحلة المقبلة. كذلك كان بدل هذا التحشيد الهائل للقوات في منطقة الخليج ناقش بهدوء، وعلى قاعدة التعامل بكل إحترام مع قادة الخليج من دون إستثناء، الهموم والإهتمامات والمخاوف من الطموحات والسبل الكفيلة بتحقيق الإستقرار الذي يريده الجميع.

والرئيس بوش ليس فقط لم يسجل، منذ أن بدأت أزمة الخليج، خطوة واحدة من هذه الخطوات أو أي خطوة أقل أهمية من شأنها أن تُحقّق الانفراج النسبي وإنما إعتد الكلام غير الودي في أسلوب المخاطبة. ولم يحدث في تاريخ الأزمات أن كان هنالك رئيس دولة يريد إفاد أحد وزرائه للإجتماع بأحد وزراء دولة هنالك أزمة معها أن مهّد الرئيس لهذا اللقاء بكلام يمكن إستعماله في حال كان الغرض منذ اللقاء هو تحويل أزمة بسيطة إلى أزمة معقدة وليس التخفيف من حدة هذه الأزمة. كذلك لم يحدث أن تعاملت بعض الأطراف العربية مع أزمة تكاد تنفجر حرباً طاحنة بالأسلوب التي تعاملت معه أطراف عربية، وبالذات في الأيام الذي سبقت الخامس عشر من كانون الثاني/ يناير 1991، وكأنما هذه الأطراف ومعها الرئيس بوش تخشى من أن يحل ذلك اليوم ولا تتشب الحرب.

وثمة حقيقة لن يكون من السهل تجاوزها وهي أن هذه الأطراف العربية وكذلك إدارة الرئيس بوش لم تشجع فرص الحوار ربما لأن هذا الحوار يمكن أن يحقق السلام. ومن هنا فإنه على أساس قراءة النيات يمكن

من بابتكر عوض الله والشبوعيين في السودان إلى مضر بدران والإخوان المسلمين في الأردن

عند التأمل في الحكومة الأردنية الجديدة التي أعاد تشكيلها يوم الثلاثاء الأول من كانون الثاني/يناير 1991 مضر بدران تعود بنا الذاكرة إلى العام 1969 في السودان عندما أوكل مجلس قيادة الثورة، التي قام بها مجموعة من الضباط الشبان برتبة رائد وبرئاسة العقيد زمناك جعفر نميري، إلى القاضي بابتكر عوض الله تشكيل أول حكومة لثورة (25 أيار/مايو).

بابتكر عوض الله قبل 21 عاماً خرج عما هو سائد في المنطقة وإختار مجموعة من الوزراء الشبوعيين تسلّموا حقائب أساسية في تلك الحكومة، وكان لافتاً للإنتباه أن وزراء الخارجية والداخلية والإعلام، على سبيل المثال لا الحصر، هم من الماركسيين وفي زمن كان الإتحاد السوفياتي دولة ذات شأن كبير ويتقاسم مع الولايات المتحدة النفوذ في العالم وليس كما هو الحال الآن حيث لم يعد الإتحاد السوفياتي صاحب نفوذ، فضلاً عن أن نسبة من الشأن عنده إنحسرت إلى حد كبير.

ولقد أثارت تلك الخطوة الكثير من علامات الإستفهام والتعجب. كما أن الدول التي يعينها ذلك الأمر مثل المملكة العربية السعودية التي وجدت فجأة أن الشبوعيين باتوا شركاء في حكم الدولة التي يفصلها عن الشاطئ السعودي بضعة أمتار بحرية، بدأت تراقب هذا التطور بكثير من الإهتمام.

وفي غمرة إبتهاج ضباط (25 أيار/مايو 1969) بتسلّمهم الحكم وترحيب الرأي العام العربي بهم على أساس أنهم سيشاركون في الثأر لهزيمة 1967، بدأت حكومة بابتكر عوض الله تفتح الأبواب وبالتدرج أمام العناصر الشبوعية. وبالتدرج أيضاً باتت الوزارات التي يتولاها الشبوعيون حكراً في المفصل الأكثر حساسية على الشبوعيين.

وعندما وجد الشبوعيون السودانيون أن رئاسة الوزراء لهم أو متعاطفة معهم ووزارة الخارجية لهم ووزارة الداخلية وأجهزة الأمن لهم ووزارة الإعلام لهم وبعض المؤسسات الحساسة في الدولة لهم وفي الجيش لهم بعض الضباط.. إن الشبوعيين عندما وجدوا الأمر على هذا النحو فإن

القول إن سوء النية عند هؤلاء يغلب على أي شيء آخر، وأنه إذا كتب للمعجزة أن تحدث ولا تتشعب الحرب فهذا معناه أن العناية الإلهية هي التي تدخلت في شكل أو آخر، وأن هذه العناية أرادت أن تقول ما معناه إنه ما دامت هنالك أطراف عربية تشارك إدارة الرئيس بوش رغبته في ضرب دولة عربية فإن تفويت الفرصة على هؤلاء كفيل بكشف نياتهم أمام الرأي العام.

ويبقى أنه لو قالت بعض الأطراف العربية أنها مع ربط أزمة الخليج بالقضية الفلسطينية فإنها كانت لن تتضرر. وكانت أبعدت الخطر على المنطقة. وعلى هذا الأساس تكون أفقدت إدارة الرئيس بوش الورقة الأساسية وهي أن يكون العدوان على العراق بمؤازرة عربية بدل أن يكون عدواناً أجنبياً فقط.

يبقى أيضاً أنه ما دامت هذه الأطراف لم تقدّم بديلاً لمبادرة الربط سواء كانت المبادرة إعلاناً يتضمن وقف تصدير النفط وإنتاجه إلى أن يتم إيجاد حل للقضية الفلسطينية أو خطوة من مصر تتضمن التهديد بإعلان إلغاء الإتفاقات المعقودة مع الولايات المتحدة وإسرائيل أو على الأقل تجميدها، فإن مبادرة الرئيس صدام يوم 12 آب 1990 تبقى فرصة يجب ألا يحدث أي تفريط فيها إذا كنا كعرب حريصين بالفعل على القضية الفلسطينية وعلى إيجاد صيغة للحالة الكويتية العالقة.

... بل إن هذا الإصرار الأميركي - العربي على الخيارات العسكرية هو في الدرجة الأولى لضرب تلك المبادرة التي أوجدت حيوية في نفس المواطن العربي، وليس من أجل الكويت.

وتلك كلمات نكتبها بينما طبول الحرب في أعلى درجات القرع وقبل أسبوع من 15 كانون الثاني/يناير 1991، وهو اليوم الأخير الذي تنتهي فيه مهلة حددتها الأمم المتحدة لإنسحاب القوات العراقية من الكويت. وتشاء الأقدار أن كسوفاً من الشمس سيحدث منتصف ليلة ذلك اليوم.

فهل أن هذا الكسوف هو كسوف الشمس العربية أو إشارة إلى ولادة مجد جديد؟

مجلة "التضامن". لندن - 14 كانون الثاني (يناير) 1991

* * *

الأردن واقعيين وأكثر تفهماً للظروف من الشيوعيين السودانيين الذين لم يكونوا واقعيين ورفضوا تفهم الظروف التي كانت سائدة أواخر الستينات في المنطقة؟

وهل يستفيد "الإخوان" في الأردن من درس الشيوعيين السودانيين، بمعنى ألا يصابوا بالطمع وتظهر عليهم أعراض الشراهة فلا يكتفون بما حصلوا عليه ويتطلعون نحو الأكثر وبذلك قد يصيبهم ما أصاب الشيوعيين السودانيين وينطبق عليهم عندئذ القول المأثور للإمام علي عليه السلام: "مَنْ كَانَ فِي نِعْمَةٍ وَلَمْ يَشْكُرْ خَرَجَ مِنْهَا وَلَمْ يَشْعُرْ".

ويبقى أن هذه الكلمات ليست أكثر من مجرد مقارنة بين حالتين مع الأخذ في الاعتبار أن حالة "الإخوان المسلمين" في الأردن ما زالت في أيامها الأولى. ولكن لأنها كذلك فإن في هذه الكلمات ما قد يكون مجرد لفت إنتباه يضعه كاتب مثلي عاش المحنة التي واجهها الشيوعيون في السودان بتفاصيلها وبشكل ميداني ولا يتمنى للتاريخ المأساوي أن يعيد نفسه. مجرد لفت إنتباه لا أكثر أمام "الإخوان المسلمين" في الأردن الذين هم موضع تقديري.

ومجرد لفت إنتباه لا أكثر أمام رئيس الوزراء الأردني الصديق مضر بدران الذي أكن له ككاتب وصحافي وشاهد حي على فواجع الحُكم العربي في الستينات والسبعينات التقدير الكثير. ولُفت إنتباه هو من باب الخشية.. لا أكثر.

مجلة "التضامن". لندن - 14 كانون الثاني (يناير) 1991

حقائق حول العدوان والمبادرات

هناك يومان سيكون من الصعب على الذاكرة العربية أن تتساهما لعشرات السنين. يوم الخميس 17 كانون الثاني / يناير 1991. وهو يوم العدوان الأميركي على العراق. ويوم الجمعة 18 كانون الثاني وهو يوم إرسال العراق بعض الصواريخ إلى إسرائيل وسقوط هذه الصواريخ فوق تل أبيب وحيفا.

وحول هذين اليومين يجد المرء نفسه عندما يتأمل ما جرى فيهما، أمام حقائق مهمة وأمام حقيقة أهم.

قيادتهم، تأكيداً للقول الشائع بأن الطمع يضر ولا ينفع، قرروا من منطق الشراهة أن يضعوا أيديهم على الحُكم كله وعدم الإكتفاء بما حصلوا عليه. وكانت المحاولة الانقلابية التي قام بها الرائد هاشم العطا والتي إنتهت بمأساة في البداية ثم بمذبحة سالت فيها دماء كثيرة من الضباط والمدنيين الأبرياء ودفع قادة الحزب الشوعي حياتهم ثمناً للطمع والشراهة.

وبعد تلك المحاولة وما إستتبعها من تطورات لم تقم للشيوعيين السودانيين قائمة، ولم تعد شعبيتهم كما كانت عليه من قبل، ولم يعد أحد يضرب المثل بهم عندما يريد الحديث عن القناعة وذلك على أساس انهم كانوا قبل أن يذوقوا طعم الحُكم قادرين على أن ينتقدوا المتسلطين الذين تهمهم فقط السلطة وكرسي الحُكم وتلقى إنتقاداتهم الأذان الصاغية من القاعدة الشعبية العريضة ثم إذا بـ "لعنة الحُكم" تحل عليهم وتصيبهم بالأذى نفسه الذي تصيب به "لعنة الفراعنة" مَنْ يَنْقُب تحت الأرض أو داخل الإهرامات عن أسرار ملوك مصر القديمة الذين إعتبروا النوايس التي تم وضعهم فيها عند الوفاة بأنها الخلوة الأبدية التي لا يجوز لأحد أن يعبث بها وإلا حلت عليه اللعنة.

ويبدو أن هذه التجربة قد تحدثت بشكل آخر بعد 21 عاماً. فما هم "الأخوان المسلمون" يتسلمون في الأردن نصف المفاصل الأساسية في الحكومة التي أعاد السيد مضر بدران تشكيلها. فوزارة التربية والتعليم لهم. ووزارة العدل لهم. ووزارة التنمية الإجتماعية لهم. ووزارة الصحة لهم. ووزارة الأوقاف والمقدسات الإسلامية لهم. أي بكلام آخر إنهم حصلوا في التشكيلة الجديدة على وزارات الخدمة المتصلة بالمصالح الحيوية للناس تاركين أمر وزارات السيادة مثل الخارجية والدفاع والداخلية لغيرهم، علماً بأن الملك حسين يقوم بأكثر ما تقوم به هذه الوزارات مجتمعة وبفضل ذلك فإن السياسة الخارجية للأردن مستقرة والجيش يزداد قوة والجبهة الداخلية متماسكة.

ومثلما أن شبه سيطرة الشيوعيين على الحكومة في السودان عام 1969 كانت، بالمقارنة مع الظروف الدولية والمحلية والإقليمية، أمراً يتجاوز العرف والخط المكهرب إذا جاز القول، فإن إستئثار "الإخوان المسلمين" بوزارات الخدمات الأساسية في الأردن عام 1991 هو أيضاً، قياساً بالظروف الدولية والمحلية والإقليمية، أمر يتجاوز العرف وإلى حد ما الخط المكهرب.

وإزاء هذا الأمر هل يكون "الإخوان المسلمون" في

أما الحقيقة الأهم فهي أن الرئيس صدام حسين هو قلب القضية النابض وأن التلاعب بهذه القضية أي القضية الفلسطينية وتغليفها ووضعها على الرف لن يستمر ما دام هو الممسك بمقاليد الأمور، وما دام متمسكاً بمبادرة 12 آب/ أغسطس 1990 التي طرحها والتي تؤكد على ضرورة الربط بين أزمة الخليج والقضية الفلسطينية، وهي مبادرة تأكدت صوابيتها وباتت الحد الأدنى الآن لأي حاكم عربي يريد أن يتعاطى بالشأن الفلسطيني.

وأما الحقائق المهمة فإن بعضها كثير المرارة يشكّل ما من شأنه إعادة النظر في مواقف وقناعات بعضها يعود إلى سنوات وناشئ عن تجارب حكم وتجارب حروب حدثت في المنطقة، وبعضها الآخر ناشئ عن دخول القوات العراقية إلى الكويت يوم 2 آب 1990. وما تبع هذا الدخول من مضاعفات كان أخطرها على الإطلاق إستدعاء القوات الأجنبية إلى منطقة الخليج ثم قيام هذه القوات بشن عدوان على العراق إنطلاقاً من أراضي المملكة العربية السعودية وهو أول عدوان من نوعه يتم تحت مظلة الأمم المتحدة.

من هذه الحقائق إستدعاء القوات الأميركية والأوروبية كان يمكن أن يبدو مبرراً لو أن العراق كان في الجهة المقابلة يحشد قواته إلى جانب قوات دولية، أي بمعنى آخر هنالك قوات تسانده ومستعدة لخوض الحرب معه جيء بها من الإتحاد السوفياتي أو دول شرق أوروبا. لكن العراق لم يحشد مثل هذه القوات وبقيت قواته لوحدها تمارس حق الدفاع عن النفس. وهذا الإختيار كان ورقة لمصلحة العراق وأكد إستقلاليتها في إتخاذ القرار وقدرته على أن يعيد النظر، إذا هو إرتأى إعادة النظر، في أمر ما هو ما ليس متيسراً للأطراف العربية الأخرى في أزمة الخليج لأسباب موضوعية.

وإستدعاء القوات الأجنبية كان تأكيداً بأن هنالك من جانب الداعين إصراراً على رفض الحل العربي. وعملياً فإن هذا الحل غير ممكن التحقيق لمجرد أن إمتلأت منطقة الخليج بقوات أجنبية تم إرسالها بهدف ضرب العراق وليس من أجل المساعدة على تحقيق الحل العادل لكل الأطراف.

ومن الحقائق أيضاً أن إستدعاء القوات الأجنبية إلى المنطقة يمكن أن يحقق عدواناً إلا أنه لا يمكن أن يحقق الأمن ولا صيانة هذا الأمن. والدليل على ذلك هو أن القوات التي سيتم إستدعاؤها نفذت العدوان وبعد ذلك بات

الأمن العربي مهدداً وبات أمن الدولة الخليجية المبتهجة بتواجد القوات الأجنبية على أراضيها عرضة للزعزعة. ولم تستطع هذه القوات أن تحول دون سقوط صواريخ على مدن في السعودية والبحرين. ولا يبدو أن القوات الأجنبية قادرة على أن تحقق الأمن المطلوب خصوصاً مع كل طلعة جوية تتجه إلى أجواء العراق وتلقي بأطنان القنابل على بغداد ومناطق أخرى ستكون هنالك صواريخ جاهزة للرد مستهدفة المدن السعودية والبحرين. ولقد حدث ذلك ومن المؤكد أنه سيتطور خصوصاً وقد بات واضحاً أن الطريقة التي إعتدها العراق هي الرد على العدوان وبالمثل ووفق أصول قاعدة التحدي.

ومن الحقائق أيضاً أنه لو أقرت إدارة الرئيس بوش بموضوعية مبادرة 12 آب/ أغسطس 1990 التي طرحها الرئيس صدام حسين لكان ذلك أكثر جدوى وكان من شأنه أن يوفر على الولايات المتحدة ومن معها الإحراجات التي تحدثت يوماً منذ أن بدأ العدوان.

فعندما يصمد العراق على رغم كل هذا القصف المجنون له. وعندما يؤكد إصراره على الصمود متحدياً التفوق الهائل للتقنية الغربية في مجال السلاح، فهو في حد ذاته إحراج للولايات المتحدة. ناهيك بأن إسقاط هذه الأعداد من الطائرات المتقدمة هو أيضاً إحراج لم تتوقعه إدارة الرئيس بوش لكنه حدث. ومن المؤكد أن المزيد من الإحراجات سيحدث مع كل يوم ينقضي على بدء العدوان يوم 17 كانون الثاني/ يناير 1991. وربما تطورت هذه الإحراجات أكثر وأكثر وإلى حد أن تصبح سمعة العسكرية الأميركية موضع تساؤل.

ومن الحقائق أيضاً أن الولايات المتحدة خدعت كل الذين آزروها حيث أنها خططت لشيء إلا أنها نفذت شيئاً آخر. كما أنها خدعتهم عندما صوّرت لهم أن قدرتها العسكرية الفائقة تجعل أمر حسم المواجهة لا يتجاوز بضعة ساعات وبذلك لن يكون هنالك مجال لتمديد أجل الإنذار ولا فرصة للعراق بأن يقوض الإستقرار في دول الخليج ولا إمكانية أمامه من أجل أن يستنهض القوى المترددة في مساندته وهذه بالتالي ستكون أكثر تفهماً للإجراءات المتخذة بحقه.

ومن الحقائق أيضاً أن الشجاعة التي مارستها القيادة العراقية في مواجهة أشرس عدوان يمكن أن يتعرض له بلد جعلت المتحالفين يلومون بعضهم البعض على ما يقّمه كل طرف من تحليلات ومعلومات. هذا مع الأخذ في

الإعتبار أنه ليس واضحاً ما إذا كانت معلومات الرئيسين حسني مبارك وحافظ الأسد ممزوجة مع التمنيات والنيات السعودية والخليجية إزاء قيادة صدام حسين هي السبب في إتخاذ قرار الحرب.

ومن الحقائق أيضاً أن المملكة العربية السعودية تسرعت في الموافقة على قرار بدء الحرب. وإن الإصرار على أن تكون الفترة التي تلي الخامس عشر من يناير 1991 عبارة عن تمديد للمهلة الدولية التي تم تحديدها لإنسحاب القوات العراقية من الكويت وليس بدء الحرب، أفضل لها بكثير، خصوصاً أن من ينفذ العدوان يتساوى مع من يسهل هذا العدوان.

ومن الحقائق أيضاً أن إكتفاء السعودية بين العراق والكويت إلى أن تتسم تسوية الخلاف بينهما كان هو الأجدى وليس الوقفة مع الكويتيين. وكان الأجدى أيضاً وقوف السعودية بين العراق والولايات المتحدة وليس تبني الرأي الأميركي إلى درجة تسهيل العدوان وتمويله والمشاركة فيه. ولقد بدت السعودية بعدما انفجر الموقف حرباً أنها أدارت الأزمة بالطريقة التي أدار بها الأزمة بالطريقة التي أدار بها قبل 2 آب 1990 شيوخ الأسرة الحاكمة في الكويت، حيث أن هؤلاء مارسوا عناداً غير مبرر فأوصلوا الأمر إلى حافة الحرب فإلى الحرب بعدما كان من الممكن جداً تفادي ذلك كله. ومثلما أن الخليجيين بمن فيهم السعودية لاموا الكويتيين ضمناً على أسلوب إدارتهم للأزمة فإن الآخرين سيلومون بعد الآن السعودية، وبالذات بعدما باتت مدنها ومراكز الثروة فيها عرضة للصواريخ التي تنطلق من العراق رداً على أطنان القنابل التي ترمي بها الطائرات الأميركية والحليفة على المدن والمواقع العراقية. وكلما طالبت الحرب كان معنى ذلك أن الطائرات الأميركية ستعتدي والصواريخ العراقية سترد والإستقرار السعودي سيهتز، فضلاً عن أن الثروة ستكون عرضة للإستنزاف وستخلو المدن من أهلها الذين سيلجأون إلى المرتفعات والمناطق البعيدة عن خط النار. وهكذا فإنه مثلما أن عدم العناد الكويتي كان من شأنه أن يحول دون حدوث ما حدث فإن هذا الخيار من جانب الحُكم السعودي من شأنه أن يؤدي بالأمور إلى وضع يصبح فيه التأسف غير مجد وتصبح فيها الموافقة على مبادرة الرئيس صدام أفضل بكثير - لو تمت - من هذا الإصرار على رفضها وتسليح الإدارة الأميركية بهذا الرفض وبالرفض المصري والسوري والإسرائيلي للقول بأن الأطراف الرئيسية في

الصراع العربي - الإسرائيلي لا تريد الربط الذي تنادي به مبادرة الرئيس صدام حسين.

ومن الحقائق أيضاً أن المبادرات التي سبق طرحها قبل أن يبدأ العدوان على العراق كانت تحتاج إلى المزيد من الجهود المخلصة وإلى إقتناع إدارة الرئيس بوش بها. ولو توافر ذلك لكانت هذه المبادرات شقت طريقها. وبعدما حدث العدوان فإن المبادرات لا تبدو مجدية. وهي لو كانت كذلك لكان الرئيس صدام حسين شجع المبادرة التي طرحها الرئيس غورباتشوف في اليوم الثاني لبدء العدوان والتي كان واضحاً أن الدافع إليها هو إلتفاف الرئيس السوفياتي حول النظرة الخالية من الإحترام من جانب شعوب العالم الثالث إلى موقفه فضلاً عن ضيق يصل مرتبة التملل داخل المؤسسة العسكرية في الإتحاد السوفياتي لأن هذه المؤسسة تراقب ما يفعله الأميركيان وحلفاؤهم الأوروبيون بدولة صديقة للإتحاد السوفياتي ومرتبطة بمعاهدة معها ويتألمون لأن قيادتهم السياسية متفرجة أو أنها تمسك بمظلة تغطي بها عدوان الحلفاء على العراق.

وإلى ذلك إن غورباتشوف يعرض مبادرته بينما هو واقع تحت وطأة الولايات المتحدة التي تسايهه إلى أبعد الحدود في مشاكله الداخلية. وعندما تكون هذه حاله فكيف سيكون لمبادرته تأثير. ووفق هذه النظرة رد الرئيس صدام على المبادرة بالرفض وبالمعاقبة الشديدة.

وإزاء هذا الواقع فإن الحل المتبقي الذي يمكن السعي في سبيله هو عقد قمة إسلامية في طهران تُقرر حلاً لأزمة الخليج ولل قضية الفلسطينية تلتزم به الدول الإسلامية أن تكون هنالك وقفة إلى جانب العراق في وجه العدوان الأميركي. أما لماذا طهران فلأن أهمية هذه القمة في إنعقادها على أرض خليجية. والبلد الخليجي الوحيد البعيد عن ساحة العمليات وليس عن ضوضاء المعركة هو إيران فضلاً عن أن مثل هذه القمة ستحقق مصالح إسلامية ضرورية وهي مصالحة لا يمكن أن تتحقق خارج هذه الظروف. وفي إستطاعة جهد عربي مخلص يقوم به القادة المسلمون، وعلى سبيل المثال لا الحصر العقيد معمر القذافي والملك حسين، أن يحقق بعض النتائج.

وعندما نقول إن القمة الإسلامية هي الملاذ الوحيد فعلى أمل أن تمتص هذه القمة قرارات القمة الشريرة التي عُقدت في القاهرة وتوقف الهجمة العدوانية على العراق وتتعهد بإزالة آثار العدوان عليه وتجد صيغة مرضية

للمسألة الكويتية العالقة، وعلى أساس أن الأمم المتحدة عاجزة ولم تعد موضع الثقة، وعلى أساس أن الجامعة العربية مجمدة وتحمل جلستها الشهيرة في القاهرة مسؤولية كبرى في إستقدام القوات الأجنبية إلى المنطقة، وعلى أساس أن حركة عدم الإنحياز مشلولة ولا داعي لأن يناقش غير المسلمين مثل هذه الأزمة التي وضعت العالم الإسلامي أمام محنة لم يواجهها بهذه الشراسة من قبل.

ومن الحقائق أيضاً أن الرهان على أن في إستطاعة الولايات المتحدة أن تحسم بآلتها الحربية المتقدمة أي أمور لمجرد كبس الأزرار إنما هو رهان خاسر. وسيتبين كم أن هذا الرهان كان باهظاً جداً على الذين راهنوا إذا إستطاع التخطيط الواعي من جانب العراق أن يحقق النتيجة المرجوة والموضوعة كهدف وهي إحراج الإدارة الأميركية والإظهار بأن من الممكن بالإيمان والإرادة والإصرار والتضحية والصبر مواجهة تلك الآلة الجهنمية وإحراج الذين يقفون وراءها من الرئيس بوش إلى الحلقات الأخرى التي تليه تخطيطاً وتنفيذاً. وفي إستطاعة إسقاط المزيد من الطائرات المتطورة وإلحاق المزيد من الخسائر البشرية وإعتماد قاعدة الصدق في النتائج لدحض الإنطباع السائد بأننا نبالغ في الحديث عن المكاسب في ساحات القتال. أن تخرج الولايات المتحدة. وبالنسبة إلى دولة مثل الولايات المتحدة فإن الإحراج يصيبها وعلى يد دولة مثل العراق تواجه منفردة هذا الحشد الدولي الهائل، هو بمثابة هزيمة أو أنه يصل إلى مرتبة الهزيمة أو مشارفها. واللافت للانتباه أن الحلفاء إعتدوا منذ اللحظة الأولى أسلوب التعتيم وعدم إذاعة المعلومات الأمر الذي يعني أن الإحراج بدأ منذ اليوم الأول للعنوان.

وإلى ذلك فإنه عندما يخيب أمل الخليجيين بالقدرة العسكرية الأميركية وبأن هذه الأساطيل البحرية والجوية وهذه الألوف المؤلفة من الجنود والطيارين لا تستطيع المحافظة على الأمن الخليجي والحيلولة دون قصف بعض المدن بالصواريخ العراقية، فإن ذلك سيعني أن الإحراج بلغ مرحلة الشك في أن تستمر العلاقة الأميركية - الخليجية بعد إنتهاء الحرب، وكان الشك بأن وضع اليد على الثروة الخليجية ممكن بهذه البساطة.

ومن الحقائق أيضاً أنه بات من المهم جداً تحجيم الهيمنة الأميركية على العرب وهو ما سيكون للرئيس صدام حسين الفضل فيه بعد أن تنتهي الحرب. ومن الحقائق أن لغة التخاطب كانت أسلوباً إستفزازياً

أضرم النار في النفوس الملهته أصلاً وأن هذه اللغة يجب أن تتبدل على الأقل بين الأطراف العربية. وكخطوة سريعة لا بد من إعادة نظر جذرية في الأسلوب الإعلامي السائد لأنه أسلوب سيقود إلى حروب أهلية عربية بشعة.

ومن الحقائق أيضاً أن تكاليف حرب كان يمكن تفاديها بإرادة طيبة وبكلمات تعكس النيات الحسنة وبمبالغ من المال ليست شيئاً أمام حجم الثروة الكويتية، وليست شيئاً يُذكر أمام ما يتم إنفاقه على القوات الأجنبية التي جيء بها، قد تنتهي بالعوز فالإفلاس.

ومن الحقائق البالغة الأهمية أن قصف تل أبيب وحيفا بالصواريخ حقق في النفس ثقة لا مثيل لها وكسر حاجز الرهبة التي تزايدت حدته على مدار أربعين سنة. ومهما قال الإعلام العربي الحليف والإعلام الأجنبي المعادي عن الأثر الذي أحدثته الصواريخ العراقية في إسرائيل فإن هنالك مسألة باتت جزءاً من الوجدان، وهي أن تاريخ المنطقة بعد الآن، وأياً كانت نتائج المحنة التي نعيشها، سيتم الإشارة إليه على أساس مرحلة ما قبل 18 يناير يوم القصف الصاروخي العراقي لتل أبيب وحيفا ومرحلة ما بعد ذلك القصف.

إن الحقائق التي أفرزتها الأيام الأولى للعنوان الأميركي على العراق كثيرة جداً وما أوردناه هو على سبيل المثال لا الحصر.

وعند الإستغراق في التأمل تترسخ حقيقة ساطعة وهي أن الرئيس صدام حسين هو قلب القضية النابض. ... وهو أيضاً ضميرها الحاضر لإستعادة حقها الغائب.

مجلة "التضامن". لندن - 28 كانون الثاني (يناير) 1991

* * *

حين تتوسط الصحافة أعمدة الحُكم

رسالة من ناشر "التضامن" إلى مارغريت

تاتشر وزد من 10 داوننغ ستريت

عندما وصلت الحملة على الرئيس صدام حسين في وسائل الإعلام البريطانية حداً تجاوز الأصول كان علينا

كإعلاميين عرب نقيم في بريطانيا ونعمل على أراضيها أن نفعل شيئاً. أن نسجل موقفاً. أن نبدي وجهة نظر. أن ننبيه. أن نعترض..

ولمّا كانت وسائل الإعلام البريطانية موصدة الباب أمام أي توضيح عربي منصف من شأنه أن يخفف من غلواء الحملة البريطانية التي تميزت بالتجريح، فإنه كان لا بد من التفكير بطريقة أخرى.

وهذا ما فعلته.

كتبْتُ رسالة إلى رئيسة الوزراء السيدة مارغريت ثاتشر أرفقتها بنسخة هدية من كتاب لي أروي فيه السيرة الذاتية والحزبية للرئيس صدام وأحلل أسلوبه في إدارة الصراع وإتخاذ القرار.

والذي شجعتني أكثر على ذلك هو أن الكتاب باللغة الإنكليزية، الأمر الذي يعني أن أمام رئيسة الوزراء الفرصة لكي تقرأ، ولُغتها، السيرة الذاتية لصدام حسين الذي بدأ مناضلاً وانتهى زعيماً.

وعندما أقول ذلك فعلى أساس أنه لم يحدث أن توافرت لدى الحكومات الأجنبية عن الرئيس صدام سوى التقارير التي يبعث بها هذا السفير أو ذاك من نوع التقارير التي يتم الكشف عنها بعد ربع قرن أو أكثر. أما الكتاب الذي أرسلتُ نسخة منه إلى رئيسة الوزراء البريطانية فإنه أول كتاب عن صدام حسين من سنة ولادته عام 1937 إلى سنة تسلمه المسؤولية الكاملة في الدولة والحزب في بلاده. ومن وجهة نظري إن الأسلوب الذي إعتمدته حقق الغاية المرجوة.

كيف؟

إن ما نريده من وسائل الإعلام البريطانية هو إتاحة الفرصة أمامنا لكي نقول رأياً في حملة أو نسجل موقفاً رداً على موقف، أو نورد توضيحاً من شأنه أن يزيل بعض اللبس أو بعض الغبن.

ونريد ذلك لكي تطلع الدولة وأهل القرار الذين في القمة على ذلك. وهم لابد يطلعون عندما تنتشر هذه الصحيفة أو تلك كلاماً له أبعاده. وما دامت الرسالة التي بعثتُ بها إلى السيدة مارغريت ثاتشر وأرفقتها بنسخة من الكتاب كانت موضوع إهتمام فهذا معناه أن التوضيح أو الموقف أو الرأي قد سمعه الذين في القمة.

والدليل على ذلك هو أن الرسالة التي بعثتُ بها تحمل تاريخ 23 - 4 - 1990 (أي بعد 21 يوماً من الإنذار الذي وجهه الرئيس صدام وأقسم فيه بأنه سيحرق نصف

إسرائيل بالكيمياوي المزدوج إذا هي إعتدت على العراق) وأن السكرتارية الخاصة لرئيسة الوزراء بعثت رداً بتاريخ 26 - 4 - 1990 أي بعد ثلاثة أيام من تسلم الرسالة في ما يأتي نصه:

عزيزي فؤاد مطر

أكتب إليك بالنيابة عن رئيسة الوزراء لأشكرك على رسالتك المؤرخة 23 نيسان (أبريل) 1990.

وتحظى رسالتك في الوقت الحاضر بكل العناية. وسوف نرسل إليك الرد وبعد 23 يوماً وصلني من مكتب السيدة مارغريت ثاتشر الرسالة التي توضح صياغتها أن رئيسة الوزراء قرأت وإهتمت.

وفي ما يأتي نص الرسالة المؤرخة 18 أيار (مايو) 1990:

عزيزي فؤاد مطر

شكراً لك على رسالتك المؤرخة 23 نيسان (أبريل) والموجهة إلى رئيسة الوزراء وأيضاً على تعليقك على العلاقات بين بريطانيا والعراق.

إن بريطانيا والعراق تربطهما علاقات وثيقة منذ سنوات طويلة وفي العديد من المجالات. وتحدونا رغبة قوية أن نجد حلاً سلمياً لأزمات المنطقة. ونعتقد أن العراق لديه دور مهم للمساعدة في تحقيق هذا الهدف. ونحن نتطلع إلى علاقات طبيعية مبنية على احترام القانون وحقوق الإنسان ومتابعة الأمان المشتركة.

وفي الوقت الحاضر تمر علاقاتنا مع العراق في فترة صعبة، ولم تكن هذه الصعوبات من تطلعاتنا بل إننا اضطرنّا إلى الإستجابة لعمل إتخذته الحكومة العراقية. ولابد لنا من تنفيذ قوانيننا. ونحن نتوقع من الآخرين أن



في ما يأتي النص المترجم إلى العربية لرسالة ناشر «التضامن» ورئيس تحريرها إلى رئيسة الوزراء السيدة مارغريت ثاتشر:

السيدة مارغريت ثاتشر
رئيسة وزراء بريطانيا
تحية طيبة،

أبعث إليك بنسخة من كتاب لي مرفق ببعض التمنيات ومن بينها أن تجدي الوقت لإلقاء نظرة على مضمونه وإن كنت أتطلع إلى أن تقرأي الكتاب بالكثير من التأييد لأنه يعطي فكرة عن زعيم عربي أعتقد أن أسلوب تعامل حكومتك معه ليس عادلاً.

وعندما أطلب منك ذلك فلأنني منذ أن أصبحت مواطناً بريطانياً وأحمل الجواز البريطاني شعرت أن إنتمائي أنا وأفراد أسرتي وهم زوجتي وأبنائي الثلاثة هو لحزب المحافظين الذي أوصلك إلى الحكم. وتؤكد محاضر الإقتراع في الحي الذي نسكنه إننا لم نتقاعس يوماً عن أداء الواجب الانتخابي. وكنا نتوجه إلى مركز الإقتراع في الحي ونختار مرشح حزب المحافظين.

ولقد إختارنا هذا الإنتماء لسبب أساسي، وهو إننا كمعرب في الأصل نشعر أن حزب المحافظين وحكومتك أنت بالذات يمكن أن تعوضنا ظمناً كبيراً لحق بنا وتسبب في حدوث الشتات العربي الذي نحن مع بضعة ألوف يعيشون في بريطانيا بشكل جزءاً منه. وأقول ذلك على أساس أن حزبكم بدأ منذ اللحظة الأولى تصحيح المسار في بريطانيا وأنجز في هذا الإتجاه خطوات كثيرة، وإعتبرنا أن من يكون هاجسه التصحيح على صعيد الداخل فلا بد أنه سيعتمد النهج التصحيحي نفسه على صعيد الخارج.

وعلى رغم أن ما أنجزته حكومتكم بالنسبة إلى أمور الخارج كانت دون ما نأمله كناخبين بريطانيين من أصل عربي لحزب المحافظين، إلا أننا إستمرينا على إعتقادنا بأن الخطوة الأهم لابد ستأتي من جانبكم، وأن الذي سيساعد على تحقيقها هو التوجه المعتدل للسياسة العربية بشكل عام والمرونة التي تبديها القيادات العربية ذات الشأن ومن بين هؤلاء الرئيس العراقي صدام حسين الذي نرى أن تمكنه من ضرب الرهان الإيراني عليه وخروجه قوياً ومعاًف من الحرب يساعد على تحقيق السلام العادل في المنطقة.

ولكن بدلاً من ذلك فإن حكومتكم تعاملت مع صدام حسين بالإتجاه المعاكس وبدأت في تعاملها هذا وكأنما

يحترمونها أيضاً. وخلال الأسابيع الأخيرة كانت إستجابة الحكومة إلى سلسلة من المشاكل حازمة إلا أنها محسوبة. وليس هناك حملة ضد العراق.

التوقيع

تشارلز باول

السكرتير الخاص

ويبقى إننا عندما ننشر الرسائل هنا فلكي نؤكد أن إمكانية الحوار متاحة وأن الوسائل للتوضيح وتسجيل الموقف كثيرة.

وعودة متأنية إلى قراءة الرسالة التي بعثت بها إلى السيدة مارغريت ثاتشر رئيسة الوزراء ثم الرد الذي وصلني منها، تعطي فكرة عن جدوى المخاطبة الهادئة.

ومعذرة من الذين قد يعتبرون من باب سوء الظن أن النشر فيه بعض المباهاة. فالمسألة ليست كذلك على الإطلاق وإنما هي قضية عامة أطرافها كثيرون. وأحياناً يجد الكاتب والصحافي نفسه أنه طرف. وهو دوره هنا إيجابي مادام يضع أمام أهل القرار حقائق موضوعية يصعب على من يحملون الصفات الرسمية وضعها.

يبقى أيضاً أننا أردنا من النشر القول هو أننا كإعلاميين عرب نعمل في أوروبا علينا أن نسعى لتثقيف قنوات الإتصال عندما تكون هنالك تطورات.

وما بين العراق وبريطانيا منذ بضعة أسابيع يوجب السعي الذي هو سعي مشكور مادام يستهدف تضميد جراح في جسم العلاقات التي نتمنى أن تعود معافاة.

نص رسالة فؤاد مطر ناشر «التضامن»
إلى رئيسة وزراء بريطانيا مارغريت ثاتشر

Republic of the Philippines
Department of Education
Western Visayas
Division Office
PASH CITY
GUNAGARINGAN ELEMENTARY SCHOOL
GUNAGARINGAN GRANDE, PASH CITY, ILOILO
Division Office
PARENTAL CONSENT

Date: 03/11/2019

I/we hereby voluntarily and voluntarily give consent the participation of my/our child/children in the Division, Regional Meet and Palarong Pambansa.

I have consented that my/our child/children will derive from their participation in this activity provided that due care and provisions will be observed to ensure the comfort and safety of my child/children, and that I/we as parents and personnel may not be held responsible for any untoward incident that may happen beyond their control.

Signature of Father: _____ Signature of Mother: _____
Name of Father: _____ Name of Mother: _____

Signature of Guardian over Printed name: _____
(Relationship with the Athlete)

Verified by: _____
Name of School: _____
Signature of School Head/Registrar: _____

FOR PALARONG PAMBANSA ONLY

بأصواتهم بعدما كنا نتوجه بحماسة ونقترح لمرشح حزب المحافظين من دون تردد.

ولا نريد أن نشعر بأننا كنا مخدوعين.

وصدقيني إنني أكتب هذه الرسالة من منطلق الحرص على علاقة بريطانية - عربية مثالية أرى أنها إذا كانت لن تحدث مع زعيمة تاريخية مثلك فإنها ربما لا تحدث على الإطلاق.

وهذه العلاقة تبدأ بتصحيح النظرة إلى زعيم عربي لحق به الظلم والتجني من جانب حكومتكم.

وإذا قرأت سيرته كما عالجتها في هذا الكتاب فإنك ستكتشفين أن من يظلم الزعيم العربي ويتجنى عليه إنما يتجنى على مريديه.

وبالنسبة إلى صدام حسين أن مريديه كانوا شعبه أو على وجه الدقة بعضهم ثم صاروا أمته.

وتكراراً إنني كمواطن بريطاني من أصل عربي أتمنى أن يكون هنالك إستيعاب لهذا الواقع بحيث لا يكون هاجس مارغريت ثاتشر أن تكون انطوني ايدن آخر، الذي مازلنا حتى الآن، وربما حتى إشعار آخر، لا نتحمل كعرب سماع اسمه، وإنما أن تكون شيئاً آخر، مزيجاً من تشرشل البريطاني وإيزنهاور الأميركي وديغول الفرنسي.

وتلك أسماء لها مكانها ومكانتها في وجدان العرب بأجيالهم الثلاثة الأجداد والآباء.. ثم الأحفاد.

مع خالص التقدير

فؤاد مطر

هي قلقة من العلاقة الطيبة بينه وبين الدول الأخرى في منطقة الخليج وتخشى أن تؤثر هذه العلاقة على خصوصية الروابط بين المملكة والمملكة وبعض دول الخليج.

وإلا فما معنى التعامل الجائر من جانب حكومتكم مع هذا الزعيم الذي نرى فيه أنه قادر على أن يجعل من خلال تجربة الحرب والشأن الذي إكتسبه فيها السلام في منطقة الشرق الأوسط أقرب مما نتصور، أو على الأقل يجعله ممكناً بسبب العلاقة العميقة بينه وبين القيادة الشرعية للفلسطينيين.

إنني أعتقد أنكم لم تعرفوا صدام حسين كما ينبغي. وإذا كنتم إعتدتم في سبر أغوار شخصيته على ما كتبته وسائل الإعلام البريطانية عنه فإن ذلك يشكل صدمة لنا لان معظم هذه الكتابات كانت قائمة على التجريح.

ومن هنا تأتي تمنياتي عليك بأن تقرأي كتابي الذي أرفقه إليك مع هذه الرسالة. وأنا أعتقد ككاتب أنك ستجدين في سطور الكتاب ما من شأنه تعديل النظرة إلى هذا الزعيم الذي أكد أنه مخلص لأمته وإلا لما أمكنه في عبارة من بضع كلمات أن يوقظ بضعة ملايين عربي.

وإذا كتب الله لصدام حسين العمر فإنه قادر بعمق إيمانه بتاريخ هذه الأمة أن يجعل جغرافيا المنطقة تأخذ شكلاً جديداً في غضون السنوات المتبقية من العصر الذي كان عصر القهر للعرب من جانب الغرب الذي تشكلون أنتم أحد الرموز الأساسية فيه.

أما كناخب بريطاني شاءت ظروف محنة بلده الأصلي لبنان أن يستقر في لندن ويتخذ منها مقراً له كناشر وكاتب ومؤلف فإنني أتمنى ألا أذهب في أول مناسبة إنتخابية إلى صناديق الاقتراع وأقف متردداً لمن أدلي بصوتي ولمن تدلي زوجتي وولدي الإنسان وإبنتي



